دُرُّ الأَسْرارِ

فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ بِالحُرُوفِ المُهْمَلَةِ

تأليف

مفتي الديار الشامية

محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة

الحسيني الحمزاوي الحنفي

المتوفى ١٣٠٥ هـ

اعتنى به ووضع حواشيه

أسامة عبد العظيم

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة الإسراء

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : DURR AL-ᵓASRĀR FĪ TAFSĪR AL-QURᵓĀN BIL-ḤURŪF AL-MUHMALAH

Classification: Exegesis of the Qur'an

Author : Al-mufti Maḥmūd ben Muḥammad Nasīb Al-Ḥusayni al-Ḥamzāwi

Editor : Usāmah ʿAbdul-ʿAẓīm

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 1248 (2 volumes)

Size : 17*24

Year : 2011

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب : در الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة

التصنيف : تفسير قرآن

المؤلف : محمود بن محمد نسيب الحمزاوي

المحقق : أسامة عبد العظيم

الناشر : دار الكتب العلميــة - بيروت

عدد الصفحات : 1248 (جزءان)

قياس الصفحات : 17*24

سنة الطباعة : 2011

بلد الطباعة : لبنـــان

الطبعة : الأولى (لونان)

DKi
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6939-6
ISBN 2-7451-6939-4

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي قال لنبيه المصطفى، منوها بعظمة القرآن وما فيه من الرحمة والنور والهدى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المولى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المختار من الخليقة المجتبى، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار النجبا.

أما بعد:

فإن هذا الكتاب العزيز المبارك، فيه الرحمة والشفا، فهو الهدى الذي يهدي من الضلالة، وينير الحقائق الصحيحة في ظلم الجهالة، يهدي إلى معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويبين الطريق الموصل إلى فضله وأفضاله، ويوضح الأحكام كلها في العبادات والمعاملات، ويبين الحقوق في جميع التعلقات، وهو الشفاء من الأمراض البدنية والقلبية، وبه العصمة والنجاة في الأمور الدينية والدنيوية، وهو المزيل لأمراض الشبهات وأمراض الشهوات، بما فيه من البراهين القاطعة، والمواعظ المؤثرة والتذكيرات، وهو الموصل إلى المعارف الجليلة والعلم واليقين الكاشف للحقائق كلها بالتوضيح الكامل والبراهين، فيه نبأ الأولين والآخرين، وفيه الحكم العادل بين الخلق أجمعين، وفيه من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ما تطمئن به القلوب، وفيه التفاصيل العظيمة النافعة الموصلة إلى كل مطلوب، كتاب عظيم هيمن على الكتب السابقة حتى

أحاط بها وحواها، وحكم بالحق في كل ما تنازعت فيه الأمم، أولاها وأخراها، أعيا ببلاغته وحسن نظمه جميع البلغاء، وحير بحسن أسلوبه وما كشفه من غيوبه أفئدة العقلاء، وأصلح بهدايته العقائد والأخلاق والأعمال، وهدى للتي هي أقوم وأصلح وأنفع، في كل الأحوال، كتاب حفظه الله من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حميد رحيم رحمان، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم.

وقد أنعم الله علينا أن عثرنا على هذا التفسير الفذ النادر، لمفتي الشام الشيخ الجليل محمود بن حمزة الحسيني، الذي تفرد فيه بأن أتى بهذا التفسير جميعه على الحروف المهملة، الغير منقوطة، ولم يَتَأتَّ له ذلك إلّا بعد امتلاكه لموهبة لغوية، ومقدرة فائقة في فهم المعاني وترجمتها في هذا الثوب اللغوي المتفرد.

اللهم اجعل القرآن العظيم لقلوبنا ضياء، ولأسقامنا دواء، ولذنوبنا ممحصا، وعن النار مخلصا، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا رب العالمين.

مكانة القرآن العظيمة

قد مَنَّ الله سبحانه على خلقه وخاصة المؤمن منهم بأن بعث فيهم رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وأنزل معه أفضل كتبه وخاتمها، والمهيمن عليها، يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم في خطبته: « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان »... الحديث.

هذا الكتاب هو المهيمن على الكتب السابقة كلها، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]

والمعنى: أنه عال ومرتفع على ما تقدمه من الكتب، وهو أمين عليها وحاكم وشاهد وقيم عليها.

يقول ابن جرير: (القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل). اهـ.

وكتاب الله له المكانة العظيمة في قلب كل مسلم، وهو أيضا عظيم في نفسه، كريم مجيد عزيز.

معنى القرآن

القرآن: مصدر قرأ قرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩] والكلام المقروء نفسه يسمى قرآنا، والقرآن كلام الله حقيقة، لفظه ومعناه من الله، أنزله على عبده محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وحيا، فهو منزل غير مخلوق، يقول الله:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١] ويقول سبحانه: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:١ - ٢] ويقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وعلى هذا أجمع سلف الأمة، رحمهم الله جميعا.

يقول ابن القيم: (فوصفه - سبحانه - بأنه محفوظ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ووصف محله بالحفظ في هذه السورة - أي: البروج - فالله - سبحانه - حفظ محله وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل، وحفظ معانيه من التحريف، كما حفظ ألفاظه من التبديل، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان، ومعانيه من التحريف والتغير) اهـ

كتاب الله الكريم هو المنجي من الفتن، وهو أنيس المؤمن، ونور قلبه، وربيع

صدره، وجلاء همه وغمه، كتاب الله نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى عبره، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١].

من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، هو الآية الكبرى والمعجزة العظمى التي أوتيها نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، حيث يقول: « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » أخرجاه في الصحيحين.

فضل تلاوة القرآن

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ».

وصاحب القرآن هو المقدم في الدنيا والآخرة، وهم أهل الإكرام والإجلال، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » أخرجه مسلم.

وعن أبي مسعود الأنصاري البدري - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله »... الحديث، أخرجه مسلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان القراء أصحاب مجلس عمر - رضي الله عنه - ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط » أخرجه أبو داود، وحسنه النووي.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر » متفق عليه.

هذا في الدنيا، أما في الآخرة فثوابه أعظم إن عمل به وأجره أكبر، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران » أخرجه مسلم، وأخرجه البخاري بنحوه.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » أخرجه مسلم.

وصاحب القرآن هو المقدم في أول منازل الآخرة، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: " أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ " فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد » أخرجه البخاري.

ولا يزال صاحب القرآن يترقى في منازل الجنة على قدر ما معه من القرآن، فعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ولا شك أن العناية بحفظ القرآن من أجل ما تنصرف إليه الهمم؛ لما ذلك من الأجر العظيم، وقد كان وصف هذه الأمة في الكتب السابقة بأن أناجيلهم في صدورهم وهكذا فإن الله سبحانه قد أخبر في كتابه: أن هذا الكتاب محفوظ في صدور الرجال، يقول الله - سبحانه - : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا

لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨ - ٤٩]

فأخبر سبحانه أنه في صدور العلماء محفوظ، وهذا يصدق الحديث القدسي الذي فيه: «.. إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء »... أخرجه مسلم، والمعنى: أن الماء لا يمحوه، إذ هو محفوظ في الصدور.

وقد شبه النبي - صلى الله عليه وسلم - من لم يحفظ شيئا من القرآن بالبيت الخرب، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وحفظ القرآن مشروع للمسلم، والقدر الواجب عليه منه هو ما يحتاج إليه في تصحيح عبادته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وأما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السنة - فلا يجب على كل أحد، لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف من السنة ما يحتاج إليه) أ هـ.

وإن مما ينبغي العناية به لمن أراد تلاوة القرآن وحفظه أمور:

أولها: وجوب الإخلاص لله في العمل الذي يقدم عليه، وألا يكون مراده به حظا من الدنيا قريب حقير.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »... الحديث. عياذا بالله من حالة السوء.

قال ابن القيم - رحمه الله - بعدما أورد هذا الحديث: (وسمعت شيخ الإسلام

يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشر الناس من تشبه بهم من الكذابين، وادعى أنه منهم وليس منهم، فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصديقون والمخلصون، وشر الناس من تشبه بهم، يوهم أنه منهم وليس منهم) اهـ

ثانيا: ينبغي لمن أراد حفظ القرآن أن يكرره ويتعاهده حتى يتمكن من حفظه، والله تعالى إن علم من عبده الصدق يسر له طريق الحفظ.

ثالثا: من كان معه شيء من القرآن قد حفظه فليتعاهده بالتكرار والمراجعة حتى لا يضيع منه، وليستعن على ذلك بالصلاة، فإن من قام بحزبه من القرآن لم ينسه.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» متفق عليه. وزاد مسلم في رواية: « وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه ».

رابعا: مما يعين على حفظ القرآن مدارسته، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن في كل سنة مرة، إلا عام قبض فقد عارضه القرآن مرتين، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في فضل مدارسة القرآن: « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ».... الحديث.

خامسا: ينبغي للمسلم ألا يغفل عن كتاب الله، وليجعل له فيه ختمة، وقد كان السلف لهم عادات في ختم كتاب الله، فمنهم من كان يختمه كل شهرين مرة، ومنهم من كان يختم كل شهر مرة، ومنهم من كان يختم كل عشر ليال، ومنهم من كان يختم في ثمان ليال، وعن الأكثرين في كل سبع ليال، ومنهم من يختم في أقل من ذلك.

والأفضل: أن يختم المسلم كل سبع؛ لفعل جمع من الصحابة حيث كانوا يحزبون القرآن إلى سبعة أحزاب، فعن أوس بن حذيفة قال: (سألت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده) رواه أبو داود.

وحزب المفصل من سورة (ق) إلى آخر القرآن العظيم، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : « اقرأ القرآن في شهر، قلت: إني أجد قوة، قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ». أخرجه البخاري

ومسلم، واللفظ للبخاري.

وأما من قرأه في أقل من ذلك فالغالب أنه يهذه هذًّا، ولا يفهم معاني ما يقرأ، وهذا لا ينبغي من المسلم، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال - كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فالسنة ألا يختم في أقل من ثلاث.

والناس يختلفون في هذا، فمنهم من هو كثير العلم دقيق الفهم سريع القراءة قليل الشغل، فهذا يقرأ من القرآن أكثر ممن هو دونه في ذلك.

وقد استحب جمع من السلف: أن تكون الختمة إما أول الليل أو أول النهار؛ لأجل أن الملائكة تصلي على من ختم بالليل حتى يصبح ومن ختم بالنهار حتى يمسي، روي ذلك موقوفا على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وحسنه الدارمي عنه.

سادسا: يجب على المسلم أن يسعى في تعلم ما يقرأ؛ حتى يكون على بينة وفهم لما يتلوه، فيحصل له التدبر والخشوع، إذ ليس المقصود من القراءة مجرد التلاوة، كلا، فإن من هذه حاله كان شبيها بحال أهل الكتاب.

تفسير القرآن

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، وهكذا التابعون أخذوا عن الصحابة، فهذا مجاهد - رحمه الله - يقول: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري - رحمه الله - : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

والمقصود: أن معاني كلام الله موجودة معلومة، وكثير منها مدون متداول ولله الحمد، وأعظم ما فسر به القرآن هو أن يفسر بالقرآن، فإنه من المعلوم أن هذا القرآن مثاني ومتشابه، أي: أن بعضه يشبه بعضا ويفسر بعضه بعضا، وأن القصص تثنى فيه فيكون في هذا الموضع ما يفسر الموضع الآخر، وهكذا.

وهذا - ولله الحمد - واضح، فإنه ما فسر كلام الله بأوضح وأدل على المراد من كلام الله، إذ هو سبحانه المتكلم به، وهو الأعلم بمراده. وهذا النوع من التفسير اعتنى به السلف كثيرا، وهناك أمثلة كثيرة؛ لذلك يطول عدها.

ثم بعد كلام الله يأتي تفسير القرآن بالسنة؛ إذ لا أعلم بمراد الله بعد الله من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي نزل عليه القرآن وأمر ببيانه للناس.

ثم يأتي أقوال الصحابة؛ إذ هم من عاصر التنزيل وأخذ عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ثم أئمة التابعين.

ومن ثم يؤخذ من أقوال المفسرين أقربها إلى ما في الكتاب والسنة أو أقوال الصحابة، فإن كان وإلا فأقربها إلى مقتضى اللغة العربية؛ إذ هي لغة القرآن.

ومن المفسرين من يسلك مسلك الاجتهاد والاستنباط؛ فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده إذا كان عالم.

وينبغي التنبيه هنا: أن المسلم يحذر من أن يقول في كلام الله بغير علم، فلا يقل: هذه الآية تفسيرها كذا، وهو لا يعلم تفسيرها، فإن هذا إثم عظيم، وقول على الله بلا علم.

ترجمة المؤلف

(١٢٣٦ - ١٣٠٥ هـ = ١٨٢١ - ١٨٨٧ م)

هو محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة الحسيني الحمزاوي الحنفي، مفتي الديار الشامية، وأحد العلماء المكثرين من التصانيف.

مولده ونشأته ووفاته في دمشق. ويعرف آله فيها ببني حمزة، نسبة إلى حمزة الحراني (من جدودهم).

تقلب صاحب الترجمة في مناصب شرعية عالية انتهت به إلى فتوى الشام (سنة ١٢٨٤ هـ) واشتهر شهرة عظيمة.

وكان عجيبا في كتابة الخطوط الدقيقة، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز.

وأولع بالصيد فكان آية في حسن الرماية والتفنن بها. وكان فقيهًا أديبًا شاعرًا.

من كتبه:

١- "در الأسرار" في تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة.

٢- "الفتاوى" منظومة في مجلد.

٣- "الفتاوى المحمودية" مجلدان ضخمان.

٤- "الفرائد البهية في القواعد الفقهية".

٥- "قواعد الأوقاف" رسالة.

٦- "العقيدة الإسلامية".

٧- "الكواكب الزاهرة في الأحاديث المتواترة"

٨- "عنوان الأسانيد"

٩- "الأجوبة الممضاة على أسئلة القضاة".

١٠- "الطريقة الواضحة إلى البينة الراجحة" في فقه الحنفية.

١١- "مجموعة رسائل" إحدى عشرة رسالة.

١٢- "أرجوزة في علم الفراسة".

١٣- "غنية الطالب، شرح رسالة أبي بكر الصديق لعلي بن أبي طالب".

منهج العمل في الكتاب

١-اعتمدنا في عملنا في هذا الكتاب على طبعة حجرية طبعت سنة ١٣٠٦هـ، ووقف على تصحيحها وضبطها إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي، وقد كان انتهى من تأليفة الشيخ محمود الحسيني سنة ١٢٧٤هـ.

٢-وقد قمنا بنسخ هذه الطبعة الحجرية ومراجعتها عدة مرات.

٣-ثم قمنا بوضع بعض التعليقات والإيضاحات.

٤-وقمنا بتخريج الآيات من مواضعها في المصحف الشريف.

٥-وقد قمنا بوضع الآيات مجتمعة من المصحف قبل تفسيرها متفرقة.

٦-وقمنا بعمل فهرس تفصيلي للكتاب.

٧-وقمنا بعمل مقدمة حول مكانة القرآن العظيمة في الأمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اسمُ الله العَلام أولُ الكلامِ

الحمدُ لله مُرسل رَسُوله الأكرم، مصدرًا مطهرًا لأحكام كَلامهِ المكرّم، حاور كُمَى الكلِم، وحاروا ولا هَمَّهُم كما ادَّعوا ولا دمدم، حادوا كَدُمى رصدها أسد، لا أعدَاد لهم ولا مدد، أَمَدَّهُ ماسِكُ السماء وأحكم العُرَى، وأمُّوا وحوَّلُوا مَعَاهِد الهَوَى ومطارح المرا، ولو أُدرِك دُراكهم دسا، وسما ساطع ومكر ماكرهم رسا، أسس ما أحكم الله للعوالم والأمم، وحلل ما حلل وحرَّمَ ما حرَّمَ، ومهَّدَ المسلك المسلم وسدد، ورد الملل إلى الواحد الموطد، وهو الموصل إلى الأحد الصمد، سلم وساد سالكوه ووارِدُوهُ، وهلك رائحو سواه وواكِدُوه، حصل الوارد على اسما المآمل، وحصل الواكد أردى المحامل، مورد الكل لا لعلل حكم ساطع مسمعها ومرآها، وهمم حركها مولاها ودعا مسعاها، لسرور حالٍ أو سوء مآلٍ، رعاها حكم على الوَرَى حكم محور العدل دار وما حال، أسعد السعداء المالك، مُمسكُ صدور كلامه المحرم لحرامه والمحلل للحلال، هو هو ورسوله محمد الكامل كلاهما الممسك والإمام، ردَّدَ اللهم لروحه أمد الدهر سلامًا وسلامَ ما طأطأ هلال لك، وهلل ملك.

اعلم ولد العلم هَدَاكَ الله له وللعمل، وأحادك الملل، أعلا العلوم عمودًا، وأسمَاهَا صعودًا، علم حل أسرار كلام الله لا على الحصر والمراد الواحد، حصر المراد على الحدِّ مردود إلى الأحد الواحد، حاصل المرام، أدراك مرادها، أورده الرسول المطهر أو رواه أحد أرواَئه الكرام، أو أوله العلماء الأعلام، وأسسوه على أصول المعلوم، وهاك طرسًا مكملا حوى سر الوارد والمآول، مهمل الكلم لا المؤدى على معلومه المعلول، حاكه محمود ولد محمد مأسور عموم الأعصار والأمصار، ووسم له اسم: " در الأسرار " حاملا إلى مطالع سعود ملك ملوك الأمم، الراكع حول سرير ملكه عرائس الأحكام وصوارم الحكم، المسلط حسامه على أعداء الله، دوما لإعلاء أوامر مولاه، المحل روعه عرى صدورهم حل الملح، والهاد محكم أرائه مؤسس سورهم هُدَى الطل عمار الملح، مورد عدله راوٍ لكل صاد، ومسلك ردعه راوٍ لكل عائد وعاد، ملك عصر عدله كم حكاه عمر العدل أول الإسلام، لو رآه كسرى لطأطأ رأسا لعلاه وأم دار

سلام، حسامه عامل وإدراكه كامل، عطاؤه هامل وأدهمه صائل، لواؤه هائل وأسمره سائل، له الأمر المطاع والحكم الصداع، مسالم أمره سالك ومصادمه هالك، مؤمله حاصل ومؤمله واصل، سعده طالع وصارمه لامع، ورده مملوء وعهده مكلوء، أحواله الصلاح وآماله الإصلاح، أمره السداد وأمراؤه آساد، عصره سرور وعالمه مسرور، موطئه الرأس وما سواه مرؤوس، أعلامه إلى سهى السماك وممده الأملاك، مراع حسوده، ومراعي ودوده، حمده علو ومدحه سمو، ألا وهو الملك العادل الأسمى الأكرم، مولى العالم، السلطان الغازي: عبد المجيد خان، أدام الله ملكه وعلاه، وأورد صوارمه موارد دماء أعداه، والله المسئول على كل حال، والمسهل حلمًا وكرمًا لدى الحال والمآل.

سورة فاتحة الكتاب

مكية، وآيها سبع آيات

لما حوى مؤداها حكم العلم وأحكام العمل، وهما كالأصل والأس لكلام الله سموها الأم والأساس كما وسموها الحمد والدعاء لورودهما صدورها.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾[1] [آية:١]

﴿بِسْمِ اللهِ﴾ الاسم هو المسمى لو أراد السائل موسومه وسواه لو أراد الكلم، والمراد الأول الله، أصله إله، وهو أصل لكل مألوه رد العلم وروده إلا لحكم عدل.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كلاهما اسم مورده: رحم، ككرم، والمراد مآلهما، والحال محال على الله كما هو أصل سار لكل اسم محال ورد لله وحاله محال، وهو سر أوحاه لرسوله حدا لأوائل السور.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [آية:٢]

﴿الْحَمْدُ﴾ مصدر معدول دل على عموم الحمد، وهو سرد المحامد المردود ورودها إلى عمل الطوع، كحمد عمرو عمرا على علمه وكرمه.

﴿لِلهِ رَبِّ﴾ مالك.

﴿الْعَالَمِينَ﴾ كل ما دل على الله وهو ما سواه أو أهل العلم كالملك وولد آدم.

﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [آية:٤]

---

(١) قال الزمخشري: قرّاء المدينة والبصرة والشأم وفقهاؤها على أنّ التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - ومن تابعه، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها. وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا ﴿آمِينٌ﴾ فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها. وعن ابن عباس: «من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى». [الكشاف: ٦٦/١]

﴿مَالِكِ﴾ كما رواه عاصم، ورواه راوٍ: (ملك).

﴿يَوْمِ﴾ ورود أعمال أهل ﴿الدِّينِ﴾ المعاد.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝﴾

﴿إِيَّاكَ﴾ معمول أمَّه عامله للحصر، وهو ﴿نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا﴾ أدم هداك، وأصل وصوله إلى معموله (اللام) أو (إلى) كما ورد وأوسع له العمل.

﴿الصِّرَاطَ﴾ المسلك الموصل لك، وهو الإسلام.

﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ السوي.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [آية:٧]

﴿صِرَاطَ﴾ معمول على وهم العامل المكرر وهو اهد.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كل واصل لدار السلام رسلا أو أمما.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم الهود، وكل عاص وهو أعم.

﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾ لدعوى الأهل والولد للواحد الأحد، أو أولوا العمى وعدم العلم.

(آمين): دعاء علم الملك لرسول الله لما سرد الرسول الحمد[١].

(١) قال أبو حيان: كره الحسن أن يقال لها أم الكتاب، وكره ابن سيرين أن يقال لها أم القرآن، وجوزه الجمهور. والإجماع على أنها سبع آيات إلا ما شذ فيه من لا يعتبر خلافه. عدَّ الجمهور المكيون والكوفيون ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ آية، ولم يعدوا ﴿ أنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾، وسائر العادين، ومنهم كثير من قراء مكة والكوفة لم يعدوها آية، وعدوا ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ آية، وشذ عمرو بن عبيد، فجعل آية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، فهي على عدة ثمان آيات، وشذ حسين الجعفي، فزعم أنها ست آيات. قال ابن عطية: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ هو الفصل في ذلك. ولم يختلفوا في أن البسملة في أول كل سورة ليست آية، وشذ ابن المبارك فقال: إنها آية في كل سورة، ولا أدري ما الملحوظ في مقدار الآية حتى نعرف الآية من غير الآية. [البحر المحيط: ١/١٢٤]

بِسْــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة

مدنية، وآيها مائتان وست وثمانون آية

﴿الٓمٓ﴾ [آية:١]

﴿الم﴾ أول السور أسماء لها، أو أسماء لكلام الله، أو أول كلم، والأصح: الله أعلم[١].

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله: ﴿ألم﴾ اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطعة في أوائل السور على ستة أقوال:

أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لله عز وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلى هذا المعنى ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد.

والثاني: أنها حروف من أسماء، فاذا أُلفت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أَسماء الله عز وجل. قال علي بن أبي طالب: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب.

وسئل ابن عباس عن «آلر» و«حم» و«نون» فقال: اسم الرحمن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس.

والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ت ث» وهو يريد سائر الحروف، وكما يقول: قرأت الحمد، يريد فاتحة الكتاب، فيسميها بأول حرف منها، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولأنها مباني كتبه المنزلة، وبها يذكر ويوحد. قال ابن الانباري: وجواب القسم محذوف، تقديره: وحروف المعجم لقد بين الله لكم السبيل، وأنهجت لكم الدّلالات بالكتاب المنزل، وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ دليلا على الجواب.

والرابع: انه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى أنه لما كانت الحروف أُصولا للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف، قاله الفراء، وقطرب.

فان قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟

=

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:٢]

﴿ذَلِكَ﴾ أو ما إلى (الم) على أحد الصور المار سردها وصلح لورود اللام لما أوصله الرسول إلى المرسل له، ﴿الْكِتَابُ﴾ كلام الله، ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ ما حام حوله وَهْمٌ لسطوع هداه وسموه.

﴿هُدًى﴾ دال مصدر الأصل كالسرى، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لحصول الهدى لهم لا لسواهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [آية:٣]

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ما لا وصول للحس له كالإله، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ على أكمل الأحوال، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ المراد: الحلال لوروده مدحا؛ ﴿يُنْفِقُونَ﴾ محكوم على أدائه أولا كإعطاء المعدم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٤]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ على الرسل، وهم مسلمو أهل الملل كولد سلام وسواه، ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ علموا علما حاسما، و(هُمْ)

=

فالجواب أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فاذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد عليه السلام.

والخامس: أنها أسماء للسور. روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبي فاختة سعيد ابن علاقة مولى أم هانئ.

والسادس: أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. يقول الرجل للرجل: هل تا؟ فيقول له: بلى، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قلنا لها قفي لنا فقالت قاف ... لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف

أراد قالت: أقف. ومثله:

نادوهم ألا الجموا ألا تا ... قالوا جميعاً كلهم ألا فا

يريد: ألا تركبون؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخير خيرات وإن شراً فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

معناه: وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء. وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والزجاج، وابن الأنباري. [زاد المسير: ٨٩/١]

حصر، ودار المأوى للعهد المعهود.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آية:٥]

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصلو أمورهم على مرادهم، وهم الأصل ولو سواهم محصلا لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] سرد لوسم اللوماء لما وسم أولا الكرماء، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ وَسَهَّل راوٍ ما: (أَ) م الأولى مع المد أمامها وعدمه، ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ ردعك ووعدك لهم وعدمهما على السواء، ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ إسلامهم محال، وحاصل العامل والمعمول لا محل له أو حال مؤكد أو محمول عامل الموصول.

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ حط الله الكل على حواس الإدراك والسمع والمرأى وعطلها، أو حصل لهم حال، أو همهم مسراهم أكمل المسرى، وكلها علل للحكم المار، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ كل ما آلم، ﴿عَظِيمٌ﴾ أوعدهم وهددهم وأورد ما هو معدلهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ

(١) قال البغوي: قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي العرب قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمي الزارع كافرا لأنه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده. والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق. انظر تفسير البغوي (١/٦٤)

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [آية:٨ - ١٦]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ لما مر حكم أهل الإسلام، وعكسهم أهل اللؤم أراد وسم أرداهم وأحطهم مسلكا، وهم كل مصر على عكس الإسلام أو مسلم كلاما لؤما ومكرا.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد: إسرار المكروه لهم وأوهموهم عكسه، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ لإعلام الله رسوله

مكرهم وسرهم، وإمرار حكم الإسلام على أهل المكر والدرك، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ عاد مآل مكرهم وما أحسوا.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[1] سوء صدر وحسد للرسول وأهل الإسلام، ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ لما علا أمر الإسلام وأمدهم الله وسادوا على أعدائهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] مؤلم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ لصدور إسلامهم كلاما كما مر، ورواه راوٍ على وروده كسدد؛ مكرر الوسط.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ عدم إصلاحهم هو إصرارهم على المكر وطرح إمرار الإسلام للأعداء، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[3] رد على الحامل لهم على

---

(١) الله سبحانه وتعالى، شبه ما في قلوب المنافقين بأنه مرض، والمرض أولا يورث السقم، فكأن قلوبهم لا تملك الصحة الإيمانية التي تحيي القلب فتجعله قويا شابا، ولكنها قلوب مريضة، لماذا كانت مريضة؟ لقد أتعبها النفاق وأتعبها التنافر مع كل ما حولها، وأحست أنها تعيش حياة ملؤها الكذب، فاضطراب القلب، جعله مريضا، ولا يمكن أن يشفى إلا بإذن الله، وعلاجه هو الإيمان الحقيقي الصادق، ذلك الذي يعطيه الشفاء. انظر تفسير الشعراوي (٦٨/١).

(٢) الإشارة في العذاب الأليم بما كانوا يكذبون إنما هي الحسرة يوم الكشف إذا رأوا أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا، ورأوا أنفسهم كيف خسروا. انظر تفسير القشيري (٢٥/١)

(٣) أي: جمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه. انظر تفسير السعدي (٤٢/١) ط الرسالة.

عدم الصلاح، ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ رد الله ما ادعوه أعلا رد مؤكد أكده (أَلا)، والعامل (هُمْ).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ اسلموا إسلاما كاملا كإسلام الرسول والكمل معه، أو إسلام أهل مللهم كولد سلام، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أولو عدم الآراء والحلم، أو المراد: كل معدم لا مال له، أو كل مولى، ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ردع ورد أكده ما أكد الرد الأول.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ سرد لسوء عملهم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾[1] أمراء مكرهم، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ على الإصرار على السوء. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ معدهم ورادهم لمأوى سوء أعمالهم، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ مد العمر أو مد الأمراء للعساكر مأكلا، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ عدوهم الحدود ﴿يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدر، وهو عدم إدراك السداد كالعمى للمرأى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أصله إعطاء المال وأوسعوه إلى كل طمع لمرام ما ﴿الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ رد المعمول إلى العامل رد معار على الاصطلاح المعلوم، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لأصولها واصطلاحها لهلاك رأس مالهم.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ حالهم كحال ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ وهو إعطاؤهم أحكام الإسلام وعصم دمهم وأموالهم، ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ طمسها

---

(١) أي: انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين الشياطين في تمردهم وعتوهم وصدهم عن سبيل الحق. يقال: خلا به وإليه ومعه، خلوا وخلاء وخلوة: سأله أن يجتمع به في خلوة ففعل وأخلاه معه. أو المعنى: وإذا مضوا وذهبوا إلى شياطينهم، يقال: خلا بمعنى مضى وذهب، ومنه قوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أي مضت. وعبر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة إيذانا بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين، ولا طمأنينة منهم إليهم فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم في عرض طريق، أما شأنهم مع شياطينهم فهم إليهم يركنون، وإليهم يتسامرون ويتحادثون، لذلك هم بهم يخلون. انظر التفسير الوسيط (٣٤/١).

وأهلكهم، أو صار أمرهم وسرهم معلوما للورى، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾ المراد: دلس سوء معادهم السرمد(١).

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ لما سدوا مسامعهم وما دار كلامهم حول الهدى، ولا رأوه صاروا كمعدوم الحواس، ﴿فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٩، ٢٠]:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ المطر المدر أو هو معار لكلام الله والإسلام والعلوم، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كل ما علا، ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ سواد الركم، وسواد المطر، أو المراد: كل إلحاد طرأ على الإسلام أو وهم طرأ على العلوم، ﴿وَرَعْدٌ﴾ الملك المعلوم أو اصطكاك الركم أو الوعد وعكسه، ﴿وَبَرْقٌ﴾ المعلوم، أو الحكم الساطع أمرها، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ كل هائل مسموع أو ما أوعدهم الله على إلحادهم وسوء أعمالهم، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ الحمام أو روع الإسلام، ﴿وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ما أعده لهم على مكرهم كالسور حولهم.

---

(١) أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار. انظر تفسير السعدي (٤٤/١) ط الرسالة.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أسرع لسلها لولا أمر الله أراده، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ كلما لمع لهم وردوا مطارح لمعه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ داموا محلهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ لحصول عللها وعدم مراد الله لها رد صممهم وعماهم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو ما سوى المحال أو ما سوى المعدوم ﴿قَدِيرٌ﴾ لا راد له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية:٢١، ٢٢]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾(١) أمر عام لأهل كل عصر ومصر ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾(٢) سواكم وأصلكم العدم، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ سواهم وأصلهم كأصلكم عدم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال (واو) الأمر المار أو حال معمول مكمل الاسم الموصول، ودل على المسلك الموصل إلى الله وهو المسلك لما أمر والإمساك عما ردع.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ مدح أو محموله ما صدره لا ووطاؤها ما صحح ولا دل على مسطحها، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ دار على ما حواه، والسماء اسم للواحد والعدد كالدرهم، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا، والمراد: الركم على حد كل ما علاك سماء، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ لما صار المطر مع الرماد وأودع معهما

---

(١) قال الإمام القشيري رحمه الله: العبادة موافقة الأمر، وهي استفراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب، ويدخل فيه التوحيد بالقلب، والتجريد بالسر، والتفريد بالقصد، والخضوع بالنفس، والاستسلام للحكم. ويقال: اعبدوه بالتجرد عن المحظورات، والتجلد في أداء الطاعات، ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة، والتجافي عن التعريج في منازل الكسل والاستهانة. انظر تفسير القشيري (١/٣٣).

(٢) الخلق: أصله الإيجاد على تقدير وتسوية، ويطلق في القرآن وفي عرف الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراجها من العدم إلى الوجود إخراجاً لا صنعة فيه للبشر. والمعنى: اجعلوا أيها الناس عبادتكم لله تعالى وحده، لأنه هو الذي أوجدكم في أحسن تقويم بعد أن كنتم في عدم، كما أوجد الذين تقدموكم. انظر التفسير الوسيط (١/٤٤).

وقدم وصفه بخلق المخاطبين مع أنه متأخر بالزمان عن خلق من تقدموهم، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره.

حكما، ولو أراد لهدر كل المواد وسواها رأسا، ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَادًا﴾ المراد: مساو حكمه حكمه، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حالكم حال أهل العلم والإدراك، ومعمول العلم مطروح.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آية:٢٣، ٢٤]:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ سوء وَهْمٍ عرا عِلْمَكُم ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد كلاما مكرما، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ ساووا إحدى سوره مع كمال إدراككم، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ كل إله لكم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ صححوا دعواكم على عمل محمد له أو هو كلام ولد آدم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ عمل إحدى السور، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ عملها أمد الدهر، ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(١) كل إله على دعواهم كود، وسواع، أو المال المعد للطمر ﴿أُعِدَّتْ﴾ أعدها الله ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:٢٥]:

---

(١) هذه الآية تدل على إن هذه النار كانت معروفة عندهم بدليل أل العهدية، وقد قال تعالى في سورة التحريم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ فتنكير النار هنا يدل على أنها لم تكن معروفة عندهم بهذه الصفات. ووجه الجمع أنهم لم يكونوا يعلمون أن من صفاتها كون الناس والحجارة وقودا لها فنزلت آية التحريم فعرفوا منها ذلك من صفات النار، ثم لما كانت معروفة عندهم نزلت آية البقرة فعرفت فيها النار بأل العهدية لأنها معهودة عندهم في آية التحريم، ذكر هذا الجمع البيضاوى والخطيب في تفسيريهما وزعما أن آية التحريم نزلت بمكة وظاهر القرآن يدل على هذا الجمع لأن تعريف النار هنا بأل العهدية يدل على عهد سابق والموصول وصلته دليل على العهد وعدم قصد الجنس ولا ينافي ذلك أن سورة التحريم مدنية وأن الظاهرنزولها بعد البقرة، كما روي عن ابن عباس لجواز كون الآية مكية في سورة مدنية كالعكس. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للإمام الشنقيطي رحمه الله (٤/١).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسلموا لله ولرسوله ولكلامه، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ما أمرهم الله ورسوله ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: ماؤها على اصطلاح المرسل، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ أطعموا ﴿مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ما أطعموه أولا أو مطعم الدار الأولى، وعلى الأول كلموا الملك لما كرر لهم الإطعام وساووها صورا وطعما وما عهدوا مرأى واحد إلا والطعم هو هو، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾(١) صورا لا طعما، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ المراد: ما عم الحور ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ لا دماء لها، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أمدا ودوما لا حسم له وإلا لما كمل سرورهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية:٢٦، ٢٧]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي﴾ أراد الأعم ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا﴾(٢) ورد ردا على اليهود لما سألوا: ما أراد الله ورأوه محالا ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ للحكم المراد سطوعها، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الوارد ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مورده ومحله، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) أي: يشبه بعضه بعضاً في الصورة والرائحة، ويختلف في اللذة والطعم، أو في المزية والحسن، وعن ابن عباس: " ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي "؛ وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها في معنى أن كل ثمر يشابه ما قبله في حسن المنظر ولذة الطعم مشابهة لا يفضل فيها ثمر الدنيا، فإنه يتفاوت في مناظره حسناً، وفي طعومه لذة. انظر التفسير الوسيط (١/٥١).

(٢) سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج - ٧٣) وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ (العنكبوت - ٤١) قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلها يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي ﴾ أي لا يترك ولا يمنعه الحياء. أسباب النزول للواحدي (١/٥٩)، والوسيط للواحدي (١ / ٦٤).

فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾ كلاهما اسم واحد معمول لـ (أَرَادَ)، ﴿أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ كالهود، ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ كأهل الإسلام، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ﴾ كل عاص حاسم لحده وحاصله لما سألوا ما أراد الله وما الحكم وما حصل إدراكهم لها سردها لهم وأعلمهم السرد هو الهدى لكل مسلم وعدمه لسواهم.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ ما عهده لهم وهو الإسلام لمحمد رسوله ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (الهاء) للعهد، والمراد: العهد المؤكد، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالرحم والإسلام، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ عصوا وصدوا العالم، وصار أمرهم إلى الدرك.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آية:٢٨]:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾[١] المراد: أهل الحرم، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أمواها، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ لما أوصلها إلى الأرحام، وصار الماء دما والدم لحما وحله الروح، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى مرور أعماركم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للمعاد، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدار الكدر السرمد على مدار الأعمال.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [آية:٢٩]:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾ المراد: المحل ما حله، ﴿جَمِيعًا﴾ حال الاسم الموصول وهو (مَا)، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾[٢] أمر وأراد أو ملك، والأول أصح، ﴿إِلَى

---

(١) كيف اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل: صحبه الإنكار والتعجب. انظر إعراب القرآن لابن سيده (١٠٩/١)

(٢) هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بدليل لفظة ثم التي هي للترتيب والانفصال وكذلك آية حم السجدة تدل أيضا على خلق الأرض قبل خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الآية. مع آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾. قال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٩/١).

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ عدلها ولما صلح السماء للواحد والعدد أعاده لها، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ وادعى أهل الأرصاد الأرماء على العدد المسطور والحكم على عدد السماء ما رد دعواهم لو صححوها لعدم الحصر، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وصل علمه إلى الكل ولو معدوما.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [آية:٣٠ - ٣٣]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح وهو أورد ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾ عدد ملاك كمحمل أصله مألك والألوك الرسول، وهم رسل الله وسائطه إلى العالم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لإمرار الأحكام على أهل عصره وهو آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كل عاص هادر للدماء وأسسوا سؤالهم على ما عهدوه لمرد الأمم المار عصرها ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ مطهرو أرواحهم وأحوالهم له ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أعلم صالح العالم وصور آدم، وأصله الروح وسواه حساسا مدركا.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(١) اسم كل مسمى كالأسد والهر أمرها على صدره

(١) أي: فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ إلا وَعَلَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ آدَمَ اسْمَهُ بِكُلِّ لُغَةٍ، وَذَكَرَهُ آدَم لِلْمَلائِكَةِ كَمَا عُلِّمَهُ، وَبِذَلِكَ ظَهَرَ فَضْلُهُ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ، وَتَبَيَّنَ عِلْمُهُ، وَثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ، وَقَامَتْ حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْمَلائِكَةِ، وَحُجَّتُهُ، وَامْتَثَلَتْ الْمَلائِكَةُ لَمَّا رَأَتْ مِنْ شَرَفِ الْحَالِ، وَرَأَتْ مِنْ جَلالِ الْقُدْرَةِ، وَسَمِعَتْ مِنْ عَظِيمِ الأَمْرِ، ثُمَّ تَوَارَثَتْ ذَلِكَ ذُرِّيَّتُهُ خَلَفًا بَعْدَ سَلَفٍ، وَتَنَاقَلُوهُ قَوْمًا عَنْ قَوْمٍ، تَحْفَظُهُ أُمَّةٌ وَتُضَيِّعُهُ أُخْرَى، وَالْبَارِئُ سُبْحَانَهُ يَضْبِطُ عَلَى الْخَلْقِ بِالْوَحْيِ مِنْهُ مَا شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنَ الأَمَمِ عَلَى مَقَادِيرِهَا وَمَجْرَى حُكْمِهِ فِيهَا، حَتَّى جَاءَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ =

وعلمها علما كاملا، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وصححوا دعواكم ودعواهم كمال العلم كما أدعوا لا أحد سواهم أكرم على الله.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ﴾ مؤكد لاسم المؤكد ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ المحكم لكل ما أراد.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أعلِم الأملاك ﴿بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أعلَمَ الأملاك اسم كل مسمى وسرد لهم حكمه اللامع سرها ﴿قَالَ﴾ الله للأملاك ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ وهو حملهم آدم عليه السلام على كل عاص هادر للدماء وما رأوه، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ وهو دعواهم لا أحد سواهم أكرم على الله وادعاؤهم كمال العلم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آية:٣٤ - ٣٩]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح وهو أورد ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ اركعوا ركوع

=

جِيرَتِهِ جُرْهُمًا، وَزَوَّجُوهُ فِيهِمْ، وَاسْتَقَرَّ بِالْحَرَمِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَعَلَّمَهُ الْعَرَبِيَّةَ غَضَّةً طَرِيَّةً، وَأَلْقَاهَا إِلَيْهِ صَحِيحَةً فَصِيحَةً سَوِيَّةً، وَاسْتَطْرَبَ عَلَى الأَعْقَابِ فِي الأَحْقَابِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَرُفَ وَشَرُفَتْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلامِ، وَظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ وَحُكْمُهُ، وَأَشْرَقَ عَلَى الآفَاقِ فَهْمُهُ وَعِلْمُهُ. انظر أحكام القرآن لابن العربي (١٠٨/٨).

سلام له، ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾[١] مرد وما ركع كما ركعوا ﴿وَكَانَ﴾ حوى علم الله حاله أو صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾[٢] مؤكد للمأمور معمول الأمر، ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء ممدودا ﴿الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا﴾ أكلا ﴿رَغَدًا﴾ واسعا لا رادع لكما ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ الكرم أو سواها، والأولى رد علمها إلى الله ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لكما ودل لردع الله لهما على عدم حوم ولد آدم حول حمى كل محرم.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أصدرهما وحملهما على عمل مؤد لهما أو مؤد لطردهما، ﴿الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ موسوسا لهما أو موسطا وسائط الله أعلم.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ الأمر لآدم وحواء، وكل ولد حواه آدم وحواء ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ولد عدو لولد، ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ أموال ومطاعم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ مرور الأعمار وورود الحمام أو المعاد.

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ علمه أو ألهمه دعاء، والأول أولى ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على كل داع، ﴿الرَّحِيمُ﴾ لهم.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ مع ولدكم ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كلام مكرم، أو رسول مطهر، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ المراد: الكلام أو الرسول أو كلاهما ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لحصولهم على السرور الأكمل المعد لهم، وهو دار

---

(١) قال ابن القيم - رحمه الله - : "إن معارضة الوحي بالعقل ميراث عن الشيخ أبي مرة [إبليس لعنه الله]، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدّمه عليه، فإن الله لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي. انظر الصواعق المنزلة، لابن القيم، ت: أ. د. أحمد بن عطية الغامدي، (٢/ ٦٦٣).

(٢) تذكر معظم كتب التفسير هذه قصة نوم آدم في الجنة وحيدا عند تفسير هذه الآية، ويقول أبو حيان في البحر المحيط(١/١٥٦):"وفي هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون، لا نطول بذكرها، لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية ولا تفسيرها". ونلحظ أن هذه الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها وحجبها عنا، ليس بين أيدينا ما يدل عليها من النصوص الصحيحة، فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حينا من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟ كيف قال الله تعالى لهم ذلك؟ وكيف أجابوه؟ وكيف تم خلق حواء؟، إلخ، إلخ هذا كله يحتاج إلى نص ثابت. وغالب ما يروى من آثار حولها لا يخلو من مقال أو هو من الإسرائيليات، فحسبنا ما جاءت به النصوص، ونكل علم ما رآها إلى الله سبحانه. وانظر: في ظلال القرآن (١ / ٥٩).

السعد السرمد.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المراد: كلامه الساطع ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أمد الدوام.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آية: ٤٠ - ٤٤]:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾[1] احمدوا ﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: والد وهم الأولى مروا على عهد موسى عليه السلام لما سلكوا وسط الماء وسلموا وما هلكوا أو المراد أدراككم عصر محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الإسلام لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أوصلكم دار السرور السرمد، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أكد الأمر أداء العهد وهو الإسلام.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ وهو كلامه المكرم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ كلامه المكرم الوارد مع موسى عليه السلام وكلاهما مؤداه واحد وهو الإسلام للرسل.

﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ كالإمام للعالم الوارد وراءكم والأولى إسلامكم أول كل أحد لعلمكم واطلاعكم على ما حواه كلامه، ﴿تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا﴾ رسمه لهم أهل مللهم أموالا وسواها، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

---

(١) إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - وفي إضافتهم إلى أبيهم إسرائيل تشريف لهم وتكريم، وحث لهم على الامتثال لأوامر الله ونواهيه، فكأنه قيل: يا بني العبد الصالح، والنبي الكريم، كونوا مثل أبيكم في الطاعة والعبادة. ويستعمل مثل هذا التعبير في مقام الترغيب والترهيب، بناء على أن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، ففي هذا النداء. خير داع لذوي الفطر السليمة منهم إلى الإقبال على ما يرد بعده من التذكير بالنعمة، واستعمالها فيما خلقت له. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٧٠/١).

﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾ الكلام المحكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ ما أولوه على أرائهم، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عالموه علما كاملا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ مع محمد صلى الله عليه وسلم، وأروائه الكرام.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾(١) الإسلام لمحمد، ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وأولى إسلامكم أولا لعلكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الوارد لموسى وهو حاوٍ ما وعد الله لكل أحد أطاعه وما أوعد لكل عصاه ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ سوء عملكم.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٥، ٤٦]:

﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الصوم أو حمل كل مكروه، ﴿وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ عسر حملها وأداؤها ﴿إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ كل طائع.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ المراد: العلم الحاسم لكل وهم طار ﴿أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ المراد: المعاد.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية:٤٧ - ٥٠]:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: والدوهم لما سلكوا وسط الماء وما هلكوا، وهو مؤكد للسرد المار، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عوالم

---

(١) قال الإمام السيوطي: أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين أثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه". انظر لباب النقول (١/١٩).

العصر المار على عهد موسى.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا أحد مالك لأحد أمرا، كل مهموم لأمره، ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ وأداء العدل محال، ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لا راد لما أعده الله لهم.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ﴾ رد إلى العام المار وأصل (آلِ): أهل ﴿فِرْعَوْنَ﴾ المراد: ملك أهل مصر ككسرى ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أصل السوم روم الأمر، والمراد: حصوله وداله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[1] كل مولود أسالوا دمه لما رأى ملك مصر حلما أو أعلمه علماؤه وهو هدم ملكه لولد مولود وسط مصر أو حولها، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ مسال دماء الأولاد ﴿بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ صار مسالك سلكوها، ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ما حصل لكم هلاك، ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ هلك هو وعسكره، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ لما عاد الماء على عدوكم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آية:٥١ - ٥٣]:

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لإعطاء الألواح لما عاد إلى مصر وأهلك الله عدوه، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء) لموسى عليه السلام، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ لعدم علمكم أو سوء عملكم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ محا الله ما عملوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ما حواه الألواح، ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ ما أراه موسى عليه السلام كالعصا وسواها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى المسلك الموصل إلى الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ

---

(١) ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على أن استحياء النساء من جملة العذاب الذي كان يسومهم فرعون. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن الإناث هبة من هبات الله لمن أعطاهن له وهي قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ فبقاء بعض الأولاد على هذا خير من موتهم كلهم. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/١٢).

إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آية: ٥٤ - ٥٧]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ مولاكم، ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[١] دعوا هواكم إلى دار لا دوام لها أو أمر للإهلاك المعلوم، وأرسل الله ركما أسود أكلهم وحصلوا على ما أمرهم.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ﴾ طهر ﴿لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ مولاكم، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ هل هو كلام موسى، أو هو مردود إلى مطروح حاصله حصل الأمر ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لادعائك الإرسال أو إعطائك الألواح وكلام الله لك ﴿حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ محدود كسواه لعدم علمهم، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ صاح صائح أو سمعوا حسا أهلكهم لمروره على مسامعهم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما دهاكم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[٢] لما هلكوا لسماعهم الحس أو الصائح ﴿لَعَلَّكُمْ

---

(١) روي ان موسى لما رجع من ميقات ربه، رأى ما صنع قومه بعده من عبادة العجل، فغضب غضباً شديداً، ورمى بالألواح من يده، ثم أحرق العجل الذي صنعوه. ثم قال: من كان من حرب الرب فليقبل إلي، فأجابه بنو لاوي، فأمرهم أن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضا. وإنها لكفارة عنيفة، وتكليف مرهق كان لا بد منه لتطهُر تلك النفوس الشريرة المنغمسة في عبادة المادة المتجسدة بالعجل الذهبي. واذ فعل بعضهم ما أمر به موسى قُلبت توبتهم وتدراكتهم رحمة الله التي تسع كل شيء. انظر تفسير القطان (١/٢٨).

(٢) الحق سبحانه وتعالى يكمل لنا قصة الذين قالوا ﴿أَرِنَا الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة ﴾. موسى عليه السلام أصيب بالصاعقة أيضا.. عندما طلب أن ينظر إلى الله. ولكن هناك فرق بين الحالتين.. الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَخَرَّ موسى صَعِقاً فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ المؤمنين ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولكن الأمر لم يكن كذلك مع قوم موسى. فمع موسى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ أي أن الصاعقة أصابته بنوع من الإغماء.. ولكن مع قوم موسى. قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾.. فكأن قوم موسى ماتوا فعلا من الصاعقة.. فموسى أفاق من =

تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ لرد الحر، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ الطائر المعلوم، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ودعوا الحرص ولما طمعوا أحرمهم الله، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما عصوا الأمر وحملهم الطمع على الحرص، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمآل عملهم لهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [آية:٥٨، ٥٩]:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أول محل أمة رسول الله وصلى له وحوله الله لأمر أراده إلى الحرم المطهر ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعا لا راد ولا رادع لكم هو مصدر أو حال (واو) كلوا، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعا، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ دعاء مآله حط سوء أعمالهم ومحوها ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ لركوعكم ودعائكم، ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ كل أحد أطاع إكراما.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ حولوا الكلام إلى كلم سواه ومالوا إلى هواهم وسألوا مأكلا ومطعما وهو السمراء ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أصله محل الهاء، وكرره مؤكدا لسوء عملهم ﴿رِجْزًا﴾ أصله كل ما آلم، والمراد: داء مهلك وارد على محل محدود لعدم صلاح هوائه، روى أهل العلم هلاك عدد له كم لعدم صلاح الهواء المار ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ علمهم دعاء حولوه لسواه، وأمرهم مروا ركعا مروا على حال كحال الاصطلاء.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا

=

تلقاء نفسه.. أما أولئك الذين أصابتهم الصاعقة من قومه.. فقد ماتوا ثم بعثوا لعلهم يشكرون. انظر تفسير الشعراوي (١٩٢/١).

﴿تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] [آية:٦٠]:

(وَ) أورد لهم (إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى) رام الماء وأراده ﴿لِقَوْمِهِ﴾ لما أعمى الله مسالكهم وما هداهم لها ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ هل هو معلوم محدود أو لا، والأولى عدم الحد لما هو أسطع حكما ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ سال ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عدد آحاد أممهم، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ موردهم، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ﴾ هو عدم الإصلاح، ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد لعامله.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آية:٦١]:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ المراد: أصولكم ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[2] هو السلوى وما معه، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ اسأله ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا

---

(١) الاستسقاء: طلب السقيا عند عدم الماء أو حبس المطر، وذلك عن طريق الدعاء لله - تعالى - في خشوع واستكانة، وقد سأل موسى ربه أن يسقي بني إسرائيل الماء بعد أن استبد بهم العطش، عندما كانوا في التيه، فعن ابن عباس أنه قال: " كان ذلك في التيه، ضرب له موسى الحجر، فصارت منه اثنتا عشرة عيناً من ماء، لكل سبط منهم عين يشربون منها. وهذه النعمى كانت نافعة لهم في دنياهم؛ لأنها أزالت عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء ولولاه لهلكوا، وكانت نافعة لهم في دينهم؛ لأنها من أظهر الأدلة على وجود الله. وعلى قدرته وعلمه، ومن أقوى البراهين على صدق موسى - عليه السلام - في نبوته. انظر التفسير الوسيط (١/١٠٧).

(٢) ذكر الله تعالى بعض قبائح اليهود، ومنها أنهم قالوا لموسى: لا يمكننا أن نستمرّ على طعام واحد، وهو المنّ والسّلوى، وطلبوا أطعمة أخرى من الخضروات والبقول كالحنطة والعدس، والبصل والقثاء، ومن قبائحهم كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، كزكريا ويحيى وغيرهما، فجعل الله الذّلة والمسكنة محيطة بهم كما تظلل الخيمة من فيها، ولا يعدّ وجودهم في فلسطين متناقضا مع إذلال الله لهم لأنه وجود عنصري متعصّب قائم على الحقد والبغضاء والكراهية، وعلى الاغتصاب والظلم والشّر والتّآمر مع قوى البغي والعدوان، وزوال كل ذلك سريع بإذن الله. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٣٠).

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ الله أو موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أحط، والمراد: الكلاء ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أعلا وهو السلوى وما معه ودعا الله لهم وأمرهم الله ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ المعلوم أو أحد الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ صار كالسور لهم ﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا﴾ كصموا وعادوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ﴾ ما دار حولهم كالسور ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ المراد: لو سألهم سائل لم أوردوهم موارد الحمام لحاروا وما رأوا لسؤله ردا أداهم لسوء عملهم ولو على دعواهم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ لحسمهم حدود أوامر الله وكرره مؤكدا كما، وهو أصل أوعده الله كل حاسم حدوده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آية:٦٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسلموا للرسل ومروا على عهدهم أو لمحمد، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم﴾ الهود، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ معلوم، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ أحد أرهاط الهود أو ما مر أمامهم أولا لا لهؤلاء ولا لهؤلاء وهم أمم لأحد الرسل المار عصرهم ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ ومر وهلك أولا، وما ورد على حكم رسوله المسلم له حكم رسول سواه مولى السلام أو أسلم لمحمد، ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هو ما وعدهم الله على إسلامهم وأعده لهم، ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لدى المعاد، ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على مرور أعمارهم سدى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آية:٦٣ - ٦٤]:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم للإسلام لموسى وعملكم وسماعكم لكلام الله الوارد له، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ حمل الملك الطور، وصار إلى أعلاهم روعا لهم لما ما سمعوا لكلام الله الوارد لموسى ولا عملوا على ما أسسه لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ وهو كلام الله ﴿بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اعملوا ودوموا على أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ

﴿تَتَّقُونَ﴾ كل سوء ومكروه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ العهد، ﴿فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ هو إلهام الله لهم سؤاله محو سوء عملهم أو إرسال محمد لما دعاهم وهداهم ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأولى هلكوا أولا رسول هاد لكم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:٦٥، ٦٦]:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾[1] على عهد داود لما عملوا محلا ساحل الماء وأوصلوا الماء له وصادوا السمك ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ المراد: رد صورهم لها وطردهم ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ حالهم وعكس صورهم ﴿نَكَالا﴾ ردعا لكل عامل عملهم ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أمامها ووراءها، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله وأورد لهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ

---

(١) السبت: المراد به اليوم المسمى بهذا الاسم، وأصل السبت - كما قال ابن جرير - الهدوء والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم: مسبوت لهدوئه وسكون جسده واستراحته كما قال - جل ثناؤه - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ أي راحة لأبدانكم، وهو مصدر، من قول القائل سبت فلان يَسبت سبتاً. وملخص قصة اعتداء بني إسرائيل في يوم السبت، أن الله - تعالى - أخذ عليهم عهداً بأن يتفرغو لعبادته في ذلك اليوم، وحرم عليهم الاصطياد فيه دون سائر الأيام، وقد أراد - سبحانه - أن يختبر استعدادهم للوفاء بعودهم، فابتلاهم بتكاثر الحيتان في يوم السبت دون غيره، فكانت تتراءى لهم على الساحل في ذلك اليوم قريبة المأخذ سهلة الاصطياد فقالوا: لو حفرنا إلى جانب ذلك البحر الذي يزخر بالأسماك يوم السبت حياضاً تنساب إليها المياه في ذلك اليوم ثم نصطادها من تلك الحياض في يوم الأحد وما بعده، وبذلك نجمع بين احترام ما عهد إلينا في يوم السبت، وبين ما تشتهيه أنفسنا من الحصول على تلك الأسماك، فنصحهم فريق منهم بأن عملهم هذا إنما هو امتثال ظاهري لأمر الله، ولكنه في حقيقته خروج عن أمره من ترك الصيد في يوم السبت، فلم يعبأ أكثرهم بذلك، بل نفذ تلك الحيلة، فغضب الله عليهم ومسخهم قردة، وجعلهم عبرة لمن عاصرهم ولمن أتى بعدهم.

والحديث عن أصحاب السبت قد جاء ذكره مفصلا في سورة الأعراف كما جاءت الإشارة إليه في سورتي النحل والنساء. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/١١٩).

إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا
تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى
ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ
بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:٦٧ - ٧٤]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما أهلك أولا ولد عليه السلام لهم موسى حرصا وطمعا وما عملوا مهلكه، وسألوا موسى دعاء الله لهم ودعاه ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾(١) ما حصل علمهم لو عملوا ما أمرهم وصلوا إلى مرامهم ورأوه كالمحال ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لما أورد اللهو موارد الأحكام ولما عملوا إصراره على ما أمرهم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما حالها وكم عمرها ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾ عمرها وسط ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المسطور، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

---

(١) اختبر الله تعالى بني إسرائيل بأمرهم بذبح بقرة، ليظهر مدى مصداقيتهم وامتثالهم أوامر الله تعالى، وذلك بسبب قتل رجل عمه الذي كان ابن الأخ الوارث الوحيد له، ومن أجل التعرف على القاتل، بدلا من اقتتال بعضهم مع بعض، وكان يجزئهم ذبح أي بقرة، إلا أنهم تشدّدوا في بيان أوصاف البقرة، فشدّد الله عليهم، بعد أن اشتروها بملء جلدها ذهبا، فذبحوها متردّدين، ثم ضربوا القتيل ببعضها، فعاش حيّا، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا، لابن أخيه، ثم عاد ميتا، فلم يعط من ماله شيئا، لأنه قاتل، وصار ذلك حكما دائما. وهذه هي قصة ذبح البقرة. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣١/١).

ما أمركم مولاكم أو ما آمركم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ مؤكد للموسوم كما أكد الأسود حالك ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لها، والمراد: حصول السرور لكل راء لها.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ هل أحد السوائم أم العمال ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى أمر الله والعمل أو إلى اسمى مرامهم وهو وصول علمهم إلى مهلك أحدهم.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ رد لسؤالهم المار وهو مع السوائم أم العمال، وحاصل الرد مع السوائم لا العمال ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلمها الله، أو أهلها سلموها ما أعملوها ﴿لا شِيَةَ فِيهَا﴾ ما على مسكها لا سواد ولا حمار سوى أصله لعدم أعمالها.

﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[(١)] رسمها الكامل وراموها وحصلوها لدى ولد لا والد له وساموها أمه وأعطوها ملء مسكها مالا، ولولا حرصهم على السؤال لسد سواها مسدها كما ورد ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لما رام الولد وأمه ملاء مسكها مالا.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ المراد حصول الدعوى أو كل طرح سوء عمله على سواه وداعاه ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ صار ما أمروه معلوما لكل أحد، والموصول معمول للاسم لما حكاه وأراد الحال المار.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ المراد الأعم، ولما رموه أعاد الله له روحه وكلمهم ودلهم على مُهْلِكه، وهم أولاد عمه، وعاد لحاله هالكا ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾[(٢)] دلائله، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ رد الروح الواحدة إلى الهالك العادم كرد الأرواح

---

(١) كأن ما قاله موسى قبل ذلك كان خارجا عن نطاق الحق. وذبحوا البقرة ولكن عن كره منهم لأنهم كانوا حريصين على ألا يذبحوها، حرصهم على عدم تنفيذ المنهج. هم يريدون أن يماطلوا الله سبحانه وتعالى.. والله يقول لنا أن سمة المؤمنين أن يسارعوا إلى تنفيذ تكاليفه، واقرأ قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السماوات والأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وهذه السرعة من المؤمنين في تنفيذ التكاليف دليل على عشق التكليف.. لأنك تسارع لتفعل ما يطلبه منك من تحبه. انظر تفسير الشعراوي (١/٢٥٥).

(٢) أي: أن المراد بالإحياء رد الحياة إليهم بعد ذهابها عنهم، إذ الموتى هم الذين ماتوا بالفعل، وإحياؤهم رد أرواحهم بعد موتهم وليس هناك نص صحيح يعتمد عليه في مخالفة هذا الظاهر، =

كلها إلى العالم على السواء.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ما حصل كله، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾(١) المراد: ما لا روح له ولا علم ولا إدراك أطاع أوامر الله وصار ممرا لأحكامه، وهؤلاء أولو الأحلام والأرواح والعلم ما صاروا مصدرا لأوامر

=

ولا توجد أيضاً قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى المتبادر من الآية بأدنى تأمل وما دام الأمر كذلك فلا يجوز تأويله بما يخالف ما يدل عليه اللفظ دلالة واضحة، ومن التعسف الظاهر أن يراد من الموتى الأحياء من الناس، وبإحياء الموتى تشريع العقوبات صوناً لدماء الأحياء منهم والله تعالى حينما أراد أن يدل على هذا المعنى قال ﴿وَلَكُمْ فِي القصاص حَيَاةٌ يا أولي الألباب لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فهذه الآية الكريمة تدل على أن القصاص من الجنة يحفظ على الناس حياتهم بدون التواء أو تعمية. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٢٨/١).

(١) بِاعْتِبَارِ مَا يُعْهَدُ فِي التَّخَاطُبِ الْعَرَبِيِّ، كَأَنَّ عَرَبِيًّا يُحَدِّثُ آخَرَ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ فِي قَسْوَتِهَا تُشْبِهُ الْحِجَارَةَ أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا. وَيَصِحُّ فِيهَا التَّقْسِيمُ، أَيْ أَنَّ الْقَسْوَةَ عَمَّتْ قُلُوبَكُمْ، فَأَقَلُّهَا قَسْوَةً تُشْبِهُ الْحَجَرَ الصَّلْدَ، وَمِنْهَا مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قَسْوَةً، وَأَظْهَرُ مِنْهُمَا أَنْ تَكُونَ لِلإِضْرَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُبَالَغَةِ، أَيْ بَلْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ؛ إِذْ لا شُعُورَ فِيهَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَلا عَاطِفَةَ تَفِيضُ مِنْهَا بِعِبْرَةٍ، وَالْحِجَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ لأَنَّ مِنْهَا مَا يَفِيضُ بِالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مَوْضِعَ ظُهُورِ آثَارِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي الْجَمَادَاتِ. وَصَفَ الْحِجَارَةَ بِالصِّفَاتِ الثَّلاثَةِ الآتِيَةِ بَعْدَ أَنْ شَبَّهَ الْقُلُوبَ بِهَا فِي الصَّلابَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَهَا بِالإِضْرَابِ، وَالانْتِقَالِ إِلَى أَنَّ الْقُلُوبَ أَشَدُّ صَلابَةً، وَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَجْهَ ضَعْفِ الصَّلابَةِ فِي الْحِجَارَةِ وَشِدَّتِهَا فِي الْقُلُوبِ، فَكَأَنَّ الْكَلامَ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ عُذْرًا عَنِ الْحِجَارَةِ دُونَ الْقُلُوبِ، وَالْمُرَادُ بِالْقُلُوبِ مَا اعْتُبِرَتْ عُنْوَانًا لَهُ وَهُوَ الْوِجْدَانُ وَالْعَقْلُ، وَأَكْثَرُ مَا اسْتُعْمِلَ فِي الأَوَّلِ؛ لأَنَّهُ سَائِقُ الإِقْنَاعِ وَالإِذْعَانِ، وَيُطْلَقُ لَفْظُ الْقَلْبِ عَلَى النَّفْسِ النَّاطِقَةِ؛ لأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْقَلْبِ أَنْ يَتَأَثَّرَ مِمَّا يَتَأَثَّرُ مِنْهُ الْوِجْدَانُ أَوِ الْعَقْلُ أَوِ الرُّوحُ مُطْلَقًا، وَفِي الْكَلام مِنَ الْمُبَالَغَةِ أَنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ فَقَدَتْ خَاصِّيَّةَ التَّأَثُّرِ وَالانْفِعَالِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالآيَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَوَاصِّ الرُّوحِ الإِنْسَانِيِّ، حَتَّى كَأَنَّ أَصْحَابَهَا هَبَطُوا مِنْ دَرَجَةِ الْحَيَوَانِ إِلَى دَرَكَةِ الْجَمَادِ كَالْحِجَارَةِ، بَلْ نَزَلُوا عَنْ دَرَكَةِ الْحِجَارَةِ أَيْضًا، وَذَلِكَ مَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ التَّفَجُّرُ: تَفَعُّلٌ مِنَ الْفَجْرِ وَهُوَ الشَّقُّ الْوَاسِعُ يَكُونُ لِلْمُطَاوَعَةِ، كَفَجَّرْتُهُ فَتَفَجَّرَ (بِالتَّشْدِيدِ فِيهِمَا) وَيَكُونُ لِتَكَرُّرِ الْفِعْلِ وَحُصُولِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَمِثْلُهُ التَّشَقُّقُ إِلا أَنَّهُ أَعَمُّ، وَلِمَا فِي التَّفَجُّرِ مِنْ مَعْنَى السَّعَةِ عَبَّرَ بِهِ عَنْ خُرُوجِ الأَنْهَارِ مِنَ الصُّخُورِ الْكِبَارِ وَهُوَ مَعْهُودٌ فِي الْجِبَالِ، وَعَبَّرَ بِالتَّشَقُّقِ لِخُرُوجِ الْمَاءِ الَّذِي يُصَدَّقُ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ. انظر تفسير المنار (٢٩٢/١).

ورسله ولا أطاعوهم ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: عملكم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [آية:٧٥ - ٧٧]:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ السؤال للرسول والإسلام معه ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ الهود، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ المراد: علماؤهم ورؤساء مللهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ﴾ الوارد على موسى ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ علموه وأدركوه حد الإدراك.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سوء عملهم لما حَوَّلُوا كلام الله أو حملوه على سوى محمله.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ المراد: مسلمو الهود كلاما لا سرا ومصروهم على عكس الإسلام ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ لإرسال محمد، وهو المدلول على وروده وإرساله وسط الكلام الوارد لموسى، ﴿وَإِذَا خَلا﴾ عاد ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ رؤساؤهم وعلماؤهم الأولى ما أسلموا ولا كلاما وأصروا على حالهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام، ﴿بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ علمكم، وهو ما دل على إرسال محمد وحملوه على سوى محمله ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ اللام لام المآل، ﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ لدى رسله مولاكم، وهو كلامه أو رسوله ولدى المعاد ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ سوء عملكم لإطلاعكم لهم على ما دل على إرسال محمد.

﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾(١) عالم حال الأسرار وعكسه وهو إسلامهم لمحمد كلاما وإصرارهم على سواه سرا، وحمل كلام الله على سوى

---

(١) أي: لا خير ولا أمل في قوم متناقضين يفترون على الله الكذب، ويحرّفون كلام الله ويغيّرونه ويبدّلونه على وفق أهوائهم وشهواتهم، لذا استبعد الله الخير والإيمان من اليهود برسالة محمد صلّى الله عليه وسلم، فقد كان منافقوهم حين يتقابلون مع المؤمنين يقولون: نحن مؤمنون بالله والنّبي محمد، إذ هو المبشّر به عندنا فنحن معكم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: كيف تحدّثون أتباع محمد بما أنزل الله عليكم في التوراة؟ كيف تفعلون هذا فيحتجّون به عليكم، ويخاصمونكم به عند ربّكم يوم القيامة؟ أتذيعون أسراركم فهذا خطأ وضرر؟

محمله وإسرارهم لما علمهم الله.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [آية:٧٨، ٧٩]:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ ما وصل علمهم وإدراكهم لما حوى كلام الله ﴿إِلا أَمَانِيَّ﴾ أوهاما حكاها رؤساؤهم لهم لا أصل لها، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ لردهم إرسال محمد وعدم إسلامهم له ﴿إِلا يَظُنُّونَ﴾ ولا علم لهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾ أصله مصدر، والمراد: هلك، ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: ما أولوه وحملوه على سوى محمله مما لا أصل له.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾ المال المحصل على المراد المأول ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك ﴿لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مما أولوه وحملوه، ﴿وَوَيْلٌ﴾ هلاك وكرره مؤكدا ﴿لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ هو المال المرسوم لهم.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [آية:٨٠ - ٨٢]:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[1] موعد موسى لما حملهم لا مساس

(١) هَذَا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ غُرُورِهِمْ، عَطَفَهُ عَلَى مَا قَبْلَهُ فَقَالَ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قِيلَ: هِيَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا مُدَّةُ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْيَهُودِ أَنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ؛ لأَنَّ عُمْرَ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ سَبْعَةُ آلافِ سَنَةٍ، فَالإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي لا تُدْرِكُهُ الشَّفَاعَةُ يَمْكُثُ فِي النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَنْ كُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ يَوْمًا، وَمِثْلُ هَذَا الْحُكْمِ لا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهِ إِلا بِعَهْدٍ مِنَ اللهِ - تَعَالَى - مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وَالْجَزَاءِ، وَإِلا كَانَ افْتِئَاتًا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَقَوْلا عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهَذَا مَا رَدَّ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُخَاطِبَهُمْ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾، أَيْ هَلْ عَهِدَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ وَوَعَدَ بِهِ فَكَانَ حَقًّا لَكُمْ عِنْدَهُ؛ لأَنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ عَهْدَهُ؟ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَاهُ: هَلِ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا بِاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ اعْتِقَادًا وَائْتِمَارًا =

على الركوع لما عمله لهم وسماه إلها ﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ الوصل مطروح ﴿عِنْدَ اللهِ عَهْدًا﴾ عهده لكم، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ عهده ووعده حاصل لا محال ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أم معادل لأداء السؤال أو حاسم للكلام المار.

﴿بَلَى﴾ رد لمسها لهم ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ كالسور له، والمراد عدم الإسلام ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ راعى مؤدى الاسم الموصول.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وأورد لهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[1] [آية:٨٣ - ٨٦]:

=
وَانْتِهَاءً وَتَخَلُّقًا، فَأَنْتُمْ وَاثِقُونَ بِعَهْدِ اللهِ فِي كِتَابِهِ لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ وَمَغْفِرَةِ مَا عَسَاهُ يَفْرُطُ مِنْهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ أَوِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ مُدَّةً قَصِيرَةً؟!. انظر تفسير المنار (٣٠٠/١).

(١) من مخالفاتهم المواثيق: سفكهم دماء بعضهم بعضا، وإيمانهم ببعض التوراة وكفرهم بالبعض الآخر، وإخراج بعضهم بعضا من ديارهم، مع أنهم إخوانهم في الدين واللغة والنسب، متعاونين مع الغير على ارتكاب الذنب والعدوان ومعصية الرسول، والإخراج والقتل محرّم عليهم في
=

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عهدهم وسط الكلام المرسل لموسى ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عدم عمل سوء لهما ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ رده الواو على عدو الوالد، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ كلاما ﴿حُسْنًا﴾ محرك الوسط أو لا محرك على المصدر، والمراد: أمرهم العالم على ما أمر الله وعدم إعمال المكر لما عاد لأحوال محمد، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المراد: ما أمروا على إصلاح مللهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ما عمل والدوكم على العهد ﴿إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ حالكم كحالهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم ﴿لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ عدم إهلاك أحد أحد، ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ الدار محمول على الأعم أو المراد عدم طرد أحد أحدا إلى مصرا ومحل سوى مصره أو محله، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ لما عوهدوا سلموا للعهد ولكل ما حواه، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على حال العهد وهو مؤكد، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ حال، والعامل مؤدي ما أومأ ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ سوى العدل، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ وروى راوٍ: أسرى كسكرى ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ على ما رواه والد عمرو، وولد عامر، والمراد: إعطاء المال لأسراهم وهو أحد عهودهم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو إعطاؤكم أسرهم المال، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو عدم إهلاك أحدكم وعدم طرده إلى مصر أو محل سوى مصره أو محله ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ﴾ عدم علو حاله أصلا ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وحصل لما طرد رهط وأهلك رهط، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مؤكد لما أوعدهم الله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ راموا الدار الهالك أمرها وساموها وهدروا أمر دار سرورها سرمد، ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

=

التوراة، فكيف يفعلونه؟ وليس لهم جزاء على هذه المخالفات والأعمال الشنيعة إلا ذلّ وهوان في الدنيا، وعذاب أليم دائم في الآخرة. وهذا جزاء كل أمة تؤدي بعض أحكام دينها كالصلاة والصوم والحجّ، ولا تؤدي بعض أحكامه الأخرى كالامتناع عن الزّنا والرّبا والرّشوة والسّرقة وخيانة الأمانة، ولم تتعاون على الخير والمعروف، ولم تؤدّ الزكاة بسبب بخل أغنيائها على فقرائها. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣٦/١).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [آية:٨٧]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا﴾ المراد: إرسال كل رسول وراء رسول، ﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ واحدا وراء واحد ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾[1] الساطع أمرها واللامع حكمها كرد الروح للهالك، وإصلاح الأكمه وسواهما، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الروح المطهر، وهو اسم الله أو كلامه أو الملك؛ ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾ مورده كعلم مال إلى الأمر، ﴿أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ مردود إلى كلما وهو محل السؤال ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كالحصور ووالده، ولما حكى الحال أورده للحال والوارد.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية:٨٨]:

﴿وَقَالُوا﴾ اليهود للرسول ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[2] لها كل راد للسمع والعلم ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ طردهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ عدم سمعهم وعلمهم لما عصوا أمره ورسوله لا لكل على صدورهم كما ادعوا، ﴿فَقَلِيلا مَا﴾ مؤكد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[3].

---

(١) الحجج والبراهين والآيات الدالة على صدقه وصحة نبوته، فتشمل كل معجزة أعطاها الله لعيسى كإبراء الأكمه والأبرص، وإحاء الموتى، والإخبار ببعض المغيبات، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها عيسى - عليه السلام - . وخص القرآن عيسى بالذكر لكونه صاحب كتاب هو الإنجيل، ولأن شرعه نسخ أحكاما من شريعة موسى - عليه السلام - وفي إضافة عيسى إلى أمه إبطال لما يزعمه اليهود من أن له أباً من البشر. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/١٤٢).

(٢) الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته، والإقرار به، ومحبته، والخضوع له. وأن ذلك موجب فطرهم ومقتضاها، يجب حصوله فيها إن لم يحصل ما يعارضه ويقتضي حصول ضده.. وحصول الحنيفية والإخلاص، ومعرفة الرب والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة، وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها.. وبالله التوفيق. ومما يؤكد هذا المعنى إبطال الله دعوى اليهود الذين زعموا أنه لا يتوجه إليهم اللوم على كفرهم لأنهم خلقوا وقلوبهم مغلفة. حيث بين - سبحانه - أن الغلاف الذي عليها إنما هو طبع من الله طارئ بسبب كفرهم، وليس من أصل الخلقة. انظر الأمثال القياسية (٢/٢٣٠).

(٣) فيه خمسة أقوال: أحدها فقليل من يؤمن منهم قاله ابن عباس وقتادة والثاني إن المعنى قليل ما يؤمنون به قال معمر يؤمنون بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره والثالث أن المعنى فما =

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آية:٨٩]:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ هو كلام الله المكرم الوارد على رسوله محمد.

﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ للكلام المكرم الوارد على موسى، ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ دعوا إلى الله ووسطوا رسوله محمدا لحصول مرامهم على عداهم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ وهو إرسال محمد ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدا وطمعا مردود لما وما رد إلى لما الأولى مطروح هو داله، ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اللام للعهد.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آية:٩٠]:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ المراد: أعطوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ما أعد لهم على صالح العمل لو عملوه ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ (ال) لمصدر هو محور عكس المدح ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ على محمد ﴿بَغْيًا﴾ حسدا على ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما أوصاه لرسله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ إرساله ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾ كصموا وعادوا ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ عصوا وحسدوا أو عصوا رسولا والد له أولا ومحمدا ردد الله لهما أكمل سلام، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ولكل عاص هو مطهر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا

=

يؤمنون قليلا ولا كثيرا ذكره ابن الانباري وقال هذا على لغة قوم من العرب يقولون قلما رأيت مثل هذا الرجل وهم يريدون ما رأيت مثله والرابع فيؤمنون قليلا من الزمان كقوله تعالى ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ ذكره ابن الأنباري أيضا والخامس أن المعنى فإيمانهم قليل ذكره ابن جرير الطبري وحكى في ما قولين أحدهما إنها زائدة والثاني أن ما تجمع جميع الأشياء ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها انظر زاد المسير (١/١١٣).

وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية:٩١]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ كل كلام وارد على الرسل على العموم ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ الكلام الوارد لموسى، ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ سواه ووراء أصله مصدر ورد إلى الوعاء المصطلح ومؤداه الأمام وعكسه، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الواو للحال، وهو عائد إلى ما وراءه ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكد ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾ ما ورد لموسى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لما ورد لموسى وللعمل على مسلكه، وما ورد له ما حلل لكم سوء عملكم، والمراد: والدوهم كما مر مرارا.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آية:٩٢]:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الساطع حكمها كالعصا وسواها، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ لما ورد موسى إلى الطور، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ المراد: والدوهم كما مر والواو للحال.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية:٩٣]:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم على مسلك ما ورد لموسى، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ لكام الطور لما حمله الملك أعلاكم وروعكم، كله للعمل على ما ورد لموسى ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾[1] سماع وسلوك على ما ورد لكم وسط الألواح

---

(١) أي استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سمعا على المجاورة لأنه سبب للطاعة والإجابة ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلى القول اتساعا ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه =

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ كلامك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ مالوا له ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ لما ورد لموسى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لموسى ولكلام الله الوارد له، والمراد: مال والدوهم إلى ما عمله لهم لا مساس مع ادعائهم السلوك على عهد الألواح كما ادعى هؤلاء العمل على مسلك موسى، وما ورد له، وما أسلموا لمحمد حال هؤلاء وأولئك على السواء.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٩٤، ٩٥]:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ﴾ دار السرور السرمد ﴿خَالِصَةً﴾ حال الدار ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ لكم وحدكم كما ادعوا ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] والحمام هو الموصل لها.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ لسوء عملهم المار وهو عدم إسلامهم لمحمد.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ

=

بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمرهم(بالشرب) منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه. انظر تفسير البغوي (١/١٢٢)

(١) لم يتول الله تعالى الرد والجدل معهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى الجدل معهم فما الحكمة في ذلك؟ ونقول ما تصل إليه مداركنا - والله هو الحكيم العليم - إن مجادلتهم التي فيها التحدي كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم فناسب أن يتولى بأمر الله تعالى الرد هو عليه الصلاة والسلام؛ ولأن مقام الله تعالى أعلى من أن ينزل لمجادلة الكافرين الظالمين لأنفسهم. ولقد قال سبحانه وتعالى حاكما على حالهم بأنهم في ذات أنفسهم وفي مداركهم يعلمون مآثمهم، ويعلمون كذبهم. ولذلك ليست الجنة لهم، ولذا لا يتمنون الموت، فنفى الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك التمني نفيا مؤبدا، وأكد ذلك النفي بـ ﴿لن﴾ الدالة على النفي المؤبد، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأبدا﴾و وبذكر السبب ألا وهو ما قدمت أيديهم، ومعنى ذلك أنهم كاذبون في ادعاءهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم كاذبون في قولهم: ﴿ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾. انظر زهرة التفاسير (١/٣٢٢)

يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:٩٦]:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ واحرص، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كل مصر على عدم المعاد ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (لَوْ) للمصدر والمصدر الحاصل معمول لعامل أحدهم.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ طارده ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ حاصل المصدر معمول لما أدى حاصله طارد، ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ عالم السر وعكسه على حد سواء، والمراد: أعد لهم ما أعده.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:٩٧]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ أوصاه الله لما سأل الهود رسول الله، أو عمر حال الملك الحامل أوصاه الله لرسوله، وأورده لهم اسم روح الله ردوا له ما حاصله هو عدو لهم ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ الكلام المكرم ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿اللهِ مُصَدِّقًا﴾ حال الهاء العائد إلى الكلام المكرم ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه، كالوارد لموسى وسواه، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ دار السرور السرمد ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آية:٩٨]:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ ردهما الواو إلى الأملاك رد الواحد إلى أصله العام كما هو معلوم، ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أورده مورد الهاء ردوا ردعا لسوء حالهم.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آية:٩٩]:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿آيَاتٍ﴾ معمول للعامل أمامه ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ لا مع هداها رد لما حكموه، وهو ما ورد لرسول الله أمر دال على إرساله، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠٠]:

﴿أَوَكُلَّمَا﴾(١) المراد: أما عدوها أمرا دالا على إرساله وكلما ﴿عَاهَدُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإسلام لمحمد لو أدركوه ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ رد لكلما، وهو محل السؤال على الاصطلاح ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية:١٠١]:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ هو محمد ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ما أورده لهم موسى ﴿نَبَذَ﴾ طرح ﴿فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ﴾ معمول لما أصله طرح، والمراد: عدم السلوك على أحكامه وأوامره، وصار كالمطروح ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أحكامه وما حواه، ولا الدال على إرسال محمد.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:١٠٢]:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾(٢) أراد: ما حكوه وعلموه، وهو السحر، وحكى الحال

---

(١) واو العطف أدخلت عليها ألف الاستفهام قال ابن عباس ومجاهد والمشار اليهم اليهود وقيل العهد الذي عاهدوه إنهم قالوا والله لئن خرج محمد لنؤمنن به وروي عن عطاء إنها العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فنقضوها كفعل قريظة والنضير ومعنى نبذه رفضه. انظر زاد المسير (١/١٢٠)

(٢) أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كنت تتلو أي تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء تحدث وتكلم به ﴿عَلَى =

﴿عَلَى﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وسطروه الواحا، ولما علم ما عملوه حصل ألواحه كلها وطرحها إلى محل لا معلوم، ولما رحل إلى الله عادوا لعلمهم الأول كما وحكموا على حصول كمله سحرا وما هو إلا ساحر، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما عمل السحر رد لما حكوه: ما هو إلا ساحر، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا﴾ اسم موصول رده الواو على السحر، وحاصل المراد: علموهم السحر وعلموهم ما ألهمه الأملاك ﴿أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ألهماه وهو السحر.

﴿بِبَابِلَ﴾(1) محل وسط السواد ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وهل كلاهما ملك أو أحد الصلحاء كما روى راوٍ كسر لام (الملك) ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ مؤكد ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ لكل أحد رام علم السحر، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ علما أو عملا، والأصح علما ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ الهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أراد السحر ورامه ورمى كلام الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ﴾ مؤكد، ﴿خَلَاقٍ﴾ سهم، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ أعطوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ لما صار مآلهم إلى الدرك، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ما أعده الله لهم على سوء أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠٣]:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ الهود ﴿آمَنُوا﴾ لمحمد وكلام الله، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ رموا سوء ما حصلوه

=

مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أي: في ملكه وعهده. انظر تفسير البغوي (١/١٢٦).

(١) قد تباينت روايات وآراء وأقوال المفسرين والرواة والمؤرخين والجغرافيين في تحديد موقع بابل ودورها السياسي والعسكري والديني ومعناها اللغوي. وسوف نتطرق إلى تلك الأقوال محاولين نقدها وتقويمها ثم سوف نتحدث عن تاريخ بابل ومعنى الاسم اللغوي لبابل كما هو معروف من المصادر والسجلات القديمة سواء كانت في بلاد الرافدين أو خارجها. وذكر كثير من المؤرخين أن بابل المعنية في الآية قد تكون في العراق أو هي نهاوند أو هي نصيبين بل وضعها البعض في بلاد المغرب. وبلا شك ان كل التحديدات التي تخرج ببابل خارج بلاد الرافدين هي تحديدات غير صحيحة ولا توجد في بلاد المغرب أو المشرق مدينة مشهورة ببابل سوى بابل بلاد الرافدين. بل اسم بابل يعني منطقة أكبر من مدينة بابل نفسها، تحتوي على عدد من البلدات والقرى. انظر أسماء في القرآن الكريم (١/٢٢).

كطرح كلام الله ورآهم وعمل السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ اللام رد الواو الممهد، والاسم أول كلام، و﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ محموله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية:١٠٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ رعاه كلاءه، ولما حوله الهود إلى عكس ما أراده الإسلام وأولوه إلى السوء، وكلموا رسول الله على ما أرادوه حوله الله إلى سواه ردا لمكرهم ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ سماع إدراك وعمل، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١٠٥]:

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ مؤكد ﴿خَيْرٍ﴾ هو ما أوصاه الله لرسوله، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ إرساله أو الأعم ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ولما لوم الهود على رسول الله الأمر عكس ما أمر الإسلام أولا ورأوه محالا أوحى الله إلى رسوله ردا على ما لوموه.

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٠٦]:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ مع الحكم والكلام، أو الحكم وحده، أو الكلام وحده عام.

﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ المراد: المحو لها ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ ما هو الأسهل للعالم، ﴿أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا راد لحكمه ولا دال على محال ما محاه وأصل محله ما هو الأسهل للعالم لحكم علمها مرور الأعصار ومرور حكمها حولها إلى سواها.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية:١٠٧]:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا مالك لهما سواه ولا سؤال وارد على المالك أحكم أمره أو محاه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ كالىء لكم، ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد لما أراده لكم لو دهاكم وأوحى الله لرسوله لما سأله أهل الحرم حصول وسعه ورد اللكام مالا.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [آية:١٠٨]:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ لما سأله الهود وراموا مرامي الله كأحد العالم، ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المسلك السوى الموصل إلى الله، وأصل السواء الوسط وأوسعوه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] [آية:١٠٩]:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ لحصول المصدر، ﴿يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ معلوله (وَدَّ)، وعامله أمامه.

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أصله ومورده: صدورهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ لحال الرسول، ﴿فَاعْفُوا﴾ دعوهم، ﴿وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ حلول الحسام على

---

(١) في سبب نزولها ثلاثة أقوال احدها أن حيي بن أخطب وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس والثاني أن كعب بن الأشرف كان يهجوا النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قدمها فأمر النبي بالصفح عنهم فنزلت هذه الآية قاله عبد الله بن كعب بن مالك والثالث أن نفرا من اليهود دعوا حذيفة وعمارا الى دينهم فأبيا فنزلت هذه الآية قاله مقاتل ومعنى ود احب وتمنى وأهل الكتاب اليهود قال الزجاج من عند أنفسهم موصول ب ود كثير لا بقوله حسدا لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه والمعنى مودتهم لكفركم من عند أنفسهم لا أنه عندهم الحق فأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها وتفارقه الغبطة فانها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط وحد بعضهم الحسد فقال هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار ولا يجوز أن يكون الفاضل حسودا لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. انظر زاد المسير (١٣٢/١).

رؤوسهم أو طردهم إلى محل سوى محلهم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية:١١٠]:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ المراد الأعم، وهو كل عمل صالح ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ المراد: ما أعده لكم على عمله وإلا العمل مر حال دار المرور ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا عمل سدى لدى المولى، وكل أحد معد له عمله.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية:١١١]:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ كلاهما حكم حكما حاسما حكم هؤلاء على حصولها لهم وحدهم، وحكم أولئك على حصولها لهم وحدهم ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أمر موهوم مال له صدورهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على دعواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية:١١٢]:

﴿بَلَى﴾ الحال دار السرور السرمد هو ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ﴾ أطاع أوامره، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ما وعده على عمله، ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدى المعاد الهائل المرعد.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية:١١٣]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ حكم الهود على عدم سلوك أولئك المسلك الموصل إلى الله، وحكم أولئك على عدم سلوك الهود المسلك الموصل إلى الله، وعصى هؤلاء رسول أولئك، وعصى

أولئك رسول هؤلاء ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وما ورد لموسى صحح إرسال رسول أولئك، وما ورد لأولئك صحح إرسال موسى، والواو الوارد على هم واو الحال ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حكى هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهم كل راكع لا له مسوى كود وسواع ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ حكموا على عدم سلوك أحد سواهم مسلكا موصلا، ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وحكمه هو ما أعده لكل واحد على كده وأعطاه ما سعى وورده على دار الهلاك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [آية:١١٤]:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ المراد: لا أحد ﴿مِمَّنْ مَنَعَ﴾ عطل ﴿مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ هدمها وهو لما ورد الروم على حرم أسر داود وهو المصلى المطهر وهدوه وأهلكوا أهله، أو لما صد أهل الإلحاد رسول الله وسدوا مسلكه إلى الحرم، والمراد الأعم وهو كل معطل لمصلى أو صاد أو هادم له على العموم ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إلا خَائِفِينَ﴾ كل ملحد ما له ورود إلى حرم أو مصلى الأمر وعا أو المراد هددوهم عمل الحسام وردعوهم ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عكس العلى، وهو الإهلاك، وملك الأهل والأولاد والأموال، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى المطهر أولا وحوله الله إلى الحرم ولامه الهود على عمله رد الله ملامهم وأوحى لرسوله.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٥]:

﴿وَلِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[1] المراد: هو عالم مطلع على

---

(١) المراد به جنس المشرق والمغرب فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك كما روي عن ابن عباس وغيره. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية ما نصه: "وإنما معنى ذلك ولله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم فتأويله إذا كان ذلك معناه: ولله ما بين قطري المشرق وقطري المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذي =

عملكم ﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [آية:١١٦]:

﴿وَقَالُوا﴾ كل مدع لله ولدا وكل هائد ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ ورد الله دعواهم مؤكد لما أوحى لرسوله ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾ ما حواه كلاهما ملكا ورسولا وعالما سواهما كلهم ملك له، ولوله ولد لصار حرا، ولما صح ملكه له، والدال على عدم له ملكه لما حواه كلاهما، ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ كل أطاعه، والمراد: سلوك الكل على ما أراده الله لا على سوى ما أراده، وهو محمول على كل عاص ومسلم له روح أولا.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آية:١١٧]:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾ لا على حال مار وأمر عهد أولا، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراده، وصار مرادا له ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ المراد: حصول ما أراده على أسرع حال ولا إمهال أصلا لا المراد حصول ما أراده مرصودا على الأمر له.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ ۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آية: ١١٨]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهم ملحدو أهل الحرم المطهر ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ كما كلم الأملاك والرسل، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ على إرسال محمد على حكم مرامهم ومرادهم كحصول الوسع للحرم، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم المار

=

تعده وكذلك غروبها"، انتهى منه بلفظه. وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني كشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربهما كما عليه الجمهور. وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما، وقوله: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾أي مشارق الشمس ومغاربها كما تقدم. وقيل مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها والعلم عند الله تعالى. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/١٥).

عصرها لرسلهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلحاد هؤلاء كإلحاد أولئك، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وهم كل مدرك عادل.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [آية: ١١٩]:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ المرسل محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ الهدى، ﴿بَشِيرًا﴾ لكل مسلم، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لكل عاص، ﴿وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ لما عصوك وما أسلموا.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ١٢٠]:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(١) مسلكهم، والمراد: إسلامهم لك محال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه عمى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آراءهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ما أوحاه الله لك وهو الكلام المكرم ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ كالئ لك ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد ما أراده وأعده لك لو حصل سلوكه على آرائهم، وهو محال.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [آية: ١٢١]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهم مسلموا أهل الكلام الوارد على موسى، وعلى سواه كولد سلام، أو المراد: رهط السود لما وردوا على رسول الله وأسلموا ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ

(١) قال البغوي: وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه في أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه وإنك إن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا في أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ﴾ إلا باليهودية ﴿وَلا النَّصَارَى﴾ إلا بالنصرانية والملة الطريقة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة كقوله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ انظر تفسير البغوي (١/١٤٣)

تِلاوَتِهِ﴾ كما ورد إلى رسولهم، وحاصل العامل والمعمول حال ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ محمول على الاسم الموصول، ﴿يَكْفُرْ بِهِ﴾ المراد: كل طارح أو مورد وسط الكلام الوارد على رسوله كلاما سواه أو حامل ما له على محمل ما أراده الله ولا رسله، والحامل له على سوء عمله هواه أو طمع مال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لورودهم على الهلاك السرمد.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية:١٢٢، ١٢٣]:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: والدوهم لما سلكوا الماء وما هلكوا وهلك عدوهم، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عوالم عصرهم على عهد موسى.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ العدل: إعطاء أحد محل أحد، ﴿وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لا راد ولا رادع لما أعده الله لهم وأورد لهم.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:١٢٤]:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ أمره أوامر حملها وأداءوها عسر، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداها كملا كما أمر، ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ والعالم مأموم له، وهو حكم سار إلى مرور الأعصار كلها، ولا أرسل رسول عدا ما مر إلى عصره إلا وهو ولده ومأمور على سلوكه مسلكه، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ سأل الله لأولاده ما أعطاه له ﴿قَالَ﴾ الله ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد، والمراد: عدم صدور ملحد إماما لعدم صلاحه لها.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ

ٱلسُّجُودِ﴾ [آية:١٢٥]:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ ما حواه الحرم، وهو المحل المطهر المؤسس لحط سوء أعمال ولد آدم ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مورد الهم، ﴿وَأَمْنًا﴾ لو رأى أحدهم مهلك والده أو ولده ما مسك له حساما، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أمر لأهل الإسلام ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو محل علاه لما أسس الحرم المطهر وأراه رسول الله إلى عمر، وسأله عمر أعماره مصلى ولما رد سؤله رسول الله لم أؤمر أوحى الله إلى رسوله ما مر ﴿مُصَلًّى﴾ محلا لكل مصل، ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرهما الله ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ مما حط أهل الإلحاد وسطه كود وسواع ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ للمار مرورا والحال حلولا، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ كل مسلم مصل.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية:١٢٦]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ المحل ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾[1] أهله وسمع الله دعاءه لا أحد دمه مهدور وسطه ولا روع لأهله ولا طائره مصاد ولا وكلاءه ما كول، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وحصل لما حمل الملك محلا وحطه لدى الحرم ماءه هدار ومحصوده ومحصوله مدرار ﴿مَنْ آمَنَ﴾ عامله عامل أهله والأهل الكل، ﴿مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وسأل الله لهؤلاء لا سواهم لما مر، وهو عدم حصول العهد لأهل الإلحاد، ﴿قَالَ﴾ الله ومعط ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا﴾ مدى عمره ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أطره لدى المعاد ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المآل وأورد لهم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) قال ابن الجوزي: البلد صدر القرى والبالد المقيم بالبلد والبلدة الصدر ووضعت الناقة بلدتها إذا بركت والمراد بالبلد هاهنا مكة ومعنى آمنا ذا أمن وأمن البلدة مجاز والمراد أمن من فيه وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال أحدها انه سأله الأمن من القتل والثاني من الخسف والقذف والثالث من القحط والجدب قال مجاهد قال إبراهيم لمن آمن فقال الله عز وجل ومن كفر فسأرزقه انظر زاد المسير (١٤٣/١)

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية:١٢٧]:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾(١) حكى الحال والمسموك هو الأساس ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ والمعمار هو ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ عامل معه معط له ما رامه، وكلاهما داع لله حال سمك الأس، ودعاؤهما ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ المراد: ما عملاه وأسساه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء، ﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على العمل.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [آية:١٢٨]:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ الأولى حمل الإسلام على العمل السالم لله، وحمله على الدوام لا مؤدى له لما عصمهما الله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ وسألا الله الإسلام لأولادهما لما هو مأمول، وهو صلاح المأموم لصلاح الإمام، وعلم حصول الإمام لما مر، وهو إعطاء الله العهد لأولاده سوى أهل الإلحاد، ﴿وَأَرِنَا﴾ علم ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ هي أعمال أم الحرم، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه لأولادهما أو لما حصل سهوا وإلا كلاهما معصوم.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية:١٢٩]:

---

(١) يعني أسسه واحدتها قاعدة. وقال الكسائي: جدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل، طورسيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله، وقيل أول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه. انظر تفسير البغوي (١/١٥٠) وقال ابن كثير رحمه الله تعليقا على هذه المقولة الأخيرة: ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم: أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله تعالى: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام" انظر: البداية والنهاية: (١ / ١٦٣، ١٦٥).

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ﴾ سمع الله دعاءهما وأرسل محمدا ردد الله لهم أعلى سلام ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ كلامك المكرم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الأحكام، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مطهرهم مما هو إلحاد؛ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ لا كاهر لك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لما أراده.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [آية:١٣٠]:

﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ﴾ مسلك ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ السالم الساطع، ﴿إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أصله: هو المعمول المسموك وحول كلام رأسه، ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ للإرسال على سوى أهل عصره، ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أهل المحل الأسمى وأورد.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آية:١٣١]:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: أورد إلى إدراكك لما أمره الله وأطاع أمره صار أهلا لما أعطاه، وهو سلوك الرسل على مسلكه، وهو الإمام، وكلهم مأموم له.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آية:١٣٢]:

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ المسالك، وروى راوٍ: أوصى، ووصى، وأوصى أصله الوصل، وكل موص موصل كما هو معلوم ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ أولاده، ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أوصى أولاده، وما وصى أولاده كلاهما هو، ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ مسلك الإسلام، ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ حاصله أمر للدوام على الإسلام مدى العمر.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آية:١٣٣]:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾(١) ووصى أولاده ما وصى أوصاه الله لرسوله لما حكم الهود على ما وصاه أولاده هو مسلكهم لا سواه ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ ما لسوى المعلوم، ولو علم صار لسوى أهل الأحلام ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ هو عم لهم، وعده مع الوالد ووالد الوالد إعطاء للعم حكم الوالد ووالده، ﴿وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الواو واو الحال وأم لدى صدر السؤال أدى مؤدى ما أو لم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٣٤]:

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى الوالد وأولاده، وهو أول كلام محموله ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مر عصرها وعهدها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لكل عامل عمله، ﴿وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لو هم أهل صلاح أولا لا أحد مسؤل ومعامل على عمل أحد.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آية:١٣٥]:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ أراد الهود سلوك أهل الإسلام مسلكهم، وأراد أولئك سلوك أهل الإسلام على مسلكهم واو كأما ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مسلكه هو الهدى، ﴿حَنِيفًا﴾ حال مائلا إلى المسلك الموصل إلى الله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

---

(١) نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلّى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية. فرد الله تعالى عليهم: ما كنتم أيها اليهود المكذبون بالنبي محمد صلّى الله عليه وسلم حاضرين حين احتضر يعقوب، فلا تكذبوا عليه، فإني ما أرسلت إبراهيم وبنيه إلا بالحنيفية وهي ملة التوحيد والإسلام، وبه أوصوا ذرياتهم، بدليل أن يعقوب قال لأولاده: أي شيء تعبدون بعد موتي؟ فقالوا: نعبد إلهك الله الواحد وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ونحن له منقادون خاضعون لحكمه.وقد ردّ الله على اليهود ادّعاءهم أنهم نسل الأنبياء وحفدتهم، فلا يدخلون النار إلا أياما معدودات، ومضمون الرّد أن كل إنسان مسئول مسئولية شخصية عن نفسه، والأمة الماضية لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، لا ينتفع بعملها أحد ولا يتضرّر: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ [فاطر: ٣٥/ ١٨] فلا ينفع السابقين إلا عملهم، كذلك من بعدهم لا ينفعهم إلا عملهم انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٦١/١).

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آية:١٣٦]:

﴿قُولُوا﴾ أمر للإسلام ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الكلام المكرم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاد أولادهم، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ المراد: كل كلام أوصاه الله إلى رسله، وكل ما دل على إرسالهم ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ كالهود، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية:١٣٧]:

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ﴾ مؤكد ﴿مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ما أسلموا كإسلامكم، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ معكم وآراؤهم عكس آرائكم، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على أحوالهم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [آية:١٣٨]:

﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لعامله، وهو دال عامله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ المراد: لا أحد، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[1] ولما رد الهود إرسال محمد ردا حاصله الكلام الموصى لهم أول كلام، ولو محمد أحد الهود حكم على إرساله أوصى الله لرسوله محمد.

---

(١) أمر الله نبيّه بأمر خاص به: وهو أن يقول لأتباع الأديان الأخرى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحبّاؤه، وادّعوا أنهم أولى بالله من المسلمين، لقدم أديانهم وكتبهم: أتجادلوننا في دين الله، والدين واحد، وتدّعون أن دينه الحق ما أنتم عليه، وتظنون أن دخول الجنة والاهتداء مقصور عليكم، فالله ربّ الجميع، ودخول الجنة مرتبط بالأعمال الصالحة الصادرة من أي إنسان دون تعصب ولا تفريق ولا حجر على فضل الله ورحمته، الله ربّنا وربّكم، لا فرق بيننا وبينكم في العبودية لله، فهو مالك أمرنا وأمركم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم الحسنة والسّيئة، ونحن لله مخلصون في تلك الأعمال، لا نقصد بها إلا وجهه، فكيف تدّعون أن لكم الجنة والهداية دون غيركم؟ انظر التفسير الوسيط (١/٦٣).

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [آية:١٣٩]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ وله إرسال كل أحد أراده، وحصر أمر الإرسال على الهود لا أصل له، وهو الحاكم العادل، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ ولا دال على حصر الإكرام والإرسال لكم، وحصوله لسواكم ما هو أمر محال، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الإسلام والعمل.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٤٠]:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ أعلم والله حكم كلهم حكما سوى ما حكم الهود وادعوه، وحكم على والدهم هو الإسلام، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ المراد: لا أحد وهم الهود أسروا ما أوصاه الله لهم إسلام الرسول المسطور، ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أوعدهم وهددهم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٤١]:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مر عهدها وعصرها، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لكل عامل عمله، ﴿وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا أحد مسؤول ومعامل على معامل أحد.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آية:١٤٢]:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ عكس العلماء ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ هم الهود، وأهل الاهواء ﴿مَا وَلاهُمْ﴾ ما ولى الرسول، وأهل الإسلام ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وهو المصلى المطهر؛ أمر حكاه الله لرسوله ومهَّدَه على رد سؤال وَارِدٍ وعلمه.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ لا حصر على محل، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه

﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك موصل، ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٤٣]:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما حصل لكم الهدى ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدولا علما وعملا، وهو أصلا للمحل وأوسعوه لكل عمل محمود وممدوح، وهو للواحد والعدد والمر وعكسه، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لأداء رسلهم أمر الإرسال وأحكامه ومحله لدى المعاد، ولو سأل سائل: ما حاصله هم ما أدركوا عصر الرسل وأممهم رد سؤاله إعلام الله لرسوله، وإعلام رسولهم هو الأمر الدال على حصول أداء الرسل لأممهم أحكام الإرسال، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معلما عدلكم لدى حكم عدل، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولا، وهو الحرم أم رسول الله أولا الحرم، وحوله الله إلى المصلى المطهر، وأمره أمرا أمال صدور الهود، ولما حصل ما أراد حوله إلى حاله الأولى وهو الحرم ﴿إلا لِنَعْلَمَ﴾ علم حال أو علم سطوع ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ على الإسلام ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ عودا إلى الإلحاد وسوء المسلك، ﴿وَإِنْ﴾ كلعل عملا، واللام لعكس الوصل أو كما، واللام أدى مؤدى إلا للحصر ﴿كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أمر حمله عسر ﴿إلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ وأُطلِعُوا على الحكم، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ دوامكم على الإسلام أو عمل عصر ما عهد أمهم المطهر لما حولها الله الحرم، وسألوا رسول الله ما حال رهط إدركهم الحمام، وما صلوا إلى الحرم أوحى الله لرسوله ما سطر؛ ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ محص لهم أعمالهم لا معدمها لهم.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٤٤]:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [(١)] راصدا ورودا أمر الله إلى أملك الحرم، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ إلى محل هو أول ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لا إلى وسطه، والمراد: إلى أول ما هو أمامك، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أومأ إلى عموم الحكم لأهل الإسلام، وأكد الأمر الأول، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ الهاء عائد إلى محصل الأمر العام وهو ولوا ﴿الْحَقُّ﴾ الساطع ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لعلمهم حصوله علما حاسما، وهو أمر دال على إرسال محمد، ومصحح له، ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أهل الإسلام وسواكم، وعد الأول على سماعهم لأمره وهدد سواهم على إصرارهم مع علمهم حصوله.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:١٤٥]:

﴿وَلَئِنْ﴾ لام مؤوّل ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ دال مصحح لأمر أملك الحرم، ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ (ما) وما أمها مردود إلى اللام الممهد وهو الأول، وسد مسد ما رامه مأموم اللام، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ حسم لطمع إسلامهم، وطمع عود الرسول إلى المصلى المطهر، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أم الهود المصلى المطهر وأم مدعو الأهل والولد للإله المطلع، ولا هؤلاء مسلم لأولئك، ولا أولئك مسلم لهولاء، وحالهم معهم كحالهم معك على السواء ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولو حصوله محالا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ما أوصاه الله لك ﴿إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وأكد ما هدده أمور أحدها اللام الممهد المطروح والعامل المؤكد ولام محمول اسمه.

---

(١) سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يوجه إلى الكعبة قاله البراء وابن عباس وابن المسيب وأبوالعالية وقتادة وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ واختلفوا في سبب اختيار النبي الكعبة علي بيت المقدس على قولين أحدهما أنها كانت قبلة إبراهيم روي عن ابن عباس والثاني لمخالفة اليهود قاله مجاهد ومعنى تقلب وجهه نظره إليها يمينا وشمالا وفي بمعنى إلى وترضاها بمعنى تحبها والشطر النحو من غير خلاف قال ابن عمر أتى الناس آت وهم في صلاة الصبح بقباء فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وأمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا وهم في صلاتهم انظر زاد المسير (١/١٥٧).

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:١٤٦]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ المراد: علماؤهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ (الهاء) للرسول والدال سرد الكلام، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ سأل عمر ولد سلام هل لك علم واطلاع على أحوال الرسول ورد ولد سلام سؤل عمر، وحاصله اطلاعه على أحوال الرسول كعلمه واطلاعه على ولده، وهو على الرسول أدل لعدم علمه ما حصل لام ولده ولعله وطئها واطئ سواه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ هو دلائل إرسال محمد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إرساله.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آية:١٤٧]:

﴿الْحَقُّ﴾ أول كلام محمول ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أو محمول لمطروح، وهو مسلك محمد وما أمه محمول أم محمولا أو حاصله حال، ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الأولى طرأ على عملهم أوهام، والمراد: أمر الأمم وإحراصهم على حصول العلم الطارد للأوهام، والحامل على حمله على أمر الأمم عدم طرؤ الوهم على علم الرسول أصلا وطرؤ على عمله محال.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٤٨]:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ المراد: لكل أحد الأمم مأم أمه وارداه، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وروى ولد عامر: موَلاها، وعلى كل المراد ولاها الله أهلها، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1] أسرعوا إلى صالح الأعمال ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ لدى المعاد لمحل واحد، وكل أحد راء عمله، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إهلاك العوالم ورد الروح لهم، وأمر

(١) أي لكل أهل دين وجهة المراد بالوجهة القبلة قاله ابن عباس في آخرين قال الزجاج يقال جهة ووجهة وفي هو ثلاثة أقوال أحدها أنها ترجع إلى الله تعالى فالمعنى الله موليها إياهم أي أمرهم بالتوجه إليها والثاني ترجع إلى المتولى فالمعنى هو موليها نفسه فيكون هو ضمير كل والثالث يرجع إلى البيت قاله مجاهد أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة والجمهور يقرؤون موليها وقرأ ابن عامر والوليد عن يعقوب هو مولاها بألف بعد اللام فضمير هو لكل ومعنى القراءتين متقارب. انظر زاد المسير (١/١٥٩).

المعاد حاصل لا محال.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٤٩]:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ **إلى أول ما هو أمامك لا إلى وسطه، والمراد: أم الحرم لدى حلولك محلا سواه،** ﴿وَإِنَّهُ﴾ **الأمر** ﴿لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية:١٥٠]:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ **كرر الحكم على عدد علله وعلله الإسراع؛ (١) لأمر الرسول وعدم رده، (٢) والمسرى على عوائد الله لأهل الملل وهو لكل أحد مأم ولاه له، (٣) والردع لما أورده الهود وسواهم،** ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ **المراد: سوى أهل الإسلام** ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ **اللام علل ولوا أول الكلام، والمراد: ولوا وحولوا مصلاكم إلى الحرم لعدم مراء الهود وادعاهم ما حاصله الرسول المسطور وسط الكلام الموحى لموسى مأمه ومصلاه إلى الحرم الحرام لا إلى المصلى المطهر** ﴿إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ **حصل الحسم والردع لكل كلام ومراء هؤلاء وكلامهم ما حكاه هؤلاء ما حول محمد أهل الإسلام إلى الحرم الحرام إلا لامه ما أمه والده** ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾ **مراؤهم كعدمه،** ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ **أسرعوا لما آمركم،** ﴿وَلأتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **اللام علل مطروحا وهو حصل الأمر أو هو مردود رده الواو على** (لِئَلا) **وما أم لعل حاصل، والمراد: إلى معالم المسلك الموصل إلى الله.**

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [آية:١٥١، ١٥٢]:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً﴾ هو محمد ﴿مِنْكُمْ﴾ والمراد: كمال الإكرام لكم حالا ككماله أولا لما أرسل لكم محمد رسولا ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ مطهركم، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ كل حكم حواه كلام الله، ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ المراد: أدوا ما ورد لكم لأدائه أمرا أو صلوا واحمدوا ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ أكرمكم على عملكم لدى المعاد، ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1] [آية: ١٥٣، ١٥٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على المعاد ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على صالح الأعمال وردع الهوى، ﴿وَالصَّلاةِ﴾ أحد صالح الأعمال ووحدها سردا لورودها أم الأعمال والأوامر؛ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ كالئ لهم وسامع لدعائهم.

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾ هلكى ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ كما ورد حلول أرواحهم حواصل الطائر، ﴿وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ ما حالهم لعدم

---

(١) الصبر هو نصف الإيمان، ودرع أهل العزيمة والإرادة القوية، وهو طريق النصر والغلبة والفلاح، والله أكّد في آيات كثيرة أنه مع الصابرين، يؤيدهم بولايته ورعايته، وينصرهم بتوفيقه وتثبيته، ويجيب دعاءهم، ويعزّز موقفهم ويحميهم من الأذى. وأما الصّلاة والاستعانة بها فلأنها أمّ العبادات، وصلة العبد بالله تعالى، وطريق الفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر، وهي تعصم المؤمنين من الانحراف، وتهذّب النفوس، وتنهى أصحابها الخاشعين فيها عن الفحشاء والمنكر. وأما القتال في سبيل الله فهو طريق الحفاظ على الحقوق، والظفر بالجنة والشهادة، وأساس تحقيق المجد والعزة والكرامة واستقلال الأوطان، وصدّ عدوان المعتدين، واسترداد الحقوق المغتصبة كاغتصاب الصهاينة بلاد فلسطين العزيزة. وقد صحح القرآن الكريم مفاهيم الناس عن الشهداء، فهم خالدون على مدى التاريخ، ولهم الدرجات العليا عند الله تعالى. لما قتل بضعة عشر رجلا من قتلى بدر، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، كان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذّتها، فأنزل الله في قرآنه بيانا قاطعا بأن الشهداء أحياء في قلوب الناس والتاريخ، وأحياء في قبورهم، وأرواحهم الطاهرة في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة. وجمع الله في آيات خمس بين الصبر والصلاة والاستشهاد في سبيل الله. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٧٠).

إدراككم له حسا.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٥٥ - ١٥٧]:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو أو لله، ﴿وَالْجُوعِ﴾ عدم حصول مأكول لكم أو الصوم، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ هلاكه أو أداءكم وردا أمر الله لأدائه وهو أحد أساس الإسلام، ﴿وَالأَنْفُسِ﴾ لورود الحمام أو الحصاد الحسام، وهو أحد أوامر الله، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ المعلوم أمرها وحالها، أو المراد: هلاك الأولاد، ﴿وَبَشِّرِ﴾ الأمر لمحمد ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على ما مر كله والسرور على حصول دار المأوى لهم وهم.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كل مكروه سار المسلم لما ورد ﴿قَالُوا إِنَّا لِلهِ﴾ ملكا ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ لدى المعاد، وهو معد لكل أحد عمله.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ المراد: محو كل عمل ساء عامله، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ آلاء وإكرام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى المسلك الموصل إلى الله، ولما سعى أهل اللوم أول العهد وكرهه الإسلام لسلوكهم ومسراهم على حال كحالهم أوحى الله رسوله.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٨]:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ كلاهما علم لكام حول الحرم الحرام، ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ إعلام مسلك الإسلام، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أراد أحدهما على ما أمر الله ورسوله، ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ ملام ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ولو ما سعى أحد الإسلام حكم العدد المعلوم أداء صار محله الدم، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ سعى عدد سوى العدد المعلوم ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله ومكرم له، ﴿عَلِيمٌ﴾ مطلع على كل عمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية:١٥٩، ١٦٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ (١)كعلماء الهود ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ كالدلائل على إرسال محمد، ﴿وَالْهُدَى﴾ كل ما هدى إلى الإسلام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ﴾ طاردهم لا راحمهم، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ كل ما صلح لصدورها ملكا أو أحد العوالم، والمراد: كلهم داع على المسر لدلائل إرسال محمد.

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ كصموا وعادوا، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم، ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما أسروه أولا، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية:١٦١ - ١٦٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الواو للحال ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ المراد: العموم أو أهل الإسلام، والأول أولى.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دار الدرك، وورود الهاء وما مر لها سرد لهولها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا إمهال لهم.

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ كلام عام لكل أحد ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ كلاهما محمول على الإله، أو محمول مطروح هو هو ولما سمعوا ما أوصاه الله وهو وإلهكم

---

(١) قال الآلوسي: أخرج جماعة عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار يهود عما في التوراة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعض الأحكام فكتموا، فأنزل الله - تعالى - فيهم هذه الآية ﴿إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ ﴾... إلخ.

والكتم والكتمان: إخفاء الشيء قصداً مع مسيس الحاجة إليه وتحقق الداعي إلى إظهاره. وكتم ما أنزل الله يتناول إخفاء ما أنزله، وعدم ذكره للناس وإزالته عن موضعه ووضع شيء آخر موضعه، كما يتناول تحريفه بالتأويل الفاسد عن معناه الصحيح جرياً مع الأهواء، وقد فعل أهل الكتاب ولا سيما اليهود - كل ذلك. فقد كانوا يعرفون مما بين أيديهم من آيات أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حق، ولكنهم كتموا هذه المعرفة حسداً له على ما آتاه الله من فضله، كما أنهم حرفوا كلام الله وأولوه تأويلا فاسداً تبعاً لأهوائهم. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٢٥٥).

إله واحد لا إله إلا هو راموا الدال على الواحد، ولما سألوا الرسول أوحى الله.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **[آية:١٦٤]:**

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ **عدد السماء، ووحد ما أمها إعلاما لحصول عدد الأولى لا سواها،** ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ **سوادا وعكسه وطولا وعكسه وعودا وعكسه،** ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ **على الماء** ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ **حملا وإطلاعا على أحواله وما أودعه الله وسطه،** ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ **كل ما علا** ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ **مطر،** ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾ **لطلوع كلائها** ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ **لعدم الكلاء،** ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ **عدم مرورها على حال واحد،** ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ **المرصود لأمر الله** ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ﴾ **كل ما مر دال على الأحد الصمد** ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **لهم أحلام أمروها على مدارك ما مر سرده، وعلموا علما طاردا لكل وهم طار على ما حاصله مصدر العالم كله واحد، ولو صور الحلم سواه معه لما كمل أمر العالم ولا صلح، وما دام عدم كمال العالم وعدم صلاحه أمرا محالا لاح للإدراك حصول سواه معه أمر محال وداله ما أوصاه الله لرسوله، وهو لو صح حصول عدد الإله سوى الله لما صلح العالم.**

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ **[آية:١٦٥]:**

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ **المراد سواه** ﴿أَنْدَادًا﴾ **كود وسواع أو هم رؤساء مللهم** ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ **المراد أطاعوهم كما أطاعوه،** ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ **هو لله ومورده ولد آدم أو سواهم المسرى على أساس أوامره، وهو لولد آدم وسواهم ومورده هو الله إكرامه لهم مع حصولهم على السلوك حكم أوامره،** ﴿وَلَوْ

يَرَى﴾[1] الكلام لمحمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لما أطاعوا ما هو كود وسواع ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ ورد للمعلوم وعكسه ﴿الْعَذَابَ﴾ المعد لهم على ركوعهم لسوى الله كود وسواع لعلموا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أو حاصل العامل المؤكد مع معموله ساد مسد معمول ما أم لو، ﴿وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ رد الواو العامل المؤكد على العامل المؤكد الأول.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية:١٦٦، ١٦٧]:

﴿إِذْ﴾ على وهم العامل المكرر وهو ما أم لو ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ وهم الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ مأمومو الرؤساء، وروى راوٍ العكس، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ الواو واو الحال، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ الوصل المار عهدها ودادا أو رحما.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ عوداً للدار الأولى ولو سؤال حصول المحال، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ الرؤساء، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما أراهم ما أعد لهم على سوء أعمالهم ﴿يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ معمول لعامل الهاء وأعمالهم لو عُدَّ كأعلم وإلا حال ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ حسما لطمع العود للدار الأولى، وأوصى الله لرسوله لما حرم رهط كل طعام حلا أكلا وطمعا سوى ما ردع العدم والهلاك ردا على محرمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي يرى بالياء ومعناه لو يرون عذاب الآخرة لعلموا أن القوة لله جيمعا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وجوابه محذوف تقديره لرأيتم أمر عظيما كما تقول لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وإنما حذف الجواب لأن المعنى واضح بدونه قال أبو علي وإنما قال إذ ولم يقل إذا وإن كانت إذ لما مضى لإرادة تقريب الأمر فأتى بمثال الماضي وإنما حذف جواب لو لأنه أفخم لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد وقرا أبو جعفر إن القوة لله وإن الله بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف كأنه يقول فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم انظر زاد المسير (١/١٧١)

تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1] [آية:١٦٨ - ١٧٠]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً﴾ معمول لكلوا أو أصله: كلوا أكلا حلالا على طرح المصدر أو حال لما ﴿طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ محرك الطاء، وروى راوٍ عدمها مسالكه، والمراد: رد الحلال إلى الحرام ورد الحرام إلى الحلال للهوى ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ وهو ما عامله ملام أو ما لأحد على عمله، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ ما عامله ملام كل الملام أو ما وصل عامله إلى الحد المعلوم، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ردكم الحلال إلى الحرام وعكسه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وهو حل المأكل كلها ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وهو الركوع لما سوى الله، كود، وسواع، ورد الحلال إلى الحرام كما حرموا المأكل الا ما رد العدم والهلاك ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (الواو) للحال أو الرد على ما مر و(لَوْ) كالوصل، وحاصل الكلام المطروح لسلكوا على مسالكهم.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية:١٧١]:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع دعاء داع لهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ

---

(١) يا أيها الناس كافّة كلوا مما يوجد في الأرض حلالا أحلّه الله لكم، طيبا لا شبهة فيه ولا إثم، ولا يتعلق به حق الغير، وألا تأكلوا الخبائث التي منها ما يأخذه الرؤساء من الأتباع، فهو حرام خبيث لا يحل أكله. وألا تتبعوا طرق الشيطان بالإغواء والإضلال والوسوسة، فهو يوسوس بالشّر والمنكر، وهو لكم عدوّ ظاهر العداوة من عهد أبينا آدم عليه السّلام، فلا يأمر بالخير أصلا، ولا يأمر إلا بالقبيح من الذنوب، فاحذروه ولا تتبعوه، ويأمركم أن تقولوا على الله في دينه ما لا تعلمون يقينا أنه شرع الله في العقائد والشعائر الدينية، أو تقدموا على تحليل الحرام وتحريم الحلال، للتوصل لإفساد العقيدة وتحريف الشريعة. ثم حكى الله عن المشركين وبعض اليهود ما هم عليه من التقليد الأعمى، قال ابن عباس: دعا رسول الله اليهود إلى الإسلام، ورغّبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حرملة ومالك بن عوف: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيرا منا. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٧٧).

إلا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ والمراد: حال هؤلاء كحال داع دعا ما دعاه، وسمع المدعو دعاءه سماعا لا إدراك معه.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ لما لا سمعهم ولا كلامهم ولا مراءهم ولا إدراكهم حام حول الهدى، صاروا كالمعدوم كل حواسه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [آية:١٧٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلال ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لما وسع الأمر أولا على ولد آدم كلهم واصل لهم المأكل سوى ما حرم كلم أهل الإسلام وأحلها كلها لهم سوى المكروه ﴿وَاشْكُرُوا لِلهِ﴾ احمدوه على ما احل لكم ما حرمه على سواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آية:١٧٣]:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾(١) كل هالك لحاله وما صادم حد سلاح محله المعلوم والمحرم هو أكلها أو المراد الأعم، وورد على أساس كل هالك السمك وما ساواه حكما، وكلاهما أحله الله ورسوله، ﴿وَالدَّمَ﴾ المراد: الدم السائل وإلا كره، ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ أورد اللحم لأكله أصلا وسواه أولى ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ المراد: ما حسموا رأسه وسموا اسما سوى اسم الله لدى حسمه، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ وأكل مما حرم لرد العدم والهلاك، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ سالك على سوى الإسلام، ﴿وَلا عَادٍ﴾ حاسم لمسالك أهل الإسلام، ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لو أكل مما حرم ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للأكل أو لكل موال،

---

(١) في هذه الآية استئناف بياني، ذلك أن الإذْن بأكْلِ الطيبات يثير سؤال مَن يسأل ما هي الطيبات فجاء هذا الاستئناف مبيّناً المحرماتِ وهي أضداد الطيبات، لتُعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وإنما سُلك طريق بيان ضد الطيبات للاختصار؛ فإن المحرمات قليلة، ولأن في هذا الحصر تعريضاً بالمشركين الذين حرموا على أنفسهم كثيراً من الطيبات وأحلوا الميتة والدم، ولما كان القصر هنا حقيقياً لأن المخاطب به هم المؤمنون وهم لا يعتقدون خلاف ما يُشرع لهم، لم يكن في هذا القصر قلبُ اعتقادِ أحدٍ وإنما حصل الرد به على المشركين بطريقة التعريض.انظر التحرير والتنوير (١١٥/٢)

﴿رَحِيمٌ﴾ لكل أحد أطاعه موسع لهم لا حلاله لهم ما حرمه على سواهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾(١) [آية: ١٧٤ - ١٧٦]:

---

(١) قال الشعراوي: إن الحق سبحانه وتعالى ينزل بوساطة رسله على خلقه ليحكم المنهج حركة الحياة للناس وعلى الناس، إنه يحكم للناس أي لمصالحهم، ويحكم على الناس إن فوتوا المصالح، لأن الذي يُفَوِّت مصلحة لسواه عنده، لا بدّ أن يلحظ أن غيره سيفوّت عليه مصلحة عنده. إذن، فمن الإنصاف في التشريع أن تجعل له وعليه، فكل « تكليف عليه » يقابله « تكليف له »، لأنه إن كان له حق، فحقه واجب على سواه، وما دام حقه واجباً على ما سواه، فلزم أن يكون حق غيره واجباً عليه؛ وإلا فمن أين يأخذ صاحب الحق حقه؟ والحق سبحانه وتعالى حين ينزل المنهج يبلغه الرسل ويحمله أولو العلم؛ ليبلغوه للناس، فالذين يكتمون ما أنزل الله إنما يصادمون منهج السماء. ومصادمة منهج السماء من خلق الله لا تتأتى إلا من إنسان يريد أن ينتفع بباطل الحياة؛ ليأكل حق الناس. فحين يكتمون ما أنزل الله، فقد أصبحوا عوائق لمنهج الله الذي جاء ليسيطر على حركة الحياة. وما نفعهم في ذلك؟ لا بدّ أن يوجد نفع لهم، هذا النفع لهم هو الثمن القليل، مثل « الرشا »، أو الأشياء التي كانوا يأخذونها من أتباعهم ليجعلوا أحكام الله على مقتضى شهوات الناس. فالله يبين لهم: أن الشيء لا يُثمن إلا بثمين من يعلم حقيقته، وأنتم تُثَمِّنون منهج الله، ولا يصح أن يُثَمِّن منهج الله إلا الله. ولذلك يجب أن يكون الثمن الذي وضعه الله لتطبيق المنهج ثمنا مربحا مقنعا لكم، فإن أخذتم ثمنا على كتمان منهج الله وأرضيتم الناس بتقنين يوافق أهواءهم وشهواتهم، فقد خسرتم في الصفقة؛ لأن ذلك الثمن مهما علا بالتقدير البشري، فهو ثمن قليل وعمره قصير. والأثمان عادة تبدأ من أول شيء يتعقل بحياة الإنسان هو قوام حياته من مأكل ومشرب، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أولئك مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النار﴾ وإذا كانوا يأكلون في بطونهم ناراً فكيف يكون استيعاب النار لكل تلك البطون؟ لأن المؤمن كما قال الرسول يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء، أي أن الكافر لا يأكل إلا تلذذاً بالطعام؛ فهو يريد أن يتلذذ به دائما حتى يضيق بطنه بما يدخل فيه. لكن المؤمن يأخذ من الطعام بقدر قوام الحياة، فسيد الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف: « حسب ابن آدم لقيمات يقمن أوده ». إذن فالأكل عند المؤمن هو لمقومات الحياة وكوقود للحركة، ولكن الكافر يأخذ الأكل كأنه متعة ذاتية. والحق يقول: =

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ هم رؤساء الهود ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى الدال على إرسال محمد، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو ما رسمه أهل الملل لهم أموالا وسواها ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ إما حالا لسلوكهم على مسالكهم أو مآلا لحلولهم وسطها، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعدم صلاحهم لكلامه، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا هو مطهرهم مما عملوه وأسروه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم لهم وهو دار الدرك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ لولا إصرارهم وإسرارهم الدال على إرسال محمد لطمع الأموال، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (مَا) اسم كامل مسموك المحل على أول الكلام أو اسم سؤال، وعلى كلاهما المحمول حاصل ما أمها أو اسم موصول، والمحمول مطروح وهو طمعهم أو حرصهم على الأموال.

﴿ذَلِكَ﴾ ما أعده الله لهم ﴿بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ وهم حولوا وسطه كلماً وأسروا كلماً، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ الموحى لموسى لما أسروا وحاولوا أو الموحى لموسى لما ادعوا السحر وسواه، ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ كلامهم وما حكوه على سوى مسلك الهدى.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [آية:١٧٧]:

=

﴿أولئك مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلا النار﴾ يعني كما أرادوا امتلاء بطونهم شهوة ولذة، فكذلك يجعل الله العذاب لهم من جنس ما فعلوه بالثمن القليل الذي أخذوه، فهم أخذوا ليملؤوا بطونهم من خبيث ما أخذوا وسيملأ الله بطونهم ناراً، جزاء وفاقا لما فعلوا، وهذا لون من العقاب المادي يتبعه لون آخر من العقاب هو ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ الله﴾ أي أن الحق ينصرف عنهم يوم لا أنس للخلق إلا بوجه الحق. انظر تفسير الشعراوي (١/٣٣٥).

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[(١)] أوحاه الله لرسوله لما ادعاه أهل الملل ولوموا على الرسول أمر أم الحرام وعدم أمه المصلى المطهر، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ المراد: أهله ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ (ال) للعدد، والمراد: كل كلام أوحاه الله لرسله، ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ أحد أولاد الرحم المعدم، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ هو كل أحد لا وصول له إلى حدود أصل محله ولا مال وعدم حصول المال مراعى للكل، ﴿وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ حل الأسرى وسواهم، ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المعلوم حكمها، ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ رده الواو على الاسم الموصول أول الكلام لعامل هو كلعل عملا، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾ عهد الله أولا حد سواه، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ أومأ الواو إلى أمدح مطروحا ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ عدم المال، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ كل داء، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ حال لمع الحسام وصول الحمام، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ لدى ادعائهم الإسلام أو ادعائهم العمل الصالح، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله علا اسمه وحلا حمده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ۗ

---

(١) قال ابن الجوزي رحمه الله: قال قتادة ذكر لنا أن رجلا سأل عن البر فأنزلت هذه الآية فدعاه رسول الله فتلاها عليه وفيمن خوطب بها قولان أحدهما أنهم المسلمون والثاني أهل الكتابين فعلى القول الاول معناها ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما في هذه الآية وهذا المعنى مروي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك وسفيان وعلى القول الثاني معناها ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب وصلاة النصارى إلى المشرق ولكن البر ما في هذه الآية وهذا قول قتادة والربيع وعوف الأعرابي ومقاتل وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ليس البر بنصب الراء وقرأ الباقون برفعها قال أبو علي كلاهما حسن لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافأ النكرتان وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال أحدها الإيمان والثاني التقوى والثالث العمل الذي يقرب إلى الله قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه ولكن البر بر من آمن بالله والثاني ولكن ذا البر من آمن بالله حكاهما الزجاج وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بتخفيف نون لكن ورفع البر وإنما ذكر اليوم الآخر لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان أحدهما أنه القرآن والثاني أنه بمعنى الكتب فيدخل في هذا اليهود لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن. انظر زاد المسير (١٧٨/١).

ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [آية:١٧٨، ١٧٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾[1] الحكم المسطور هل هو محكم أمد الدهر كما حكاه مالك، ومحمد وكلام الرسول صحح إعدام المرء لإعدامها كما لإعدام المسلم ولو مملوكا لا هلاك عكسه ولو حرا أو الحكم المحرر مر عهده وهو ممحو المؤدى لا السرد والكلام، ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ للمعدم والمهلك ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المعدوم ﴿شَيْءٌ﴾ المراد: سماح كل أحد له دعوى الدم على المعدم عمدا، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ للسامح سؤال المال لا على حال الإلحاح والكره، ﴿وَأَدَاءٌ﴾ (وَ) على المهلك عمدا (أَدَاءٌ) المال ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مالك الدعوى وهو السامح ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ وهو عدم مطله له، ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المسطور وهو ادعاء الدم أو السماح وأداء المال ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لما وسع وسهله الأمر، وما حكم على واحد حكما مؤكدا كما أكد على الهود أمر الدم وعلى سواهم وهم مدعو الأهل والولد للإله أمر المال، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾

(١) قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: أعيد الخطاب بيأيُّها الذين آمنوا لأن هذا صنف من التشريع لأحكام ذات بال في صلاح المجتمع الإسلامي واستتباب نظامه وأمنه حين صار المسلمون بعد الهجرة جماعةً ذات استقلال بنفسها ومدينتها، فإن هاته الآيات كانت من أول ما أنزل بالمدينة عام الهجرة كما ذكره المفسرون في سبب نزولها في تفسير قوله تعالى بعدَ هذا: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ (البقرة: ١٩٠) الآية. تلك أحكام متتابعة من إصلاح أحوال الأفراد وأحوال المجتمع، وابتُدئ بأحكام القصاص، لأن أعظم شيء من اختلال الأحوال اختلالُ حفظ نفوس الأمة، وقد أفرط العرب في إضاعة هذا الأصل، يَعلم ذلك مَنْ له إلمام بتاريخهم وآدابهم وأحوالهم، فقد بلغ بهم تطرفهم في ذلك إلى وشك الفناء لو طال ذلك فلم يتداركهم الله فيه بنعمة الإسلام، فكانوا يغير بعضهم على بعض لغنيمة أنعامه وعبيده ونسائه فيدافع المُغَار عليه وتتلف نفوس بين الفريقين ثم ينشأ عن ذلك طلب الثارات فيسعى كل من قتل له قتيل في قَتْل قاتِل وليّه وإن أعوزه ذلك قتل به غيره من واحدٍ كفءٍ له، أو عدد يراهم لا يوازونه ويسمون ذلك بالتكايل في الدم أي كأنَّ دم الشريف يُكال بدماء كثيرة فربما قدروه باثنين أو بعشرة أو بمائة، وهكذا يدور الأمر ويتزايد تزايداً فاحشاً حتى يصير تفانياً وينتقل الأمر من قبيلة إلى قبيلة بالولاء والنسب والحلف والنصرة، حتى صارت الإحن فاشية فتخاذلوا بينهم واستنصر بعض القبائل على بعض فوجد الفرس والروم مدخلا إلى التفرقة بينهم فحكموهم وأرْهبوهم. انظر التحرير والتنوير (١٣٥/٢).

الصلح سماها أصلا أو مع المال، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حالا، وهو إهلاكه أو مآلا وهو دار الدرك.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ الإحلام ووحدهم دعاء لعلمهم وإداركهم لو أهلك أحدهم أحدا صار له الإهلاك وإدراكه لمال أمره إلى إعدامه رادع له ومسلم حاله وسواه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٨٠ - ١٨٢].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ أهل الإسلام ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ المراد: الداء الموصل للحمام ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أموالا ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ حال العدل لا كل ماله ولا ما لا كم له أصلا وهو الحد المعلوم، ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لحاصل السرد الأول ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله والأمر المسطور ممحو حكمه لا كلامه، ومحاه كلام الرسول، وحاصله: لو أوصى أحد لولده أو ما هو كحكمه ما صح.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ الحكم المحرر ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أورد الاسم الموصول مورد الهاء ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لكلام كل أحد موص ﴿عَلِيمٌ﴾ معده له.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾ ما لو مال إلى مسلك سوى العدل لا عمدا، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ما لو مال إلى المسلك المحرر عامدا له، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد: الموصي لهم، وأمرهم وهواهم إلى العدل، ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعد للمصالح على إصلاحه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ

وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ
إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ
أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آية:١٨٣ - ١٨٨]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾(١) الرسل

---

(١) قال ابن عجيبة: أي كُتب عليكم الصيام عن الحظوظ والشهوات، كما كتب على مَن سلك الطريق قبلكم من العارفين الثقات، في أيام المجاهدة والرياضات، حتى تنزلوا بساحة حضرة المشاهدات، لعلكم تتقون شهود الكائنات، ويكشف لكم عن أسرار الذات، فمن كان فيما سلف من أيام عمره مريضاً بحب الهوى، أو على سفر في طلب الدنيا، فليبادِرْ إلى تلافِي ما ضاع في أيام أخر، وعلى الأقوياء الذين يُطيقون هذا الصيام، إطعام الضعفاء من قُوت اليقين ومعرفة رب العالمين. فمَنْ تطوع خيراً بإرشاد العباد إلى ما يُقوّي يقينهم، ويرفع فهو خير له. وأَنْ تَدُوموا أيها الأقوياء على صومكم عن شهود السّوَى، وعن مخالطة الحس بعد التمكين، فهو خير لكم وأسلم، إن كنتم تعلمون ما في مخالطة الحس من تفريق القلب وتوهين الهمم، إذ في وقت هذا الصيام يتحقق وحي الفهم والإلهام، وتترادف الأنوار وسواطعُ العرفان. فمن شهد هذا فَلْيَدُمْ على صيامه، ومن لم يَقْدِر عليه فَلْيَبْكِ على نفسه في تضييع أيامه. واعلم أن الصيام على ثلاث =

والأمم أولهم عهد آدم إلى عهد الإسلام، وإرسال محمد، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كل هوى لورود الصوم كاسرا له ﴿أَيَّامًا﴾ عامله المصدر المار أو معمول لمطروح هو صوموا أو هو الأولى، والمصدر المار دال العامل المطروح، ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ عددها معلوم، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ له داء عسر معه الصوم أو لا وسع له لو صام، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وكسر الصوم وما صام، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عدد الأولى، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لطول عمر أوصلهم لحد الهرم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لكل صوم مد أو المد لواحد وواحد على ما حرره علماء الإسلام، وأسسه أهل الاطلاع الإعلام أو الحكم المسطور مما هو ممحو المؤدى لا الكلام، وعلى مسلكه حصل العمل أول العهد ومحا مؤداه أمر الصوم على كل حال، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أعطى لكل صوم أمدادا لا مدا واحدا، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ صومكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ محمول على المصدر، والمراد: الصوم أولى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ إلى أول سماء ﴿هُدًى﴾ حال ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ ساطع أمرها ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ مما هو هاد كأحكامه، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ كل ما دل على سطوع الإسلام ومسالكه، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرره لعدم طرؤ الوهم على محو ما ساواه حكما المار لعموم أمر الصوم ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ هو كالمعلل للحكم المار، ولو سرى أمر الصوم على عمومه لحصل العسر كما هو معلوم، ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ عدد الصوم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ﴾ لدى كمال عدد الصوم ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ دلكم وعلمكم معالم الإسلام، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على هداه لكم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(١) لما سأل رهط الرسول الأمر المسطر

=

درجات: صوم العوام، وصوم الخواص، وصوم خواص الخواص. انظر البحر المديد (١/٢٢٩).

(١) قال القرطبي رحمه الله: المعنى وإذا سألوك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك. واختلف في سبب نزولها، فقال مقاتل: إن عمر رضي الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فندم على ذلك وبكى، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما، وكان ذلك قبل نزول الرخصة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وقيل: لما وجب عليهم في الابتداء ترك الأكل بعد النوم فأكل بعضهم ثم ندم، فنزلت هذه الآية في قبول التوبة ونسخ ذلك الحكم،
=

أوحاه لرسوله، والمراد: كمال علمه واطلاعه على أحوالهم وكلامهم كحال أحد حال محلهم ومعهم ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ المراد: أعطاه سؤله، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ لما أمرهم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ المراد: دوامهم على حال الإسلام؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لعل الهدى حاصل لهم ومأمول وكلما ورد لعل وسط الكلام المكرم حكم على حصول مورده لا محال.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ورد محو الحكم صدر الإسلام وهو عدم حل الوطء سوى أول المساء وحكم الأكل كحكمه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كالمعلل للحكم المار، وهو حل الوطء، ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لحصول الوطء وصدوره مع عدم حله حصل لعمر وسواه وحكوه إلى الرسول وعاهدوه على عدم العود إلى ما حرم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ﴾ لما أحل الله لكم الوطء مساء الصوم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ وطئا، ﴿وَابْتَغُوا﴾ روموا ﴿مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ على اللوح، والمراد الأولاد، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مساء الصوم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ هو مد ولمع وسط السواد ﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ هو ما حلك وأسود إلى حد الأول ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ سلك السرد مسلك المعار المصرح لما طرح المعار له وهو ما لمع وسطع واسوَدَّ وحلك، وأصل محلهما المعار المسطر على الاصطلاح المعلوم ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ إلى أول وروده، ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وَرَدَ ردا لحصوله لما رحل أحدهم إلى أهله ووطئ وعاد إلى المصلى، وهو على الحكم المحرر، ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ حدها لأهل الإسلام، ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ ردعهم أسمى ردع لحصول الردع المحرر على أصل الوصول لها حسمها مردوع للأولى؛ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمه.

﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ ردع لأكل أحد مال أحد ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام على مسلك الإسلام ولا ﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾ المراد: سماع أمرها وحكمها والهاء للأموال ﴿إِلَى

=

على ما يأتي بيانه. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام، وغلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية. وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت. وقال عطاء وقتادة: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قال قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٠٨).

الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾ الحرام ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عدم مسراكم على المسرى العدل.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آية:١٨٩]:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ عدد الهلال لم أول طلوعها لا على الكمال، وهو حاصل لها أولا أولا ولدى حصوله عراها عكسه وما العلل لعدم دوام أمرها على حال واحد، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ كالصوم وعدد الحرم ولولاها لعسر الأمر عسرا ما، ﴿وَالْحَجِّ﴾ لعلم موسمه ولو مر الأمر على حال واحد لعسر عمله عسرا ما، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ المراد: أهله ﴿بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ورد ردا لما وهموه حال الإحرام، وهو عدم سلوك أحدهم إلى داره مما هو مسلك لها إلا مما هو وراءها أو سطحها، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ محارم الله، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ حال الإحرام وسواها على السواء، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ولما صد أهل اللؤم الرسول وصمموا على عدم وصوله إلى الحرم وصالحهم على وروده العالم الوارد سوى العام الأول، وحصل الصلح على الحكم المسطور، وراع أهل الإسلام عدم دوامهم على العهد وحصول صدم الجسام، وكرهوا حصوله وسط الحرم وحال الإحرام، وعصر محرم العام أوحى الله لرسوله أمرا.

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آية:١٩٠ - ١٩٣]:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١) هم كل مار وطالع عما حده الله رسوله له والحكم المسطر أول العهد، وحصل له المحو مؤدى لا كلاما لعموم أمر الحسام سوى المحل المحرر ولأمره وهو.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أصله الإدراك علما أو عملا، والمراد: إدراك الحس حلا أو حرما أحلوا الحسام على هامهم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ هو الحرم المطهر، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الإلحاد الحاصل وسط الحرم ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم وسط الحرم وحال الإحرام وعصر محرم العام المكروه كله لكم، والمرام إلحادهم أولى كرها.

﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وسط الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ وسطه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ وسطه ﴿كَذَلِكَ﴾ أعمال الحسام والطرد لهم ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عما هو إلحاد وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم لما صدر ﴿رَحِيمٌ﴾ لحالهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلحاد أصلا، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ الأعمال ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا لأحد سواه، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عما هو إلحاد وأسلموا لله ولرسوله ﴿فَلا عُدْوَانَ﴾ إهلاكا أو طردا ﴿إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هم أهل الإلحاد.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:١٩٤]:

---

(١) يرى بعض العلماء أن هذه الآيات قد وردت في الإذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرام إذا فوجئوا بالقتال بغياً وعدواناً. فهي متصلة بما قبلها أتم الاتصال، لأن الآية السابقة بينت أن الأهلة مواقيت للناس في عباداتهم ومعاملاتهم عامة وفي الحج خاصة وهو في أشهر هلالية مخصوصة كان القتال فيها محرماً في الجاهلية. فقد أخرج الواحدي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلة في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صده المشركون عن البيت الحرام - ثم صالحوه فرضي على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا ألا تفي لهم قريش، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام بالقوة ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الحرم والشهر الحرام فأنزل الله - تعالى الآيات. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٢٣/١)

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[1] كما أعلموا لكم الحسام وسطه اعملوا لهم وسطه، وهو رد لما كرهه أهل الإسلام وهو عمل الحسام وسط الحرام وحال الإحرام وعصر محرم العام، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ حرام أمام حرام، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ وسط الحرم والحرام وحال الإحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سماها كما سماها لورودها على صورها، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ حارسهم ومصلحهم.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ۛ وَأَحۡسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آية:١٩٥]:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ الأمر لعدم الإمساك كل الإمساك، ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ العامل مؤكد، والمراد الأعم ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ مصدر كالهلاك والهلك، والمراد: حصوله لكم لا مسالككم أو لعدمه أصلا ولا حال وسط وكلاهما مسدد الأعداء، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ على العموم إعطاء دراهم أو سواها ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ محص لهم أعمالهم.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا

(١) قال ابن الجوزي: هذه الآية نزلت على سبب واختلفوا فيه على قولين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي فصدهم المشركون فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل فيكون بمكة ثلاث ليال ولا يدخلها بسلاح ولا يخرج بأحد من أهل مكة فلما كان العام المقبل أقبل هو وأصحابه فدخلوها فافتخر المشركون عليه إذ ردوه يوم الحديبة فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردوه فيه فقال الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص والى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وعطاء وأبوالعالية وقتادة في آخرين والثاني أن مشركي العرب قالوا للنبي عليه السلام انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فيه فنزلت هذه الآية يقول إن استحلوا منكم شيئا في الشهر الحرام فاستحلوا منهم مثله هذا قول الحسن واختاره إبراهيم ابن السري والزجاج فأما أرباب القول الأول فيقولون معنى الآية الشهر الحرام. انظر زاد المسير (١/٢٠١).

ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ
عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ
خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟
فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ
حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم
مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [آية:١٩٦ - ٢٠٣]:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ﴾(١) أدُّوهما على أكمل الأحوال ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾

---

(١) قال الإمام الرازي رحمه الله: وجه الاستدلال به أن الإتمام قد يراد به فعل الشيء كاملا تاماً، ويحتمل أن يراد به إذا شرعتم في الفعل فأتموه، وإذا ثبت الاحتمال وجب أن يكون المراد من هذا اللفظ هو ذاك، أما بيان الاحتمال فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤) أي فعلهن على سبيل التمام والكمال، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي فافعلوا الصيام تاماً إلى الليل، وحمل اللفظ على هذا أولى من قول من قال: المراد فأشرعوا في الصيام ثم أتموه، لأن على هذا التقدير يحتاج إلى الإضمار، وعلى التقدير الذي ذكرناه لا يحتاج إليه فثبت أن قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه الإتيان به على نعت الكمال والتمام فوجب حمله عليه، أقصى ما في الباب أنه يحتمل أيضاً =

لحصول العدوة وورد حصره وأحصره كصده وأصده كلاما ومراما كما ورد لا حصر إلا حصر العدو، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ المراد: لو أحصر المحرم وأراد حل إحرامه إلا إهداء الدم ووصوله لمحله لدى الإمام لورود، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ وهو الحرم، والمراد: حل الإحرام للمحرم وصول الدم المهدى إلى محله كما هو مؤدى السرد المكرم أو المحل المحرر محمول على محل حل الإحرام ولو سوى الحرم الحرام وهو محل الإحصار، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كهوام أو ألم ما، ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ كصوم عدد وهو واحد وواحد، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ كالعدد المار أصوعا ملؤها أحد ما كول أهل محله، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ المرد: الدم، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ الإحصار أو العدو، ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ المراد: إلى إحرامه، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ وهو دم مهدى لحل الإحرام، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الدم لعدمه أو عدم مال ودراهم له ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ المراد: عصره أو الحال الإحرام، ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهلكم ومحلكم أو المراد: كمال أعماله، ﴿تِلْكَ

=

أن يكون المراد منه أنكم إذا شرعتم فيه فأتموه، إلا أن حمل اللفظ على الوجه الأول أولى، ويدل عليه وجوه الأول: أن حمل الآية على الوجه الثاني يقتضي أن يكون هذا الأمر مشروطاً، ويكون التقدير: أتموا الحج والعمرة لله إن شرعتم فيهما، وعلى التأويل الأول الذي نصرناه لا يحتاج إلى إضمار هذا الشرط، فكان ذلك أولى والثاني: أن أهل التفسير ذكروا أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الحج فحملها على إيجاب الحج أولى من حملها على الإتمام بشرط الشروع فيه الثالث: قرأ بعضهم ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله﴾ وهذا وإن كان قراءة شاذة جارية مجرى خبر الواحد لكنه بالاتفاق صالح لترجيح تأويل على تأويل الرابع: أن الوجه الذي نصرناه يفيد وجوب الحج والعمرة، ويفيد وجوب إتمامهما بعد الشروع فيهما، والتأويل الذي ذكرتم لا يفيد إلا أصل الوجوب، فكان الذي نصرناه أكبر فائدة، فكان حمل كلام الله عليه أولى الخامس: أن الباب باب العبادة فكان الاحتياط فيه أولى، والقول بإيجاب الحج والعمرة معاً أقرب إلى الاحتياط، فوجب حمل اللفظ عليه السادس: هب أنا نحمل اللفظ على وجوب الإتمام، لكنا نقول: اللفظ دل على وجوب الاتمام جزماً، وظاهر الأمر للوجوب فكان الإتمام واجباً جزماً والاتمام مسبوق بالشروع، وما لا يتم الواجب إلا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب، فيلزم أن يكون الشروع واجباً في الحج وفي العمرة السابع: روي عن ابن عباس أنه قال: والذي نفسي بيده إنها لقرينتها في كتاب الله، أي إن العمرة لقرينة الحج في الأمر في كتاب الله يعني في هذه الآية فكان كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣) فهذا تمام تقرير هذه الحجة. انظر تفسير الرازي)(١/٨٠٥).

عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ حاصلها مؤكد للحكم الأول، ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر وهو الدم أو الصوم ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد: سوى أهل الحرم أو الأولى وراء محل الإحرام أو أهل الحل على العموم كله مسالك العلماء، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اعملوا وأدوا ما أمركم وراعوا أوامره، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل أحد ما راعى أوامره.

﴿الْحَجُّ﴾ عصره ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[1] المراد: إحرامه له أو أرسل ما أراد إهداءه وهو الدم، ﴿فَلا رَفَثَ﴾ وطء، ﴿وَلا فُسُوقَ﴾ ما عم الحرام، ﴿وَلا جِدَالَ﴾ مراء ﴿فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ وهو معده لكم، ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ورد أمرا لكل أم الحرم الحرام وما معه مأكل ولا مطعم، وهو كل على السؤال، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ لسؤال كل أحد، ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ورد ردا لما كرهوه وهو إعمال الأموال لكل آم الحرم، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ هلوا وادعوا ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ لكام معلوم كما ورد، ورواه مسلم حلول الرسول ووروده إلى اللكام المحرر ودعاؤه، وهو محل الأمام، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لمعالم المسلك الموصل إلى الله وأعمال ما أمركم، ولولا هداه لكم لما حصل وما لمصدر، وعامله أدى مؤدى اللام المعلل، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ المراد: الهدى، ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ الأولى لا هدى لهم.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الأمر لكرماء أهل الحرم لما وحدوا محلهم

---

(١) في الكلام حذف تقديره أشهر الحج أشهر أو وقت الحج أشهر أو وقت عمل الحج أشهر والغرض إنما هو أن يكون الخبر عن الابتداء هو الابتداء نفسه والحج ليس بالأشهر فاحتيج إلى هذه التقديرات ومن قدر الكلام الحج في أشهر فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الأشهر ولم يقرأ بنصبها أحد وقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقال ابن عباس والشعبي والسدي وإبراهيم هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة والقولان لمالك رحمه الله حكى الأخير ابن حبيب وجمع على هذا القول الأخير الاثنان وبعض الثالث كما فعلوا في جمع عشر فقالوا عشرون لعشرين ويومين من الثالث، فمن قال إن ذا الحجة كله من أشهر الحج لم ير دما فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر لأنها في أشهر الحج وعلى القول الآخر ينقضي الحج بيوم النحر ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك. انظر زاد المسير (١/٢٠٥)

سموا لحالهم وأمرهم الله إلى ورودهم كلهم مع العالم إلى محل واحد، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل احد أراد محو أعمال له ساء مصدرها.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ معمول المصدر، والمراد: اعملوا كعملكم على عهدكم الأول، وهو سرد أحدكم أعمال والده ومحامده على مسلك المدح، والمراد: أدوها لله كأدائكم لها لوالد أحدكم، ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ حال المصدر المأموم له أو مردود رده أو إلى معمول المصدر أو على المصدر الأول، ومحله كمحله على الأول اصطلاح المرسل، ﴿ذِكْرًا﴾ مصدر معمول المطروح دل على طرحه العامل الأول، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ سهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ آلاء، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ دار الدرك والكدر السرمد دعاء لعدم ورودها أصلا.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ كل عمل صالح لهم كالدعاء المحرر وسواه، ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ معد لكل العالم عملهم ومرء لكل واحد وحده ما صدر له طول عمره وما عمله وحاسم لهم كلهم كلمح المرأى.

﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أسرع ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ ورمى وصدر، ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لحصول الإسراع، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ المراد كلاهما على حد سواء ما هو مكروه ولا حرام وعدمهما هو ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ محارم الله، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لدى المعاد وكل أحد راء عمله.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [آية: ٢٠٤ - ٢٠٦]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١) وهو ادعاؤه الإسلام وما هو

---

(١) يعجبك: من الإعجاب بمعنى الاستحسان، تقول. أعجبني هذا الشيء، أي: استحسنته وعظم في نفسي. و" من " للتبعيض. والمعنى: ومن الناس فريق يروقك منطقهم، ويعجبك بيانهم، ويحسن =

مسلم، أو المراد: حلو الكلام وصدره طاوٍ مكرًا ومرارا، ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ آلى على كلامه وورده مساو لما طواه صدره، وآلى على عدم مكره، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ له لك كمال المراء وهر عدو ألد.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ كما سعى هو وأهلك لما مر على كلاء أهل الإسلام واصلاه ومر على حمرهم وأهلكها، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ مردود ومكروه له.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ﴾ واعمل عملا مرادا، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حمله حمده روحه على العمل ﴿بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ما مهد ووطأ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية:٢٠٧]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾[1] معط كمال حاله للعمل المراد لله ﴿ابْتِغَاءَ

= عندك مقالهم. فأنت معجب بكلامهم الحلو الظاهر، المر الباطن، وأنت في هذه الدنيا لأنك تأخذ الناس بظواهرهم، أما في الآخرة فلن يعجبك أمرهم لأنهم ستنكشف حقائقهم أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية، وسيعاقبهم عقاباً أليماً لإظهارهم القول الجميل وإخفائهم الفعل القبيح. وعلى هذا التفسير يكون قوله: ﴿فِي الحياة الدنيا﴾ متعلقاً بيعجبك. وبعضهم يجعل قوله ﴿فِي الحياة الدنيا﴾ متعلقاً بالقول فيكون المعنى عليه ومن الناس فريق يعجبك قولهم إذا ما تكلموا في شئون الدنيا ومتعها لأنها منتهى آمالهم، ومبلغ علمهم، وأصل حبهم، ومن أحب شيئاً أجاد التعبير عنه، أما الآخرة فهم لا يحسنون القول فيها، لأنهم لا يهتمون بها، بل هم غافلون عنها، ومن شأن الغافل عن شيء ألا يحسن القول فيه. ويبدو لنا أن تعلق الجار والمجرور بيعجبك أرجح، لأنه يتفق مع السياق إذ سياق الحديث في شأن الذين يقولون بأفواههم لما ليس في قلوبهم، ويخدعون الناس بمعسول بيانهم مع أن نفوسهم مريضة، وليس في شأن الذين يحسنون الحديث عن شئونها المختلفة، بل إن بعض الذين يحسنون الحديث في شئون الدنيا لم يضيعوا أخراهم وإنما عمروها بالعمل الصالح، فهم جامعون بين حسنتي الدنيا والآخرة. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٤٩/١).

(١) قال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال: أحدها أنها نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو معنى قول عمر وعلي رضي الله عنهما والثاني أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته وقد شرحنا القصة وهذا قول ابن عباس والضحاك والثالث أنها نزلت في صهيب الرومي واختلفوا في قصته فروي أنه أقبل مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل فانتثل كنانته وقال: قد علمتم أني من =

مَرْضَاتِ اللهِ﴾ روما لها، ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ لما أهلهم لإدراك محالها وأوحى الله ردا على ولد سلام وسواه لما حرموا لحم العلطوس مع إسلامهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية:٢٠٨، ٢٠٩]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ مكسورا وكهدم هو الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال السلم، والمراد: عملهم وسلوكهم على سائر أحكامه وعدم رد أحد ورد أحدها كردها كلها، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما حلاه لكم، وهو الإسلام لأحد لا أحكام ورد أحدها؛ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ مال أحدكم أو كلكم وما أسلم لكل الأحكام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ كل ما دل على سطوع هدى الإسلام، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ معد لكل أحد عمله ﴿حَكِيمٌ﴾ معامل له على مسلك العدل.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [آية:٢١٠]:

﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ المراد: أمره أو ما أعده لهم على مسلك

=

أرماكم بسهم وايم الله لا تصلون إلي حتى ارميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فان شئتم دللتكم على مالي قالوا فدلنا على مالك نخل عنك فعاهدهم على ذلك فنزلت فيه هذه الآية فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ربح البيع أبا يحيى وقرأ عليه القرآن هذا قول سعيد بن المسيب وذكر نحوه أبو صالح عن ابن عباس وقال إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق وذكر مقاتل أنه قال للمشركين انا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم ولي عليكم حق لجواري فخذوا مالي غير راحلة واتركوني وديني فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة فأقام ما شاء الله ثم ركب راحلته فأتى المدينة مهاجرا فلقيه أبو بكر فبشره وقال نزلت فيك هذه الآية وقال عكرمة نزلت في صهيب وأبي ذر الغفاري فأما صهيب فأخذه أهله فافتدى بماله واما أبو ذر فأخذه أهله فأفلت منهم حتى قدم مهاجرا والرابع أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله قاله الحسن وابن زيد في آخرين والخامس أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهروا هذا قول قتادة. انظر زاد المسير (١/٢٢٤).

المرسل، وهو مسلك الطرح ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ الركام، ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ الأولى هم رسل ورود الأمر أو المعد لهم، ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ كمل أمر هلاكهم، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ لدى المعاد.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية:٢١١]:

﴿سَلْ﴾ الأمر لمحمد رسوله أو عام لكل أحد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ﴾ سؤال معمول لما أمه وهو ﴿آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ أوردها لهم رسولهم موسى كالعصا والسلوى وما حمدوا لها، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ وعلمها وأدركها، ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية:٢١٢]:

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وأرداهم هواها، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (وَ) هم (يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) لعدمهم كعمار وسواه، وحصولهم على الأموال سواهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ كل مود إلى الهلاك السرمد ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مملك أهل الإسلام أموالهم ورؤسهم.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [1][آية:٢١٣]:

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: في هذه الآية إضراب انتقالي عن الكلام السابق فاحتاج إلى وجه مناسبة به، فقال الطيبي أخذاً من كلام (الكشاف): إن قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ (البقرة: ٢١٣) كلام ذُكرت فيه الأمم السالفة وذُكر من بعث إليهم من الأنبياء وما لَقُوا منهم من الشدائد، ومُدْمِجٌ لتشجيع الرسول والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين كما قال: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ (هود: ١٢٠) فمن هذا الوجه كان الرسول =

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على المسلك السواء والهدى أولهم عهد آدم إلى علو الماء وهلاك الأمم، وحصل ما حصل وعدم الهدى، ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ إلى الأمم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ أهل الهدى، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أهل العمى، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ (ال) للعموم لا للعهد ﴿بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ﴾ الله أو رسوله أو الكلام المرسل لهم ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ المراد: حصل العكس لورود الكلام الموحى رادعا ورادا إلى الهدى وهم عكسوا الأمر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسدا وحرصا الأموال وسواها؛ ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المسلك الموصل إلى السرور السرمد.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [آية: ٢١٤]:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ الكلام للرسول وأهل الإسلام ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُمْ

=

وأصحابه مُرادين من ذلك الكلام، يدل عليه قوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا ﴾(البقرة: ٢١٣) وهو المضرب عنه ببل التي تضمنّها أَمْ أي دَعْ ذلك، أحَسِبُوا أن يدخلوا الجنة اهـ. وبيانه أن القصد من ذكر الأمم السالفة حيثما وقع في القرآن هو العبرة والموعظة والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه بسوء عملهم والاقتداءُ في المحامد، فكان في قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة ﴾ الآية إجمال لذلك وقد ختم بقوله ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾، ولما كان هذا الختام منقبة للمسلمين أُوقِظوا أنْ لا يُزْهَوْا بهذا الثناء فيحسبوا أنهم قضَوْا حق شكر النعمة فعقب بأن عليهم أن يصبروا لما عسى أن يعترضهم في طريق إيمانهم من البأساء والضراء اقتداء بصالحي الأمم السالفة، فكما حذرهم الله من الوقوع فيما وقع فيه الضالون من أولئك الأمم حرضهم هنا على الاقتداء بهدي المهتدين منهم على عادة القرآن في تعقيب البشارة بالنذارة وعكس ذلك، فيكون قوله: ﴿أم حسبتم ﴾ إضراباً عن قوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا ﴾ وليكون ذلك تصبيراً لهم على ما نالهم يوم الحديبية من تطاول المشركين عليهم بمنعهم من العُمرة وما اشترطوا عليهم للعام القابل، ويكون أيضاً تمهيداً لقوله: ﴿كتب عليكم القتال ﴾ (البقرة: ٢١٦) الآية، وقد روي عن أكثر المفسرين الأولين أن هذه الآية نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجَهد والشدائد فتكون تلك الحادثة زيادة في المناسبة. انظر التحرير والتنوير (٢/٣١٣).

﴿مَثَلُ﴾ ما مر وورد إلى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أهل الهدى، وهو كل لأواء وأمر عسر حمله ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾ العدم، ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ الداء، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ لحصول الأهوال ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ المراد حصل كلام الرسول ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾ الموعود لهم لما طال حصولهم المرام سألوه الله ورد الله سؤالهم مؤكدا لهم حصوله ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ حصوله وورده لكم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [آية:٢١٥]:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ المسئول محمد رسول الله، والسائل عمر، والمعهود له طول العمر ووسع المال، والسؤال حصل للكم والمحل ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ ما صرح لهم الكم لعمومه وأما المحل ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ أحد أولاد الرحم المعدم، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل أحد لا وصول له إلى حدود محله ولا مال له، والمراد هؤلاء المحل للإعطاء، وهم أولى أو للسؤال حاصل أصلا إلى الكم وحده، وورد رد السؤال إلى المحل لوروده أهم والسؤال له أولى، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ على العموم ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ معده لكم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [آية: ٢١٦]:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ الكره مصدر ورد مورد المكروه، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ حالا ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مآلا، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ حالا ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ مآلا لعدم حصولكم على العلو على أعدائكم ودوامكم على حال العدم لعدم المال، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ الصالح والأصلح لكم حالا ومآلا، ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وعدم علم حكم أمر الآمر مود إلى إسراع المأمور أمر له.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ

مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آية:٢١٧]:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ **السائل أهل اللؤم لا أهل الإسلام، والمسئول الرسول سألوه لما أحل حلول الحسام رؤسهم أول الحرم، ورأوه عارا على الإسلام أوحاه الله لرسوله** ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ **المحرم** ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ **معمول على اصطلاح العامل المكرر.**

﴿قُلْ﴾ **لهم** ﴿قِتَالٌ فِيهِ﴾ **أول كلام** ﴿كَبِيرٌ﴾ **محمول على أول الكلام** ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ **المراد: الإسلام أو كل مسلك موصل إلى الله،** ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ **(الهاء) لله،** ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ **(وَ) صد، (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) وهم الرسول وأهل الإسلام معه** ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ﴾ **عارا لدى الله لو صح حمل ما وهموه وادعوه على العار وهو عار واحد وما عدده الله لهم سوى عار واحد وحمله أولى،** ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ **عدم الإسلام** ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ **لكم وإهلاككم،** ﴿وَلا يَزَالُونَ﴾ **أهل اللؤم** ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ **الكلام مع أهل الإسلام** ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ **الإسلام إلى عكسه** ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ **المراد: حصل المحو لكل عمل صالح لهم** ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ **والمراد: دوامهم على عدم الإسلام إلى ورود الحمام، ولو عاد إلى الإسلام عاد له عمله،** ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ **ولما ما أمل أهل الإسلام حصولهم على العمل الصالح لإهلاكهم أهل اللؤم وسط المحرم وعدهم الله وأوحى لرسوله.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٢١٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ **لإعلاء أمره وحكمه** ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ﴾ **ما أعده لهم على عملهم الصالح،** ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ **لأهل الإسلام** ﴿رَحِيمٌ﴾ **لحالهم.**

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ

إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [آية:٢١٩، ٢٢٠]:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾[1] السكر وكل مسكر حكمه كحكمه، ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ مصدر كالموعد، وهو الوصل إلى مال سواه على مسلك واصطلاح محرم معلوم، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ كلاهما مود إلى المراء وهو محرم، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ السرور للسكر وحصول ولا كد، ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ ما أدى له كلامها ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ المسطور،

---

(١) السائلون هم المؤمنون وسؤالهم إنما هو عن الحكم الشرعي من حيث الحل والتحريم. لا عن الحقيقة والذات فإنهم يعرفون حقيقة الخمر والميسر وذاتهما. قال القرطبي: والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها - وكل شيء غطى شيئاً فقد خمره. ومنه: خمروا آنيتكم، فالخمر تخمر العقل، أي: تغطيه وتستره.. فلما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت بذلك، وقيل إنما سميت الخمر خمرا؛ لأنها تركت حتى أدركت كما يقال: قد اختمر خمراً لأنها تخالط العقل من المخامرة وهي المخالطة ومنه قولهم: دخلت في خمار الناس - بفتح الخاء وضمها - أي: اختلطت بهم. فالمعاني الثلاثة متقاربة. فالخمر تركت وخمرت حتى أدركت، ثم خالطت العقل. ثم خمرته، والأصل الستر. ويرى كثير من العلماء أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الخمر. ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ لا تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنْتُمْ سكارى حتى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ ثم نزلت الآية التي في سورة المائدة ﴿يا أيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ والدليل على ذلك ما رواه أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا " فنزلت هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخمر ﴾ فدعى عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ". فنزلت الآية التي في النساء ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ لا تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنْتُمْ سكارى ﴾ فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة - نادى أن: لا يقربن الصلاة سكران. فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا " فنزلت الآية التي في المائدة، فدعى عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ ﴾ قال عمر: " انتهينا ". وبهذا الرأي قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. ويرى بعض العلماء أن أول آية نزلت في الخمر هي قوله - تعالى - في سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النخيل والأعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ وعلى هذا الرأي سار صاحب الكشاف وتبعه بعض العلماء فقد قال: نزلت في الخمر أربع آيات، نزل بمكة قوله - تعالى - ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النخيل والأعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم. ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فشربها قوم وتركها آخرون. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٨٢/١).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ سألوا لكم، والسائل عمرو كما مر أولا ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ هو عدم وصول كل معط له إلى حال الكل وإعطاء ما هو سهل إعطاؤه، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أورد لكم الله ما سرده وحكاه ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ لعمل الأصلح والأولى لحالكم، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ أوحاه الله لرسوله لما طرحوهم لا واكلوهم ولا عاملوهم، وحصل لهم العسر لطرح أموالهم وحدها وطعامهم وحدها، ﴿قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ﴾ عمل الأصلح لهم مالا أو طعاما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ولهم، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ المراد: حط مال طعامهم إلى مال طعامكم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ إسلاما

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم وأحوالهم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لها، وهو معد لكل واحد عمله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾ ما وسع لكم وحرمه ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ كاهر لا مكهور، ﴿حَكِيمٌ﴾ محكم أوامره.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية:٢٢١]:

﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ سوى أهل الإسلام، وهو حكم عام حل محل مراد معلوم أحله محله حكم سوى المحرر وحلل أمم موسى والرسول الآم لموسى ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لكمال أو كلام أو مال والواو الام لها لو واو الحال.

﴿وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ المراد: عدم إعطائهم أحد أهل الإسلام وهو حكم محكم ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ مالا وكمالا وكلاما؛ ﴿أُولَئِكَ﴾ المراد: أهل اللؤم ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لعملهم كل عمل مؤد لها، وهو عمل حامل على عدم وروده صهر الأحد أهل الاسلام، ﴿وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ إلى كل عمل مود لها ﴿بِإِذْنِهِ﴾ لحصول الكل مرادا له، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لإدراك الأصلح وردع الهوى.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [آية:٢٢٢]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾(١) المراد: أهله وحال السلوك مهم ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ كره مدر، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المراد: عدم الوطء حاله إلى حال الطهر، ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ وطئا ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ وهو المحل المعلوم لا سواه ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ المراد: مكرم لهم.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:٢٢٣]:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ محل مورد الأولاد، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ إلى محله ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ على كل حال أرادها الواطئ والأمر لعدم المكروه ورد ردا على الهود لما ادعوا وطء المرء أهله على حال حط صدرها على المهاد وهو وراءها مود إلى حول ولدها، ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح لدى الوطء كالدعاء وسواها مما هو وارد،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: ذكر الطبري عن السدي أن السائل ثابت بن الدحداح - وقيل: أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وهو قول الأكثرين. وسبب السؤال فيما قال قتادة وغيره: أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد: كانوا يتجنبون النساء في الحيض، ويأتونهن في أدبارهن مدة زمن الحيض، فنزلت. وفي صحيح مسلم عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لَبَنٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما. قال علماؤنا: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض، وكانت النصارى يجامعون الحيض، فأمر الله بالقصد بين هذين. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣/٨١).

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾ لدى المعاد وكل احد راء عمله، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل الإسلام الكامل لهم دار وسرور السرمد.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) [آية:٢٢٤]:

﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ﴾ ورد لما آلى أحد إلا رداء الكرام وهو أولهم، وأول أمام على عدم إطعامه لمسطح لما حصل ما حصل أو آلى سواه على عدم

(١) في الآية ثلاثة أشياء: أولا: أن تبروا، أي أن تفعلوا البر. والبر قد يكرهه الإنسان لأنه شاق على النفس. ثانيا: أن تتقوا، أي أن تتجنبوا المعاصي، والتقوى تكون أيضا شاقة في بعض الأحيان. ثالثا: أن تصلحوا بين الناس، أي أن تصلحوا ذات البيْن، وقد يكون في الإصلاح بين الناس مؤونة وذلك بعد أن تمتنعوا أن تجعلوا الله عرضة للقسم.

وحين يقول الحق: ﴿وَلا تَجْعَلُواْ الله عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ﴾ فالعرضة هي الحجاب، وهي ما يعترض بين شيئين، ﴿عُرْضَةً﴾ هي أيضا الأمر الصالح لكل شيء، فيقال: «فلان عرضة لكل المهمات». أي صالح. والعرضة كما عرفنا هي ما اعترض بين شيئين، كأن يضع الإنسان يده على عينيه فلا يرى الضوء، هنا تكون اليد « عُرْضة » بين عيني الإنسان والشمس إن الإنسان يحجب بذلك عن نفسه الضوء. كأن الحق يقول: « أنا لا أريد أن تجعلوا اليمين عرضة بين الإنسان وفعل الخير والبر والتقوى ». فعندما يطلب منك واحد أن تبر من أساء إليك فقد تقول: « أنا أقسمت ألا أبر هذا الإنسان » إنك بذلك جعلت اليمين بالله مانعاً بينك وبين البر. ويريد الحق بذلك القول أن ينبهنا إلى أن القسم به لا يجوز في منع البر أو صلة الرحم أو إصلاح بين الناس.. ومن حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فليفعل الخير وليكفر عن يمينه لماذا؟ لأن المؤمن عندما يحلف على ألا يفعل خيراً فهو يضع الله مانعاً بينه وبين الخير، وبذلك يكون قد ناقض المؤمن نفسه بأن جعل المانع هو الحلف بالله. إن الله هو صاحب الأمر بالبر والتقوى والإصلاح بين الناس. لذلك فالحق يقول: ﴿وَلا تَجْعَلُواْ الله عُرْضَـةً لأيْمَـانِكُمْ﴾. أي أن الحق يريد أن يحمي عمليات البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

إنك إن حلفت أيها المؤمن ألا تفعل هذه العمليات، فالحق يريد لك أن تحنث في هذا القسم وأن تفعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس حتى لا تتناقض مع تشريع الله. ونحن عندما نجد المجتمع وقد صنع فيه كل فرد البر، واتقى فيه كل إنسان المعاصي، ورأى فيه كل إنسان نزاعاً بين جماعتين فأصلح هذا النزاع، أليس هذا دخولا في السلم كافة. إذن فالحق يريد أن يستبقي للناس ينابيع الخير وألا يسدوها أمام أنفسهم. إن الحق هو الآمر بألا يجعل المؤمن اليمين مانعاً بين الإنسان والبر، أو بين الإنسان والتقوى، أو بين الإنسان والإصلاح بين الناس. ويتساهل الإسلام في مسألة التراجع والحنث في البر فيقول السلف الصالح: « لا حنث خير من البر ». انظر تفسير الشعراوي (٦٠٥/١).

إصلاحه مع أحدهم، والمراد: عدم صدوره على عدم عمله العمل الصالح كصلح وإعطاء مال وسواهما كما حكاه الله ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ولو آلى على ما حرر حلل ما إلى وأسرع للعمل، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سامع الكلام وعالم الأحوال.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [آية:٢٢٥]:

﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو كل ما أسرع الكلام له وأصدره الواحد لا على مسلك العمد كلا والله ووالله، ولو حرك الهاء صار حكمه حكم العامد، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ المراد: ما عمد الواحد وصمم لا إسراع كلام كما مر، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لما صدر لا على العمد، ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع لإهلاك كل عاص.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آية:٢٢٦، ٢٢٧]:

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ على عدم الوطء ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ عادوا إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما آسوا على حرمهم وهو عدم وطئهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ لما صدر.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا﴾ صمموا وأموا ﴿الطَّلاقَ﴾ لعدم الوطء أو ما هو حكمه كحكمه، ﴿فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامهم الحاصل، ﴿عَلِيمٌ﴾ مرامهم.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [آية:٢٢٨]:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أطهار، وهو اسم للطهر، أو اسم للدم، والحكم سار على ما وطئه المرء أو ما حكمه كحكم الوطء وسواهما لا وعدم الدم أصلا لهرم أو عكسه مود إلى ورود مدده على الحال الوسط المعلوم، والحامل حط

حملها والإماء طهر وطهر وكله سطره وحرره الكلام المكرم ما عدا الإماء أورده الرسول الأكرم.

﴿وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ على العموم دما أو ولدا ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ المعاد، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى عصمهم ما دام ما كمل عدد الأطهار أو ما حكمه كحكمها، وهو المدد على ما مر ولو كره الأهل الرد المحرر ﴿فِي ذَلِكَ﴾ وسط الأطهار أو ما حكمه وهو المدد، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ لأهلهم، ﴿وَلَهُنَّ﴾ وللأهل على المرء ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ للمرء ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ وهو أحكام الأهل للمرء وأحكام المرء للأهل، كالاطعام والكسو والدار وعدم الكهر على المرء، وعلى الأهل إسلام الحال إلى المرء على كل حال سوى ما حرم، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ على ما حكم الله ورسوله، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وهو السلوك على محور أمرهم لما أعطوه مهرا، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ محكم أوامره وأحكامه إلى العالم.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [آية:٢٢٩]:

﴿الطَّلاقُ﴾ المراد: ما له رد إلى العصم ﴿مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ﴾ أول كلام محمول مطروح وهو على المرء ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ إرسال للأهل ﴿بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ وهو المهور ﴿شَيْئًا﴾ لو سرح المرء أهله ﴿إِلا أَنْ يَخَافَا﴾ كلاهما الأهل والمرء ﴿أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ ما حده لهما وهو الأحكام المار سردها على المرء والأهل، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْهِمَا﴾ على الأهل والمرء ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ وهو ما أعطاه الأهل للمرء على الإرسال، ﴿تِلْكَ﴾ الاحكام المار سردها ﴿حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ

يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ [آية:٢٣٠]:

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾(١) المرء سوى المرء الأول ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْهِمَا﴾ على المرء الأول والأهل ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ ما حده لهما، وهو الأحكام المار سردها، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ الأحكام ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لهم إدراك لما حده الله لهم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٣١]:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو الإطهار أو المدد لسوى أهل الدم والحمل، وما المراد حصول المرور كمالا، وحاصل المراد وصول الأهل إلى حدود الوصول إلى مرور الإطهار، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ ردا إلى عصمكم ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ على ما حكم الله ورسوله، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ المراد: أو دعوا الأهل إلى مرور الإطهار على الكمال، ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ ردا إلى عصمكم ﴿ضِرَارًا﴾ معمول له ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ لحمل الأهل على إعطاء المال للمرء لإرسالها، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ وهو إمساكها لحملها على إعطاء المال ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أوردها مورد الألم.

﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ لعدم السلوك على أحكامها وحدودها، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ ما أولاكموه وهو الإسلام، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ كل حكم حواه الكلام المكرم ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ لأداء حمد الآلاء

---

(١) ذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت في تميمة بنت وهب بن عتيك النضيري وفي زوجها رفاعة بن عبد الرحمن القرظي وقال غير مقاتل إنها عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ثم طلقها فأتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فأبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. انظر زاد المسير (١/٢٦٦).

وأداء حمدها العمل على مسلكها، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم السر وسواه.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية:٢٣٢]:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو مرور الإطهار أو المدد على الكمال أو حط الحمل، ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ المراد: عدم ردع الوالد أو سواه للحرم كما رواه الحاكم وعلل ورود الحكم المسطور.

﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ كل أحد مع أهله ﴿ذَلِكَ﴾ عائد إلى لا ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ هو الحاصل له لا سواه، ﴿ذَلِكُمْ﴾ عدم ردع الوالد أو سواه الحرم، ﴿أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما هو مود إلى حصول أمر محرم لردعكم، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو الصالح لكم ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وعدم العلم مود إلى سلوك المأمور على مسلك أمر الآمر.

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٢٣٣]:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾(١) لام الأمر مطروح ﴿أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ مؤكد،

---

(١) قال الطاهر بن عاشور: في هذه الآية انتقال من أحكام الطلاق والبينونة؛ فإنه لما نهى عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات؛ لأن ذلك قد يضر بالأولاد، ويقلل رغبة الأزواج فيهن، كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهم في ذلك، فإن أمر الإرضاع مهم، لأن به =

والأمر والحكم المحرر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ على الكمال، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وهو الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام كل أم، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على وسع حال الوالد وعدم وسعه أو عدمه، ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ وهو إكراهها على إعطائها الولد، ﴿وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ لا كراهه على إعطاء ما لا وسع له على إعطائه، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ للوالد وهو الولد، والمراد: كل محرم، والواو للرد رد على وما أمها على الكلام الأول وهو على المولود له ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ كما على الوالد إطعاما وسواه، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ والد الولد وأمه ﴿فِصَالا﴾ للولد صادرا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ لصالح الولد، ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ﴿عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ الكلام لكل والد ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ﴾ أراد: أحدكم، أو كلكم إعطاء ولده لسوى أمه ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ﴾ ما أراد أحدكم أو كلكم إعطاءه لسوى الام ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ مع عدم الكره حال الإعطاء، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم كل سر وعكسه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٣٤]:

=

حياة النسل، ولأن تنظيم أمره من أهم شؤون أحكام العائلة. واعلم أن استخلاص معاني هذه الآية من أعقد ما عرض للمفسرين. فجملة ﴿والوالدات يرضعن﴾ معطوفة على جملة ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ (البقرة: ٢٣٢) والمناسبة غير خفية. والوالدت عام لأنه جمع معرف باللام، وهو هنا مراد به خصوص الوالدات من المطلقات بقرينة سياق الآي التي قبلها من قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة: ٢٢٨) ولذلك وصلت هذه الجملة بالعطف للدلالة على اتحاد السياق، فقوله: ﴿والوالدات﴾ معناه: والوالدات منهن، أي من المطلقات المتقدم الإخبار عنهن في الآي الماضية، أي المطلقات اللائي لهن أولاد في سن الرضاعة، ودليل التخصيص أن الخلاف في مدة الإرضاع لا يقع بين الأب والأم إلا بعد الفراق، ولا يقع في حالة العصمة؛ إذ من العادة المعروفة عند العرب ومعظم الأمم أن الأمهات يرضعن أولادهن في مدة العصمة، وأنهن لا تمتنع منه من تمتنع إلا لسبب طلب التزوج بزوج جديد بعد فراق والد الرضيع؛ فإن المرأة المرضع لا يرغب الأزواج منها؛ لأنها تشتغل برضيعها عن زوجها في أحوال كثيرة. انظر التحرير والتنوير (٤٢٩/٢).

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ لورود حمامهم ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ لهم ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ لام الأمر مطروح ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وهو حكم لما سوى الحوامل والحوامل طرح الحمل كما مر ومدد الإماء وسط مدد الحرائر كما حكاه الرسول الأكرم، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ لكمال المدد وحط الحمل ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الكلام مع الولد ووالده أو ما حكمه كحكمه، وهو كل محرم مع عدم الوالد أو والده وولده كما هو معلوم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ وهو عدم الإحداد وحمل الحلى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما حده الله ورسوله، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم السر وسواه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آية:٢٣٥]:

﴿وَلا جُنَاحَ﴾ ملام ﴿عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ كأداء السلام وحلو الكلام ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ما أسره كل أحد لروم الأهل ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ وحلل لكم الكلام الحلو، ﴿وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ المراد: وطئا ووعدا مسرا وهو ما أدى الحال إلى أسراره كالوطء، ﴿إِلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا﴾ وهو السلوك على مسلك ما حده الله ورسوله وحللاه لكم، ﴿وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ إلى عصمكم، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ وهو مرور الإطهار أو المدد أو حط الحمل للحوامل، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ما أسره كل واحد ﴿فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لكل مراع حدوده، ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع إلى ألم كل أحد سرى على سوى مسلك أوامره.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية:٢٣٦]:

﴿لا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[(١)] المراد: الوطء ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تفرضوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا وما للصدر، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوها ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ أهل المال الواسع ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ وهو سوى أهل الأموال ﴿قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ على ما حكم الله وحد ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ كل طائع.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [آية:٢٣٧]:

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ المراد: الوطء أو ما حكمه كحكمه، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا معلوما، ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ معطى لأهلكم ﴿إِلا أَنْ يَعْفُونَ﴾ الأهل ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو المرء، والمراد: لو أعطى كل المسمى لأهله، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ حاصل المصدر أول كلام محموله ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهو معد لكل أحد عمله.

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [آية:٢٣٨، ٢٣٩]:

---

(١) أي ما لم تجامعوهن ولم تدخلوا بهن والمس في أصل معناه: اللمس، ويقال فيما معه إدراك بحاسة اللمس، ثم أطلق على سبيل الكناية على ما يكون بين المرء وزوجه من جماع ومباشرة وعلى غير ذلك مما يكون فيه إصابة حسية أو معنوية. وهذه الكناية من ألطف التي تربى في الإنسان حسن الأدب، وسلامة التعبير، وتجنبه بالنطق بالألفاظ الفاحشة. وقد تكرر هذا التعبير المهذب في القرآن الكريم ومن ذلك قوله - تعالى - حكاية عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أنى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ...﴾ والمراد بالفريضة هنا المهر الذي يفرضه الرجل على نفسه للمرأة قبل الدخول بها.

والمعنى: لا إثم عليكم أيها الرجال إذا طلقتم النساء لأسباب مشروعة، وبطريقة مرضية، قبل الدخول بهن، وقبل أن تقدروا لهن مهراً معيناً. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٤٣٢/١).

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ كلها أداء، ﴿وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ الوسطى: العصر أو أولها، ﴿وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ﴾ المراد: عدم الكلام حال أدائها كما رواه مسلم وسواه، أو المراد: أدوها على حال الكمال، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ورود عدو أو ماء واد أو سبع، ﴿فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ المراد على أسهل حال إلى كل مصل ولو أومأ إلى ركوعه وسواه، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ العدو وسواه مما مر، ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ صلوا لله ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ على حال علمكموها وما اسم موصول أو لمصدر ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أول العهد أو أول العمر أو حال عدم حصولكم على ما علمه لكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [آية:٢٤٠]:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ معمول لعامل هو داله وعامل عامله لام الأمر على ما رواه والد عمرو، وولد عامر أو مسموك على أول الكلام، ومحموله مطروح على أولئك أو حكمهم ﴿لأَزْوَاجِهِمْ﴾ وإعطاؤهم للأهل ﴿مَتَاعًا﴾ كالمأكل والمكسى والمأوى ﴿إِلَى﴾ كمال ﴿الْحَوْلِ﴾ أوله حلول الحمام للمرء ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال معمول اللام، والمراد: طردهم حرام إلى سوى محل المرء ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ حال لا طارد ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الكلام مع كل رحم للمرء الهالك ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ أحله الله وما حرمه، وهو عدم الإحداد لحمام المرء كما وحسم مال الإطعام وسواه، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ محكم أوامره وإحكامه على العوالم والسرد المحرر كله ممحو الحكم لا الكلام ومحا حكم الحول ما مر أولا ومحا حكم كل موص للحلائل ما أسسه الله للأهل والمحارم كالوالد والأم والولد وأم الأم والمرء وأولاد الأرحام وسواهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [آية:٢٤١، ٢٤٢]:

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ معطى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ على وسع حال معطى، وهل المراد ما عم المهر، ومال المطعم والمكسى والمأوى، أو المراد معطى معلوم حرره العلماء

الأعلام الكلام الصالح لورودهما، ﴿حَقًّا﴾ مصدر معمول لعامل مطروح هو داله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله لا على سواهم لما صاروا هم الأولى للسلوك على مسلك أوامره، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حرر لكم الأحكام المار سردها ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إدراكا لأحكامها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [آية:٢٤٣، ٢٤٤]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ روم حصول الإدراك محال على الله، والمراد: إعطاء كامل سمع السامع وإدراكه إلى الكلام اللام لألم أو سواها ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهو محل أمام واسط، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾[1] عدد له كم وعدم حصره أولى، والواو واو الحال ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ معمول له دعاهم ملكهم إلى إهلاك العدو وما سارعوا لأمره أو حصل وسط محلهم داء عام مود إلى الحمام وراعهم هوله، وساروا إلى محل سواه، ولما ساروا أهلكهم الله كلهم، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ لما دعا الله رسولهم رد الله لهم أرواحهم وكساهم لحوما سلموا دهرا وعلى صلاهم لوائح الحمام، وكلما كسوا حالهم رداء عاد كرداء الحمام وسرى مروره ووصل إلى أولادهم، ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ لما أعاد لهم أرواحهم ولحومهم، وحكى لكم أحوالهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاهم كما هو مراد وما حكاه الله وطأ أمر الحسام وصدمه لهام أعدائه اللئام ولما حرر وسطر رد على السرد المار أمره وهو ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سامع الكلام عالم الأحوال ومعد لكل عامل عمله.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه وهم مؤتلفون قاله ابن زيد والثاني أنه من العدد وعليه العلماء واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال أحدها أنهم كانوا أربعة آلاف والثاني أربعين ألف والقولان عن ابن عباس والثالث تسعين ألفا قاله عطاء بن أبي رباح والرابع سبعة آلاف قاله أبو صالح والخامس ثلاثين ألفا قاله أبو مالك والسادس بضعة وثلاثين ألفا قاله السدي والسابع ثمانية آلاف قاله مقاتل. انظر زاد المسير (١/٢٨٨).

يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [آية:٢٤٥]:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ المراد: هل أحد معط ماله لإعلاء كلمه ولا كره ولا إكراه، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا﴾ اسم مصدر أو هو معمول على الحال للهاء ﴿كَثِيرَةً﴾ لا حاصر لها وحده وعدم الحصر أولى، ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ﴾ ممسك الإعطاء لأمر هو عالمه، ﴿وَيَبْسُطُ﴾ موسع العطاء لصالح هو عالمه، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معد لكل عامل عمله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [آية:٢٤٦ - ٢٥٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ﴾ الملأ اسم لا واحد له كالرهط ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ حمام ﴿مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ﴾ المراد: ملك ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ معه أعداء الله، ومرادهم حصوله مصدرا لأمرهم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ﴾ لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ مكسورا وكهصر ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا﴾ محمول على اسم عسى وأورد هل لروعه عدم إسراعهم إلى الأعداء، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ المراد: لا راد لهم مع حصول ما أداهم ودعاهم له، وهو طرد الملك مهلك داود لهم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ معد لهم أعمالهم ومعاملهم على ما أصدروه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما سأل الله إرسال الملك لهم وأرسله الله وحكمه على أمورهم ولا علم لهم ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لا هو ملك ولا ولد رسول ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ مؤسسا على وسعها أمور ملكه ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ﴾ للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ وسعا ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وهو أعلمهم وأحلمهم وأكملهم ﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا راد لما أعطى ولا رادع لما أراد ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه ﴿عَلِيمٌ﴾ معط الملك أهله.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما سألوه ما هو الدال على ملكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾(١) عدم الروع لكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ المراد:

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى وقال لهم نبيهم إن أية ملكه الآية العلامة فمعناه علامة تمليك الله إياه أن يأتيكم التابوت وهذا من مجاز الكلام لأن التابوت يؤتى به ولا يأتي ومثله فاذا عزم الأمر وإنما جاز مثل هذا لزوال اللبس فيه كما بينا في قوله تعالى ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ البقرة ١٦ وروي عن ابن مسعود وابن عباس انهم قالوا لنبيهم إن كنت صادقا فأتنا بآية تدل على أنه ملك فقال لهم ذلك وقال وهب خيرهم أي آية يريدون فقالوا أن يرد علينا التابوت قال ابن عباس كان =

موسى ﴿وَآلُ﴾ المراد: هو، وحاصل ما حط وسطه صور الرسل مع عصا موسى وما هو إلى رأس ﴿هَارُونَ﴾ ومكسور الألواح الكاسر لها موسى وسوها ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾ حال معمول معمول محصل المصدر، وحاصل المصدر محمول اسم المؤكد أول الكلام؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وحمله الأملاك وسط الهواء وأوصلوه إلى ملكهم وهم رواه ولما صار إلى ملكهم أسلموا لأمر ملكه وسارعوا إلى إهلاك أعدائهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ وأول طلوعه المصلى المطهر مع حصول الحر وأرادوا الماء وسألوه لملكهم ﴿قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ وعالم كل عاص وطائع، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ المراد: ما هو معه، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أصلا ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ المراد: معه ﴿إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ وأرواه ما حصل ما على عاملها ملام ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وصلوا له وحصلوه ﴿إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾ الأولى عملوا كما أمرهم، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الأولى عملوا أمرهم ﴿قَالُوا﴾ الأولى ما سارعوا ولا سروا على مسلك أمره لهم ﴿لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ المراد: علمهم لحصوله علما حاسما لكل وهم طار ﴿أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ﴾ لدى لمعاد ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ لمراده لها ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ كالئ لهم.

=

التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالا قدموه بين أيديهم يستنصرون به وفيه السكينة وقال وهب بن منبه كان نحوا من ثلاث أذرع في ذراعين قال مقاتل فلما تفرقت بنو إسرائيل وعصوا الأنبياء سلط الله عليهم عدوهم فغلبوهم عليه وفي السكينة سبعة أقوال أحدها أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان رواه أبو الأحوص عن علي رضي الله عنه والثاني أنها دابة بمقدار الهر لها عينان لها شعاع وكانوا إذا التقى الجمعان أخرجت يدها ونظرت إليهم فيهزم الجيش من الرعب رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان والثالث أنها طست من ذهب من الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء رواه أبو مالك عن ابن عباس والرابع أنها روح من الله تتكلم كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه والخامس أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وذهب إلى نحوه الزجاج فقال السكينة من السكون فمعناه فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم والسادس أن السكينة معناها هاهنا الوقار رواه معمر عن قتادة والسابع أن السكينة الرحمة قاله الربيع بن أنس. انظر زاد المسير (١/٢٩٥).

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ المراد: ورد كلاهما لموارد المعارك وعمل الحسام والصوارم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ على هول المراس، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ لما أراد كسرهم، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وهو معهم وسط عسكرهم ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ (الهاء) لداود ﴿اللهُ الْمُلْكَ﴾ على الهود، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد: ما عم الإرسال، وهو أول واحد حصلا له، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كعمل الدروع وكلام الطائر، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ حاصل مدلول السرد المكرم لولا حصول إهلاك أهل الإسلام لعكسهم اللئام لساء حال العالم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وهو حصول مراده لإهلاك أهل اللوم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ الكلام مع محمد رسوله ﴿بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أورده مؤكدا لرد ما أدعوه وهو عدم إرساله.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [آية:٢٥٣]:

﴿تِلْكَ﴾ أول كلام والمومأ له ﴿الرُّسُلُ﴾ والمحمول على أول الكلام ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لحصول كل واحد على كمال ما حواه سواه كما حكاه الله، وهو ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ كموسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ كمحمد رسوله لعموم إرساله إلى سائر الأمم، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، وهو الملك سائرا معه لكل محل سار له، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ هدى العالم كلهم ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (الهاء) للرسل، والمراد: أممهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لأمر أراده الله، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ دام على إسلام، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ وهم مدعو الأهل والولد للإله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ مؤكد لما مر، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مورد كل أحد مورد ما أراده له إسلاما أو سواه لا راد لما راد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [آية:٢٥٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المراد: إعطاءكم معلوم، وهو أحد أساس الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ﴾ لا عدل وهو حلول أحد محل أحد ﴿فِيهِ وَلا خُلَّةٌ﴾ وداد راد المكروه، ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾ إلا ما أراده الله، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لا حلالهم أمر الله سوى محله.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(١) [آية:٢٥٥]:

---

(١) هذه سيدة آي القرآن ورد ذلك في الحديث وورد أنها تعدل ثلث القرآن وورد أن من قرأها أول ليله لم يقربه شيطان وكذلك من قرأها أول نهاره وهذه متضمنة التوحيد والصفات العلى و" الله " مبتدأ و" لا إله " مبتدأ ثان وخبره محذوف تقديره معبود أو موجود و" إلا " هو بدل من موضع " لا إله " و" الحي " صفة من صفات الله تعالى ذاتية وذكر الطبري عن قوم أنهم قالوا الله تعالى حي لا بحياة وهذا قول المعتزلة وهو قول مرغوب عنه وحكي عن قوم أنه حي بحياة هي صفة له وحكي عن قوم أنه يقال حي كما وصف نفسه ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه و" القيوم " فيعول من القيام أصله قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياء وقيوم بناء مبالغة أي هو القائم على كل أمر بما يجب له وبهذا المعنى فسره مجاهد والربيع والضحاك وقرأ ابن مسعود وعلقمة وإبراهيم النخعي والأعمش الحي القيوم بالألف ثم نفى عز وجل أن تأخذه " سنة " أو " نوم " وفي لفظ الأخذ غلبة ما فلذلك حسنت في هذا الموضع بالنفي والسنة بدء النعاس وهو فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه وليس يفقد معه كل ذهنه والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن والمراد بهذه الآية أن الله تعالى لا تدركه آفة ولا يلحقه خلل بحال من الأحوال فجعلت هذه مثالا لذلك وأقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال تعالى ﴿فلا تقل لهما أف﴾ الإسراء ٢٣ ويفرق بين الوسن والنوم ما جاء في السنة فسر الضحاك والسدي وقال ابن عباس وغيره السنة النعاس وقال ابن زيد الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل حتى ربما جرد السيف على أهله

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وهذا الذي قال ابن زيد فيه نظر وليس ذلك
=

﴿اللهُ لا إِلَهَ﴾ للعوالم ﴿إلا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم ﴿الْقَيُّومُ﴾ الحاصل له حده، ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ عكس السهر والسهاد، والمراد: أول الكرى، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ﴾ له ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وهو حال الدار الأولى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو حال دار المعاد، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ ما علمه معمى على العوالم ﴿إلا بِمَا شَاءَ﴾ إعلامهم، وهو ما أوحاه للرسل وأدوه لهم وأعلموهموه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾

=

بمفهوم من كلام العرب وروى أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فأرسل الله إليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت فانكسرت القارورتان قال ضرب الله مثلا أن لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض وقوله تعالى﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي بالملك فهو مالك الجميع وربه وجاءت العبارة بـ" ما " وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود ثم قرر ووقف تعالى على من يتعاطى أن "يشفع عنده" أو يتعاطى ذلك فيه إلا أن يأذن هو في ذلك لا إله إلا هو وقال الطبري هذه الآية نزلت لما قال الكفار ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ الآية وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهنا هم الأنبياء والعلماء وغيرهم والإذن هنا راجع إلى الأمر فيما نص عليه كمحمد صلى الله عليه وسلم إذا قيل له واشفع تشفع وإلى العلم والتمكين إن شفع أحد من الأنبياء والعلماء قبل أن يؤمر والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين أو وصل ولكن له أعمال صالحة وفي البخاري في باب بقية من باب الرؤية أن المؤمنين يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فهذه شفاعة فيمن يقرب أمره وكما يشفع الطفل المحبنطئ على باب الجنة الحديث وهذا إنما هو في قرابتهم ومعارفهم وأن الأنبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أممهم بذنوب دون قربى ولا معرفة إلا بنفس الإيمان ثم تبقى شفاعة أرحم الراحمين في المستغرقين بالذنوب الذين لم تنلهم شفاعة الأنبياء وأما شفاعة محمد في تعجيل الحساب فخاصة له وهي الخامسة التي في قوله وأعطيت الشفاعة وهي عامة للناس والقصد منها إراحة المؤمنين ويتعجل للكفار منها المصير إلى العذاب وكذلك إنما يطلبها إلى الأنبياء المؤمنون والضميران في قوله ﴿أيديهم وما خلفهم﴾ عائدان على كل من يعقل ممن تضمنه قوله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ وقال مجاهد " ما بين أيديهم " الدنيا " وما خلفهم " الآخرة وهذا صحيح في نفسه عند موت الإنسان لأن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإنسان وما خلفه هو كل ما يأتي بعده وبنحو قول مجاهد قاله السدي وغيره. انظر المحرر الوجيز (١/٣٣٥).

أحاط علمه ما حواه كلاهما، أو المراد ملك الله ما حواه كلاهما أو وسع أدى مؤدى حوى، والمراد: حواهما، لما أورده الرسول وحاصله السماء كلها كدراهم وسطه لوسعه، ﴿وَلا يَئُودُهُ﴾ ما هو عسر على الله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ السماء وما رد على السماء الواو ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على العالم كله ﴿الْعَظِيمُ﴾.

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٥٦]:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على السلوك إلى مسالكه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ورد ردا على الأولى أرادوا أكراه أولادهم على الإسلام، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ اسم لما هو، كود، وسواع، أو سواه ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ الممسك المحكم ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لكل كلام ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم كل الأحوال.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [آية:٢٥٧]:

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ سواد عكس الإسلام ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ هو ما مر، كود، وسواع، أو سواه ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ الإسلام، والمراد: عدم سلوكهم مسالكه أصلا لا طلوعهم حملا على الأعم، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ سواد عكس الإسلام، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حلولهم وسطها مارد لله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آية:٢٥٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ واسمه معلوم لكل أحد ﴿فِي رَبِّهِ﴾ وحمله على سوء عمله ﴿أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر، وهو حال وصل الاسم الموصل.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما سأله هو سرد علائم إلهه ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ مؤسس أمر الحمام وعكسه إلى العالم ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا أُحْيِي﴾ أسامح لا أعدم واحدا روحه ولا أهلكه، ودعا واحدا وسامحه وما أهدر دمه وصحح مدعاه، ﴿وَأُمِيتُ﴾ كالأول، ودعا واحدا وأهدر دمه وأهلكه وصحح ما أدعاه.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما رأى مرآه حول المدعى إلى مسلك سواه أسرع للرد على عدوه ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ حار ﴿الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى مسالك سطوع الدلائل على أهل الإسلام.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1)[آية: ٢٥٩]:

﴿أَوْ﴾ رد اسما موصولا على اسم موصول أول الكلام ﴿كَالَّذِي﴾ (ك) مؤكد لا عمل له أصلا، والاسم الموصول رده أو إلى الاسم الأول ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هو المصلى المطهر وهو على حماره ومعه طعام وكأس طلا، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ صار

---

(١) قوله تعالى ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ قال الزجاج هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله معناه أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية وفي المراد بالقرية قولان أحدهما أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر قاله وهب وقتادة والربيع بن أنس والثاني أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت قاله ابن زيد وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال أحدها أنه عزير قاله علي بن أبي طالب وأبوالعالية وعكرمة وسعيد بن جبير وناجية بن كعب وقتادة والضحاك والسدي ومقاتل والثاني أنه أرمياء قاله وهب ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير والثالث أنه رجل كافر شك في البعث نقل عن مجاهد أيضا والخاوية الخالية قاله الزجاج وقال ابن قتيبة الخاوية الخراب والعروش السقوف وأصل ذلك أن تسقط السقوف ثم تسقط الحيطان عليها قال أنى يحيي هذه الله أي كيف يحييها فان قلنا إن هذا الرجل نبي فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة أو يستهو لها فيعظم قدرة الله وإن قلنا إنه كان رجلا كافرا فهو كلام شاك والأول أصح. انظر زاد المسير (١/ ٣٠٩).

أعلاها وسطها هدما وردما ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ رآه أمرا محالا، ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ رد روحه له ﴿قَالَ﴾ له ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لحصول ما حصل له أوله ورد روحه له لدى الرواح، ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ما حولا مع طول المدد إلى حال سوى الحال الأول، و(الهاء) أصل أو (هاء) حسم الكلام، ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ ما حول وكم له أعواما ولما رآه رأى ألواحا لا لحم ولا دم، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ دالا على أمر المعاد ﴿لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ (ال)حل محل (الهاء) العائد إلى الحمار ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ رواه راوٍ كحصل، وراوٍ كأكرم، وعلى كل مأموم الهاء راء، ورواه راوٍ كأكرم، ومحل الراء المهمل عكسه، والمراد على الأول رد الروح، والمراد حال عكس المهمل ما حركه محرك واصعده إلى العلو، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ ولما رآها رأى كل لوح عاد إلى محله وكساها الله لحما ورد الروح له وصاح، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما لا وصول للإدراك له ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مرأى لا علم إدراك وروى راوٍ اعلم على الأمر والآمر له الله أو هو هو ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأورد لهم أو أورد على علمك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية:٢٦٠]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ﴾ الله له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ سأله الله ما سأله مع علمه إسلامه وعدم طرؤ الوهم على صدره لحصول العلم لكل سامع على مراده، وهو حسم دلائل أهل المراء ﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ﴾ حصل السؤال ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ المراد: لو سأله سائل هل رأى ما ادعاه، وهو رد الروح صحح له دعواه، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾ (الصاد) مكسور، ورواه راوٍ كسد، والمراد: حسمها كلها ورد لحم كل واحد إلى واحد ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ المراد: كل لكام حوله لا على العموم لكل لكام كما هو معلوم ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ على كما الإسراع، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ومسك طاووسا وطائرا أسود وسواهما، وعمل كما مر حسمهما وحط على كل لكام كما ومسك رؤوسهما ودعاها، ولما دعاها صار كل لحم إلى أصله وعاد إلى حاله، وورد كل طائر وسعى إلى

رأسه الممسك.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [آية:٢٦١، ٢٦٢]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ على مراده ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إلى ما لا حد ولا حصر له، ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه، ﴿عَلِيمٌ﴾ محل الإعطاء وأهله.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المعطى له ككلامه له ساء حالك لو لم أعطك، ﴿وَلا أَذًى﴾ كاطلاع سواه على ما أعطاه له وهو كاره ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[١] [آية: ٢٦٣]:

---

(١) ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ بأن تقول للسائل كلاما جميلا طيبا تجبر به خاطره، ويحفظ له كرامته "ومغفرة" لما وقع منه من إلحاف في السؤال، وستر لحاله وصفح عنه، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ أي خير من صدقة يتبعها المتصدق أذى للمتصدق عليه. لأن الكلمة الطيبة للسائل، والعفو عنه فيما صدر منه، كل ذلك يؤدي إلى رفع الدرجات عند الله، وإلى تهذيب النفوس، وتأليف القلوب وحفظ كرامة أولئك الذين مدوا أيديهم بالسؤال. أما الصدقة التي يتبعها الأذى فإن إيتاءها بتلك الطريقة يؤدي إلى ذهاب ثوابها، وإلى زيادة الآلام عند السائلين ولا سيما الذين يحرصون على حفظ كرامتهم، وعلى صيانة ماء وجوههم، فإن ألم الحرمان عند بعض الناس أقل أثرا في نفوسهم من آلام الصدقة المصحوبة بالأذى، لأن ألم الحرمان يخففه الصبر الذي وراءه الفرج، أما آلام الصدقة المصحوبة بالأذى لهم فإنها تصيب النفوس الكريمة بالجراح التي من العسير التئامها وشفاؤها. قال القرطبي: روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق " فعلى المسئول أن يتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب ليكون مشكوراً إن أعطى ومعذوراً إن منع. وقد قال بعض الحكماء: الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٤٨٩/١).

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلام حلو إلى كل سائل، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لإلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ وهو العار له على السؤال، ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ لو أراد أعطى كل أحد وأوسع له ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع إلى أهلاك كل أحد ورد موارد سوى المأمور لهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية:٢٦٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ ما أعد الله لكم على عملها ﴿بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ المار حكمهما ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ وهل كل مراء ﴿وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أملس عار ﴿لا يَقْدِرُونَ﴾ أورد الواو على مؤدى الاسم الموصول ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ مما عملوه، والمراد: هم كالصلد الأملس وأعمالهم ما علاه حال وصول المطر ومحوها له، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى العمل.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [آية:٢٦٥]:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لما أعد الله لهم على صالح أعمالهم وإعطاء أموالهم لأهل العدم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ محال عال ممهد ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر كامل ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ مطر كامل ﴿فَطَلٌّ﴾ مطرما محصل كمال صلاحها، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ معد لكل أحد عمله.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية:٢٦٦]:

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ لطول عمره ووها مسعاه، ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ لا مسعى ولا إدراك لهم، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ وعدمها وصار هو وأولاده لا مال لهم ولا مسعى، وهو حال السالك على مسلك أوامر الله أول عمره، ولما وها حول مسلكه إلى مسلك سوى الأول ومحا أعماله الأول ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حرر لكم ما حرر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ إلى العمل الصالح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [آية:٢٦٧]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ أعطوا ما ورد أمرا لله لإعطائه، وهو الكم المعلوم أحد أساس الإسلام ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ مالا ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾ كل محصود ومحسوم، ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ المراد: عدم إعطاء ما كرهه الواحد ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ حال الواو الام لما أم لا، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ لو أعطاكموه معط ﴿إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ لعدم إصلاحه لإعطائه لأحدكم وما حاله لدى العالم مردود هل هو لإعطائه لأوامر الله ورده على كل معط له أولى، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ أوسع مالا وأكرم عطاء، ولو أراد وسع على العالم كلهم، ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٦٨]:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾(١) واعدكم ومهددكم العدم ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ عدم

(١) قال الطاهر بن عاشور: لأنّ الشيطان يصدّ الناس عن إعطاء خيار أموالهم، ويغريهم بالشحّ أو بإعطاء الرديء والخبيث، ويخوّفهم من الفقر إن أعطوا بعض مَالهم. وقدّم اسم الشيطان مسنداً إليه لأنّ تقديمه مؤذن بذمّ الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمِه لتحذير المسلمين من هذا الحكم، كما يقال في مثال علم المعاني (السَّفَّاح في دَار صديقك)، ولأنّ في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تَقَوّيَ الحُكم وتحقيقه. ومعنى ﴿يعدكم﴾ يسوّل لكم وقوعه في المستقبل إذا أنفقتم خيار أموالكم، وذلك بما يلقيه في قلوب الذين تخلّقوا بالأخلاق الشيطانية. وسمّي الإخبار بحصول أمر في المستقبل وعداً مجازاً لأنّ الوعد إخبار بحصول شيء في المستقبل من =

إعطاء سهم أموالكم ومحصودكم ورد أوامر الله ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ﴾ على الإعطاء ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لسوء أعمالكم، ﴿وَفَضْلاً﴾ مالا محل المعطى، ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم كل معط.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [آية:٢٦٩]:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ كل علم أدى وأوصل إلى العمل ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمال أمره إلى المسلك الموصل إلى الله وروده على موارد السرور السرمد، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ ما أحد مردوع ﴿إِلا أُولُو الألْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آية:٢٧٠]:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ على العموم أمروا لإعطائها أولا، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ وحصل أداؤه على الكمال، ﴿فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ معد لكم عمله ما هو معطى سوى، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ لعدم أداء سهم المال على حكم ما أمر الله أو لرده لمحل سواه ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المراد: كل راد لما اعد الله لهم على سوء أعمالهم.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ

=

جهة المخبِر، ولذلك يقال: أنجز فلان وعده أو أخلف وعده، ولا يقولون أنجز خَبَره، ويقولون صدق خَبَره وصدَق وعده، فالوعد أخصّ من الخبر، وبذلك يؤذن كلام أئِمة اللغة. فشُبّه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقّع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة، ووجه الشبه ما في الوعد من معنى التحقق، وحسَّن هذا المجاز هنا مشاكلته لقوله: ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ فإنّه وعد حقيقي. ثم إن كان الوعد يطلق على التعهد بالخير والشر كما هو كلام (القاموس) تبعاً لفصيح ثعلب ففي قوله يعدكم الفقر مجاز واحد، وإن كان خاصاً بالخير كما هو قول الزمخشري في الأساس، ففي قوله: ﴿يعدكم الفقر﴾ مجازان. والفقر شدّة الحاجة إلى لوازم الحياة لقلة أو فقد ما يعاوض به، وهو مشتق من فقار الظهر، فأصله مصدر فَقَره إذا كسر ظهره، جعلوا العاجز بمنزلة من لا يستطيع أدنى حركة لأنّ الظَّهر هو مجمع الحركات، ومن هذا تسميتهم المصيبة فاقرة، وقاصمة الظهر، ويقال فَقْر وفُقْر وفَقَر وفُقُر بفتح فسكون، وبفتحتين، وبضم فسكون، وبضمتين، ويقال رجل فقير، ويقال رجل فَقْر وصفاً بالمصدر. انظر التحرير والتنوير (٥٩/٣).

لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية:٢٧١]:

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ المراد: سوى ما حده الله وهو سهم الأموال المعلوم ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ عدم إسرارها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ وهو أداؤها سرا ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إعطاؤها سرا للمعدم أولى وما حده الله على الأموال، وهو أحد أساس الإسلام أداؤها على سوى السر أولى، ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ رده الواو على محل هو أو الواو واو أول الكلام واو الرد على كلام مر حكمه ﴿عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم السر وسواه على حد سواء ولما ردع رسول الله أهل الإسلام وصمم على عدم إعطائهم لأحد أهل اللؤم مالا أو طعاما طمعا لإسلامهم أوحى الله له.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [آية:٢٧٢].

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى الإسلام، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه إلى الإسلام، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلأَنْفُسِكُمْ﴾ معد لها مالا، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾ روما لما أعده لكم على إعطائكم أهل العدم، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ إعطائكم كاملا معد لكم سواه حصل لأهل الإسلام أو لسواهم، والمراد سوى السهم المحدود المعلوم حكمه والحكم المحرر حاصله مؤكد للحكم المار أولا.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٧٣]:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ حصروا أرواحهم ورصدوها أما لعمل الحسام واصطلام أعداء الله وأعدائهم، وأما رصدوها وحصروها على العلم وحده وهم أهل محل وسط الحرم المطهر وحالهم معلوم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ مرورا ورواحا إلى محل سوى محلهم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ روما لحصول الأموال لعدم أملهم ومرآئهم لحصولها مطمح أمالهم هو أوامر الله وصالح الأعمال، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾

لأحوالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ لعدم سؤالهم مالا ولا طعاما ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ لسطوع الصلاح على حلاهم، ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ إلحاحا، والمراد: لا سؤال لهم لأحد أصلا وعدم الإلحاح أولى لعدم صدور مورده، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وهو معده لكم على أكمل إكرام.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية:٢٧٤]:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أوحاها الله لرسوله مدحا لولد عم الرسول، وهو الأسد الكرار لما ملك دراهم عدد الأحكام وسط السرد المار وأعطى واحدا مساء وواحد عكس المساء وواحد سرا وواحدا عكس السر كما أوحى الله وحكاه لرسوله.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [آية:٢٧٥]:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ كما لو أعطى أحد أحدا مد حمص وأعطاه المعطى له مدا وسدسا، وحكم الأموال كحكم الطعام وأورد الأكل، والمراد كل حاصل ولو لسوى المأكل سلوكا على اصطلاحهم وعملهم المعلوم لكل واحد ﴿لا يَقُومُونَ﴾ إلى المعاد ﴿إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ المراد: حالهم كحال المصروع، والمس عدم الحلم، وورد الحكم المسطور على مسلك ما علموه، وهو حصول الصرع للواحد للمس المحرر، ﴿ذَلِكَ﴾ ما حصل لهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ حلا ورد الله ما وهموه وادعوه، ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ ورد له ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ وما عاد إلى أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ المراد: حل له أكل ما أكل، ﴿وَأَمْرُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله وادعى الحل ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [آية: ٢٧٦]:

﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا﴾ كل مال حله هو هالك، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ لادعائه الحل له ﴿أَثِيمٍ﴾ لا كله له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢٧٧، ٢٧٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا﴾ دعوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لما رام أحد أهل الإسلام على عهد الرسول مالا ورد الأمر لعدم حله وهو المال المسطور إعطاؤه لسواه وما حصل على كله ورام إكماله مع ورود الردع أوحاه الله لرسوله.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [آية: ٢٧٩]:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ على مسرى أمر الله وحكمه ﴿فَأْذَنُوا﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم والأمر مهددهم، ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ أصولها ﴿لا تَظْلِمُونَ﴾ أحدا، والمراد: كما أعطوا سواهم رده لهم، ﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾ لرده لكم لا على الكمال.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [1] [آية: ٢٨٠]:

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ ذكر ابن السائب ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة هاتوا رؤوس أموالنا وندع لكم الربا فشكا بنو المغيرة العسرة فنزلت هذا الآية فأما العسرة فهي الفقر والضيق والجمهور على تسكين السين وضمها أبو جعفر هاهنا وفي ساعة العسرة وقرأ الجمهور بفتح سين الميسرة =

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ حصل واحد معطى له ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ لا مال له ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ له على كل معط له إمهاله ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ عكس العسر، والمراد إلى حصول مال له، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ على المعسر كما لو سامحه أحدكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والمراد: إمهال المعسر عمل صالح وحط المال أصلح.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [آية:١٨١]:

﴿واتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ كلكم مردود ﴿فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ وهو لدى المعاد، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا أو عكسه ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كل أحد راء عمله على الكمال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ

=

وضمها نافع وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين إلا أنه زاد فكسر الراء وقلب التاء هاء ووصلها بباء قال الزجاج ومعنى وإن كان وإن وقع والنظرة التأخير فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسرا وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى ﴿وأن تصدقوا﴾ والأكثرون على تشديد الصاد وخففها عاصم مع تشديد الدال وسكنها ابن أبي عبلة مع ضم الدال فجعله من الصدق. انظر زاد المسير (١/٣٣٤).

وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [آية:٢٨٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ﴾(١) كسلم وسواه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم سماه أحدكم أو كلاكم، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ حسما للمراء، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ على حكم الكلام الحاصل لكم المال ولمدد الإمهال على الكمال، ﴿وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ لو دعاه داع لها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾ حمدا لآلاء الله، وكما العامل والمعمول معاد إلى ما أم لا، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ مؤكد للأول، ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ الإملال والإملاء واحد ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ المال وعلى كلامه المعول، ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ حال الإملاء، ﴿وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ (الهاء) للمال المأول كما مر، والمراد سرده له على الكمال مدد الإمهال وحلولها كما حصل الكلام معه ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ ما له علم الإملاء لهرم أو أول عمر أو عدم إدراك وعلم، ﴿أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لعدم الكلام أصلا لداء ما أو لعدم علمه اصطلاح كلام أهل المال كأحد الأكراد مع أهل مصر، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ كل واحد ملك أمره كالوالد والموصى له على الأول أو الوكلاء مع أحد الأكراد، وكل واحد حكمه كحكمهم ﴿بِالْعَدْلِ﴾ كما مر، وهو حصول الإملاء على كمال المال ومدد الحلول، ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ على كم المال وحلول المدد، والأمر لما هو أولى ﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الإسلام الأحرار العدل، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أهل العدل ل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ على طرح اللام المعلل لعدم كمال الحلم ﴿إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ ما مؤكد كما هو معلوم ﴿دُعُوا﴾ والمراد: ما عم الحمل والأداء، ﴿وَلا تَسْأَمُوا﴾ السأم والملل واحد ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ إلى مدد حلوله، وحاصل العامل وهو إلى، والمعمول حال الهاء المعمول محصل مصدر ﴿ذَلِكُمْ﴾ الأمر المسطور

---

(١) قال أبو السعود: شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا أي إذا داين بعضكم بعضا وعاملة نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة أو التنبيه على تنوعه إلى الحال والمؤجل وأنه الباعث على الكتبة وتعين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالأمر إلى أجل متعلق بتداينتم أو بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالأيام أوالأشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها. انظر تفسير أبي السعود (١/٢٦٩).

﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ لو أراد أحدكم أداءها، ﴿وَأَدْنَى﴾ إلى ﴿أَلا تَرْتَابُوا﴾ لعدم الوهم لا للحال ولا لمدد الحلول ﴿إِلا أَنْ تَكُونَ﴾ عامل موداه الحصول وهو كامل معموله ﴿تِجَارَةً﴾ وهو مسموك، وروى راوٍ عدم الكمال، وعلى ما رواه اسمها مسر وما أمها محموله ﴿حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ المراد: أمرها حال لا مدد لها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿أَن لا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ والأمر المحرر كالآمر المار، وهو للأولى ﴿وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ كما لو هدد أحدهما على الأداء وأكره الأول على أسطار أمر ما حصل الكلام على إسطاره ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ كل عمل ورد أمر الله على عكسه ﴿فَإِنَّهُ﴾ العمل المسطور ﴿فُسُوقٌ﴾ مسلك واحد ما أطاع مولاه ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اعملوا ما أمركم، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ صالح أموركم وحاصل العامل والمعمول حال أو أول كلام، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ صالح الأمور وسواها.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [آية:٢٨٣]:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وعامل أحدكم أحد ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ وروى راوٍ على العدد لا على الواحد ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ وحال المصر، وسواه على حد سواء لما أورده الرسول وهو حل إعطائه وسط الأمصار، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ وهو المعطي له المال ﴿أَمَانَتَهُ﴾ هو المال، ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ المراد: أداؤه المال على أكمل الأحوال، ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ حال الدعاء إلى الأداء، ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ أورد الأصل وسواه أولى، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ السر وسواه واحد.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [آية:٢٨٤]:

﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كل سوء أو إصرار على عمله، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ﴾ معلمكموه الله لدى المعاد أو هو ممحو الحكم لا الكلام ومحا حكمه ما وراءه ﴿بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ

﴿يَشَاءُ﴾ كلاهما مردود على ما أدى مؤدى معلمكموه أو كلاهما مسموك على طرح هو وحاصلهما محموله ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [1][آية:٢٨٥]:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو الكلام المكرم، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مردود رده الواو على الرسول ﴿كُلٌّ﴾ على مؤدى كلهم ﴿آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ كما عمل الهود، ومدعوا الولد والأهل للإله.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ سماع إدراك وعمل لا سماع رد، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ وكل كلم مولاه أسالك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المال والمعاد، ولما أوحى الله لرسوله ما عسر الأمر على أهل الإسلام، ورواه عسرا كاملا لعمومه لما وسوس الصدر أورد الله لرسوله على مسلك المحو للحكم الأول أو حصرا وسطوعا لما أراده.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ

---

(١) قوله: ﴿آمَنَ الرسول بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والمؤمنون ﴾ استئناف قصد به الإخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يشرفهم ويعلي من أقدارهم ومنازلهم. أي: صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من ربه في هذه السورة وغيرها من العقائد والأحكام والسنن والبينات والهدايات تصديق إذعان وإقرار واطمئنان، وكذلك المؤمنون الذين صدقوه واتبعوه آمنوا بما آمن به رسولهم وداعيهم إلى الحق صلى الله عليه وسلم. وقد قرن - سبحانه - إيمان المؤمنين بإيمان رسولهم صلى الله عليه وسلم تشريفاً لهم وللإشارة إلى أنهم متى صدقوا في إيمانهم كانت منزلتهم عند الله - تعالى - قريبة من منازل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - . وفي تأخيرهم في الذكر إشارة إلى تأخر التابع عن المتبوع، وإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من آمن بما أوحى إليه من ربه، وهو أقوى الناس إيماناً، وأصدقهم يقينا. وأكثرهم استجابة لأوامر الله. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٥٣٢/١)

مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [آية:٢٨٦]:

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ ما لا عسر مع حمله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ كل عمل صالح، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ مما هو سوى الصالح كل أحد معامل على عمله وحده لا أحد معامل على عمل أحد سواه علمهم الله وأمرهم أدعوا ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ حصل عمل سهوا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ حصل لا عمدا ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أمرا عسر حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ كما حمل على الأمم المار عهدها كإهلاك كل عاص روحه وسواه مما عسر حمله ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا﴾ امنح كل عمل ساء، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ كل عدو لك وأعلى مسلك الإسلام الموصل لك على كل مسلك سواه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

مدنية، وآيها مائتان أو إلا آية

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [آية:١]:

﴿الم﴾ أول السورة اسم لها أو أول كلم، والأصح: الله أعلم ما المراد.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آية:٢]:

﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم، ﴿الْقَيُّومُ﴾ الحاصل له حده.

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ
وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾[1] [آية:٣]:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لكل كلام أوحاه الله ومر عهده، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ على موسى، ﴿وَالإِنْجِيلَ﴾.

﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ

---

(١) القرآن نزل ليفرق بين الحق الذي جاءت به الكتب السابقة، وبين الباطل الذي أضافه أولئك الذي ائتمنوا عليها. ثم يحدد الحق تبارك وتعالى لنا مهمتنا في أن هذا الكتاب مطلوب أن نبلغه للناس جميعاً، واقرأ قوله سبحانه: ﴿المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وذكرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١ - ٢] فالخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، يتضمن خطابا لأمته جميعاً، فالرسول صلى الله عليه وسلم كلف بأن يبلغ الكتاب للناس، ونحن مكلفون بأن نتبع المنهج نفسه ونبلغ ما جاء في القرآن للناس حتى يكون الحساب عدلا، وأنهم قد بلغوا منهج الله، ثم كفروا به أو تركوه، إذن فإبلاغ الكتاب من المهمات الأساسية التي حددها الله سبحانه وتعالى بالنسبة للقرآن.انظر تفسير الشعراوي (٢/٤٣).

شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آية:٤]:

﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى﴾ حال على مراد كل واحد هاد ﴿لِلنَّاسِ﴾ السالك على مسلكهما، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ كل ما سطع هداه وأوحاه الله لرسله سوى ما ورد لمحمد وموسى وما أمهما، وهو عالم لما عداها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ عام لكل كلام أوحاه الله لرسله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ كاهر لا مكهور ولا راد لصدور ما وعده أو أوعده، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ لكل عاص ومعد له على سوء عمله ما هو معد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝﴾ [آية:٥]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ علم ما حلهما كعلمهما لدى الله على السواء وأوردهما وحدهما لما صار محور الحس ومصدره وما هو وراءهما ما الحس محصل له.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾ [آية:٦]:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مرءا وعكسه سوادا وعكسه ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أمرا وآمرا وإصدارا.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية:٧]:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿الْكِتَابَ﴾ المكرم ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ساطع مدلولها ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله ومدار الأحكام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ كأول السور وسواها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مالوا إلى سوى العدل، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿تَأْوِيلِهِ﴾ حل مؤداه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ حل مؤداه

على ما هو ﴿إِلا اللهُ﴾ وحده ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كالعلم وهو أول كلام محموله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ولولا حل مؤداه ما علم ﴿كُلٌّ﴾ المحكم وسواه ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أولو الأحلام وأولو العلم دعاؤهم لهم ولأهل الإسلام.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آية:٨]:

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ إلى مسلك سوى الموصل لك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى سلوكه، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ دواما على المسلك المحرر ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آية:٩]:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو المعاد ومعد لكل أحد عمله ﴿إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ كل ما وعد حاصل والعامل المؤكد واسمه وما حمل على اسمه هل هو كلام حكاه الله إكمالا لدعائهم ومرادهم سرداهم الأمور وهو أمر المعاد أو هو كلام الله كلاهما مراعى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آية:١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ لا أموالهم ولا أولادهم كله ما هو راد ما أعده الله لهم على سوء أعمالهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية:١١، ١٢]:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(١) الأمم المار عصرها كعاد وسواهم

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون﴾ في الدأب قولان أحدهما أنه العادة فمعناه كعادة آل فرعون يريد كفر اليهود ككفر من قبلهم قاله ابن قتيبة وقال ابن الأنباري والكاف في كدأب متعلقة بفعل مضمر كأنه قال كفرت اليهود ككفر آل فرعون والثاني أنه الاجتهاد فمعناه أن =

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ولما دعا رسول الله الهود إلى الإسلام وحملهم لؤمهم على عدم الإسلام وهددوا الرسول وأهل الإسلام على ما دعاهم له أوحى الله لرسوله محمد ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم الهود مهددا وموعدا لهم ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ كلما مهد ووطئ.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية:١٣]:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لو لكم إدراك لحصل لكم الردع ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هم رسول الله، وأهل الإسلام الأولى محا الله كل عمل سوء عملوه لما أرسل الله أملاك السماء لهم رداء وأمرهم وحالهم معلوم، ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام والواو لعكسهم ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ المراد: لا وهما لروع عراهم، ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر والمسطور ﴿لَعِبْرَةً لأولِي الأَبْصَارِ﴾ أهل الإدراك.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آية:١٤]:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ما أمال كل أحد له هوى أو سواه ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد الأعم حلالا أو حراما، ﴿وَالْبَنِينَ﴾ الأولاد، ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ الأموال على الأموال ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ الكرام الأصول والمرأى، ﴿وَالأَنْعَامِ﴾ كل ما له در، ﴿وَالْحَرْثِ﴾ كل محصور ﴿ذَلِكَ﴾ ما حرر وسطر ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ما له دوام ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ المعاد، وهو ما له دوام، والمراد دار المأوى والسرور السرمد.

=

دأب هؤلاء وهو اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام قاله الزجاج. انظر زاد المسير (١/٣٥٥)

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آية:١٥]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ أأعلمكم ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ المحرر المار ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عدم الإسلام ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ محمول لأول كلام هو ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ معدا لهم الحلول وسطها، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ لا دماء لها، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ الراء مكسور، ورواه راوٍ مسموكا ﴿مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ﴾ عالم أورد المرأى وأرد العلم على اصطلاح المرسل ﴿بِالْعِبَادِ﴾ وكل أحد معد له ما عمل.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آية:١٦]:

﴿الَّذِينَ﴾ معمول على اصطلاح روم العامل المكرر وهو اللام عامل الاسم الموصول الأول ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ لك ولكلامك ولرسلك، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آية:١٧]:

﴿الصَّابِرِينَ﴾ على أوامر الله، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ إسلامهم مصمم، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ هم كل أحد أطاع مولاه، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم على أهل العدم، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آية:١٨]:

﴿شَهِدَ اللهُ﴾ المراد: سطر وأوحى للعالم ما دلهم على ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ أسلموا كلهم لما سطر وأوحى وعلموه علما طارد الكل وهم وهو لا إله إلا هو ﴿قَائِمًا﴾ حال (هُوَ)، وعامله مؤدى الكلام وحاصله ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ كرره مؤكدا ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أحل كل أمر محله.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية:١٩]:

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ **المأمور إلى سلوكه** ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ **هو** ﴿الإِسْلامُ﴾ **كل ما أوحاه الله إلى الرسل وأوردوه إلى العالم وهو ما دل على واحد أحد لا ردء له ولا ولد** ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ **هم الهود، ومدعو الأهل والولد لله** ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ **الدال على الواحد الأحد،** ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ **محصي لهم أعمالهم كلها.**

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية:٢٠]:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ **ماروك على أمر الإسلام** ﴿فَقُلْ﴾ **لهم** ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ﴾ **المراد: ما عمه وهو كله وأورده لورود سواه ورود الأولى،** ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ **الهود، ومدعو الولد والأهل للإله،** ﴿وَالأُمِّيِّينَ﴾ **كل مصر على سوى الإسلام ومأواه محل الآكام والوهاد لا الأمصار** ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ **المراد: أسلموا أو السؤال مؤداه الأمر،** ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ **إلى مسالك الهدى السالم سالكها،** ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ **إعلامهم ما أوحى الله لك،** ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ **عالم ومعد لكل أحد عمله، والحكم المسطور ممحو المؤدى لورود أمر الحسام.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آية:٢١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1] **ما ولّوا على دعواهم،**

---

(١) روى ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا، أو قتل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) ثم قال الرسول: «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار، في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوهم جميعا من آخر النهار، من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل». انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/١٨٣)

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل وهم اليهود أعدموا عددا مما عم الرسل ولما ردعهم أهل الصلاح أهلكوهم للحال، ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ المراد الأعم وهو إعلامهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وأورد على محمول اسم المؤكد ما محله رد سؤل ما حكمه كمهما إعطاء للاسم الموصول حكم مهما وما.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آية:٢٢]:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ كل عمل صالح لهم مردود لعدم الأساس وهو الإسلام ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا راد لما أعده الله لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية:٢٣]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ سهما ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال الواو ﴿إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ هم اليهود أوحاه الله لما عاهر أحدهم أحد الدمى، وحكموا رسول الله، وحكم كما أمر الله وهو حط المعاهر وسط محل إلى صدره وطرح المدر على رأسه وصدره وسواهما إلى ورود حمامه، ولما حكم رسول كما حرر ردوا حكمه وراموا الكلام الموحى إلى موسى، ورأوا الحكم مسطورا حكم رسول الله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية:٢٤]:

﴿ذَلِكَ﴾ رد الحكم المسطر ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ عدد موعد موسى لما حملهم لا مساس على الركوع لما عمله وسماه إلها، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مما لا أصل له ولا أساس.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية:٢٥]:

﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو المعاد، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ

نَفْسٍ﴾ العوالم كلها أهل الكلام الموحى إلى الرسل وسواهم ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا أو عكسه ﴿وَهُمْ﴾ العوالم كلهم ﴿لا يُظْلَمُونَ﴾ عملهم كاملا معد لهم ولما وعد رسول أهل الإسلام ملك الروم وسواه ورأى أهل المكر واللؤم وعد الرسول محالا وردوا ما وعد أوحى الله لرسوله.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:٢٦]:

﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ وحدك لا رده معك ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ لإعطائك الملك له، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ لسلك ملكه ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ المراد هو وعكسه كلاهما ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سوى المحال.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية:٢٧]:

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ وحصول الطول إلى أحدهما هو حصول عكسه إلى سواه، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كولد آدم وما حكمه كحكمه مما أصله الماء، ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالماء مورده، ومصدره ولد آدم وما هو كولد آدم وهو كل واطئ، ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المراد: أعطاه عطاء واسعا.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آية:٢٨]:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾(١) كودادهم وطرح أسرارهم لهم ﴿مِنْ دُونِ

(١) قيل: نزلت في عبادة بن الصامت، كان له حلفاء من اليهود فأراد أن يستظهر بهم على العدو وقيل: في عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتوالون اليهود وقيل: في قوم من اليهود، وهم: الحجاج بن عمر، وكهمس بن أبي الحقيق، وقيس بن يزيد، كانوا يباطنون نفراً من الأنصار يفتنونهم عن دينهم فنهاهم قوم من المسلمين وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الأقوال مروية عن ابن عباس. وقيل: في حاطب بن أبي بلتعة، وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار قريش، فنزلت. ومعنى: اتخاذهم أولياء: اللطف بهم في المعاشرة، وذلك لقرابة أو صداقة. قبل الإسلام، =

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الوداد المصمم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾ ما هو على مسلك أوامر الله لا حرم ولا أحل ما أحل ﴿إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ (الهاء) لأعداء الله ورسوله، ﴿تُقَاةً﴾ مصدر وهو الردع، والمراد: ودادهم وداد صدر محرم إلا حصوله كلاما لا صدر الردع ما هو محرم والحكم المسطور أول عهد الإسلام لما علل، وكلما المعلل صار حكمه حكم أول العهد، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ هدد الله وردع كل أحد وإلى أحد أعداء الله ورسوله وودادهم وداد صدر مصمم لا لروع حصول مكروه له، ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ المعاد، وكل أحد راء عمله.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٩]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ مما هو وداد لأعداء الله ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وحصل ما أوعد وهدد كل موال لأعدائه أمر سهل.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:٣٠]:

=

أو يد سابقة أو غير ذلك، وهذا فيما يظهر نهوا عن ذلك، وأما أن يتخذ ذلك بقلبه ونيته فلا يفعل ذلك مؤمن، والمنهيون هنا قد قرر لهم الإيمان، فالنهي هنا إنما معناه النهي عن اللطف بهم والميل إليهم، واللطف عام في جميع الأعصار، وقد تكرر هذا في القرآن. ويكفيك من ذلك قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، والمحبة في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الدين. وقرأ الجمهور: لا يتخذ، على النهي وقرأ الضبي برفع الذال على النفي، والمراد به النهي، وقد أجاز الكسائي فيه الرفع كقراءة الضبي. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه من تعظيم الله تعالى والثناء عليه بالأفعال التي يختص بها، ذكر ما يجب على المؤمن من معاملة الخلق، وكان الآيات السابقة في الكفار فنهوا عن موالاتهم وأمروا بالرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه إذ هو تعالى مالك الملك. وظاهر الآية تقتضي النهي عن موالاتهم إلا ما فسح لنا فيه من اتخاذهم عبيداً، والاستعانة بهم استعانه العزيز بالذليل، والأرفع بالأوضع، والنكاح فيهم. فهذا كله ضرب من الموالاة أذن لنا فيه، ولسنا ممنوعين منه، فالنهي ليس على عمومه. انظر تفسير البحر المحيط (٢/٣٢١).

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو مأدى موداه ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ (هاء) الموصول مطروح ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ (الهاء) مطروح كالأول ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ الاسم الموصول أول كلام محموله حاصل ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ روما لعدم وصوله لها، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ كرره مؤكدا للحكم الأول، ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ولما ادعوا ما حاصله ما مالوا إلى ود وسواع وسواهما إلا روما لحصولهم على الوصل إلى الله أوحى الله لرسوله.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آية:٣١]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ المراد: حصولكم على السلوك على مسلك أوامر ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ معد لكم ومعط لكم أكمل العطاء على كل عمل صالح لكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ﴾ ماح كل عمل ساء ومر عهده أولا، ﴿رَحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1]

---

(١) أي قل لهم يا محمد أطيعوا الله وأطيعوا رسوله في جميع الأوامر والنواهي، وإن من يدعي أنه مطيع لله دون أن يتبع رسوله فإنه يكون كاذبا في دعواه، ولذا لم يقل - سبحانه - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، للإشعار بأن الطاعة واحدة وأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله﴾ ثم ذكر - سبحانه - عاقبة العصاة المعاندين فقال: ﴿فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ الله لا يُحِبُّ الكافرين﴾ أي: فإن أعرضوا عما تأمرهم به يا محمد ولم يستجيبوا لك واستمروا على كفرهم، فإنهم لا ينالون محبة الله، لأنهم كافرون. ففي هذه الجملة الكريمة دلالة على أن محبة الله لا ينالها إلا من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه - سبحانه - نفى حبه عن الكافرين، ومتى نفى حبه عنهم فقد أثبت بغضه، ولأنه عبر عن تركهم اتباع رسوله بالتولي وهو أفحش أنواع الإعراض، ومن أعرض عن طاعة رسول الله كان بعيداً عن محبة الله. وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت للناس من التوجيهات السامية، والآداب العالية ما من شأنه أن يغرس في النفوس إخلاص العبادة لله، والخشية من عقابه، والأمل في ثوابه، والإكثار من العلم الصالح الذي يؤدي إلى رضا الله ومحبته. وبعد هذا الحديث الحكيم المتنوع - من أول السورة إلى هنا - عن وحدانية الله، وقدرته النافذة وعلمه المحيط، وعن أحقيته للعبادة والخضوع، وعن الكتب السماوية وما اشتملت عليه من هدايات وعن محكم القرآن ومتشابهه، وعن رعاية الله - تعالى - لعباده المؤمنين، وعن تهديد الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم، وعن الشهوات الذي ارتضاه الله لعباده، وعن بعض الرذائل التي عرفت عن أكثر أهل الكتاب، وعن حث الناس على مراقبة الله - تعالى - وإخلاص =

[آية:٣٢]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ وأسرعوا لما أمركم وهو الإسلام ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما أمروا وهو الإسلام ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ معد لهم على سوء أعمالهم وعدم إسلامهم ما هم أهله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٣٣]:

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ أورد الآل، والمراد كلاهما كما مر آل موسى ومراده موسى ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لورود أولادهم رسلا وما عم الرسل.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ﴾ ولد ﴿بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ كلام كل أحد عالم محل الإرسال وأهله.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية:٣٥]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ لمصالح المصلى المطهر ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ الدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ عالم ما صممه كل أحد وهلك الوالد والأم حامل.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آية:٣٦]:

=

العبادة له حتى يكونوا ممن يحبهم ويحبونه فيسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم... بعد كل ذلك تحدث القرآن - في أكثر من ثلاثين آية - عمن اصطفاهم الله من عباده، وعن جانب من قصة مريم، وقصة زكريا وابنه يحيى - عليهما السلام - وعن قصة ولادة عيسى - عليه السلام - وما صاحبها من خرق للعادات، وما منحه - سبحانه - من معجزات وعن محاجة الكافرين من أهل الكتاب في شأنه وكيف رد القرآن عليهم. انظر التفسير الوسيط (١/٥٩٢).

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ وأملها حصولها على ولد صالح لمصالح المصلى المطهر، وهو المرء لا عكسه ﴿قَالَتْ﴾ إعلاما لعدم صلاحها لمصالح المطهر ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ والله أعلم أول كلام، ومحموله لا محل له وهو كلام الله، وروى راوٍ على كلامها، وعلى ما رواه لا محل لها كالأولى، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ المأمول لصلاحه لما مر ﴿كَالأُنْثَى﴾ لعدم صلاحها لمصالح المصلى المطهر، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود وصار دعاؤها مسموعا لدى الله لما أورده الرسل، وحاصله مولود إلا مسه المطرود إلا المدعو لها وولدها.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية:٣٧]:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ حسا وأحوالا، ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ رواه راوٍ كعلم وراوٍ كسلم، ﴿زَكَرِيَّا﴾ رواه راوٍ ممدودا، وراوٍ على سوى المد.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ هو محل أسسه وعمله لها له سلم لا أحد صاعد له إلا هو ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ مأكولا، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ المراد: هو طعام دار المأوى والسرور السرمد، ﴿إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ طعاما ومأكولا واسعا وأموالا ولا درك على معطاه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آية:٣٨]:

﴿هُنَالِكَ﴾ لما رأى ما رأى وسمع كلامها وحصل الهلاك لأهل داره كلهم، ووصل إلى حد العمر وأراد الولد، ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما صلى وأكملها وسط سواد المساء، ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا صالحا، ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ لكل داع.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آية:٣٩]:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ﴾ المراد: الروح لا سواه ولا كلهم، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي

﴿الْمِحْرَابِ﴾ المراد: المصلى ﴿أَنَّ﴾ رواه راوٍ مكسورا ﴿اللهَ يُبَشِّرُكَ﴾ كأكرم، وراوٍ ككلم ﴿بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ المراد رسول محا مسلكه وما أورده مسلك الرسول محمد وإسلام الحصور له، ووروده روحا لله لا لإرساله وحده، ﴿وَسَيِّدًا﴾ ساد أهل عصره ما عصى ولا هم له أصلا، ﴿وَحَصُورًا﴾ لا هوى له إلى أمر الوطء وحده أو إلى ما عمه وسواه، ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كما مر لا عصى ولا هم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آية:٤٠]:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾(١) ولد، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ حد العمر على ما حدوه، ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لا ولد لها ولا حمل أصلا ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ أراد الله حصول ولد لكما، ﴿اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لك حد العمر ولها داء عدم الحمل، وألهمه السؤال للوصول إلى ما هو كالمحال ولما رام حصوله.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آية:٤١]:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ دالا على حصول حمل أهله ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ على الحمل ﴿أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ عدم كلامك أحدا سوى حمد الله وما هو كالحمد ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ مع سوادها ﴿إِلا رَمْزًا﴾ مصدر وهو كمصدر أومأ حكما ومؤدى، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ هلل ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية:٤٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ المراد

---

(١) قال العلماء منهم الحسن وابن الأنباري وابن كيسان كأنه قال من أي وجه يكون لي الولد أيكون بإزالة العقر عن زوجتي ورد شبابي أم يأتي ونحن على حالنا فكان ذلك على سبيل الاستعلام لا على وجه الشك قال الزجاج يقال غلام بين الغلومية وبين الغلامية وبين الغلومة قال شيخنا أبو منصور اللغوي الغلام فعال من الغلمة وهي شدة شهوة النكاح ويقال للكهل غلام. انظر زاد المسير (٣٨٥/١).

أحدهم، وهو الروح ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ﴾ **لا أحد ماس لك،** ﴿وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ **عالم عصرها وأهله.**

﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٣]:

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ **هو السلوك على أوامر الله** ﴿لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ **صلي مع كل مصل.**

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1] [آية:٤٤، ٤٥]:

﴿ذَلِكَ﴾ **المسطور وهو أمرهما** ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ **ما وصل له عملك** ﴿نُوحِيهِ

(١) اذكر أيها النبي حين قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بمولود منك من غير أب هو الكلمة، أي وجد بكلمة كُنْ فَيَكُونُ من الله، من غير واسطة بشر، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فهو منسوب إليك، ولقب بالمسيح، لمسحه بالبركة أو بالدهن الذي يمسح به الأنبياء، وهو ذو جاه في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة، ومن المقربين إلى الله يوم القيامة. ويكلم الناس وهو طفل صغير في المهد: مضجع الطفل حين الرضاع، وفي الكهولة: ما بعد الثلاثين أو الأربعين إلى الشيخوخة، أي يكلم الناس في الحالين بالوحي والرسالة، وهو من العباد الصالحين. قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة: كيف يكون لي ولد، ولم يقربني رجل؟ فأجابها الوحي بالإلهام: مثل ذلك يخلق الله ما يشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته، وإذا أراد أمرا أو شيئا ممكنا، أوجده بكلمة كُنْ فيكون كما أراد. ويعلّم الله عيسى الكتابة والخط، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل: الكتاب الذي أوحي إليه من بعد ذلك.

ويرسله الله رسولا إلى بني إسرائيل: أني أنبئكم بعلامة دالة على صدق نبوتي ورسالتي، وهي أنني أصورّ لكم من الطين شيئا كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيصير حيا كهيئة سائر الطيور، بإرادة الله، فالخلق الحقيقي من الله، وأبرئ الأكمه: الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به البرص: وهو بياض يظهر في الجلد منفّر، وخصّ هذان المرضان، لاستحالة الشفاء منهما في العادة الغالبة، وأحيي الموتى، وكل ذلك بإرادة الله تعالى، وأخبركم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم من الحبوب وغيرها، مما لا يطلع عليه الناس عادة، إن في جميع ما ذكر دليلا قاطعا، وحجة ظاهرة على صدق رسالتي، إن كنتم مصدقين بالرسالات الإلهية. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١٩٦/١)

﴿إِلَيْكَ﴾ المراد: محمد رسوله، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾ وسط الماء لحصول العلم لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ على الأمر المحرر ولولا إعلام الله لك ما أدركه عملك وأورد ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أحدهم وهو الروح ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ المراد: ولد، وسماه ما سماه لورودها مصدرا له اسم الولد ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وصل الولد ورده للام إعلاماً لحصوله لها مع عدم الوالد، ﴿وَجِيهًا﴾ له سودد ومعمول على الحال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لحصوله على ما عم الإرسال، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ لحلوله المحل الأسمى، ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ لدى الله أو أومأ إلى صعوده إلى السماء.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية:٤٦، ٤٧]:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لا حلالا ولا عهرا ﴿قَالَ﴾ الملك وهو الروح الأمر ﴿كَذَلِكِ﴾ وهو حملها لولد لا والد له ﴿اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراد حصوله ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آية:٤٨]:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ المراد: كلما أورده الرسل إلى العالم أو المراد علم الرسم وهو الأولى، ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آية:٤٩]:

﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ مع عدم إدراكه الحلم أو حال إدراكه وأرسل الملك، وهو الروح ما أرسل وسط درعها ولما أرسله الله إلى الهود كلمهم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ

بِآيَةٍ﴾ دال مصحح للدعوى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿أَخْلُقُ﴾ المراد: أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ (الهاء) مردود إلى معمول ما أدى مؤدى أصور وهو (ك) الحال محل اسم أدى مؤداه، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ ورواه راوٍ: طائرا.

﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ وصوره لهم الوطواط وطار وهم رأوه وصار كلما وصل إلى محل وراء محط مرآهم حصل له الحمام، ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾ هو كل مولود ولد أعمى، ﴿وَالأَبْرَصَ﴾ وأوردها لا سواهما لورودهما داء لا دواء له وداوى أمما وعوالم وعاهدهم على الإسلام له ودعا لهم وسلمهم الله للحال، ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كسام وما عمر وحالا عاد له الحمام وسواه وعمر أو ولد لهم ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ كرره لطرد وَهْم ادعاء ما حاصله هو إله، ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وأعلمهم ما أكل أحدهم وما هو آكل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية:٥٠]:

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ ما مر عهده أولا ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ﴾ المراد: الكل أو هو على مسلكه المعلوم ﴿الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأحل لهم السمك وسواه، ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرره مؤكدا لما مر وأساسا لأمره لهو وهو، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لما أمركم، وهو لا إله إلا الله، والسلوك على مسلك أوامره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آية:٥١]:

﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ المراد ما دلهم على سلوكه ﴿صِرَاطٌ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ سوى وردوا أمره وما أسلموا له.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آية:٥٢]:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا إهلاكه ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى﴾ إعلاء أوامر ﴿اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ مورده الحور، وهو عكس السواد، وصار اسما لها لحصولهم على الحور، وهم حور أو لما حوروا كل كساء ورداء سموا حورا ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥٣]:

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ الكلام الموحى إلى رسولهم ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ المراد رسولهم روح الله، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك على لا إله إلا الله ولرسولك على الإرسال.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آية: ٥٤]:

﴿وَمَكَرُوا﴾ الهود لما أرسلوا ودكلوا لإهلاكه، ﴿وَمَكَرَ اللهُ﴾ حط وسم الرسول على أحدهم وأصعد رسوله إلى السماء، وأصل المكر محال على الله، وسمي ما حصل مكرا على الاصطلاح المعلوم، ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلم وأحكم إلى الوصول إلى المراد.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] [آية:٥٥]:

﴿إِذْ﴾ معمول لمطروح وهو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مصعدك إلى السماء أو المراد: حلول حمامه حال الصعود، أو المراد: حمام الهوى الرادع وصوله إلى العالم الأعلى، أو المراد: حصول عكس السهر له كله

(١) وفي هذا التوفي قولان أحدهما أنه الرفع إلى السماء والثاني أنه الموت فعلى القول الاول يكون نظم الكلام مستقيما من غير تقديم ولا تأخير ويكون معنى متوفيك قابضك من الأرض وافيا تاما من غير أن ينال منك اليهود شيئا هذا قول الحسن وابن جريج وابن قتيبة واختاره الفراء ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ المائدة ١١٧ أي رفعتني إلى السماء من غير موت لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه لا بعد موته وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك هذا قول الفراء والزجاج في آخرين فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته قال سعيد بن المسيب رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقال مقاتل رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان وقيل عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ويقال ماتت قبل رفعه. انظر زاد المسير (١/٣٩٧).

مسطور وأولها أولى، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ المراد: إلى محل الإكرام، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محول محلك إلى محل سواه لسوء حالهم، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ الأولى اسلموا لك ولإرسالك ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم الهود وعلاهم على الهود علو كلام وحسام ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الكلام مع الرسول وأهل الإسلام الأولى اسلموا له والهود، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المراد: حصول الحكم على كل أمر ما سلموا لحصوله أمر حال أوامر معاد ومآل كعدم إرساله وما هو كحكمه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [آية:٥٦]:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ وهو إهلاكهم وورودهم موارد الحمام، ووصول أهل الإسلام إلى أموالهم وأملاكهم، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ وهو ما أعده لهم على سوء أعمالهم، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا راد لما أراده لهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:٥٧]:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ موردهم على موارد سوء أعمالهم وأرسل الله ركاما وسمك الركام المسطر رسوله إلى السماء، ولما رأى حال أمه كلها ما حاصله لا مرأى إلا للمعاد.

﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَـٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ [آية:٥٨]:

﴿ذَلِكَ﴾ المحرر، وهو أمر الروح وأمه أول كلام محموله ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد رسوله ﴿مِنَ الآيَاتِ﴾ حال الهاء المعمول للمحمول وعامل الحال مؤدى ما أومأ، ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم، وهو الكلام المكرم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية:٥٩]:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ حاله، وأمره كالحال إدراكه للعالم ﴿عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ وحالها حصول ولد ولا والد له مع حصول آدم ولا أم له ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (الهاء) لآدم، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ آدم ﴿فَيَكُونُ﴾ المراد: صر وصار وحكى الحال.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آية:٦٠]:

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ محمول لأول كلام مطروح، وهو أوامر رسوله الروح، ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أهل الأوهام والكلام مع رسوله محمد روما لدوامه على حال الكمال أو مع كل سامع.

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آية:٦١]:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ ما راك ﴿فِيهِ﴾ (الهاء) للروح ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ﴾ لكل ممارء ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾[1] المراد: الدعاء على السالك سوى مسلك العدل، ودعا رسول الله أهل محل معلوم إلى الحكم المسطور وما طاوعوه لحصوله ولو طاوعوه لعادوا إلى محلهم ولا رأوا لا أهلهم ولا أولادهم أو لو طاوعوه لأهلكهم الله للحال ولما علموا ما هو حاصل لهم صالحوه على الأموال وعدد حلل وعدد دروع وعادوا إلى محلهم، ﴿فَنَجْعَلْ

---

(١) قال الرازي: اتفق أني حين كنت بخوارزم، أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم، فذهبت إليه وشرعنا في الحديث وقال لي: ما الدليل على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلّم، فقلت له كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد صلى الله عليه وسلّم، فإن رددنا التواتر، أو قبلناه لكن قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق، فحينئذ بطلت نبوّة سائر الأنبياء عليهم السلام، وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم إنهما حاصلان في حق محمد وجب الاعتراف قطعاً بنبوّة محمد عليه السلام ضرورة أن عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول، فقال النصراني: أنا لا أقول في عيسى عليه السلام إنه كان نبياً بل أقول إنه كان إلهاً، فقلت له الكلام في النبوّة لا بد وأن يكون مسبوقاً بمعرفة الإله وهذا الذي تقوله باطل ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوماً وقتل بعد أن كان حياً على قولكم وكان طفلا أولا، ثم صار مترعرعاً، ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ، وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنياً والممكن لا يكون واجباً والمتغير لا يكون دائماً. انظر تفسير الرازي (١/١١٦٤).

لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ هو الدعاء المحرر أو الكلام.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية:٦٢]:

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الحكم المسطر وهو أمر الروح وأمه ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ ما طراه وهم ﴿وَمَا مِنْ﴾ مؤكد لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ إِلا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا أحد سواه مساو لأحكامه وحكمه، وهو العالم كل حكم والمحل أمر محله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية:٦٣]:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لا سلموا ولا أسلموا ﴿فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ معد لهم أعمالهم ومواردهم على سوء مواردها على ما هم أهله.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آية:٦٤]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الهود وسواهم ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مصدر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والمراد: هلموا إلى حكم وأمر سلم له الرسل والعالم وهو ﴿أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ما سلموا للحكم المحرر ولا أسلموا ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آية:٦٥]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ المراد: العموم الهود وسواهم ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ادعى كل واحد سلوك الرسول المحرر على مسلكه، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ودعواكم سلوكه على مسلككم لا أصل لها ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ عدم صلاح دعواكم.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية:٦٦]:

﴿هَأَنْتُمْ﴾ أول كلام ﴿هَؤُلاءِ﴾ مدعو طرح مؤداه ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ وهو ادعاؤكم سلوك موسى الرسول والروح على مسلككم، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ حال ومسلك رسله كلهم، ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ورد الله دعواهم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية:٦٧]:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى المسلك السوي ﴿مُسْلِمًا﴾ موحدا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أحدا مع الله.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:٦٨]:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ الأولى مروا على عهده وعصره، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد لسلوكهما على مسلك واحد، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم أهل الإسلام لمحمد الأولى لو ادعوا سلوكهم على مسلكه لصح مدعاهم، ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالئ لهم، وأوحى الله لرسوله لما دعا الهود عمارا وسواه لسلوكه على مسلكهم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية:٦٩]:

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ لورودهم على أسوء الموارد، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ما هم دار وسوء حالهم وما أعد الله لهم.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آية:٧٠]:

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾[1] الكلام المكرم الموحى لمحمد، ﴿وَأَنْتُمْ

---

(١) أي: لماذا تكفرون بآيات الله - تعالى - التي يتلوها عليكم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والحال أنكم تعلمون صدقها وصحتها علما يقينا كعلم المشاهدة والعيان، وتعرفون أنه نبي حقا كما تعرفون أبناءكم. والاستفهام في قوله ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ لتوبيخهم والتعجيب من شأنهم، وإنكار ما هم عليه من كفر بآيات الله مع علمهم بصدقها. وفي هذا النداء إشارة إلى أن ما أعطوه من علم كان يقتضي منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه صلى الله =

تَشْهَدُونَ﴾ على عدم عمل محمد له، وهو كلام الله.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آية:٧١]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ وهو حطهم كلاما ما أوحاه الله وسط الكلام الموحى، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ إرسال محمد، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إرساله.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آية:٧٢]:

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد الهود لأحدهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو كلام الله ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أوله، ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ لعل أهل الإسلام ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما سلكوه، وهو الإسلام لحصول الوهم على دعواهم لأهل الإسلام لأمر حاصله ما أسلم هؤلاء لمحمد وعادوا إلى مسلكهم الأول وهم علماء إلا لما ما صح أمر الإسلام لدى علمهم وإدراكهم.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٧٣]:

﴿وَلا تُؤْمِنُوا إلا لِمَنْ﴾ (اللام) مؤكد ﴿تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أمر الله محمد ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ وهو الإسلام وما سواه ما هو هدى ﴿أَنْ﴾ عامل بالكسر مطروح وهو اللام لورد اللام، والمصدر معموله إلى مطروح، والمراد حملهم الحسد على ادعائهم أو عامل المصدر سوى اللام ومرده إلى معمول لا أول الكلام واحد هو الأمر العام واحده الاسم الموصول الام لإلا، والمراد: عدم إطلاعهم أحدا على حصول الكلام الموحى والحكم لسوى السالك على مسلكهم.

=

عليه وسلم والتي تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التي جاءهم بها صلى الله عليه وسلم. انظر التفسير الوسيط (٦٣٩/١).

﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ أهل الإسلام، وأورد ما أمه على معمول محصل المصدر ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وادعاؤهم ما حصل أحد على الكلام المكرم الموحى ولا على الحكم سواهم دعوى لا أصل لها، ﴿وَاسِعٌ﴾ عطاؤه، ﴿عَلِيمٌ﴾ أهل العطاء والإكرام وسواهم.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آية:٧٤]:

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ رد لدعواهم ومحولها.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:٧٥]:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ مال له كم، وهو ولد سلام أودعه واحد أموالا وأداها له، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كأحد أودع واحدا مما حرر ورام أكله وعدم أدائه إلى مودعه، ﴿إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ إلا حال دوامك على رأسه ملحا على أدائه لك ما أودعه، ﴿ذَلِكَ﴾ أو ما إلى عدم الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ حرام المراد علل عدم أداء ما أودعوه ادعاؤهم حل أموال كل أحد سلك على عدم مسلكهم وادعوا ورودا أمر الله لهم على ما ادعوه ورد الله دعواهم لما أوحى لرسول، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عدم سلوكهم على مسلك أمر الله لهم.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آية:٧٦]:

﴿بَلَى﴾ أموال سوى الهود حرام على الهود ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ ما عاهد الله على أدائه أو ما عاهده على ادائه كالمودع وسواه، ﴿وَاتَّقَى﴾ أطاع الله وما عصاه ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ معد لهم على أعمالهم ما هم أهله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آية:٧٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ ما عاهدوه أو ما عاهدهم وهو الإسلام للرسول محمد، أو المراد الأعم لكل عهد أو حملهم كلام الله على سوى محمله كوسم الرسول محمد، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ على الإسلام له كما حكى الله حصوله لدى العالم الأول، أو الأعم، والمراد كل أمر آلوا على حصوله أو عدمه مع عدم الحصول أو الحصول، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ما رسمه لهم أهل مللهم أموالا وسواها على حملهم كلام الله على سوى ما أرادوه، ﴿أُولَئِكَ لا خَلاقَ﴾ لا سهم ﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ كلام سرور أو أصلا، ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ المراد: ما هو راحمهم، ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ ما هو مطهرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم على ما عملوه، وهو حملهم كلام الله على سوى محمله أو لما آلى أحدهم على رأس مآل، والحال على سوى ما آلى أو لما حملوا وسم الرسول محمد على سواه.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] [آية:٧٨]:

---

(١) أي من اليهود طائفة تخيل للمسلمين أشياء أنها مما جاء في التوراة، وليست كذلك، إما في الاعتذار عن بعض أفعالهم الذميمة، كقولهم: ليس علينا في الأميين سبيل، وإما للتخليط على المسلمين حتى يشككوهم فيما يخالف ذلك مما ذكره القرآن، أو لإدخال الشك عليهم في بعض ما نزل به القرآن، فاللَّيُّ مجمل، ولكنه مبين بقوله: (لتحسبوه من الكتاب) وقولِه: (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله). واللَّيُّ في الأصل: الإراغة أي إدارة الجسم غير المتصلب إلى غير الصوْب الذي هو ممتدّ إليه: فمن ذلك ليّ الحَبْل، وليّ العنان للفَرس لإدارته إلى جهة غير صوب سَيره، ومنه لَيّ العنق، وليّ الرأس بمعنى الالتفات الشزر والإعراض قال تعالى: (لووا رؤوسهم) (المنافقون: ٥). واللّي في هذه الآية يحتمل أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن طريق حرف من حروف الهجاء إلى طريق حرف آخر يقاربه لتعطي الكلمة في أذن السامع جرس كلمة أخرى، وهذا مثل ما حكى الله عنهم في قولهم (راعنا) وفي الحديث من قولهم في السلام على النبي: (السامُ عليكم) أي الموت أو (السِّلام بكسر السين عليك) وهذا اللّي يشابه الإشمام والاختلاس ومنه إمالة الألف إلى الياء، وقد تتغير الكلمات بالترقيق والتفخيم وباختلاف صفات الحروف. والظاهر أنّ الكتاب هو التوراة فلعلهم كانوا إذا قرؤوا بعض التوراة بالعربية نطقوا بحروف من كلماتها بينَ بينَ ليوهموا المسلمين معنى غير المعنى المراد، وقد كانت لهم مقدرة ومِراس في هذا. انظر التحرير والتنوير (٣/٢٩١).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ المراد: حاملو كلام الله على سوى محمله كمالك وسواه، ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ أمالوها إلى ما حملوه وأرادوه ﴿بِالْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ (الهاء) لكلام هم أحلوه وسط كلام الله ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلام الله الموحى، ﴿وَمَا هُوَ﴾ ما أحلوه ﴿مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أكد الكلام الأول، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عمدهم وحملهم كلام الله على سوى محمله وحطهم وسطه كلاما ما أوحاه الله، ولما أدعى مدعو الولد والأم للإله ما حاصله رسولهم الروح هو دلهم على وروده آلها لا رسولا وهو أمرهم إلى سلوك هؤلاء المسالك رد الله دعواهم وأوحى لرسوله محمد.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٩]:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ إدراك أساس الإرسال، ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ﴾ أمره للأمم والعوالم ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ علماء عمالا كملا على حكم العلم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ رواه والد عمرو وسواه على أصله مورده العلم، وراو كسلم ﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ رواه راوٍ درس كأمر، وراوٍ درس ككرم، وراوٍ أدرس كأكرم.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آية:٨٠]:

﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ادعاؤكم أمر الرسول لواحد مما حرر محال.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آية:٨١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾

عهدهم ﴿لَمَا﴾ رواه راوٍ ككما على ورود اللام لام أول الكلام أو مؤكدا، وراوٍ مكسورا، وعلى الأول الاسم الموصول أول كلام، وعلى الكسر معمول للأم الكسر، ﴿آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ وهو محمد رسوله الأكرم، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ لو أدركوا عصره وورود أممهم على العهد المحرر ورود الأولى ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ الأمر العهد ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أرواحكم، وعلى أممكم ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على الأمم والرسل.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آية:٨٢]:

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد المسطور ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آية:٨٣]:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ رواه راوٍ إلى السامع، وراوٍ إلى سواه، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ طأطأ رأسه ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾ ما مرد على أوامره أصلا، ﴿وَكَرْهًا﴾ مع الحسام، أو لما رأى ما أكرهه على السلوك مسالك أوامره، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ رواه راوٍ إلى السامع، وراوٍ إلى سواه.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آية:٨٤]:

﴿قُلْ﴾ لهم، والأمر لمحمد رسوله ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاد الأولاد، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ كالإسلام لأحدهم وعدم الإسلام لسواه، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ولما مرد أحد أهل الإسلام وعاد إلى عكسه أوحى الله لرسوله.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[1] [آية:٨٥]:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ وهو لا إله إلا الله والسلوك على مسلك حكم الله ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لوروده موارد الهلاك السرمد.

﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آية:٨٦]:

﴿كَيْفَ﴾ المراد: لا ﴿يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ (الواو) للحال أو لرد المصدر على الاسم المكسور على حد سماعك ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ كل ما دل على إرساله، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أصله كل محل أمرا سوى محله، وهم أحلوا عكس الإسلام محل الإسلام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [آية:٨٧]:

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ﴾ أهل الإسلام أو الأعم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آية:٨٨]:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ المراد: حلولهم وسط مدلولها، وهو ما أعده الله لهم على سوء

---

(١) قال الرازي: لو كان الإيمان غير الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان ديناً مقبولا عند الله تعالى. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلاكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ١٤) هذا صريح في أن الإسلام مغاير للإيمان.
قلنا: الإسلام عبارة عن الانقياد في أصل اللغة على ما بينا، والمنافقون انقادوا في الظاهر من خوف السيف، فلا جرم كان الإسلام حاصلا في حكم الظاهر/ والإيمان كان أيضاً حاصلا في حكم الظاهر، لأنه تعالى قال: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١) والإيمان الذي يمكن إدارة الحكم عليه هو الإقرار الظاهر، فعلى هذا الإسلام والإيمان تارة يعتبران في الظاهر، وتارة في الحقيقة، والمنافق حصل له الإسلام الظاهر، ولم يحصل له الإسلام الباطن، لأن باطنه غير منقاد لدين الله، فكان تقدير الآية: لم تسلموا في القلب والباطن، ولكن قولوا: أسلمنا في الظاهر، والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١/١١١١).

أعمالهم، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا إمهال لهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٨٩]:

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم عادوا إلى الإسلام وسلكوا على مسلك أوامر الله وحكمه، ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما صدر، ﴿رَحِيمٌ﴾ لحالهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آية:٩٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم الهود لما ما أسلموا لروح الله وراموا إهلاكه ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إسلامهم لموسى، ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ لعدم إسلامهم لمحمد رسوله ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لحصولهم مع الإصرار أو لصدورها لردع هلاكهم أو لو مر العمر ووردوا موارد أول الحمام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ المراد: دوامهم على عدم الهدى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آية:٩١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ﴾ ملء المحل ما ملأه، ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ عدله مردود، ولما صار الاسم الموصول كمهما أورد على محموله ما أورد على آم الآم لمهما، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا راد لما أعده الله لهم.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾ [آية:٩٢]:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ ما أعد الله لكم على عمله ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ هو المال، والمراد: العطاء على العموم مأمورا لإعطائه ومحدودا كأحد أساس الإسلام أولا، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ معده لكم أكمل إعداد معاملكم على إعطائه، ولما أورد الهود على الرسول محمد ما حاصله هو مدع سلوكه على مسلك والد الرسل ووالد ما أكل لحوم العلطوس ولا درها أوحى الله لرسوله ردا لما أورده.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن

قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (١)[آية:٩٣]:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا﴾ حلالا ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو لحم العلطوس حرمه لما حصل له داء وسلمه الله عاهد الله على أكله وصار حراما على كلهم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ ووالد الرسل ما أدرك عصرا حرم الله على أهله لحم العلطوس، والمراد: إعلام الرسول الهود عدم علمهم عصر الحرام وعلله، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آية:٩٤]:

---

(١) قال محمد رشيد رضا: قَالُوا: إِذَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - كَمَا تَدَّعِي - فَكَيْفَ تَسْتَحِلُّ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كَلَحْمِ الإِبِلِ؟ أَمَا وَقَدِ اسْتَبَحْتَ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ فَلا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَدَّعِيَ أَنَّكَ مُصَدِّقٌ لَهُمْ وَمُوَافِقٌ فِي الدِّينِ، وَلا أَنْ تَخُصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالذِّكْرِ وَتَقُولَ: إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ. هَذِهِ هِيَ الشُّبْهَةُ الأولَى. وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ تَكُونَ الْبَرَكَةُ فِي نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْحَاقَ، وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْحَاقَ كَانُوا يُعَظِّمُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ، فَلَوْ كُنْتَ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَعَظَّمْتَ مَا عَظَّمُوا، وَلَمَا تَحَوَّلْتَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَعَظَّمْتَ مَكَانًا آخَرَ اتَّخَذْتَهُ مُصَلًّى وَقِبْلَةً - وَهُوَ الْكَعْبَةُ - فَخَالَفْتَ الْجَمِيعَ. فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ هُوَ جَوَابٌ عَنِ الشُّبْهَةِ الأولَى، قَالَ الأُسْتَاذُ الإِمَامُ: وَلَكِنَّ الْجَلالَ وَكَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يُقَرِّرُونَ الشُّبْهَةَ وَلا يُبَيِّنُونَ وَجْهَ دَفْعِهَا بَيَانًا مُقْنِعًا، إِذْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَالصَّوَابُ مَا قَصَّهُ اللهُ - تَعَالَى - عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الآيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ الَّتِي تُوَضِّحُهَا، وَهِيَ أَنَّ كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حَلالا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلإِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلُ بِالأَوْلَى، ثُمَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ فِي التَّوْرَاةِ عُقُوبَةً لَهُمْ وَتَأْدِيبًا، كَمَا قَالَ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [٤: ١٦٠] الآيَةَ. فَالْمُرَادُ بِإِسْرَائِيلَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ، كَمَا هُوَ مُسْتَعْمَلٌ عِنْدَهُمْ، لا يَعْقُوبُ نَفْسُهُ. وَمَعْنَى تَحْرِيمِ الشَّعْبِ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ: أَنَّهُ ارْتَكَبَ الظُّلْمَ وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ التَّحْرِيمِ، كَمَا صَرَّحَتِ الآيَةُ. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الأَصْلُ فِي الأَطْعِمَةِ الْحِلَّ، وَكَانَ تَحْرِيمُ مَا حَرُمَ عَلَى إِسْرَائِيلَ تَأْدِيبًا عَلَى جَرَائِمَ أَصَابُوهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ وَأُمَّتُهُ لَمْ يَجْتَرِحُوا تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، فَلَمْ تَحْرُمْ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتُ؟ ثُمَّ قَالَ مُبَيِّنًا تَقْرِيرَ الدَّفْعِ وَسَنَدَهُ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ ؛ لا تَخَافُونَ أَنْ تُكَذِّبَكُمْ نُصُوصُهَا. أَقُولُ: كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ جِئْتُمْ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنْهَا لَمَا كَانَ إِلا مُؤَيِّدًا لِلْقُرْآنِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَنَّهَا هِيَ حَرَّمَتْ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَتْ. وَعُلِّلَتْ جُمْلَةُ التَّكَالِيفِ بِأَنَّكُمْ شَعْبٌ غَلِيظُ الرَّقَبَةِ مُتَمَرِّدٌ يُقَاوِمُ الرَّبَّ، كَمَا قَالَ مُوسَى عِنْدَ أَخْذِ الْعَهْدِ عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ. انظر تفسير المنار (٤/٤).

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ سطوع الدلائل على أصل الحرام لم، وعلى عدم حصوله على عهد والد الرسل، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لعدم سلوكهم على العدل.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آية: ٩٥]:

﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ كل ما حكاه كما سطره ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مسلكه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا لأحكام الله وإلى ما حده له، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولما ادعى الهود ما حاصله مأمهم وهو المصلى المطهر أول كل مأم أوحى الله لرسوله ردا لدعواهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آية:٩٦]:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مأما ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هو ما أسس وسط الحرم الحرام كما ورد أسسه الأملاك ما صور ولا أسس محل عصره أصلا، ولما مر لعماره أعوام أمروا لإعمار المصلى المطهر، ﴿مُبَارَكًا﴾ حال الاسم الموصل، ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لما صار مأمًّا لهم.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آية:٩٧]:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كعدم ورود الطائر على حائطه وهوى حائطه وعدم صدم الأساد وإهلاكها سواها وسط الحرام وأعلاها، ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ محل دوامه حال سمك أساسه، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ولو لحد وسواه.

﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ﴾ مصدر مكسور الحاء وكأمر ﴿الْبَيْتِ مَنِ﴾ اسم موصول معمول على اصطلاح العامل المكرر وهو على ﴿اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ مسلكا، وهو المحمل والمأكل، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ما أم الحرم كما أمر الله ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم والأرواح كالملك وسواه.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٨]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم، ﴿وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا

تَعْمَلُونَ﴾ مطلع ومعاملكم على عملكم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٩٩]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ مسلكه المؤسس للعالم وهو الإسلام ﴿مَنْ آمَنَ﴾ اسم موصول معمول لما أم لِمَ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ (الهاء) لما أدى مؤدى المسلك ﴿عِوَجًا﴾ مصدر أو حال الواو، والمراد: راموا مسلك حكم الله مائلا، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ كلكم عالم المسلك السوى والهدى هو الإسلام، ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مطلع على عملكم ومعد لكم، ولما مر أحد الهود على الأوس ورأى حالهم حال وداد كرهه وأساءه حالهم ورام عكسه وحصول السلاح حرك لهم ما صدر أول العهد روما لعدم صلاح حالهم أوحى الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية:١٠٠، ١٠١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ محمد، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ﴾ كل ماسك لما أسسه الله للعالم وهو الإسلام ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ سوي موصل إلى الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١)

---

(١) لما حذرهم تعالى من إضلال مَنْ يريدُ إضلالهم، أمرهم بمجامع الطاعات، فرهبهم أولا بقوله: اتقوا الله، إذ التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله، ثم جعلها سبباً للأمر بالاعتصام بدين الله، ثم أردف الرهبة بالرغبة، وهي قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ وأعقب الأمر بالتقوى والأمر بالاعتصام بنهي آخر هو من تمام الاعتصام. قال ابن مسعود، والربيع، وقتادة، والحسن: حق تقاته هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. وروي مرفوعاً. وقيل: حق تقاته اتقاء جميع معاصيه. وقال قتادة، والسدي، وابن زيد، والربيع: هي منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أمروا أولا بغاية التقوى حتى لا يقع إخلال بشيء ثم نسخ. وقال ابن عباس، وطاوس: هي محكمة. ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لقوله: اتقوا الله حق تقاته.
=

[آية:١٠٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وهو طرح الوسع لما أمر وعدم الورود على موارد ما ردع، ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ المراد: عدم سلوكهم على حال سوى حال الإسلام.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية:١٠٣]:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾ المسلك الموصل له وهو الإسلام أو كلام الله المكرم كما ورد ﴿جَمِيعًا﴾ كلكم، ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ كما رام أعداؤكم، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ آلاءه ﴿عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ﴾ أولا حال عدم الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ لما حصل لكم الإسلام والهدى، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ مسلكا وإسلاما لمحمد، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ لو أدرككم الحمام على حالكم الأول لصار كلكم لها، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ لما هداكم للإسلام، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حكى آلاءه لكم ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ المراد: لحصول دوامكم على حال الهدى.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية:١٠٤]:

﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ﴾ كل داع وآمر ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصلو صلاح حالهم ومالهم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية:١٠٥]:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلائل والحكم

=

وقيل: هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه. وقيل: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. وقال ابن عباس: المعنى جاهدوا في الله حق جهاده. وقال الماتريدي: وفي حرف حفصة اعبدوا الله حق عبادته. انظر تفسير البحر المحيط (١٣/٣).

الساطع أمرها وهم الهود، ومدعو الأهل والولد للواحد الحد، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أوعدهم على سوء عملهم ومسراهم.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية:١٠٦]:

﴿يَوْمَ﴾ معمول المطروح وهو أورد لهم أو عامله مؤدى لهم ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ المراد: مما هو سواد وعكسه حصول السرور وعكسه، أو المراد: حصولها لإهلهما حسا كوسم أهل الإسلام وسطوع عكس السواد على لألاء حلاهم وكلح أهل اللوم، وكلاهما أمر لا محسوس لدى المعاد.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ كلهم مكلم ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ لما عاهدوا الله على الإسلام لمحمد لدى عالم الأرواح، أو لما حصل الدال على إرساله وأدركوه إدراكا كاملا صاروا كمسلم عدل إلى سوى الإسلام، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الأمر لحصول الكدر والهم لهم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أعده لكم على سوء أعمالكم وعدم إسلامكم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آية:١٠٧]:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ المراد: حلولهم وسط مدلولها، وهو دار السرور السرمد المعد لأهل لا إله إلا الله.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آية:١٠٨]:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول محمد ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهو على الله محال لعدم حلوله دوائر المحكوم على مراده وهو الملك والحاكم لا حد ولا محدود.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾(١)[آية:١٠٩]:

---

(١) قال الرازي: إنما ذكر هذه الآية عقيب ما تقدم لوجهين الأول: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بأن فاعل القبيح إنما يفعل القبيح إما للجهل، أو العجز، أو الحاجة، وكل =

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ **ملكا ومملوكا،** ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ **وهو معد لكل عمله.**

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آية:١١٠، ١١١]:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ **الكلام لأهل الإسلام لمحمد وهو دال على صلاح حالهم ومدحهم سرمد وأمدا على الدوام** ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ **ورسوله مع كل ما حده وأسسه لهم،** ﴿وَلَوْ آمَنَ﴾ **أسلم لمحمد** ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ﴾ **الإسلام** ﴿خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ **كولد سلام وسواه،** ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ **الكلام لأهل الإسلام، والواو للهود** ﴿إِلا أَذًى﴾ **كلاما لا طائل له،** ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ﴾ **لروعهم وعدم علمهم أمر المراس،** ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ **على أهل الإسلام أصلا.**

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية:١١٢]:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ **هدر الأرواح والأموال والأهل** ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ **حلوا** ﴿إِلا بِحَبْلٍ﴾ **وعد أو عهد** ﴿مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ﴾ **وعد أو عهد** ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ **أهل الإسلام،**

=

ذلك على الله محال لأنه مالك لكل ما في السموات وما في الأرض، وهذه المالكية تنافي الجهل والعجز والحاجة، وإذا امتنع ثبوت هذه الصفات في حقه تعالى امتنع كونه فاعلا للقبيح والثاني: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه كان لقائل أن يقول: إنا نشاهد وجود الظلم في العالم، فإذا لم يكن وقوعه بإرادته كان على خلاف إرادته، فيلزم كونه ضعيفاً عاجزاً مغلوباً وذلك محال. انظر تفسير الرازي (١/١٢٢٣).

والمراد: كل أحوالهم الحصر والكهر ما عدا حال وعد أهل الإسلام وعهدهم لهم، ﴿وَبَاءُوا﴾ عادوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ﴾ ما سطر كله ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد: ولو على دعواهم ﴿ذَلِكَ﴾ مؤكد للأول ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ورسوله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ لإحلالهم الحرام محل الحلال.

﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آية:١١٣]:

﴿لَيْسُوا﴾ (الواو) لأهل الكلام الموحى ﴿سَوَاءً﴾ حالهم ما هو واحد ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ حالها دائم على المسلك السوي كولد سلام وسواه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ﴾ وهو الكلام المكرم ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (الواو) للحال، وهو حال الواو.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آية:١١٤، ١١٥]:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وكل هؤلاء المدائح ما حواها الهود وحووا عكسها، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أهل المحامد المحرر سردها ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سوه ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ على السامع وسواه، والمراد: ما هو سدى معاملكم الله على عمله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آية:١١٦، ١١٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ ما هم رادو ما

أعده الله لهم، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ (الواو) لأهل اللؤم الهود وسواهم ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمراد: إعطاؤهم الأموال على عدم صلاح أحوال الرسول حسدا ولؤما وروعا على أرواحهم وأهلهم وأموالهم ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ الصر: الحر أو عكسه وهو الأولى ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ ما هم حاصدوه ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أحلوا سوى الإسلام محل الإسلام وعصوا أوامر الله ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ راح سدى وهلك على أهله، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ لإهلاك أموالهم، ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما عصوا أمر مولاهم وما سلكوا مسالك الحامد لآلاء الله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِى صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأَيَـٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1] [آية:١١٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ أحدا للوداد مطلعا على أسراركم.

(١) نزلت في رجال من المؤمنين يواصلون رجالا من يهود للجوار والحلف والرضاع قاله: ابن عباس. وقال أيضاً هو وقتادة والسدي والربيع: نزلت في المنافقين. نهى الله المؤمنين عنهم شبه الصديق الصدق بما يباشرُ بطن الإنسان من ثوبه. يقال: له بطانة ووليجة. وقوله: من دونكم في موضع الصفة لبطانة، وقدّره الزمخشري: من دون أبناء جنسكم، وهم المسلمون. وقيل: يتعلق من بقوله: لا تتخذوا. وقيل: مِنْ زائدة، أي بطانة دونكم. والمعنى: أنهم نهوا أن يتخذوا أصفياء من غير المؤمنين. ودل هذا النهي على المنع من استكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع والشراء والاستنابه إليهم. وقد عتب عمر أبا موسى على استكتابه ذمياً، وتلا عليه هذه الآية. وقد قيل لعمر في كاتب مجيد من نصارى الحيرة: ألا يكتب عنك؟ فقال: إذن أتخذ بطانة. والجملة من قوله: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا﴾ لا موضع لها من الإعراب، إذ جاءت بياناً لحال البطانة الكافرة، هي والجمل التي بعدها لتنفير المؤمنين عن اتخاذهم بطانة. ومن ذهب إلى أنها صفة للبطانة أو حال مما تعلقت به من، فبعيد عن فهم الكلام الفصيح. لأنهم نهوا عن اتخاذ بطانة كافرة، ثم نبه على أشياء مما هم عليه من ابتغاء الغوائل للمؤمنين، ووداة مشقتهم، وظهور بغضهم. والتقييد بالوصف أو بالحال يؤذن بجواز الاتخاذ عند انتفائهما. وألا متعد إلى واحد بحرف الجر، يقال: ما ألوت في الأمر أي ما قصرت فيه. وقيل: انتصب خبالا على التمييز المنقول من المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الارْضَ عُيُونًا﴾ التقدير: لا يألونكم خبالكم، أي في خبالكم. فكان أصل هذا المفعول حرف الجر. وقيل: انتصابه على إسقاط حرف، التقدير: لا يألونكم في تخبيلكم. وقيل: انتصابه على أنه مصدر في موضع الحال. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٣٠).

﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ سوى أهل الإسلام، ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ كلهم ساع إلى المكروه لكم، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: راموا كل سوء لكم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كلامهم دال على روم كل مكروه لكم ملكوا أسراره، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما دل كلامهم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على رومهم ما سطر وهو كل سوء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية:١١٩]:

﴿هَأَنْتُمْ أُولاءِ﴾ المراد: أهل الإسلام ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لعدم سلوككم ومسراكم على مسلكم ومسراهم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ كل كلام أوحاه الله إلى الرسل وعدم إسلامهم للكلام الموحى إلى رسولكم محمد أمر معلوم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ كلاما لا إسلام صدر، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ حسدا لوداد أهل الإسلام، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دوموا على حالكم إلى ورود حمامكم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما حل صدر كل أحد لؤما وحسدا.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آية:١٢٠]:

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ علو على أعدائكم ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ككسر الأعداء لعسكركم ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على حسدهم ومكرهم لكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله، والمراد: السلوك على ما أمركم، وهو عدم ودادكم لهم وإطلاعهم على إسراركم.

﴿لا يَضُرُّكُمْ﴾ رواه راوٍ كمر، وراوٍ كمال ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه، ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم وهو معد لكل أحد عمله.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح وهو: أورد أو ما أدى مؤداه ﴿غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ هو مراس أحد، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامهم الحاصل ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم ما صدر، ولما طلع رسول الله إلى المراس مع عسكره وأحل كل رام سهما أمام أحد، وصار أحد وراءهم أعاروا المراس اسم محله وسموه أحدا.

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آية:١٢٢]:

﴿إِذْ﴾ أما معمول السمع والعلم أو معمول على اصطلاح العامل المكرر، وهو العامل المطروح أول الكلام ﴿هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا﴾ لما روعهما عدد الأعداء، وكلام اللؤماء وهم كل مسلم كلاما ومصر على سوى الإسلام صدرا لؤما ومكرا، ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾ عاصمهما أو كاسر اعدائهما، ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1][آية:١٢٣]:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ محل ماء معلوم، ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ عددكم وعددكم ما هو مأمول معهما العلو على أعدائكم، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المراد: لعل الله موصل لكم آلاءه.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آية:١٢٤]:

﴿إِذْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعدا لهم ﴿أَلَنْ

---

(١) وصف الله المؤمنين في هذه الآية بكونهم أذلة حال نصره لهم ببدر، وقد جاء في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة، وهي قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾، ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التنافي والتضاد. والجواب ظاهر وهو أنّ معنى وصفهم بالذلة هو قلة عَددهم وعُددهم يوم بدر، وقوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾نزل في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وذلك بعد أن قويت شوكة المسلمين، وكثر عَددهم، مع أن العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار آخر وهو أن الذلة باعتبار حال المسلمين من قلة العَدد والعُدد، والعزة باعتبار نصر الله وتأييده، كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيّدكم بنصره ورزقكم من الطيبات﴾، وقوله: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾، فإنّ زمن الحال هو زمن عاملها، فزمان النصر هو زمان كونهم أذلة، فظهر أنّ وصف الذلة باعتبار، ووصف العزة والنصر باعتبار آخر، فانفكت الجهة، والعلم عند الله. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/٢٧).

يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ روى واحده ولد عامر كمحمد، وراوٍ كمرسل.

﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آية:١٢٥]:

﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على صدم العدو، ﴿وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ الأعداء ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ﴾ أصله مصدر وهو معار للإسراع ﴿هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ روى والد عمرو، وعاصم الواو مكسورا، وروى راوٍ مسموما كمحمد، والمراد: كل واحد معلم أو معلم على ما مر كسرا وسواه، وحصل وعد الله ورسوله وإمداده لهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آية:١٢٦ - ١٢٨]:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ (الهاء) للإمداد المسطور ﴿إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أمره إلى الله ما هو لعدد ولا عدد.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إعداما وأسرا، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ كسرا أو كهرا ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ لعدم حصولهم على مرامهم ولما رموا رسول الله وسال دمه أوحى الله له.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الأمر كله لله، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أو أدى مؤدى إلى أو مؤدى إلا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لإحلالهم سوى الإسلام محله.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [آية:١٢٩]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، وله الأمر كله ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لكل أحد والاه، ﴿رَحِيمٌ﴾ لكل أحد أطاع أوامره، والمراد: عدم إسراع الرسول إلى الدعاء على أعدائه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آية:١٣٠ - ١٣٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ كما لو حل الموعد الأول ورام المعطي له موعدا سوى الأول لعسره وحط على رأس المال مالاً سواه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اسلكوا على ما مر ودعوا لما ردع ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ راعوا حلولكم وسطها.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أوعدهم الله أولا وروعهم ووعدهم وطمعهم.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[1][آية:١٣٣]:

﴿وَسَارِعُوا﴾ أسرعوا، ورواه ولد عامر وسواه: سارعوا لا (واو) له ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المراد: إلى عللها على اصطلاح المرسل كالإسلام وسائر أحكامه أو أمره وعكسها، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ لو وصل أحدهما إلى أحدهما لحصل الأمر كما حرر والطول لا حد له، والمراد: كمال وسعها، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لكل

---

(١) عِلَلَ الخلق وميلهم إلى مُنى النفوس، فدعاهم بطاعته إلى العلتين: المغفرة والجنة، ودعا الخاصة إلى نفسه، فقال: ﴿ففرّوا إلى الله﴾، ثم أعْلَم أن الكل في درك امتحان الجرم، وأثبت بالآية ذنب الكل، لأنهم وإن كانوا معصومين من الزلل، فذنبهم قلة معرفتهم لأقدار الحق، كما قال عليه الصلاة والسلام: " لو أن الله عذب الملائكة لحق منه، فقيل: إنهم معصومون، فقال عليه الصلاة والسلام: من قلة معرفتهم بربهم " ولذلك دعاهم إلى المغفرة. اهـ. قال في الحاشية: وقوله: (أثبت بالآية ذنب الكل)، يعني: شمول قوله: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ مَنْ في السماوات الصادق بالملائكة، وإنما تكون المغفرة بعد ذنب، ولكنه في كل أحد على حسبه، وأما قوله: دعاهم إلى المغفرة، فكأنه من قوله: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾، وأن الخطاب يعم من في السماوات أيضاً، وقد يتصور في حق الملائكة الاستنادُ لظواهر الأمور والاختلاف بينهم والاختصام، مما هو معرض للخطأ، وذلك من دواعي المغفرة، وكذلك القصور عن معرفة كنه جلاله الله: نقصٌ لا يخلو منه مخلوق، لاستحالة الإحاطة به علماً، ولذلك كان الترقي في المعرفة لا حد له أبداً سرمداً. انظر البحر المديد (١/٥٠٦).

سالك على مسلك أو أمر الله.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية:١٣٤]:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ الأموال ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ حال العسر وعكسه، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ مع ملكهم الوصول إلى مرامهم، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ مع ملكهم الوصول إلى مرامهم، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ معاملهم على صالح أعمالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آية:١٣٥، ١٣٦]:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ محرما ما لوطء حرام أو لهو مدام، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ما هو أحط محلا مما مر حكمه كسماع أو لمسه ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ ما أوعدهم على عمله ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ﴾ لا ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ إصرار صدر ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الواو) للحال، والمراد: ما أصروا على ما صدر حال علمهم عدم صلاح أعمالهم.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ما أعده الله لهم مما مر سرده.

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آية:١٣٧، ١٣٨]:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ مسالك أو أمم أمهلهم عصرا وأهلكهم، ﴿فَسِيرُوا﴾ الأمر لأهل الإسلام ﴿فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسل الله، والمراد: أمرهم وحالهم إلى الهلاك.

﴿هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية:١٣٩]:

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما حصل لكم لدى أحد، ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ على أعدائكم وأعداء الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ودل على إكمال عمل العامل حاصل ما مر.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آية: ١٤٠]:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾[1] رواه راوٍ كأمر، وراوٍ كصلح، والمراد: ألم سهم أو حسام أو الأعم، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ أعدائكم ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ لدى العراك الأول، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ لهولاء عصرا، ولهؤلاء عصرا، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ﴾ علم سطوع لا علم سر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ لحلول حمامهم وإكرام الله لهم، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ معاملهم على سوء أعمالهم ما هم أهله.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آية:١٤١]:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد: والحصول الطهر لهم، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ إهلاكا.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آية:١٤٢]:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ علم سطوع لا علم سر، ﴿وَيَعْلَمَ﴾ (الواو) واو الرد، ومحصل المصدر مطروح أو (الواو) واو الحال وما أمها مسموك.

(١) قال الرازي: في الآية قولان: أحدهما: إن يمسسكم قرح يوم أحد فقد مسهم يوم بدر، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ﴾ (آل عمران: ١٦٥) والثاني: أن الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجرح والقتل، لأنه قتل منهم نيف وعشرون رجلا، وقتل صاحب لوائهم والجراحات كثرت فيهم وعقر عامة خيلهم بالنبل، وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار. فان قيل كيف قال: ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين؟ قلنا: يجب أن يفسر القرح في هذا التأويل بمجرد الانهزام لا بكثرة القتلى. انظر تفسير الرازي (١٢٦٠/١).

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ١٤٣]:

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أمر العراك، وسماه كما سماه لما أدى له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ رأوا علله وما أدى له، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما ورد أحدكم موارده.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ١٤٤]:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كسواه ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ المراد: ما هو إله أسس مسلك الإسلام مؤسسه هو الله، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾ سوء عمله له، ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آلاءه وإكرامه لهم حصول دوامهم على الإسلام.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ١٤٥]:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ للملك الموكل، ﴿كِتَابًا﴾ مصدر مؤكد، ﴿مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ وهو الأموال ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾ وهو ما أعده الله له ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ الأولى داموا محلهم للمراس ولا أطمعهم مال ولا سواه.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٤٦]:

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ﴾ رواه راوٍ كآمر وراوٍ كصاهر، ﴿مَعَهُ﴾ محمول على أول كلام هو ﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماء ورعاء أو عدد ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ أصله: حلول العلل، والمراد: عدم الكسل والملل، ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ كهلاك رسلهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ لدى المعارك، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما طأطأوا رؤسهم إلى العدو كما حصل لكم، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على مر أوامره.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَٓخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آية:١٤٧، ١٤٨]:

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ لما حصل الحمام لرسولهم ﴿إلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ سلوك الحد ﴿فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ على العراك، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ العلو على الأعداء، والوصول إلى أموالهم، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ دار السرور السرمد، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ معاملهم على صالح أعمالهم ما هم أهله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آية:١٤٩، ١٥٠]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ أوحاه الله لما أمر أهل اللوم أهل الإسلام إلى العود إلى مسلكهم الأول لدى أحد وسمعوا حصول الهلاك إلى رسول الله راموا عود أهل الإسلام إلى مسلكهم وكلموهم ما حصله لو محمد رسولا كما ادعى ما حصل له الإهلاك أو الحكم المحرر عام لكل أحد حسما لوداد أهل اللؤم روعا مما هو موصل إلى الأمر المسطر، وهو السلوك على مسلكهم.

﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ﴾ كاسر أعدائكم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ والسلوك على مسالك أوامره أولى لكم لحصول مرادكم.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آية:١٥١]:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾(1) رواه راوٍ محرك الراء وما أمها، وراوٍ

---

(١) قال ابن الجوزي: قال السدي لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق وقالوا قتلتموهم حتى إذا لم يبق الا الشرذمة تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في =

كرمح حصل لهم لما رحلوا ووصلوا إلى الروحاء، وراموا العود إلى اصطلام أهل الإسلام مع الرسول كلهم لدى أحد وروعهم الله وما عادوا، ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ما دل على ما هو كود وسواع دال، ولما حكم على صلاحه إلها حلم، ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ أصله إحلال الأمر محلا سوى محله وهم أحلوا سوى الإسلام، وهو ود وسواع محل لا إله إلا الله.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:١٥٢]:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ ما وعدكم وهو العلو على أعدائكم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ الحس: الإهلاك، ومورده: حسه لو أعدم حسه ﴿بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ المراد: مالوا إلى الأموال أو حرصوا على الأمول، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أمر الرسول لهم وهو دوامهم محلهم ووراءهم أحد لصرد السهام على الأعداء، وما دام على حكم أمر الرسول لهم إلا المؤمر على أهل السهام ورهط معه وطمع سواهم، وحرصوا على الأموال، ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ وهو كسر عددكم وعلوكم على الأعداء، والمراد: مالوا أو حرصوا على الأموال وما سلكوا على مسلك أمر الرسول لهم وهود دوامهم أمام أحد واحد وراءهم لطرح السهام وعصوا الأمر ما حصلوا على مرادهم ومرامهم، وهو العلو على العدو وحصول الأموال، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الأولى ما داموا على حكم أمر الرسول وطمعوا وحرصوا على حصول المال،

=

قلوبهم الرعب ونزلت هذه الآية والإلقاء القذف والرعب الخوف قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة الرعب ساكنة العين خفيفة وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقول وأبو جعفر مضمومة العين مثقله أين وقعت والسلطان هاهنا الحجة في قول الجماعة والمأوى المكان الذي يؤوى إليه والمثوى المقام والثوى الإقامة قال ابن عباس والظالمون هاهنا الكافرون ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين. انظر زاد المسير (١/٤٧٥).

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وهم الأولى داموا محل ما أمرهم رسول الله وما حادوا إلى ورود حمامهم، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ كسركم وعلاهم على عسكركم وحصل ما حصل كله ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ لسطوع أمر دوامكم على الإسلام أو عدمه، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما صدر كله كرما، ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على كل حال.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٥٣]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما مؤداه ﴿تُصْعِدُونَ﴾ حولوا محلهم إلى محل سواه عدوا لروع العدو، ﴿وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ كلكم مهموم لما حصل له لا أحد راء أحدا، ولا أحد سامع كلام أحد لما روعكم عدوكم، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ ورائكم، وحاصل كلام الرسول ودعاؤه لهم هلموا أهل الإسلام رحم الله أمرأً كر، ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ مردود على ما أدى مؤدى كسركم، والمراد: كسركم الله وعاملكم على عدم سلوككم مسلك أوامر الرسول ﴿غَمًّا﴾ وهو كسركم أمام العدو ﴿بِغَمٍّ﴾ للرسول لما عصوا أمره، والمراد: حصل لهم الكدر وهو كسرهم لما كدروا الرسول لعدم دوامهم على ما أمرهم، أو المراد: عاملكم كدرا على كدر الكسر لكم وعدم علوكم على عدوكم، وكدر حصول الأموال لكم، ﴿لِكَيْلا﴾ (اللام) مردود إلى معلله وهو ما أدى مؤدى عاملكم ولا مؤكد لا مؤدى له ﴿تَحْزَنُوا﴾ المراد: كسركم وعاملكم لحصول عدم السرور لكم على كسركم وما مسكم وعدم حصولكم على الأموال ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ هو الأموال، ﴿وَلا﴾ مؤكد ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ ألم حد حسام أو ألم سهم، ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم عمل كل أحد ومعامله.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ

إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آية: ١٥٤]:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ [1] معمول على اصطلاح العامل المكرر ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ ووهى حالهم لما حلهم، وصار واحدهم معطل الحواس لا طوع له إلى مسك حسامه، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ ما لهم هم سوى صلاح حالهم وما همهم أمر الرسول ولا سواه، وهؤلاء هم أهل الإسلام كلاما لا صدر ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وما وهموه هو هلاك الرسول أو عدم علوه على أعداء الله وأعدائه.

﴿يَقُولُونَ هَلْ﴾ ما ﴿لَنَا مِنَ الأَمْرِ﴾ العلو على الأعداء ﴿مِنْ﴾ مؤكد ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ﴾ مؤكد للأمر ومحله كمحله أو هو أول كلام محموله ﴿لِلهِ﴾ له المراد ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ﴾ حكى ما أسروه ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما وعد رسول الله ووعده كلامه الأمر كله لله، والعلو حاصل للإسلام على أعدائهم أو لو أمر العراك لهم ما طلعوا، وحالهم كحال المكره ﴿مَا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ ما حصل الكسر لأهل الإسلام.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم وأهلكوا وما عصمهم الحلول وسط الدور عما أراده، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ رده (الواو) على مطروح، وحاصله صدر ما صدر وحصل ما حصل لسطوع أمر ما حل صدوركم وهو الدوام على حال الإسلام أو عدمه إلى كل أحد، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مما هو وسواس، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ عالم ما سر أمره كالساطع على حد سواء ما عدا أراد سطوع أحوالكم لإطلاع العالم على أسراركم وما حوى صدر كل أحد وإلا هو عالم الكل على السواء.

---

(١) الباء في ﴿بِغَمٍّ﴾ على هذا بمعنى على. وقيل هي على بابها والمعنى أنهم غموا النبى صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم إياه فأثابهم بذلك غمهم بمن أصيب منهم ". ويجوز أن يكون الكلام لمجرد التكثير أى جازاكم بغموم وأحزان كثيرة متصل بعضها ببعض بأن منع عنكم نصره وحرمكم الغنيمة وأصابتكم الجراح الكثيرة وأشيع بينكم أن نبيكم قد قتل.. وكل ذلك بسبب أنكم خالفتم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم وتغلب حب الدنيا وشهواتها على قلوب بعضكم فلم تخلصوا لله الجهاد فأصابكم ما أصابكم. انظر التفسير الوسيط (١/٧٧١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آية:١٥٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أهل الإسلام وعكسهم لدى أحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾ المراد: وسوس لهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ وصار أمرهم إلى ما حرر ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ لما عصوا أمر الرسول وحرصوا على حصول الأموال.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل الإسلام ما صدر وعاد عامله إلى الله أو لكل عمل ساء عامله ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع لأمر حلول الآلام على كل عاص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آية:١٥٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: كالأولى أسلموا كلاما ومكروا صدرا وأصروا على عكسه، ﴿وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾ لوموا على حالهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ رحلوا إلى محل لأمل المال أو المعاد والمال، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ وحصل لهم الحمام لحلول العمر ﴿أَوْ كَانُوا غُزَّى﴾ عدد واحده ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ والمراد: ردع أهل الإسلام عما هو ككلام هؤلاء اللؤماء، وهو عدم حصول الحمام لواحد دام وسط داره وما حال ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ﴾ لك الكلام ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ واللام لام المال معللا لما رده الواو على مكمل الاسم الموصول أو على أصله لو معللا للا وما أمها أول الكلام.

﴿وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رد لما ادعوه، والمراد: أمر الحمام وعكسه له لا دوام كل أحد محله راد له ولا طلوعه مورد له على موارده، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه ﴿بَصِيرٌ﴾ مطلع عالم وهو معامل كل أحد على عمله وكلامه.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آية:١٥٧]:

﴿وَلَئِنْ﴾ (اللام) لام مؤل ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ مسموكه ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع

السامع، وراوٍ على سواه، ومورد اللام مع اللام رد على اللام الأولى، وحاصل الأولى مع موردها مسموك المحل أول كلام محموله ما أمه مما، والمراد: لا أمر العراك ولا رواح أحدكم إلى دار سوى داره للحمام، ولا محصل له كما ادعى أعداء الله، ولو سلم ما أدعوه محو الله لسوء أعمالكم أصلح وأولى مما هم رأوه صلاحا وهو حصول الأموال.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٨]:

﴿وَلَئِنْ﴾ لام مؤل ﴿مُتُّمْ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ مسموكه كما مر، ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ﴾ لا إلى سواه ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آية:١٥٩]:

﴿فَبِمَا﴾ ما مؤكد ﴿رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ﴾ الكلام لمحمد رسوله ﴿لَهُمْ﴾ لما عصوا أمرك لهم إلى الإسلام أو المراد الأعم، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ما آوى أحد إلى حولك وحماك، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما أساؤك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما عصوا أمر الله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أمر المراس أو كل أمر صلح لها وهو أعم.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أعطى كل أحد حولك ما رآه للأمر وعول على الأصلح، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ للحصول على ما هو الأصلح لعدم علم سواه الصالح والأصلح؛ ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ هاد لهم إلى أصلح المسالك.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية:١٦٠]:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ﴾ على عدوكم ﴿فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ كما حصل لكم أولا، ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كما حصل لكم لدى أحد ﴿فَمَنْ ذَا﴾ كلاهما مسموك المحل على أول الكلام ومحموله ﴿الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ لا أحد، ﴿وَعَلَى اللهِ﴾ لا سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولما ما رأى واحد ما حصلوه وردد كلامه أحدهم لما حاصله لعل الرسول سله أوحى الله ردا على كلامهم.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آية:١٦١]:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيّ أَنْ يَغُلَّ﴾ هو سل الرسول لأحد ما حصله أهل المعارك مع عدم علمهم، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملا له كما ورد، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ كل أحد معامل على عمله، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ لا حطًّا مما عملوا أو لا حطًّا على عملهم.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آية:١٦٢، ١٦٣]

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾(١) أطاعه ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ عاد ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ وعصاه، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد لا على الحال الأولى.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ المراد: هم أولو، ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ومصر معامل كل أحد على عمله.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية:١٦٤]:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا﴾ هو محمد ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أصله وأصلهم واحد، وكلامه وكلامهم واحد، ما عسر على إدراكهم كلامه ولا ما حكاه لهم، ورواه راوٍ كأحمدهم، والمراد: أعلاهم أصلا ومولدا.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مطهرهم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ كل ما أورده الرسول وعلمه أهل الإسلام سوى كلام الله الموحى له، ﴿وَإِنْ﴾ أصله المؤكد العامل عمل لعل، واسمها الهاء المطروح ﴿كَانُوا مِنْ

---

(١) في معنى هذه الآية على قولين أحدهما أن معناها أفمن اتبع رضوان الله فلم يغل كمن باء بسخط من الله حين غل هذا قول سعيد بن جبير والضحاك والجمهور والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف جماعة من المنافقين فأخبر الله بحال من تبعه ومن تخلف عنه هذا قول الزجاج. انظر زاد المسير (١/٤٩٣)

قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ساطع أمره لكل أحد.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٦٥]:

﴿أَوَلَمَّا﴾ ما أمه (الواو) وهو (أ) للسؤال، والواو للرد رد كلاما على كلام مار ولما اسم له محل ومرد كأمدا ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ لدى أحد لهلاك عدد معلوم وردوا موارد الحمام ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ أولا لدى العراك الأول لما أهلك أهل الإسلام عدد أول العدد وأسروا العدد المسطور ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ حصول الكسر لعسكرهم وعلو أعداء الله على أهل الإسلام ورسول الله معهم مع وعد الله لهم العلو على الأعداء وسؤالهم لا لمرام الإدراك سألوا السؤال المحرر لما حصل ما هو كالمحال، وهو علو أعداء الله على أهل الإسلام مع العلل المسطر سردها.

﴿قُلْ﴾ لأهل أحد ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ مما حصله عدم سماعكم أمر الرسول لما أحلكم أمام أحد وأمر لكم وأمركم دواما محلكم وأحل سواكم محلا وأمرهم دواما محلهم، وما صار سلوككم كما أمركم حصل لكم ما حصل، وعلا أمر العدو على أمركم، ووعد الله لكم مؤسس على سماعكم لأمر رسوله الأكرم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو ما صح علمه، أو هو ما سوى المحال، أو هو ما سوى المعدوم، ﴿قَدِيرٌ﴾ ومما هو موكول لأمره وحكم علوكم على أعدائكم وعكسه.

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آية:١٦٦، ١٦٧]:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾(١) أهل الإسلام وعكسهم لدى أحد،

(١) هو يوم أحد. والجمعان، جمع النبي صلى الله عليه وسلّم وكفار قريش، والخطاب للمؤمنين. وما موصولة مبتدأ، والخبر قوله: فبإذن الله، وهو على إضمار أي: فهو بإذن الله. ودخول الفاء هنا. قال الحوفي: لما في الكلام من معنى الشرط لطلبته للفعل. وقال ابن عطية: ودخلت الفاء رابطة مسددة. وذلك للإبهام الذي في ما فأشبه الكلام الشرط، وهذا كما قال سيبويه: الذي قام فله =

﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ هو مراد، وسماه كما سماه على اصطلاح المرسل، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ المراد: علم سطوع لحال أهل الإسلام وسواهم وإلا هو عالم الكل السر وعكسه على حد سواء، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ (الواو) للرد رد ما أمه على مكمل الاسم الموصول أو الواو واو أول الكلام، ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا﴾ لما ولوا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءكم وأعداءه، ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ الأعداء سواد إلا إهلاكا وإعداما.

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ مرادهم حال أهل الإسلام حال الهلكى لا حال المعارك ولو الأمر حال عراك ما ولوا، أو المراد ما لهم علم المعارك ولو لهم علمه ما ولوا، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ رد الله ما حكوه وادعوه وأعلمهم مكرهم وسوء صدرهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ المراد: ولو لهم علم المعارك وأمر المراس ما ساروا معكم ولا عادوا عدوكم لما حواه صدرهم وأسروه، وهو السلوك على مسلك أعدائكم لا مسلككم لما حالهم وحال أعدائكم واحد وهم أهل إسلام كلاما، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ هو إصرارهم على عدم الإسلام سرا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آية:١٦٨]:

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ معمول للعلم عامل الاسم الموصول أول الكلام على اصطلاح العامل المكرر، أو معمول للعامل مطروح على عكس المدح ﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾ لوموا على حال كل سار إلى مراس أحد، ﴿وَقَعَدُوا﴾ (الواو) وللحال ما ساروا إلى المعارك مع أهل الإسلام ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وما ساروا مع الإسلام إلى أحد ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ﴾ لهم ردا لما ادعوه ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لما ادعوا ما حاصله عدم

=

درهمان، فيحسن دخول الفاء إذا كان القيام سبب الإعطاء انتهى كلامه. وهو أحسن من كلام الحوفي، لأن الحوفي زعم أن في الكلام معنى الشرط. وقال ابن عطية: فأشبه الكلام الشرط. ودخول الفاء على ما قاله الجمهور وقرروه قلق هنا، وذلك أنهم قرّروا في جواز دخول الفاء على خبر الموصول أنّ الصلة تكون مستقلة، فلا يجيزون الذي قام أمس فله درهم، لأن هذه الفاء إنما دخلت في خبر الموصول لشبهه بالشرط. فكما أن فعل الشرط لا يكون ماضياً من حيث المعنى، فكذلك الصلة. انظر تفسير البحر المحيط (٨٥/٣).

الطلوع إلى المراس والمعارك والدوام وسط الدور لدى الأهل مود إلى طول العمر أمرهم الله درءا للحمام، وردا له مع دوامهم وسط دورهم وعدم مسراهم إلى المعارك، والمراد لو صح ورآهم الحمام مع دوامهم وسط الدور لصح مدعاهم، وأوحى الله مدحا لحال كل وارد موارد الحمام لدى المعارك على العموم أو لاحد أو لسواه، والأول أولى.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:١٦٩ - ١٧١]:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لإعلاء أمره ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وسط دار المأوى والسرور السرمد لحلول أرواحهم وسط حواصل الطائر كما ورد ﴿يُرْزَقُونَ﴾ كل أكل مما هو مأكول دار المأوى، ﴿فَرِحِينَ﴾ حال الواو ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهم ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ وهم أهل الإسلام الأولى ما وردوا موارد الحمام ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والمراد: أهل الإسلام الأولى إدراكهم الحمام وسط المعارك سرهم أكرام الله لهم وآلاؤه، وهو ما حرر أولا وسرهم حال الإسلام الأولى ما وردوا موارد الحمام وسط المعارك لما كلما ورد أحدهم مورد حمام صار إلى دوام إكرام ما كدره روع عدم أصلا.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ما أعده الله لهم على صالح أعمالهم ﴿مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ وهو إكرامه لهم كما هو أهله، ﴿وَأَنَّ﴾ رواه راوٍ مكسور على أول الكلام، وراوٍ على سوى الكسر مردودا، والواو واو الرد ﴿اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما سواهم أعمالهم مآلها سدى.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[1] [آية:١٧٢]:

---

(١) مدح - سبحانه - المؤمنين الصادقين الذين لم تمنعهم جراحهم وآلامهم عن الاستجابة لأمر =

﴿الَّذِينَ﴾ مسموك المحل على أول الكلام أو معمول على المدح لعامل مطروح ﴿اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاءه للمعارك لما أراد أهل اللوم العود إلى رسول الله وأهل الإسلام لاصطلامهم، ووصلوا إلى الروحاء دعا رسول الله أهل الإسلام وساروا مع ألم حد الحسام والسهام ووصلوا إلى حمراء الأسد وروع الله أهل اللؤم، وعادوا ما حصل عراك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أمام أحد ومحمول الاسم الموصول الأول هو ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا﴾ ما عصوا وسارعوا إلى ما دعاهم له الرسول مع المهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو دار السرور السرمد.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا

=

رسولهم - صلى الله عليه وسلم - فقال - تعالى - : ﴿الذين استجابوا لِلهِ والرسول مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القرح لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ واتقوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: اعلم أن الله - تعالى - مدح المؤمنين على غزوتين تعرف إحداهما: بغزوة حمراء الأسد، والثانية: بغزوة بدر الصغرى. وكلاهما متصلة بغزوة أحد. أما غزوة حمراء الأسد فهى المرادة من هذه الآية، فإن الأصح في سبب نزولها أن أبا سفيان وأصحابه بعد أن انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء، ندموا وقالوا: إنا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل فَلِم تركناهم؟ بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم، فهموا بالرجوع. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوة. فندب أصحابه إلى الخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا اريد أن يخرج الآن معي إلا من كان معي في القتال - في أحد - . فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوم من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد. وهي مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة. فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فانهزموا. وروي أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة، ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى. وكان كل ذلك لإثخان الجراح فيهم، وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة.

وقوله ﴿استجابوا ﴾ بمعنى أجابوا. وقيل: استجابوا، أصلها طلبوا الإجابة لأن الأصل في الاستفعال طلب الفعل. والقرح: الجراح الشديدة. والمعنى: أن الله - تعالى - لا يضيع أجر هؤلاء المؤمنين الصادقين، الذين أجابوا داعى الله وأطاعوا رسوله، بأن خرجوا للجهاد في سبيل عقيدتهم بدون وهن أو ضعف أو استكانة مع ما بهم من جراح شديدة، وآلام مبرحة. ثم بين - سبحانه - جزاءهم فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ واتقوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي للذين أحسنوا منهم بأن أدوا جميع المأمورات، واتقوا الله في كل أحوالهم بأن صانوا أنفسهم عن جميع المنهيات، لهؤلاء أجر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله - تعالى - .

وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آية:١٧٣، ١٧٤]:

﴿الَّذِينَ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر مما مر ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ المراد: أحدهم، ولد مسعود أو سواه، وسماه كما سماه لوروده واحد أصلهم ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ وهو أحدهم لا كلهم وهو كالأول ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ العساكر ومرادهم اصطلامكم، ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ روعا ﴿فَزَادَهُمْ﴾ كلامهم وما وعو هموه ﴿إِيمَانًا﴾ المراد والله أعلم: حصل لهم كمال الإسراع والهمم إلى إعلاء حكم الإسلام وهو لو ادعى صدع أحكام المصدر الحكم المسطر مما طال الكلام لدى العلماء على مواده، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الموكول كل أمر إلى إكرامه هو، ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ عادوا إلى محلهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ سلموا وحصلوا أموالا ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ لإدراكهم حمام ولا حد حسام، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ﴾ لما أطاعوا دعاء رسوله وما عصوه ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على كل أحد أطاع وما عصى أوامره.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية:١٧٥]:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أومأ إلى المكلم لهم ومروعهم، وهو ولد مسعود المار اسمه أو أومأ إلى الكلام وحده لا المكلم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ المراد: حاله كحاله وسوس لكم وروعكم والمؤدي المحرر مملوح على المؤدي الأول، أو المراد هو لو لمح ما أومأ إلى الكلام لا المكلم ﴿يُخَوِّفُ﴾ كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ كل سالك على مسلك سوى الإسلام، ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ الأمر للدور على محور أوامره ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آية:١٧٦]:

﴿وَلا يَحْزُنْكَ﴾ رواه راوٍ كطلع، وراوٍ كأكرم ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ هم أهل الحرم أو الأولى أسلموا كلاما لا صدرا أو رهط عادوا إلى إلحادهم، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ﴾ المراد: كل موال له وهم أهل الإسلام ﴿شَيْئًا﴾ مكروه أعمالهم ما له لهم ﴿يُرِيدُ اللهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ سهما ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ دار المأوى والسرور السرمد،

والمراد: إسراعهم إلى الإلحاد أداهم إلى عدم مراد الله لورودهم إلى دار السرور الدائم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع ما أحرموه، وهو عدم مراد الله ورودهم على ما أعده الله لأهل الإسلام لهم ما أعده لهم على سوء أعمالهم وإلحادهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [آية:١٧٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإيمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] كرره للعموم أهل الحرم أولا أسلم كلاما لا صدرا وأسر الإلحاد أولا أسلم وعاد إلى الإلحاد أولا، والأول لواحد معلوم كما مر.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آية:١٧٨]:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ رواه راوٍ إلى السامع وهو الرسول الأكرم، وراوٍ وهو ولد عمرو، وعاصم وسواهما إلى الاسم الموصول وكسر وسطه لسوى ولد عامر وعاصم، كلما ورد وسط الكلام المكرم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معمول أول على الأول ﴿أَنَّمَا﴾ عامل مؤكد مع ما للمصدر ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾ أملى له طول له، والمراد: إمهالهم وطول عمرهم ﴿خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ﴾ محمول العامل المؤكد وهو معمولاه ساد مسد المعمول على الأول أو ساد مسد كلاهما على ما رواه عمرو، وعاصم ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ طول عمرهم وإمهالهم ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لدى المعاد.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آية:١٧٩]:

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ﴾ الكلام عام مع أهل العصر كلهم الإسلام وسواهم ﴿عَلَيْهِ﴾ وهو عدم الدال على حال أهل الإسلام صدرا وحال أهل الإسلام

---

(١) قوله تعالى إنهم لن يضروا الله شيئا فيه قولان: أحدهما لن ينقصوا الله شيئا بكفرهم قاله ابن عباس ومقاتل، والثاني لن يضروا أولياء الله شيئا قاله عطاء قال ابن عباس والحظ النصيب والآخرة الجنة ولهم عذاب عظيم في النار. انظر زاد المسير (٥٠٨/١).

كلاما لا سرا، ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ رواه راوٍ كمال، وراوٍ كهدَّرَ ﴿الْخَبِيثَ﴾ كل مصر على سوى الإسلام صدرا ومسالم كلاما ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ هم أهل الإسلام وحصول الحكم المسطر، إما لإعلام الله رسوله أحوالهم وأسرارهم، وإما لأمره لهم الأوامر العسر حملها على سوى أهل الإسلام كما حصل لدى أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ لوصول عملكم إلى أسرار هؤلاء وهؤلاء، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لإطلاعه الرسول على الإسلام وعكسهم، ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الإصرار على سوى الإسلام ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آية:١٨٠]:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ رواه راوٍ على الكلام للرسول، وراوٍ إلى الاسم الموصول كما وكسر وسطه لسوى ولد عامر وعاصم كلما ورد، ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو إعطاؤهم سهم الأموال المعلوم حده وسط الكلام المكرم، وهو أحد أساس الإسلام ﴿هُوَ﴾ عائد إلى مصدر وصل الاسم الموصول ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مكملا لعمل العامل، والمعمول الأول مصدر مكمل الاسم الموصل مطروحا، ومحله أمام الاسم الموصول، وكله على ما رواه الأول، وهو ورود الكلام إلى الرسول، وعلى وروده إلى الاسم الموصول المعمول الأول هو المصدر المحرر ما عدا محله أمام هو، ﴿بَلْ هُوَ﴾ عدم إعطائهم سهم أموالهم وحرصهم ﴿شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ سهم الأموال المأمور لأعطاه كما حده الله ورسوله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لورود أموالهم المحروص على عدم إعطائهم كما أمر الله ورسوله حلا دائرا حول لهاهم.

﴿وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لهلاك أهلهما وعود الملك للمالك الأول، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه ﴿خَبِيرٌ﴾ عالمه ومعامل كل أحد على عمله.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [آية:١٨١ - ١٨٣]:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[1] أورد السمع وأراد إعداده لهم ما هم أهله على عدم السلوك على الحدود مع الله ورسوله، وهم الهود ﴿سَنَكْتُبُ﴾ رواه راوٍ لسوى المعلوم المراد أمره الملك الموكل ﴿مَا قَالُوا﴾ وسط ألواح أعمالهم، ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ مردود على الموصول رده الواو ﴿الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ولو دعواهم، ﴿وَنَقُولُ﴾ رواه راوٍ للملكم، وراوٍ لسواه والمؤدى واحد وهو الله وعلى كل المراد أمر الملك ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ المراد: أصل حصوله على الله محال ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ واسم للموصل الأول ومعمول لعامله ﴿قَالُوا﴾ لرسوله محمد ﴿إِنَّ اللهَ

---

(١) قائله: فِنْحَاصُ بن عَازُوراء، في جماعة منهم، وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع، يدعوهم إلى الإسلام، وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه مِدْرَاسَهُم، فوجد خلقاً كثيراً اجتمعوا إلى فنحاص، وهو من علمائهم - ومعه حبر آخر اسمه: (أيشع)، فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، فأسلِمْ وصَدِّق، وأَقْرِض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة، فقال فنحاص لعنه الله: يا أبا بكر؛ تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني، ولو كان غنياً ما استقرض، فلطمه أبو بكر رضي الله عنه وقال: لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام: - " ما حملك على ما فعلت؟ " فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيماً، زعم أن الله فقير، وهم أغنياء، فجَحَد ما قال، فنزلت الآية؛ تكذيباً له. والمعنى: أن الله سمع مقالتهم الشنيعة، وأنه سيعاقبهم عليها، ولذلك قال: ﴿سنكتب ما قالوا﴾ أي: سنسطرها عليهم في صحائف أعمالهم، أو سنحفظها في علمنا ولا نهملها، لأنها كلمة عظيمة، فيها الكفر بالله والاستهزاء بكتاب الله وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك نظمت مع قتلهم الأنبياء، حيث عطفه عليه، وفيه تنبيه على أن قولهم الشنيع ليس هو أول جريمة ارتكبوها، وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد أمثال هذا القول منه. انظر البحر المديد (١/ ٤٠٧).

عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ وسط كلامه الموحى إلى موسى ﴿أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ والعهد المسطور مسلم لهم لسوى الروح الصاعد إلى السماء، ومحمد رسوله الأكرم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كالحصور ووالده والكلام مع الهود عصر الرسول، ولو العامل سواهم وهو والدوهم لعدم ردهم عملهم ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لو صح ادعاؤكم لحصل إسلامكم أولا على عهد الرسل الأول.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آية:١٨٤]:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ الكلام مع رسوله محمد ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كل أمر دال على إرسالهم كعصا موسى، ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كل لوح حوى حكما محركا لا إحكامه، ﴿وَالْكِتَابِ﴾ ما الأسرار وما حوى الصدر أو لإعلامه له كما أطلع وأعلم رسولكم الأكرم أسرار أهل حوى أحكاما ومسالك أسسها الله للأمم ورواهما راوٍ معادا عامل الكسر لهما، ﴿الْمُنِيرِ﴾ الساطع أمره، وهو ما أوحاه إلى موسى والروح.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آية: ١٨٥]:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ كل أحد معامل على عمله صالحا أو عكسه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ حصل على مأمله، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أحوالها كلها ﴿إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ المدلس على سائمه لإعطائه له، والمراد: كل حال لها لا دوام له وهو هالك.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آية:١٨٦]:

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ اللام لام مؤل والمراد والله ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ كإعطاء ما حده الله وكمأكل المحارم ولحصول المهالك إلى الأموال، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ كداء وأسر ومراس وأم للحرم

الحرام، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هم الهود، ومدعو الأهل للواحد الأحد، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كل ملحد سواهم ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ كالكلام على الرسول، وأهل الإسلام، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ما حرر ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ المراد كلاهما ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ المأمور أهل الإسلام على السلوك مسالكها.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آية:١٨٧]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عهدهم وسط الكلام الموحى لموسى ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ المراد: الكلام الموحى، ﴿وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ رواهما راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا العهد ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ وما عملوا كما عوهدوا، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾ هو ما رسمه لهم أهل مللهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آية:١٨٨]:

﴿لا تَحْسَبَنَّ﴾ الكلام مع الرسول، وروى راوٍ له ولأهل الإسلام معه كما روى راوٍ إلى سوى السامع ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ عملوا، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وهو سلوكهم على ما أمر الله مع عدم سلوكهم على أوامره ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ رواه راوٍ كالأول وهو مؤكد للأول ومعمول المؤكد والهما معمولا المؤكد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المراد: هم ما حصلوا مأملهم وسلموا مما هو معد لهم ﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آية:١٨٩]:

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هما وما حلهما وما حولهما، ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن
تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا
يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى
وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا
مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ
﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آية:١٩٠ - ١٩٧]:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [(١)] طولا وعكسه، وسوادا وعكسه، وورودا وعكسه ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على كمال علمه ﴿لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿الَّذِينَ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر وهو اللام ﴿يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ ودائما على كل الأحوال، والمراد: كل مصل أو كل حامد لله على العموم، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ محولوا حسهم وإدراكهم إلى أمرهما وما حواه كلاهما لوصولهم إلى الدلال على الواحد الأحد، وكلامهم حال حدسهم هو.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ العالم ﴿بَاطِلا﴾ حال ما هو إلا دال على كمال عملك، ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عما وهمه أهل الأوهام ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

---

(١) في سبب نزولها ثلاثة أقوال أحدها أن المشركين قالوا للنبي اجعل لنا الصفا ذهبا إن كنت صادقا فنزلت هذه الآية حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس والثاني انهم لما قالوا انسب لنا ربك وصفه فنزلت ﴿وإلهكم إله واحد﴾ قالوا فأرنا آية ذلك فنزلت ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلى قوله ﴿يعقلون﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس والثالث أنه لما نزلت ﴿وإلهكم إله واحد﴾ قال كفار قريش كيف يسع الناس إله واحد فنزلت هذه الآية قاله عطاء. انظر زاد المسير(١/١٦٧).

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾ لحلولها أمدا وسطها على الدوام ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أصله محل وما لهم، والمراد: الاسم الموصول المار سرد العلل دوامهم وما أوصلهم إلى الدرك وهو سوء عملهم وإحلالهم محل الإسلام سواه ﴿مِنْ﴾ مؤكد ﴿أَنْصَارٍ﴾ لا راد ولا رادع لما أراده الله وأعده لهم.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ وهو رسوله الأكرم محمد ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ عامل الكسر مطروح، ومحله أمام محصل المصدر ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ المراد: ما هو كالعهر وما حكمه كحكمهما، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ ما هو أحط محلا كلمس، أو مرآى محرم، أو سماع محرم، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ المراد: عم الرسل وأهل الصلاح.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ على الإسلام لهم أو على عدم رد ما حكوه لهم أو ما وعدهم محمولا على الرسل، ﴿وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ موعد المعاد.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾ عامل الكسر مطروح أمام العامل المؤكد، ورواه راوٍ مكسورا ﴿لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم أصول، وكلكم معامل على عمله، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ محلهم الأول الحرم الحرام حولوه إلى سواه لله ولرسوله، وهو سرد لعمل العمال وما أعد لهم على أعمالهم على مسلك المدح، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا﴾ أعداء الله، ﴿وَقُتِلُوا﴾ رواه راوٍ كطلع، وراوٍ كسدد، وراوٍ أمام الأول كما هو حكم واو الرد ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المراد: إما محوها أو حط الكل لها ﴿وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مصدر مؤكد لمورد اللام ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ عدل عما هو مسلك الكلام الأول، ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ على كل عمل صالح ولما اطلع الله على حال أهل الإسلام وكلامهم وحاصله أعداء الله على حال وسع المال وما هو معلوم وأهل الإسلام على حال العدم أوحى لرسوله الأكرم ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ﴾ وحصولهم على الأموال هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ لا دوام له ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ما مهدوه لهم.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آية:١٩٨]:

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا﴾ هو ما أعده كل أحد للوارد على داره مأكلا ومطعما ووطاء وسواه وهو معمول على الحال لعدد دار السرور المار أو مصدر مؤكد وعامله هو داله، ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ لدوامه ﴿خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾ مما لا دوام له.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آية:١٩٩]:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ هو ولد سلام أو رهط للروم أسلموا أو سواهما، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ كالكلام الموحى إلى موسى، والموحى إلى الروح ﴿خَاشِعِينَ﴾ حال عائد الموصول المعمول اسما للعامل المؤكد وعدد الحال لمؤدى الموصول وهو العدد ﴿لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾ كما عمل سواهم لطمع الأموال ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الموعود لهم وهو حصوله مكررا لهم حكم الوعد ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لعلم العامل والعمل، والمراد: حصول العامل على ما وعده الله حاصل على الإسراع لا الإمهال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1][آية:٢٠٠]:

---

(١) ختمت السورة بوصاية جامعة للمؤمنين تجدّد عزيمتهم وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدوّ كي لا يثبّطهم ما حصل من الهزيمة، فأمَرَهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال، ثم بالمصابرة وهي الصبر في وجه الصابر، وهذا أشدّ الصبر ثباتاً في النفس وأقربه إلى التزلزل، ذلك أنّ الصبر في وجه صابرٍ آخر شديد على نفس الصابر لما يلاقيه من مقاومة قِرن له في الصبر قد يساويه أو يفوقه، ثم إنّ هذا المصابر إن لم يثبت على صبره حتّى يملّ قرنه فإنّه لا يجتني من صبره شيئاً، لأنّ نتيجة الصبر تكون لأطول الصابرين صبراً فالمصابرة هي سبب نجاح الحرب وقوله: (ورابطوا) أمر لهم بالمرابطة، وهي مفاعلة من الرّبْط، وهو ربط الخيل للحراسة في غير الجهاد خشية أن يفجأهم العدوّ، أمر الله به المسلمين ليكونوا دائماً على حذر من عدوّهم تنبيهاً لهم على ما يكيد به المشركون من مفاجأتهم على غِرّة بعد وقعة أُحُد كما قدّمناه =

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مر الأوامر، ﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله لدى المعارك أو أعدى عدوكم وهو الهوى، ﴿وَرَابِطُوا﴾ للعدو كالدوام محل الحدود وهو كل محل ما وراء إسلام على ما صحح، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ على كل حال ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لعل ما ملكم وهو حلولكم ووصولكم إلى دار السرور الدائم حاصل، ولعل للحصول وحكمه حكم الوعد وسط الكلام المكرم.

=

آنفاً، وقد وقع ذلك منهم في وقعة الأحزاب فلمّا أمرهم الله بالجهاد أمرهم بأن يكونوا بعد ذلك أيقاظاً من عدوّهم. وفي كتاب الجهاد من (البخاري): بابُ فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ إلخ. وكانت المرابطة معروفة في الجاهلية وهي ربط الفرس للحراسة في الثغور أي الجهات التي يستطيع العدوّ الوصول منها إلى الحيّ مثل الشعاب بين الجبال. انظر التحرير والتنوير (٢٠٨/٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النساء

مدنية، وآيها مائة وخمس وسبعون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (1)[آية:١]:

---

(١) مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب، ونبه تعالى بقوله: ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ على المجازاة. وأخبر أنَّ بعضهم من بعض في أصل التوالد، نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل، وتفرُّع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف، ولينبه بذلك على أنّ أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرده بالتوحيد والتقوى، طائعاً له، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه. فنادى تعالى: دعاء عامًّا للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر، وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة. ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال والنفع والضر فهو جدير بأنْ يتقى. ونبه بقوله: من نفس واحدة، على ما هو مركوز في الطباع من ميل بعض الأجناس إلى بعض، وألف له دون غيره، ليتألف بذلك عباده على تقواه. والظاهر في الناس: العموم، لأن الألف واللام فيه تفيده، وللأمر بالتقوى وللعلة، إذ ليسا مخصوصين بل هما عامان. وقيل: المراد بالناس أهل مكة، كان صاحب هذا القول ينظر إلى قوله: ﴿تَسَآءَلُونَ بِها وَالارْحَامَ﴾ لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك. يقول: أنشدك بالله وبالرحم. وقيل: المراد المؤمنون نظراً إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقوله: "المسلم أخو المسلم" والأغلب أنه إذا كان الخطاب والنداء بيا أيها الناس وكان للكفرة فقط، أو لهم مع غيرهم أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية، لأنهم غير عارفين بالله، فنبهوا على الفكر في ذلك لأن يعرفوا نحو: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب بذكر النعم لمعرفتهم بالربوبية. قيل: وجعل هذا المطلع مطلعاً السورتين: إحداهما: هذه وهي الرابعة من النصف الأول. والثانية: سورة الحج، وهي الرابعة من النصف الثاني. وعلل هنا الأمر بالتقوى بما يدل =

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ الكلام عام مع كل ولد آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ المراد: عدم سلوككم على أوامره ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والدكم آدم، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أمكم حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ آدم وحواء ﴿رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أولدهم لهما، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ ورواه عاصم كصاهر كما لو كلم أسالك الله إلا حصل الأمر، ﴿وَالأَرْحَامَ﴾ مردود الواو على اسم الله، والمراد وصلها، ورواه راوٍ مكسورا ردا على الهاء العائد لاسم الله، وراوٍ مسموكا على أول الكلام ومحموله مطروح؛ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ مطلعا على أعمالكم كلها ومعاملكم على ما ساء وما صلح، ولما أراد ولد لا والد له ما له وما أعطاه عمه أوحى الله لرسوله ردعا للعم وسواه وأمرا لهم.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [آية:٢]:

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى﴾ الأولى لا والد لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ والمراد: حال إدراكهم الحلم، ﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال كسلهم ما هو أعلى دراهم لكل سائم وحطهم محله ما هو أحط دراهم حرصا وطمعا، ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ المراد: عدم إهلاك أموالهم مع أموالكم معا ﴿إِنَّهُ﴾ أكلها ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ على عامله.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ [آية:٣]:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا﴾ هو العدل ﴿فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

=

على معرفة المبدأ، وهناك بما يدل على معرفة المعاد. وبدأ بالمبدأ بأنه الأول، وهو ظاهر الأمر بالتقوى أنها تقوى عامّة فيما يتقى من موجب العقاب، ولذلك فسر باجتناب ما جاء فيه الوعيد. وقيل: يجوز أن يكون أراد بالتقوى خاصة، وهو أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله. فقيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم بأن جعلكم صنواناً مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض ولبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه. وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة. انظر تفسير البحر المحيط (١٢٣/٣).

﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ كلها معدول العدد المكرر، والمراد: كما روعكم أو عدم العدل إلى الأولاد الأولى لا والد لهم راعوا أم عدم العدل إلى إهلاكهم، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ معمول لعامل مطروح واله الأمر الأول، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كالإماء ودعوا الأحرار، ﴿ذَلِكَ﴾ مسراكم على ما أمركم ﴿أَدْنَى﴾ إلى ﴿أَلا تَعُولُوا﴾ العول عكس العدل.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ۝٤ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿وَآتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ المهور ﴿نِحْلَةً﴾ مصدر، وهو الإعطاء مسرورا لا مكرها، ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ (الهاء) للمهر حملا على المؤدي ﴿نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ كلاهما حال محل المصدر أو حال هاء كلوه، والمراد: كلوه حلالا سهلا محمود المال.

﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ المراد: عدم إعطائه كل أحد ما أولاه الله إلى أهله وولده وعوده كلا على المعطى لهم، وسماهم كما سماهم لعدم كمال إصلاحهم أو المراد: ردع كل أحد له ولاء على ولد لا والد له والردع لعدم إعطائه مال الولد حال عدم وصوله لحد الحلم أو صلاح حاله، ﴿الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ مصدر لصلاح أودكم، ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ أحلوها محلا إطعامهم وكسوهم، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾ المراد: عدوهم وعدا حلوا كلما راموها مع عدم صلاحهم لإعطائهم أموالهم.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٦ ﴾ [آية:٦]:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ لسطوع صلاح حالهم لكم أو عدمه ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ صاروا أهلا له، إما لوصولهم حده عمرا، وإما لحصول الماء، ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾

صلاحا لأموالهم، ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ حال أو معمول له، والمراد: عولا على الأولاد، ﴿وَبِدَارًا﴾ إسراعا إلى هلاكها على الأولاد روع ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ صلاحا لإعطائهم أموالهم، ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ مملوح عمله، ومسعاه لمال الولد.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى الأولاد ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ حسما للدعوى والمرء وإلا كلامهم مسموع، ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ مطلعا على أحوالكم ومعاملكم، وواحى الله ردا لما سلك على مسلكه هل العمى، وهو عدم إعطاء الحرم مما هو مال والد أو عم أو محرم هالك أدركه حمامه وله أموال.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ [آية:٧، ٨]:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ المدركهم حمامهم، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ (الهاء) للمال، وهو على اصطلاح العامل المكرر وهو مكرر كلاما لا حكما ﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا﴾ معمول الحال أو مصدر مؤكد، ﴿مَفْرُوضًا﴾ محكوما على إعطائه لهم.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى﴾[1] للمرء أو عكسه الهالك، وما حد الله

---

(١) إنّ ذلك يناسب الميراث، ولا يناسب إيتاءَ أموال اليتامى. ولا جرم أنّ من أهمّ شرائع الإسلام شرع الميراث، فقد كان العرب في الجاهلية يجعلون أموالهم بالوصيّة لعظماء القبائل ومن تلحقهم بالانتساب إليهم حسن الأحدوثة، وتجمعهم بهم صلات الحلف أو الاعتزاز والودّ، وكانوا إذا لم يوصوا أو تركوا بعض مالهم بلا وصية يُصرف لأبْناء الميّت الذكور، فإن لم يكن له ذكور فقد حكي أنّهم يصرفونه إلى عصبته من إخوة وأبناء عمّ، ولا تعطى بناته شيئاً، أمّا الزوجات فكنّ موروثات لا وارثات. وكانوا في الجاهلية لا يورثون بالبنوّة إلا إذا كان الأبناء ذكوراً، فلا ميراث للنساء لأنّهم كانوا يقولون إنّما يرث أموالنا من طاعن بالرمح، وضرب بالسيف. فإن لم تكن الأبناءُ الذكورُ وَرِث أقربُ العصبة: الأبُ ثمّ الأخُ ثمّ العمّ وهكذا، وكانوا يورثون بالتبني وهو أن يتّخذ الرجل ابن غيره ابنا له فتنعقد بين المتبنِّي والمتبنَّى جميع أحكام الأبوّة. ويورثون أيضاً بالحلف وهو أن يرغب رجلان في الخلّة بينهما فيتعاقدا على أنّ دمهما واحد ويتوارثا، فلمّا جاء الإسلام لم يقع في مكّة تغيير لأحكام الميراث بين المسلمين لتعذّر =

سهم مال معطى لهم كعم الهالك مع ولده، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ المراد: أعطوهم عطاء ما أولا مما هو محدد أسهما ومعطى لأهله، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾ كلاما حلوا كالدعاء لهم وعدم صدعهم والحكم المحرر مما هو ممحو المؤدي لا الكلام، وروى ولد عم الرسول أحكامه وحكم على إعطائهم.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [آية:٩]:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ المراد: وصلوا إلى حده ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ لورود حمامهم، ﴿ذُرِّيَّةً﴾ أولادا، ﴿ضِعَافًا﴾ لا مسعى لهم، ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ سوء الحال والعدم، ﴿فَلْيَتَّقُوا اللهَ﴾ المراد: عاملوا أولاد سواكم كأولادكم، ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا﴾ إما لأولاد سواهم كما لو دلوهم على صالح حالهم، وإما للواصل إلى حد موارد الحمام كرده وردعه عما هو إهلاك لكل أمواله وعود أولاده كلا على الورى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [آية:١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ على سوى العدل ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ المراد: ملئها ﴿نَارًا﴾ ما هو موصل ومؤد لها، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه وهو الحلول وسطها ﴿سَعِيرًا﴾ أحدها حرا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

=

تنفيذ ما يُخالف أحكام سكّانها، ثمّ لمّا هاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبقي معظم أقارب المهاجرين المشركون بمكّة صار التوريث: بالهجرة، فالمهاجر يرث المهاجر، وبالحلف، وبالمعاقدة، وبالأخوّة التي آخاها الرسول عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار. انظر التحرير والتنوير (٤/٢٤٨).

لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾
[آية:١١]:

﴿يُوصِيكُمُ اللهُ﴾ **المراد: أمره** ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ **وأمره لكم هو،** ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ﴾ **الأولاد** ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ **محمول أم محمولا** ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ **الهالك وداله المؤدي،** ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ **روى العامل راوٍ كاملا وما أمه معموله، ورواه راوٍ على سوى الكمال وما أمه محمول اسمه،** ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ﴾ **الهالك،** ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ﴾ **معمول على العامل المكرر وهو اللام** ﴿مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ **وحكم والد الوالد كحكم الوالد كما حكم ولد الوالد كحكم الولد.**

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ **وحدهما أو معهما سواهما** ﴿فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ **وهم لا سهم لهم أصلا مع الوالد وعاد ما روعوه الأم إلى الوالد وسواه** ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ **حكاها أولا لورود أمرها مهما** ﴿يُوصِي﴾ **رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سواه** ﴿بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ **على الهالك.**

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ **أول كلام محموله** ﴿لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ **المراد: سلوكهم على ما حده لهم لعدم علمهم الصالح لإعطائه الأموال وهو عالم الصالح للأموال وسواه** ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ **مصدر مؤكد، والعامل مطروح، أو مصدر أوصى المار أول الكلام لوروده للأمر كما مر،** ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ **الصالح لإعطاء المال،** ﴿حَكِيمًا﴾ **محلا أوامره محلها.**

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [آية:١٢]:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وحكم ولد الولد كحكم الولد، ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وحكم ولد الولد كحكم الولد.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ محمول على اسم العامل ﴿كَلالَةً﴾[1] حال أو محمول على اسم العامل، وما مر وسم لاسم العامل، والمراد: لا والد له ولا ولد، ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ حكمها حكمه لا والد لها ولا ولد، ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد: لأم كما رواه ولد مسعود مصرحا ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك، ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أولاد الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ الواحد المار ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ على حد سواء المرء وعكسه ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ رواه راوٍ مكسور الصاد للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال، والمراد: موصله إلى أولاده وسواهم وعدم سلوكه على ما حد الله ورسوله لكل موصى ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مؤكد ﴿مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ ما هو الصالح لكم، ﴿حَلِيمٌ﴾ ما، أمره مسارع إلى إهلاك السالك على سوى ما جده.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية:١٣، ١٤]:

---

(١) في الكلالة أربعة أقوال: أحدها أنها ما دون الوالد والولد قاله أبو بكر الصديق وقال عمر بن الخطاب أتى عليّ حين وأنا لا أعرف ما الكلالة فإذا هو من لم يكن له والد ولا ولد وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس الحسن وسعيد بن جبير وعطاء والزهري وقتادة والفراء وذكر الزجاج عن أهل اللغة أن الكلالة من قولهم تكلله النسب أي لم يكن الذي يرثه ابنه ولا أباه قال والكلالة سوى الوالد والولد وإنما هو كالاكليل على الرأس وذكر ابن قتيبة عن أبي عبيدة أنه مصدر تكلله النسب إذا أحاط به والابن والأب طرفان للرجل فاذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب الطرفين كلالة وكأنها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه نحو هذا قولهم وجهت الشيء أخذت وجهه وثغرت الرجل كسرت ثغره والثاني أن الكلالة من لا ولد له رواه ابن عباس عن عمر بن الخطاب وهو قول طاوس والثالث أن الكلالة ما عدا الوالد قاله الحكم والرابع أن الكلالة بنو العم الأباعد ذكره ابن فارس عن ابن الأعرابي. انظر زاد المسير (٣١/٢).

﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المار سردها ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ ما حدها للعالم للسلوك والعمل على حكمها، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ رواه راوٍ للمكلم، وراوٍ لسواه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مصور حصولها ﴿فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ رواه ولد عامر للمكلم، وسواه لسواه ﴿نَارًا خَالِدًا﴾ حال مصور حصولها ﴿فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَٱلَّـٰتِى يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِى ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴿١٥﴾﴾ [آية:١٥]:

﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ العهر ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ المراد: ملكه، ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلا﴾ أمر ورد أولا لأهل الإسلام ومحا حكمه، ومؤداه أمر الحدود.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٦]:

﴿وَاللَّذَانِ﴾ روى راوٍ ما أم مده كالمؤكد، وراوٍ على أصله مسدسا، ﴿يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ كلاما وملاما، ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ عملهما ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ والحكم المسطر كالحكم المار محا مؤداه وحكمه أمر الحد، اللهم إلا لو حصر الحكم المحرر على أمر اللواط لا العهر.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّى تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ﴾ كما وعد كرما ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ العامل والمعمول محله الحال لواو الاسم الموصول ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ وهم أصحاء حال عدم وصولهم إلى أول موارد الحمام، أو المراد: عوده إلى الله عما هو إلحاد ما

سوى الإسلام، أما لو عصى وهو مسلم ودام على ما هو وما عاد الله إلى وروده موارد أول الحمام ولدى وروده عاد إلى مولاه عوده، ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ وعد لعدم الرد، ﴿وَكَانَ اللهُ﴾ العامل للدوام والمرور ﴿عَلِيمًا﴾ أطوار الورى وأحوالهم، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا كل أمر محله.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وورد على موارده ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ هو كل مسلم أصر على ما عصى، أو كل مصر على إلحاده وما عاد إلى مولاه إلى وصول حمامه ولدى عمله مرور العمر وورود الحمام صدر عما صدر، ﴿وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ كما لو عادوا إلى الله لدى مرآهم ما أعده لهم على سوء أعمالهم، ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [آية:١٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ ورد ردا لسلوكهم الأول، وهو لو هلك أحدهم ولد عم أو عم أو سواه صار حكمه حكم الهالك أموالا وأهلا كما لو رام أهل الهالك ردهما لوطائه كرها، ولو رام أعطاها لسواه أعطاها له كرها ومهرها له أو أمسكها وسط داره كرها لحصوله على مالها المحدود لها مما هو للهالك أو لورود حمامها وحصوله على أموالها، ﴿كَرْهًا﴾ رواه راوٍ كرمح، وراوٍ كرعد، ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[1] أول كلام صدره الواو، والكلام ردع لكل أحد له أهل

---

(١) أصل العضل: التضييق، يقال: عضلَت الدجاجة ببيضها إذا ضاقت، ثم أُطلق عُرفًا على منع المرأة من التزوج. يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لا يحل لكم أن تمنعوا النساء من النكاح لترثوا ما لهن ﴿كرهًا﴾. قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل، وله امرأة كان قريبه من عصبته أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها من غير صداق، إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها ولم يُعطها شيئًا، وإن شاء عَضَلَهَا وضيّق عليها لتفتدي منه بما ورثت من الميت، أو تموت فيرثُها، وإن ذهبت إلى أهلها قبل أن يُلقِيَ وليُّ زوجها ثوبَه عليها فهي أحق بنفسها. فكانوا على ذلك في أول الإسلام، حتى توفي أبو قَيس بن الأَسْلتَ الأنصاري، وترك امرأته " كبشة بنت معن الأنصارية "، فقام ابنٌ له من غيرها فطرح ثوبه عليها، ثم تركها ولم يقربها، ولم ينفق عليها، يضارّها لتفتدي منه، فأتت إلى =

عما حرر، والكلام الأول كمل لدى كرها ﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ كعهر أو سوء وداد ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ رواه راوٍ مكسور الوسط، وراوٍ على سوى الكسر، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ كلاما ومأوى ومطعما ومكسى، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ سلكوا مسالك الحلم ودعو مسلك الإرسال لأمر وهو ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ هو الأصلح لكم مآلا، ﴿وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله حملها لولد صالح.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [آية:٢٠، ٢١]:

﴿وَإِنْ أَرَدْتُم اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ كما لو أراد إرسالا لسلمى وإمهارا وإمساكا لأسماء وإحلالها محل الأولى، ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ مالا ما وهو عام المهر وسواه، ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ على سوى مسلك العدل مما لا أصل له ولا أساس سوى الهوى وهو حال الواو، ﴿وَإِثْمًا﴾ رد الواو حالا على حال ﴿مُبِينًا﴾ أمره ساطع لامع.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وطئا أحد محله المهر المسمى، ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدا ﴿غَلِيظًا﴾ مؤكدا، وهو ما حده الله لكم إما إمساك كل أحد أهله على أصلح الأحوال كلاما، ومأكلا، ومأوى، ومكسى، وإما إرساله لها.

=

النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إن أبا قيس تُوفي ووَرِثَ نكاحي ابنُه، وقد أضرَّ بي وطوّل عليّ، فلا هو ينفق عليّ ولا يدخل بي، ولا يخلي سبيلي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: " اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمرُ الله " قالت: فانصرفتُ وسمعت بذلك النساءُ في المدينة فأتين النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الفضيخ، فقلن: يا رسول الله: ما نحن إلا كهيئة كبشة، غير أنه لا ينكحنا الأبناء، ونكَحَنا أبناء العَم، فنزلت الآية. فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورثن عن الرجال كما يُورث المال. وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها، من غير غبطة بها، وإنما يمسكها انتظارًا لموتها، وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج. انظر البحر المديد (٢/٣٣).

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلاً﴾ [آية:٢٢]:

﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا طرد ما عما هو عام مؤدى لا كمًّا، والمراد: كل عامل وسالك على مسلك ما حرر ملوم إلا عاملا عمله عصر عدم ورود الردع ﴿إِنَّهُ﴾ الأمر المسطور ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ محرما أحله الله للأمم أصلا، ﴿وَمَقْتًا﴾ مكروها، ﴿وَسَاءَ سَبِيلا﴾ مسلكا الأمر المحرر.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية:٢٣، ٢٤]:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ على العموم، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخِ وَبَنَاتُ الأخْتِ﴾ المراد: حرم رد الكل إلى العصم، والوطاء صاعدا إلى العلو ومحدرا إلى عكسه، ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ وسط مدده وسماها إما لورود حكمها كحكمها، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ وحكم سوى الأم وسواها كحكمهما إلا ما علم محله، ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾ ولد أهل الواحد لسواه ﴿اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ الحد لما الأمر على سلوكه لا مؤدى له ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ وحصل الوطء أو ما حكمه كحكمه، ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ وطئا ولا حصل ما حكمه كحكمه ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ

الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ وحلائل سواهم حل لكم وولد الولد كالولد كمًّا وحكم ولده الماص حلم أهله كحكمه كما حكاه الرسول، ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المراد عامله ملام إلا عملا عصرا لا أمر أمر معه ولا رسول ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما مر عهده حال عدم ورود الردع لكم، ﴿رَحِيمًا﴾ لا عسر مع أمره وردعه لعلمه أحوالكم أكمل علم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ ورواه راو مكسور الصاد ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ ردها إلى عصمكم محرم على العموم حرائر أولا ﴿إلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ حال عدم حصولهما معا، ﴿كِتَابَ اللهِ﴾ مصدر، وعامله هو داله ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ مكسور الحاء ﴿لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ سوى ما حرم ومر سرده، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ كالمهر للحرائر وإعطاء الأموال على ملك سوى الحرائر، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ المراد: العهر، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ وطئا أو ما حكمه كحكمه ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المهور على الوطء أو ما حكمه كحكمه ﴿فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ﴾ لا حرام ولا ملام ﴿عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ كما لو حطا مما سماه كلاهما أو عكسه، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ كل صالح، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا كل الأحكام محلها.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٢٥]:

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ مالا واسعا ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ كما هو الأولى ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المراد: الإماء ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ إسلامكم، وإسلام الإماء هل هو سرا وصدرا أو لا المراد: سلموا لإسلام الإماء، ودعوا الأمور على مسراها ومسلكها هو عالم سرائر الإماء والحرائر، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم سواء إسلاما، ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾

هم كل أحد له الولاء على الإماء، ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المراد: المهور ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ لا مطل ولا حط مما سماه كلاهما ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ حال ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ أهل عهر على عكس السر، ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أهل عهر سرا.

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ مكسور الصاد، ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ عهر ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ وهو الحد وحكم المملوك كحكم الإماء وكله لما سوى الوصول لحد الحمام، ﴿ذَلِكَ﴾ الوصول إلى الإماء لدى عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ العهر أو الحد، والمراد: الحكم المسطور والسلوك على مسلكه لكل أمر روعه وروده موارد العهر أو الحد.

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لما ورد وحكاه الرسول الأكرم الحرائر صلاح الدار والإماء هلاكه، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [آية: ٢٦ - ٢٨]:

﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الحلال والحرام، ومصالح أمركم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ مسالك ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الرسل والأمم وما حرم على كل وما حلل لسلوككم على مسالكهم، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(١) محواً لسوء أعمالكم، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره مؤكدا وأساسا لما أمه وهو ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ الهود، أو كل عاهر، أو أهل الإلحاد ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا﴾

---

(١) قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ صريح في أنه تعالى هو الذي يفعل التوبة فينا. والعقل أيضا مؤكد له، لأن التوبة عبارة عن الندم في الماضي، والعزم على عدم العود في المستقبل، والندم والعزم من باب الارادات، والارادة لا يمكن إرادتها، وإلا لزم التسلسل، فاذن الارادة يمتنع أن تكون فعل الانسان، فعلمنا أن هذا الندم وهذا العزم لا يحصلان إلا بتخليق الله تعالى، فصار هذا البرهان العقلي دالا على صحة ما أشعر به ظاهر القرآن وهو أنه تعالى هو الذي يتوب علينا فأما قوله: لو تاب علينا لحصلت هذه التوبة، فنقول: قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ خطاب مع الأمة، وقد تاب عليهم في نكاح الأمهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآيات، وحصلت هذه التوبة لهم فزال الإشكال والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١١/١٠).

عدولكم عدولا كاملا عما حلل لكم إلى ما حرم.

﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ كل عسر كإحلاله الإماء لأهل الطول وسواهم، ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ حمله مر الأوامر وردعه الهوى أمر عسر على كل أحد إلا الأولى عصمهم الله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٩]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام ككل محرم على العموم ﴿إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ رواه راوٍ على وروده محمولا والاسم هو الأموال مطروحا، وراوٍ مسموكا على كمال عامله ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ المراد: صادر أمرها عما حرر لا على مسلك الإكراه، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المراد: عدم ورودهم موارد الردى والهلاك حالا ومآلا لمال أو لهوى ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ رادعا عما هو هلاك لكم أو لما ما عاملكم كما عامل الهود وأمرهم إهلاكا لأرواحهم لما راموا العود إلى الله، وسأله موسى.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [آية:٣٠، ٣١]:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ كل ردع مر حكمه ﴿عُدْوَانًا﴾ عولا على سواه، ﴿وَظُلْمًا﴾ له أو كلاهما عائد إلى العامل لا لسواه، ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ أصلاه وصلاه أحله ﴿نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ المراد: كل عمل هدد الله عالمه وأوعده أو حكى له حد ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كل محرم لا هدد الله عامله ولا حكى له حدا، ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا﴾ رواه راوٍ كمرسل، وراوٍ كمطمع للمصدر أو المحل كما هو معلوم ﴿كَرِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم وما أعده الله لأهل السلوك على مسلك أوامره.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [آية:٣٢]:

﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مالا أو كمالا لمآل أمره إلى الحسد، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ لكل ساع ما سعى، وروموا الكمال أو المال عملا لا حسدا، ﴿وَاسْأَلُوا﴾ ورواه راوٍ: وسلوا، ﴿اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو معط لكم كما أعطاهم، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومما علمه محل العطاء وأهله وسوا لكم.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [آية:٣٣]:

﴿وَلِكُلٍّ﴾ المراد: ولكل مال هالك مالكه ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ معطى لهم ماله وما ملك، ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ أموالا لهم، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ وهو السدس، وهل الحكم المسطور ممحو المؤدى محاه وأولوا الأرحام أو حكمه ممدود والمراد: المعاهد، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلعا على أحوالكم كلها ولما لطم سعد أهله وحكى والدها للرسول أوحى الله لرسوله.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [آية:٣٤]:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾(١) سلطهم الله ﴿عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ علما وحلما وولاء وإدراكا، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لمأكل ومأوى ومكسى ومهر، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أمر الله، وأمر الأولى أدوا المهور، ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ الموطئ

---

(١) سبب نزولها أن رجلا لطم زوجته لطمة فاستعدت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وذكر المفسرون أنه سعد بن الربيع الأنصاري قال ابن عباس قوامون أي مسلطون على تأديب النساء في الحق وروى هشام ابن محمد عن أبيه في قوله الرجال قوامون على النساء قال إذا كانوا رجالا. انظر زاد المسير (٧٣/٢).

عما هو عهر ﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ (ما) للمصدر وكلاء الله لما وصى كل أمره إصلاحا لحال الحائل، ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ لدال دلكم على حصوله ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ كلاما أول الأمر، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ لو ما حصل الردع والمراد إما عدم الوطء، وإما على أصله، ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (وَ) لو دام الإصرار (اضْرِبُوهُنَّ) لا كسرا، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ على المراد والسلوك على أوامركم كما حد الله ورسوله، ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا﴾ المراد: عدم روم مسلك إلى سوء وداد الأهل لو حصل السلوك كما أمر الله، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ معد ومعامل كل عائل وسالك على سوى مسلك العدل ما هو أهله.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [آية:٣٥]:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ المرء وأهله، والمراد: عدم الوداد وسوء الحال، ﴿فَابْعَثُوا﴾ الأمر إما لكل حاكم أو لكل امرء ﴿حَكَمًا﴾ محكما عدلا ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ موكلا له المرء أمره كما أراد أصلح، ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ موكلا له أمرها كما أراد أصلح، ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ حكم أهله وحكم أهلها ﴿إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ﴾ مسهل الإصلاح ﴿بَيْنَهُمَا﴾ المرء وأهله، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ السرائر وعكسها على حد سواء ومما هو مسر علمه محصل الصلاح لحالهما.

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [آية:٣٦، ٣٧]:

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه، ﴿وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ كسواع وسواه سرا وعكسه، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مصدر هو دال عامله، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ على العموم أولاد رحم أو أولاد ماء، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ حائطا أو دارا كما لو داره إلى دارك أو حائطه إلى حائطك، أو المراد: رحما معها أو إسلاما معهما، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو عكس الأول إما لا حائطا ولا دار أو لا رحما أو لا إسلاما، ﴿وَالصَّاحِبِ

بِالْجَنْبِ﴾ علما أو كارا أو مرحلا لا حلا، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل أحد لا وصول له إلى حدود محله ولا مال معه أو كل وارد إلى دارك، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كل مملوك لكم، ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا﴾ على الورى لا له وداد إلى أرحامه ولا إلى سواهم.

﴿الَّذِينَ﴾ أول كلام مطروح المحمول أو محمول لمطروح هو هو، ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ علما أو مالا والمحمول أولى لكل ملام، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [آية:٣٨، ٣٩]:

﴿وَالَّذِينَ﴾ رد الواو اسما موصولا على اسم موصول ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لا روما للسلوك على أوامر الله، ﴿وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ عاملا على ما وسوس له كهؤلاء، ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ هو.

﴿وَمَاذَا﴾ كلاهما معا اسم واحد أول كلام ومحموله ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ﴾ للمصدر ﴿آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٤٠]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ﴾[١] أحدا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ما صعد وسط لهواء أو سواة ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ روى راوٍ العامل كاملا، وراوٍ على سوى الكمال والمحمول ﴿حَسَنَةً﴾ وعاملها أهل

---

(١) استئناف بعد أن وصف حالهم، وأقام الحجّة عليهم، وأراهم تفريطهم مع سهولة أخذهم بالحيطة لأنفسهم لو شاءوا، بيّن أنّ الله منزّه عن الظلم القليل، بله الظلم الشديد، فالكلام تعريض بوعيد محذوف هو من جنس العقاب، وأنّه في حقّهم عدل، لأنّهم استحقّوه بكفرهم، وقد دلّت على ذلك المقدّر أيضاً مقابلته بقوله: ﴿وإن تك حسنة﴾ ولمّا كان المنفي الظلم، على أنّ ﴿مثقال ذرّة﴾ تقدير لأقلّ ظلم، فدلّ على أنّ المراد أنّ الله لا يؤاخذ المسيء بأكثر من جزاء سيّئته. انظر التحرير والتنوير (٥/٥٥).

الإسلام ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ ورواه راوٍ ككلم، ولا حد على الله هو أعلم إلى كم، ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو أعلم ما هو.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [آية:٤١، ٤٢]:

﴿فَكَيْفَ﴾ حال أهل الإلحاد ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ على أعمالهم وسوء مسالكهم وهو رسولهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد الأكرم الأطهر ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ الرسل لعلمك مسالك الكل، أو المراد على هؤلاء أهل الإسلام ﴿شَهِيدًا﴾ معدلا لهم أول على أصلها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾ للمصدر ﴿تُسَوَّى﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه مع طرح ما كأوله وأحكامه ﴿بِهِمُ الأَرْضُ﴾ المراد: ودوا دوامهم وسطها وعدم رد الروح لهم أو ودوا حالهم كحالها أو ودوا عدم ورودهم على سطحها أصلا، ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه حال أداء الرسل ما سئلوا على أممهم وحال سواه مسروه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [آية:٤٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾ المراد محلها أو أداؤها حال السكر، ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ حال السكر ورواه راوٍ محرك الأول كما حرك ما أمه، وراوٍ سكرى كهلكى، ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ كما لو مر وسطه لعدم مسلك له سواه ولو له مسلك حرم أو لا لكل ملمح، أو المراد أداؤها، وهو على سوى طهر حال عدم الماء ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ لداء مولكم معه الماء، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ المحل المعد له، ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ورواه راوٍ مع عدم المد، وعلى كل هو الوطء أو المراد: المس على أصله، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ أموا

﴿صَعِيدًا﴾ كل ما على السطح ولو أملس صلدا، ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرا، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ مسهلا لكم أوامره وراحمكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [آية: ٤٤، ٤٥]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم علماء الهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ سلكوا مسالكها، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ مسلك الهدى، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وحكى لكم سرائرهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا﴾ كالئا لكم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾ لكم على الأعداء.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٤٦]:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [1]عامل الاسم الموصول مع ما معه محمول لمطروح وهو رهط أو علماء ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الموحى إلى موسى، ورواه راوٍ الكلم مكسور الأول كعلم ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ﴾ للرسول محمد حال أمره لهم ﴿سَمِعْنَا﴾ كلامك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ دعاء على الرسول الأكرم ومرادهم: لا سمع وعدم السمع، إما لحمام أو صمم وكلاهما دعاء، ﴿وَرَاعِنَا﴾ كلام مكروه على اصطلاحهم وأوهموا السامع ما مورده راعى ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أمالوا الكلام عما هو مدح إلى المكروه على اصطلاحهم، ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ هو الإسلام، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ﴾ الكلام المحرر للرسول ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما حكوه،

---

(١) ظاهره الانقطاع في الإعراب عن ما قبله، فيكون على حذف موصوف هو مبتدأ، ومن الذين خبره، والتقدير: من الذين خبره، والتقدير: من الذين هادوا قوم يحرّفون الكلم، وهذا مذهب سيبويه، وأبي عليّ، وحذف الموصوف بعد من جائز وإن كانت الصفة فعلا كقولهم: منا ظعن، ومنا أقام أي: منا نفر ظعن، ومنا نفر أقام.. انظر تفسير البحر المحيط (٢١٣/٣).

﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل، ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ﴾ طردهم ﴿اللهُ﴾ عما هو هدى ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾ كولد سلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ [آية:٤٧]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ هو كلام الله الموحى إلى محمد رسوله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ كلام الله الموحى إلى موسى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ الطمس: محو إعلام الصور وردها إلى حال كاللوح أو المراد: عمى المرآى وعمه الصدر وصمم الأسماع عما هو سلوك مسالك الهدى، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ لحصول حالها كحالها لوحا واحدا أو لعدم ورودهم على موارد الهدى، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ المراد: طردهم عما هو صور ولد آدم وردهم إلى صور سواها، أو المراد: الطرد على أصله عما هو هدى ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ﴾ حكمه ومراده ﴿مَفْعُولا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [آية:٤٨]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ محو سوء أعماله وإحلاله دار السرور السرمد كرما، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ [آية:٤٩، ٥٠]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم الهود لما ادعوا أولاد الله وأهل ولائه، ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي﴾ هو مطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ﴾ لحط ما عملوا صالحا أو على ما ساء ﴿فَتِيلا﴾.

﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ لدعواهم هم أولاد الله وأهل ولائه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ ما ادعوه ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [آية:٥١ - ٥٥]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم علماء الهود لما وردوا إلى الحرام وحركوا همم أهل الإلحاد على الرسول وأهل الإسلام ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ هما كود وسواع، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ﴾ أومأ إلى الاسم الموصول والمراد هم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا﴾ أعدل مسلكا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ﴾ طردهم ﴿اللهُ﴾ عما هو هدى، ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ﴾ (هُ) ﴿اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ رادا ورادعا لما أعده الله له، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ المراد: ما لهم ولو سلم، ﴿فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ لحرصهم وعدم سماحهم، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ رسوله الأكرم محمدا ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ كالإرسال والكلام المكرم والعلو على الأعداء، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ كموسى، وداود، وولده ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد: ما عم الإرسال، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ واحدهم أصوله واحدهم أولاد عمومه وحكمه كحكمهم.

﴿فَمِنْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ (الهاء) لمحمد، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ ما أسلم له، ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ لكل صاد ومول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾ [آية:٥٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ وعدم إحساسها ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أصلها الأولى لعود الإحساس لها ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أحده وأمر ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ ما أراده حاصل، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا آلاءه على أهلها وآلامه على أهلها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً ﴿٥٧﴾ [آية:٥٧]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مرادا ومصورا حلولهم ودوامهم ﴿فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ لا دماء لها، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾(١) لا محوله له أمد الدوام ودوام الأمد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [آية:٥٨]:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ الأمر إلى العموم على العموم، ولو الأصل والأساس لواحد معلوم، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا﴾ ما اسم معمول موصول للعامل أو اسم حال أمرا محمودا، والمراد مدحه مطروح وهو أداؤها أهلها والحكم عادلا ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ لكلامكم وأحكامكم وهل كلاهما على مسلك العدل أو لا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [آية:٥٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ المراد: العلماء لما حكى الله، ولوروده إلى الرسول وإلى أولي الأمر أمراء الإسلام على العموم ما داموا على العدل كما أمرهم، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى﴾ كلام ﴿اللهِ وَالرَّسُولِ﴾

(١) قوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾ قال الواحدي: الظليل ليس ينبئ عن الفعل حتى يقال: إنه بمعنى فاعل أو مفعول، بل هو مبالغة في نعت الظل، مثل قولهم: ليل أليل. واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة، ولهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة. قال عليه الصلاة السلام: "السلطان ظل الله في الأرض" فاذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة، هذا ما يميل اليه خاطري، وبهذا الطريق يندفع سؤال من يقول: إذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل. وأيضاً نرى في الدنيا أن المواضع التي يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس اليها يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك لأن على هذا الوجه الذي لخصناه تندفع هذه الشبهات. انظر تفسير الرازي (١٠/١٠٧)

ما طال عمره ودام معمرا ولدى مرور العمر إلى ما أورده، ورواه كل راوٍ مصححا كمسلم ومالك وسواهما، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾ الرد المحرر ﴿خَيْرٌ﴾ لكم، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ مآلا وداعى أحد الهود أحد أهل الإسلام كلاما لا صدرا وأراد هو الحكم لدى رأس مكرهم وأساس لؤمهم وما طاوعه أحد الهود حكى، ودعاه إلى الرسول وحكم الرسول الأكرم له لا للمسلم كلاما وهرولا إلى عمر، ولما وردا على عمر حكى أحد الهود، وحكم الرسول له، وسأل عمر المسلم كلاما هل حصل كما أدعى رد له سؤله حصل كما حكى، ولما رأى عمر رد المسلم كلاما لحكم الرسول أمرهما دوما محلكما لا حكم لكما وأسرع سل حسامه وورد على الراد لحكم الرسول وأهوى حسامه إلى رأسه أهلكه وكلمه ما حاصله ها هو الحكم لراد حكم الرسول، ولما حصل ما حرر وسطر أوحى الله لرسوله الأكرم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [آية:٦٠ - ٦٣]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ هو رأس أهل المكر واللؤم وهم كل مصر على عدم الإسلام سرا ومسلم كلاما، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾(١) على رسوله، وهو كل حكم حواه الكلام

---

(١) قرأ الحسن: تعالوا بضم اللام. قال أبو الفتح: وجهها أنَّ لام الفعل من تعاليت حذفت تخفيفاً، وضمت اللام التي هي عين الفعل لوقوع واو الجمع بعدها. وأظهر الزمخشري حذف لام الكلمة هنا بحذفها في قولهم: ما باليت به بالة، وأصله: بالية كعافية. وكمذهب الكسائي في آية، أن أصلها أيلة فحذفت اللام. قال: ومنه قول أهل مكة: تعالي بكسر اللام للمرأة. انظر البحر =

المكرم ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ﴾ إلى سواك ﴿صُدُودًا﴾ مصدر واسم مصدر، وهو الصد لسوى المحسوس والسد للمحسوس وعامل الصد محله الحال.

﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم وأمرهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كإهلاك عمر أحدهم أو الأعم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ كرد حكم الرسول وروم حكم سواه أو عدم سلوكهم على مسلك الهدى وهو الإسلام، ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ مردود على عامل صدودا ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ حال روم سواك حاكما ﴿إِلا إِحْسَانًا﴾ صالحا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ لا حملا لحكمك على سوى العدل.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وهو الإصرار على عدم الإسلام ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ روعهم ما أعده الله لهم على طالح أعمالهم، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حال السر معهم لا على الملأ العام ﴿قَوْلا بَلِيغًا﴾ المراد: رادعا لهم، وأصله لكل كلام دل على مدلوله المراد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [آية: ٦٤، ٦٥]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ﴾ أمره ولحكمه ﴿بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما راموا حاكما سواك أو المراد: لما ما أسلموا لك، وعصوا أمرك كما وراموا سواك حكما ﴿جَاءُوكَ﴾ أهل إسلام، وهو محمول العامل المؤكد ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ سلوك على سوى مسلك الكلام الأول علو الحال الرسول وإكراما ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ لهم.

﴿فَلا﴾ لا مؤكد ﴿وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ كل أمر أدى إلى ادعاء ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ عدم وسع صدر لحكمه ﴿مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا﴾ لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ سرا وعكسه.

=

المحيط (٢٢٨/٣).

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية:٦٦ - ٦٨]:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما ورد الأمر للهود ﴿مَا فَعَلُوهُ إلا قَلِيلٌ﴾ رواه راوٍ على اصطلاح العامل المكرر، وراوٍ على أصل عمل إلا ﴿مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ وهو إسلامهم للرسول على كل حال ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإسلامهم.

﴿وَإِذًا﴾ المراد: لو صححوا إسلامهم وسدوده وداموا على سلوكه ﴿لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم، ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ موصلا سالكه إلى كل مأمل ومرام، ولما راع مولى رسول الله صلى الله على روحه وسلم عدم مرآه للرسول وسط دار المأوى والسرور السرمد لحلول الرسول المحل الأعلى وعدم وصوله هو له وأساءه ما حرر، وسأل الرسول أوحى الله إلى رسوله.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [آية:٦٩، ٧٠]:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ هم أرداء الرسل الكرام، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ هلكى المعارك، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ كل صالح سوى المحرر أسماؤهم، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ والمراد: ولواحدهم له المحل الأعلى واحدهم له سواه هم معهم وكل راء أعلاه محلا، ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى حصولهم معهم، وهو أول كلام محموله ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ حصلوا على ما حرر كرما لا لعمل أدى إلى وصولهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ ما هو حاصل لدى المعاد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ

يَـٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1] [آية:٧١، ٧٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أعدوا للأعداء أكمل إعداد وهو عام للسلاح وسواه، ﴿فَانْفِرُوا﴾ إلى المعارك ﴿ثُبَاتٍ﴾ عددا وراء عدد لا كلكم معا ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ كلكم معا، ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ الكلام مع عسكر الرسول كلهم أهل الإسلام سرا وصدرا، وأهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ما هو مسرع إلى المعارك، وهم أهل الإسلام كلاما لا سرا وصدرا واللام الأولى لام أول الكلام، واللام الآم لها لام مول، ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كهلاك أو عدم علو على أعدائكم ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ علو على أعدائكم وحصولكم على أموالهم ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكده سوى الأول دالا على حسره ﴿كَأَنْ﴾ اسمها الهاء مطروح ﴿لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا﴾ للدعاء، والمدعو مطروح أو رد ما لحصول إدراك السامع ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَلۡيُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [آية:٧٤، ٧٥]:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لإعلاء ما أسسه وأوصاه للرسل وأمر الأمم للسلوك على مسالكه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ المراد: كل معط دارا لا دوام لها وسائم

(١) حددت هذه الآيات قواعد القتال، وأوجبت أن تكون الحرب لغرض شريف، وأول هذه القواعد: التزام الحذر، ومراقبة تحركات العدو، والإعداد اللازم لملاقاته في أي وقت، فقد يباغتنا العدو في أي لحظة، ويستغل بعض الظروف الأزمات، وعندها يكون الاستعداد السابق مفوتا لأغراضه الدنيئة، وملحقا به الهزيمة المنكرة. والمؤمن الصادق الإيمان لا يخشى الموت واقتحام المعارك لأن أجل الإنسان لا يتقدم ساعة ولا يتأخر، لكن ينبغي مع الإقدام أخذ الحذر، لأن الحذر داخل في القدر. انظر التفسير الوسيط لزحيلي (٣٤٤/١)

محلها دارا سرورها وعمرها دائم هو أولى إسراعا إلى المعارك، ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هو المسلك المأمور كل أحد لسلوكه ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الوعد حاصل له سواء أدركه حمامه أو علا على أعدائه.

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءه وأعداءكم، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مردود رده الواو على اسم الله، والمراد: لحل أسرهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ لما حصروهم وسط الحرام ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دعاء لله ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ المحل الحرام ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ لإلحادهم، ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ لأمورهم، ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ رادعا عول الأعداء وسمع الله دعاءهم وأعطاهم مأملهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [آية:٧٦]:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ المطرود عدو آدم وولده، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ﴾ مكر ﴿الشَّيْطَانِ﴾ وإردائه لأهل الإسلام ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ ما هو معادل ومساو لمكر الله مع أعدائه أهل الإلحاد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾﴾ [آية:٧٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ دعوا أمر العراك لما راموه، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ وأمرهم الله إعلاء لأحكام الإسلام ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ المراد: راعوا أهل الإلحاد وروعهم أمرهم ﴿كَخَشْيَةِ اللهِ﴾ كما روعهم ما أوعدهم الله حلوله، والعامل والمعمول حال محل المصدر أو الحال، ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ مما أوعدهم الله حلوله وأورد ما أمه على ما حل محل المصدر أو الحال ومكمل لما حاصل أول الكلام ومحموله وما معهما أو هو داله، ﴿وَقَالُوا﴾ لما هالهم وروعهم أمر العراك ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ

قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ حالها أو عمرها ﴿قَلِيلٌ﴾ مروره مسرع لا دوام له، ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ ما أوعده الله وعمل كما أمر، ﴿وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ لحظ على عمل طالح أو مما هو صالح، ورواه راوٍ للسامع وراوٍ لسواه.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [آية:٧٨]:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ كل محل محكم إعماره، ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ سام حائطها، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ كلاء ومحصود ما ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ محل وسمو أسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الكلام مع الرسول ردد الله لروحه أسمى سلام، والمراد: لما حل دارهم حصل المحل لهم، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ المحل وعكسه ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ما هم أهل إدراك لما حواه الكلام المكرم ولو أدركوا ما حواه الكلام المكرم لعلموا مصدر المحل وسواه هو الله.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [آية:٧٩]:

﴿مَا أَصَابَكَ﴾ الكلام للرسول أو لكل سامع ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ واحد الآلاء ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ كرما لا لعمل أدى لها، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ لطالح عمل عاملك مولاك على صدوره وموصل الكل هو الله، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ الكلام مع الرسول ﴿لِلنَّاسِ﴾ على العموم لكل العوالم ﴿رَسُولا﴾ حال مؤكد، ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على إرسالك.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [1] [آية:٨٠]:

---

(١) احترَس بقوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ عن توهّم السامعين التفرقة بين الله ورسوله في أمور التشريع، فأثبت أنّ الرسول في تبليغه إنّما يبلّغ عن الله، فأمره أمرُ الله، ونهيُه نهيُ الله، وطاعتُه طاعةُ الله، وقد دلّ على ذلك كلّه قولُه: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ لاشتمالها على إثبات كونه رسولا واستلزامها أنّه يأمر وينهى، وأنّ ذلك تبليغ لمراد الله تعالى، فمن كان على =

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ لورود الرسل كلهم وسائط للعالم، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ كالئ أعمالهم، وهو مما محا مؤداه أمر العرك.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ [آية:٨١]:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أهل الإسلام كلاما لا صدرا وسرا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك، ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ طلعوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ﴾ أسر ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لك أولا لما وردوا إلى محلك، ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ﴾ المراد: أمر الملك الموكل ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ وهو معاملهم على مكرهم وسوء عملهم، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ هو كالئك، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [آية:٨٢، ٨٣]:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ وما حواه حكما وحكما وإحكاما، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عما حصل على عسكر الإسلام ﴿مِنَ الأَمْنِ﴾ كعلوهم على الأعداء ﴿أَوِ لْخَوْفِ﴾ كعلو الأعداء على الإسلام ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ على الملاء، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ الأمر المحرر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ كعمرو كل واحد مدرك لأمور المعارك أو المراد إلى الأمراء ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل إسراره أولى أم عدم إسراره ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ محصلو علمه وحاكوه إلى الملأ ﴿مِنْهُمْ﴾ (الهاء) للرسول والإرداء الكرام

=

بيّنة من ذلك أو كان في غفلة فقد بيّن الله له اختلاف مقامات الرسول، ومن تولّى أو أعرض استمرّ على المكابرة ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾، أي حارساً لهم ومسؤولا عن إعراضهم، وهذا تعريض بهم وتهديد لهم بأنْ صَرَفه عن الاشتغال بهم، فيعلم أنّ الله سيتولّى عقابهم. والتولّي حقيقته الانصراف والإدبار، وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ (البقرة: ٢٠٥) وفي قوله: ﴿مَا ولاهُم عن قبلتهم﴾ في سورة البقرة (١٤٢). واستعمل هنا مجازاً في العصيان وعدم الإصغاء إلى الدعوة. انظر التحرير والتنوير (١٣٥/٥).

أو الأمراء كما مر، والمراد: لعلم محصلوه، وحاكوه هل صلاح الإسلام لإسراره أم لا، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وهما إرسال الرسل وما أوحى لهم كلاما مكرما ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ للسلوك مسالك وسواسه ﴿إِلا قَلِيلا﴾ وهم كل امرء عصمه الله.

﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [آية:٨٤]:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ولو وحدك، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ عراك ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وحصل لما ملأ الله صدورهم روعا وعادوا، ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا﴾ وآلى رسول الله على الطلوع للعراك ولو وحده.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [آية:٨٥]:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ على حكم أمر الله ولو دعاء لمسلم ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ على سوى أمر الله كما لو حاول أمرا محرما ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ سهم ﴿مِنْهَا﴾ مساو لها ولعمل عاملها لو سواه، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ هو الكالئ أو كل ما أراده حاصل لا راد له.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾(١) [آية:٨٦]

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ كالسلام، ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ كدعائكم للمسلم سوى رد السلام وحده، ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ كما سلم سلموا؛ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

(١) وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: التحية تفعلة من حييت، وكان في الاصل تحيية، مثل التوصية والتسمية، والعرب تؤثر التفعلة على التفعيل في ذوات الاربعة، نحو قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٤) فثبت أن التحية أصلها التحيية ثم أدغموا الياء في الياء. المسألة الثانية: اعلم أن عادة العرب قبل الاسلام أنه إذا لقي بعضهم بعضا قالوا: حياك الله واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة، فكانت التحية عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعض حياك الله، فلما جاء الاسلام أبدل ذلك بالسلام، فجعلوا التحية اسما للسلام. قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَه سَلامٌ﴾ (الأحزاب: ٤٤) ومنه قول المصلي: التحيات لله، أي السلام من الآفات لله، والأشعار ناطقة بذلك. انظر تفسير الرازي (١٠/١٥٧).

معامل كل أحد على عمله ولو السلام ورده.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [آية:٨٧]:

﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ أول كلام ومحموله أو الله أول كلام والمحمول هو حاصل ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ لما هو عدم كمال، وهو على الله محال وعاد حال عراك أحد عدد معلوم إلى محلهم والرسول والإسلام وسط المعارك ولما عاد هؤلاء العدد، وحكم أحد أهل الإسلام على مكرهم وعدم إسلامهم وأحد أهل الإسلام على إسلامهم وعدم مكرهم أوحى الله لرسوله.

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ ۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ ۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلًا﴾ [آية:٨٨ - ٩٠]:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ حال عاملها لكم، ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ الإركاس: رد كل أمر معكوسا، والمراد: ردهم إلى إلحادهم ﴿بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ ـهُ ﴿اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ﴾ ـهُ ﴿اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ إلى الهدى.

﴿وَدُّوا لَوْ﴾ للمصدر ﴿تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ معهم ﴿سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أهل وداد لكم ولو هم أسلموا كلاما ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، وهو المسلك المأمور كل أحد لسلوكه، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وما صححوا إسلامهم وداموا على حالهم وإصرارهم لعدم الإسلام.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أسراء، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ هم، وأهل الإلحاد سواء، ﴿وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ للوداد، ﴿وَلا نَصِيرًا﴾ على الأعداء، ﴿إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾

المراد: حكمهم كلهم سواء أسرا وإهلاكا إلا الراحل ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ **عهد على عدم الأسر والعراك لا معهم ولا مع أحد وصل لهم وحكم الواصل لهم حكمهم والمعاهد هو هلال عاهده الرسول لما أم الحرم** ﴿أَوْ﴾ **الأولى** ﴿جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ **كرها** ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ **والمراد: هم لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، والأولى كما حرر دعوهم،** ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ **أطاعوا لكم وصالحكم** ﴿فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا﴾ **إلى أسرهم أو عراكهم أو عمل سوء أصلا.**

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ **[آية: ٩١]:**

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ **هو أسد وسواهم** ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ **لإسلامهم كلاما لكم،** ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ **عودا إلى إلحادهم** ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ **دعوا إلى الإلحاد وعراك أهل الإسلام** ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ **عادوا وعكسوا لها أردى عود وعكس،** ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ﴾ **لم** ﴿يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ﴾ **أسرا،** ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ **وكله محا حكمه أمر العراك على العموم.**

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ **[آية: ٩٢، ٩٣]:**

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ ما صح له ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً﴾[1] حال أو اسم مصدر مطروح أو معمول له، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ كما لو رمى رصاصه أو سهمه إلى طائر ومر إلى مسلم وأرداه، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المراد: على كل رام ما حرر ﴿مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أهل المرمى ﴿إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ الأهل على المهلك لعدم عمده لما حصل، والحكم المحرر لكل مسلم وأهله إسلام أما سواه، ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المرمى ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أهله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على مهلكه ولا مال مسلم إلى أهله، ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد كالهود وسواهم ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ لعدم ملكها أو ملك مال محصل لها، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً﴾ حال أو معمول له أو مصدر ﴿مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ حال الكل ﴿حَكِيمًا﴾ محكما أوامره ومحلها محلها.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ عامدا لإهلاكه مع علمه إسلامه، ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ مدد أطوالا ﴿فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ المراد: لو عومل كما هو أهله لعومل كما سطر أو حمله على المدد الطوال كما مر، ولما مر أحد الإرداء الكرام على واحد هو مرداس أو سواه وسلم على إرداء الرسول وهلل معهم لما هللوا أو لما رآهم هموا على إهلاكه عصم دمه وماله مكلما لهم لا إله إلا الله

---

(١) في سبب نزولها قولان: أحدهما أن عياش بن أبي ربيعة أسلم بمكة قبل هجرة رسول الله ثم خاف أن يظهر إسلامه لقومه فخرج إلى المدينة فقالت أمه لابنيها أبي جهل والحارث ابني هشام وهما أخواه لأمه والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعام ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه ومعهما الحارث بن زيد حتى أتوا عياشا وهو متحصن في أطم فقالوا له انزل فان أمك لم يأوها سقف ولم تذق طعاما ولا شرابا ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك فنزل فأوثقوه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة فقدموا به على أمه فقالت والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر فطرح موثقا في الشمس حتى أعطاهم ما أرادوا فقال له الحارث بن زيد يا عياش لئن كان ما كنت عليه هدى لقد تركته وإن كان ضلالا لقد ركبته فغضب وقال والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك ثم أفلت عياش بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم أسلم الحارث بعده وهاجر ولم يعلم عياش فلقيه يوما فقتله فقيل له إنه قد أسلم فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان وقال لم أشعر بإسلامه فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وهو قول سعيد بن جبير والسدي والجمهور

والثاني أن أبا الدرداء قتل رجلا قال لا إله إلا الله في بعض السرايا ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ما صنع فنزلت هذه الآية هذا قول ابن زيد. انظر زاد المسير (٢/١٦١).

محمد رسول الله وعمدوا وأهلكوا أوحى الله لرسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [آية:٩٤]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ رحل أحدكم أو كلكم إلى محل سوى محله روماً للمعارك ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ما أمر كل أحد إلى سلوكه، ﴿فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ﴾ ورواه ولد عامر وسواه: السلم كالعلم ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها المسرع مروره ولا دوام له، وهو حال الواو المسلط لا على عامله، ﴿فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أول إسلامكم وما عصم دماءكم وأموالكم إلا الكلام وهو لا إله إلا الله ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما صارا سلامكم معلوما لدى كل أحد، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ودعوا إهلاك امرء مسلم عصم دمه وماله لا إله إلا الله كما عصم دمكم ومالكم أولا وكرره مؤكدا، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالما أحوالكم ومرامكم، وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [آية:٩٥، ٩٦]:

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ الأولى ما ساروا إلى المعارك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ﴾ معمول كالوا والمسلط على عامله لا على اصطلاح العامل المكرر، كما رواه راوٍ، ورواه ولد عامر وسواه معمولا على الحال، وراوٍ رواه مكسورا وسما لمأمومه، ﴿أُولِي الضَّرَرِ﴾ لداء عسر أو عمى أو عطل ما، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لداء أو عمى كما مر لا كسلا أو مكرا ﴿دَرَجَةً﴾ إما معمول لطرح عامل الكسر أو مصدر أو حال، ﴿وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾

دار المأوى والسرور الدائم، ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لا مرادا هم كداء، وسواه مما مر وكرره روما لعلوا الهمم أو الأول هم أولو العمى وسواه، وهؤلاء هم الأولى صدر لهم أمر الرسول على عدم طلوعهم إلى المعارك أو الأول معاركو أهل الإلحاد وهؤلاء معاركو الهوى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ كل معمول على اصطلاح العامل المكرر أو كلها على المصدر، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما عسى هو حاصل، ﴿رَحِيمًا﴾ لوعده لهم ما وعدهم ولما أسلم رهط وداموا وسط دارهم وهو الحرام وما سارعوا إلى ما أمرهم الله، وهو المرحل إلى سواه وحصل العراك، وساعدوا أهل الإلحاد وأهلكوا معهم أوحى الله لرسوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٩٧ - ٩٩]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لما راموا مع أهل الإلحاد وما رحلوا كما رحل أهل الإسلام ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ مما هو عائد إلى أهل الإسلام ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ لسمو حال أهل الإلحاد على حالهم وله ما حصل لهم ولا سوعدوا على إعلاء أحكام الإسلام، ﴿قَالُوا﴾ لهم ردا على ما ادعوه ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى محل علا أمر إسلامه على إلحاده كما رحل أهل الإسلام والرسول الأكرم، ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ولعل إسلامهم حصل كلاما وحده لا صدرا وسرا.

﴿إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الأولى ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لعدم ملكهم ما هو موصلهم إلى محل سواه مالا أو رواحل أو طعاما أو عللا ما، ﴿وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾ لعدم علمهم المسالك وعدم حصول هاد لهم ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [آية:١٠٠]:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ محلا سام حال إسلامه وعال أمره أو المراد مسالك سالكها كهرا لرهطه الأولى هم أهل الإلحاد، ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ مأكلا ومطعما، ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ﴾ رواه راوٍ محركا كسرا، وراوٍ على عكسه، وراوٍ على طرح محصل المصدر، وراوٍ ما حركه أصلا ﴿الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [آية:١٠١]:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ رحل أحدكم مراحل آمًّا محلا ما ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ عملا على أصلها وسماه كما سماه لما راعى مسراهم وعملهم ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ حال الروع وحال عكسه على حد سواء ما عدا الحكم المسطور حكى حالهم عصر وروده ولا مؤدى له.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا

تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [آية:١٠٢ - ١٠٦]:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الكلام للرسول وحكم كل إمام سواه كحكمه ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ المراد: إحداهما معك وإحداهما أمام العدو، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الأولى صلوا روع وهم أعداهم لهم، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المراد: صلوا، ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ الأولى ما صلوا معك وهم أمام العدو ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ للحرس، ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ وهم أولو الحرس ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ إلى كمال عددها وسلام الإمام محل الأولى والأولى للحرس، وحكمهم حكم كل مصل لإكمالهم لها كمأموم لدى سلام الإمام، ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم كالأولى ولدى سلام الإمام عادوا إلى حرسهم، وعاد الأولى صلوا أولا لإكمالها، وحكمهم حكم المأموم ولدى إكمالهم لها عادوا إلى محل الحرس، وعاد أولو الحرس لإكمالها، وحكمهم حكم كل أحد ما أدرك أولها مع أمامه وحكم كل عدو كحكم المعارك.

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ (١) حال أدائكم لها، ﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ هو كالمعلل لأمر عدم إهمال السلاح، ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ على كل حال مع عدم حملكم للسلاح أولى؛ ﴿إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ هللوا واحمدوا ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ المراد: على كل حال والأمر للحل، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ وحال حال روعكم العدو ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أدوها على أكمل الأحوال؛ ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ أمرا محكوما على حصوله وأدائه، ﴿مَوْقُوتًا﴾ لها محل معلوم كأولها له محل وعصرها

---

(١) أي بالقتال. عن ابن عباس وجابر أن النبي صلى الله عليه وسلّم صلّى بأصحابه الظهر، ورأى المشركون ذلك، فقالوا بعد ذلك: بئسما صنعنا حيث لم نقدم عليهم، وعزموا على ذلك عند الصلاة الأخرى، فأطلع الله نبيّه صلى الله عليه وسلّم على أسرارهم بهذه الآية. انظر تفسير الرازي (١١/٢٠٤).

له محل ولما رام الرسول ورود أهل الإسلام كلاما وحاولوه لدعوى ألم الحسام والسهام أوحى الله لرسوله.

﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ﴾ روم ﴿الْقَوْمِ﴾ هم أهل الإلحاد ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ لحصولهم ألم حد الحسام لكم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ وهو حاصل لهم ألم كالحكم كلاكما على السواء، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ هم وهو علوكم على أعدائكم، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ولما سأل واحد لواحد درعا وداره لداره وأودعها أحد الهود، وسأل أهلها اللص وآلى على عدم سلها لهم، وحصلوا على الدرع لدى أحد الهود المسطور، وحكى لأهلها اسم المودع، وسأل رهط اللص الرسول الحكم على أحد الهود روع عدم سطوع سوء حال أحدهم وهو اللص أوحى الله لرسوله.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿بِالْحَقِّ﴾ على مسلك العدل، ولو المحكم له أحد الهود أو سواهم ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ علمك ﴿اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ اللصوص ﴿خَصِيمًا﴾.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ﴾ أمره لله لما هم الرسول على وروده موارد ما سألوه؛ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا﴾ [آية: ١٠٧ - ١٠٩]:

﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ المراد: معامله على سوء عمله.

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ اللص ورهطه ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ الأولى حكمهم كحكمهم، ﴿وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ﴾ مالكهم كلهم وهو الأولى، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم ومطلع على ما أسروه وراموه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ لما رموا أحد الهود وهو لا علم له وآلى على عدم سل الدرع ولا أصل لما آلى، ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علمه أحاط ودار على كل صادر.

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ﴾ أول كلام ومحموله ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ ورواه راوٍ للواحد وهو سال الدرع ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾ لرد ما أعده لهم لو عاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [آية: ١١٠ - ١١٢]:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ لسواه كما رمى هو أحد الهود ولا علم له أو عملا حكم على حد عامله، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ كعلمه عملا ما ساء سواه وماله وحده أو عملا ما حكم على حد عامله، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لعود سوئه له، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ما حصل على سوى العمد ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ما حصل على العمد، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ واحدا سواه ﴿بَرِيئًا﴾ لا علم ولا عمل له كما رمى مودع الدرع المودع، ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾(١) [آية:١١٣]:

---

(١) الظاهر: أنّ الضمير في منهم عائد على بني ظفر المجادلين والذابين عن بني أبيرق. أي: فلولا عصمته وإيحاؤه إليك بما كتموه، لهموا بإضلالك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل، مع علمهم بأنّ الجاني هو صاحبهم. فقد روي أنّ ناساً منهم كانوا يعلمون حقيقة القصة، هذا فيه بعض كلام الزمخشري، وهو قول ابن عباس من رواية السائب: أنها متعلقة بقصة طعمة وأصحابه، حيث لبسوا على الرسول أمر صاحبهم. وروى الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في وفد ثقيف قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلّم قالوا: جئناك نبايعك على أنْ لا نحشر ولا نعشر، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجبهم فنزلت. وقال ابن عطية: وفق الله نبيه على مقدار عصمته له، وأنها بفضل من الله ورحمته. وقوله تعالى: لهمت معناه لجعلته همها وشغلها حتى =

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لعصمه لك وإعلامك الأمر ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ لما راموا سلوكك على سوى العدل وما أمر الله، وهو الحكم على أحد الهود، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ لما عصمك الله، ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ كل حكم حواه الكلام المكرم، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ سرائر الأمور أو أمور الأحكام، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ وأعلاه الإرسال.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [آية: ١١٤]:

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ (الهاء) لولد آدم ﴿إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ كإعطاء المعسر دراهم وإمهاله لحد معلوم، ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿مَرْضَاتِ اللهِ﴾ لا لأمر سواها ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ رواه راوٍ إلى المكلم، وراوٍ على مسلك الكلام الأول ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [آية:١١٥]:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ المراد: كل عاص لأمره ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ الدال على إرساله، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ﴾ مسلك ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو الإسلام ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ﴾ روى راوٍ أصله أصلاه، وراوٍ صلاه ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾

=

تنفذه، وهذا يدل على أنّ الألفاظ عامة في غير أهل النازلة، وإلا فأهل الغضب لبني أبيرق، وقد وقع همهم وثبت. والمعنى: ولولا عصمة الله لك لكان في الناس من يشتغل بإضلالك ويجعله همّ نفسه، كما فعل هؤلاء. انظر البحر المحيط (٣/٢٨٢).

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [آية:١١٦ - ١٢١]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ عما هو هدى.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ المراد سواه والهاء لله علا اسمه ﴿إلا إِنَاثًا﴾ كود وسواع، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ أملس ما علاه صلاح، أو المراد طالعا عما أمر الله وهو عدو آدم.

﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ طرده، ﴿وَقَالَ﴾ هو المطرود ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ محكوما على ورودهم موارد ما أمرهم.

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عما هو هدى موسوسا لهم، ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أدع كلا مؤملا طول العمر وعدم المعاد، ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ حسما لها رد للكامل إلى عكسه والحلال إلى الحرام، ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ كإحلالهم ما حرم وعكسه، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ المراد: كل طائع له ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ لمآل أمره إلى أسوء الحال.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ حصول الآمال وعدم المعاد، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا﴾ ما لا أصل له ولا حصول؛ ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلا إلى مأوى سواها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [آية:١٢٢]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: أمواهها على اصطلاح المرسل، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال مصور حصولها ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ كلاهما مصدر معمول لعامل مطروح هو داله، ﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلا﴾ ولما ادعى أهل الإسلام ما حاصله حالهم أصلح حال، وادعى

أهل الكلام سواهم ما ادعوه وحصل المراء أوحى الله لرسوله.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1] [آية:١٢٣، ١٢٤]:

﴿لَيْسَ﴾ أمر صلاح الحال ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ صلاح الحال هو العمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ﴾ حالا أو مآلا لدى المعاد كما ورد، ﴿وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ رادعا له عما هو وورود على موارد عمله صالحا أو طالحا.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ حطا مما هو صالح، أو على طالح.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [آية:١٢٥]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ سلم حاله كله ﴿لِلهِ﴾ عالما لا مولى له سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى المسلك السوي، وهو حال للموصول، أو حال للرسول، أو حال للمسلك المسطور، ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ إكرمه إكراما كإكرام أحد أهل الوداد لمواده.

---

(١) فيه قولان: الأول: أنه خطاب مع عبدة الأوثان، وأمانيهم أن لا يكون هناك حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب، وإن اعترفوا به لكنهم يصفون أصنامهم بأنها شفعاؤهم عند الله، وأما أماني أهل الكتاب فهو قولهم ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: ١١١) وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٨) فلا يعذبنا، وقولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠). القول الثاني: أنه خطاب مع المسلمين، وأمانيهم أن يغفر لهم وإن ارتكبوا الكبائر، وليس الأمر كذلك، فإنه تعالى يخص بالعفو والرحمة من يشاء كما قال ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ١١٦) وروي أنه تفاخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبيّنا خاتم النبيّين، وكتابنا ناسخ الكتب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.. انظر تفسير الرازي (٢٢٥/١١).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [آية:١٢٦]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ كلاهما وما حواه ملكا ومملوكا، ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ أحاط علمه الكل على الدوام.

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا﴾ [آية:١٢٧ - ١٣٠]:

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي﴾ حال وسهم مال ﴿النِّسَاءِ قُلِ﴾ لهم ﴿اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم الموحى لرسوله محمد، والمراد: الأحكام المار سردها ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ وهو سهم الأموال كما مر حكمه، ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ الكلام مع كل أحد له الولاء على الحرم ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ عامل الكسر للمصدر، والمراد: كرهوا وأكرهوا الحرام طمعا لحصولهم على أموالهم وحكم الله راد لعملهم المسطور، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ حكم الله إعطاؤهم أموالهم ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ (وَ) أمره وحكمه (أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) العدل لأموالهم ومهورهم، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ معاملكم على كل عمل صالح سواء حصل لحال الأولاد والحرم أو لسواهم.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ معمول لعامل مطروح هو ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ كعدم وطئه لها، أو عدم إكماله لها مطعمها، أو طموح مرآه لسواها، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ كعدم كلامه لها

لا أصلا، ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ وروى راوٍ أصله أصلح كاصطلح مؤدى، ورواه راوٍ أصلح كأكرم ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معمول للعامل المار أو مصدر وصلحهما على المطعم والمكسى وسواه أو إرساله لها كما حكم الله، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لهما لا الإرسال لها ولا عدم إعطاؤها ما حكم لها على المرء كالمطعم والمأوى وسواهما، ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ لا أهل المرء مسامحوه مأكلا ومأوى وسواه، ولا هو مسامح وطئا وكلاما حلوا ومطعما لو طمح مراه ومال إلى سوى أهله، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ للأهل، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ العول وعدم العدل، ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ معاملكم على عملكم.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[1] على العدل، ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى سواهما مأكلا ومأوى وكلاما حلوا ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ لا أمرها ولا واطئ ولا مطعم ولا مكلم لها، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ سلوكا على العدل ﴿وَتَتَّقُوا﴾ عدم العدل ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لكل مائل ولا عول معه، ﴿رَحِيمًا﴾ لعلمه حالكم أكمل علم.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ المرء وأهله لإرساله لها ﴿يُغْنِ اللهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا﴾ عطاؤه على العالم كلهم، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا أوامره كلها محلها.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [آية:١٣١]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (ال) للعدد ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أمم موسى والروح، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أهل الكلام المكرم الموحى لمحمد رسولكم ﴿أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ ما هددكم وأوعدكم على عمله، ﴿وَإِنْ

(١) وفيه قولان: الأول: لن تقدروا على التسوية بينهن في ميل الطباع، وإذا لم تقدروا عليه لم تكونوا مكلفين به. قالت المعتزلة: فهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز الوقوع، وقد ذكرنا أن الاشكال لازم عليهم في العلم وفي الدواعي. الثاني: لا تستطيعون التسوية بينهن في الأقوال والأفعال لأن التفاوت في الحب يوجب التفاوت في نتائج الحب، لأن الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال. انظر تفسير الرازي (١١/٢٣٥).

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا وعدم سلوككم على أوامره مآله وسؤه لكم، ﴿وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا﴾ عما سواه ﴿حَمِيدًا﴾ محمودا.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [آية:١٣٢ - ١٣٤]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ كرره مؤكدا، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ محلكم، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ على عمله ﴿فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ولم روم الأحط مع حصول الأعلى، ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لكلامكم، ﴿بَصِيرًا﴾ أحوالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [آية:١٣٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل، ﴿شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ﴾ على ﴿الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ المحكوم على ما له ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ وعالم صالحهما، ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ لدى أدائكم لها كما راعى كل مؤد لها لدى أدائها أهل الأموال أو رحم حال أهل العدم ﴿أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا﴾ وراوٍ طرح الواو الأولى، والمراد: حاولها وما أداها على العدل، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ ما أداها أصلا وأسرها، ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وهو معامل كل أحد حاولها أو أسرها وما أداها أصلا على عمله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [آية:١٣٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ **دوموا على الإسلام** ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ **محمد وهو الكلام المكرم،** ﴿وَالْكِتَابِ﴾ **(ال) للعدد** ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ **ورواه راوٍ لسوى المعلوم** ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ **على الرسل،** ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ **هو المعاد** ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ **عما هو هدى وسلك مسالك عكسه.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [آية:١٣٧ - ١٤١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ **لموسى وهم الهود** ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ **لما ركعوا إلى ما سواه لهم لا مساس** ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ **لما عادوا إلى الله،** ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ **لعدم إسلامهم إلى الروح لما أرسل وأوردوه موارد الحمام على دعواهم وردها الله وصعد إلى السماء،** ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ **لما أرسل محمد وما أسلموا له** ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ **ما داموا على سوء مسلكهم،** ﴿وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا﴾ **مسلكا إلى الهدى.**

﴿بَشِّرِ﴾ **الأمر لمحمد رسوله** ﴿الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ **مؤلما** ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **لما وهموه وهو علوهم على أهل الإسلام،** ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا﴾ **العلو لكل موال لله لا لأعدائه.**

﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ **رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه** ﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ **الكلام المكرم** ﴿أَنْ﴾ **أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء المطروح** ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ﴾ **كلامه**

المكرم ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما حصل إصرارهم كلهم على عدم الإسلام، ﴿الَّذِينَ﴾ معمول على مسلك العامل المكرر وهو عامل الموصول الأول ﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ الدوائر كل ما دار على الواحد، والمراد: حصول أمر لكم، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ علو على أعدائكم وحصولكم على أموالهم ﴿مِنَ اللهِ قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ إسلاما ومعارك، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ مما مر وهو العلو على أهل الإسلام ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ اصطلاح العلماء على عدم، وورد للواو، وورد على الأصل، والمراد: صار لهم الولاء ولو أرادوا إهلاككم لأهلكوهم ﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (وَ) ألم (نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لإرسال أسرارهم لكم سرا، ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ الكلام لأهل الإسلام أو للكل وهو الأولى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ معاملكم على عملكم وموصلكم إلى دار السرور الدائم، ومعاملهم على عملهم ومحلهم دار الدرك، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ مسلكا موصلا إلى اصطلامهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[1] [آية:١٤٢، ١٤٣]:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ لإسلامهم كلاما وإسرارهم المكروه لأهل الإسلام والرسول وإصرارهم على سوء مسراهم معاملهم على عملهم وهو إطلاعه رسوله على سرهم ومكرهم وسطوع أمرهم لكل أحد وسوء حالهم، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع أهل الإسلام ﴿قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ﴾ المراد: ما هم ركع ﴿إِلا قَلِيلا﴾.

---

(١) أي: بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، ﴿وهو خادعهم﴾، أي: مجازيهم على خداعهم؛ بأن يظهر لهم يوم القيامة، نورًا يمشون به على الصراط، كما يعطي المؤمنين، فإذا مضوا به طُفِئَ نورهم وبقي نور المؤمنين، فينادونهم: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِس مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فيتهافتون في النار، فسمي هذه العقوبة خداعًا تسمية للعقوبة باسم الذنب. انظر البحر المديد (١٦٨/٢).

﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ حال واو العامل الآم لكسالى أو واو العامل الآم للآ، والمراد: أمرهم مردد لا إلى أهل الإسلام، ولا إلى عكسهم وأصله الطرد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ مسلكا إلى الهدى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [آية:١٤٤ - ١٤٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ﴾ المحل ﴿الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو عكس أعلاها، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ راد لما أعده الله لهم ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ مما هو إسلام كلاما لا صدرا وصححوا إسلامهم، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم وسرهم ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ﴾ مسكوا أوامره، ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ﴾ ما رأوا، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عددا وآلاء، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم وهو معهم كما وعدهم.

﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ آلاءه، ﴿وَآمَنْتُمْ﴾ لرسوله، ﴿وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا﴾ أعمال أهل الإسلام ومعاملهم على صالحها، ﴿عَلِيمًا﴾ عالما إسلامكم وحمدكم آلاءه.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [آية:١٤٨، ١٤٩]:

﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو معامل عامله ﴿إِلا مَنْ ظُلِمَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه، والمراد: عامله معامل على سوء عمله الادعاء على عائل، ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء كل أحد عال على حاله سواه، ﴿عَلِيمًا﴾ حال العائل والمعال.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ ككل عمل صالح، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ كعمله سرا، ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ عول ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [آية:١٥٠، ١٥١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ لإسلامهم لله سوى رسله، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ أحد الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسلام وعكسه ﴿سَبِيلاً﴾ مسلكا.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لحاصل الكلام الأول، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ هو ما أعد لهم على سوء أعمالهم وهو الدرك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [آية:١٥٢]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم، ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ رواه راوٍ على مسرى الكلام الأول، وراوٍ للمكلم ﴿أُجُورَهُمْ﴾ على أعمالهم، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لكل موال له، ﴿رَحِيمًا﴾ لكل طائع.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [آية:١٥٣، ١٥٤]:

﴿يَسْأَلُكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ هم الهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ

السَّمَاءِ﴾[1] محررا على ألواح كما ورد لموسى، ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ المراد: والدوهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الحمام ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ وهو سؤالهم ما لا وصول له حالا وأما مآلا حاصل، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً لهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلائل على الله سوى كلامه الموحى لموسى لعدم وروده حال ما عصوا، ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ وما حصل اصطلامهم، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ لما رام إهلاكهم وأطاعوه، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ لكام الطور ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ لردعهم وإعطائهم العهد، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ والطور مطل أعلاهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعا، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا﴾ أصله عدا كدعا وراو عدو الدال، والمراد: على الكل عدم العول ﴿فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدا ﴿غَلِيظًا﴾ مؤكدا على عدم عدوهم وعدوا.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ

---

(١) قال السدي: قالت اليهود: إن كنت صادقاً فجئ بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالكتاب. وقال محمد بن كعب القرظي: قالوا: ائت بألواح فيها كتابك كما أتى موسى بألواح فيها التوراة. وقال الحسن وقتادة: سألوه أن يأتي بكتاب خاص لليهود يأمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلّم. وقال ابن جريج: قالوا: لن نتابعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله فلان وإلى فلان إنك رسول الله. فعلى قول ابن جريج يقتضي أن سؤالهم كان على نحو سؤال عبد الله بن أمية الزهري، وقيل: كتاباً نعاينه حتى ينزل، وسمى من سائلي اليهود: كعب بن الأشرف، وفنحاص بن عازوراء. وقيل: السائلون هم اليهود والنصارى وسؤالهم إنما هو على سبيل التعنت. وقال الحسن: لو سألوه لكي يتبين الحق لأعطاهم، فإن فيما أعطاكم كفاية. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٣١٣).

عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

[آية:١٥٥ - ١٦٢]:

﴿فَبِمَا﴾ ما مؤكد لا مؤدى له سواه ولا محل، والعامل مسلط على ﴿نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ لما اصطادوا السمك وعاهدوا على عدمه، ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ الكلام المكرم الموحى إلى محمد أو ما حواه الكلام الموحى إلى موسى، ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد: ولو على دعواهم، ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ لرسوله محمد أو للرسل الأول ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لها وعاء عما دعاهم له ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾ كولد سلام، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ وعدم إسلامهم لرسوله الروح، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ لما رموها وحكموا على عهرها، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ مرادهم: على دعواه ودعوى كل أحد أسلم له وإلا على ادعاؤهم ما هو مرسل، ورد الله ادعاءهم إهلاكه لما أوحى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ لما أحل الله حلا رسوله ورسمه على واحدهم وأمسكوه وأهلكوه وصعد الرسول إلى السماء، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ادعى أحدهم الإرسال، واحدهم عدم الإرسال ادعى أحدهم هو هو المهلك، وادعى سواه سواه، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ (الهاء) لأمر إهلاكه أو لأمر إرساله على ما مر ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ ما أم إلا ما هو موصل إلى ما أمه إلا وهو العلم لوروده سواه إلا على لح، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكد لعدم الحصول.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ كاهرا لا مكهورا، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا إحكامه محلها، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ (الهاء) للروح رسوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (الهاء) للأحد المار، والمراد: كل ما حصل إسلامه لأمر الروح وإرساله

هو مسلم له ولو حال وروده موارد الحمام كما ورد، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ رسوله الروح ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ لدعائهم له ولد الله، ولعدم إسلام الهود له.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم الهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ﴾ الأمم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ مسلكه صدا ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ محرر وسط الكلام الموحى لموسى، ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كسائر ما حرم، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ عدا الأولى أسلموا وعادوا إلى الله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾(١) كولد سلام، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كل كلام أوحاه الله لرسله، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ معمول على المدح لعامل مطروح أو مردود رده الواو على الاسم الموصول المكسور محلا، وهو رد الموحى، والمراد الرسل، وراوٍ سلك المسلك الأول وحكى الواو له، ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ ورواه راوٍ لسوى المكلم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ

---

(١) روى ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أن الآية: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.. أنزلت في عبد الله بن سلام، وأسيد بن سعية، وثعلبة بن سعية، وأسد بن عبيد، حين فارقوا اليهود وأسلموا، أي دخلوا في الإسلام، وآمنوا بالقرآن وبما أرسل الله به محمدا صلّى الله عليه وسلّم. ومنهم مخيريق أيضا، كان هؤلاء من علماء اليهود وأحبارهم، وكان مخيريق غنيّا كثير الأموال، أسلم وأوصى بأمواله للنبّي صلّى الله عليه وسلّم، مات في غزوة أحد. فرضي الله عن مواكب الإيمان، وفتيان الإسلام، وجند الحق والفضيلة والاستقامة إلى يوم الدين.. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٤١٢/١).

أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [آية: ١٦٣ - ١٦٦]:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ كما ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ المراد: ولداه، ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد ولده، ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاده، ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾ والده ﴿دَاوُدَ زَبُورًا﴾ رواه راوٍ كأطوم اسم للطرس المعطى، وراوٍ كهموم مصدر، والمراد مرسوما، ﴿وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ سمع موسى دال كلام الله وكلم المؤكدة مصدره وروده لما ما وسط الله ملكا ولا سواه لموسى أو أهله الله لسماع كلامه، وأعطاه ما اعطاه، وأسمعه المدلول لا الدال، والأول أولى لما هو حمله على سماعه المدلول، موهم حلول كلام الله محلا ما وهو محال، ﴿رُسُلا﴾ معمول على المدح، أو معمول على مصطلح العامل المكرر رسلا ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ أهل لا إله إلا الله حصولا على ما أعده الله على صلح أعمالهم، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أهل الإلحاد ورودا على موارد سوء أعمالهم وما أعده الله لهم على صالحها، ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ محمول على اسم العامل الوارد ﴿عَلَى اللهِ﴾ أو حال والمحمول ﴿حُجَّةٌ﴾ اسم العامل ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ المراد: لحسم كلام الأمم وهو لولا أرسل الله لهم رسلا دلوهم وهدوهم، ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ كاهر لا مكهور، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا أوامره محلها، ولما سئل الهود هل دل الكلام المكرم على إرسال محمد ردوا سؤال السائل ما حاصله ما دل على إرساله ولا صح ما ادعاه أوحى الله لرسوله ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ على إرسالك ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ وهو الكلام المكرم؛ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ عالمه أو المراد: عمله لأكله وسطه، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لك على إرسالك، ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على الإرسال المسطور.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آية:١٦٧، ١٦٩]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ هو الإسلام لما أسروا ما دل على إرسال

محمد وسط الكلام الموحى إلى موسى وهم علماء الهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا﴾ عما هو مسلك الهدى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ رسوله لما أسروا ما دل على إرساله ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ مسلك هدى ولا سواه ﴿إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ المسلك الموصل لها، ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مصورا حلولهم حلول دوام ﴿فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ سهلا ككل أمر سواه ما سوى المحال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [آية:١٧٠]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا﴾ أسلموا له وأموا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ معمول للعامل المحرر أو ما أدى مؤداه، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملك ومملوكا وإسلامكم وعدمه على السواء لورود أمره لصالح أحوالكم لا لصالحه. ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ محلا أوامره كلها محلها.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [آية:١٧١ - ١٧٣]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى الروح رسوله ﴿لا تَغْلُوا﴾ المراد: الطلوع عما حده

لكم ﴿فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلا الْحَقَّ﴾[1] ودعواه سواه وهو ادعاؤكم الولد والأهل؛ ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ﴾ لا كما ادعوا ولده ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أمره ﴿أَلْقَاهَا﴾ أوصلها ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ المراد: هو روح صدر ﴿مِنْهُ﴾ (الهاء) لله، ولو صدور سواه كصدوره ما عدا صدور سواه وسط له وطئ الوالد للأم وصدور الروح ما وسط له أحدا وما هو كما ادعوا ولد له أو إله معه وداله صدوره معدد الأصل روحا ولحما وسواهما، والإله أصل واحد ما هو معدد، ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا﴾ الإله ما هو واحد هم ﴿ثَلاثَةٌ﴾ إله، والولد، والأم ﴿انْتَهُوا﴾ وعودوا عما ادعاه لا أصل له وأموا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ مكرما ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ المدعو إلها على دعواكم ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ رد الواو سردا ما دل على علو الملك على ولد آدم وأوردهم للمح أعدادهم، ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ لدى المعاد، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ على صالح أعمالهم، ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا مرأى رأى ولا مسمع سمع ولا مر على صدر أحد، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عما حرر ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما ﴿وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه ﴿وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ لا راد ولا رادع لما أعده الله لهم على سوء أعمالهم وادعائهم ما لا أصل له ولا أساس.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا

(١) قيل: نزلت في نصارى نجران قاله مقاتل. وقال الجمهور: في عامة النصارى، فإنهم يعتقدون الثالوت يقولون: الأب، والابن، وروح القدس إله واحد. وقيل: في اليهود والنصارى، نهاهم عن تجاوز الحد. والمعنى: في دينكم الذي أنتم مطلوبون به، وليست الإشارة إلى دينهم المضلل، ولا أمروا بالثبوت عليه دون غلو، وإنما أمروا بترك الغلو في دين الله على الإطلاق. وغلت اليهود في حط المسيح عليه السلام عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشده. وغلت النصارى فيه حيث جعلوه إلهاً. والذي يظهر أنّ قوله: يا أهل الكتاب خطاب للنصارى، بدليل آخر الآية. ولما أجاب الله تعالى عن شبه اليهود الذين يبالغون في الطعن على المسيح أخذ في أمر النصارى الذين يفرطون في تعظيم المسيح حتى ادعوا فيه ما ادعوا. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٣٢٤).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آية:١٧٤، ١٧٥]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ **هو رسوله محمد،** ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ **ساطعا وهو الكلام المكرم،** ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ **وعدا وكرما لا حكما وهو الحاكم على الأمم،** ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا﴾ **هو مسلك الإسلام حالا ومسلك دار لسرور الدائم مآلا** ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ **سوى.**

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [آية:١٧٦]:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[١] **المراد: كل واحد هلك لا والد له ولا ولد** ﴿إِنِ امْرُؤٌ﴾ **معمول لعامل مطروح هوك** ﴿هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ **لوالد وأم أو لوالد،** ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ **المراد: المرء** ﴿يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ **مرء وعكسه لو المال كل المراد، ولو المراد سهما ما المراد لا عكسه ولو هما**

---

(١) في سبب نزولها قولان: أحدهما أنها نزلت في جابر بن عبد الله روى أبو الزبير عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني هو وأبو بكر وهما ماشيان فوجدني قد أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت وقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي وكان لي تسع أخوات ولم يكن لي ولد فلم يجبني بشيء ثم خرج وتركني ثم رجع إلي وقال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وإن الله عز وجل قد أنزل في أخواتك وجعل لهن الثلثين فقرأ علي هذه الآية ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في والثاني أن الصحابة أهمهم بيان شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله فنزلت هذه الآية هذا قول قتادة وقال سعيد بن المسيب سأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نورث الكلالة فقال أوليس قد بين الله تعالى ذلك ثم قرأ «إن كان رجل يورث كلالة» فأنزل الله عز وجل ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾.

المرء الهالك وما معه لام سهمها السدس كما مر أولها، ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ معالم الإسلام وأحكامه ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومما هو عالمه أمر أموال الهلكى.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المائدة

مدنية وآيها مائة وعشرون آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[1] [آية:١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهود وهو كل عهد عاهدكم الله على سلوكه وأكده ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ أكلا على ما حده الله وهو حسم رأسها إلى اللها ﴿إلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ حكمه مما أكله محرم وما أم إلا موصول على لمح حصول أمر الحمام لها ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال إحرام أحدكم ما دام محرما ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ محلل أراد حله ومحرم ما أراد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى

---

(١) اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين أحدهما أنهم المؤمنون من أمتنا وهذا قول الجمهور والثاني أنهم أهل الكتاب قاله ابن جريج والعقود العهود قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والضحاك والسدي والجماعة وقال الزجاج العقود أوكد العهود واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال: حدها أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحل وحرم وهذا قول ابن عباس ومجاهد والثاني أنها عهود الدين كلها قاله الحسن والثالث أنها عهود الجاهلية وهي الحلف الذي كان بينهم قاله قتادة والرابع أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن جريج وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين والخامس أنها عقود الناس بينهم من بيع ونكاح أو عقد الإنسان على نفسه من نذر أو يمين وهذا قول ابن زيد. انظر زاد المسير (٢/٢٦٨).

﴿ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية:٢]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾ معالم الإسلام وأحلاها عدم السلوك على ما أمر كما لو حاد أحدكم حال الإحرام، ﴿وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ هصرا للرماح إلى المعارك، ﴿وَلا الْهَدْيَ﴾ مس سوء له، وهو كل ما أهداه مهد إلى الحرم، ﴿وَلا الْقَلائِدَ﴾ ما علم لعدم مسه سوء، ﴿وَلا﴾ إحلالا لـ ﴿آمِّينَ﴾ عدد آم ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عراكا لهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حصول أموال، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ لأمهم الحرم على دعواهم والحكم المحرر ممحو المؤدى سوى الأول، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ كمل أمر إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾ الأمر للحل وعدم الحرام، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾ رواه راوِ الوسط، وراوٍ حركه ﴿قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ على المحرر أسماؤهم وهم كل أم للحرم الحرام إهلاكا لصد الأولى صدوهم وما وادوهم على ما حرر، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ هو ما أمركم الله سلوكا على مسلكه، ﴿وَالتَّقْوَى﴾ هو عدم الورود على موارد ما ردع، ﴿وَلا تَعَاوَنُوا﴾ طرح ما كاوّله ﴿عَلَى الإِثْمِ﴾ ما عامله عاص ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ على حدود الله، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للأولى ما سلكوا على مسلك أوامره.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٣]:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ المراد: أكلها، ﴿وَالدَّمُ﴾ السائل، ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ كما لو أهل على اسم سواه، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ لماء أو سواه، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ إهلاك عصى أو سواها سوى عمل الحد أو ما حكمه كحكمه، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ إلى عكس العلو رماها رام أولا وحصل لها الحمام، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ حصل لها الهلاك مما حرر،

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ عائد إلى الكل، والمراد: كله حرام ما هو مأكول إلا ما أدرك حال حلول روحه وعدم هلاكه أصلا، وأهل على اسم الله، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿النُّصُبِ﴾ كل ما هو كود وسواع، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ عود كالسهام محرر على أحدها العمل، وعلى أحدها عدمه، وعلى إحدها سواهما كلما رام أحدهم أمرا ما أسرع إلى مودعها ورام الحكم على اصطلاح لهم، ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ المحرر كله، وأوحى الله لرسوله عام الوداع ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ عودكم إلى مسلكهم وأولا طمعوا، ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أحكامه حراما وحلال، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ لما كمل لهم أحكامه أو لما أحلهم الحرم الحرام، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ رام أكلا وما حصل له إلا ما حرم ووراءه هلاكه وأكل ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكله، ﴿رَحِيمٌ﴾ لما أحله له وما أحله لسواه، وهو كما لو رحل مائلا إلى محرم كسد المسالك وروم السوء لكل سالك لدى أحد العلماء وسواه ما حصر وحمل المائل على سوى المحمل المحرر.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] [آية: ٤، ٥]:

---

(١) سبب نزولها فيما قال عكرمة ومحمد بن كعب، سؤال عاصم بن عدي وسعيد بن خيثمة وعويمر بن ساعدة. ماذا يحل لنا من هذه الكلاب؟ وكان إذ ذاك أمر الرسول بقتلها فقتلت حتى بلغت العواصم لقول جبريل عليه السلام: "إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب" وفي صحيح أبي عبد الله الحاكم بسنده إلى أبي رافع. قال: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقتل الكلاب"، فقال الناس: يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا =

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ مما هو طعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا﴾ أحل لكم ما صاده ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ ككل كأسر علم طائرا أو سواه، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال معمول علم، وهو إرسال ما علم على الصاد، ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حاصله حال لهم الحال وسط الحال الأول ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ وهو كإرسال المعلم لو رام أهله إرساله وعوده لو رام أهله عوده لو طار أو سواه عدم أكله مما صاده لو أكل، والأول ما عاد لا والسهم، وكل محدد عمل حده حكمه واسم الله مراعي لكلها لدى الإرسال إلا لو سها المرسل، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ إمساك عدم أكل لأحدها على ما مر حكمه، ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ (الهاء) للمصاد، والمراد: لدى إرسال المعلم، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أمم موسى، وأمم الروح رسوله ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿لَكُمْ﴾ والمراد: ما أهله كلاهما مأكول لحمه وحلال لإحلالهم له لاسم الله لا لاسم سواه، ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

=

أحل لهم الآيات. وقال ابن جبير: نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل قالا: يا رسول الله، إنا نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل درع وآل أبي حورية لتأخذ البقر والحمروالظباء والضب، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما يقتل فلا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت. وعلى اعتبار السبب يكون الجواب أكثر مما وقع السؤال عنه، لأنهم سألوا عن شيء خاص من المطعم، فأجيبوا بما سألوا عنه، وبشيء عام في المطعم. ويحتمل أن يكون ماذا كلها استفهاماً، والجملة خبر. ويحتمل أن يكون ما استفهاماً، وذا خبراً. أي: ما الذي أحل لهم؟ والجملة إذ ذاك صلة. والظاهر أنّ المعنى: ماذا أحل لهم من المطاعم، لأنه لما ذكر ما حرم من الميتة وما عطف عليه من الخبائث، سألوا عما يحل لهم؟ ولما كان يسألونك الفاعل فيه ضمير غائب قال لهم بضمير الغائب. ويجوز في الكلام ماذا أحل لنا، كما تقول: أقسم زيد ليضربن ولأضربن، وضمير التكلم يقتضي حكاية ما قالوا كما لأضربن يقتضي حكاية الجملة المقسم عليها. وقال الزمخشري: في السؤال معنى القول، فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم، كأنه قيل: يقولون: ماذا أحل لهم انتهى. ولا يحتاج إلى ما ذكر، لأنه من باب التعليق كقوله: سلهم أيهم بذلك زعيم، فالجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني ليسألونك. ونصّوا على أنّ فعل السؤال يعلق، وإن لم يكن من أفعال القلوب، لأنه سبب للعلم، فكما تعلق العلم فكذلك سببه. وقال أبو عبد الله الرازي: لو كان حكاية لكلامهم لكانوا قد قالوا: ماذا أحل لهم ومعلوم أن ذلك باطل، لأنهم لا يقولون ذلك، وإنما يقولون: ماذا أحل لنا. بل الصحيح: أنّ هذا ليس حكاية كلامهم بعبارتهم، بل هو بيان كيفية الواقعة انتهى. انظر البحر المحيط (٣/٣٤٤).

وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ **الحرائر** ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ **حل لكم، وأورد الحكم المسطور مع أحكام حل أكل اللحوم سردا للحلال مع الحلال** ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ **المراد: المهور** ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ **أهل عهر على ملاء العالم** ﴿وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ **أهل عهر على السر،** ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ﴾ **عودا إلى مسلك سواه** ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ **الصالح الصادر أولا حال الإسلام،** ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **لمعاده إلى دار الألم والكدر السرمد.**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾[1] [آية:٦، ٧]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن الله تعالى لما ذكر هذا التكليف أردفه بما يوجب عليهم القبول والانقياد، وذلك من وجهين: الأول: كثرة نعمة الله عليهم، وهو المراد من قوله ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ ومعلوم أن كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لأوامره ونواهيه وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إنما قال ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل نعم الله عليكم، لأنه ليس المقصود منه التأمل في إعداد نعم الله، بل المقصود منه التأمل في جنس نعم الله لأن هذا الجنيس جنس لا يقدر غير الله عليه، فمن الذي يقدر على إعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والإيصال إلى جميع الخيرات في الدنيا والآخرة، فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله، فقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ المراد التأمل في هذا النوع من حيث إنه ممتاز عن نعمة غيره، وذلك الامتياز هو أنه لا يقدر عليه غيره، ومعلوم أن النعمة متى كانت على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال بشكرها أتم وأكمل.

المسألة الثانية: قوله ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ مشعر بسبق النسيان، فكيف يعقل نسيانها مع أنها متواترة متوالية علينا في جميع الساعات والأوقات، إلا أن الجواب عنه أنها لكثرتها وتعاقبها =

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ المراد: أرادوه ﴿إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع عدم الطهر ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المراد: معها، كما حكاه الرسول، والمراد: إمرار الماء لا الدلك إلا لدى مالك، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ العامل لا مؤدى له، والمراد: امسحوا رءوسكم، وهل هو لمسحها كلها كما حكاه مالك، وأحمد أو لما هو مسمى مسحا كما رواه الإمام محمد، والأولى حمله على ما عمله الرسول الأكرم، وهو الحال الوسط لا كلها ولا ما هو مسمى مسحا، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ رواه ولد عامر وسواه ردا على معمول إمرار الماء أول الكلام، ورواه سواهم مكسور اللام لحصول إمرار كالمسح ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ معهما كما مر أولا، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ وإمرار الماء مروعكم ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المراد: الوطء أو ما حكمه كحكمه كما مر ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ أموا ﴿صَعِيدًا﴾ كل ما على السطح ولو أملس صلدا مؤسسا أولا، ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرا، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ مما على السطح ومر حكمه وكرره لوصل الكلام ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ ما أراد اله لكم عسرا والعامل مؤكد مؤدى له، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ الطهر للأعمال أو للأمر المعلوم، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ مكملا لكم مسلك الإسلام؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاءه.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ لما هداكم للإسلام، ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي وَاثَقَكُمْ﴾ عاهدكم ﴿بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ لكلامك، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أوامرك لما عاهدكم الرسول على السمع وعدم السلوك على سوى ما هو آمركم عسرا وعكسه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ وراعوا عهود وعدم حلها ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما أسره كل أحد هو معاملكم على أعمالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ

=

صارت كالأمر المعتاد، فصارت غلبة ظهورها وكثرتها سبباً لوقوعها في محل النيسان، ولهذا المعنى قال المحققون: إنه تعالى إنما كان باطناً لكونه ظاهراً، وهو المراد من قولهم: سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره، واختفى عنها بكمال نوره. انظر تفسير الرازي (٢٩٦/١١).

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:٨]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ **العدل،** ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ **مؤدى مصده الحمل** ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ **هم أعداء الله ورسوله** ﴿عَلَى أَلا تَعْدِلُوا﴾ **والمراد: عدم ورود عدم الود لهم حاملا على عدم السلوك معهم على مسالك العدل،** ﴿اعْدِلُوا﴾ **مع العدو وعكسه** ﴿هُوَ﴾ **العدل** ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ **وهو معد لكل أحد عمله.**

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ [آية:٩، ١٠]

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ **وعدا حاصلا** ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ **هو دار المأوى والسرور الدائم ومعمول وعد الأول الاسم الموصول ودال المعمول سوى الأول هو أول الكلام ومحموله أو حاصله حال محل المعمول.**

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ **لما سرد حال أهل الإسلام وما وعدهم سرد حال عكسهم وما أوعدهم.**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [آية:١١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ **وهم أهل اللؤم أعداء الله راموا إهلاك الرسول وأهل الإسلام لما سارعوا إلى أداء العصر ورد الله مكرهم،** ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ **أرادوا مدها لكم وإهلاككم،** ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ **وعصمكم مما أرادوه،** ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا

نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1] [آية:١٢، ١٤]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا﴾ سلوك على سوى المسلك الأول على الاصطلاح المعلوم ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ عاهدوا كلهم على سلوك أممهم مسالك الأوامر، ﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ معل لكم على أعدائكم وعهد الله لهم هو ﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ صار كلكم أرداء لهم، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا﴾ مصدر أو معمول ﴿حَسَنًا﴾ كإعطائكم الأموال وسواها على إعلاء أمره وحكمه ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ مكمل لمدلول اللام الأولى وساد مسد مكمل العامل الام للام المحرر، ﴿وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المسلك السوى والسواء أصلا اسم للوسط ولما ما داموا على العهد، حكى الله ما حصل لهم على عدم دوامهم وهو:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ (ما) مؤكد لا مؤدى له ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ طردوا عما هو ورود

---

(١) يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن نقض الإسرائيليين مواثيق الله تعالى، فلقد أخذ الله العهود والمواثيق على بني إسرائيل بواسطة نبيّهم موسى عليه السّلام، ليعملن بالتوراة، وأمرناه أن يختار اثني عشر نقيبا منهم، يتولون شؤون الأسباط (ذرية يعقوب) ويرعونهم، ويتحسسون أخبار أعدائهم ليقاتلوهم، فخان عشرة منهم العهد، وبقي اثنان، وأخبر الله على لسان موسى: أني مؤيّدكم وناصركم على عدوكم، ومطّلع عليكم ومجازيكم على أعمالكم. ومضمون الميثاق أو العهد الإلهي الشامل: لئن أقمتم الصلاة بشروطها وأدّيتموها أداء كاملا تامّا، وآتيتم الزكاة للمستحقّين وهو شيء من المال كان مفروضا عليهم، وآمنتم إيمانا صادقا برسلي وناصرتموهم، وأقرضتم القرض الحسن من غير ربا ولا فائدة، لأكفرن عنكم سيئاتكم، ولأدخلنكم جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، فمن جحد منكم شيئا من هذه الأوامر، وخالف مقتضى الميثاق بعد عقده. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٤٤٠).

على موارد المراحم، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا صلاح لها إلى الإسلام ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ حاصل العامل والمعمول لا محل له أو حال الهاء المعمول لما أدى مؤدى الطرد، ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ ما عملوا كما أمروا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ وأمروا ﴿بِهِ﴾ وسط الكلام الموحى لموسى وهو الإسلام لمحمد، ﴿وَلا تَزَالُ﴾ الكلام مع الرسول محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ كعدم الدوام على العهود أو سواه ﴿إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾ وهم الأولى أسلموا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هل الأمر المحرر ممحو الحكم أو هو محمول على كل وارد على الرسول مسلما.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ العامل ومعموله الموصول معمول لعامل هو ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ عهدهم كما عوهد الأول، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ما سلكوا على مسلك الأوامر ولا داموا على العهود، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أصدر الله ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وسلكوا عدد مسالك وأهل كل مسلك حاكم على عدم هدى سواهم، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ لدى المعاد ومعاملهم على سوء أعمالهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية:١٥، ١٦]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ المراد كلاهما ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الموحى لموسى، والموحى للروح كحكم الحد للعاهر وإسرارهم ما حكاه الروح على ورود أحمد، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما أسروه لعدم صدوره مصادما لإرساله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾ هو محمد رسوله الأكرم، ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ وهو كلامه المكرم ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ وحده لورودها كالواحد حكما ﴿اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ الإسلام ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ اسم الله أو اسم للمسلك المسلم، ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مسلك سوى الإسلام ﴿إِلَى النُّورِ﴾ مسلك الإسلام ﴿بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المسلك الموصل له.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1] [آية:١٧]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ **لما حكمو إلا واحد وحكموا على ورود الروح إلها صار كحكمهم على الله هو الروح ولو ما صرحوا،** ﴿قُلْ﴾ **لهم** ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ﴾ **رد مراد** ﴿اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ **رد لما ادعوه ولو إلها كما ادعوا لما صح وروده موارد الهلاك،** ﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [آية:١٨]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ﴾ **المراد: كل مكرم لدى الله كإكرام الوالد لولده،** ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ﴾ **لهم الأمر لمحمد** ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ **إهلاكا وأسرا، ولو**

---

(١) المشهور في الأخبار، أن النصارى هم الذين اعتقدوا هذا الاعتقاد دون بني إسرائيل، نعم، أصل دخول هذه الشبهة على النصارى من يهودي يقال له: بولس، حسدًا منه، وذلك أنه دخل في دينهم، وفرق أموالهم، وتأهب للتعبد معهم، ثم سار إلى بيت المقدس وقطّع نفسه تقربًا عند قبري مريم وعيسى - عليهما السلام - في زعمهم، وكان معه رجلان اسمهما: يعقوب وناسور، فأخذ يعلمهما ذلك الفساد ويقول لهما: عيسى هو الله أو ابن الله، فلما قطع نفسه صار الرجلان يُفشيان ذلك عنه، فشاع مذهب الرجلين، وكان منهما الطائفة اليعقوبية والناسورية. ثم هددهم على الشرك فقال، أي: عيسى: ﴿إنه من يشرك بالله﴾ في عبادته، أو فيما يختص به من الصفات والأفعال، ﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾ أي: يمنع من دخولها؛ لأنها دار الموحدين، ﴿ومأواه النار﴾ أي: محله النار. لأنها معدة للمشركين، ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي: وما لهم أحد ينصرهم من النار. ووضع المظهر موضع المضمر، تسجيلا على أنهم ظلموا بالإشراك، وعدلوا عن طريق الحق، وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام، أو من كلام الله تعالى. انظر البحر المديد (٢٨٣/٣).

صح مدعاكم ما صدر كلاهما لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهم الأولى أسلموا، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم الأولى أسلموا، ﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ملكا ومملوكا وكلهم لدى الله سواء على الأساس المسطور، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المال والمعاد، وهو معامل الكل على صالح أعمالهم وطالحها.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [آية:١٩]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أحكام الإسلام والمسلك المسلم ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ عدم وصول أحكام ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ كره ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ أولا مطروح أو لمحصل المصدر، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كإرسال الرسول واحد؛ إما لواحد وعصر، إما لعصر كما حصل لموسى والروح عكسه، وهو إرسال الرسول وحصول طول العهد والعصر وإرسال سواه كما حصل للروح ومحمد.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ

عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[1] [آية:٢٠ - ٢٦]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ كالسلوى وما معها ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهر محلها، وهو المصلى المطهر وما حوله أو الطور وما حوله أو سواهما ﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ أمركم سلوكها، ﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ لروع عدوكم، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المسعى.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هو كل مكره سواه على مراده وهم أولاد آل عاد أو سواهم، ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ عدم السلوك والمرور على العهد المار ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ اطلعا على أحوال الأمم المار سردهم وعصمهم الله وما اطلعا أممهم على أمرهم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ المعد لسلوك محلهم مع عدم الروع، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ وحكما على علو الأمم على أعدائهم لما عهداه لموسى وهو

---

(١) قال السدي: " لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى - عليه السلام - كيف لنا بما ها هنا، أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجرة النجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السماني أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر الله - تعالى - موسى أن يضرب بعصاه الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، فشرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الشراب فأين الظل؟ فظلل الله عليهما الغمام. قالوا: هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتمزق لهم توب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى... ﴾ ومعنى الآية الكريمة: واذكروا يا بني إسرائيل من بين نعمي عليكم نعمة إظلالكم بالغمام وأنتم في التيه ليقيكم حر الشمس، وحرارة الجو، ولولا منحي إياكم الطعام اللذيذ المشتهى بدون تعب منكم في تحصيله لهلكتم، وقلنا لكم كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الذي رزقكم هذه النعم، ولكنكم كفرتم بها، فظلمتم أنفسكم دون أن ينالنا من ذلك شيء، لأن الخلق جميعاً لن يبلغوا ضري فيضروني ولن يبلغوا نفعي فينفعوني. فالآية الكريمة قد أشارت إلى جحودهم النعمة بقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ولكن كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ معطوف على محذوف، أي فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر. ويرى البعض أنه لا حاجة إلى التقدير، وأن جملة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ معطوفة على ما قبلها لأنها مثلها في أنها من أحوال بني إسرائيل. انظر التفسير الوسيط (٣/٩٥).

علوه على أعدائه، ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لما وعده رسله وهو كسرهم لأعدائهم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ مصدر (مَا دَامُوا) معمول على اصطلاح العامل المكرر، ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾ هم ﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ موسى لما سمع كلامهم وعدم سلوكهم على أمر الله ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي﴾ إلا ﴿وَأَخِي﴾ ولا أملك سواهما ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله علا اسمه ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ المراد: حلولهم وسطها ﴿عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ كلما ساروا عادوا إلى محلهم الأول وحصل الحمام لموسى وهم وسط المحل المحرر، ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [آية:٢٧ - ٣٢]:

﴿وَاتْلُ﴾ الأمر لمحمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ المراد: لأهل الإسلام ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله، والاسم مع معموله حال محل الحال لمعمول الأمر أو معمول على اصطلاح العامل المكرر، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ لسوء عمله لعمد الأول إلى أعلى ما ملك وعمده هو إلى أحطه ومكر إلى الأول وحسده، ولما أم آدم أعمال المحرم وأراد محالها ﴿قَالَ﴾ الحاسد ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾ لحسده له ﴿قَالَ إِنَّمَا

يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ هو مدها ﴿لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (ما) وما أمها مكمل اللام ودال مكمل العامل آلام لها.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الأول إهلاكه له وما أمه كل حرام أصدره أولا، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ حاصل (الواو) وما أمها محمولا وعامله أول كلام لا محل له، وهو كلام الله أورده مصححا مدعى ولد آدم.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ رآه أمرا محمودا أو المراد كسهل مؤدى وكلما، ورواه راوٍ طاوع كعامل، والمراد طوع هو هو، ﴿فَقَتَلَهُ﴾ أمام حراء، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار لما أهلكه ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ حالا ومآلا، مر عمره وهو مطرود ولا رأى سرورا إلى ورود حمامه.

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [1] لما حمله وصار حائرا لورودهما أول مهلك وهالك، ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ المراد: لم أدرك ما أدركه هو لما أهلك سواه ولحده وها هو أحمله عاما حائرا ولم اهد إلى أمر لحده، ﴿فَأُوَارِيَ﴾ الحد ﴿سَوْءَةَ أَخِي﴾ المراد كله، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على إهلاكه وحمله له عاما كاملا وطرد آدم له واسوداده، ولما رأى لحد الطائر لحده هو كما لحد الطائر.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ المراد: لما حرر وسطر، وهو مصدر الأصل وصار معللا لكل محرم وأوسع له إلى وروده معللا على العموم ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ (الهاء)

---

(١) البعث هنا مستعمل في الإلهام بالطيران إلى ذلك المكان، أي فألْهم الله غراباً ينزل بحيث يراه قابيل. وكأنّ اختيار الغراب لهذا العمل إمّا لأنّ الدفن حيلة في الغِربان من قبلُ، وإمّا لأنّ الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس. ولعلّ هذا هو الأصل في تشاؤم العرب بالغراب، فقالوا: غُراب البين. والضمير المستتر في (يُريَه) إن كان عائداً إلى اسم الجلالة فالتعليل المستفاد من اللام وإسناد الإرادة حقيقتان، وإن كان عائداً إلى الغراب فاللام مستعملة في معنى فاء التفريع، وإسناد الإرادة إلى الغراب مجاز، لأنّه سبب الرؤية فكأنّه مُرِيءٌ. و(كيف) يجوز أن تكون مجرّدة عن الاستفهام مراداً منها الكيفية، أو للاستفهام، والمعنى: ليريه جواب كيف يُواري. وَالسَّوْأة: مَا تَسُوء رؤيتُه، وَهِي هنا تغيّر رائحة القتيل وتقطّع جسمه. انظر التحرير والتنوير (١٧٣/٦).

لحاصل الحال والأمر ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أهلكها الملك، ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ حركه ﴿فِي الأَرْضِ﴾ كحسم المسالك والسوء لكل سالك، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهدمه ما أسسه الله واحدا أو عددا، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ كما لو ردع أحدا رام إهلاك أحد، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الأمر المحرر والحكم المؤكد ﴿فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ ما راعوا الحدود والعهود.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آية:٣٣، ٣٤]:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المراد: كل أحد والاهما وهم أهل الإسلام، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ سدا للمسالك ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ لو هم أصدروه وحده ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ معه لو أصدروه وحصلوا الأموال معه، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ لو حاولوا الأموال وحدها، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ لو راموا ردع كل سالك وما مرادهم لا الأرواح ولا الأموال ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما هو عائد له كحدوده وحدها ولو عائد إلى ولد آدم لا، وحكمه على ما حرر الإهلاك لو أهلك والحسم لو حصل على الأموال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آية:٣٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ راعوا ما وعد وما أوعد، ﴿وَابْتَغُوا﴾ روموا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ كل أمر موصل له أو محل وسط دار المأوى كما ورد، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ أعداءه لإعلاء أمره، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وصولا وحصولا على إكرامه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ

مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [آية:٣٦، ٣٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ﴾ (الواو) حال محل مع ﴿مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ محصل مصدر العامل المؤكد الآم لـ (لو) معمول مطروح محله وراء لو، وهو لو صح أو سلم وما أدى مؤداهما مما هو أولى، والكلام المصدر ما مكمل ولو مع ما معها محمول اسم العامل المؤكد الأول.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سواه ﴿مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٨ - ٤٠]:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾[1] (ال) اسم موصول أول كلام ومحموله حاصل، ﴿فَاقْطَعُوا

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قد قطع السارق في الجاهلية، وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد بن المغيرة، فأمر الله بقطعه في الإسلام، فكان أول سارق قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبدالأسد من بني مخزوم، وقطع أبو بكر يد اليمنى الذي سرق العقد؛ وقطع عمر يد ابن سمرة أخي عبدالرحمن بن سمرة ولا خلاف فيه. وظاهر الآية العموم في كل سارق وليس كذلك؛ لقوله عليه السلام "لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا" فبين انه إنما أراد بقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بعض السراق دون بعض؛ فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار، أو فيما قيمته ربع دينار؛ وهذا قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهم، وبه قال عمر بن عبدالعزيز والليث والشافعي وأبو ثور؛ وقال مالك: تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم، فإن سرق درهمين وهو ربع دينار لانحطاط الصرف لم تقطع يده فيهما. والعروض لا تقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم قل الصرف أو كثر؛ فجعل مالك الذهب والورق كل واحد منهما أصلا بنفسه، وجعل تقويم العروض بالدراهم في المشهور. وقال أحمد وإسحاق: إن سرق ذهب فربع دينار، وإن سرق غير الذهب والفضة كانت قيمته ربع دينار أو ثلاثة دراهم من =

﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ كرعها كما رواه ولد مسعود مصرحا وحد الحسم إلى الكوع، والمراد مما هو محكى لكم حكمها، وروى راوٍ وصل الموصول معمولا للأمر آلام له ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنَ اللهِ﴾ كلاهما معمول على المصدر ودال عاملهما الأمر المار، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ محل أوامره محلها.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ عمله وصمم على عدم العود، ﴿فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما هو عائد لله وما عاد أمره إلى ولد آدم إلا لدى أحد العلماء الأعلام.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الكلام مع الرسول أو مع أحد كل أحد، والسؤال لصدور الحكم كلاما على ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا

=

الورق. وهذا نحو ما صار إليه مال في القول الآخر؛ والحجة للأول حديث ابن عمر أن رجلا سرق جحفة، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بها فقومت بثلاثة دراهم. والشافعي حديث عائشة رضي الله عنها في الربع دينار أصلا رد إليه تقويم العروض لا بالثلاثة دراهم على غلاء الذهب ورخصه، وترك حديث ابن عمر لما رآه - والله أعلم - من اختلاف الصحابة في المجن الذي قطع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٠/٦)

حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ [آية: ٤١ - ٤٣]:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿لا يَحْزُنْكَ﴾ عمل ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الأولى سارعوا له ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ هم كل مسلم كلاما ومصمم على عدمه سرا وصدرا، والواو للحال أو للرد، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هودهم.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ سماعا مسلما لدى أحلامهم ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أرسلوهم لك لسماع حكم العاهر وحده لما عهر أحد الهود، وكرهوا حده، وأرادوا سؤالك الحكم على العاهر ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ داموا الملام، وأرسلوا سواهم للسؤال، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الموحى لموسى كالحكم على العاهر وحده أوله أهل، ﴿بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ محاله إما أهمالا وإما حملا على سوى ما أراده الله ﴿يَقُولُونَ﴾ لما أرسلوهم لمحمد ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ﴾ حكم لكم محمد على ﴿هَذَا﴾ الحكم المحول على سوى ما أراده الله ﴿فَخُذُوهُ﴾ اعملوا على حكمه، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وحكم لكم محمد على سواه ﴿فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ أمر أراد إلها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ ولو أراده لحصل ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ رواه راوٍ محرك الحاء كأوله، وراوٍ ما حركه وهو الحرام على كل، ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ المراد للسؤال والحكم على العاهر وسواه، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وحكم أو المحرر محا مؤداه أمر الحكم كما أمر الله على كل حال ولو الدعوى لمسلم مع سواه وحصل السؤال، وروم الحكم لا مسلك سوى الحكم لدى كل العلماء الأعلام، ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المراد: مكرم لكل عادل.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ ما حكموك إلا لردع العسر، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عما حكم لهم الرسول وهو حد العاهر ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الحكم، ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا

تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(١) [آية:٤٤]:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ لكل سالك على مسلكها، ﴿وَنُورٌ﴾ سطوع احكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ موسى وسواه إلى محمد إلا لو ورد ما محا حكمها والحاكم الرسل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ أطاعوا وسلموا لأوامر الله، ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ العلماء على العموم، ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ علماء الملل ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ أودعهموه الله ﴿مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾ ما حولوه ولا حاولوه، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ ما سلموا المحاول ومحول لإحكامه.

﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ الكلام مع الهود لإسرارهم ما دل على إرسال محمد أو مع الحكام لحكمهم على ما أمر الله، ﴿وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا﴾ ما رسمه الهود لعلمائهم لو الكلام لهم أو ما رامه الحكام على الحكم على سوى أمر الله، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لو ادعى حل الحكم على سوى ما أمر الله أو ادعى عدم وروده حكما.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [آية:٤٥]:

(١) قال ابن أبي زمنين: قيل: الربانيون العباد فلا تخشوا الناس في إقامة الحدود على أهلها من كانوا واخشون في ترك إقامتها ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله قال الحسن يقول من لم يتخذ ما أنزل الله دينا ويقر به فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها يريد التوراة أن النفس بالنفس إلى قوله ﴿والجروح قصاص﴾ وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة وكل ما ذكر الله في القرآن أنه أنزله في الكتاب الأول ثم لم ينسخه بالقرآن فهو ثابت يعمل به فمن تصدق به فهو كفارة له قال قتادة يعني كفارة لذنبه يحيى عن المعلى عن أبان عن الشعبي عن رجل من الأنصار قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل فمن تصدق به فهو كفارة له قال هو الرجل تكسر سنه أو يجرح في جسده فيعفو فيحط عنه من خطاياه بقدر ما عفا عنه إن كان نصف الدية فنصف خطاياه وإن كان ربع الدية فربع خطاياه وإن كان ثلث الدية فثلث خطاياه وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها سورة المائدة من الآية إلى الآية ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾ إلى قوله ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الفسق ها هنا الشرك قال محمد ومعنى قفينا أتبعنا والمصدر منه تقفية. انظر تفسير ابن أبي زمنين (١٦٢/٣).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ رواه راوٍ مردود أرده الواو على اسم العامل المؤكد، وراوٍ مسموك المحل على العامل المؤكد وما معه، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ كلام ومحموله أو مردود على اسم العامل المؤكد، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ سامح ﴿بِهِ﴾ سواه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ للسوى، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ على العموم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٦]:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ هو الإرسال واحدا إما لواحد ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الرسل وأعمهم ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما أوحاه الله لموسى ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ حاصل الهدى وما معه محله الحال، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ محله الحال ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [آية:٤٧]:

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام على طرح محصل المصدر ﴿أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [آية:٤٨]:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كله الموحى لسائر الرسل، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المراد: الكلام المكرم كالئ لكل كلام أوحاه الله إلى الرسول عما حوله أهل المرام ما ﴿فَاحْكُمْ

﴿بَيْنَهُمْ﴾ **أمم موسى والروح لو راموا حكمك لهم** ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ **عادلا** ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ **الكلام للأمم** ﴿شِرْعَةً﴾ **أصله مسلك الماء أعاروه إلى ما أسسه الله للعوالم معارا مصرحا،** ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ **مسلكا،** ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ **على مسلك واحد،** ﴿وَلَكِنْ﴾ **ما أراد وحصل ما حصل** ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ **وهو سطوع أمر كل طائع وعاص** ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ **سارعوا لها** ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ **لدى المعاد** ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ **وكل أحد معامل على عمله.**

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية:٤٩، ٥٠]:

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ﴾(١) **لا** ﴿يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ **عما حكم الله وأوحاه لك وأرادوا سواه،** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ **حالا ومعاملهم على ما عداه مآلا،** ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ **هو كما لو مال الحاكم مع أحد أهل الدعوى وعدل عما هو عدل** ﴿يَبْغُونَ﴾ **رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه،** ﴿وَمَنْ﴾ **لا أحد** ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ **اللام حال محال لدى.**

---

(١) سبب نزولها أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشأس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وأنا إن تبعناك اتبعك اليهود وإن بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية هذا قول ابن عباس وذكر مقاتل أن جماعة من بني النضير قالوا له هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء كما كنا عليه من قبل ونبايعك فنزلت هذه الآية قال القاضي أبو يعلى وليس هذه الآية تكرارا لما تقدم وإنما نزلتا في شيئين مختلفين أحدهما في شأن الرجم والآخر في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين. انظر زاد المسير (٢/٣٧٥).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [آية:٥١، ٥٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ المراد: عدم ودهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ وصدر لا مرام له إلا الود، ولو لأمر أداه له كروعه لا كما مر، ﴿فَإِنَّهُ﴾ معدود ﴿مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هم كل مواد لأعداء الله ودا مصمما لإحلالهم الود سوى محله.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ عدم كمال إسلام ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ إلى ودهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معللا كل واحد وداده لهم لأمر هو ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ ما أداره الدهر كعدم علو محمد وأهل الإسلام، أو علوهم هم على الإسلام، أو لمدهم لهم لدى عسر المطعم وعلو أسعاره، ورد الله عللهم لما أوحى، ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسوله على الأعداء، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ كإهلاكهم وطردهم أو الأمر اطلاع رسوله على سواء صدورهم وسرهم ومكرهم وإسلامهم الحاصل كلاما وسطوع حالهم إلى العالم كلهم، ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ هؤلاء الأولى أسلموا كلاما لا سرا ﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية:٥٣]:

﴿وَيَقُولُ﴾ رواه راوٍ مردودا على معمول محصل المصدر، وراوٍ مسموكا أول كلام مع الواو وعدمها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لدى اطلاعهم على أحوالهم ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ إسلاما ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ كل عمل صالح لهم، وهو محل سؤال لعدم ورود عمل صالح لهم أصلا مع إصرارهم على عكس الإسلام، ولو سلم ورود صالح الأعمال لهم سلم عدم هدمها ودوامها على حالها الأول لعدم صلاح سطوع سوء حالهم للورى هادما لأعمالهم، ولعل المراد: الحكم على هدمها لدى

العالم أو هو حال محل ما أسرع هدم أعمالهم، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [1][آية: ٥٤ - ٥٦]:

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: فيه أربع مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ شرط وجوابه ﴿فَسَوْفَ﴾. وقراءة أهل المدينة والشام ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ بدالين. الباقون ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾. وهذا من إعجاز القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم: إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيبا، فكان على ما أخبر بعد مدة، وأهل الردة كانوا بعد موته صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب إلا ثلاثة مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد جؤاثى، وكانوا في ردتهم على قسمين: قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها، وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها؛ قالوا نصوم ونصلي ولا نزكي؛ فقاتل الصديق جميعهم؛ وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش فقاتلهم وسباهم؛ على ما هو مشهور من أخبارهم. الثانية - قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ في موضع النعت. قال الحسن وقتادة وغيرهما: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه. وقال السدي: نزلت في الأنصار. وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية؛ وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة، ومن أشجع. وقيل: إنها نزلت في الأشعريين؛ ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن؛ هذا أصح ما قيل في نزولها. والله أعلم. وروى الحاكم أبو عبدالله في "المستدرك" بإسناده: أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري لما نزلت هذه الآية فقال: "هم قوم هذا" قال القشيري: فأتباع أبي الحسن من قومه؛ لأن كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به الأتباع. الثالثة - قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَذِلَّةٍ﴾ نعت لقوم، وكذلك ﴿أَعِزَّةٍ﴾ أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم؛ من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شيء. ويغلظون على الكافرين ويعادونهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته؛ قال الله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. ويجوز " أَذِلَّةً " بالنصب على الحال؛ أي يحبهم ويحبونه في هذا الحال، وقد =

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ ورواه راوٍ على الأصل، وهو حل داله وعدم حلولها مع الدال الأول ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ هم آلوا والد موسى كما ورد، ورواه الحاكم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ هاد لهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ كلهم رائم السلوك على مسلك أوامره، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ رحماء لأهل الإسلام، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ مسلطهم الله على أعدائه وكاهروهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ كلاهما مدح لهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى مدائحهم ﴿فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه وكرمه، ﴿عَلِيمٌ﴾ محل العطاء وأهله ولما ردعوا عما هو وداد للأعداء حكى الله لهم محل الوداد وأهله وأوحى.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المراد: على أكمل الأحوال أو حال ركوعهم والمدح وارد لولد عم الرسول الأسد الكرار لما سأله سائل وهو راكع وأعطاه حرصا وإسراعا إلى الإكرام.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ورد ردا لما ادعاه أهل الإسلام كلاما وهو ودادهم للأعداء روع علوهم على أهل الإسلام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ ورواه والد عمرو مكسورا ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ دعوا وداد أعدائه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لكل ما وعد وأوعد.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ

=

تقدمت معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له. الرابعة - قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في موضع الصفة أيضا. ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ بخلاف المنافقين يخافون الدوائر؛ فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؛ لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٢٠).

قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ لأمر، وهو عدم الكمال دال على عدم العلم والإدراك.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [آية:٥٩]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد رسوله ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هو الهود ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو الكلام المكرم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل الأول مر عهدهم كموسى، والمراد: ما لكم مسلك لعدم المدح إلا إسلام أهل الإسلام لله ورسوله وللرسل الأول، وما ورد لهم وكله مؤد إلى المدح لا إلى عكسه، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ العامل المؤكد رده الواو معموله على محصل المصدر الآم لالا، وحاصل الكلام عدم مدحكم لأهل الإسلام وسلوككم على عكسه لإسلامهم للرسل وعدم إسلامكم، ولما كلم الهود الرسول ما حاصله مسلكك أسوء المسالك أوحى الله لرسوله:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آية:٦٠ - ٦٣]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر وهو عامل الكسر ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ طرده، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ﴾ مردود رده الواو على وصل الاسم الموصول ﴿الطَّاغُوتَ﴾ هو كل ما أطاعوه، أو المراد: عدو آدم المطرود، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ لحلولهم دار الدرك وسوء الدار، ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المسلك الوسط لا كدعوى ما أدعوه للروح ولا كما ادعوه الهود.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ الهود الأولى أسلموا كلاما ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ كلاهما حال الواو، والمراد: حلولهم مع أهل الإسلام وطلوعهم على حال واحد وسماعهم لكلام الرسول سدى، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ وهو إصرارهم على عدم الإسلام.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾ كل حرام أو كل كلام لا أصل له، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ العول وعكس العدل، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم المحرر.

﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ علماء سائر العلوم، ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ علماء الملل والأحكام ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ ما لا أصل له، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ علماؤهم وهو وهو عدم ردعهم لهم.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٦٤]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (١) هو ممسك ماله كرم ولا عطاء، وورد ردا لما ادعوه ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء لحصول الأسر لهم، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عطاؤه وكرمه موسع لكل أحد ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مع وسع العطاء لواحد وعدم وسعه لواحد على ما أدى له علمه أحوال الكل، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو الكلام المكرم ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لعدم إسلامهم له، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كل واحد سلك مسلكا سوى مسلك سواه، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا

---

(١) في سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: أحدها أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا به كف عنهم بعض ما كان بسط لهم فقالوا يد الله مغلولة رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال عكرمة والثاني أنه الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة فقالوا إن الله بخيل ويده مغلولة فهو يستقرضنا قاله قتادة والثالث أن النصارى لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس قالت اليهود لو كان الله صحيحا لمنعنا منه فيده مغلولة ذكره قتادة أيضا. انظر زاد المسير (٣٩٢/٢).

لِلْحَرْبِ﴾ مع الرسول الأكرم وأهل الإسلام ﴿أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ المراد: كلما أرادوه ردهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ ما مسعاهم الإله، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آية:٦٥، ٦٦]:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ أسلموا لمحمد، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ما عدد لهم ومر حكمه ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ما أصدروه أولا، ﴿وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ على ما أوحاه الله لهم ولا حاولوهما ولا حولوهما ولا أسروا أحكامهما، ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المراد: لوسع الله لهم العطاء، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ سلكوا مسلك العدل وهم الأولى أسلموا لمحمد كولد سلام وسواه، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ه حاصل الكلام حال محل ما أسوء عملهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آية:٦٧]:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ كل ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ رواه راوٍ على الواحد، وراوٍ على العدد، والمراد: إسرارك حكما واحدا كإسرارك سائر الأحكام على حد سواء، ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ دمك معصوم لا وصول لهم إلى روحك، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آية:٦٨]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مسلك مراعى أمره ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كما أوحى الله مع عدم إسرار حكم ما، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهو كلامه المكرم ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لعدم إسلامهم له، ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ لعود سوء مسراهم، وعملهم لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية:٦٩]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الهود، ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ مسموك على أول الكلام ومحموله مطروح، وهو حكمهم كحكم الأول، ﴿وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ ورسوله، ولولاه لما صح إسلامه، ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الاسم الموصول أول كلام محموله، ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو دال محمول اسم العامل المؤكد.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [آية:٧٠]:

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على لا إله إلا الله، وإسلامهم للرسل، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ حوله لما حكى الحال.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٧١﴾ [آية:٧١]:

﴿وَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ﴾ رواه راوٍ معمولا لمحصل المصدر، وراوٍ مسموكا، والعامل أصله العامل المؤكد، وعلى كل لو للمصدر أو المؤكد هو وما معه سد مسد ما رامه العامل الأول، ﴿فِتْنَةٌ﴾ لهم مع عدم إسلامهم وحل العهد وعهدهم الرسل، ﴿فَعَمُوا﴾ ما رأوا الهدى، ﴿وَصَمُّوا﴾ ما سمعوا دلائله لما أموا ما سواه لهم لا مساس، ﴿ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما عادوا إلى الله، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ رواهما راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سواه، والمراد: عما هم الله وصمهم ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر أو واو عموا وصموا لعدد وهو معموله كأكلوهم أو محمول على مروح هو أهل العمى والصمم، ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ومعاملهم على سوء أعمالهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ

يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آية:٧٢]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ **لما حكموا إلا إله إلا واحد، وحكموا على ورود الروح إلها كحكمهم على الله هو الروح**، ولو ما صرحوا كلاما، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ **ما ادعى وروده مملوكا والمملوك سوى الإله** ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ **ما لهم راد لم أعدَّ الله لهم.**

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ (1)[آية:٧٣ - ٧٥]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ المراد: أحدهم، وهما الروح وأمه، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ رد لدعواهم، ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ وما وحدوه ﴿لَيَمَسَّنَّ

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ أي أحد ثلاثة. ولا يجوز فيه التنوين؛ عن الزجاج وغيره. وفيه للعرب مذهب آخر؛ يقولون: رابع ثلاثة؛ فعلى هذا يجوز الجر والنصب؛ لأن معناه الذي صير الثلاثة أربعة بكونه منهم. وكذلك إذا قلت: ثالث اثنين؛ جاز التنوين. وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية؛ لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد؛ ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم. وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة؛ وذلك أنهم يقولون: إن الابن إله والأب إله وروح القدس إله. وقد تقدم القول في هذا في ﴿النساء﴾ فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقال ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة كما تقدم، وإن لم يصرحوا بذلك لفظا؛ وقد مضى في ﴿البقرة﴾ معنى الواحد. و﴿مِنْ﴾ زائدة. ويجوز في غير القرآن ﴿إِلَهاً وَاحِداً﴾ على الاستثناء. وأجاز الكسائي الخفض على البدل. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٤٩).

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: داموا على عدم عملهم وعماهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ودال الحمل على الدوام هو:

﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ لما أساؤا، وهو الحلول أو هو أحد عدد، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل عائد له عما صدر ومردوع عما أوعده على عمله.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ما هو إلا رسول كالرسل الأول أعطاه الله رد الروح كما أعطاه لموسى لما رد الروح إلى عصا وورد ولا والد له ها آدم لا والد له ولا أم، وهو أصلح لدعواهم ما ادعوها له، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ كسائر ولد آدم، وما حال إلا له أكل الطعام، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ على إله واحد ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [آية: ٧٦، ٧٧]:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا﴾ هو الروح وأورد له ما لأمر وهو لورد إلى حاله لما أدرك ولا ملك ﴿لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أورده أولا لوروده أهم، ﴿وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ كلامكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ عالم أحوالكم، ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أم موسى والروح ﴿لا تَغْلُوا﴾ هو الوصول إلى ما وراء الحدود ﴿فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كدعوى ورود الروح إلها، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ هم والدوهم الأولى مر عهدهم أولا، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى والسواء الوسط.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٨، ٧٩]:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ دعاوا وود على أهل محل معلوم لما عصوا أوامر الله وحول الله صورهم، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ دعا على أهل الموائد، وحول الله صورهم إلى سوى صور ولد آدم، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ **المراد: أرادوا عمله** ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ **ه عملهم المحرر.**

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [آية:٨٠، ٨١]:

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] **وداد وحملهم على ودهم لهم حسدهم للرسول وأهل الإسلام** ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ **لورودهم على موارده لدى المعاد** ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ﴾ **محمد أو رسولهم** ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ **لما مالوا إلى سوى ما أمرهم.**

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ أي من اليهود؛ قيل: كعب بن الأشرف وأصحابه. وقال مجاهد: يعني المنافقين ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي المشركين؛ وليسوا على دينهم. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي سولت وزينت. وقيل: المعنى لبئس ما قدموا لأنفسهم ومعادهم. ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ كقولك: بئس رجلا زيد. وقيل: بدل من ﴿مَا﴾ في قوله ﴿لَبِئْسَ﴾ على أن تكون ﴿مَا﴾ نكرة فتكون رفعا أيضا. ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى لأن سخط الله عليه: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ابتداء وخبر. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٥٤).

ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آية:٨٢ - ٨٥]:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أهل الحرم الحرام لمرودهم وسلوكهم مسالك الهوى، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ لعدم مرودهم كما مرد أولئك، ولحصول هممهم إلى العلم والعمل؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ولما أسمع الرسول رهطا لهم كلام الله ومالوا له وأسلموا أوحى الله لرسوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ لكلامك أو لرسولك محمد، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المراد: مع أهل إسلام لأدائهم لها على الأمم لدى المعاد كما مر.

﴿وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ كلامه الموحى لرسوله، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ أهل الإسلام دار المأوى والسرور السرمد.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لسلوكهم مسالك الإسلام لما سطع لهم داله.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [آية:٨٦]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما حكى حال أهل الإسلام، ووعدهم حكى حال عكسهم وأوعدهم وسرد ما أعد لأولئك وما أعد لهؤلاء، ولما صمم رهط لأهل الإسلام على عهد الرسول على دوام الصوم وطول السهر والسهاد وعدم أكل اللحم والودك وعدم الوطء أوحى الله لرسوله ردعا لهم عما صمموا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آية:٨٧، ٨٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾ حدود ما حلل لكم إلى ما حرم ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾ [آية:٨٩]:

﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما أسرع له كلام المرء ولا عمد كلا والله ووالله، وما حكمه كحكمه أو ما آلى المرء على حصوله والأمر على عكس ما علم، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ﴾ رواه راوٍ كسدد، وراوٍ كورد، وراوٍ كعاهد، والمراد: ما آلى على حصوله، ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل واحد مدا والصاع لواحد وواحد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ لا أعلاه ولا أحطه، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ كما لو عممهم أو أعطى لكل واحد رداء، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الإسلام مراعى، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحدا مما حرر ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ مع وصلها أو مع عدم الوصل ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ والأمر على عكس ما آلى أحدكم، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ كما لو آلى على عدم وروده إلى محل معلوم دام على ما آلى إلا لو الأصلح وروده، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاءه على ما سهل لكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾ [آية:٩٠ - ٩٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ [1]السكر وكل مسكر حكمه حكمه، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ مصدر كالموعد، وهو الوصول إلى مال سواه على مسلك واصطلاح محرم معلوم لهم، ﴿وَالأَنْصَابُ﴾ كود وسواع، ﴿وَالأَزْلامُ﴾ عود كالسهام محرر على أحدها العمل، وعلى أحدها الردع، وعلى أحدها عدمهما، كلما رام أحدهم أمرا أسرع إلى مودعهما ورام حكمه له على العمل أو عدمه كما أمره السهم المحرر عمل ﴿رِجْسٌ﴾ عمل مكروه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهو حكم مؤكد للردع عما هو سكر لسرده له أولا.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ أورد هل أعلا ما لوصول أمر الردع إلى حده وهو أردع لأهل الإدراك والأحلام.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ الورود على موارد روعهما لكم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ وهو أداه لكم كما أمر.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ أو مما حرر سكرا وسواه ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ كل محرم، ﴿وَآمَنُوا﴾ داموا على الإسلام، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ لما ورد لهم الردع عما هو سكر وسواه، ﴿وَآمَنُوا﴾ أسلموا وسلموا لعدم حله، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ داموا على كل عمل صالح، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ

---

(١) ذكرالمفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات منها: ما جاء في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت في آيات من القرآن، وفيه قال. وأتيت على نفر من الأنصار فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً وذلك قبل أن تحرم الخمر - قال فأتيتهم في حش - أي بستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال. فأخذ رجل - من الأنصار - لحي جمل فضربني به فجرح أنفي، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأنزل الله - تعالى - ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه ﴾.. الآيات. ومنها ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار. شربوا حتى ثملوا، فعبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا، وجعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل هذا بي أخي فلان - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رءوفاً رحيما ما فعل بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله: ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ ﴾. انظر التفسير الوسيط (٢/٥٣٠).

الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد: مكرمهم على صالح أعمالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [آية: ٩٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ﴾ مرسل لكم حال إحرامكم ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ وصار المصاد واردا إلى رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ﴾ علم سطوع أو أورد العلم وأراد حصول معلومه ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ واصطاد ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٩٥، ٩٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ واحده حرام كرداح وردح، والمراد: حال الإحرام، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ أول كلام مطروح المحمول وهو على صائده هو ﴿مِثْلُ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ صورا أو أموالا.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لهما إدراك كامل ﴿هَدْيًا﴾ حال الهاء المكسور محله ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ المراد: سال دمه وسط الحرم ﴿أَوْ﴾ على صائده ﴿كَفَّارَةٌ طَعَامُ﴾ محمول على مطروح، ورواه راوٍ مكسورا ﴿مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ أو ما ساوى الإطعام مما هو صوم على عدد المعطى لهم ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ هو ما حمله عسر ﴿أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ ما صاده المرء حال الإحرام لدى عدم ورود الردع، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ سمكه وحده أو كل ما لا عمر له إلا وسط الماء، وداله

ما ورد وهو هو الطهور ماؤه الحل هالكه، ﴿وَطَعَامُهُ﴾ المراد: طعام الماء وهو ما هالكا ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ لو صاده المحرم ولو صاده الحلال حل له أكله، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾(1) [آية:٩٧ - ٩٩]:

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وذلك أنه تعالى ذكر تعظيم الإحرام بالنهي عن قتل الوحش فيه بحيث شرع بقتله ما شرع وذكر تعظيم الكعبة بقوله هدياً بالغ الكعبة، فذكر تعالى في هذه الآية أنه جعل الكعبة قياماً للناس أي ركز في قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى أحد، وصارت وازعة لهم من الأذى وهم في الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم وأخذهم بالثأر، ولذلك جعل الثلاثة المذكورة بعد الكعبة قياماً للناس فكانوا لا يهيجون أحداً في الشهر الحرام ولا من ساق الهدي لأنه لا يعلم أنه لم يجئ لحرب ولا من خرج يريد البيت بحج أو عمرة فتقلد من لحي الشجر ولا من قضى نسكه فتقلد من شجر الحرم، ولما بعثت قريش زمن الحديبية إلى المؤمنين الحلس قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)): (هذا رجل يعظم الحرمة فألقوه بالبدن مشعرة) فلما رآها الحلس عظم عليه ذلك وقال ما ينبغي أن يصد هؤلاء ورجع عن رسالة قريش، وجعل هنا بمعنى صير. وقيل جعل بمعنى بين وينبغي أن يحمل هذا على تفسير المعنى إذ لم ينقل جعل مرادفة لهذا المعنى لكنه من حيث التصيير يلزم منه التبيين والحكم، ولما كان لفظ الكعبة قد أطلقه بعض العرب على غير البيت الحرام كالبيت الذي كان في خثعم يسمى كعبة اليمانية، بين تعالى أن المراد هنا بالكعبة البيت الحرام، وهو بدل من الكعبة أو عطف بيان، وقال الزمخشري: البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك انتهى. وليس كما ذكر لأنهم ذكروا في شرط عطف البيان الجمود فإذا كان شرطه أن يكون جامداً. لم يكن فيه إشعار بمدح إذ ليس مشتقاً وإنما يشعر بالمدح المشتق إلا أن يقال أنه لما وصف عطف البيان بقوله الحرام اقتضى المجموع المدح فيمكن ذلك والقيام مصدر كالصيام ويقال هذا قيام له وقوام له وكأنهم ذهبوا في قيام إلى أنه ليس مصدراً بل هو اسم كالسواك فلذلك صحت الواو قال: قوام دنيا وقيام دين. إذا لحقت تاء التأنيث لزمت التاء قالوا القيامة واختلفوا في تفسير قوله =

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ **المحرم** ﴿قِيَامًا﴾ **ورواه راوٍ كارم، وهو حال أو مصدر** ﴿لِلنَّاسِ﴾ **إعلاء لأمر حالهم ومعادهم،** ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ **المراد:** الحرم كلها، ﴿وَالْهَدْيَ﴾ **ما أهدوه للحرم،** ﴿وَالْقَلائِدَ﴾ **ما علموه وأرسلوه** ﴿ذَلِكَ﴾ **الحكم المسطور وهو حصول ما عدده إعلاء لأمر حال أهل الحرم وإعدادهم أو أومأ إلى ردع المحرم،** ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ **لكل معاد له،** ﴿وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **لكل موال له.**

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ﴾ **لكم،** ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ **وهو معاملكم على أعمالكم.**

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آية:١٠٠]:

﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ **الحرام،** ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ **الحلال مالا وأعمالا** ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [آية:١٠١، ١٠٢]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا﴾ **الرسول** ﴿عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ **لعسرها**

=

﴿قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾ فقيل باتساع الرزق عليهم إذ جعلها تعالى مقصودة من جميع الآفاق وكانت مكة لا زرع ولا ضرع، وقيل بامتناع الإغارة في الحرم، وقيل بسبب صيرورتهم أهل الله فكل أحد يتقرب إليهم، وقيل بما يقام فيها من المناسك وفعل العبادات، وروي عن ابن عباس، وقيل: يأمن من توجه إليها وروي عنه، وقيل بعدم أذى من أخرجوه من جر جريرة ولجأ إليها، وقيل ببقاء الدين ما حجت واستقبلت، وقال عطاء لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا. وقال أبو عبد الله الرازي لا يبعد حمله على جميع الوجوه، لأن قوام المعيشة بكثرة المنافع وبدفع المضار وبحصول الجاه والرئاسة وبحصول الدين والكعبة سبب لحصول هذه الأقسام انتهى. انظر تفسير البحر المحيط (٢٨/٤)

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ﴾ المراد: على عهد الرسول المكرم ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ والعسر حاصل لكم، والمراد: دعوا سؤال الرسول ﴿عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾ مما صدر أو لا ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ وألح ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم وورد لهم أحكام سؤالهم وعسر الأمر على أهل السؤال، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ لعدم عملهم على مسلك ما سألوه وأمروا أوحاه الله لرسوله لما أطالوا سؤال الرسول، ولو داموا على مسراهم وما ورد لهم الردع لحصل العسر على الأمم.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية:١٠٣، ١٠٤]:

﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ ما أرصدوا درها إلى ما هو كود وسواع، ﴿وَلا سَائِبَةٍ﴾ ما أرصدوها لها وحرموا حط الحمل على أعلاها، ﴿وَلا وَصِيلَةٍ﴾ ما وصل ولدها على اصطلاح لهم، ﴿وَلا حَامٍ﴾ ما أولد عددا معلوما، وكما أكمل العدد حرموا أكله ولحمه وودعوه لكل إله لهم، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ لما حرموها وادعوا المحرم لها هو الله، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ هل له أصل أو لا، وهل هو محرم أو لا لسلوك كل على مسلك والده.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ إلى حكمه ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1] [آية:١٠٥]:

---

(١) قال القرطبي: فيه أربع مسائل: الأولى - قال علماؤنا: وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التحذير مما يجب أن يحذر منه، وهو حال من تقدمت صفته ممن ركن في دينه إلى تقليد آبائه وأسلافه. وظاهر هذه الآية يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب إذا استقام الإنسان، وأنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لولا ما ورد من تفسيرها في السنة وأقاويل =

=

الصحابة والتابعين على ما نذكره بحول الله تعالى. الثانية - قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ معناه احفظوا أنفسكم من المعاصي؛ تقول عليك زيدا بمعنى الزم زيدا؛ ولا يجوز عليه زيدا، بل إنما يجرى هذا في المخاطبة في ثلاثة ألفاظ عليك زيدا أي خذ زيدا، وعندك عمرا أي حضرك، ودونك زيدا أي قرب منك. الثالثة - روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن قيس قال: خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح؛ قال إسحاق بن إبراهيم سمعت عمرو بن علي يقول: سمعت وكيعا يقول: لا يصح عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا حديث واحد، قلت: ولا إسماعيل عن قيس، قال: إن إسماعيل روى عن قيس موقوفا. قال النقاش: وهذا إفراط من وكيع؛ رواه شعبة عن سفيان وإسحاق عن إسماعيل مرفوعا؛ وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحّاً مُطاعا وهَوىً مُتبعاً ودنيا مُؤثَرةً وإعجابَ كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم". وفي رواية قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: "بل أجر خمسين منكم". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. قال ابن عبدالبر قوله: "بل منكم" هذه اللفظة قد سكت عنها بعض الرواة فلم يذكرها، وقد تقدم. وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا" قال: هذا حديث غريب. وروي عن ابن مسعود أنه قال: ليس هذا بزمان هذه الآية؛ قولوا الحق ما قُبل منكم، فإذا رُد عليكم فعليكم أنفسكم. وقيل لابن عمر في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: "ليبلغ الشاهد الغائب" ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبلغكم، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل. في رواية عن ابن عمر بعد قوله: "ليبلغ الشاهد الغائب" فكنا نحن الشهود وأنتم لأقوام يجيؤون من بعدنا إن قالوا، لم يقبل منهم. وقال ابن المبارك قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ خطاب لجميع المؤمنين، أي عليكم أهله دينكم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فكأنه قال: ليأمر بعضكم بعضا؛ ولينه بعضكم بعضا فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب؛ وهذا لأن الأمر بالمعروف يجري مع المسلمين من أهل العصيان كما تقدم؛ وروي معنى هذا

=

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إكلاؤها وهموا وأسرعوا لصلاحها ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ومعاملكم على عملكم.

=

عن سعيد بن جبير وقال سعيد بن المسيب: معنى الآية لا يضركم من ضل إذا اهتديتم بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال ابن خويز منداد: تضمنت الآية اشتغال الإنسان بخاصة نفسه، وتركه التعرض لمعائب الناس، والبحث عن أحوالهم فإنهم لا يسألون عن حاله فلا يسأل عن حالهم وهذا كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كن جليس بيتك وعليك بخاصة نفسك". ويجوز أن يكون أريد به الزمان الذي يتعذر فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فينكر بقلبه، ويشتغل بإصلاح نفسه. قلت: قد جاء حديث غريب رواه ابن لهيعة: قال حدثنا بكر بن سوداة الجذامي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك". قال علماؤنا: إنما قال عليه السلام ذلك لتغير الزمان، وفساد الأحوال، وقلة المعينين. وقال جابر بن زيد: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من أبناء أولئك الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوائب؛ عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدين، لا يضركم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم؛ قال: وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت؛ فأنزل الله الآية بسبب ذلك وقيل: الآية في أهل الأهواء الذين لا ينفعهم الوعظ؛ فإذا علمت من قوم أنهم لا يقبلون، بل يستخفون ويظهرون فاسكت عنهم. وقيل: نزلت في الأسارى الذين عذبهم المشركون حتى ارتد بعضهم، فقيل لمن بقي على الإسلام: عليكم أنفسكم لا يضركم ارتداد أصحابكم. وقال سعيد بن جبير: هي في أهل الكتاب وقال مجاهد: في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم؛ يذهبان إلى أن المعنى لا يضركم كفر أهل الكتاب إذا أدوا الجزية. وقيل: هي منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قاله المهدوي. قال ابن عطية: وهذا ضعيف ولا يعلم قائله. قلت: قد جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: ليس في كتاب الله تعالى آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الآية. قال غيره: الناسخ منها قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ والهدى هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله أعلم. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول، أو رجي رد الظالم ولو بعنف، ما لم يخف الرابعة - الآمر ضررا يلحقه في خاصته، أو فتنة يدخلها على المسلمين؛ إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس؛ فإذا خيف هذا فـ ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ محكم واجب أن يوقف عنده ولا يشترط في الناهي أن يكون عدلا كما تقدم؛ وعلى هذا جماعة أهل العلم فاعلمه. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤١/٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آية:١٠٦ - ١٠٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ المراد: دلائل الحمام ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ هم أولوا الأرحام أو عكسهم صارا أمره ساطعا وحكمه لامعا ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ محلا ومرحلا، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ للعصر أو الأعم ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ الكلام مع أهل الهالك ﴿لا نَشْتَرِي بِهِ﴾ (الهاء) لما آلى إلى كلاهما ﴿ثَمَنًا﴾ أدى له طمع ما، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المراد: المرء المؤلى له، ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ﴾ ما حملاه أولا ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ لأدائهما لها على سوى ما حملاه ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ وهم أهل الهالك ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ محمول على أول كلام مطروح هو هما، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المسطور ﴿أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ كما لو عاد الأمر وآلى أهل الهالك، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا﴾ ما أوصاكم الهالك سماع إدراك، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ والحكم المسطور ممحو المؤدى لا الكلام على أحد أحكامه.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ

ٱلۡغُيُوبِ﴾ [آية:١٠٩]:

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو اذكر ﴿يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ لدى المعاد ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ عدموا العلم حال السؤال لهول المعاد، أو المراد: لا علم لأحد مع علمك رد الأمر إلى عمله.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ [آية:١١٠]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الملك والرسول المكرم، وهو رسول الله إلى الرسل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا﴾ المراد: كلامك لهم حال حلولك المهد وكلامك لهم كهلا كلاهما على حد سواء معدلا مكملا، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ ما ورد للرسل أولا سوى المسرود أو علم الرسم، ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأكْمَهَ﴾ المولود كما مر، ﴿وَالأبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ كسام وما عمرو حالا عاد له الحمام وسواه وعمرو أولد ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ الهود لما راموا إهلاكه ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ﴾ ورواه راوٍ ساحر، ﴿مُبِينٌ﴾.

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن

نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آية: ١١١ - ١١٥]:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾[1] مورده الحور، وهو عكس السواد، وصار اسما لهم لحصوله وهم حور أو لما حور وأكل كساء ورداء سموا حورا ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ الروح ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ المراد: لو سأل الروح هل الله مطاوع له ﴿رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ﴾ ودعوا سؤالكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ على الحال الكامل ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها له ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ لما ادعى الإرسال، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ سرورا عائدا ﴿لأَوَّلِنَا﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر، وكرر العامل ﴿وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ لإرسال الروح، ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ رواه راوٍ كمكرم، وراوٍ كمسدد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: أهل عصرهم وعالمه أو على العموم وأرسلها الله لهم مع الأملاك ولما اطلعوا على وسط الوعاء رأوا لحما وكعكا وسمكا لا حسك له كله دسم وحولها ملح وسواه وأمروا أوامر وما سلكوا على مسالكها وحول الله صورهم.

---

(١) قال ابن عطية إما أن يكون وحي إلهام أو وحي أمر والرسول هنا هو عيسى وهذا الإيحاء إلى الحواريين هو من نعم الله على عيسى بأن جعل له أتباعاً يصدقونه ويعملون بما جاء به ويحتمل أن تكون تفسيرية لأنه تقدّمها جملة في معنى القول وأن تكون مصدرية. انظر تفسير البحر المحيط (٥٦/٤).

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [آية:١١٦ - ١٢٠]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿قَالَ اللهُ﴾ أورد ما مر وأراد ما هو وارد على مسلك المعار المصرح والسؤال المحرر صادر لدى المعاد ما مر حكمه ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ما أسره، ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ما هو معلوم لك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ لدى حمله وسمكه إلى السماء ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المطلع على أعمالهم والكالئ لها، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على أعمالهم وكلامهم وأعمال سواهم وكل ما عداه.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ﴾ المراد الأولى داموا على سوء حالهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ كلهم لك مملوك، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ للأولى عادوا عما صدر وحصل وأسلموا لك ووحدوك، ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالَ اللهُ﴾ أصل ما هو حاصل على مسلك المعار المصرح ما مر لو حمل على عدم كمال الأول، ولو حمل الكلام الأول على الكمال لأوامره معلوم ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ حال دار ورود الأوامر لهم ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لوصولهم إلى دار الحصول على

الأعمال ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ **لما أطاعوه،** ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ **لما أكرمهم،** ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ **عوالم وأمطارا ومأكلا وما سواها،** ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **ومورده إكرام كل طائع وما أعده لكل عاص.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام

مكية، وهي مائة وخمس وستون آية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [آية:١]:

﴿الْحَمْدُ﴾ هو سرد المحامد المردود ورودها إلى عمل الطوع ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام للإسلام له أو لسلوك الأمم وحمدهم كما حمد هو أو المراد كلاهما الأولى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أوردهما لما هما أدل على الواحد الأحد مرآى ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ كل سواد دامس وعكسه، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ادعوا سواه معادلا له ومساو.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[1] [آية:٢]:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ المراد: والدكم آدم ﴿مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلا﴾ عمرا لكم لدى كماله حصوله حمامكم، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ وهو حال معادكم له، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ وعودكم إلى دار المعاد أسهل على دعواكم مما هو أصله كله عدم، ومع كل هؤلاء الدلائل ما أدركه أحلامكم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ الآية خبر وفي معناه قولان: أحدهما: وهو الأشهر وعليه من الخلق الأكثر أن المراد آدم عليه السلام والخلق نسله والفرع يضاف إلى أصله فلذلك قال: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالجمع فأخرجه مخرج الخطاب لهم إذ كانوا ولده؛ هذا قول الحسن وقتادة وابن أبي نجيح والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم الثاني: أن تكون النطفة خلقها الله من طين على الحقيقة ثم قلبها حتى كان الإنسان منها ذكره النحاس. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٨٧).

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [آية:٣]:

﴿وَهُوَ اللهُ﴾ إله ومسمى ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ كل عمل صالح لكم وسواه.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ [آية:٤، ٥]:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم ﴿مِنْ﴾ مؤكد لا مؤدى له ﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ هو كلامه المكرم ﴿إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ الكلام المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ لدى حلول ما أعده الله لهم، أو لدى علو أمر الإسلام وأهله.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية:٦]:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ هو ما عهد عمرا إلى ولد آدم أو هو أهل عصر لهم رسول أو عالم له مدار أمرهم ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ أموالا وملكا، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الهاء) لدورهم على مسلك المرسل ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ عدم إسلامهم للرسل، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية:٧]:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ محررا ومرسوما ﴿فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ﴾ مسوه ﴿بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [آية:٨، ٩]:

﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿مَلَكٌ﴾ معه مسلم لكل ما ادعاه، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ لأدى الأمر إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾ لا إمهال لهم لحصولهم على مرادهم وما سألوه كما حصل للأمم الأول.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ المراد لهم: أو الرسول ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلا﴾ لأمر مرآى الملك مروع لولد آدم، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ ولما أدركوه هل هو ملك أو أحد ولد آدم.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١) [آية:١٠، ١١]:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلى الله رسوله ﴿فَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو هلاكهم.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم دمرهم الله كلهم.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا

---

(١) قوله - سبحانه - ﴿وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ.... ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم - عما أصابه من حزن بسبب تعنت المشركين معه. ومطالبتهم له بالمطالب السخيفة التي لا صلة لها بدعوته، كطلبهم منه تسيير الجبال وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى. والاستهزاء: المبالغة في السخرية والتهكم من المستهزأ به. والإملاء: الإمهال والترك لمدة من الزمان. والتنكير في قوله ﴿برسل ﴾ للتكثير، فقد استهزأ قوم نوح به، وكانوا كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخروا منه. واستهزأ قوم شعيب به وقالوا له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السمآء إِن كُنتَ مِنَ الصادقين ﴾ واستهزأ قوم هود به وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ... ﴾ واستهزأ فرعون بموسى فقال: ﴿أَمْ أَنَآ خَيْرٌ مِّنْ هذا الذي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ والمعنى: ولقد استهزأ الطغاة والجاحدون برسل كثيرين من قبلك - أيها الرسول الكريم - ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: فأمهلتهم وتركتهم مدة من الزمان في أمن ودعة. انظر التفسير الميسر (١٢٥/٣).

يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آية:١٢]:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ لو ما صرحوا هم لك ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ للعوالم كرما الإمهال لهم وعدم إسراع إهلاكهم وسواهما ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لورودكم على موارد أعمالكم ﴿لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما أوردوها موارد الهلاك ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٣ - ١٦]:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ العالم كله ملكا ومملوكا، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إلها ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معمول لعامل أم الواو مطروح على سوى المعلوم واله الأمر؛ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠﴾ [آية:١٧ - ٢٠]:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾[1] كداء أو عدم ﴿فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كما لو سلمك وأعطاك أموالا ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ علو ملك، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ لما سألوا الرسول الدال على إرساله لردهم على الهود أوحى الله لرسوله:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ﴾ لو ما هم صرحوا لك ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لأنْذِرَكُمْ﴾ الكلام مع أهل الحرام ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وهل له حكم الكلام المكرم ولد آدم وسواهم ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ﴾ لهم ﴿لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه كود وسواع ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ (الهاء) لمحمد رسوله ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما أوردوها موارد هلاكها ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لمحمد رسوله.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾ [آية:٢١]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وساوى معه سواه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كلامه المكرم ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ

(١) قال القرطبي رحمه الله: المس والكشف من صفات الأجسام، وهو هنا مجاز وتوسع؛ والمعنى: إن تنزل بك يا محمد شدة من فقر أو مرض فلا رافع وصارف له إلا هو، وإن يصبك بعافية ورخاء ونعمة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الخير والضر روى ابن عباس قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "يا غلام - أو يا بني - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن"؟ فقلت: بلى؛ فقال: "احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل الله بالشكر واليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا" أخرجه أبو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب "الفصل والوصل" وهو حديث صحيح؛ وقد خرجه الترمذي، وهذا أتم.انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٩٨).

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية:٢٢، ٢٤]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ المراد: كل آله لكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ دعواهم وسماها كما سماها لورودها ولا أصل ﴿إِلا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية:٢٥، ٢٦]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ كلام الله، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ كلولا لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمما لا سماع معه سماع إدرا ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ﴾ عدد لاسطار وهو ما لا أصل له ﴿الأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ (الهاء) إما للكلام المكرم أو للرسول والمراد: الإسلام له، ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ هلكوا وأهلكوا، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ لعود سوء عملهم لهم لهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [1][آية:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي إذ وقفوا غدا و﴿إِذْ﴾ قد تستعمل في موضع ﴿إِذَا﴾ و﴿إِذَا﴾ في موضع ﴿إِذْ﴾ وما سيكون فكأنه كان؛ لأن خبر الله تعالى حق وصدق، فلهذا =

[٢٧ - ٢٩]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدّ﴾ إلى الدار الأولى، ﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ﴾ كلاهما مسموك على أول الكلام أو معموا لمحصل المصدر

=

عبر بالماضي. ومعنى ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾ حبسوا يقال: وقفته وقفا فوقف وقوفا. وقرأ ابن السميفع ﴿إِذْ وَقَفُوا﴾ بفتح الواو والقاف من الوقوف. ﴿عَلَى النَّارِ﴾ أي هم فوقها على الصراط وهي تحتهم. وقيل: ﴿على﴾ بمعنى الباء؛ أي وقفوا بقربها وهم يعاينونها. وقال الضحاك: جمعوا، يعني على أبوابها. ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم. وفي الخبر: أن الناس كلهم يوقفون على متن جهنم كأنها متن إهالة، ثم ينادي مناد خذي أصحابك ودعي أصحابي. وقيل: ﴿وُقِفُوا﴾ دخلوها - أعاذنا الله منها - فعلى بمعنى ﴿فِي﴾ أي وقفوا في النار. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف ليذهب الوهم إلى كل شيء فيكون أبلغ في التخويف؛ والمعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حال، أو لرأيت منظرا هائلا، أو لرأيت أمرا عجبا وما كان مثل هذا التقدير. قوله تعالى: ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالرفع في الأفعال الثلاثة عطفا قراءة أهل المدينة والكسائي؛ وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالضم. ابن عامر على رفع ﴿نُكَذِّبَ﴾ ونصب﴿نكُونَ﴾ وكله داخل في معنى التمني؛ أي تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. واختار سيبويه القطع في ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾ فيكون غير داخل في التمني؛ المعنى: ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب؛ أي لا نكذب رددنا أو لم نرد؛ قال سيبويه: وهو مثل قوله دعني ولا أعود أي لا أعود على كل حال تركتني أو لم تتركني. واستدل أبو عمرو على خروجه من التمني بقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأن الكذب لا يكون في التمني إنما يكون في الخبر. وقال من جعله داخلا في التمني: المعنى وإنهم لكاذبون في الدنيا في إنكارهم البعث وتكذيبهم الرسل. وقرأ حمزة وحفص بنصب ﴿نكذب﴾ و﴿نكُونَ﴾ جوابا للتمني؛ لأنه غير واجب، وهما داخلان في التمني على معنى أنهم تمنوا الرد وترك التكذيب والكون مع المؤمنين. قال أبو إسحاق: معنى ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾ أي إن رددنا لم نكذب. والنصب في ﴿الكذب﴾ و﴿نكُونَ﴾ بإضمار ﴿أَنَّ﴾ كما ينصب في جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض؛ لأن جميعه غير واجب ولا واقع بعد، فينصب، الجواب مع الواو كأنه عطف على مصدر الأول؛ كأنهم قالوا: يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء من الكذب، وكون من المؤمنين؛ فحملا على مصدر ﴿نرد﴾ لانقلاب المعنى إلى الرفع، ولم يكن بد من إضمار ﴿أَنَّ﴾ فيه يتم النصب في الفعلين. وقرأ ابن عامر ﴿نكُونَ﴾ بالنصب على جواب التمني كقولك: ليتك تصير إلينا ونكرمك، أي ليت مصيرك يقع وإكرامنا يقع، وأدخل الفعلين الأولين في التمني، أو أراد: ونحن لا نكرمك على القطع على ما تقدم؛ يحتمل. وقرأ أبي ﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا أَبَداً﴾. وعنه وابن مسعود ﴿يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا أبداً﴾ بالفاء والنصب، والفاء ينصب بها في الجواب كما ينصب بالواو؛ عن الزجاج. وأكثر البصريين لا يجيزون الجواب إلا بالفاء. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٠٨).

المطروح، ورواه راوٍ مع، وروى راوٍ عمل محصل المصدر له، والأول مسموك ومكمل لو مطروح، وهو له؛ أي: الرسول أمرا ما ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ هو سوء أعمالهم لا إصرار على الإسلام، ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدار الأولى ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ مردود رده الواو على لعادوا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [آية:٣٠، ٣١]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ طال أمره ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ للسؤال ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا﴾ المعاد ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ المراد: حرموا إكرامه وآلاءه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ حال أو مصدر ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الهاء) للدار الأولى ولو ما مر لها اسم لعلمها، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [آية:٣٢، ٣٣]:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وما أحوالها إلا أحوال لهو ألهى العالم الصالح لهم ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لدوامها ودوام سرورها، وروى راوٍ: ولدار والحكم المسطور على دعواهم ما للمرء إلا الدار الأولى ولا معاد ولا عود إلى الله ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ورواه راوٍ على الكلام مع السامع.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم، والمراد كلهم سرا مسلم لك، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية:٣٤ - ٣٧]:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلى الله رسوله المطهر ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ هلاك أممهم كما هلاك هؤلاء صادر، ﴿وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ مواعده، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما سلاك.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ لحرصك على إسلامهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ مسلكا ﴿فِي﴾ وسط ﴿الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ مصعدا إلى السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مما سألوك ومكمل العامل مطروح، والمراد: اعمل وإلا دع الحكم لله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ هداهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ حارصا على حصول أمر ما أراده الله حالا أو مآلا.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإسلام ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك ﴿وَالْمَوْتَى﴾ المراد: هؤلاء الأولى ما أسلموا وسماهم كما سماهم لعدم سماعهم أوامر الله ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ لدى المعاد، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كعصا موسى وسواها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿آيَةً﴾ كما سألوا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ورودها لهم هو هلاكهم.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى

ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1] [آية:٣٨، ٣٩]:

﴿وَمَا مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ﴾ وسط الهواء ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ مأكلا وأعمارا وأحوالا ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح لما هو محرر وسطه أعمارا لكل وأحوالهم ﴿مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ﴾ ما حرر وسطه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وهو معامل كل على عوله أو عدله.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم ﴿صُمٌّ﴾ ما هم سامعوه سماع إدراك ﴿وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ سواد عدم الإسلام وعمى عدم العلم ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هداه ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ سوى، وهو الإسلام.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ [آية:٤٠، ٤١]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد، والمراد: لأهل الحرم ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ﴾ كما حصل للأمم الأولى مر عهدها، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ لرده لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أدعوا ما هو كود وسواع لرده.

﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا سواه ﴿تَدْعُونَ﴾ لكل أمر مكروه لكم ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ رده ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض﴾ قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض قال الزجاج وذكر الجناحين توكيد وجميع ما خلق لا يخلو إما أن يدب وإما أن يطير. وفي معنى أمثالكم أربعة أقوال أحدها أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني في معرفة الله قاله عطاء والثالث أمثالكم في الخلق والموت والبعث قاله الزجاج والرابع أمثالكم في كونها تطلب الغذاء وتبتغي الرزق وتتوقى المهالك قاله ابن قتيبة قال ابن الانباري وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركب في المشركين عقولا وجعل لهم أفهاما ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويتمسكوا بطاعته كما جعل للطير أفهاما يعرف بها بعضها إشارة بعض وهدى الذكر منها لإتيان الأنثى وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها انظر زاد المسير (٣/٣٤).

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آية:٤٢ - ٤٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلا وما أسلموا لهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ العدم وعدم المال، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الداء؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ المراد: ما دعوا الله لرده مع حصول ما دعاهم لدعاهم له، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وأصروا على عملهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ما روعوا حصوله لهم وهو العدم والداء ﴿فَتَحْنَا﴾ ورواه راوٍ كسدد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كل الآلاء ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ لا أمل لهم أصلا.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ المراد: اصطلموا، ﴿وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على علو أمر الرسل، وهلاك أعداء الله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٦]:

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمكم، ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أعمالكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ سد مسالك إدراككم ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على لا إله إلا الله، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [آية:٤٧]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ مع الدال على وروده أولا ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ ما هالك ﴿إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ [آية:٤٨، ٥٠]:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ﴾(١) لكل مسلم، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ لكل عاص، ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ لا أملك عطاءه للأمم، ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما أسر أمره، ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أحد الأملاك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ عكس المسلم، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المسلم لا ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿وَأَنْذِرْ﴾ روع ﴿بِهِ﴾ (الهاء) لكلام الله المكرم ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾ حال واو معمول محصل المصدر وهم كل مسلم عاص، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لعلهم مصلحوا أعمالهم.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ أي بالترغيب والترهيب. قال الحسن: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾. ومعنى﴿منذرين﴾ مخوفين عقاب الله؛ فالمعنى: إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٢٩)

﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (١)**لا أمرا سوى الله**

(١) قال القرطبي رحمه الله: وله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية. قال المشركون: ولا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا - فاطردهم عنك؛ وطلبوا أن يكتب لهم بذلك، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، ودعا عليا ليكتب؛ فقام الفقراء وجلسوا ناحية؛ فأنزل الله الآية. ولهذا أشار سعد بقوله في الحديث الصحيح: فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع؛ وسيأتي ذكره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما مال إلى ذلك طمعا في إسلامهم، وإسلام قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئا، ولا ينقص لهم قدرا، فمال إليه فأنزل الله الآية، فنهاه عما هم به من الطرد لا أنه أوقع الطرد. روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا؛ قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. قيل: المراد بالدعاء المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن. وقيل: الذكر وقراءة القرآن. ويحتمل أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره؛ ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق. ويختموه بالدعاء طلبا للمغفرة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي طاعته، والإخلاص فيها، أي يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره. وقيل: يريدون الله الموصوف بأن له الوجه كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالأكْرَامِ﴾ وهو كقوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ وخص الغداة والعشي بالذكر؛ لأن الشغل غالب فيهما على الناس، ومن كان في وقت الشغل مقبلا على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما أمره الله في قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يبتدئون القيام، وقد أخرج هذا المعنى مبينا مكملا ابن ماجه في سننه عن خباب في قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب، قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين؛ فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم؛ فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت؛ قال: "نعم" قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا؛ قال: فدعا بصحيفة ودعا عليا - رضي الله عنه - ليكتب ونحن قعود في ناحية؛ فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن؛ فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا
=

أوحاه الله لرسوله لما أراد الرسول طرد كل مسلم معدم طمعا لإسلام أهل اللؤم، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لو حصل طردك لهم، ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ الأحط مع الأعلى وأهل العدم مع أهل الأموال لوصول الأحط والمعدم إلى الإسلام وعدم وصول سواهم له ﴿لِيَقُولُوا﴾ أولو العلى والأموال ﴿أَهَؤُلاءِ﴾ أهل العدم ﴿مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وهداهم ومرادهم لو ما سلكه هؤلاء هو الهدى لحصل لهم أولاً، ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ رد الله دعواهم.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [آية:٥٤، ٥٥]:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ حال محال الحال لمعمول عمل العائد على الاسم الموصول ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ عاد إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء)

=

أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا؛ فأنزل الله عز وجل ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا تجالس الأشراف ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني عيينة والأقرع، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾، أي هلاكا. قال: أمر عيينة والأقرع؛ ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم؛ رواه عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط عن السدي عن أبي سعيد الأزدي وكان قارئ الأزد عن أبي الكنود عن خباب؛ وأخرجه أيضا عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة، في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال؛ قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهم، قال: فدخل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله أن يدخل؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية. وقرئ ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٣٣).

للعمل، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُ﴾ (الهاء) لله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ لحاله ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آية:٥٦]:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ أكد عدم سلوكه مسالكهم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ لو حصل سلوكه على ما سلكوه، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ هو حلول ما روعهم لو ما أسلموا ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلا لِلهِ يَقُصُّ﴾ وروى راوٍ محلها صادا ﴿الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ حلول ما أوعدهم على عدم إسلامهم ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ المراد: لأسرع إلى هلاكهم، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية:٥٩]:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ هو كل مسلك موصل إلى عمله ﴿لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ﴾ وعددها هو عصر المعاد وحلول الأمطار وما حل وسط الأرحام، وما كل أحد وارده، وعصر حمام كل واحد ومحل وروده، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ المراد: ما أسرو عكسه معلوم له، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ﴾ لا مؤدى لها ﴿وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية:٦٠]:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ حال عكس السهر، وسماه لعدم الإحساس على سلك المعار المصرح، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾ حصله كلكم وعمله ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ رادا لكم إحساسكم وحواسكم ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ هو العمر ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ عودكم لدى حلول الأعمار وورود الحمام، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معاملكم على أعمالكم.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [آية:٦١، ٦٢]:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (١)علو ملك لا علو محل، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ لكلاء الأعمال وهم الكرام ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ ورواه راوٍ مع عدل الدال على عكس المرء ﴿رُسُلُنَا﴾ هم ملك الحمام وإرداؤه، ﴿وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ كعدم إسراعهم إلى ما أمروا ولعدم عدوهم إلى وراء ما حد لهم، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ﴾ إلى حكمه ﴿مَوْلاهُمُ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ العادل ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾ الحاصل أمره كما أراده، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ راء أعمال كل العالم على أسرع حال.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: قال هنا ابن عطية: (الْقَاهِرُ) إن أخذ صفة فعل أي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب، فيصح أن تجعل دفوق (ظرفية للجهة لأن هذه الأشياء إنما تعاهدها للعباد من فوقهم وإن أخذ) الْقَاهِرُ (صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز أن يكون للجهة وإنما هو لعلو القدر والشأن، كما تقول: الياقوت فوق الحديد؛ انتهى. وظاهر (وَيُرْسِلُ) أن يكون معطوفاً على (وَهُوَ الْقَاهِرُ) عطف جملة فعلية على جملة اسمية وهي من آثار القهر. وجوز أبو البقاء أن تكون معطوفة على قوله: (يَتَوَفَّاكُم) وما بعده من الأفعال وأن يكون معطوفاً على (الْقَاهِرُ) التقدير وهو الذي يقهر ويرسل، وأن يكون حالا على إضمار مبتدإ أي وهو يرسل وذو الحال إما الضمير في (الْقَاهِرُ) وإما الضمير في الظرف وهذا أضعف هذه الأعاريب. انظر تفسير البحر المحيط (١٥١/٤)

هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ [آية:٦٣، ٦٤]:

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم والأمر لمحمد ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ﴾ أهوال ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ على السر وعكسه ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ ورواه كأعلى ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ سواها، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آية:٦٥ - ٦٧]:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ مورده السماء، أو المراد: إلى أمرائكم، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كعلو الماء أو سواه، أو المراد: لكل مملوك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ مللا كل مسالكها الأهواء، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ سل حسام وعراكا ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ (الهاء) للكلام المكرم ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ﴾ لهم ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ المراد: ما على الرسول إلا دعاؤهم إلى أوامر الله، والحكم المسطور ورد حال عدم ورود الأمر لعراكهم وإهلاكهم لو ما أسلموا.

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾(١) عصر ورود معلوم، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حكم مهدد لهم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ لكل خبر حقيقة، أي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدم وتأخر. وقيل: أي لكل عمل جزاء. قال الحسن: هذا وعيد من الله تعالى للكفار؛ لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث. الزجاج: يجوز أن يكون وعيدا بما ينزل بهم في الدنيا. قال السدي: استقر يوم بدر ما كان يعدهم به من العذاب. وذكر الثعلبي أنه رأى في بعض التفاسير أن هذه الآية نافعة من وجع الضرس إذا كتبت على كاغد ووضع على السن. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/٧).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [آية:٦٨، ٦٩]:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ رد إلها، والمراد: كلام الله المكرم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (الهاء) للحلول معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا﴾ أصله العامل وما ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ مؤكدا مع كلا أحكام المؤكد ﴿الشَّيْطَانُ﴾ المراد: وحل الرسول معهم محلهم ﴿فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ الادكار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ولما عسر أمر عدم الحلول معهم على أهل الإسلام أوحى الله لرسوله.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ لا مؤدى ﴿شَيْءٍ﴾ لو حلوا معهم محالهم، ﴿وَلَكِنْ﴾ على أهل الإسلام ﴿ذِكْرَى﴾ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ رد كلام الله وعدم إسلامهم له.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ

﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ [1][آية: ٧٠ - ٧٣]:

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا﴾ أي ما لا ينفعنا إن دعوناه. ﴿وَلا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه؛ يريد الأصنام. ﴿نُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ أي نرجع إلى الضلالة بعد الهدى. وواحد الأعقاب عقب وهو مؤنث، وتصغيره عقيبة. يقال: رجع فلان على عقبيه، إذا أدبر. قال أبو عبيدة: يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها: قد رد على عقبيه. وقال المبرد: معناه تعقب بالشر بعد الخير. وأصله من العاقبة والعقبى وهما ما كان تاليا للشيء واجبا أن يتبعه؛ ومنه ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. ومنه عقب الرجل. ومنه العقوبة، لأنها تالية للذنب، وعنه تكون.
قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف. ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ أي استغوته وزينت له هواه ودعته إليه. يقال: هوى يهوي إلى الشيء أسرع إليه. وقال الزجاج: هو من هوى يهوي، من هوى النفس؛ أي زين له الشيطان هواه. وقراءة الجماعة ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ أي هوت به، على تأنيث الجماعة. وقرأ حمزة ﴿اسْتَهْوَاهُ الشَّيَاطِينُ﴾ على تذكير الجمع. وروي عن ابن مسعود ﴿اسْتَهْوَاهُ الشَّيَاطَانُ﴾، وروي عن الحسن، وهو كذلك في حرف أبي. ومعنى ﴿ائْتِنَا﴾ تابعنا. وفي قراءة عبدالله أيضا ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا﴾. وعن الحسن أيضا ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِونُ﴾. ﴿حَيْرَانَ﴾ نصب على الحال، ولم ينصرف لأن أنثاه حيرى كسكران وسكرى وغضبان وغضبى. والحيران هو الذي لا يهتدي لجهة أمره. وقد حار يحار حيرا وحيرورة، أي تردد. وبه سمي الماء المستنقع الذي لا منفذ له حائرا، والجمع حوران. والحائر الموضع الذي يتحير فيه الماء. قال ابن عباس: أي مثل عابد الصنم مثل من دعاه الغول فيتبعه فيصبح وقد ألقته في مضلة ومهلكة؛ فهو حائر في تلك المهامه. وقال في رواية أبي صالح: نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام والمسلمون؛ وهو معنى قوله: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ فيأبى. قال أبو عمر: أمه أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية؛ فهو شقيق عائشة. وشهد عبدالرحمن بن أبي بكر بدرا وأحدا مع قومه وهو كافر، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "متعني بنفسك". ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية. هذا قول أهل السير. قالوا: كان اسمه عبدالكعبة فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبدالرحمن، وكان أسن ولد أبي بكر. قال: إنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم أربعة ولاء: أب وبنوه إلا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابنه أبا عتيق محمد بن عبدالرحمن. والله أعلم. قوله تعالى: ﴿أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ اللام لام كي، أي أمرنا كي نسلم وبأن أقيموا الصلاة؛ لأن حروف الإضافة يعطف بعضها على بعض. قال الفراء: المعنى أمرنا بأن نسلم؛ لأن العرب تقول: أمرتك لتذهب، وبأن تذهب بمعنى. قال النحاس: سمعت أبا الحسن بن كيسان يقول هي لام الخفض، واللامات كلها ثلاث: لام خفض ولام أمر ولام توكيد، لا يخرج شيء =

﴿وَذَرِ﴾ دع ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ والحكم المسطور مما حكمه المعارك، ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ (الهاء) لكلام الله لا ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ المراد: أسلم أمرها إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ لسوء عملها ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ المراد: إعطاؤها أحدا محلها ﴿لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ الأحد المعطى محلها، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ سلموا إلى ما أعد لهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ لسوء أعمالهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ هو كل ما كود وسواع، ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ أهدوه إلى المهامه ﴿فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ حال الهاء ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ وأمرهم له ودعاؤهم هو ﴿ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه عمى، ﴿وَأُمِرْنَا﴾ الأمر هو الله ﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للمعاد ومعاملكم على أعمالكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَقُولُ﴾ ما أراد ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ والمراد: أمره للعوالم لدى المعاد عودوا ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ

=

عنها. والإسلام الإخلاص. وإقامة الصلاة الإتيان بها والدوام عليها. ويجوز أن يكون ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ عطفا على المعنى، أي يدعونه إلى الهدى ويدعونه أن أقيموا الصلاة؛ لأن معنى ائتنا أن ائتنا. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ابتداء وخبر وكذا ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي فهو الذي يجب أن يعبد لا الأصنام. ومعنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بكلمة الحق. يعني قوله ﴿كُنْ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩/٧).

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي
لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي
فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ
قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ
وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ
بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ
مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ
وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ
هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا
بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ
قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا
وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ

وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آية:٧٤ - ٩٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معموله لعامل مطروح ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أراه مولاه مسلك والده على سوى الهدى أراه ملك السماء الدال على لا إله إلا الله، وأراه ما أراه، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ اسود وحلك ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ﴾ للأولى حوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على دعواكم، وحصل الأمر وما هو مدرك الحلم، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ لما هو حكم أحكام الإله.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعا ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ المراد: دوام الهدى ﴿لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ أراد إطلاعهم على حالهم وهو عدم هداهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ مما طلع أولا، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وهو الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الصراط السوي، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معه سواه.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ وهددوه سوء ما كود وسواع ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي﴾ ورواه ولد عامر وسواه مكسورا على واحد ﴿فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ إلى المسلك الموصل له، ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ المراد: مس سوء ما هو كود وسواع ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ مكروها ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وسع علمه كل معلوم ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ﴾[1] وروعكم أولى لعدم

---

(١) قوله تعالى ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ أي من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم وهو قادر على ضركم ونفعكم ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي حجة ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أي بأن يأمن العذاب الموحد الذي يعبد من بيده الضر والنفع أم المشرك الذي يعبد مالا يضر ولا ينفع ثم بين الأحق من هو بقوله =

حصول سوء مما سواه مع عدم مراده ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ دلائل ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ هو ادعاؤهم مع الله سواه ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾ ولا مروع لهم، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى المسلك المسلم.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ علما وحكما ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولده ﴿كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ولده، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد كلهم معامل إكراما كما عومل هو.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ولده، ﴿وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ولد والد الرسل، ﴿وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ إرسالا.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ للإرسال، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ ما هدوا له ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم وما للمصدر.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ للعدد لا للعهد، ﴿وَالْحُكْمَ﴾ كل حكم حواها، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ﴾ المراد: أهل الحرم الحرام وما حوله، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم أهل الإسلام أو الرسل أو إرداء الرسول أو إرداء الرسل كلهم.

=

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ أي يخلطوه بشرك روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأينا ذلك فقال إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال أحدها أنه إبراهيم وأصحابه وليست في هذه الأمة قاله علي بن أبي طالب وقال في رواية أخرى هذه الآية لإبراهيم خاصة ليس لهذه الأمة منها شيء والثاني أنه من هاجر إلى المدينة قاله عكرمة والثالث أنها عامة ذكره بعض المفسرين وهل هي من قول ابراهيم لقومه أم جواب من الله تعالى. انظر زاد المسير (٧٧/٣).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ على سلوكهم أسلك، وهو لا إله إلا الله والهاء ما هو محرك على الوصول وسواه، ورواه راوٍ مع عدم الهاء أصلا ﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم الحرام ﴿لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على كلام الله ﴿أَجْرًا﴾ معطى ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما كلام الله ﴿إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ الهود ﴿اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما وحدوه ولا عملوا ولا أحكامه وأوامره ﴿إِذْ قَالُوا﴾ لرسوله محمد ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ كلام موحى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ محررا على طروس ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾ رواهما راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه ﴿كَثِيرًا﴾ مما حواه كإسراركم دلائل إرسال محمد، ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ الكلام مع الهود، والمراد: وعلمكم الرسول ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ﴾ أوحاه ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ حال هم الأول.

﴿وَهَذَا﴾ الكلام الموحى لمحمد ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه كالموحى إلى موسى، والموحى إلى الأروح وسواهما، ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل الحرم الحرام وما حوله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1] [آية:٩٣، ٩٤]:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ابتداء وخبر؛ أي لا أحد أظلم. ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ أي اختلق.
=

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعائه أمر الإرسال وما أرسل له ولا هو رسول، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ﴾ اسمك موصول رده الواو على الاسم الموصول المكسور المحل ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ إلى سل أرواحهم وكلامهم معهم وأمرهم لهم هو ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ادعاؤهم الإرسال وما هم رسل أو الكلام عائد إلى الأعم، والمراد: دعوى الوالد ودعوى إله معه، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ لا أموال معكم ولا ولد ولا أهل ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ كل مال معطى لكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ وهو الدار الأولى ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ كدعواكم، وهو ود وسواع وسواهما ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ لله على ملككم ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ عامل ومعمول مسموك وهو الوصل، ورواه راوٍ على سوى السمك والكسر والمعمول المسموك مطروح، وهو وصلكم، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

=

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ فزعم أنه نبي ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في رحمان اليمامة والأسود العبسي وسجاح زوج مسيلمة؛ كلهم تنبأ وزعم أن الله قد أوحى إليه. قال قتادة: بلغنا أن الله أنزل هذا في مسيلمة؛ وقال ابن عباس. قلت: ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن يقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا؛ فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكليات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، ويقولون: هذه الأحكام الشرعية العامة، إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص. وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفتاك المفتون؛ ويستدلون على هذا بالخضر؛ وأنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب؛ فإنه يلزم منه هد الأحكام وإثبات أنبياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٩/٧).

حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [آية:٩٥، ٩٦]:

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ كولد آدم والطائر ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالماء لولد آدم والوعاء للطائر، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ وهو الوعاء والماء ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ ولد آدم والطائر ﴿ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ عمود لهدوء العالم، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ على أدوار لا على مسرى واحد وهو حال مطروح ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية:٩٧]:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ﴾ الحكم والدلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [آية:٩٨]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ حل حل الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ على حاله ماء، ورواهما راوٍ مكسورا الدال وما أمه راء الأول ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آية:٩٩، ١٠٠]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركم، وسماه سماء على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ مطرا، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ مرآه ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ واحدا على واحد، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ حاصله محمول ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ معمول على

مسلك العامل المكرر ﴿قِنْوَانٌ﴾ الطلع ووعاؤه ﴿دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ مرأى وطمعا، وكلاهما حال ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ ورواه راوٍ كعمر ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ حال أول طلوع صلاحه، ﴿وَيَنْعِهِ﴾ حال إدراكه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ معمول أول مكمله لله المار ﴿الْجِنَّ﴾ لما وسوسوا لهم وأطاعوهم، ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ﴾ ورواه راوٍ كهدد ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ ادعوها له ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال الواو أو حال مصدر مطروح ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لا أحد معه ولا له ولد.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [1][آية:١٠١ - ١٠٧]:

---

(١) قال القرطبي: فيه مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ فعيل للمبالغة، وارتفع على خبر ابتداء محذوف، واسم الفاعل مبدع، كبصير من مبصر. أبدعت الشيء لا عن مثال، فالله عز وجل بديع السموات والأرض، أي منشئها وموجدها ومبدعها ومخترعها على غير حد ولا مثال. وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع، ومنه أصحاب البدع. وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام، وفي البخاري "ونعمت البدعة هذه" يعني قيام رمضان. الثانية - كل بدعة صدرت من مخلوق فلا يجوز أن يكون لها أصل في الشرع أولا، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وخص رسول عليه، فهي في حيز المدح. وإن لم يكن مثاله موجودا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعله من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سبق إليه. ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه، لما =

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ أهل، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ كالئ أعمالكم، ومعامل كل أحد على عمله.

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ إدراكا محاطا، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ رآءٍ لها أو مدركها علما أحاطها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ دلائل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها وأسلم ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح عمله له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ كالئ لأعمالكم كالئ

=

كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح، وهي وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس، عليها، فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها، وجمع الناس لها، وندبهم إليها، بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة. وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسول فهي في حيز الذم والإنكار، قال معناه الخطابي وغيره. قلت: وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته: "وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" يريد ما لم يوافق كتابا أو سنة، أو عمل الصحابة رضي الله عنهم، وقد بين هذا بقول: "من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء". وهذا إشارة إلى ما ابتدع من قبيح وحسن، وهو أصل هذا الباب، وبالله العصمة والتوفيق، لا رب غيره. الثالثة - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي إذا أراد إحكامه وإتقانه - كما سبق في علمه - قال له كن. قال ابن عرفة: قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، ومنه سمي القاضي، لأنه إذا حكم فقد فرغ مما بين الخصمين. وقال الأزهري: قضى في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء قال علماؤنا: "قضى" لفظ مشترك، يكون بمعنى الخلق، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن. ويكون بمعنى الإعلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أي أعلمنا. ويكون بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام، ومنه سمي الحاكم قاضيا. ويكون بمعنى توفية الحق، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩]. ويكون بمعنى الإرادة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨] أي إذا أراد خلق شيء. قال ابن عطية: "قضى" معناه قدر، وقد يجيء بمعنى أمضى، ويتجه في هذه الآية المعنيان على مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه. وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد. الرابعة - قوله تعالى: ﴿أَمْراً﴾ الأمر واحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر.

الأعمال هو الله وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا﴾ اللام للمال ﴿دَرَسْتَ﴾ أهل الكلام الموحى والعلماء، ورواه ولد عامر درس أصله الدروس، ورواٍ أصله الدرس، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو الكلام المكرم لا إله إلا هو، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ عدم حصوله ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ معاملا لهم على أعمالهم، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ مكره لهم على الإسلام والحكم المسطور، ورد حال عدم ورود حكم الحسام، ولما ورد أمر المعارك محا حكمه.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٠٨]:

﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كود وسواع ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾ وعولا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ صالحا أو طالحا، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آية:١٠٩، ١١٠]:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما سألوا على حكم سؤلهم ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ لا أملك ورودها لكم المالك ورودها هو الله، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ والعامل المؤكد حال محل لعل، ورواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ روى ما أم لا على الكلام مع السامع.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ ورود ما سألوه لا هم مدركوه ولا هم رآؤه ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ (الهاء) لما ورد لهم أولا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدر كالعمى للمرأى.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا

كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [آية:١١١]:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ﴾ رسلا أو مع الرسل، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما سألوا وراموا، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا﴾ رواه راوٍ كعمر، وراوٍ كحول، وهو حال كل وصح لعمومه ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما علم الله عدمه ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ المراد: على كل حال إسلامهم محال إلا حال أراده الله لهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ عدم إسلامهم لو ورد لهم ما سألوه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [آية: ١١٢، ١١٣]:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هؤلاء أعدائك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ﴾ معمول لعامل عدوا على مسلك العامل المكرر ﴿الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ مما لا أصل له ولا أساس ﴿غُرُورًا﴾ معمول له أو مصدر حال محل الحال، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ولا صاروا أعداء لرسله، ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾ (الهاء) لما أوحوه لهم ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ولما سألوا الرسل حكما عادلا لهم وله أوحى الله لرسوله.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [آية:١١٤، ١١٥]:

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾[1] حال مما أمه اسم الله، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ

---

(١) قال ابن الجوزي: سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما إن شئت من أحبار اليهود وإن شئت من أحبار النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت هذه الآية ذكره الماوردي فأما الحكم فهو بمعنى الحاكم والمعنى =

الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم ﴿مُفَصَّلا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى وسواه كولد سلام ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ الكلام المكرم الموحى لمحمد ﴿مُنَزَّلٌ﴾ ورواه راوٍ كمسدد ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أحكاما ووعدا وعكسه ﴿صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لما هو أعدل وأحكم أولا محولها أحلها لمرورها إلى المعاد، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [آية:١١٦ - ١١٩]:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: أولوا الأهواء ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ عما أسسه للعوالم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له، كادعائهم لمسلكهم هو المسلك الموصل إلى الله؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المراد: عالم ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ معاملهم على صالح أعمالهم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ لا مما سال دمه على اسم سواه أو ما هلك لحاله ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿لَكُمْ مَا حَرَّمَ﴾ للمعلوم وسواه ﴿عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرم وهو حال العدم كما مر حكمه، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾ ورواه راوٍ كأسر ﴿بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لا أساس لهم إلا أهواؤهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ كل واصل إلى وراء

=

أفغير الله أطلب قاضيا بيني وبينكم والكتاب القرآن والمفصل المبين الذي بان فيه الحق من الباطل والأمر من النهي والحلال من الحرام. انظر زاد المسير (١١٠/٣)

ما حد له كإحلال المرحم وعكسه.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [آية:١٢٠، ١٢١]:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ **العهر على السر وعكسه، أو المراد الأعم** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ **لدى المعاد** ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ **كما لو أهل لاسم سواه أو هلك لحاله أو ما سمى الله المسلم عامدا ولو سها لا، والعمد والسهو لدى أحد العلماء على حد سواء، وحكى حله،** ﴿وَإِنَّهُ﴾ **الأكل مما مر كله والهاء لما الاسم الموصول** ﴿لَفِسْقٌ﴾ **لعدم الحل،** ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ **كلهم موسوس** ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ **على حل أكل ما هلك لحاله،** ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ **لا حلال ما حرم** ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ **حكمكم حكمهم.**

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [آية:١٢٢]:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا﴾ **على حال العمى وعدم الإسلام** ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ **هدى وسلك مسالك الإسلام،** ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ **المراد: هو** ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ﴾ **كما رأى المسلم عمله هو الصالح** ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **والحكم المسطور حكى حال عمر أو عمار مع حال عم الرسول.**

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ

كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٢٣ - ١٢٧]:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رؤساء الحرم الحرام على سوى الهدى ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾[١] صدًّا لأهل الإسلام عما راموا، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إلا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لعود السوء لهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم الحرام ﴿آيَةٌ﴾ دال على دعوى الرسول ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ﴾ كإرسال الملك وكلام موحى لهم ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ﴾ معمول لعامل داله أعلم ﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ورواه راوٍ على أحدها، والمراد: هو عالم محلها والصالح لها، وهؤلاء لا هم أهل، ولا هم محل لها، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ﴾ لدى المعاد، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ ورواه راوٍ كعدل ﴿حَرَجًا﴾ ورواه راوٍ مكسور الراء ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وروى راوٍ وراء الصاد مدا على ورود أصله صاعد، وراوٍ ما مصدره صعود، وعلى كل المراد كل أحد ما أراد الله هداه راء سلوكه إلى الإسلام كالصاعد إلى السماء لعسر وصوله، ﴿فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾ ما أعده لهم على سوء أعمالهم، أو المراد: عدو آدم لما سلطه ووسوس لهم ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ المعنى: وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية. ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مفعول أول لجعل "مفعول ثاني على التقديم والتأخير. وجعل بمعنى صير. والأكابر جمع الأكبر. قال مجاهد: يريد العظماء. وقيل: الرؤساء والعظماء. وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد. والمكر الحيلة في مخالفة الاستقامة، أصله الفتل؛ فالماكر يفتل عن الاستقامة أي يصرف عنها. قال مجاهد: كانوا يجلسون على كل عقبة أربعة ينفرون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ كما فعل من قبلهم من الأمم السالفة بأنبيائهم. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إلا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي وبال مكرهم راجع إليهم. وهو من الله عز وجل الجزاء على مكر الماكرين بالعذاب الأليم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في الحال؛ لفرط جهلهم أن وبال مكرهم عائد إليهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧٩/٧).

﴿وَهَذَا﴾ مسلك رسوله محمد ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ حال مؤكد لحاصل الكلام، وعامله مؤدى ما وراء الواو ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ﴾ اسم الله، والمراد: دار المأوى والسرور الدائم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ
مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن
لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ
وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آية:١٢٨ - ١٣٤]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ورواه راوٍ لسوى المكلم ﴿جَمِيعًا﴾ وحاصل الكلام لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ المراد: عدو آدم وإرداؤه ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ وسوء سؤالهم، وصاروا معهم، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾ الأولى أطاعوهم ﴿مِنَ الإنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ حصل كل على مراده حصل الموسوس على مراده لما أطاعه الموسوس له، وحصل الموسوس على مسالك هواه، ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو المعاد ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ محلكم ومأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللهُ﴾ المراد: أمدا إلا إمهالاً حاصلا لهم أو إلا حال عدم حلولهم وسطها، أو المراد: حلولهم محلا سوى المحل الحار ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ عالم أحوال الكل وأعمالهم، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ الرسل مورده ولد آدم وحدهم،

والأول رسلهم سامعوا كلام الرسل وموصلوه لهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ للمصدر أو هو العامل المؤكد، واسمه الهاء مطروح، وعلى كل اللام مطروح ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ والمراد: إرساله الله الرسل هو لعدم إهلاك الأمم لما عصوه ولا دال لهم على أوامره ولا على ما أراده.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ كل وارد على موارد عمله صلاحا وعكسه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ على الكلام إلى كل سامع، وهو ما عمل الكل على أعمالهم.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾(١) كلام مهدد لكل عاص أوامره. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ كأمر المعاد وسواه ﴿لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ورودكم على موارد وما أوعدكم سها.

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آية:١٣٥]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حال ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ المآل المحمود لدى المعاد؛ ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ كل حائد عما أمره ما هو مسعود.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ

---

(١) الغنيّ: هو الّذي لا يحتاج إلى غيره، والغنيّ الحقيقي هو الله تعالى لأنَّه لا يحتاج إلى غيره بحال، وقد قال علماء الكلام: إنّ صفة الغِنَى الثّابتة لله تعالى يَشمل معناها وجوب الوجود، لأنّ افتقار الممكن إلى الموجد المختارِ، الّذي يرجح طَرف وجوده على طرف عدمه، هو أشدّ الافتقار، وأحسب أنّ معنى الغِنى لا يثبت في اللّغة للشّيء إلا باعتبار أنّه موجود فلا يشمل معْنى الغنى صفة الوجود في متعارف اللّغة. إلا أن يكون ذلك اصطلاحاً للمتكلّمين خاصّاً بمعنى الغِنى المطلق. وممّا يدلّ على ما قُلتهُ أنّ من أسمائه تعالى المغني، ولم يُعتبر في معناه أنّه موجد الموجودات. انظر التحرير والتنوير(٨/٨٥).

وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [آية:١٣٦]:

﴿وَجَعَلُوا﴾ الواو لأهل الحرم ﴿لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ للوارد وأهل العدم ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ رواه راوٍ كعهد، وراوٍ كعهر، وورد الكسر كالود والود والود، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ كود وسواع، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللهِ﴾ إلى مورده المحصور له، وهو الوارد أهل العدم، ﴿وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم المحرر.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [آية:١٣٧]:

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ﴾ رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سؤال ﴿لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ﴾ مسموك لو العامل لسوى المعلوم وإلا هو معموله ﴿أَوْلادِهِمْ﴾ وأدا، وهو معمول المصدر لو العامل لسوى المعلوم ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسورا على ورود العامل لسوى المعلوم ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لإهلاكهم، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آية:١٣٨ - ١٤٠]:

﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾ أومأوا إلى ما أرصدوه إلى ما هو كود وسواع ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام على سوى ما حصروها له ﴿لا يَطْعَمُهَا إلا مَنْ نَشَاءُ﴾ وهم الأولى أودعوها لهم ﴿بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ كما مر أحكامها، ﴿وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ

اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ وأسالوا دمها على اسم سواه وادعوا سلوكهم على أوامر الله ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ مسموكا على ورود العامل كاملا ومحمولا على عود اسمه إلى ما الاسم الموصول، ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ حرموا ما حلل وحللوا ما حرم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ رواه راوٍ كعدل، وراوٍ كامل ﴿أَوْلادَهُمْ﴾ لروع العدم أو علو العدو ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ مما مر حكمه ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية:١٤١]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾[1] كروما ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ محمول أملودها على الأعواد، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما هو محمول على الأعواد، ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ حمله مطعما وصورا، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أملوده أو حمله طعما وصورا، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ ولو ما أدرك وهو حلال للمالك، ولو ما أدى سهمه المعلوم، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ حال إدراكه، ورواه راوٍ مكسور الحاء، ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ كإعطائه كله؛ ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ كل واصل إلى وراء ما حد له.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ

---

(١) قوله تعالى ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض فانتشر مما يعرش كالكرم والقرع والبطيخ وغير معروشات ما قام على ساق كالنخل والزرع وسائر الأشجار والثاني أن المعروشات ما أنبته الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار رويا عن ابن عباس. الثالث أن المعروشات وغير المعروشات الكرم منه ما عرش ومنه ما لم يعرش قاله الضحاك والرابع أن المعروشات الكروم التي قد عرش عنبها وغير المعروشات سائر الشجر التي لا تعرش قاله أبو عبيدة. انظر زاد المسير (١٤٣/٣).

ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آية:١٤٢ - ١٤٤]:

﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾ ما هو صالح للأحمال، ﴿وَفَرْشًا﴾ ما لا صلاح لها للأحمال ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ مسالك ﴿الشَّيْطَانِ﴾ كرد الحلال إلى الحرام والحرام إلى الحلال ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿ثَمَانِيَةَ﴾ معمول على مسلك العامل المكرر مما هو صالح للأحمال ﴿أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ رواه راوٍ كولد، وراوٍ كمهد ﴿اثْنَيْنِ قُلْ﴾ لهم، والأمر لمحمد ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ الله ﴿أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أمر معلوم دال على ما حرم الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا﴾ والمراد: رد دعواهم لكل ما حرر هو محرم، ﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وحرم ما حلله ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٤٥]:

﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ محمول على اسم العامل العائد لما أو معمول للعامل لو كاملا، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ سائلا أما سواه كالطحال لا، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام، ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ مردود رده أو على لحم ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ أسالوا دمه وسموا سوى الله، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى

أكل واحد مما عده الله حال العدم وأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على أحد حكمه كحكمه، ﴿وَلا عَادٍ﴾ إلى ما وراء ردع الهلاك ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكله، ﴿رَحِيمٌ﴾ راحم لحاله لما حلله.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية:١٤٦، ١٤٧]:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ سوى ما للكلى وسواها لا كلهما ﴿إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا﴾ ما حوى الأمعاء، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الوعد وعكسه حاصل.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وهو ممهلكم على عدم الإسراع لأوامره، ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ لا راد له لو حال حوله ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آية:١٤٨ - ١٥٠]:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (١)

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال مجاهد: يعني كفار قريش. قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ يريد البحيرة والسائبة والوصيلة. أخبر الله عز وجل بالغيب عما سيقولونه؛ وظنوا أن هذا متمسك =

مرادهم كل ما حصل مراد، وما هو مكروه لدى الله ولو مكروها لما حصل ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ أمر دال ومصحح لمدعاكم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له ولا أساس.

﴿قُلْ﴾ لو ما صححوا مدعاهم ﴿فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ﴾ أراد هداكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ معمول لهلم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ عادلوه مع سواه.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آية:١٥١ - ١٥٣]:

=

لهم لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه. والمعنى: لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولا فنهاهم عن الشرك وعن تحريم ما أحل لهم فينتهوا فأتبعناهم على ذلك. فرد الله عليهم ذلك فقال ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي أعندكم دليل على أن هذا كذا؟: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾ في هذا القول. ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾ لتوهموا ضعفتكم أن لكم حجة. وقول ﴿وَلا آبَاؤُنَا﴾ عطف على النون في ﴿أَشْرَكْنَا﴾.ولم يقل نحن ولا آباؤنا؛ لأن قول ﴿وَلا﴾ قام مقام توكيد المضمر؛ ولهذا حسن أن يقال: ما قمت ولا زيد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٢٨).

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ معمول لحرم ﴿أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مصدر معمول لعامل مطروح هو داله، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾ وأدًا ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾ لروع عدم ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ العهر أو كل ما على عامله حد ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرها وعكسه ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ﴾ لحد ما ﴿ذَلِكُمْ﴾ الأمر محرر ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كل ما دار حول صلاح ماله ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الحلم، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ وما وراء الوسع مسامح، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ لحكم أو سواه

﴿فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المحكوم له أو عكسه، ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾ هو السلوك على العدل على كل حال ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ مسالك الهوى، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٤، ١٥٨]:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ للآلأ والإكرام ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ سلوكه على مسالكه، ﴿وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ وهو المعاد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَهَذَا﴾ الكلام المكرم ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ على محمد ﴿مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأمر لأهل الحرام الحرام، ﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أوحاه الله إلى رسوله له.

﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ هم الهود، ومدعو الأهل والولد للواحد الأحد ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ لعدم إطلاعهم على ما وسطها.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ﴾ المراد: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ﴾ صدا ولوى ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

﴿هَلْ﴾ المراد ما ﴿يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لسل أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أمره وحلول ما أوعدهم على صدهم المحرر، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ما دل على حلول الدور وأمر المعاد كورود روح الله إلى العالم ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا﴾ ورود أحد الأمور المحرر سردها ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ معكم الأمر المسطور.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[1] [آية: ١٥٩ - ١٦١]:

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ قرأه حمزة والكسائي ﴿فارقوا﴾ بالألف، وهي قراءة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ من المفارقة والفراق. على معنى أنهم تركوا دينهم وخرجوا عنه. وكان علي يقول: والله ما فرقوه ولكن فارقوه. وقرأ الباقون بالتشديد؛ إلا النخعي فإنه قرأ ﴿فَرَقوا﴾ مخففا؛ أي آمنوا ببعض وكفروا ببعض. والمراد اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك. وقد وصفوا بالتفرق؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. وقال: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠]. وقيل: عنى المشركين، عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة. وقيل: الآية عامة في جميع الكفار. وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله عز وجل به فقد فرق دينه. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة. وروى بقية بن الوليد حدثنا شعبة بن الحجاج حدثنا مجالد عن =

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾ ورواه راوٍ كعامل ﴿دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ سلكك كل واحد مسلكا وأم كل واحد إماما ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ المراد: دعهم وحالهم وهو حكم محاه أمر المعارك، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهو معاملهم على سوء أعمالهم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ المراد: لا إله إلا الله ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كل معامل على عمله كمالا صالحا أو طالحا.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الهدى وهو حال، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٦٢، ١٦٣]:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ كل ما أمر إلى سلوكه، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ أو ما حكاه كله ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لما هو أول مأمور.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [آية: ١٦٤]:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ إلها، والمراد: لا أروم سوى الله إلها، ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك

=

الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إنما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم منا برآء". وروى ليث بن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾. ومعنى ﴿شِيَعاً﴾ فرقا وأحزابا. وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع. "لست منهم في شيء" فأوجب براءته منهم؛ وهو كقوله عليه السلام: "من غشنا فليس منا" أي نحن برآء منه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/٧).

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ **كل امرئ معامل على عمله لا أحد حامل حمل أحد،** ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ **لدى المعاد،** ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [آية:١٦٥]:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ **مآلا وسؤددا وسواهما** ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ **أعطاكم** ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ **لكل عاص،** ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **لكل مسلم أطاعه.**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأعراف

مكية، وهي مائتان وخمس آيات

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(١) [آية:١ - ٣]:

﴿المص﴾ الله أعلم ما المراد كسائر السور على ما هو المعول.

﴿كِتَابٌ﴾ محمول على مطروح كالموحى لك أو هو ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى محمد، ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ عدم وسع ﴿مِنْهُ﴾ لروع عدم إسلامهم لك ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأمرك لهم هو.

---

(١) قوله تعالى: ﴿تاب أنزل إليك﴾ قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء ومذهب الفراء أن الله اكتفى في مفتتح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها كما يقول القائل ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا فالمعنى حروف المعجم كتاب أنزلناه إليك قال ابن الانباري ويجوز أن يرتفع الكتاب باضمار هذا الكتاب وفي الحرج قولان أحدهما أنه الشك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة والثاني أنه الضيق قاله الحسن والزجاج وفي هاء منه قولان أحدهما أنها ترجع إلى الكتاب فعلى هذا في معنى الكلام قولان أحدهما لا يضيقن صدرك بالإبلاغ ولا تخافن قاله الزجاج والثاني لا تشكن أنه من عند الله والقول الثاني أنها ترجع إلى مضمر وقد دل عليه الإنذار وهو التكذيب ذكره ابن الانباري قال الفراء فمعنى الآية لا يضيقن صدرك إن كذبوك قال الزجاج وقوله تعالى لتنذر به مقدم والمعنى أنزل إليه لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض فأما النصب فعلى قوله أنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين أي ولتذكر به ذكرى لأن في الإنذار معنى التذكير ويجوز الرفع على أن يكون وهو ذكرى كقولك وهو ذكرى للمؤمنين فأما الخفض فعلى معنى لتنذر لأن معنى لتنذر لأن تنذر المعنى للانذار والذكرى وهو في موضع خفض. انظر زاد المسير (١٥٦/٣)

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو كلامه المكرم، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾ (الهاء) لله، والمراد سواه ﴿أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا﴾ مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام إلى السامع، وراوٍ على عكسه، وراوٍ أصل أول أصوله ما ساواه، وراوٍ ما عدد أول أصوله.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [آية:٤ - ٧]:

﴿وَكَمْ﴾ معمول لأهلك مطروح ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها على مسلك المرسل ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أراد الله إهلاكها، ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ ما أعده وأراده لهم ﴿بَيَاتًا﴾ مساء، ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ حال الحر، ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الأمم الأولى أسلموا للرسل على ما أوصل الرسل لهم، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما دعوهم له.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عما أوصله الرسل وما عمله الأمم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية:٨ - ١٠]:

﴿وَالْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لطروسها كما ورد ﴿يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ العدل، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ لصالح أعماله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ لطالح أعماله، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمآلهم إلى الدرك ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أصله إحلال أمر سوى محله، وهم أحلوا العمى محل الهدى.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ الكلام مع ولد آدم ﴿فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا﴾ مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على الآلاء.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ
إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠
خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن
تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم
مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ
﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا
مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا
ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا
رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ
ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى
سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا

وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ
ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:
١١ - ٣٠]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ والدكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[1]

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لما ذكر نعمه ذكر ابتداء خلقه. وقد تقدم معنى الخلق في غير موضع. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي خلقناكم نطفا ثم صورناكم، ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم. وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره. وقال الأخفش: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو. وقيل: المعنى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني آدم عليه السلام، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم صورناكم؛ على التقديم والتأخير. وقيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني آدم؛ ذكر بلفظ الجمع لأنه أبو البشر. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ راجع إليه أيضا. كما يقال: نحن قتلناكم؛ أي قتلنا سيدكم. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ وعلى هذا لا تقديم ولا تأخير؛ عن ابن عباس أيضا. وقيل: المعنى ولقد خلقناكم، يريد آدم وحواء؛ فآدم من التراب وحواء من ضلع من أضلاعه، ثم وقع التصوير بعد ذلك. فالمعنى: ولقد خلقنا أبويكم ثم صورناهما؛ قاله الحسن. وقيل: المعنى خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق. هذا قول مجاهد، رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح. قال النحاس: وهذا أحسن الأقوال. يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق، ثم كان السجود بعد. ويقوي هذا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. والحديث "أنه أخرجهم أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق". وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ للإخبار، أي ولقد خلقناكم يعني في ظهر آدم صلى الله عليه وسلم، ثم صورناكم أي في الأرحام. قال النحاس: هذا صحيح عن ابن عباس.

قلت: كل هذه الأقوال محتمل، والصحيح منها ما يعضده التنزيل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] يعني آدم. وقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]. ثم قال: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ أي جعلنا نسله وذريته ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] الآية. فآدم خلق من طين ثم صور وأكرم بالسجود، وذريته صوروا في أرحام الأمهات بعد أن خلقوا فيها وفي أصلاب الآباء. وقد تقدم في أول سورة "الأنعام" أن كل إنسان مخلوق من نطفة وتربة؛ فتأمله. وقال هنا: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ وقال في آخر الحشر: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]. فذكر التصوير بعد البرء. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وقيل: معنى "ولقد خلقناكم" أي خلقنا الأرواح أولا ثم صورنا الأشباح آخرا. قوله تعالى: ﴿إلا إِبْلِيسَ
=

اركعوا له ركوع سلام وإكرام؛ ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا﴾ لا مؤكد لا مؤدى له ﴿تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ (الهاء) عائد إلى السماء أو إلى دار المأوى والسرور السرمد، ولو ما مر له اسم لعلمه حال الأمر ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (ما) للمصدر وعامله كواو والله ومكمله ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ (الهاء) لولد آدم أو لآدم وولده ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ المسلك الموصل لك.

﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أهل إسلام.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ مكدراً لا مسرورا ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودا ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ﴾ اللام لام الكلام أو اللام الموطئ ﴿مِنْهُمْ﴾ (الهاء) للأمم ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الكلام مع عدو آدم السامع المطرود مع سواه المعدوم وهم أولاده، وكل أحد سلك مسالك ما وسوسوا له وأطاعهم.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ مؤكد ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء ممدودا ﴿الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أكلا ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ المطرود عدو الله ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا﴾ كرها ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ آلى لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿فَدَلاهُمَا﴾ حطهما عما أحلهما الله ﴿بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا﴾ أكلا ﴿الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

=

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ استثناء من غير الجنس. وقيل: من الجنس. وقد اختلف العلماء: هل كان من الملائكة أم لا؛ كما سبق بيانه في "البقرة". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٨/٧).

﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ لعدم السلوك على مسلك أوامرك ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ الأمر لآدم وحواء وعدوهما، أو لآدم وحواء مع أولادهما الأولى حواه كلاهما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ المراد: الأولاد للأولاد ﴿عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وهو حلول الأعمار ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، ورواٍ لسواه.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ أعلى الرداء، أو المراد: الأموال، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ العمل الصالح مردود رده الواو على المعمول المار أو هو مسموك على أول الكلام ومحموله حاصل ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ سلوك للكلام على سوى مسلكه الأول.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال معمول العامل الآم كما ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ أرداؤه ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لما أطاعوهم على ما سولوه لهم ووسوسوه.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[1] كركوعهم إلى ما هو كود وسواع ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ العدل، وهو وسط كل أمر، ﴿وَأَقِيمُوا﴾ مردود رده الواو على ما أدى مؤدى العدل كما لو أمرهم اعدلوا وأموا كل مصلى، ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ وأصلكم العدم ﴿تَعُودُونَ﴾ إلى المعاد.

﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ هم للإسلام، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ والوهم وأطاعوهم لما وسوسوه لهم وسولوه ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد وسواه، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

---

(١) الفاحشة هنا في قول كثر المفسرين طوافهم بالبيت عراة. وقال الحسن: هي الشرك والكفر. واحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم، وبأن الله أمرهم بها. وقال الحسن: ﴿وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه. ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بين أنهم متحكمون، ولا دليل لهم على أن الله أمرهم بما ادعوا. وقد مضى ذم التقليد وذم كثير من جهالاتهم. وهذا منها. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨٧/٧).

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [آية:٣١]:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ المراد ما عم كل رداء وسواه ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ مصلى ومرد المحل وأراد ما هو مؤسس له، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ كل مأكول سوى المحرم وسما وسواه، ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [آية:٣٢ - ٣٤]:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ رداء أو دروعا، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المطاعم كلها لحما ودسما وسواهما ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أصلا، ولو أكلها سواهم ﴿خَالِصَةً﴾ حال، ورواه راوٍ مسموكا على وروده محمولا أو محمولا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ما لها أكل سوى أهل لا إله إلا الله؛ ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ كل عمل صد عامله كالعهر وسواه ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرها وعكسه، ﴿وَالإِثْمَ﴾ كل عمل مكروه لأحد على عامله، وهو للسكر والأول للعهر، ﴿وَالْبَغْيَ﴾ على ولد آدم وهو العدل ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ العدل مؤكد له، ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ كالحكم على أمر مع عدم الدال، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ كالإحلال لما حرم وعكسه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ لحلول ما أوعدهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ ومر عصر إمهالهم ﴿لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ

أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آية:٣٥، ٣٦]:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا﴾ أصله العامل كمهما وما المؤكد ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى﴾ الإلحاد، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ وما أسلموا لها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [آية:٣٧، ٣٩]:

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعاء الأهل والولد له أو ادعاء آله معه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كلامه المكرم الموحى إلى رسوله محمد ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ مما سطر لهم وسط اللوح أموالا وأعمارا وسواهما ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ حاصل العامل والمعمول حال الرسل ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله لهم أو أحد الأملاك ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ حالهم كحالكم أهل إلحاد ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ معمول للأمر المار ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ أدرك كل الأولى سلكوا أولا ووصلوا كلهم ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ﴾ المراد: الأولى أموا للأولى أموا ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ معدد العماهم وإعماهم سواهم ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ لأولئك لما عموا وأعموا

ولهؤلاء لما أموا سواهم وسلكوا مسالكهم وما راعوا الدلائل، ﴿وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ورواه عاصم على الكلام لسوى السامع.

﴿وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ المراد: كلهم على حد سواء ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:٤٠، ٤١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾[1] وما أسلموا لها ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لدعائهم وأعمالهم، أو حال صعود أرواحهم مع الملك، ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾ المعلوم، ورواه راوٍ كدمل، وهو اسم لمسد، وهو مسد الملاح المعد للمرسى وهو أولى ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وحاصل الكلام: حلولهم دار المأوى، والسرور الدائم مرصود إلى سلوك مسد الملاح مسلك السم وهو أمر محال، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ إكلال وأصلها وأصل المهاد واحد، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي بحججنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء وتكبروا عن الإيمان بها لا تفتح لهم أبواب السماء قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر تفتح بالتاء وشددوا التاء الثانية وقرأ أبو عمرو لا تفتح بالتاء خفيفة ساكنة الفاء وقرأ حمزة والكسائي لا يفتح بالياء مضمومة خفيفة وقرأ اليزيدي عن اختياره لا تفتح بتاء مفتوحة أبواب السماء بنصب الباء فكأنه أشار إلى أفعالهم وقرأ الحسن بياء مفتوحة مع نصب الأبواب كأنه يشير إلى الله عز وجل وفي معنى الكلام أربعة أقوال أحدها لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وهو قول أبي موسى الأشعري والسدي في آخرين والأحاديث تشهد به والثاني لا تفتح لأعمالهم رواه العوفي عن ابن عباس والثالث لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم رواه عطاء عن ابن عباس والرابع لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم قاله ابن جريج ومقاتل. انظر زاد المسير (١٩٦/٣).

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آية:٤٢، ٤٣]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا﴾ ما لا عمر لحمله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ محمول على الاسم الموصول.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ الإصرار على السوء لا حد ما ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ المراد: محالهم ﴿الأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لدى وصولهم إلى محلهم ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ مكمل لولا مطروح وداله ما وما أمها ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد، واسمها مطروح أو هو محل المراد ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟

بِـَٔايَـٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلۡنَـٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آية: ٤٤: ٥٣]:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ﴾[1] حكمها حكم العامل المار ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ وهو الإكرام، وحلولهم دار السرور السرمد ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ وهو حلولكم دار الدرك والكدر الدائم ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أعلم معلم أسمعهم، وهل هو الملك مأمور الصور أو سواه الله أعلم ﴿أَنْ﴾ حكمه كالمار أولا واسمه مطروح وهو الهاء ﴿لَعْنَةُ اللهِ﴾ أول كلام أول العامل على أصله عامل مؤكد

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هذا سؤال تقريع وتعيير. ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ مثل ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ أي أنه قد وجدنا. وقيل: هو نفس النداء. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي نادى وصوت؛ يعني من الملائكة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف؛ كما تقول: أعلم وسطهم. وقرأ الأعمش والكسائي: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين وتجوز على هذه اللغة بإسكان العين. قال مكي: من قال ﴿نعِم﴾ بكسر العين أراد أن يفرق بين ﴿نَعَم﴾ التي هي جواب وبين ﴿نعم﴾ التي هي اسم للإبل والبقر والغنم. وقد روي عن عمر إنكار ﴿نَعم﴾ بفتح العين في الجواب، وقال: قل نعم. ونعم ونعم، لغتان بمعنى العدة والتصديق. فالعدة إذا استفهمت عن موجب نحو قولك: أيقوم زيد؟ فيقول نعم. والتصديق إذا أخبرت عما وقع، تقول: قد كان كذا وكذا، فيقول نعم. فإذا استفهمت عن منفي فالجواب بلى نحو قولك ألم أكرمك، فيقول بلى. فنعم لجواب الاستفهام الداخل على الإيجاب كما في هذه الآية. وبلى، لجواب الاستفهام الداخل على النفي؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وقرأ البزي وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾ وهو الأصل. وقرأ الباقون بتخفيف ﴿أَنْ﴾ ورفع اللعنة على الابتداء. فـ ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب على القراءتين على إسقاط الخافض. ويجوز في المخففة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وتكون مفسرة كما تقوم. وحكي عن الأعمش أنه قرأ ﴿إِنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾ بكسر الهمزة؛ فهذا على إضمار القول كما قرأ الكوفيون ﴿فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِنَّ اللهَ﴾ ويروى أن طاوسا دخل على هشام بن عبدالملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان. فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فصعق هشام. فقال طاوس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢١٠).

واسمه، ورواه راوٍ مكسوه الأول ومحموله ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المأمور كل أحد إلى سلوكها، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ عما أسسها الله للأمم ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أهل دار المأوى والسور، وأهل دار الدرك والكدر ﴿حِجَابٌ﴾ سور، ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ﴾ هو السور المسطور ﴿رِجَالٌ﴾ هل هم ملاء ساوى صالح أعمالهم لطالحها لا علو ولا حط كما ورد أو هم أهل السؤدد والمحل الأعلى كالرسل والعلماء أو هم أملاك ﴿يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ﴾ كحور أهل الإسلام وسواد أهل الإلحاد.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ﴾ حكمه حكم الأول ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: سلموا على أهلها والمسلم هم أهل السور ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ (الواو) لأهل السور، و(الهاء) لدار السرور ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الواو) للحال، و(هم) ومحموله حال الواو لو حمل أهل السور على أول المحامل وحال أهل دار المأوى لو حمل على سواه.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ (الهاء) لأهل السور ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا﴾ هم رؤساء أهل الإلحاد ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الأموال أو عددكم، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ما للمصدر.

﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إكمال لكلام أهل السور مع رؤساء أهل الإلحاد الأولى أحلهم الله دار الدرك وحولوا الكلام إلى أهل الإسلام وأمروهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ورواه راوٍ لسوى المعلوم، وراوٍ كعدلوا.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ﴾ حكمها حكم العامل الأول ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ كسائر الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا﴾ ماء دار السرور وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ المراد: ما عملوا له العمل الصالح، ﴿وَمَا﴾ وكما ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ و(ما) للمصدر.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم ﴿بِكِتَابٍ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ وعدا وعكسه ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال ﴿هُدًى﴾ حال الهاء، ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ ما هو عائد له أمره ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ لدى المعاد

﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ هم الأولى ما أسلموا له ولا أطاعوا أوامره ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدار الأولى ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما لهم إلى الهلاك والكدر، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو ادعاؤهم إلها مع الله.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آية: ٥٤ - ٥٦]:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ المراد: مددها لا عددها، ولولاه لما صح الحمل، ولو أراد إصدارها كلمح المرأى أصدرها، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أمره أو هو على مؤدى أراده ما هو معلوم لأحد.

﴿يُغْشِي﴾ رواه راوٍ كأعطى، وراوٍ كسمى ﴿اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ ما أورد عكسه للعلم ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ مسرعا، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ رواه راوٍ مردودا على عدد السماء المار، وراوٍ مسموكا على أول الكلام ومحموله ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ كله لا مالك لهما سواه ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ﴾ ملك ﴿الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال (واو) ادعوا، ﴿وَخُفْيَةً﴾[1] سرا ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ

(١) الظاهر أنّ الدعاء هو مناجاة الله بندائه لطلب أشياء ولدفع أشياء، وقال الزّجاج: المعنى اعبدوا وانتصب ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ على الحال أي متضرّعين ومخفين أو ذوي تضرّع واختفاء في دعائكم وفي الحديث الصحيح (إنكم لستم تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً) وكان الصحابة حين أخبرهم الرسول بذلك قد جهروا بالذكر أمر تعالى بالدعاء مقروناً بالتذلل والاستكانة والاختفاء إذ ذاك ادّعى للإجابة وأبعد عن الرياء والدعاء خفية أفضل من الجهر ولذلك أثنى الله على زكريا عليه السلام فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ وفي الحديث (خير الذّكر الخفي) وقواعد الشريعة مقررة أن السرّ فيما لم يفترض من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر. قال الحسن: أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت إن هو إلا الهمس بينهم =

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ كل واصل إلى وراء ما حد له كرومه الصعود إلى السماء.

﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ كادعاء إله مع الله ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ وهو إرسال الرسل، ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ مما أوعده لكل عاص ﴿وَطَمَعًا﴾ لحصول ما وعده كل طائع؛ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ كعمر، وراوه راوٍ كأمر، وراوٍ موحدا؛ أوله كحكم ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ أمام ﴿رَحْمَتِهِ﴾ المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ أدى مصدره مؤدى الحمل

=

وبين ربهم انتهى ولو عاش الحسن إلى هذا الزمان العجيب الذي ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصّلاح ويتركون الاكتساب ويرتبون لهم أذكاراً لم ترد في الشريعة يجهرون بها في المساجد ويجمعون لهم خداماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم ونتش أموالهم ويذيعون عنهم كرامات ويرون لهم منامات يدوّنونها في أسفار ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنّة ويرون الوصول إلى الله بأمور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولا نبي مرسل ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة ونصب أيديهم للتقبيل وقلّة الكلام وإطراق الرؤوس وتعيين خادم يقول الشيخ مشغول في الخلوة رسم الشيخ قال الشيخ رأى الشيخ الشيخ نظر إليك الشيخ كان البارحة يذكرك إلى نحو من هذه الألفاظ التي يخشون بها على العامة ويجلبون بها عقول الجهلة هذا إن سلم الشيخ وخادمه من الاعتقاد الذي غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فإذ ذاك يكون منسلخاً عن شريعة الإسلام بالكليّة والتعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرّواتب وتبنى لهم الربط وتوقف عليها الأوقاف ويخدمهم الناس في عروهم عن سائر الفضائل ولكن الناس أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم وقد أطلنا في هذا رجاء أن يقف عليه مسلم فينتفع به، وقرأ أبو بكر بكسر ضمة الخاء وهما لغتان ويظهر ذلك من كلام أبي علي ولا يتأتى إلا على ادعاء القلب وهو خلاف الأصل ونقل ابن سيده في المحكم أنّ فرقة قرأت ﴿وَخِيفَةً﴾ من الخوف أي ادعوه باستكانة وخوف. انظر تفسير البحر المحيط (٣١٣/٤).

﴿سَحَابًا ثِقَالا﴾ لحمله المطر ﴿سُقْنَاهُ﴾ (الهاء) عائد للركم ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لا كلأ له، ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ (الهاء) للمحل المعدوم الكلأ، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ (الهاء) للمطر ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ رمله ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا﴾ عسرا ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [آية:٥٩، ٦٤]:

﴿لَقَدْ﴾ (اللام) كلام والله للأمر حاصل ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الراء ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ أهل السؤدد ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ﴾ ورواه راوٍ كأكرمكم ﴿رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ أحد ولد آدم ما هو ملك ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ الله، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ أما حال الموصول أو حال هاء معه أو لا محل له، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى الصدور.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ

مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ
ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟
مُؤْمِنِينَ﴾[1] [آية:٦٥ - ٧٢]:

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملاء ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ لا علم لك ولا حلم ﴿وَإِنَّا

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا. قال ابن عباس أي ابن أبيهم. وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشرا من بني أبيهم آدم. وفي مصنف أبي داود أن أخاهم هودا أي صاحبهم. وعاد من ولد سام بن نوح. قال ابن إسحاق: وعاد هو ابن عوص بن إرم بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. وهود هو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. بعثه الله إلى عاد نبيا. وكان من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا. و﴿عَادٍ﴾ من لم يصرفه جعله اسما للقبيلة، ومن صرفه جعله اسما للحي. قال أبو حاتم: وفي حرف أبي وابن مسعود ﴿عاد الأولى﴾ [النجم: ٥٠] بغير ألف. و﴿هُوداً﴾أعجمي، وانصرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف. وقد يجوز أن يكون عربيا مشتقا من هاد يهود. والنصب على البدل. وكان بين هود ونوح فيما ذكر المفسرون سبعة آباء. وكانت عاد فيما روي ثلاث عشرة قبيلة، ينزلون الرمال، رمل عالج. وكانوا أهل بساتين وزروع وعمارة، وكانت بلادهم أخصب البلاد، فسخط الله عليهم فجعلها مفاوز. وكانت فيما روي بنواحي حضرموت إلى اليمن، وكانوا يعبدون الأصنام. ولحق هود حين أهلك قومه بمن آمن معه بمكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا. ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ أي في حمق وخفة عقل. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٣٥).

لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ **لادعائك ما لا أصل له وهو الإرسال.**

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ **هو أحد ولد آدم ما هو ملك** ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ **ملوكا** ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ **طولا،** ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ **كود وسواع** ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ **دال مصحح للمدعي،** ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ **حلول ما أوعدكم الله وهددكم** ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ **الأولى أسلموا له** ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ **المراد: حصل اصطلامهم كلهم،** ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٣ - ٧٩]:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ المراد: وأرسل، وهو اسم والدهم ولد ولد ولد سام ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملأ

﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ حال عاملها مؤدى ما أومأ وهم سألوه أولا وراموا ورودها لهم، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أحلكم وآواكم ﴿فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ للمأوى حال الحر، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ للمأوى حال عكس الحر ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد لعامله.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وما أسلموا له ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ معمول على مسلك العامل المكرر وهو اللام ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ لكم ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ المهلك لها أحدهم وأورد العمل للكل لأمرهم له، ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هلكى ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1] [آية: ٨٠ - ٨٤]:

---

(١) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: فيه أربع مسائل: الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ قال الفراء: لوط مشتق من قولهم: هذا أليط بقلبي، أي ألصق. وقال النحاس: قال الزجاج زعم بعض النحويين - يعني الفراء - أن لوطا يجوز أن يكون مشتقا من لطت إذا ملسته بالطين. قال: وهذا غلط؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق، فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد. وإنما صرف لوط لخفته لأنه على ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط. قال النقاش: لوط من الأسماء الأعجمية وليس من العربية. فأما لطت الحوض، وهذا أليط بقلبي من هذا، فصحيح. ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية، إلا أنها خفيفة فلذلك =

=

صرفت. بعثه الله تعالى إلى أمة تسمى سدوم، وكان ابن أخي إبراهيم. ونصبه إما بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ المتقدمة فيكون معطوفا. ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى واذكر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني إتيان الذكور. ذكرها الله باسم الفاحشة ليبين أنها زنى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]. واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه؛ فقال مالك: يرجم؛ أحصن أو لم يحصن. وكذلك يرجم المفعول به إن كان محتلما. وروي عنه أيضا: يرجم إن كان محصنا، ويحبس ويؤدب إن كان غير محصن. وهو مذهب عطاء والنخعي وابن المسيب وغيرهم. وقال أبو حنيفة: يعزر المحصن وغيره؛ وروي عن مالك. وقال الشافعي: يحد حد الزنى قياسا عليه. احتج مالك بقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]. فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم. فإن قيل: لا حجة فيها لوجهين؛ أحدهما - أن قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم. الثاني: أن صغيرهم وكبيرهم دخل فيها؛ فدل على خروجها من باب الحدود. قيل: أما الأول فغلط؛ فإن الله سبحانه أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فأخذهم بها؛ منها هذه. وأما الثاني فكان منهم فاعل وكان منهم راض، فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه. وهي حكمة الله وسنته في عباده. وبقي أمر العقوبة على الفاعلين مستمرا. والله أعلم. وقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والدارقطني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به". لفظ أبي داود وابن ماجه. وعند الترمذي "أحصنا أو لم يحصنا". وروى أبو داود والدارقطني عن ابن عباس في البكر يوجد على اللوطية قال: يرجم. وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرق رجلا يسمى الفجاءة حين عمل عمل قوم لوط بالنار. وهو رأي علي بن أبي طالب؛ فإنه لما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر في ذلك جمع أبو بكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستشارهم فيه؛ فقال علي: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما علمتم، أرى أن يحرق بالنار. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرق بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار فأحرقه. ثم أحرقهم ابن الزبير في زمانه. ثم أحرقهم هشام بن الوليد. ثم أحرقهم خالد القسري بالعراق. وروي أن سبعة أخذوا في زمن ابن الزبير في لواط؛ فسأل عنهم فوجد أربعة قد أحصنوا فأمر بهم فخرجوا بهم من الحرم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا، وحد الثلاثة؛ وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه. وإلى هذا ذهب الشافعي. قال ابن العربي: والذي صار إليه مالك أحق، فهو أصح سندا وأقوى معتمدا. وتعلق الحنفيون بأن قالوا: عقوبة الزنى معلومة؛ فلما كانت هذه المعصية غيرها وجب ألا يشاركها في حدها. ويأثرون في هذا حديثا: "من وضع حدا في غير حد فقد تعدى وظلم". وأيضا فإنه وطء في فرج لا يتعلق به إحلال ولا إحصان، ولا وجوب مهر ولا ثبوت نسب؛ فلم يتعلق به حد. الثالثة: فإن أتى بهيمة فقد قيل: لا يقتل هو ولا البهيمة. وقيل: يقتلان؛ حكاه ابن المنذر عن أبي سلمة بن عبدالرحمن. وفي الباب حديث رواه أبو داود والدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله

=

﴿وَلُوطًا﴾ **معمول لعامل مطروح أما أرسل أو أورد** ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ﴾ **مؤكد لا مؤدى له سواه** ﴿أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ﴾ **ورواه راوٍ مطروح الأول** ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ **هو الوصول إلى وراء ما حد.**

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ **(الهاء) للوط والأولى معه** ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ **الأولى أسلموا له** ﴿إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ **مع الأولى أهلكهم الله،** ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ **مطر حصى مهلك لهم لا مطر ماء** ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم

=

صلى الله عليه وسلم: "من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه". فقلنا لابن عباس: ما شأن البهيمة؟ قال: ما أراه قال ذلك، إلا أنه كره أن يؤكل لحمها وقد عمل بها ذلك العمل. قال ابن المنذر: إن يك الحديث ثابتا فالقول به يجب، وإن لم يثبت فليستغفر الله من فعل ذلك كثيرا، وإن عزره الحاكم كان حسنا. والله أعلم. وقد قيل: إن قتل البهيمة لئلا تلقي خلقا مشوها؛ فيكون قتلها مصلحة لهذا المعنى مع ما جاء من السنة. والله أعلم. وقد روى أبو داود عن ابن عباس قال: ليس على الذي زنى بالبهيمة حد. قال أبو داود: وكذا قال عطاء. وقال الحكم: أرى أن يجلد ولا يبلغ به الحد. وقال الحسن: هو بمنزلة الزاني. وقال الزهري: يجلد مائة أحصن أو لم يحصن. وقال مالك والثوري وأحمد وأصحاب الرأي يعزر. وروي عن عطاء والنخعي والحكم. واختلفت الرواية عن الشافعي، وهذا أشبه على مذهبه في هذا الباب. وقال جابر بن زيد: يقام عليه الحد، إلا أن تكون البهيمة له. الرابعة: قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿مِنَ﴾ لاستغراق الجنس، أي لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط. والملحدون يزعمون أن ذلك كان قبلهم. والصدق ما ورد به القرآن. وحكى النقاش أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه لعنه الله، فكان ينكح بعضهم بعضا. قال الحسن: كانوا يفعلون ذلك بالغرباء، ولم يكن يفعله بعضهم ببعض. وروى ابن ماجه عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط". وقال محمد بن سيرين: ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط إلا الخنزير والحمار. انظر الجامع في أحكام القرآن (٧/٢٤٢).

مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ
ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى
مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ
وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ
عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ
قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [آية:٨٥ - ٩٣]:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ **المراد: وأرسل** ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ **لهم** ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ **أراد: الدال على إرساله وما صرح وسط الكلام المكرم ما هو ولا هو معلوم،** ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ **إلحادا** ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ **وإرسال الرسل، وحصول ما أسسوه ومهدوه للأمم** ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ **مسلك** ﴿تُوعِدُونَ﴾ **كل أحد أراد السلوك على مسلك أوامر الرسول، أو المراد: لروم المكس،** ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ **الأمر المؤسس للعالم** ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ **الاسم الموصول معمول لصد،** ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلا﴾ **عددكم أو عددكم،** ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ **أموالا وأولادا وعددا وعددا،** ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ **الأمم الأولى مر عصرهم أولا لما ما أطاعوا أوامر رسلهم هل**

عاد أمرهم إلى الهلاك والدمار أم لا.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا﴾ وحكمه إعلاء أهل الإسلام وإهلاك عكسهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعد لهم.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[1] راموا عودهم كلهم مع الرسول والرسول ما سلك مسلكهم أصلا لما عاملوا للواحد وهو رسولهم كما عاملوا العدد وهم أهل الإسلام ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ العود إلى الإلحاد أو المراد: حسم طمعهم عودهم إلى مسلكهم، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط عمله وحوى الكل مما حصل وما هو حاصل ﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ﴾ اللام موطئ ﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ العامل المؤكد وما معه ساد مسد مكمل ما وطأ اللام والعامل الآم لها، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هلكى.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ الاسم الموصول مسموك المحل على أول الكلام ومحموله حاصل ﴿كَأَنْ﴾ هم ﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (الهاء) للدار ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ كرره مؤكدا للرد.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ المراد: لا آسى.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به طائفة لم يؤمنوا﴾ أي إن أختلفتم في رسالتي فصرتم فريقين مصدقين ومكذبين فاصبروا حتى يحكم الله بيننا بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين وهو خير الحاكمين لأنه العدل الذي لا يجور. انظر زاد المسير (٣/ ٢٣٠).

فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية:٩٤، ٩٥]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ وما أسلموا له ﴿إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ العدم، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الداء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ الآلام وهو العدم والداء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ عكسهما وهو المال وعدم الداء، ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ العدم هو حال الدهر مع أهله وداموا على سوء مسراهم، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آية:٩٦ - ١٠٢]:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا﴾ أسلموا لله ولرسلهم الأولى أرسلوا، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ كل إلحاد ﴿لَفَتَحْنَا﴾ رواه راوٍ كمدح، وراوٍ كهدد ﴿بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر المدر، ﴿وَالأرْضِ﴾ لحصول الكلاء، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرسل، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ مساء ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ولا علم لهم ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ إعطاءه الآلا وإهلاكهم ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ﴾ إهلاك ﴿أَهْلِهَا أَنْ﴾ هو العامل المؤكد واسمه مطروح ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما حصل للأولى مر سردهم، ﴿وَنَطْبَعُ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ **كل دال على الهدى سماع إدراك.**

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ **الكلام إلى الرسول محمد** ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ **الدوال على الإرسال،** ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ **وداموا على سوء مسراهم؛** ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ﴾ **(الهاء) للأمم المار حكمها** ﴿مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ﴾ **هو العامل المؤكد** ﴿وَجَدْنَا﴾ **المراد: العلم** ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
(١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ
مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦)
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨)
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ
سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ
(١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ
ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
(١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ (١١٩)
وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢)
قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ

﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [آية: ١٠٣ - ١٢٩]:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾(١) (الهاء) للرسل ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ آل أمرهم إلى الهلاك.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لك أو لك وللأولى معك كما هو داله سرد الملاء.

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: لما قصّ الله تعالى على نبيه أخبار نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما آل إليه أمر قومهم وكان هؤلاء لم يبقَ منهم أحد أتبع بقصص موسى وفرعون وبني إسرائيل إذ كانت معجزاته من أعظم المعجزات وأمته من أكثر الأمم تكذيباً وتعنتاً واقتراحاً وجهلا وكان قد بقي من اتباعه عالم وهم اليهود فقصّ الله علينا قصصهم لنعتبر ونتعظ وننزجر عن أن نتشبه بهم، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ بين موسى وشعيب عليهما السلام مصاهرة كما حكى الله في كتابه ونسب لكونهما من نسل إبراهيم ولما استفتح قصة نوح بأرسلنا بنون العظمة اتبع ذلك قصة موسى فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا، والضمير في مّن بَعْدِهِمْ عائد على الرسل من قوله ﴿ولَقَدِ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أو للأمم السابقة والآيات الحجج التي آتاه الله على قومه أو الآيات التسع أو التوراة أقوال وتعدية فظلموا بالباء إما على سبيل التضمين بمعنى كفروا بها ألا ترى إلى قوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وإما أن تكون الباء سببية أي ظلموا أنفسهم بسببها أو الناس حيث صدوهم عن الإيمان أو الرسول فقالوا سحر وتمويه أقوال، وقال الأصم: ظلموا تلك النعم التي آتاهم الله بأن استعانوا بها على معصية الله تعالى فانظرو أيها السامع ما آل إليه أمر المفسدين الظالمين جعلهم مثالا توعد به كفرة عصر الرسول عليه السلام. انظر تفسير البحر المحيط (٤/ ٣٥٥).

﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾ وراوٍ كرر ما أم لام على وهو المعمول، و﴿أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلا الْحَقَّ﴾ مصدر محمول ما أمه على ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿قَالَ﴾ لموسى ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ أمره ساطع، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ على عكس حالها الأول وهو السمار.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ هو، وأهل السؤدد ﴿مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ماهر ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ ورواه راوٍ كأروه هاوى الهاء، ورواه ولد عامر كأكرمه وكسر هاءه، ﴿وَأَخَاهُ﴾ المراد: أمهل أمرهما، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وروى راوٍ: سحار محل ساحر، ﴿عَلِيمٍ﴾ أصول السحر كموسى.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ﴾ ورواه راوٍ مع العامل المؤكد وحده ﴿لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ﴾ لكم ما ملكم، ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ مع المآمل المحرر ﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ ما معكم ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ حولوا إدراكها، ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ روعوهم، ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما موهوه مما لا أصل له، ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو سحرهم.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ وحط سؤددهم وأمرهم، والهاء عائد إلى عدو موسى وملأه.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ حملهم إلهام الله على الركوع لموسى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ﴾ وسهل راوٍ أوله ﴿بِهِ﴾ (الهاء) لموسى أو لله والأولى أولى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مصر ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل أمر عملكم ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ لد المعاد ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ المراد: دوام الإسلام إلى ورود حمامه.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ لدعائهم الأمم إلى سواك، ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ رواه راوٍ كسلك، وراوٍ كهدد ﴿أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ مراده كعمله الأول، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما سمعوا كلام أعدائهم وما أرادوه لهم ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾ على ما أصروه أو على عملهم ﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود أمرها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ هو إهلاك أولادهم، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ لما أعادوه لهم ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: هو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ
إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ
ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ
وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ
يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آية:١٣٠ - ١٤١]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾[١] **المحل لعدم الأمطار والأمواه،** ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ **عدم المحل وحصول المحصود** ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ **مرادهم: هم أهل لها،** ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ **محل وعدم كلاء ومحصود** ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ **ما أدى له، وهو سوء أعمالهم** ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ **محرر ومعلوم،** ﴿وَقَالُوا﴾ **لموسى** ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ **ماء حل دورهم ووصل إلى حد رؤوسهم،** ﴿وَالْجَرَادَ﴾ **أكل كلأهم ومحصودهم،** ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ **أولاده أو هو السوس،** ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ **ملأ دورهم وطعامهم،** ﴿وَالدَّمَ﴾ **صار ماؤهم كله دما** ﴿آيَاتٍ﴾ **حال** ﴿مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ **ما أراد حلوله على أعدائه** ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ **(ما) للمصدر، وهو الإرسال أو اسم موصول، وهو عدم رد دعاء**

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ يعني الجدوب. وهذا معروف في اللغة؛ يقال: أصابتهم سنة، أي جدب. وتقديره جدب سنة. وفي الحديث: "اللهم جعلها عليهم سنين كسني يوسف". ومن العرب من يعرب النون في السنين

وحكى الفراء عن بني عامر أنهم يقولون: أقمت عنده سنينا يا هذا؛ مصروفا. قال: وبنو تميم لا يصرفون ويقولون: مضت له سنين يا هذا. وسنين جمع سنة، والسنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول. ومنه أسنت القوم أي أجدبوا. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٦٤).

موسى ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ لدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ إلى حد عصر هلاكهم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهودهم إلى موسى، وما آلوا على عمل، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ الملح ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ما سلكوا مسالكها.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ لملكهم لهم وإهلاكهم أولادهم ﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ ماء وكلا ووسع ما كل ومحصود، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ كعمار الدور وسواها، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾كروما وسواها، ورواه راوٍ مكسور الراء.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾ مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ ورواه مكسور الوسط ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لما أحلوا محل حمد الله على آلائه روم ركوعهم إلى سواه.

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ومدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أروم لكم ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ على عالم عصرهم.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ورواه راوٍ كأعلاكم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ
وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ
﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي
وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ
جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ

ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آية:١٤٢ - ١٤٧]:

﴿وَوَاعَدْنَا﴾ ورواه والد عمرو: (ووعد) مع معموله ﴿مُوسَى﴾ صوم ﴿ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ ولدى كمال صومها مكلمه مولاه ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ مما أمه المحرم، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ لهم أمورهم، ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ مسلكهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ كلاما سمعه، وهل سمع موسى كلام الله أو داله وأورد كلم لعدم الوسائط ملكا أو سواه، وهو أولى لإدراك كل أحد ما أكرم الله موسى وأولاه وحمله على الأول إدراك ولد آدم له أمر محال، ولو سلم حمله على الأول لأدى إما إلى حلول كلام الله حواس موسى وهو حلول ما لا عدم له محلا أوله عدم، وإما إلى وروده عصرا ما وحسمه، وهو دال عدم الدوام وكلاهما أمر محال.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ما سأل موسى أمر محالا ولو محالا لما سأله، وهل رأى الله أحد أم لا حكى رهط حصوله للرسول الأكرم محمد ورد ما حكاه سواهم وحصر حصوله لدى المعاد.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[1] لعدم حملك لها، ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ وهو أحمل ﴿فَإِنِ

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ أي في الدنيا. ولا يجوز الحمل على أنه أراد: أرني آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك؛ لأنه قال ﴿إِلَيْكَ﴾ و﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾. ولو سأل آية لأعطاه الله ما سأل، كما أعطاه سائر الآيات. وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى؛ فبطل هذا التأويل. ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنيته وأثبت. أي فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن =

اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ وإلا لا.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ وأعطاه إدراكا ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ صار مدكوكا مهدوما، ورواه راوٍ: دكاء ممدودا ومؤداهما واحد، ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ لهول ما رأى، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ لصد وسؤال مع عدم الأمر ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد: مسلمو عصره أو أول مسلم لعدم حصولها وسط الدار الأولى.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ أهل عصرك ﴿بِرِسَالاتِي﴾ ورواه راوٍ على الواحد لا العدد، ﴿وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على الآلاء.

=

فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي. وذكر القاضي عياض عن القاضي أبي بكر بن الطيب ما معناه: أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا، وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له. واستنبط ذلك من قوله: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾. ثم قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ وتجلى معناه ظهر؛ من قولك: جلوت العروس أي أبرزتها. وجلوت السيف أبرزته من الصدأ؛ جلاء فيهما. وتجلى الشيء انكشف. وقيل: تجلى أمره وقدرته؛ قاله قطرب وغيره. وقراءة أهل المدينة وأهل البصرة ﴿دَكّاً﴾؛ يدل على صحتها ﴿دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ [الفجر: ٢١] وأن الجبل مذكر. وقرأ أهل الكوفة ﴿دَكَّاءَ﴾ أي جعله مثل أرض دكاء، وهي الناتئة لا تبلغ أن تكون جبلا. والمذكر أدك، وجمع دكاء دكاوات ودك؛ مثل حمراوات وحمر. قال الكسائي: الدك من الجبال: العراض، واحدها أدك. غيره: والدكاوات جمع دكاء: رواب من طين ليست بالغلاظ. والدكادك كذلك من الرمل: ما التبد بالأرض فلم يرتفع. وناقة دكاء لا سنام لها. وفي التفسير: فساخ الجبل في الأرض؛ فهو يذهب فيها حتى الآن. وقال ابن عباس: جعله ترابا. عطية العوفي: رملا هائلا. ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ أي مغشيا عليه؛ عن ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: ميتا؛ يقال: صعق الرجل فهو صعق. وصعق فهو مصعوق. وقال قتادة والكلبي: خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة، وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر. ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال مجاهد: من مسألة الرؤية في الدنيا. وقيل: سأل من غير استئذان؛ فلذلك تاب. وقيل: قال على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات. وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية؛ فإن الأنبياء معصومون. وأيضا عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة. وعند المبتدعة سأل لأجل القوم ليبين لهم أنها غير جائزة، وهذا لا يقتضي التوبة. فقيل: أي تبت إليك من قتل القبطي؛ ذكره القشيري. وقد مضى في "الأنعام" بيان أن الرؤية جائزة. قال علي بن مهدي الطبري: لو كان سؤال موسى مستحيلا ما أقدم عليه مع معرفته بالله؛ كما لم يجز أن يقول له يا رب ألك صاحبة وولد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٧٩).

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا﴾ (الهاء) إلى ألواح، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ مصر.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ ما دل على الله وإرسال الرسل ﴿لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى الموصل إلى الله ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا﴾ مسلكا لهم، ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ عكس الهدى وهو العمى والإلحاد ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا﴾ مسلكا لهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ما سلكوا مسالكها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ أمر المعاد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه كوصل الرحم وسواه لعدم الإسلام ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: إلا عملهم.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [آية:١٤٨ - ١٥٤]:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ هو ما أعاره لهم أهل مصر لدعوى العرس، أو هو ما ملكوه لما أهلك الله عدو موسى وملأه، ﴿عِجْلا﴾ عمله لهم لا

مساس، ﴿جَسَدًا﴾ **لحما ودما،** ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ **مسموع ومكمل العامل مطروح وهو إلها،** ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ﴾ **إلها لهم،** ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ **المراد: حسروا على ركوعهم له،** ﴿وَرَأَوْا﴾ **علموا** ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ **لما عاد موسى** ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ﴾ **لهم** ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ **طرحها ولما طرحها حصل لها الكسر،** ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ **مسكا** ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ **ورواه راوٍ مكسورا** ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي﴾ **معدودا** ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ **إلها** ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ **وحصل لما أمرهم الله إهلاكا لأرواحهم،** ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ **على الله وهو ادعاؤهم هو إلههم وإله موسى.**

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ **عادوا إلى الله** ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ **(الهاء) للعمل الدال له عملوا،** ﴿وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ **هدأ** ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ **ما حرر وسطها** ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ

ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١) [آية: ١٥٥، ١٥٧]:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ **على الطرح لعامل والوصل لعامل سواه** ﴿سَبْعِينَ رَجُلا﴾ **وهم الأولى ما ركعوا لما عمل لا مساس** ﴿لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ **حرك الله محالهم وروعهم لما داموا مع الأولى ركعوا لما عمل لا مساس.**

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ﴾ **ما** ﴿هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ﴾ **لما أسمعهم كلامه وطمعوا إلى حصول المرأى** ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ **عدم هداه،** ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ **هداه** ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا﴾ **هاد كعاد، والمراد: عودهم إلى الله وروعهم محو ما صدر** ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ **الله** ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ **أهل الإسلام وعكسهم، والمراد: حال الدار الأولى،** ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ **لدى المعاد** ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ **محمدًا صلى الله على روحه وسلم** ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ **اسما ووسما** ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ **مما حرم كالدسم وسواه،** ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿واختار موسى قومه﴾ المعنى اختار من قومه فحذف من تقول العرب اخترتك القوم أي اخترتك من القوم هذا قول ابن قتيبة والفراء والزجاج وفي هذا الميقات أربعة أقوال: أحدها أنه الميقات الذي وقته الله لموسى ليأخذ التوراة أمر أن يأتي معه بسبعين رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال نوف البكالي والثاني أنه ميقات وقته الله تعالى لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ليدعو ربهم فدعوا فقالوا اللهم أعطنا ما لم تعط أحدا قبلنا ولا تعطيه أحدا بعدنا فكره الله ذلك وأخذتهم الرجفة رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والثالث أنه ميقات وقته الله لموسى لأن بني إسرائيل قالوا له إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين ثم ارتق بهم على الجبل انت وهارون واستخلف يوشع بن نون ففعل ذلك قاله وهب بن منبه والرابع أنه ميقات وقته الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل فيعتذر إليه من فعل عبدة العجل قاله السدي وقال ابن السائب كان موسى لا يأتي إلا بإذن منه. انظر زاد المسير (٢٦٨/٣).

﴿الْخَبَائِثَ﴾ ككل هالك لحاله وما أهل دمه على سوى اسم الله، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ المراد: كل أمر حمله عسر كإهلاك الروح لدى الهود إلى الله وروم محو ما صدر، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٨]:

﴿قُلْ﴾ الأمر للرسول محمد ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ ورد الكلام عاما لحصول إرساله إلى العموم، وإرسال سائر الرسل إلى أممهم وحدهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ كلامه المكرم، أو كل كلام موحى إلى الرسل الأول، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [آية:١٥٩ - ١٦٢]:

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [1] حكما، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ

(١) قال القرطبي: أي يدعون الناس إلى الهداية. و﴿يَعْدِلُونَ﴾ معناه في الحكم. وفي التفسير: إن هؤلاء قوم من وراء الصين، من وراء نهر الرمل، يعبدون الله بالحق والعدل، آمنوا بمحمد وتركوا =

﴿عَشْرَةَ﴾ حال، وحمل على واحد الأمم ﴿أَسْبَاطًا﴾ معمول على مسلك العامل المكرر، ﴿أُمَمًا﴾ كالمعمول المار، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ لما صاروا لدى المحل المطهر ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عددهم ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ لرد الحر، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ طائر معلوم، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما عصوا الأمر ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمآل سوء أعمالهم لهم.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ المحل المطهر، ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ دعاء مؤداه حط سوء أعمالهم، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعا ﴿نَغْفِرْ﴾ ورواه راوٍ على الحمل على ما أمه ولسوى المعلوم ﴿لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ حولوا الكلام إلى كلم سواه وراموا ما كلا وسلكوها على حال سوى الركوع، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

=

السبت، يستقبلون قبلتنا، لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منا إليهم أحد. فروي أنه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت منهم أمة يهدون بالحق، ولم يقدروا أن يكونوا بين ظهراني بني إسرائيل حتى أخرجهم الله إلى ناحية من أرضه في عزلة من الخلق، فصار لهم سرب في الأرض، فمشوا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا وراء الصين؛ فهم على الحق إلى الآن. وبين الناس وبينهم بحر لا يوصل إليهم بسببه. ذهب جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم إليهم ليلة المعراج فآمنوا به وعلمهم سورا من القرآن وقال لهم: هل لكم مكيال وميزان؟ قالوا: لا، قال: فمن أين معاشكم؟ قالوا: نخرج إلى البرية فنزرع، فإذا حصدنا وضعناه هناك، فإذا احتاج أحدنا إليه يأخذ حاجته. قال: فأين نساؤكم؟ قالوا: في ناحية منا، فإذا احتاج أحدنا لزوجته صار إليها في وقت الحاجة. قال: فيكذب أحدكم في حديثه؟ قالوا: لو فعل ذلك أحدنا أخذته لظى، إن النار تنزل فتحرقه. قال: فما بال بيوتكم مستوية؟ قالوا لئلا يعلو بعضنا على بعض. قال: فما بال قبوركم على أبوابكم؟ قالوا: لئلا نغفل عن ذكر الموت. ثم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا ليلة الإسراء أنزل عليه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] يعني أمة محمد عليه السلام. يعلمه أن الذي أعطيت موسى في قومه أعطيتك في أمتك. وقيل: هم الذين آمنوا بنبينا محمد عليه السلام من أهل الكتاب. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه، ولم يبدلوا ولم يقتلوا الأنبياء. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/٧).

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [آية:١٦٣ - ١٧١]:

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ الأمر لمحمد رسوله والهاء للهود ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ المراد: ساحله لدى الطور ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ العدو عكس العدل، وهو الوصول إلى وراء ما حده الله ورسله ﴿فِي السَّبْتِ﴾ لما اصطادوا السمك ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ سمكهم ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ على أعلا الماء حال، ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ كالأحد وسواه ﴿لا تَأْتِيهِمْ﴾ أسماكهم كورودها الأول ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ﴾ مردود رده الواو على الاسم الأول ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ وهم الأولى ما صادوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ الأولى سئلوا ردا

للسائل ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ والمراد: لعدم ورود ملام على الأولى ما اصطادوا لعدم ردعهم الأولى صادوا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ المراد: ما له وهو عدم العمل ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ما هداهم له صلحاؤهم ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ مردوا ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وصادوها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص أوامره، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لكل طائع لها، ﴿رَحِيمٌ﴾ لحاله.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ الآلاء وعكسها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم سالكوه.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ محركه للصالح وعكسه لعكسه ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ الدار الأولى، والمراد: حطامها حلالا وحراما، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حالهم حال المصر على سوء عمله ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ العهود الأولى حواها، ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ مردود رده الواو على معمول (ألم)، ومما حواه عدم محو الله سوء الأعمال مع الإصرار، ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى المكلم.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ كولد سلام ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ والعامل المؤكد وما معه محمول الاسم الموصول.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾[1] [آية: ١٧٢ - ١٧٤]:

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ أي واذكر لهم مع ما سبق من تذكير =

=

المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر. وهذه آية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها، فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه فقال قوم: معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ دلهم بخلقه على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا. ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي قال. فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم؛ كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ذهب إلى هذا القفال وأطنب. وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وإنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها. قلت: وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذين القولين، وأنه تعالى أخرج الأشباح فيها الأرواح من ظهر آدم عليه السلام. وروى مالك في موطئه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون". فقال رجل: ففيم العمل؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار". قال أبو عمر: هذا حديث منقطع الإسناد؛ لأن مسلم بن يسار لم يلق عمر. وقال فيه يحيى بن معين: مسلم بن يسار لا يعرف، بينه وبين عمر نعيم بن ربيعة، ذكره النسائي، ونعيم غير معروف بحمل العلم. لكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم. روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل رجل منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال يا رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا؟ فقال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم عليه السلام جاءه ملك الموت فقال أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته". في غير الترمذي: فحينئذ أمر بالكتاب والشهود. في رواية: فرأى فيهم الضعف والغني والفقير والذليل والمبتلى والصحيح. فقال له آدم: يا رب، ما هذا؟ ألا سويت بينهم! قال: أردت أن أشكر. وروى عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس". وجعل الله

=

﴿وَإِذْ﴾ معمول لا ورد مطروح ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ رواه راوٍ على العدد، وراوٍ على الواحد وأهلهم للكلام وأعطاهم الإدراك، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ ورواها راوٍ لسوى السامع؛ ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم سلكوا على مسلكهم، ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ مرادهم والدوهم.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هو إلحاد.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٧٥ - ١٧٨]:

﴿وَاتْلُ﴾ الأمر لمحمد رسوله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ هو أحد علماء الهود سأله ملاؤه الدعاء على موسى والأولى معه وألحوا ولما دعا عاد الدعاء له، ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ وسلك مسالك هواه، ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ أدركه ﴿الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى محل العلماء ﴿بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ آوى ومال ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ إلى حطامها، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ لما دعاه لها ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ طارد له ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ دائما هو حاله ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على الهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ رده الواو على وصل

=

لهم عقولا كنملة سليمان، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا إله غيره. فأقروا بذلك والتزموه، أعلمهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣١٦/٧).

الاسم الموصول.

﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ **(الهاء) العائد على الاسم الموصول مطروح** ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [آية:١٧٩]:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ هم **أهل الإصرار على الإلحاد** ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ **الهدى،** ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ **دلائله،** ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ **الأوامر والحكم سماع إدراك وعمل** ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾ **لعدم إدراكهم** ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ **لعلمها صالحها وهؤلاء ما عملوه،** ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ **المراد كاملوها.**

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [آية:١٨٠]:

﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ **سموه** ﴿بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ **الحد ولحد مال** ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ **لما أوردوها لسواه كود، وأصله الودود** ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **لدى المعاد.**

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [آية:١٨١ - ١٨٦]:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١) حكماً وهم أهل الإسلام الأولى أسلموا لرسوله محمد.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى لرسوله وهم أهل الحرم الحرام؛ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ الإملاء هو الإمهال ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد ﴿مِنْ جِنَّةٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ مما لا حصر له، وكله دال على الواحد الحد، ﴿وَأَنْ﴾ أما أصلها العامل المؤكد، واسمها الهاء مطروح، وأما للمصدر ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الهاء للكلام المكرم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ ورواه راوٍ على وروده للمكرم لا محرك، وعلى الأول محرك ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمى للصدر كالعمى للمرأى.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [آية:١٨٧، ١٨٨]

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ السائل أهل الحرم ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ على أهلهما

---

(١) قوله تعالى﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق﴾ أي يعملون به وبه يعدلون أي وبالعمل به يعدلون وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال أحدها أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة قاله ابن عباس وكان ابن جريج يقول ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه أمتي بالحق يأخذون ويعطون ويقضون وقال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تلا هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها ثم يقرأ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والثاني أنهم من جميع الخلق قاله ابن السائب والثالث أنهم الأنبياء والرابع أنهم العلماء ذكر القولين الماوردي. انظر زاد المسير (٣/٢٤٩).

لهولها ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾ على عدم علم ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ سأل وعالم أمرها حد العلم ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ﴾ كرره مؤكدا للحكم المار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ حصر علم أمرها لله.

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أحصله، ﴿وَلا ضَرًّا﴾ أرده ﴿إِلا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلا نَذِيرٌ﴾ لكل ملحد، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ لكل مسلم ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [آية:١٨٩ - ١٩٣]:

﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا﴾ هو الماء ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ لعدم عسر حمله، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صار ولدا وعسر حمله ﴿دَعَوَا﴾ آدم وحواء ﴿اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولدا ﴿صَالِحًا﴾ رسمه ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولدا ﴿صَالِحًا جَعَلا﴾ المراد: أولادهما لا آدم وحواء ﴿لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه لا مالك ولا إله إلا هو ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ معه ﴿مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لكل راكع لهم ﴿نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإلحاد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ الإسلام لا يتبعوكم ورواه راوٍ كعلم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ لعدم إدراكهم وسماعهم لدعائكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟

لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [آية:١٩٤، ١٩٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ﴾ كلهم مملوك ﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ المراد: ما لهم حواس ومعدوم الحواس هل هو صالح إلها لا ﴿قُلِ﴾ الأمر لمحمد رسوله ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ﴾ أروم الإمهال.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آية:١٩٦ - ٢٠٠]:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾[1] الكلام المكرم ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ (الهاء) للصور الأولى ركعوا لها ﴿إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا﴾ دعاءكم، ﴿وَتَرَاهُمْ﴾ الكلام مع الرسول والهاء للصور ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ كواحد له مرأى ﴿وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ أي الذي يتولى نصري وحفظي الله. وولي الشيء: الذي يحفظه ويمنع عنه الضرر. والكتاب: القرآن. ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي يحفظهم. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير مرة يقول: "ألا إن آل أبي - يعني فلانا - ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين". وقال الأخفش: وقرئ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ يعني جبريل. النحاس. هي قراءة عاصم الجحدي. والقراءة الأولى أبين؛ لقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٢/٧).

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ سهل الأمور ودع عسرها، ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ عاملهم كالكرماء والحكم المسطور حاو للمكارم كلها.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ كما لو وسوس لك وحملك على سوى العمل المسطور ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامك، ﴿عَلِيمٌ﴾ صلاح أمرك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٢٠١ - ٢٠٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ ورواه راوٍ كطائر، والمراد: لمم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ أوامر الله وروادعه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ما دلهم الله على سلوكه.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ (الهاء) للموسوس ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم الحرام ﴿بِآيَةٍ﴾ مما سألوك ﴿قَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ كسواها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[1] [آية: ٢٠٤]:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ الأمر لكل الأحوال ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

---

(١) قوله تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة المكتوبة فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس والثاني أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى فيقول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن المسيب والثالث أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قرأ هو فنزلت هذه الآية قاله الزهري والرابع أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت فيجيء الرجل فيقول لصاحبه كم صليتم فيقول كذا وكذا فنزلت هذه الآية قاله قتادة والخامس أنها نزلت تأمر بالإنصات للامام في الخطبة يوم الجمعة روي عن عائشة وسعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار في آخرين. انظر زاد المسير (٣١٣/٣).

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [آية:٢٠٥]:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ **سرًّا وهو أمر عم كل دعاء** ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ روعا مما أوعده كل عاص، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ **كلام وسط لا سر كامل ولا عكسه** ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ **الأوائل** ﴿وَالآصَالِ﴾ **عكسها**، ﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦﴾ [آية:٢٠٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ **وهم الأملاك** ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ﴾ **معمول أمه عالمه للحصر** ﴿يَسْجُدُونَ﴾ **لا سواه.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنفال

مدنيه، وآيها ست وسبعون

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية:١ - ٤]:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾(١) المراد: أحكامها ومحل إعطائها وأهلها ﴿قُلِ الأَنْفَالُ﴾ أمرها ﴿لِلهِ وَالرَّسُولِ﴾ وحكمها له، وهو مسهمها على أمر الله أوحاه الله لما ادعى أهل

---

(١) مؤذن بأن المسلمين لم يعلموا ماذا يكون في شأن المسمى عندهم (الأنفال) وكان ذلك يومَ بدر، وأنهم حاوروا رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذلك، فمنهم من يتكلم بصريح السؤال، ومنهم من يخاصم أو يجادل غيره بما يؤذن حاله بأنه يتطلب فهْماً في هذا الشأن، وقد تكررت الحوادث يومئذ: ففي صحيح مسلم، وجامع الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر أصبت سيفاً لسعيد بن العاصي فأتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلْنيهِ، فقال: ضعه في القَبَض، ثم قلت: نفلنيه فقال ضعْه حيثُ أخذته، ثم قلت: نفلنيه فقال: ضعه من حيث أخذته، فنزلت ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ وفي أسباب النزول للواحدي، وسيرة ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت، أنه سئل عن الأنفال فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلتْ حين اختلفنا في النفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقُنا فرده على رسوله فقسمه بيننا على بواء يقول على السواء، وروى أبو داود، عن ابن عباس، قال: لما كان يومُ بدر ذهب الشبان للقتال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم فقال الشيوخ: لا تستأثرون علينا فانا كنا تحت الرايات ولو أنهزمتم لكنا ردءاً لكم، واختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾. انظر التحرير والتنوير (٩/٢٤٨)

الهرم كلها لهم، وادعى الكهول كلها لهم وسهمها رسول الله لهما على السواء، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أحوالكم وسلموا الأمور إلى الله ورسوله، ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أكمله.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ﴾ ما أوعده لكل عاص ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ المراد: إسراعا للسلوك على مسلك أوامره، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا على سواه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ كما أمروا، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ محال وسط دار السرور الدائم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [آية:٥، ٦]:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (كما) محمول على أول كلام مطروح وحاصله الأمر المحرر مع كرههم له كحال طوعك وأهل الإسلام كارهوه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أمر المعارك مع الأعداء ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ لهم علوهم على أعدائك كما وعدهم الرسول ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ حلوله وورودهم على موارده.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ

رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [آية:٧ - ١٤]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لا ورد مطروح ﴿يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾[1] أهل السلاح والعدد ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لعدم كمال عددها وعددها، ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ كما وعدكم العلو على الأعداء والإمداد، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ مصطلما لهم وحصل ما حصل ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿إِذْ﴾ معمول لا ورد مطروح أو معمول على مسلك العامل المكرر ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ دعوا الله وسألوه العلو على أعدائهم، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ﴾ الأولى، ورواه راوٍ كإطهار ﴿مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ (الهاء) للإمداد المحرر ﴿إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾﴿إِحْدَى﴾في موضع نصب مفعول ثان. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ في موضع نصب أيضا بدلا من ﴿إِحْدَى﴾. ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ أي تحبون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي غير ذات الحد. والشوكة: السلاح. والشوك: النبت الذي له حد؛ ومنه رجل شائك السلاح، أي حديد السلاح. ثم يقلب فيقال: شاكي السلاح. أي تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب؛ عن الزجاج. ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي أن يظهر الإسلام. والحق حق أبدا، ولكن إظهاره تحقيق له من حيث إنه إذا لم يظهر أشبه الباطل. ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بوعده؛ فإنه وعد نبيه ذلك في سورة "الدخان" فقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] أي من أبي جهل وأصحابه. وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. [التوبة: ٣٣]. وقيل: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بأمره؛ إياكم أن تجاهدوهم. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يستأصلهم بالهلاك. ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي يظهر دين الإسلام ويعزه. ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي الكفر. وإبطاله إعدامه؛ كما أن إحقاق الحق إظهاره ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. انظر الجامع في أحكام القرآن (٣٧٠/٧)

النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ﴾ معمول لمطروح كما مر ﴿يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ مما حصل لكم وروعكم ﴿مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ ما وسوسه لهم وهو لو هم على الهدى ما حصل لهم أو أم وعدموا الماء، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ (الهاء) للمطر ﴿الأَقْدَامَ﴾ لحلول المطر على الرمل.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ﴾ الأولى هم مدد أهل الإسلام ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عراكا أو سوادا والأول أولى، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ المراد: الرؤوس، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ عصوا ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ حالا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ مآلا لدى المعاد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية:١٥ - ١٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ حال، والمراد: عسكرهم عرمرم، ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ كسرا أمامهم، ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ حال المعارك ﴿دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ مائلا لكر، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ سوى الأولى ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ عاد ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد والموئل، والحكم المسطور محكم ما دام أحد أهل الإسلام إلى واحد وواحد إلى سواهم ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ لعددكم وعددكم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ أهلكهم وأمدكم، وعلى أمركم وكسرهم لكم، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ موصلا إلى مرآهم والكلام للرسول ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ حصى ﴿وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ أوصله إلى

مرآى العسكر كله، وحصل ما حصل كهرا لأعدائه، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ وهو وصول أهل الإسلام وملكهم أموالهم ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ دعاءهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ أحوالهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ محمول على مطروح هو الأمر وأومأ إلى الإعطاء المحرر، ﴿وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾[1] وسألوا الله ودعوه علو السالك على مسالك الهدى وهلاك عدوه، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ وهو هلاكهم على حكم ما دعوا الله، ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عما هو حاصل وهو عدم إسلامكم للرسول والمعارك له ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ إلى عراكه ﴿نَعُدْ﴾ إلى إعلاء أمره على أمركم وهلاك عسكركم، ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿إن تستفتحوا﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصروا الله وسألوه الفتح فنزلت هذه الآية وهذا المعنى مروي عن أبي بن كعب وعطاء الخراساني الثاني أن أبا جهل قال اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثالث أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر فقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين فنزلت هذه الآية قاله السدي والرابع أن المشركين قالوا اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت هذه الآية قاله عكرمة والخامس أنهم قالوا بمكة اللهم ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية فعذبوا يوم بدر قاله ابن زيد فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله إن تستفتحوا قولان أحدهما أنهم المؤمنون والثاني المشركون وهو الأشهر وفي الاستفتاح قولان أحدهما انه الاستنصار قاله ابن عباس والزجاج في آخرين فان قلنا إنهم المسلمون كان المعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة وإن قلنا إنهم المشركون احتمل وجهين أحدهما إن تستنصروا فقد جاء النصر عليكم والثاني إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله فقد جاء النصر لأحب الفريقين والثاني أن الاستفتاح طلب الحكم والمعنى إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين فقد جاءكم الحكم وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة ومجاهد وقتادة فأما قوله وإن تنتهوا فهو خير لكم فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة وفي معناه قولان أحدهما إن تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم والكفر قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني إن تنتهوا عن استفتاحكم فهو خير لكم لأنه كان عليهم لا لهم ذكره الماوردي انظر زاد المعاد (٣/٣٣٤).

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آية:٢٠ - ٢٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ الكلام المكرم وما حواه روادع وحكما سماع إدراك وعمل.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع عمل، وهم أهل الإسلام كلاما لا سرا وعملا.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ إصلاحا محررا لهم وسط اللوح ﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع إدراك، وألهمهم العمل، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ سماع إدراك مع عدم مراده لهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ ولا ألهموا للعمل ولا سعدوا ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ إصرارا على إلحادهم وسوء مسراهم.

﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [آية:٢٤ - ٢٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ الرسول ودعاؤه هو دعاء الله، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ لا مراد لأحد إلا ما أراده الله، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ حلولها عام على الكل الصالح والصالح، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل امرئ عاص أوامره.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ عددكم وعددكم ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (ال) للعهد ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ أهل الإلحاد ﴿فَآوَاكُمْ﴾ محل السلام ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ على أعدائكم ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [آية:٢٧، ٢٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (و) لا (تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) كإصراركم على عكس ما أمركم الله ورسوله، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مع علمكم مسراكم على سوى العهود.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ كلاهما صاد لكم عما هو ورود على موارد الأوامر، ﴿وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾لكل مراع حدوده.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آية:٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ علوًّا على أعدائكم دالا على سلوككم مسالك الهدى، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كل عمل مكروه ما على عامله حد، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ كل عمل على عامله حد كالسكر والعهر، ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على كل طائع.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آية:٣٠ - ٣٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو اذكر ﴿يَمْكُرُ بِكَ﴾ [1]الكلام للرسول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ المراد: ما له وهو عدم وصولهم إلى ما أرادوا ورد المكر على الماكر، ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما سطره أول مما لا أصل له.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على عدم الإسلام له.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ كما سألوه وراموه ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ حال حلولك معهم لوروده عاما وما عهد حلوله على أمم ورسولها معها، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ لا راد لحلوله على أعدائه لدى عدم حلول الرسول وأهل الإسلام معهم، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الرسول وأهل الإسلام ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أهلا للولاء على الحرم الحرام كما ادعوا ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ﴾ المراد: دعاؤهم ﴿عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الهلاك والأسر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ كلاما وعملا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ

(١) قال القرطبي رحمه الله: هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة؛ فاجتمع رأيهم على قتله فبيتوه، ورصدوه على باب منزل طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، ودعا الله عز وجل أن يعمي عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم، فخرج وقد غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم ترابا ونهض. فلما أصبحوا خرج عليهم علي فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا. الخبر مشهور في السيرة وغيرها. ومعنى ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك؛ يقال: أثبته إذا حبسته. وقال قتادة: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ وثاقا. وعنه أيضا وعبدالله بن كثير: ليسجنوك. وقال أبان بن تغلب وأبو حاتم: ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٩٧/٧)

ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٦ - ٤٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ كدر العدم حصولهم على ما أملوا ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ﴾ أهل الإلحاد والطلاح ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أهل الإسلام والصلاح، ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ كله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عما هم سالكوه ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مما عملوه، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى معارك الرسول ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ إهلاك كل معاد للرسل.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلحاد، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾ وحده، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو معاملهم على أعمالهم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وما أسلموا ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ﴾ معل لكم على أعدائكم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ

حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [(١)] وحاكمه وساهمه الرسول على أمر الله، ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ للرسول وعاد سهمهم وسهمه إلى الأولاد الأولى لا والد ولا مال لهم، وإلى أهل العدم، وإلى أهل الحل والمرحل الأولى لا وصول لهم إلى محلهم وأموالهم، ﴿وَالْيَتَامَى﴾ كل ولد والد له ولا مال، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أهل العدم مع الإسلام، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل راحل لا وصول له إلى أمواله ومحله ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ﴾ اعملوا ما حرر وسلموا السهم لهؤلاء، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ ما حاد الهدى عما سواه ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أهل الإسلام وأهل الإلحاد ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ﴾ مكسور الأولى وكرحمى ﴿الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أهله وهم لدى الساحل، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ إلى المعارك ﴿لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ المراد: لو حصل الموعد لهالكم وردعكم عددهم وعددهم وما كمل أو العراك، ﴿وَلَكِنْ﴾ حصل على سوى موعد ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا،﴾ وهو علوكم على أعدائكم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ دال على عدم سلوكه على مسلك الهدى، ﴿وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وأورد الهلاك وأراد الإلحاد وعكسه لعكسه، ﴿وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) قال ابن الجوزي: أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة فأما الخمس الخامس فكيف يقسم فيه ثلاثة أقوال: أحدها يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم والثاني أنه مقسوم على خمسة أسهم سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل على ظاهر الآية وبه قال الجمهور والثالث أنه يقسم على أربعة أسهم فسهم الله عز وجل وسهم رسوله عائد على ذوي القربى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يأخذ منه شيئا وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس انظر زاد المسير (٣٥٨/٣)

﴿إِذْ﴾ معمول لمطروح وهو ادكر ﴿يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا﴾ ولما رآه الرسول وحكاه لأهل الإسلام سروا، ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أمر المعارك، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ عالم سرائرها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ﴾ أرى الله أهل الإلحاد لأهل الإسلام ﴿قَلِيلا﴾ عددهم، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حال عدم اصطكاك المعارك لحصول الطمع لهم ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [آية:٤٥ - ٤٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ لمعاركهم، ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه لعلوكم على الأعداء، ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ صولكم على الأعداء، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ معل لهم على أعدائهم.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه ﴿مُحِيطٌ﴾ علما معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية:٤٨، ٤٩]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو ادكر ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ عدو آدم المطرود ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ حرصهم على الصول على أهل الإسلام لما ورد لهم على صلى ولد مالك، ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ

﴿الْفِئَتَانِ﴾ وصل أهل الإسلام لأعدائهم والأعداء لهم، ورأى إمداد الأملاك معهم ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ عاد إلى وراء، ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ﴾ أراد إمداد الأملاك، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ إذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ﴾ مرادهم أهل الإسلام ﴿دِينُهُمْ﴾ وطلعوا إلى الكر مع عدم عددهم وعددهم طمعا وحرصا على حصول العلو لهم وكله وهم ورد الله دعواهم، وأوحى لرسوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥٠ - ٥٤]:

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ [(١)] حال الأملاك ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أمامهم ووراءهم، والمراد العموم لكل محل ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (و) أمرهم لهم هو (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ).

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ هو سوء الأعمال، ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ مردود رده الواو على (ما).

﴿كَدَأْبِ﴾ عمل هؤلاء وسلوكهم كعمل ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ﴾ على كل مراد له، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل

---

(١) قال الشنقيطي: الجواب عن هذا ظاهر وهو أن إسناده التَّوَفِّي إلى نفسه لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلا﴾ وأسنده لملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح وأسنده للملائكة لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته يفعلون بأمره وينزعون الروح إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت والعلم عند الله تعالى. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٧١).

عاص أوامره ومعاد لرسله، ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى ما أحله على أعدائه ﴿بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: معه وكرره مؤكد لما مر، ﴿وَكُلٌّ﴾ مما مر سرده ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لإحلالهم الإلحاد محل الإسلام.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [آية:٥٥ - ٥٨]:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أصروا وداموا على عدم الإسلام للرسل ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أمدا.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ هم ملاء هود عاهدوا الرسل على عدم إردائهم لأعدائه ومالؤوا أعداءه وأعطوهم سلاحا، ﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ الله لعدم دوامهم على عدوهم.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ ورائهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ للعهود ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ اطرح عهودهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ على مسلك عدل لا كر ولا سلم؛ ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ للعهود، والمراد: هو معاملهم على عملهم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ

أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [آية:٥٩ - ٦٣]:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ الكلام مع الرسول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ ما أعد الله لهم ﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ وحلول ما أعده لهم مرصود إلى أمره كل عصر.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ (الهاء) للأولى ما داموا على عهودهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ السهام كما رواه مسلم، ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ هم أهل الحرم، ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ هم الهود، وأهل الإسلام كلاما لا سرا، ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ الصلح، ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ مل للصلح وعاهدهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ والحكم المسطور ممحو المؤدى لصدوره أولا حال عدم ورود أمر الحسام ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ لو أرادوها حال الصلح ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وصاروا كأمر واحد ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عالم كل أمر على ما هو ومحله محله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [آية: ٦٤ - ٧١]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) الاسم الموصول مردود إما على اسم الله أو معمول على المعمول معه.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ ورواه راوٍ: حرص مع الصاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ﴾ وراوٍ راعى الهاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والسرد المحرر أمر سالك مسلك الحكم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ والحكم المسطور صدر أولا ومحا حكمه ما أوحاه الله وهو.

﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ﴾ وراوٍ راعى الهاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ وهو كالأول حكم مؤداه الأمر، ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ولما أعطى الأسرى العدل للرسول وأهل الإسلام أوحى الله لرسوله.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ مكرا على أعداء الله

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: ليس هذا تكريرا، فإنه قال فيما سبق: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾ وهذه كفاية خاصة. وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ﴾ أراد التعميم، أي حسبك الله في كل حال وقال ابن عباس: نزلت في إسلام عمر فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسلم معه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة، فأسلم عمر وصاروا أربعين. والآية مكية، كتبت بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة مدنية، ذكره القشيري. قلت: ما ذكره من إسلام عمر رضي الله عنه عن ابن عباس، فقد وقع في السيرة خلافه. عن عبدالله بن مسعود قال: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. وكان إسلام عمر بعه خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة. قال ابن إسحاق: وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا أو ولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر منهم. وهو يشك فيه. وقال الكلبي: نزلت الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٢).

ومهلكا لهم أهلاكا ما ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها رومكم عدل الأسرى، ﴿وَاللهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهو ممحو المؤدى ومحاه حكم العدل وهو أمر الله أما وإما:

﴿لَوْلا كِتَابٌ﴾ حكم ﴿مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ لحل عدل الأسارى ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ وهو عدل الأسرى ﴿حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى﴾ ورواه والد عمرو الأسارى ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إسلاما وعملا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ الواو للأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ عدم العمل والسلوك على ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا اللهَ﴾ ما سلكوا كما عاهدوا وعصوا أوامره ورسله ﴿فَأَمْكَنَ﴾ لك ﴿مِنْهُمْ﴾ إعداما وأسرا، ولو عادوا عاد ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٧٢، ٧٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لله ورسوله، ﴿وَهَاجَرُوا﴾ أهلهم ودورهم، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ إلى الكراع والسلاح، ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ طرحوها ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ الرسول، ﴿وَنَصَرُوا﴾ ه على أعدائه ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ولو هلك أحدهم حل لكل موال له ماله وهو حكم ممحو المؤدى، ومحا حكمه أمر الله وأولوا الأرحام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور الواو ﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الأعداء ﴿إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد على عدم الكر، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ﴾ [(1)] الولاء لأهل الإسلام وعدمه لعكسهم ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ هو علو أهل الإلحاد على أهل الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٤، ٧٥]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لدى معادهم لدار السرور الدائم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ حكمه أو اللوح أو كلامه المكرم ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أحاط علمه الأمور كلها.

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: الضمير المنصوب في تفعلوه عائد على الميثاق أي على حفظه أو على النصر أو على الإرث أو على مجموع ما تقدم أقوال أربعة، وقال الزمخشري: أي إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً، وقال ابن عطية: والفتنة المحنة بالحرب وما انجرّ معها من الغارات والجلاء والأسر والفساد الكبير ظهور الشّرك، وقال البغوي: الفتنة في الأرض قوّة الكفر والفساد الكبير ضعف الإسلام، وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير بالثاء المثلثة وروي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)) قرأ وفساد عريض. انظر تفسير البحر المحيط (٥١٨/٤).

سورة براءة

مدنية، وآيها مائة وثلاثون

ما حرروا أولها اسم الله؛ لعدم أمر الرسول على ما رواه الحاكم، أو لورود اسم الله أول ما حوى السلام، ولصدورها لأمر الحسام ما حرر أولها.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(1) [آية:١، ٢]:

---

(١) قال الإمام ابن كثير: أول هذه السورة نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة " تبوك " وهم بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - أميرا على الحج تلك السنة، ليقيم للناس مناسكهم، ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي بالناس ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ....﴾ فلما قفل أتبعه بعلي ابن أبي طالب، ليكون مبلغا عنه - صلى الله عليه وسلم - ليكونه عصبة له. وقال محمد بن إسحاق: " لما نزلت ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كان بعث أبا بكر الصديق - ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: " لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي ". ثم دعا علي بن أبي طالب فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد فهو له إلى مدته. فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " العضباء " حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور. ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية. حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله. صلى الله عليه وسلم. فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة، إلا أحد كان =

﴿بَرَاءَةٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح، ﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وأصل أمرها ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المراد: رد الله عهود أهل الإسلام لأهل الإلحاد وأمهلهم لما أمرهم.

﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ مكملها المحرم وهو عدد ما أمهلهم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾ ما أعده لكم مرصود لأمره، ﴿وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ مهلكهم حالا ومعد لهم سوء المأوى مآلا.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:٣، ٤]:

﴿وَأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم، ﴿وَرَسُولُهُ﴾ والإعلام على عدم أهل الإلحاد الحرم الحرام سوى العام المحرر، ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ المراد: عما هو إلحاد ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو الإعدام والأسر حالا وسوء المأوى مآلا.

﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ مما عاهدوكم ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ما صاروا ردء الأحد على أهل الإسلام ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾ حلول ﴿مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أهل الدوام على العهود.

=

له عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الفخر الرازي: روي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما خرج إلى غزوة تبوك وتخلف المنافقون وأرجفوا الأراجيف، جعل المشركون ينقضون العهد، فنبذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العهد إليهم. انظر التفسير الوسيط (٣٥٦/٣).

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية:٥]:

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وكمل أمر الإمهال كما أمر الله وأمهلهم ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وسط حل أو حرم، ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ وأما الإعدام أو الإسلام، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل مسلك هم سالكوه ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ المراد: أسلموا، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية:٦]:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أحد معمول لعامل مطروح داله هو ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ رام سلامك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ سلمه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ الموحى إلى الرسول ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ دار سلامه لو ما أسلم ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما أسس الله للعالم، وسماع كلامه لحصول العلم لهم.

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩﴾ [آية:٧ - ٩]:

﴿كَيْفَ﴾ لا ﴿يكون يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ وهم أهل الإلحاد ومكر وسوء صدر ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ما داموا على عهدهم معكم دوموا معهم على عهدكم ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيْفَ﴾ مراعى لهم عهد، ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا﴾ رحما أو حدا حدوه لكم وآلوا على السلوك على مسلكه، ﴿وَلا ذِمَّةً﴾ عهدا أعطوكموه، ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ كحلو الكلام، ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ مسراهم على كلامهم، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾

لا عهد لهم.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿ثَمَنًا قَلِيلا﴾ عصوا أوامر الله ومالوا إلى الهوى ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الموصل له أو الحرم الحرام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم المسطور.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آية:١٠ - ١٢]:

﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ﴾[1] رحما، ﴿وَلا ذِمَّةً﴾ عهدا، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ولهم ما لكم ﴿وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لوموا أحكامه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ رؤساءه وراعى الأهم لا الأعم ﴿إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ﴾ عهود، ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا

(١) قال النحاس: ليس هذا تكريرا، ولكن الأول لجميع المشركين والثاني لليهود خاصة. والدليل على هذا ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلا﴾ يعني اليهود، باعوا حجج الله عز وجل وبيانه بطلب الرياسة وطمع في شيء. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ أي المجاوزون الحلال إلى الحرام بنقض العهد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٨٠).

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٣ - ١٦]:

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ عهودهم وما آلوا على سلوكه، ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ روعكم أمرهم ﴿فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ راعوا أوامره وعاركوا أعداءه.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ أسرا وإعداما ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ مما عاملوهم وأساؤهم لما وردوا الحرم الحرام.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كدرها، ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ لدى عوده إلى الإسلام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ على أمر لا معلوم ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ علم سطوع ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ وصمموا على إعلاء أحكام الله وأوامره ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أهل وداد لطرح الإسرار لهم، ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ حكم ماح لو هم ولما المار.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ما صح لهم ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ﴾ رواه راوٍ على العدد، وراوٍ على الواحد، وهل المراد الحرم الحرام أو الأعم وعمارها الحلول وسطها ودرس العلوم وسواها، ﴿شَاهِدِينَ﴾ حال واو معمول محصل المصدر ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم الإسلام، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾[1] أحدا ﴿إِلا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

(١) قال أبو حيان الأندلسي: قرأ الجحدري، وحماد بن أبي سلمة عن ابن كثير: مسجداً لله بالتوحيد. وقرأ السبعة وجماعة: بالجمع، والمعنى إنما يعمرها بالحق والواجب، ويستقيم ذلك فيمن اتصف بهذه الأوصاف. وفي ضمن هذا الخبر أمر المؤمنين بعمارة المساجد، ويتناول عمارتها
=

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آية:١٩ - ٢٢]:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ

=

رمّ ما تهدّم منها، وتنظيفها، وتنويرها، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر. ومن الذكر درس العلم بل هو أجله، وصونها عما لم تبن له من الخوض في أحوال الدنيا. وفي الحديث: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) ولم يذكر الإيمان بالرسول، لأن الإيمان باليوم الآخر إنما هو متلقف من أخبار الرسول، فيتضمن الإيمان بالرسول. أو لم يذكر لما علم وشهر من أن الإيمان بالله تعالى قرينته الإيمان بالرسول، لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين، كأنهما شيء واحد لا ينفك أحدهما عن صاحبه، فانطوى تحت ذكر الإيمان بالله تعالى الإيمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم). وقيل: دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، إذ لا يتلقى ذلك إلا منه. والمقصود من بناء المساجد وعمارتها هو كونها مجتمعاً لإقامة الصلوات فيها والتعبدات من الذكر والاعتكاف وغيرهما، وناسب ذكر إيتاء الزكاة مع عمارة المساجد أنها لما كانت مجمعاً للناس بأنّ فيها أمر الغني والفقير، وعرفت أحوال من يؤدي الزكاة ومن يستحقها، ولم يخش إلا الله. قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره، ويخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه. وقال الزمخشري: هي الخشية والتقوى في أبواب الدنيا، وأنْ لا يختار على رضا الله رضا غيره، وإذا اعترضه أمر أن أحدهما حق الله تعالى، والآخر حق نفسه، خاف الله وآثر حق الله على حق نفسه. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها، فأريد نفي تلك الخشية عنهم انتهى. وعسى من الله تعالى واجب حيثما وقعت في القرآن، وفي ذلك قطع أطماع المشركين أن يكونوا مهتدين إذ مَن جمع هذه الخصال الأربعة جعل حاله حال من ترجى له الهداية، فكيف بمن هو عار منها: وفي ذلك ترجيح الخشية على الرجاء، ورفض الاغترار بالأعمال الصالحة، فربما دخلها بعض المفسدات وصاحبها لا يشعر بها. وقال تعالى: أن يكونوا من المهتدين، أي: من الذين سبقت لهم الهداية ولم يأت التركيب أن يكونوا مهتدين، بل جعلوا بعضاً من المهتدين، وكونهم منهم أقل في التعظيم من أن يجرد لهم الحكم بالهداية. انظر تفسير البحر المحيط (٥/٢١).

فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ **أوحاه ردا على كل مدع لها.**

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ **أهلهم ودورهم،** ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ **أعداءه** ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ **إلى السلاح وسواه،** ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ **طرحوها إلى الهلاك** ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ **دائم** ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ
ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ
ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى
سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾
[آية:٢٣، ٢٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ **وحرصوا على إلحادهم،** ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ **لما أولى أعداء الله وأحل الوداد سوى محله.**

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ **ورواه راوٍ على العدد،** ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ **سرد مهدد،** ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ
فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ
﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ

عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [آية:٢٥ - ٢٧]:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ محال معارك ﴿كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ اسم واد معلوم ﴿إِذْ﴾ معمول على وهم العامل المكرر ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ لأمر العدو، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: ما وسعها للروع الحاصل لكم، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ إلى وراء، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما هدأ روعهم، ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الأملاك، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إعداما وأسرا، ﴿وَذَلِكَ﴾ ما حصل هو ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ حال عودهم إلى الإسلام، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٨، ٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ صدرهم كدر أو لعدم طهرهم ﴿فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ هو عام الطاء أو عام الوداع، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ عدما لعدم ورودهم الحرم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ كل مسكر وسواه، ﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ هو الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ حال ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ مطاطئو رؤوسهم لأحكام الإسلام.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] [آية:٣٠ - ٣٣]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا دال له مصحح للدعوى.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هم والدوهم لما سلكوا على مسلكهم وصاروا لهم إماما ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ دعاء هلاك، أو المراد طردهم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ مالوا إلى ما لا دال على ادعائه عما له دال.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم، والهاء للهود، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ أهل ورعهم، والهاء لكل مدع الولد والأهل للواحد الحد ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ لما أطاعوهم وحرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ لما سموه ولدا ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو الله ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ كل دال على الواحد الحد أو كلامه المكرم الدال على إرسال رسوله محمد، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدا ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) قال الشنقيطي: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم: سبحانه عما يشركون بعد أن بين وجوه شركهم بجعلهم الأولاد لله واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لإجماع العلماء أن كفار أهل الكتاب داخلون فيها. وقد جاءت آيات أخرى تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾. الآية. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. الآية. وقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾. الآية. والعطف يقتضي المغايرة. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/٤٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [آية: ٣٤، ٣٥]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ المراد: الوصول، وسماه أكلا لما هواهم أموره ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كرومهم لها على الأحكام، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ﴾ مسموك على أول الكلام ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: عدم أدائهم سهمها المحدود، وهو أحد أساس الإسلام ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ لما أمسكوها للسؤدد والمطعم والحلى أو لموا على محالها ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [آية: ٣٦]:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ﴾ معمول المصدر ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ﴾ هو اللوح ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وعددها معلوم ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ السوي ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ (الهاء) للحرم أو لما حواه العالم كله، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ كلهم وسط الحرم وسواها ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ

أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آية:٣٧]:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ (١)كإحلال المحرم لو هل وهم على حال المعارك إلى سواه كما مسراهم ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لما حللوا ما حرمه الله وحرموا ما حلله ﴿يُضَلُّ﴾ ورواه راوٍ للمعلوم ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ولما دعا الرسول أهل الإسلام إلى المعارك مع العسر والحر، وراوه عسرا أوحى الله لرسوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ هكذا يقرأ أكثر الأئمة. قال النحاس: ولم يرو أحد عن نافع فيما علمناه ﴿إنما النَسِيُّ﴾ بلا همز إلا ورش وحده. وهو مشتق من نسأه وأنسأه إذا أخره، حكى اللغتين الكسائي. الجوهري: النسيء فعيل بمعنى مفعول، من قولك: نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته. ثم يحول منسوء إلى نسيء كما يحول مقتول إلى قتيل. ورجل ناسئ وقوم نسأة، مثل فاسق وفسقة. قال الطبري: النسيء بالهمزة معناه الزيادة نسأ ينسأ إذا زاد. قال: ولا يكون بترك الهمز إلا من النسيان، كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ورد على نافع قراءته، واحتج بأن قال: إنه يتعدى بحرف الجر يقال: نسأ الله في أجلك كما تقول زاد الله في أجلك، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه". قال الأزهري: أنسأت الشيء إنساء ونسيئا اسم وضع موضع المصدر الحقيقي. وكانوا يحرمون القتال في المحرم فإذا احتاجوا إلى ذلك حرموا صفرا بدله وقاتلوا في المحرم. وسبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها، وقالوا: لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن. فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم من بني كنانة، ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس، فيقول أنا الذي لا يرد لي قضاء. فيقولون: أنسئنا شهرا، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، فيحل لهم المحرم. فكانوا كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها. فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله فيه. وهذا معنى قوله عليه السلام: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/٨).

كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٨ - ٤٠]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ المراد: ما أسرعوا لما أمروا ومالوا عما دعوا ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ سوى محل الكر ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ﴾ أمر ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ أمر ﴿الآخِرَةِ إلا قَلِيلٌ﴾.

﴿إِلا تَنْفِرُوا﴾ مع الرسول للكر على العداء ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما وهو الإهلاك لعلو الأعداء، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلا تَنْصُرُوهُ﴾ (الهاء) عائد إلى الرسول ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: لما هموا أو أصروا على المكروه له أداه أمره إلى ما حرر ﴿ثَانِيَ﴾ أحد ﴿اثْنَيْنِ﴾ حال هو الواحد، وأول مسلم له معه ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ لما رأى وصول الأعداء لهما ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ ما هدأ روعه ﴿عَلَيْهِ﴾ (الهاء) للرسول أو لردئه وهو الأولى، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ (الهاء) للرسول ﴿بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الأملاك أرسلهم حرسا له أو إمدادا على العدو، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ﴾ كلما ادعوه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ﴾ المراد: لا إله إلا اله محمد رسول الله ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ على ما سواها، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤١ - ٤٣]:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا﴾ مع الأهل والأولاد ومع عدمهم أو أصحاء ولا أصحاء أو مع السرور وعكسه أو الأول للأصحاء وما وراءه للسلاح، ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأوحى الله لوما على أهل الإسلام كلاما لا سرا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوا له ﴿عَرَضًا﴾ مالا أو سواه ﴿قَرِيبًا﴾ سهلا، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطا ﴿لاتَّبَعُوكَ﴾ طمعا لحصوله، ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾ لدى عودكم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ لما آلوا على ما لا أصل له ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ولما سأل رهط الرسول دوامهم محلهم وعدم طلوعهم إلى المعارك وطاوعهم الرسول إلى مسئولهم أوحى الله لرسوله؛ ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ (٤٨)﴾ [آية:٤٤ - ٤٨]:

﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1] على عدم الإسراع والطلوع إلى المعارك لإهلاك أعداء الله ورسوله وإعلاء أمر الإسلام كرها ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

(١) قال ابن عباس: لا يستأذنك أي بعد غزوة تبوك. وقال الجمهور: ليس كذلك، لأنّ ما قبل هذه الآية وما بعدها ورد في قصة تبوك، والظاهر أن متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخلص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي (صلى الله عليه وسلم) أبداً، ويقولون: لنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا. وقيل: التقدير لا يستأذنك المؤمنون في الخروج ولا القعود كراهة أن يجاهدوا، بل إذا أمرت بشيء ابتدروا إليه، وكان الاستئذان في ذلك الوقت علامة على النفاق. وقوله: والله عليم بالمتقين، شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين، وعدة لهم بأجزل الثواب. انظر تفسير البحر المحيط (٥/٤٩).

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ سلاحا ومأكلاً، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم، ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ الأولاد والحرم وسوى الأصحاء.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا﴾ سوءا وعدم صلاح، ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد: لدى أحد، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أداروا آراءهم لمحو أمرك وإهلاكك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾ على أمر الإسلام على أمرهم ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ لما حصل.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية:٤٩ - ٥١]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي﴾ مراده: عدم حلولها وسطها لهلاك ما له أو أهله ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ ورواه راوٍ للواحد، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ علو على العداء وملك لأموالهم ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لحسدهم، ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ كسر ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ لعدم كرهم على العدو، ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ لكسر أهل الإسلام.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ ما حرر وسط اللوح ﴿هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [آية:٥٢]:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ طرح ما كأوله ﴿بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ إما العلو على الأعداء، وإما ورود الحمام والوصول إلى دار السلام، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ مورده السماء، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ كورود أمر الله لإهلاككم

﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آية:٥٣ - ٥٥]:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾(١) لعدم الإسلام ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا

(١) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: فيه أربع مسائل: الأولى: قال ابن عباس: نزلت في الجد بن قيس إذ قال ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به. ولفظ ﴿أَنْفِقُوا﴾ أمر، ومعناه الشرط والجزاء. وهكذا تستعمل العرب في مثل هذا تأتي بأو فمعنى الآية: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يقبل منكم. ثم بين جل وعز لم لا يقبل منهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤] فكان في هذا أدل دليل وهي: الثانية: على أن أفعال الكافر إذا كانت برا كصلة القرابة وجبر الكسير وإغاثة الملهوف لا يثاب عليها ولا ينتفع بها في الآخرة، بيد أنه يطعم بها في الدنيا. دليله ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: "لا ينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين". وروي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها". وهذا نص. ثم قيل: هل بحكم هذا الوعد الصادق لا بد أن يطعم الكافر ويعطى بحسناته في الدنيا أو ذلك مقيد بمشيئة الله المذكورة في قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] وهذا هو الصحيح من القولين، والله أعلم. وتسمية ما يصدر عن الكافر حسنة إنما هو بحسب ظن الكافر، وإلا فلا يصح منه قربة، لعدم شرطها المصحح لها وهو الإيمان. أو سميت حسنة لأنها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهرا. قولان أيضا. الثالثة: فإن قيل: فقد روى مسلم عن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رسول الله، أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسلمت على ما أسلفت من خير" قلنا قوله: "أسلمت على ما أسلفت من خير" مخالف ظاهره للأصول، لأن الكافر لا يصح منه التقرب لله تعالى فيكون مثابا على طاعته، لأن من شرط المتقرب أن يكون عارفا بالمتقرب إليه، فإذا عدم الشرط انتفى صحة المشروط. فكان المعنى في الحديث: إنك اكتسبت طباعا جميلة في الجاهلية أكسبتك عادة =

فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ﴾ العامل المؤكد وما معه حال كحل معمول محصل المصدر ﴿كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ لدى ورود حمامها ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [آية:٥٦، ٥٧]:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أهل إسلام ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ مروعهم حصول ما حصل لأهل الإلحاد.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ لهم ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ على حال الإسراع.

= جميلة في الإسلام. وذلك أن حكيما رضي الله عنه عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الإسلام وستين في الجاهلية، فأعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير؟ وكذلك فعل في الإسلام. وهذا واضح. وقد قيل: لا يبعد في كرم الله أن يثيبه على فعله ذلك بالإسلام، كما يسقط عنه ما ارتكبه في حال كفره من الآثام. وإنما لا يثاب من لم يسلم ولا تاب، ومات كافرا. وهذا ظاهر الحديث. وهو الصحيح إن شاء الله. وليس عدم شرط الإيمان في عدم ثواب ما يفعله من الخير ثم أسلم ومات مسلما بشرط عقلي لا يتبدل، والله أكرم من أن يضيع عمله إذا حسن إسلامه. وقد تأول الحربي الحديث على هذا المعنى فقال: "أسلمت على ما أسلفت"، أي ما تقدم لك من خير عملته فذلك لك. كما تقول: أسلمت على ألف درهم، أي على أن أحرزها لنفسه. والله أعلم. الرابعة: فإن قيل: فقد روى مسلم عن العباس قال: قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ بما عمل من الخير، لكن مع انضمام شفاعة، كما جاء في أبي طالب. فأما غيره فقد أخبر التنزيل بقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وقال مخبرا عن الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]. وقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه". من حديث العباس رضي الله عنه: "ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ أي كافرين.انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٣/٨).

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦٠﴾ [آية:٥٨ - ٦٠]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ لوام ﴿فِي﴾ سهم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ ومكمل لو مطروح.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ المراد: محل إعطائها ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ وهو كل أحد له مال ما، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ كل أحد لا مال له أصلا أو على العكس، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ كل ساع ومأمور لهما كالمحرر وسواه، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم الأولى أسلموا وما كمل إسلامهم وأعطاهم إما لسواد الإسلام وإما لحصول كمال الإسلام لهم، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ كل مملوك حرر لمولاه دراهم ولا مال له أو هم أهل الإسلام، ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ الأولى لا مال لهم لأدائه، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل أحد لا وصول له إلى محله وماله ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ محل أوامره محلها وصح إعطاؤها لواحد كما حكاه الإمام، ومالك، وأحمد، وما رآه محمد ولا صححه.

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٦١ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٣﴾ [آية:٦١ - ٦٣]:

﴿وَمِنْهُمُ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام كلاما لا صدرا وسرا ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ كطرح أسراره، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ سامع لكل كلام محكى ﴿قُلْ﴾ لهم هو ﴿أُذُنُ﴾

مسمع ﴿خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ المراد: لكل دال دل على الله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لكل ما حكوه له، واللام لا مؤدى لها، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ مردود رده الواو على محمول هو المار، ورواه راوٍ مكسورا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ﴾ الكلام مع أهل الإسلام ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أورده موحد المآل أمرهما لواحد ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ صدرا وسرا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ الهلاك الدائم.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آية: ٦٤ - ٧٠]:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾(١) على أهل الإسلام ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي: في شأنهم، ﴿سورةٌ﴾ من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، =

قُلُوبِهِمْ﴾ مما هو إصرار على الإلحاد ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أمر مهدد لهم ﴿إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ ما أداهم إلى سوء الكلام على أمرك ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿لا تَعْتَذِرُوا﴾ عما صدر وحصل ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ سطع أمره ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ووروده كم على موارده كلاما لا إصرارا ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ ورواهما راوٍ لسوى المعلوم وسوى السامع ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ لإصرارهم على عدم الإسلام.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كأمر واحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الإلحاد وسوء العمال، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإسلام وصالح العمال، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أراد إمساكهم، ﴿نَسُوا اللهَ﴾ ما سلكوا على مسلك أوامره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ ما أدركهم كرمه وآلاؤه كما أدرك سواهم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ طردهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم وهو ما وعدوه.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ حالكم كحالهم وهم الأولى أسلموا كلاما سرا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ﴾ سهم الدار الأولى ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ ه أولئك ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أهلكهم علو الماء، ﴿وَعَادٍ﴾ أمم هود أهلكهم ورود الصرصر، ﴿وَثَمُودَ﴾ أمم صالح هلكوا لما حرك الله محالهم وهدمها، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وعدوه أهلكه ما حل معطسه، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أهلها وهم أمم لوط صار أعلى دورهم إلى أحطها، ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

=

﴿تُنبئهم﴾ أي: تخبرهم، أي: المنافقين، ﴿بما في قلوبهم﴾ من الشك والنفاق، وتهتك أستارهم، وكانوا يستهزئون بأمر الوحي والدين، فقال تعالى لنبيه - عليه الصلاة والسلام: ﴿قل﴾ لهم: ﴿استهزئوا﴾؛ تهديداً لهم، ﴿إن الله مُخرِجٌ ما تحذَرُون﴾ من إنزال السورة فيكم، أو ما تحذرون من إظهار مساوئكم. انظر البحر المديد (١٢٩/٣)

﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما أوردوها موارد الهلاك.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [آية:٧١، ٧٢]:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على سائر أوامره، ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا راد لحصول ما وعده أو أوعده ﴿حَكِيمٌ﴾ محل أحكامه محلها.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ الآلاء كلها ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية:٧٣، ٧٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ كرا وحساما، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ردعا وكلاما، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (الهاء) عائد للكل، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد معادهم.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا﴾ ما رووه لك، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا﴾ لاح وسطع أمر إلحادهم ﴿بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ الحاصل أولا كلاما لا سرا، ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ هموا على المكر مع الرسول وطرحه إلى واد لدى عوده مساء، ولما وردوا على رسول الله ومعه عمار وسواه ورآهم عمار لطم رؤوس رواحلهم وردهم، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾

حاصل المراد ما حصل لهم أمر أداهم إلى إصرارهم على عمل المكروه والمكر مع الرسول ﴿إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عما هم سالكوه ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ هو دمارهم، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ هو سوء الدار، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ لا كالئ ولا راد لما أعده الله لهم.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [آية:٧٥ - ٨٠]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١) أوحاه الله لما سأل الرسول أحدهم دعاءه له لحصوله على الأموال ودعا له ووسع الله عطاءه، ولما حصل على المسئول لا ورد مصلى ولا أدى ما ورد أمر الله على أدائه،

(١) قيل: هو ثعلبة بن حاطب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ادعُ الله يرزقني مالا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يا ثعلبة، قليلٌ تُؤدي شُكرَهُ خيرٌ من كثير لا تُطيقه " فراجعه، وقال: والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالا لأعطين كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فدعا له، فاتخذ غنماً، فَنَمت كما تنمو الدود، حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً، وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ، فقال: " يا ويح ثعلبة ". فبعث له مُصدقين لأخذ الصدقات؛ فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومروا بثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه الكتابَ الذي فيه الفرائض، فقال: ما هذه صدقة، ما هذه إلا أخت الجزية، فارجعا حتى أرى رأيي، فنزلت فيه الآية، فجاء ثعلبة بالصدقة، فقال: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال له صلى الله عليه وسلم: " هذا منك؛ فقد أمرتُك فلم تطعني " فقُبض الرسول صلى الله عليه وسلم، فجاء بها إلى أبي بكر، فلم يقبلها، ثم جاء بها إلى عمر في خلافته، فلم يقبلها منه، وهلك في زمن عثمان، بعد أن لم يقبلها منه.انظر البحر المديد (١٣٨/٣).

وهو أحد عمد الإسلام كما حكى الله وهو ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ وما أدوا سهمه، ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عما أمرهم ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ صار مآلهم ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (الهاء) عائد لله أو لعملهم، وعلى عوده لله، المراد: ولدى حلول حمامهم، وعلى عوده للعمل، المراد: لدى المعاد ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ عاهدوه، وهو إعطاؤهم ما وردا أمر الله لإعطائه لأهله ودوامهم على الصلاح، ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ولما ورد الحكم المسطور وحمل السهم المعلوم ورده إلى الرسول رده رسول الله وحمله إلى أول إمام ورده كما رده رسول الله، وحمله إلى عمر ورده عمر كما رده وحمله إلى الإمام وراء عمر ورده كما ردوه وهلك على عهده.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ الحلل صدورهم، ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ كل كلام أسره وحكاه أحدهم لأحدهم، ﴿وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ ولما ورد أمر الله لإعطاء الأموال سوى السهم المحدود، وحمل أحد أهل الإسلام إلى الرسول دراهم وأحدهم صاع مأكول ولومهم أهل الإسلام كلاما لا سرا، وحاصل كلامهم ما أعطى الأول إلا وهو مرآى وما لله وصاع مأكول أوحى الله لرسوله ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ وهم أهل الأموال، ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ﴾ وسعهم وهو الحامل صاع المأكول، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ المراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ كلاهما على حد سواء ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ هل المراد أوحد العدد وما وراءه له حكم سوى الحكم المحرر وهو أولى، أو المراد: حصول العدد الأعم وحكم ما وراءه كحكمه؛ كلاهما حكاه اهل العلم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن

تُقَـٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [آية:٨١ - ٨٥]:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الأولى ما ساروا إلى الكر على الأعداء ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا﴾ لأهل الإسلام أو لأهل سلكهم أولهما ﴿لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ مآلهم لها.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا﴾ هو المعلوم أو المراد السرور، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ هو المعلوم أو المراد الكدر؛ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ حكى الله مآل حالهم وأورده على الأمر لحصوله على كل حال.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ﴾ ردك ﴿اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى الكر على الأعداء ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ الحرم والأولاد لعدم صلاحكم لأمر المعارك ولما صلى الرسول على أحدهم مع هلاكه وهو على سوء مسلكه أوحى الله لرسوله: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ كرره مؤكدا للحكم الأول أو هؤلاء سوى الأولى.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [آية:

٨٦ - ٨٩]:

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ﴾ أهل الوسع والأموال ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾(١) الحرم أو الحرم الحوامل، ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ صالح الأمور.

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ العلو على الأعداء وحصول الأموال حالا، ودار المأوى والسرور الدائم مآلا، أو المراد: الحور ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آية: ٩٠ - ٩٢]:

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ المراد: أهله وممهدوه ﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾ وهم أسد وسواهم أو هم رهط عامر ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ وحصل لهم ما سألوه، ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾﴿الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة؛ أي مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار من الرجال. وقد يقال للرجل: خالفة وخالف أيضا إذا كان غير نجيب؛ على ما تقدم. يقال: فلان خالفة أهله إذا كان دونهم. قال النحاس: وأصله من خلف اللبن يخلف إذا حمض من طول مكثه. وخلف فم الصائم إذا تغير ريحه؛ ومنه فلان خلف سوء؛ إلا أن فواعل جمع فاعله ولا يجمع فاعل صفة على فواعل إلا في الشعر؛ إلا في حرفين، وهما فارس وهالك. وقوله تعالى في وصف المجاهدين: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ قيل: النساء الحسان؛ عن الحسن. دليله قوله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. ويقال: هي خيرة النساء. والأصل خيرة فخفف؛ مثل هينة وهينة. وقيل: جمع خير. فالمعنى لهم منافع الدارين. وقد تقدم معنى الفلاح. والجنات: والبساتين. وقد تقدم أيضا. انظر الجامع في أحكام القرآن (٢٢٣/٨).

لما ادعوا الإسلام وهم على عدمه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ أهل الهرم، ﴿وَلا عَلَى الْمَرْضَى﴾ أهل العلل كالعمى، ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ لعدم مالهم وعدمهم ﴿حَرَجٌ﴾ حرام وملام ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ﴾ أسلموا سرا وعملا، أو المراد: حصول مسعاهم على صالح أهل الإسلام ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ مسلك إلى الملام، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم أو لعكسهم وهؤلاء أولى.

﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى المعارك وهم والد موسى وملاؤه أو سواهم ﴿قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال معمول ما أم ما ﴿تَوَلَّوْا﴾ مكمل العامل الآم للاسم الموصول، ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ العامل ومعموله وهو الدمع حال محل دمعا ﴿حَزَنًا﴾ معمول له أو مصدر أو حال ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [آية:٩٣ - ٩٦]:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ مسلك الملام ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ أولو طول ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ الحرم أو الحرم لحوامل، ﴿وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ سؤدد المعارك أو صلاح أمرهم.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ وصار حالكم وسركم معلوما إلى الملا، ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ لدى المعاد ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المطلع على السر والعمل، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معاملكم على أعمالكم.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ وطهرهم أمر محال ﴿جَزَاءً﴾ معمول له أو مصدر ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٩٧ - ٩٩]:

﴿الأَعْرَابُ﴾ أهل المهامه ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾(١) لعدم سماعهم لكلام الله وعدم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ فيه مسألتان: الأولى: لما ذكر جل وعز أحوال المنافقين بالمدينة ذكر من كان خارجا منها ونائيا من الأعراب؛ فقال كفرهم أشد. قال قتادة: لأنهم أبعد عن معرفة السنن. وقيل: لأنهم أقسى قلبا وأجفى قولا وأغلظ طبعا وأبعد عن سماع التنزيل؛ ولذلك قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي أخلق. ﴿أَلا يَعْلَمُوا﴾ ﴿أن﴾ في موضع نصب بحذف الباء؛ تقول: أنت جدير بأن تفعل وأن تفعل؛ فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ ﴿أن﴾ وإن أتيت بالباء صلح بـ ﴿أن﴾ وغيره؛ تقول: أنت جدير أن تقوم، وجدير بالقيام. ولو قلت: أنت جدير القيام كان خطأ. وإنما صلح مع ﴿أن﴾ لأن أن يدل على الاستقبال فكأنها عوض من المحذوف. ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ أي فرائض الشرع. وقيل: حجج الله في الربوبية وبعثة الرسل لقلة نظرهم. الثانية: ولما كان ذلك ودل على نقصهم وحطهم عن المرتبة الكاملة عن سواهم ترتبت على ذلك أحكام ثلاثة: أولها: لا حق لهم في الفيء والغنيمة؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث بريدة، وفيه: "ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا عنها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين" وثانيها: إسقاط شهادة أهل البادية عن الحاضرة؛ لما في ذلك من تحقق التهمة. وأجازها أبو حنيفة قال: لأنها لا تراعي كل تهمة، والمسلمون كلهم عنده على العدالة. وأجازها الشافعي إذا كان عدلا مرضيا؛ وهو الصحيح لما بيناه في "البقرة". وقد وصف الله تعالى الأعراب هنا أوصافا ثلاثة: أحدها: بالكفر والنفاق.والثاني: بأنه يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص =

مراء هم العلماء عكس أهل المدر الأمصار لسماعهم ومراهم لهما، ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ﴾ أحكام ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ للعلل المار سردها، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ أحوال أهل المهامه والأمصار ﴿حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر العصر ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ ورواه راوٍ كعدم مصدر وكلاهما دعاء على الأولى هم مؤملو حصولها لأهل الإسلام، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ كلامهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ أحوالهم وأعمالهم وأسرارهم.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ﴾ مسلكا إلى حصول دعاء ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلا إِنَّهَا﴾ (الهاء) لمكمل عامل الاسم الموصول ﴿قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ وعد لما أملوه، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ المراد: دارها ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل طائع.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [آية:١٠٠]:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ هم الأولى صلوا إلى المصلى المطهر أولا وصلوا إلى الحرم لما حول الله المأم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ هم أهل الإسلام إلى المعاد ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ لعدم رد أعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لحصولهم على آلائه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ ورواه راوٍ مع العامل وهو عامل الكسر كسائر المحال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

=

بكم الدوائر. والثالث: بالإيمان بالله وباليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول؛ فمن كانت هذه صفته فبعيد ألا تقبل شهادته فيلحق بالثاني والأول، وذلك باطل. وقد مضى الكلام في هذا في "النساء".

وثالثها: أن إمامتهم بأهل الحاضرة ممنوعة لجهلهم بالسنة وتركهم الجمعة. وكره أبو مجلز إمامة الأعرابي. وقال مالك: لا يؤم وإن كان أقرأهم. وقال سفيان الثوري والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي: الصلاة خلف الأعرابي جائزة. واختاره ابن المنذر إذا أقام حدود الصلاة.. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٣٢).

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آية:١٠١ - ١٠٦]:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾ حول مصركم، وهو محل لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ وهم أسلم ورهطه، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ المرود والمرور واحد أصلا ولعل المراد مهروا ﴿لا تَعْلَمُهُمْ﴾ لعدم سطوع حالهم لك والكلام للرسول ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ومطلعوك على أسرارهم ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ هما إهلاكهم وإعدامهم حالا ولدى عودهم إلى لحودهم مآلا ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ لدى المعاد ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وهو سوء الدار.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا﴾ هو كرهم على الأعداء أولا ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ هو عدم إسراعهم إلى المعارك أمرهم الرسول ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولما أرادوا إعطاء الرسول أموالا لمحو ما صدر وردها الرسول لعدم ورود أمر الله لرسوله.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(١) وصار سدسا أموالهم طهرا

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ قال المفسرون لما تاب الله عز وجل على أبي لبابة وأصحابه قالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت هذه الآية وفي هذه الصدقة قولان: أحدهما أنها الصدقة التي بذلوها تطوعا قاله ابن زيد والجمهور والثاني الزكاة قاله عكرمة قوله تعالى تطهرهم وقرأ الحسن تطهرهم بها =

لسوء أعمالهم، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ﴿إِنَّ صَلاتَكَ﴾ عددها لعدد المدعو لهم، ورواها راوٍ على الواحد ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ المراد: دعاؤك مهدئ روعهم، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ المراد: عدم رده لها، ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ﴾ لهم أو للأمم كلهم ﴿اعْمَلُوا﴾ كل مراد لكم ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ لدى ورود حمامكم ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هو معاملكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ ورواه راوٍ على الواو حالهم ممهل ﴿لأَمْرِ اللهِ﴾ وهم ولد مالك وهلال وواحد سواهما ما طلعوا إلى المعارك كسلا لا لأمر سواه ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ لو ما عادوا إلى الله، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ لدى عودهم لمولاهم وسؤالهم محو ما صدر وهو كسلهم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩

=

بجزم الراء قال الزجاج يصلح أن يكون قوله تطهرهم نعتا للصدقة كأنه قال خذ من أموالهم صدقة مطهرة والأجود أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم المعنى فانك تطهرهم بها تطهرهم بالجزم على جواب الأمر المعنى إن تأخذ من أموالهم تطهرهم ولا يجوز في تزكيهم إلا إثبات الياء اتباعا للمصحف قال ابن عباس تطهرهم من الذنوب وتزكيهم تصلحهم وفي قوله وصل عليهم قولان أحدهما استغفر لهم قاله ابن عباس والثاني ادع لهم قاله السدي انظر زاد المسير (٣/٤٩٦).

لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ [آية:١٠٧ - ١١٠]:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ ملاء ادعوا الإسلام وهم أهل إلحاد سرا وصدرا ﴿ضِرَارًا﴾ لأهل الإسلام وحسدا لهم لما عمروا مصلى ودعوا له الرسول وصلى وسطه ﴿وَكُفْرًا﴾ لعمارهم له على أمر والد عامر لما رحل إلى ملك الروم، ومراده الورود العساكر على الرسول وأهل الإسلام، وأراد عمار المصلى المحرر مرصدا للوراد، ولما كمل أمر عماره ودعوا الرسول له وهم إلى ما دعوه أوحاه الله لرسوله وأعمله مكرهم وللحال أرسل رسول الله رهطا لهدمهم المصلى المسطر وأسرعوا لما أمرهم وهدموه، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المراد: والد عامر المسطور أمره ﴿مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى﴾ المراد: ما عمروه إلا للوسع على كل مصل وعدم العسر على أهل الإسلام حال حلول الأمطار وحصول الحر، ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ هو ما عمره أهل الإسلام أولا وصلى وسطه الرسول ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ لعماره ﴿أَحَقُّ﴾ أولى ﴿أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ وطهر أعمال الحصى أولا وإمرار الماء على أسّه كما ورد.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ روع ﴿مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ أمل، أصله هائر وهو المهدوم، والمراد: أسس ما أراد عماره على محل واهٍ مهدوم، ﴿فَانْهَارَ﴾ هدم ﴿بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى صلاحهم ما داموا على سوء مسلكهم.

﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ المراد إلى ورود حمامهم وحلول أعمارهم، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ ومطلع على أسرارهم ﴿حَكِيمٌ﴾ لما ألهم الرسول هدمه لمصلاهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية:١١١، ١١٢]:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ المراد طرحهم لهما إلى المعارك والمهامه ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ﴾ وروى راوٍ ما لسوى المعلوم أولا ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ كلاهما مصدر معمول لمطروح هما داله ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ لا أحد، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ سلوك على سوى مسلك الكلام الأول على الاصطلاح المعلوم ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الموصل أهله إلى مرامهم.

﴿التَّائِبُونَ﴾ مسموك على المدح، ومحمول لأول كلام مطروح هواهم، والمراد: أهل الإسلام، ﴿الْعَابِدُونَ﴾ لله، ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال، ﴿السَّائِحُونَ﴾ أولوا الصوم والسائح الصائم كما ورد، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ كل مصل، ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الإسلام وصالح العمل، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الإلحاد وطالح الأعمال، ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ أحكامه عملا وسلوكا على مسالكها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هؤلاء المار وسمهم وطرح ما هو معد لهم لعدم وصول الأحلام له، ولما سأل الرسول مولاه صلى الله على روحه وسلم محو طالح أعمال عمه أوحى الله له:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى
قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ
إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ
لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [آية:١١٣ - ١١٦]:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[1] كما لو وردوا على موارد الحمام وما أسلموا.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الواعد هو الرسول لوالده، والوعد سؤاله الله هداه للإسلام لمحو طالح أعماله أو الواعد والده والوعد هو إسلامه، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ لحلول عمره وهو على سوء مسلكه أوحى الله له وأعلمه إسلام والده ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ المراد: ما عاد إلى سؤاله مولاه محو طالح أعماله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ دائم الدعاء إلى الله على أكمل أحوال الدعاء، ﴿حَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام وأحكامه ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم حال الهدى وأهله وسواهما.

﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ كالئ، ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد لما أراده.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ

---

(١) لأنّ المشركين كفرُهم ظاهر فجاء النهي عن الاستغفار لهم صريحاً، وكُفر المنافقين خفي فجاء التأييس من المغفرة لهم منوطاً بوصف يعلمونه في أنفسهم ويعلمه الرسول عليه الصلاة والسلام ولأجلِ هذا كان يستغفر لمن يسأله الاستغفار من المنافقين لئلا يكون امتناعه من الاستغفار له إعلاماً بباطن حاله الذي اقتضت حكمةُ الشريعة عدمَ كشفه. وقال في أبي طالب: (لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك) فلمّا نهاه الله عن ذلك أمسك عن الاستغفار له. وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يصلي صلاة الجنازة على من مات من المنافقين لأنّ صلاة الجنازة من الاستغفار ولمّا مات عبدُ الله بن أبي ابن سلول رأسُ المنافقين بعد نزول هذه الآية وسألَ ابنه عبدُ الله بنُ عبد الله النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يصلي عليه، فصلّى عليه كرامة لابنه وقال عمر للنبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهاك ربك أن تصلي عليه، قال له على سبيل الرد (إنّما خيّرني الله)، أي ليس في هذه الآية نهي عن الاستغفار، فكان لصلاته عليهم واستغفاره لهم حكمة غير حصول المغفرة بل لمصالح أخرى، ولعلّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ بأضعف الاحتمالين في صيغة ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ وكذلك في لفظ عدد ﴿سبعين مرة﴾ استقصاء لمظنّة الرحمة على نحو ما أصّلناه في المقدمة التاسعة من مقدّمات هذا التفسير. والإشارةُ في قوله: ﴿ذلك بأنهم كفروا﴾ لانتفاء الغفران المستفاد من قوله: ﴿فلن يغفر الله لهم﴾. والباء للسببية، وكفرهم بالله هو الشرك. وكفرهم برسوله جحدهم رسالته (صلى الله عليه وسلم) وفي هذه الآية دليل على أن جاحد نبوءة محمد (صلى الله عليه وسلم) يطلق عليه كافر. انظر التحرير والتنوير (١٠/٢٧٩).

رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [آية:١١٧، ١١٩]:

﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ ما أداموا عودهم إلى مولاهم ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ حال المعارك والكر على الأعداء مع الحر وعدم الماء والمأكل والرواحل ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عما هو سلوك على مسالك الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لما داموا على هداهم وما مالوا ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ رد الواو على ومعمولها على (على) ومعمولها الأولى ﴿الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وهم هلال وولد مالك وواحد سواهما ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ المراد: مع وسعها، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ للكدر وعدم السرور، ﴿وَظَنُّوا﴾ علموا ﴿أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء ﴿لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لهم لو أراد حلوله ﴿إِلا إِلَيْهِ﴾ إلا إلى العود له، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لما هداهم إلى العود له والدعاء وورمهم وسؤالهم له على ما صدر ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على كل داع وسائل ولو عاد إلى سوء عمله مرارا، ﴿الرَّحِيمُ﴾ لحالهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ راعوا ما أمر ودعوا ما ردع، ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إسلاما وعهودا.

﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخۡمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئًا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوٍّ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [آية:١٢٠، ١٢١]:

﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾[1] لو

(١) نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة تبوك، وفيمن تخلف ممن حولهم من الأعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار. ومناسبتها لما قبلها: أنه لما أمر المؤمنين بتقوى الله، وأمر بكينونتهم مع الصادقين، وأفضل الصادقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المهاجرون والأنصار، اقتضى ذلك موافقة الرسول وصحبته أنّى توجه من الغزوات والمشاهد، فعوتب العتاب الشديد من تخلف عن الرسول في غزوة، واقتضى ذلك الأمر لصحبته وبذل النفوس دونه. قال الزمخشري: بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأمروا أن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم في الشدائد ما يلقاه نفسه صلى الله عليه وسلم، علماً بأنها أعزُّ نفس عند الله تعالى وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهون وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكترث لها أصحابها، ولا يقيموا لها وزناً، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، فضلا أن يربؤوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها، ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه، وهذا نهي بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه، وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية. قال الكرماني: هذا نفي معناه النهي، وخصَّ هؤلاء بالذكر وكل الناس في ذلك سواء لقربهم منه، وأنه لا يخفى عليهم خروجه. قال قتادة: كان هذا الإلزام خاصاً مع النبي صلى الله عليه وسلم وجواب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه، ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء. وقال زيد بن أسلم: كان هذا الأمر والإلزام في قلة الإسلام، واحتياج إلى اتصال الأيدي، ثم نسخ عند قوة الإسلام بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً﴾ قال: وهذا كله في الانبعاث إلى غزو العدو على الدخول في الإسلام، وأما إذا ألم العدوّ بجهة فيتعين على كل أحد القيام بذنبه ومكافحته، والإشارة بذلك إلى ما تضمنه انتفاء التخلف من وجوب الخروج معه وبذل النفس دونه، كأنه قيل: ذلك الوجوب للخروج وبذل النفس هو بسبب ما أعد الله لهم من الثواب الجسيم على المشاق التي تنالهم، وما يتسنى على أيديهم من إيذاء أعداء الإسلام. والظمأ العطش. وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد مثل: سفه سفاهاً، ولما كان العطش أشق الأشياء المؤدية للمسافر بكثرة الحركة وإزعاج النفس وخصوصاً في شدة الحر كغزوة تبوك بدئ به أولا، وثنى بالنصب وهو التعب لأنه الكلال الذي يلحق المسافر والإعياء الناشئ عن العطش والسير، وأتى ثالثاً بالجوع لأنه حاله يمكن الصبر عليها الأوقات العديدة، بخلاف العطش والنصب المفضيين إلى الخلود والانقطاع عن السفر. فكان الإخبار بما يعرض للمسافر أولا فثانياً فثالثاً. وموطئاً مفعل من وطئ، فاحتمل أنْ يكون مكاناً، واحتمل مصدراً. والفاعل في يغيظ عائد على المصدر، إما على موطئ إن كان مصدراً، وإما على ما يفهم من موطئ إن كان مكاناً، أي يغيظ وطؤهم إياه الكفار. وأطلق موطئاً إذا كان مكاناً ليعم كل موطئ يغيظ وطؤه الكفار، سواء كان من أمكنة الكفار، أم من أمكنة المسلمين إذا كان في سلوكه غيظهم. والوطء يدخل فيه بالحوافر والإخفاف والأرجل. وقرأ زيد بن علي: يغيظ بضم الياء. والنيل مصدر، فاحتمل أن يبقى على موضوعه، واحتمل أن يراد به المنيل. وأطلق نيلا ليعمّ القليل والكثير مما يسوءهم قتلا وأسراً وغنيمة وهزيمة، وليست الياء في نيل بدلا من واو خلافاً لزاعم ذلك، بل
=

رام الكر على أعداء الله، ﴿وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ حرصا على أرواحهم وأموالهم وسواها مع عدم حرصه صلى الله على روحه وسلم ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى ما داله ما أول الكلام ﴿بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ لعدم حصول الماء، ﴿وَلا نَصَبٌ﴾ لكرهم على العدو، ﴿وَلا مَخْمَصَةٌ﴾ لعدم حصولهم ووصولهم إلى المأكل ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هو المسلك المأمور كل أحد إلى سلوكه، ﴿وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر وهو الدوس ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وطؤه، ﴿وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا﴾ كالإهلاك والأسر والحصول على الأموال ﴿إلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ وصاروا للإكرام على أعمالهم ﴿إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد: هو معاملهم على صالح أعمالهم ومكرمهم وهو وعد لهم.

﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [آية:١٢٢]:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ إلى المعارك ﴿كَافَّةً﴾ كلهم ﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ ودام سواهم محلم ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ الأولى ساروا إلى المعارك، ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ المراد: حصول العلم للأولى ما ساروا إلى المعارك وإطلاع الأولى داموا أولئك على ما عملوه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما أعده الله لكل عاص وسالك على سوى مسلك أوامره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ

=

نال مادتان: إحداهما من ذوات الواو نلته أنوله نولا ونوالا من العطية، ومنه التناول. والأخرى: هذه من ذوات الياء، نلته ناله نيلا إذا أصابه وأدركه. وبدئ في هاتين الجملتين بالأسبق أيضاً وهو الوطء، ثم ثنى بالنيل من العدو. جاء العموم في الكفار بالألف واللام، وفي من عدو لكونه في سياق النفي، وبدئ أولا بما يحض المسافر في الجهاد في نفسه، ثم ثانياً بما يترتب على تحمل تلك المشاق من غيظ الكفار والنيل من العدو. وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة، لا الوطء بالأقدام والحوافر. انظر تفسير البحر المحيط (١١٥/٥).

غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ [آية:١٢٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ هم الأولى حلوا وسط أمصار أهل الإسلام أو الأولى حدودهم إلى حدود الإسلام، والمراد: الكر على الأول الأول، ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ كالئ وحارس لهم.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آية:١٢٤ - ١٢٧]:

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لملئه الأولى سلكوا على مسلكهم ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ مرادهم ومدعاهم عدم حصوله لورودها أصلا.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ﴾ رد لما وهموه ﴿إِيمَانًا﴾ لورود حكم ما هو وارد ولا حاصل أولا، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ سرورا لوصولهم إلى الحال الأكمل.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ عدم إسلام ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ إلحادا إلى إلحادهم، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ومروا على سوء مسلكهم طول عمرهم إلى ورود حمامهم.

﴿أَوَلا يَرَوْنَ﴾ (الواو) لأهل الإسلام كلاما لا صدرا، ورواه راوٍ على الكلام مع السامع وهم أهل الإسلام صدرا وعملا ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ محلا وعللا ﴿ثُمَّ لا يَتُوبُونَ﴾ مما هم سالكوه ﴿وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ لسرد وصمهم وسوء حالهم وسردها الرسول لروحه السلام لهم ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كما هو مسلك كل رهط مول ومحاول محلا سوى محله ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ المراد كلامهم هل راء لهم لو ولوا، ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ وهم على سوء حالهم الأول أو إلى محل سوى محل الرسول ردد الله له السلام

﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عما هو هدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ الهدى لعدم إدراكهم.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] [آية: ١٢٨، ١٢٩]:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أصله أصلكم، وحماه حماكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (ما (للمصدر، ومآل الكلام: هو كاره لكم حملكم الأمر العسر، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ على هداكم وصلاح حالكم، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وما أسلموا لك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا على سواه، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ واحد سرر الملك ومصدر الأحكام والأوامر، ﴿الْعَظِيمِ﴾ سرد ما ورد للرسول لروحه السلام ورآه حكم ولا كلام على ما رواه الحاكم.

---

(١) قال القرطبي: هاتان الآيتان في قول أُبي أقرب القرآن بالسماء عهدا. وفي قول سعيد بن جبير: آخر ما نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] على ما تقدم. فيحتمل أن يكون قول أُبيّ: أقرب القرآن بالسماء عهدا بعد قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾. والله أعلم والخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك؛ إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه، وشرفوا به غابر الأيام. وقال الزجاج: هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر؛ والأول أصوب. قال ابن عباس: ما من قبيلة من العرب إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قال: يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل. والقول الثاني أوكد للحجة أي هو بشر مثلكم لتفهموا عنه وتأتموا به. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠١/٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يونس

مكية، وآيها مائة وتسع آيات

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [آية:١]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح كما مر مرارا.

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى ما حواه كلام الله المكرم أو أحد سوره وهو المحرر أسمها وهو الأولى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم، ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو ما حوى الحكم محركا.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [1][آية:٢]:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أهل الحرم الحرام، واللام مع معمولها حال مما وراءه وهو ﴿عَجَبًا﴾ محمول العامل، ورواه راوٍ مسموكا على ورود العامل كاملا، وعلى الأول اسمه ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ردد الله له السلام ﴿أَنْ أَنْذِرِ﴾ روع ﴿النَّاسَ﴾ أهل الإلحاد، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ محلا أعلى ﴿عِنْدَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً﴾ استفهام معناه التقرير والتوبيخ. و﴿عَجَباً﴾ خبر كان، واسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ وهو في موضع رفع؛ أي كان إيحاؤنا عجبا للناس. وفي قراءة عبدالله "عجب" على أنه اسم كان. والخبر ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾. ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ قرئ ﴿رَجْل﴾ بإسكان الجيم. وسبب النزول فيما روي عن ابن عباس أن الكفار قالوا لما بعث محمد: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا. وقالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب؛ فنزلت: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾. وقيل: إنما تعجبوا من ذكر البعث. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٥/٨).

رَبِّهِمْ﴾ وهو إكرامه المعد لهم على صالح أعمالهم ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ اومأوا إلى كلام الله المكرم ﴿لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ وروى راوٍ محل لسحر لساحر.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [آية:٣، ٤]:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ هما أصول العالم ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وأحد سرر الملك، والمراد الله أعلم: ما هو على ما حكاه علماء العصر الأول وأول العلماء الأولى وردوا وراءهم، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ على ما أراد وحكم ﴿مَا مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿شَفِيعٍ﴾ لأحد ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ رد لما ادعاه أهل الإلحاد وهو حصولها مما هو كود وسواع ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ لدى حلول أعماركم ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد له ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لسواه وعاملهما مدلولهما ﴿إِنَّهُ﴾ ورواه راوٍ على سوى الكسر واللام مطوح ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لدى المعاد ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ عدله أوعد لهم، وهو الأولى لسلوك الكلام على مسلك واحد مع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ هو الماء الحار، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:٥]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ﴾ الهاء لكل واحد لا لأحدهما ﴿مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لإدراكهم الحكم.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [آية:٦]:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ورود أو عكسه وطولا وعكسه، ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على الله وكمال عمله ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ مآل الأمور.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [آية:٧، ٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وهو أمر المعاد لعدم ما وراء الدار الأولى، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ هدأوا لحطامها راعوا ما وراءها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ كل ما دل على الواحد الأحد ﴿غَافِلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الإلحاد وطالح العمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آية:٩، ١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[1] إلى إدراك الدلائل أو إلى مسلك دار المأوى والسرور السرمد ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي: يسددهم ﴿بإيمانهم﴾؛ بسبب إيمانهم إلى الاستقامة والنظر، أوْ إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة، أوْ إلى إدراك الحقائق العرفانية، كما قال - عليه الصلاة والسلام "مَنْ عَمِلَ بما علِم أَوْرَثه اللهُ علْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ" أو لِمَا يشتهونه في الجنة، ﴿تجري من تحتهم الأنهارُ﴾ الأربعة، ﴿في جنات النعيم﴾، ﴿دَعْواهم فيها﴾ أي: دعاؤهم فيها: ﴿سبحانك اللهم﴾ أي: اللهم إنا نسبحك تسْبيحاً. ورُوي: أن هذه الكلمة هي ثمر أهل الجنة، فإذا اشتهى احدهم شيئاً قال: سبحانك اللهم، فينزل بين يديه. رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة. انظر البحر المديد (١٩٦/٣).

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم لكل أمر أرادوا حصوله لهم مأكلا أو سواه هو ﴿سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ كل واحد لواحد ﴿فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ دعائهم ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولعل حمدهم مولاهم حاصل لدى اطلاعهم على كامل إكرام الله لهم ولما رام أهل الإلحاد إسراع حلول ما أوعدهم الله حلوله أوحى الله لرسوله ردد الله له السلام:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [آية:١١]:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ ك ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ ورواه راوٍ للمعلوم ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ وهو هلاكهم ولعدم مراده هلاكهم لحكم أمهلهم، وما أسرع إلى حلول ما هم أهله ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وهو أمر المعاد ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ إلحادهم وسوء أعمالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدور كالعمى لحواس المرآى.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٢]:

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾(١) كعدم أو داء ما ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ المراد: سأل الله على كل الأحوال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على سوء مسلكه الأول ﴿كَأَنْ﴾ عامل كلعل، واسمه الهاء مطروح ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كلاهما داع لله حال العسر مول حال الوسع.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ

---

(١) قال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت على قولين أحدهما أنها نزلت في أبي حذيفة واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي قاله ابن عباس ومقاتل والثاني أنهانزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قاله عطاء والضر الجهد والشدة واللام في قوله لجنبه بمعنى على وفي معنى الآية قولان أحدهما إذا مسه الضر دعا على جنبه أو دعا قاعدا أو دعا قائما قاله ابن عباس والثاني إذا مسه الضر في هذه الأحوال دعا ذكره الماوردي. انظر زاد المسير (١٢/٤).

بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٣ - ١٦]:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم ﴿لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال وحاصل العامل والمعمول حال الواو، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ﴾ كما أهلك أولئك مع عدم إمهالهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كل سالك على سوى الإسلام، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ صالحا أو طالحا، وكل وارد موارد عمله.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ ما ردعهم أمر المعاد وهو له ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾ لاحا وأمر المعاد ولا وصمم ما ركوعهم له كود وسواع ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أحل محل كل كلام حوى المعاد وسواه كلاما محله ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ كسلوكه على ما سألوه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ كلاما سواه ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ﴾ أعملكم الله ﴿بِهِ﴾ ورواه راوٍ: ولا دراكم على ورود اللام لا كمال (لو)، والمراد: لو ما سرده الرسول ردد الله له السلام على الأمم لأعلمهم وأدراهم وأوحى إلى رسول سواه وسرده لهم، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أعواما عدد موعد موسى له السلام ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ لا أسرد لكم حكما ولا أعلمكم أمرا والها عائد لكلام الله ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى

ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعائه إلها معه أو ادعاء الولد له أو الأهل ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كلامه الموحى إلى رسوله محمد ردد الله له السلام ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ﴾ هو عدم السعد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ كل مدع مع الله إلها.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه ﴿مَا لا يَضُرُّهُمْ﴾ لو ما ركعوا له، ﴿وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ لو ركعوا له ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ﴾ أومأ إلى ما هو كود وسواع ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ لكل أمر مهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ وهو حصول إله معه ولو معه إله لعلمه ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه لا إله إلا هو وحده لا ولد له ولا إله معه.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آية:١٩، ٢٠]:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على مسلك واحد وهو الإسلام أوله عهد آدم إلى علو الماء وهلاك الأمم أو أوله عهد والد الرسل له السلام إلى عهد عمر، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ وسلكوا مسالك الهوى، ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ المراد: إمهالهم وعدم إهلاكهم أو إمهال الحكم إلى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وأهلك أهل الهوى.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له السلام ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مما سألوه أو ما كعصا موسى ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ ولعل عدم ورودها هو صالح العالم ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ حلول الهلاك أو ورود ما سألوه ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ما هو حال.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [آية:٢١]:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ مطرا وكلاء ووسعا وعدم علل ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كمحل وعدم وعلل ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ ومكرهم سلوكهم مسالك ردها وعدم

إسلامهم لها ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ المراد: هو معاملهم على مكرهم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الأملاك الأولى أمرو الرسم أعمال الأمم ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ رواه راوٍ على وروده للسامع، وراوٍ على سواه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:٢٢ - ٢٥]:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ المراد: حاملكم على الأمر المسطور ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ عدول إلى سوى مسلك الكلام الأول على الاصطلاح المعلوم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ كأسر مرورها ما صادمه، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ المراد: أهلكوا ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ (اللام) الام مؤل ﴿أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أهل الحمد وأهل لا إله إلا الله، ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ وأعطاهم سؤلهم كما دعوه ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ﴾ سارعوا إلى إلحادهم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾[1] عولكم وعدم عدلكم ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ لمآل سوء أعمالكم لا

---

(١) قال أبو جعفر النحاس: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، ويجوز أن يكون خبره ﴿على أنفسكم﴾ وتضمر مبتدأ. أي: ذلك متاع الحياة الدنيا، أو هو متاع الحياة الدنيا.
=

لسواكم وهو ﴿مَتَاعَ﴾ ورواه راوٍ على وروده مصدرا ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا دوام له كما لا دوام لها ولا لكم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ لدى المعاد أو لدى حلول أعماركم ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وكل وارد على موارد أعماله.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وإسراع مرور أحولها ﴿كَمَاءٍ﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ لحلوله ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ كلاؤها ومحصودها لما رواه ماء المطر ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كل محصود كالحمص والعدس وسواهما، ﴿وَالأَنْعَامُ﴾ كالكلاء ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ لطلوع ورودها كالعروس، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ محصول عدسها وحمصها وسائر محصولها ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ كالمحصود ﴿كَأَنْ﴾ أصله العامل كلعل واسمها الهاء مطروحا ﴿لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾ دار المأوى والسرور السرمد والسلام، إما اسم لله وإما مصدر وسماها دار السلام لحصوله لكل امرء حلها أو لسلام الأملاك على أهلها ودعاء الله أمره الأمم ودعاؤه لهم إلى الإسلام، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو مسلك الإسلام.

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية:٢٦، ٢٧]:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ اسلموا ﴿الْحُسْنَى﴾ دار السلام ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ إكرام الله لهم على مرأى كماله مع عدم الحصر والمحل كما ورد، ﴿وَلا يَرْهَقُ﴾ ما هو كأس ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

=

وبين المعنيين فرق لطيف، إذا رفعت متاعا على أنه خبر بغيكم، فالمعنى: إنما بغي بعضكم على بعض، مثل: ﴿فسلموا على أنفسكم﴾. وكذا: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾. وإذا كان الخبر ﴿على أنفسكم﴾ فالمعنى: إنما فسادكم راجع عليكم، مثل: ﴿وإن أسأتم فلها﴾. وقرأ ابن أبي إسحاق: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ بالنصب على أنه مصدر، أي: تمتعون متاع الحياة الدنيا.

﴿وَالَّذِينَ﴾ رد الواو اسما موصولا على اسم موصول محله الكسر ﴿كَسَبُوا﴾ عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الإلحاد ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ مؤكد لا مؤدى له ﴿عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ المراد: الكسو ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ لسوادها الحالك ﴿مُظْلِمًا﴾ حال ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:٢٨ - ٣٠]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ (الهاء) للأمم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ دوموا محلكم ﴿أَنْتُمْ﴾ مؤكد لواو العامل المطروح، ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ كود وسواع، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ حسم الوصل ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وعلم أهل الإلحاد لسوادهم وأهل الإسلام لآلائهم، ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ ما هو كود وسواع أو الاملاك أو الروح ردد الله له السلام ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ والمراد: حصل ركوعهم لأهوائهم لا لهؤلاء.

﴿فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو﴾ وروى راو ما أم أوله كأوله، والمراد السرد للعمل ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ كل عمل صدر، ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ﴾ مولى أمورهم ﴿الْحَقِّ﴾ الدائم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو دعواهم ما هو وسواع راد لكل مكروه عراهم.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [آية:٣١ - ٣٣]:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ هو حلول الأمطار، ﴿وَالأَرْضِ﴾ ككل مأكول ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ والحواس كلها وسردهما لا سواهما لسطوع حسهما، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ كل ما له روح وحس ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الماء الحال وسط الرحم أو ما حكمه كحكم الرحم، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ الماء المسطور ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ ولد آدم وسواه، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ للعالم كله، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللهُ فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الدائم ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ إلى سواه مع سطوع الدلائل.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ مردوا على الإلحاد، والمراد: حلولهم دار الكدر والهلاك السرمد أو المراد ﴿أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ والمآل واحد، ومصدر العامل المؤكد معمول على مسلك وهم العامل المكرر لواحد الكلم المار.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [آية:٣٤]:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الأول كود وسواع ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ لا معدل لكم إلى سواه مع سطوع الدلائل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [آية:٣٥، ٣٦]:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾(١) كإرسال الرسل إلى الأمم وسواه ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي﴾ سواه، ورواه راوٍ مكرر الدال، والمراد: عدم حصول الهدى لهم إلا مع دال على مسلكه

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أي آلهتكم ومعبوداتكم. ﴿مَنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي قل لهم يا محمد ذلك على جهة التوبيخ والتقرير؛ فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلِ اللهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وليس غيره يفعل ذلك. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي فكيف تنقلبون وتنصرفون عن الحق إلى الباطل.

﴿إلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ حكما لا أصل له ولا دال معه، وحكمهم هو ادعاء إله مع الله علا اسمه.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا﴾ لسلوكهم على مسلك سلكه والدوهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ العلم مع الدلائل ﴿شَيْئًا﴾ ما ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وهو معاملهم على أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[1] [آية:٣٧]:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه، ﴿وَلَكِنْ﴾ أوحاه الله إلى رسوله محمد له أسمى السلام ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كل كلام أوحاه الله إلى الرسل، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ ورواهما راوٍ على المصدر وعاملهما مدلولهما ﴿الْكِتَابِ﴾ الأحكام والملل الموصل سلوكه إلى الله ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ ما عراه وهم إصدار ولد آدم له ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أول معمول للمصدر الأول.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية:٣٨، ٣٩]:

---

(١) قال الإمام ابن كثير " هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله - تعالى - الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولا في أقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، ولهذا قال - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ هذا القرآن أن يفترى مِن دُونِ اللهِ﴾. والنفي هنا للشأن الذي هو أبلغ في النفي، وأعمق في الدلالة على أن هذا القرآن من عند الله، من نفي الشيء في ذاته مباشرة. أي: وليس من شأن هذا القرآن المعجز، أن يخترعه أو يختلقه أحد من الإنس أو الجن أو غيرهما؛ لأن ما اشتمل عليه من إعجاز وبلاغه وتشريعات حكيمة، وآداب قويمة، وهدايات جامعة... يشهد بأنه من كلام خالق القوي والقدر. وقوله: ﴿ولكن تَصْدِيقَ الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكتاب﴾ بيان لكمال هداية القرآن الكريم، وهيمنته على الكتب السماوية السابقة. والمراد بالذي بين يديه: الكتب السابقة على القرآن كالتوراة والإنجيل والزبور. انظر التفسير الوسيط (١١٥/٤).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد ردد الله له السلام ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ وصححوا مدعاكم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ للعمل معكم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ سارعو إلى رده ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أول ما سمعوه ردوه عدم إدراكهم ما حواه مؤداه، ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ سوء مآل ردهم له وما أوعدوه ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ لما صار مآل أمرهم إلى الهلاك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية:٤٠ - ٤٤]:

﴿وَمِنْهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وهم الأول علم الله إسلامهم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أمدا، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أهل الإصرار على الإلحاد.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ وكل معامل على عمله ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا أحد وارد موارد عمل أحد كل وارد على عمله.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ حال سردك لكلام الله ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الأولى لا سمع لهم أصلا، والمراد: سماعهم كسماع الصم ﴿وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾ ولو حصل لهم مع الصمم عدم إدراك الأحكام والحكم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ رأوا دلائل إرسالك ورادوها ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ المراد: ولو حصل مع عمى المرآى عمه الصدر ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لعدم إعطائهم الحواس والإدراك ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما عطلوها وردوا أوامره وأحكامه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٥، ٤٦]:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ﴾[1] هم وأصله العامل كلعل طرح اسمه وهو ما سطر ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ مع طول أعمارهم، أو المراد: وسط اللحود ﴿إلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما هم راؤه ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ وهو أول الأمر حاصل ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ هو المعاد ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى المسلك المسلم، وأدى أمرهم إلى الردى والهلاك السرمد.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ كإهلاكهم وأسرهم وهم على حال الدار الأولى ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ مع عدم مرآك له ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ مكمل لما رده أو ومكمل أما مطروح، وحاصله مرأى الرسول له لدى المعاد ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ والمراد: معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

---

(١) قال ابن عطية: ويوم ظرف، ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره: واذكر. ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله: كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار، ويصح نصبه بيتعارفون، والكاف من قوله: كأن، يصح أنْ تكون في موضع الصفة لليوم، ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر كأنه قال: ويوم نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوا، ويصح أن يكون قوله: كأن لم يلبثوا في موضع الحال من الضمير في نحشرهم انتهى. أما قوله: ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا فإنه كلام مجمل لم يبين الفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا، ولعله أراد ما قاله الحوفي: من أن الكاف في موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى. فيكون التقدير: ويوم نحشرهم يسرعون كأن لم يلبثوا، وأما قوله: والكاف من قوله كأن، يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم، فلا يصح لأنّ يوم نحشرهم معرفة، والجمل نكرات، ولا تنعت المعرفة بالنكرة. لا يقال: إنّ الجمل الذي يضاف إليها أسماء الزمان نكرة على الإطلاق، لأنها إن كانت في التقدير تنحل إلى معرفة، فهن ما أضيف إليها يتعرف وإن كانت تنحل إلى نكرة كان ما أضيف إليه نكرة، تقول: مررت في يوم قدم زيد الماضي، فتصف يوم بالمعرفة، وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا. وأيضاً فكأن لم يلبثوا لا يمكن أن يكون صفة لليوم من جهة المعنى، لأنّ ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشرهم. وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف بربط فقدره: كأن لم يلبثوا قبله، فحذف قبله أي قبل اليوم، وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز. فالظاهر أنها جملة حالية من مفعول نحشرهم كما قاله ابن عطية آخراً، وكذا أعربه الزمخشري وأبو البقاء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [آية:٤٧ - ٤٩]:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ وأورد لهم دلائل الإرسال وردوا دلائله وما أسلموا له ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (الهاء) للرسول وأحد الأمم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل، وهو إهلاكهم وسلام الرسول والأولى اسلموا له، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ لإهلاكهم أو إحلالهم دار الكدر والسوء مع عدم عمل طالح مؤد له.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ﴾ لهم، والأمر لمحمد رسوله الأكرم ردد الله له السلام ﴿لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدرأه ﴿وَلا نَفْعًا﴾ أحصله ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ دراه أو حصوله ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ معلوم لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آية:٥٠ - ٥٢]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الموعود ﴿بَيَاتًا﴾ مساء حال عكس السهر ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وكلاهما أمر مكروه لكم وما معها مكمل لعامل هو كمهما.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ وإسلامكم لدى حلوله كعدمه ﴿الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ المؤلم لكم على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ

أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [آية:٥٣ - ٥٦]:

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ أرادوا إعلام الرسول لهم ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ وعدك وإرسالك ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أمر إرساله له السلام وما أوعدهم على عدم إسلامهم كلاهما حاصل، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ما أوعدكم الله مدرك لكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ لإلحادها ﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾ أموالهما كلها ﴿لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ المراد: أسرها رؤساء مكرهم روع الملام، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ وهو مكرر لوروده حكما للأمم كما أدى عملهم، وورود الأول للرسل مع أممهم.

﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما ملكا ومملكا ﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ ما أوعده ووعده لكل طائع وعاص ﴿حَقٌّ﴾ صادر حكم وعده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ إلا ما راوه، وهو حال الدار الأولى وحطامها.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كلام حوى ما على كل أحد وماله وهو كلام الله المكرم، ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ لكل داء وهم، أو إلحاد وسط الصدور، ﴿وَهُدًى﴾ دال إلى المسلك الموصل لله، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ﴾ هو الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ كلامه المكرم ﴿فَبِذَلِكَ﴾ أومأ إلى الإسلام وكلامه المكرم ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهو حطام الدار الأولى، ورواه راوٍ لسوى السامع.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ

ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [آية:٥٩، ٦٠]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾ ككل حام حرموه وهو حلال ﴿وَحَلالاً﴾ ككل ما أسالوا دمه على سوى اسم الله وادعوا حله وهو حرام ﴿قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ لادعائكم ورود أمر الله حكم عملكم، ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أما هم وأردوا موارد أعمالهم ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أعطاهم إدراكا وإرسال لهم رسلا، وأوحى لهم كلاما، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ آلاءه وأكرمه لهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾(١) [آية:٦١، ٦٤]:

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ الكلام لمحمد ردد الله له السلام ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر، ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿مَا﴾ للجحد؛ أي لست في شأن، يعني من عبادة أو غيرها إلا والرب مطلع عليك. والشأن الخطب، والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب ما شأنت شأنه، أي ما عملت عمله. ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ تعود على الشأن، أي تحدث شأنا فيتلى من أجله القرآن فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى. وقال الطبري: ﴿مِنْهُ﴾ أي من كتاب الله تعالى. ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أعاد تفخيما؛ كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ﴾ [القصص: ٣٠]. ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والأمة. وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطاب له والمراد هو وأمته؛ وقد يخاطب الرسول والمراد هو وأتباعه. وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾ أي نعلمه؛ ونظيره ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٤] ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تأخذون فيه، والهاء عائدة على العمل؛ يقال: أفاض فلان في الحديث والعمل إذا اندفع فيه..انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥٥/٨).

(الهاء) للأمر المحرر أو لله علا اسمه وسما كماله ﴿مِنْ قُرْءَانٍ﴾ أوحاه لك ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ عمم الكلام للرأس والمرؤوس ﴿إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ المراد الإطلاع ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (الهاء) للعمل.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ﴾ عامل ومعمول ﴿وَلا أَكْبَرَ﴾ رد الواو عاملا على عامل ومحمول الأول ﴿إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ﴾ الأولى والوه سلوكا على أوامره ووالاهم إكراما ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لحصول مكروه لهم، ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لعدم وصولهم إلى ما أملوه، وهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله لسلوكهم على مسلك أوامره.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ كل أمر مسر رآه أحدهم حلما كما رواه الحاكم وصححه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ دار المأوى والسرور السرمد ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ وعوده ﴿ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آية:٦٥، ٦٦]:

﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ وادعاؤهم عدم إرسالك ﴿إِنَّ﴾ مكسورا على أول الكلام ﴿الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْعَلِيمُ﴾.

﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿شُرَكَاءَ﴾ كود وسواع ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾ أوهاما لا دلائل معها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [آية:٦٧]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ سلك الكلام على اصطلاح المرسل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك.

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آية:٦٨ - ٧٠]:

﴿قَالُوا﴾ **الواو للهود وكل مدع مدعاهم** ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ **ما حواه كلاهما ملكا ومملوكا** ﴿إِنْ﴾ **ما** ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ **دال مصحح** ﴿بِهَذَا﴾ **أومأ إلى ادعاء الولد له** ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ **كادعاء الولد** ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ **كل مدع له ما هو مسعود أمدا ما دام على إصراره** ﴿مَتَاعٌ﴾ **محمول على مطروح هو مدعاهم أو أولى كلام محموله مطروح وهو لهم** ﴿فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ **لدى حلول أعمارهم وورود حمامهم** ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [آية:٧١ - ٧٤]:

﴿وَاتْلُ﴾ **الأمر لمحمد رسوله ردد الله له السلام له** ﴿عَلَيْهِمْ﴾ **على أهل الحرم** ﴿نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ **عسر** ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ **على دعائكم إلى الإسلام** ﴿وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ **الواو واو مع،** ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ **معمى** ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ **أدوا** ﴿إِلَيَّ﴾ **أمركم** ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ **ولا أروم إمهالا.**

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ **عما ادعوكم إلى سلوكه** ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا

عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أهل الإسلام الأولى سلموا لحكمه وأمره.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجعَلْنَاهُمْ﴾ (الهاء) للرسول ردد الله له السلام والأولى معه ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ المراد: أمرهم إلى الهلاك.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء) للرسول المسطور ﴿رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كوالد الرسل وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسالهم وصححوا دعواهم ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ حال عدم دعاء رسول لهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ
وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ
أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ
لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ
﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ
عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا

ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ
ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى
شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [آية:٧٥ - ٩٧]:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وعلموه العلم الطارد لكل وهم ﴿قَالُوا﴾ مرودا ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سحر ماهر ساحره ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ سحر ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وعامله مسعد وماح سحر كل ساحر، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ولو سحرا لما سعد عامله ولا محا سحرا سواه.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ المراد: رده لهم ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ هو ركوعهم لما هو كود وسواع، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وروى راوٍ: سحار، ﴿عَلِيمٍ﴾ ماهر ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ وسألوا موسى الطرح أولا.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا﴾ ما معهم كل عصا وسواها ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾ (ما)

اسم موصول أو كلام محموله ﴿السِّحْرُ﴾[1] ورواه راوٍ ﴿السحر﴾ على السؤال محمول على أول كلام مطروح هو هو، وعلى ما رواه ما الأولى للسؤال ﴿إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أوامره وأحكامه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَمَا آمَنَ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ (الهاء) لعدو موسى ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾[2] المراد: مع روعهم ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ ردا إلى مسلكهم الأول، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ عاد حد طوره.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لما رأى روعهم ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لا على سواه ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ محلها لأمر، وهو لو حصل لهم العلو أهل الإسلام لادعوا سلوكهم على مسلك الهدى ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا﴾ كلكم

---

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحْدَهُ ﴿آلسِّحْرُ﴾ بِالْمَدِّ جَعَلَ " مَا " بِمَعْنَى أَيْ وَالتَّقْدِيرُ: أَيُّ شَيْءٍ جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ هُوَ؟ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وَهَذِهِ الأَلِفُ تَوْبِيخٌ فِي لَفْظِ الاسْتِفْهَامِ فَهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ سِحْرٌ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ أَي: الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ، و" مَا " ابْتِدَاءٌ و" جِئْتُمْ بِهِ " صِلَتُهُ، و" السِّحْرُ " خَبَرُ الابْتِدَاءِ كَمَا تَقُولُ: الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ، وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلامٍ، وَفِي قِرَاءَتِنَا بِالأَلِفِ وَاللامِ، لأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَكُلُّ نَكِرَةٍ إِذَا أُعِيدَتْ صَارَتْ مَعْرِفَةً، وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: ﴿مَا أَتَيْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾. وَحَدَّثَنِي ابْنُ مُجَاهِدٍ، عَنِ السِّمَّرِيِّ، عَنِ الْفَرَّاءِ، قَالَ: يَجُوزُ فِي النَّحْوِ " مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ " بِالنَّصْبِ، عَلَى أَنْ يَجْعَلَ " مَا " شَرْطًا، وَجَوَابُهُ الْفَاءُ مُضْمَرَةٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَتَلْخِيصُهُ: فَإِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ.[إعراب القراءات السبع:١/٢٧٣].

(٢) قال أبو جعفر النحاس: ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ ولم يقل: وملائه. ففي هذا ستة أجوبة: منها: أن فرعون لما كان جبارا خبر عنه بفعل الجميع، ومنها أن فرعون لما ذكر علم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم، وهذا أحد جوابي الفراء، ومنها أن تكون الجماعة سميت بفرعون، مثل: ثمود. وجواب الفراء الآخر: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون. مثل: ﴿واسأل القرية﴾. وهذا الجواب على مذهب الخليل وسيبويه خطأ، لا يجوز عندهما: قامت هند وأنت تريد غلامها. والجواب الخامس: مذهب الأخفش سعيد: أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي: وملأ الذرية. والجواب السادس: كأنه أبينها يكون الضمير يعود على قومه.

﴿بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أكملوها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حالا علوا على الأعداء ومآلا دار المأوى والسرور السرمد.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ المسلك المؤسس للعوالم لسلوكه ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أهلكها، والطمس المحو، ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ المؤلم وهو دعاء على عدوه وملأه.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ موسى وردؤه، ولما دعا الله موسى الله له السلام سأل الله ردؤه حصول ما موله وطمس الله أموالهم وأهلكها ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ دوما على حالكما وهو دعاء الأمم إلى الإسلام، ﴿وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ﴾ مسلك ﴿الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهو رومهما إسراع حلول الهلاك وداما أعواما عدد موعد موسى ردد الله لهما السلام.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ ووصلوا إلى ساحله ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ أدركهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ عولا، وهو عكس العدل ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كررا الإسلام طمع عدم رده وكلمه الملك الروح:

﴿ءَالآنَ﴾ حصل إسلامك ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ المراد: طرحه إلى الساحل مع عدم الروح لعلمهم هلاكه لما عراهم وهم عدم هلاكه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ وراءك ﴿آيَةً﴾ لحسم دعوى ما ادعاه مع سماع ما آل أمره له، وراوه مطروحا على الساحل، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ دار إكرام وصلاح، وهو مصر وسواها، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ﴾ المأكل ﴿الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ وصار إطلاعهم على ما أوحاه الله لموسى ردد الله له السلام وعملوا أحكامه، أو المراد: علم إرسال محمد صلى الله على روحه وسلم لدلائله المعلوم أمرها لهم؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وحكمه إكرام أهل الإسلام والهدى وإهلاك أهل الإلحاد والعمى.

﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ الكلام للرسول الأكرم محمد ردد الله أسمى سلام له وإكرام، أو لكل سامع ﴿فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مما حصل لموسى مع عدوه وسواه مما حكمه،

والمراد على الأول، وهو ورود الكلام للرسول ولو حصوله محال لك ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ هو الموحى إلى موسى ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ هل الأمر والحال كما ورد لك أم لا، وحاصل كلام الرسل ردد الله له السلام لما أوحى الله له الحكم المسطور لا أوهم ولا أسال ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أهل الأوهام عما ورد لك، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ورد الحكم المسطور حسما لطمع أعداء الله أهل الإلحاد وورومهم رده وعدو له أوحاه له مولاه علا اسمه وسما حمده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ المراد: أعمارهم وهم على إصرارهم على عدم الإسلام ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وحال مرآهم له إسلامهم مردود كما رد إسلام عدو موسى لما أسلم حال مرآه الهلاك.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آية:٩٨، ٩٩]:

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ المراد: أهلها ﴿آمَنَتْ﴾ حال عدم ورود هلاكهما ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ أول ما رأوا علم الهلاك وما أمهلوه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ حلول أعمارهم وورود حمامهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ على أمر ما أراده الله لهم وهو إسلامهم ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا، وحصوله محال أوحاه الله لما حرص الرسول ردد الله له السلام على إسلام أهل الإلحاد.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية:١٠٠]:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ مراده لها الإسلام، ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾

الهلاك ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ دلائله وأحكامه.

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آية:١٠١، ١٠٣]:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [1]وكلها دلائل على الواحد الأحد وكمال علمه، ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ﴾ الدلائل ﴿وَالنُّذُرُ﴾ الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لعدم مراد الله لهم الإسلام.

﴿فَهَلْ﴾ ما ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ لما مردوا على أوامر الله ﴿إلا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هو حلول الهلاك كما حل على الأمم الأول ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا﴾ المراد: هلاك الأمر ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ هلاككم.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ حكى الحال المار أمرها ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الرسول، وأهل الإسلام حال حلول الهلاك على أهل الإلحاد.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آية:١٠٤ - ١٠٦]:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ هل هو على الهدى أم لا ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه كود وسواع، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي

---

(١) قال المفسرون: قل للمشركين الذي يسألونك الآيات على توحيد الله انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر وكل هذا يقتضي خالقا مدبرا وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين. انظر زاد المسير(٤/٦٨)

يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ﴾ رد الواو محصل المصدر وما معه على محصل مصدر ولو وصل العامل المردود وأرادا أمرا وهو ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ سالكا على مسلك أحكامه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا له عما سواه، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ﴾ دعاؤه، ﴿وَلا يَضُرُّكَ﴾ عدم دعائه، ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ولو حصوله محالا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية:١٠٧]:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ كعدم أو داء ﴿فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ﴾ إلا الله وحده، ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ المراد لك لعدم رد أحد مراد الله ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ (الهاء) للمراد لا للماس الأول ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [آية:١٠٨، ١٠٩]:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ رسوله الأكرم ردد الله له أكمل السلام وكلامه المكرم ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ إسلاما لرسوله وسلوكا على مسلك كلامه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لحصول صالحه له لا لسواه.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ لا أسلم للرسول ولا سلم للأحكام ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ لأكرهكم على الهدى.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ﴾[1] وحكمه سل الرسول حسامه على كل ملحد، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لاطلاعه على السرائر إطلاعه على عكسها.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ قيل: نسخ بآية القتال: وقيل: ليس منسوخا؛ ومعناه اصبر على الطاعة وعن المعصية. وقال ابن عباس: لما نزلت جمع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار ولم يجمع معهم غيرهم فقال: "إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" وعن أنس بمثل ذلك؛ ثم قال أنس: فلم يصبروا فأمرهم بالصبر كما أمره الله تعالى. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٨٨/٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود

مكية، وآيها مائة وثلاث وعشرون آية

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ﴾ [آية:١ - ٥]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح ﴿كِتَابٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو كلام المكرم ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ وما درر السلك ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ سورا وأحكاما ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ وهو الله لـ ﴿أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ لكل عاص، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ لكل طائع.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾[1] مما هو إلحاد ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ اسلكوا على مسلك أوامره ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ هو صلاح أحوالكم مدى العمر ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم، وهو حلول أعماركم، وورود حمامكم، ﴿وَيُؤْتِ﴾ لدى المعاد ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ معامل أهل العمل الصالح على صلاحهم، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ مطروح ما كأوله

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾: عطف على " ألا تعبدوا "، ﴿ثم توبوا إليه﴾؛ ثم توصلوا إلى مطلبكم بالتوبة؛ فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع. وقيل: استغفروا من الشرك، ثم توبوا إليه بالطاعة، ويجوز أن يكون " ثم ": للتفاوت بين الأمرين. انظر البحر المديد: (٣/٢٦٤).

﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو المعاد.

﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أمالوها إلى الإلحاد وأسروا أمرهم ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ (الهاء) عائد لله ﴿أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ لدى مأواهم إلى وطائهم ﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ ما حواه وأسره صدرهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ سرهم وعكسه سوا ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية:٦]:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ وعد إكرام وأورد إلا لوصول ما كلها على كل حال ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مال أمرها أو الأرحام أو محل مأواها ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مودعها وهو المواد ﴿كُلٌّ﴾ مأواها ومودعها وأحوالها ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿مُبِينٍ﴾ محرر ومسطر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية:٧، ٨]:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ هو واحد سرر الملك ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ المراد: عدم الحائل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ معلول اللام وصل الاسم الموصول ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ المراد: أطوع، ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ لهم والكلام للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أومأوا إلى ما حكاه الرسول لهم أو إلى الكلام المكرم، وروى راوٍ محل إلا سحر إلا ساحر، وأرادوا الرسول صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ الموعود ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ مدد ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ ماله ما ورد ولا حل ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو الهلاك.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [آية:٩ - ١٢]:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ المراد: سوى المسلم ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ واحد الآلاء أموالا وسواها ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ﴾ مال أو صحاح ﴿بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ عدم أو داء ﴿مَسَّتْهُ﴾ المس أول الوصول ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ كل أمر مكروه ساءه ﴿عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ على العالم ﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على اللأواء وسلموا الحكم لله ومراده، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حمدوا مولاهم على كل الأحوال أو حمدوا على السراء وسلموا لدى اللأواء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو دار المأوى والسرور الدائم.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ الكلام لمحمد ردد الله لروحه أكمل سلام ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ روع رد أهل الإلحاد له، ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ روع ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أموال لإعطائه للعالم على سلوكهم ما دعاهم له كالملوك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ مصحح أمر أسأله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أمرك أداء ما أوحاه لك مولاك لا ما سألك أهل الإلحاد ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ عالم أحوالهم ومعاملهم على سوء أعمالهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [آية:١٣، ١٤]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (الهاء) لكلام الله المكرم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ كأحكام سرده ومؤداه ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مما هو كلامكم، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه وصححوا مدعاكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الواو لكل مدعو سوى الله ﴿فَاعْلَمُوا﴾ الأمر لأهل الإلحاد ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ﴾ (و) اعلموا (أن) أصله العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ المراد: أسلموا.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٥، ١٦]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾[1] سرد ورد لكل مراء أعطى ورائى لا لله

---

(١) قال القرطبي: فيه ثلاث مسائل: - الأولى: - قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ﴾ كان زائدة، ولهذا جزم بالجواب فقال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ قاله الفراء. وقال الزجاج: ﴿مَنْ كَانَ﴾ في موضع جزم بالشرط، وجوابه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ أي من يكن يريد؛ والأول في اللفظ ماضي والثاني مستقبل واختلف العلماء في تأويل هذه الآية؛ فقيل: نزلت في الكفار؛ قال الضحاك، واختاره النحاس؛ بدليل الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ [هود: ١٦] أي من أتى منهم بصلة رحم أو صدقة نكافئه بها في الدنيا، بصحة الجسم، وكثرة الرزق، لكن لا حسنة له في الآخرة. وقد تقدم هذا المعنى في "براءة" مستوفى. وقيل: المراد بالآية المؤمنون؛ أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئا في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات" فالعبد إنما يعطى على وجه قصده، وبحكم ضميره؛ وهذا أمر متفق عليه في الأمم بين كل ملة. وقيل: هو لأهل الرياء؛ وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: "صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك" ثم قال: "إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار". رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاء شديدا وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وقرأ الآيتين، خرجه مسلم [في صحيحه] بمعناه والترمذي أيضا. وقيل: الآية عامة في كل من ينوي بعمله غير الله تعالى، كان معه أصل إيمان أو لم يكن؛ قال مجاهد وميمون بن مهران، وإليه ذهب معاوية رحمه الله تعالى. وقال ميمون بن مهران: ليس أحد يعمل حسنة إلا وفي ثوابها؛ فإن كان مسلما مخلصا وفي في الدنيا والآخرة، وإن كان كافرا وفي في الدنيا. وقيل: من كان يريد [الدنيا] بغزوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيها، أي وفي أجر الغزاة ولم ينقص منها؛ وهذا خصوص والصحيح العموم. الثانية: - قال بعض العلماء: معنى هذه الآية قوله عليه السلام: "إنما الأعمال بالنيات" وتدلك هذه الآية على أن من صام في رمضان لا عن رمضان لا يقع عن رمضان، وتدل على أن من توضأ للتبرد والتنظف لا يقع قربة عن جهة الصلاة، وهكذا كل ما كان في معناه. الثالثة: - ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة؛ وكذلك الآية التي في "الشورى" ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠] الآية. =

ورسوله ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ كل عمل صالح عملوه كإعطاء معدم ووصل رحم ﴿فِيهَا﴾ (الهاء) للدار الأولى، والمراد: إعطاؤه لهم الأولاد لهم الأولاد والمال الواسع وسواهما ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ ما أعطوه على صالح أعمالهم كاملا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ﴾ لما عوملوا على صالح أعمالهم أولا وأعطوا الآلاء على ما عملوه كله حكم العدل، وورودهم موارد طالح أعمالهم وهو سوء الدار، ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ (الهاء) لدار المعاد، ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لوروده لا لله ورسوله.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [آية:١٧]:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كلامه المكرم وهم الرسول ردد الله لروحه السلام وأهل الإسلام، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ آمه ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ الهاء لله وهو الملك الروح، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ المراد: كلام الله ﴿كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ إلى الموحى لهم، والمراد: أهؤلاء كالأولى ما هم على أمر حرر وسطر لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أومأ إلى الأولى على الهدى ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كلام الله ولهم دار السرور الدائم، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ أهل الحرم، والأولى مالؤا معهم على رسول الله ردد الله له السلام ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ وهم مما حرر وهو حصول الموعد لهم أو الكلام المكرم ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

=

وكذلك ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] قيدها وفسرها التي في "سبحان" ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] إلى قوله: ﴿مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠] فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد، وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أنها منسوخة بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨]. والصحيح ما ذكرناه؛ وأنه من باب الإطلاق والتقييد؛ ومثله قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائما على كل حال، وليس كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١] والنسخ في الأخبار لا يجوز؛ لاستحالة تبدل الواجبات العقلية، ولاستحالة الكذب على الله تعالى فأما الأخبار عن الأحكام الشرعية فيجوز نسخها على خلاف فيه، على ما هو مذكور في الأصول. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٩).

رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الحرم ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ لعدم إدراكهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [آية:١٨ - ٢٢]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كدعوى الولد أو إله معه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد مع الأمم، ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ للرسل على أدائهم لأممهم ما أوحاه الله لهم وعلى عدم إسلام الأمم ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المراد: أهل الإلحاد.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المأمور كل أحد إلى سلوكها، والمراد: الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مائلا مسلكها عما هو هدى ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ وكررهم مؤكدا للحادهم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ لرد ما أعده لهم ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ لما دلوا سواهم على سوء المسلك وصاروا إماماً لهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لكل كلام دال على الهدى وصاروا كالأصم، ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ دلائله لعمه صدورهم، أو لما هو أمر مكروه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمآل أمرهم إلى الهلاك الدائم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو ادعاء إله سوى الله، ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آية:٢٣، ٢٤]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ هدأوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أهل الإسلام وعكسهم ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ هم أهل الإلحاد، ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هم أهل الإسلام ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ لا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ
إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ
لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ
إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ
أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ
أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ
إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا
مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا
تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن
قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ

تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٌ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا
وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا
وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٍ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ
ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ
إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ
بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي
وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ
ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا
لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ
أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ
يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1][آية:٢٥ - ٤٩]:

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: هذه السورة في قصصها شبيهة بسورة الأعراف بدئ فيها بنوح، ثم يهود، ثم بصالح، ثم بلوط، مقدّماً عليه إبراهيم بسبب قوم لوط، ثم بشعيب، ثم بموسى وهارون، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين. وذكروا وجوه حكم وفوائد لتكرار هذه القصص في القرآن. وقرأ النحويان وابن كثير: أني بفتح الهمزة أي: بأبي، وباقي السبعة بكسرها على إضمار القول. وقال أبو علي في قراءة الفتح: خروج من الغيبة إلى المخاطبة، قال ابن عطية: وفي هذا نظر، وإنما هي حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إلى مخاطبة، ولو كان الكلام أنْ أنذرهم أو نحوه لصح ذلك انتهى. وأنْ لا تعبدوا إلا الله ظاهر في أنهم كانوا يعبدون =

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وهو وارد مورد أمسه ساهر.

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الرؤساء ﴿مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أحط العالم سؤددا ﴿بَادِيَ﴾ المراد: أول ﴿الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ مؤهلكهم لأمر الإرسال وحصول السؤدد ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ كلموا الرسل وأهل الإسلام معه مع عدم ادعاء أهل الإسلام الإرسال إلا للرسول وحده وما ادعوه لهم لأمر وهو لما سلموا للرسول ما ادعاه وأسلموا له صاروا معه كالواحد وله حملهم لهم على ادعائهم كلهم ما لا أصل له على دعواهم وسوء مسلكهم ومسراهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ دال مصحح لما أدعوكم له، ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ إرسالا أو ما هو أعم ﴿مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ﴾ ورواه راوٍ لسوى المعلوم مكررا ما أم الأول كسمى ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وما حصلها إدراككم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ المراد: ما هو مكرهوهم على سلوكهم مسالك الهدى ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (الهاء) عائد على معلوم وهو أداؤه ما أوحاه الله له ﴿مَالا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ﴾ هو المأمول، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ رد لسواهم له طردهم ﴿إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد وطاردهم معامل على طرده لهم، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أمر المعاد أو مآل الأمور.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ المراد: لا أحد ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ أمواله، ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ مراده: ما ادعى أمرا أداهم إلى ردهم دعواه لعدم سؤدده أو ورود حاله وحالهم واحدا

=

الأوثان كما جاء مصرّحاً في غير هذه السورة، وأن بدل من أي لكم في قراءة من فتح، ويحتمل أن تكون أنْ المفسرة. وأما في قراءة من كسر فيحتمل أن تكون المفسرة، والمراعى قبلها: أما أرسلنا وإما نذير مبين، ويحتمل أن تكون معمولة لأرسلنا أي: بأن لا تعبدوا إلا الله، وإسناد الألم إلى اليوم مجاز لوقوع الألم فينه لا فيه. انظر تفسير البحر المحيط (٢١٤/٥)

وكلهم ولد آدم أوامرا إدراكه محال، ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾ ما أعده لهم أعلى مما أعطاكم ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ إرسالا ووعدا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ﴾ هلاككم على الإسراع أو الإمهال، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله لو أراد حلول الهلاك.

﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ ومكمل العامل الوارد وراء لكم داله ولا وما معه ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (الواو) لأهل الحرام ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد رسول الله ردد الله له السلام، والهاء لكلام الله المكرم ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هو حملهم الرسول على إصداره كلام الله وادعائه وروده له.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ حاصله حصول الكدر ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هو إلحادهم وردهم لدعوى إرساله، وسأل الله هلاكهم ولما حصل ما سأله مولاه أصدر له الله أمره وهو:

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مع مرآى، والمراد: كلؤه ﴿وَوَحْيِنَا﴾ لك، ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ سائلا عدم إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكى الحال المار عصرها، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ لعمله لها ووسط المهمه لا على ساحل الماء ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ حال هلاككم وحصول السلام لأهل الإسلام مع رسولهم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ اسم موصول معمول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الهلاك حال ورود الماء ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم وهو دار السوء والكدر السرمد.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ صدر للهلاك، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ المعلوم وعلاه الماء وهو دال الرسول والد سام على ورود الهلاك ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ كالمرء وأهله ولد آدم وسواهم مما هو لصدور الولد ﴿وَأَهْلَكَ﴾ حرمك وأولادك ﴿إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ المراد: على وروده مورد الهلاك أحد أولاده وأمه سوى سام وحام

وأهلهم، وحمل أهله وأولاده وأهلهم وما وردا الله لحمله لهم، ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ﴾ رهط مع أهلهم وحمل الكل وسطها وأعطى دركها للحمر وما حكمه كحكمها وأوسطها لولد آدم وأعلاها للطائر.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ رواهما راوٍ على المصدر كمرمى، وراوٍ كمعطى ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل طائع ولولاهما لأهلك الكل.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ علوا إلى السماء، ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ ولده له ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ﴾ والده له ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ إهلاكه ﴿إِلا مَنْ رَحِمَ﴾ الله هو المعصوم أو إلا الراحم وهو الله ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ المراد: إمساكها لحلول الأمطار، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ همد وهداء، ﴿وَقُضِيَ الأمْرُ﴾ أمر هلاكهم، ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ اسم طود حول الموصل أو آمد، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ووعدك عدم هلاك الأهل عمه ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم وأعلمهم لحكمك مع العلم الكامل.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ﴾ (الهاء) للولد ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أهل مسلكك ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (الهاء) للولد، والمراد: ما حال ومسراه حال أهل الصلاح أو عائد إلى السؤال، والمراد: سؤالك عدم هلاكه ما هو عمل صالح ﴿فَلا تَسْأَلْنِ﴾ ورواه راوٍ مكررا ما أم اللام ومؤكدا سأل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لعدم لمح الرسول والد حام ردد الله له السلام ما دل وأهلك إلا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي﴾ ما صدر وحصل ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أعمالا.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا﴾[1] سلام إكرام أو سلام عما هو مكروه له ﴿وَبَرَكَاتٍ

---

(١) قوله تعالى ﴿يا نوح اهبط﴾ قال ابن عباس يريد من السفينة إلى الأرض بسلام منا أي بسلامة قوله تعالى ﴿وبركات عليك﴾ قال المفسرون البركات عليه أنه صار أبا للبشر جميعا لأن جميع الخلق من نسله وعلى أمن معك قال ابن عباس يريد من ولدك قال ابن الأنباري المعنى من ذراري من =

عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ المراد: وعلى أمم هم معك أو على أولادهم، ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أموالا وسواها طول عمرهم، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لدى حلول أعمارهم وعودهم المعاد وهم أهل الإلحاد.

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى ما حواه السرد، وهو أمر الرسول والد سام ردد الله له السلام وما حصل له مع الأمم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ محمول الاسم المار ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ محمول أم محمولا أو حال معمول عامل الكسر، أو هو المحمول وحده وعامل الكسر إما مكمل له ومحله وراءه أو حال الهاء ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أومأ إلى الكلام المكرم وما وما معها محمول لما أومأ أولا أو حال الهاء، ﴿فَاصْبِرْ﴾ على مر الإرسال كما حمل والد سام طول المدد، والأمر للرسول الأكرم ردد الله لهما أكمل السلام والإكرام ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ المحمود أمرها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الإلحاد، وكل سلوك مصادم لأوامر الله علا اسمه.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا

=

معك والمراد المؤمنون من ذريته ثم ذكر الكفار فقال وأمم أي من الذرية أيضا والمعنى وفيمن نصف لك أمم وفيمن نقص عليك أمره أمم سنمتعهم أي في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة قال محمد بن كعب القرظي لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾.
انظر زاد المسير: (١١٥/٤)

ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن
دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم
مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم
مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ
جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ
أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾» [آية:٥٠ - ٦٠]:

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ معمول لإرسال مطروح ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملأ ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ﴾ على الله لركوعكم إلى ما كود وسواع وادعائكم إلها معه لا إله إلا هو.

﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الإسلام ﴿أَجْرًا﴾ مالا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ كل الرسل كلموا أممهم على سرد واحد طرد الحلول أوهام الأمم محل أطماع الرسل ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ مطالع الهدى.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ لكل إلحاد صدر ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عودوا واسلكوا على مسلك أوامره ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ درًّا ما، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ أموالا وأولادا وعدد لهم آلاء المطر والأولاد لما عراهم وسد الأرحام، ﴿وَلا تَتَوَلَّوْا﴾ عما أدعوكم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مراده أولوا إصرار على سوء مسراكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أمر دال على مدعاك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ﴾ مؤد مؤدى اللام ﴿قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ حسما لطمع حصول إسلامهم له ﴿إِنْ﴾ ما ﴿نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ لمم لسدك مسالك الركوع لها ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ حاولوا كل مكروه وهلاك وصل عملكم له ﴿جَمِيعًا﴾ مع كل إله لكم سوى الله ﴿ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾ لا أروم إمهالكم ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي

وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ مالكها وله أمرها ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ سوى، وهو مسلك العدل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ طرح مأكوله ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ لإلحادكم وادعائكم معه سواه ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ كالئ لأعمالكم ومعاملكم على سوء مسراكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هو هلاكهم ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هدى ﴿مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ أومأ إلى دورهم ومحالهم أو إلى لحودهم ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ عدد الرسول لأمر وهو كل عاص رسولا واحدا كعاص الرسل كلهم ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ الواو لإحطائهم ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وهم رؤساؤهم.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ على ممر الدهور ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ على ملاء العوالم كلهم.

﴿أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ المراد: آلاؤه ﴿أَلا بُعْدًا لِعَادٍ﴾ هلاكا لهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ وأورد ملأ هود حصرا لهم عما سواهم وهم عاد إرم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا
وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ
تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ
أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ

ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ [آية:٦١ - ٦٨]:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ معمول لأرسل مطروح ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملاء ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ المراد: والدكم آدم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ أو المراد: مواد أصلكم وهو الماء الحال الرحم ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أطال عمركم ﴿فِيهَا﴾ أو أرسلكم عمارا لها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لكل إلحاد صدر ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عودوا واسلكوا مسالك أوامره ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ علما واطلاعا على الأمم وكل عائد له ﴿مُجِيبٌ﴾ كل داع وسائل.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ مأمولا لك السؤدد ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الكلام الصادر ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ حكى الحال المار عهدها ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ وهو الإسلام إلى الله والعدول عما هو كود وسواع ﴿مُرِيبٍ﴾ مؤد لها.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ دال ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ المراد: ما عم الإرسال ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لكل عاص ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ مهملا لأوامره ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ سالكا على مسالككم ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ لمال الأمر إلى الهلاك، ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ معمول على الحال وعامله مؤدى ما أومأ ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أمروا أحدهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عمروا ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ الأولى أو الدور ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وردوا موارد الهلاك ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هو هلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هدى ﴿مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ رواه راوٍ مكسورا، وراوٍ على عمل العامل محلا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ الهلاك المعد لهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هلكى ﴿كَأَنْ﴾ أصله العامل كلعل وطرح اسمه ﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (الهاء) للدار، والمراد: حالهم كحال الأولى لا وردوا إلى الدار ولا عمروا ﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِثَمُودَ﴾ رواهما راوٍ على وروده معلوم كأحمد، وراوٍ سالما.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ

قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا
بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي
شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ
عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ
إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا
سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ
وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ
مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾
قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ
مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ
ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن
سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾» [آية:
٦٩ - ٨٣]:

﴿وَلَقَدۡ جَاءَتۡ رُسُلُنَا﴾ الأملاك ﴿إِبۡرَاهِيمَ بِالۡبُشۡرَى﴾ لحصول الولد أو هلاك أمم لوط ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سلموا سلاما ﴿قَالَ﴾ أمركم ﴿سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنۡ جَاءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ﴾ كل لحم حط على المرمر المحمى أو سواه أو هو اسم لما سال ودكه.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾ ما مدوها للطعام ﴿نَكِرَهُمۡ﴾ وهاله حصول مكروهم، ﴿وَأَوۡجَسَ﴾ أسر ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةً قَالُوا﴾ له لما رأوا لوائح الروع ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّا﴾ أملاك ﴿أُرۡسِلۡنَا إِلَى﴾ إهلاك ﴿قَوۡمِ لُوطٍ﴾.

﴿وَامۡرَأَتُهُ﴾ (الهاء) لوالد الرسل ردد الله له السلام ﴿قَائِمَةٌ﴾ على الطعام

﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورا لهلاك ملاء لوط، أو المراد ورد دمها ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ لحرصها على الولد، ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ولده، والمراد: طول عمرها إلى ورود ولدها وولد ولدها.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[1] أعوام عمرها عدد صاح ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ حال وأعوام عمره عدد صل ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهو صدور الولد للهرم والهرمى.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ معمول أهل أما على المدح أو الدعاء ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَجِيدٌ﴾ أهل الكرم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ محل الروع صار ﴿يُجَادِلُنَا﴾ المراد: محاورا للرسل وهم الملائك ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ مؤملا عدم إسراع الرسل إلى هلاكهم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ دائم الدعاء إلى الله على أكمل حال الدعاء ﴿مُنِيبٌ﴾ عائد إلى الله، والمراد: سرد الأمر الحامل للرسول المسطور ردد الله له السلام على روم عدم إهلاك أمم لوط، ولما أطال الكلام مع الرسل دعوه.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وصدر لإهلاكهم، وهو عالم أحوالهم وأسرارهم، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ لا راد له لا دعاء ولا سواه.

---

(١) قال الرازي: قوله: ﴿يَاوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَاذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ﴾ ففيه مسائل: المسألة الأولى: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو آلد بهمزة ومدة، والباقون بهمزتين بلا مد. المسألة الثانية: لقائل أن يقول إنها تعجبت من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر، بيان المقدمة الأولى من ثلاثة أوجه: أولها: قوله تعالى حكاية عنها في معرض التعجب ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَاذَا﴾ وثانيها: قوله: ﴿إِنَّ هَاذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وثالثها: قول الملائكة لها ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ وأما بيان أن التعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر، فلأن هذا التعجيب يدل على جهلها بقدرة الله تعالى، وذلك يوجب الكفر. والجواب: أنها إنما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فإن الرجل المسلم لو أخبره / مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهباً إبريزاً فلا شك أنه يتعجب نظراً إلى أحوال العادة لا لأجل أنه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك. المسألة الثالثة: قوله: ﴿وَهَاذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ فاعلم أن شيخاً منصوب على الحال، قال الواحدي رحمه الله: وهذا من لطائف النحو وغامضه فإن كلمة هذا للإشارة، فكان قوله: ﴿وَهَاذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ قائم مقام أن يقال أشير إلى بعلي حال كونه شيخاً، والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة. انظر تفسير الرازي (١٨/٣٧٦).

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ساءه ورودهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لورودهم على صور مرد ملاح وراعه إطلاع ملأه على صورهم وأمهم لهم مع عدم الراد لهم عما أرادوه لو رأوا صورهم وهموا إلى عمل أمر معهم ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ وأمر عسر.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا ورود المرد إلى دار لوط ﴿يُهْرَعُونَ﴾ سراعا روما لحصول مأملهم ﴿إِلَيْهِ﴾ (الهاء) للوط ردد الله له السلام ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وطء السه ﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ والمراد: الإعطاء على مسلك الإملاك لا العهر ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ سالك على الهدى ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ ولا مرام ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عدد وعدد ومكمل لو هو لردعهم ولما رأى الملائك كدره وما حصل له.

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ حصص ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ورائه لهول ما هو حال على ملأهم ولا مسلط على أحد حكما، والمراد: لوط ﴿إِلا امْرَأَتَكَ﴾ مطرود طرده إلا عما هو عموم للأهل وداله وروده على ما راو أمام ولا ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ولما سأل الرسل إعلامهم له موعد هلاك ملأه أعلموا ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ وهو كالمعلل لأمر الإسراء، ولما رام لوط موعدا أسرع للهلاك سأله الرسل ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ الهلاك أوامر الهلاك ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ (الهاء) عائد إلى محالهم أو دورهم سمكها الروح ردد الله له السلام إلى السماء وطرحها عاكسا لها أعلاها إلى محل دركها ودركها إلى محل أعلاها، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ هو اسم للطرس المحرر وسطه ما أعده الله لهم أو اسم لدار الهلاك الدائم والكدر السرمد أو اسم للحال المحمى وسطها ﴿مَنْضُودٍ﴾ واحد أم واحد مع إسراع الإرسال وعدم الإهمال.

﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلوم ومرسوم على كلها اسم مرماها ومهلكها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لدى عمله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿بِبَعِيدٍ﴾ لسلوكهم على مسلك مؤد لحلولها لإلحادهم وردهم إرسال محمد ردد الله له اسمى السلام.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا
تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا
بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ
أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ
كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ
ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [آية:٨٤ - ٩٥]:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ **معمول لأرسل مطروح** ﴿أَخَاهُمْ﴾ **ملأ** ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ **وحدوه** ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ **ردع مما هو سلوك على العول وعدم العدل، والأول أمر الملاك الأمر كله، وهو لا إله إلا الله** ﴿إِنِّي

أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ وسع مال وهو كالمعلل لدرعه لهم، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ مهلككم كلكم.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل، ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد لمؤدى العامل.

﴿بَقِيَّتُ اللهِ﴾ ما أحله لكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما حرم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ كالئ أعمالكم ومعاملكم على طالحها.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ كود وسواع ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ مردود مصدره رده أو على ما الموصل، ومرادهم كلاهما عكس الصلاح ﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أرادوا عكسهما وأوردوهما على مسلك الحكم المؤكد لما أرادوا لومه على أمره لهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ علم أو إرسال ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا هل أروم حراما، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ﴾ المراد: ما أروم السلوك على مسلك ما أردع ﴿عَنْهُ﴾ واعاكس ما أمر ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ﴾ لأحوالكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ الإصلاح وما للمصدر، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أعود لدى المعاد.

﴿وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ المراد: حملهم له محمل الأعداء مؤد إلى هلاكهم كما أهلك الله ملأ الرسول والد سام ردد الله له السلام، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ عهدهم وعصرهم أو محلهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لكل عائد وداع ﴿وَدُودٌ﴾ مؤد كل طائع ومعامله كأحد أهل الود مع موادهم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ [1]مرادهم عدم إدراك كلامه لوروده عكس صالحهم على دعواهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ كرد عدد الإله إلى واحد وهو الله، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ أي ما نفهم؛ لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور، وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله. وقيل: قالوا ذلك إعراضا عن سماعه، واحتقارا لكلامه؛ يقال: فقه يفقه إذا فهم فقها؛ وحكى الكسائي: فقه فقها وفقها إذا صار فقيها. انظر الجامع لأحكام القرآن (٩١/٩).

ضَعِيفًا﴾ لعدم العدد والعدد وحصول المكروه والسوء لك أمر سهل، ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ﴾ أرحامه الأولى على مسلكهم ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ إلى حصول هلاكك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ (الهاء) لاسم الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ هو المعلوم وحول أوله للكسر لما أم رآه كما حولوا أول الدهر حال ورودها وراء رائه؛ ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ مطلع ومعاملكم على سوء أعمالكم.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ المراد: على حاله ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ اسم موصول معمول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا﴾ مآل أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ الهلاك أو امر الهلاك ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَّا﴾ هدى، ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح الملك الروح ردد الله له السلام وأهلكهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هووا على كردوسهم هلكى.

﴿كَأَنْ﴾ أصله العامل كلعل واسمه (الهاء) مطروحا ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ ما عمروا ﴿فِيهَا﴾ (الهاء) عائد للدار ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ دعاء هلاك ﴿لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ
أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ
(٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ
وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ
وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ
(١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ
فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا

مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ
مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ
نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ
رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا
تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا
مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آية:٩٦ - ١١٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ الكلام الموحى له أو الدلائل على الإرسال على العموم، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال أمره ساطع كالعصا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سداد ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ المراد: هو أمامهم وهم وراءه، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ المورد لهمود حر الأوام وما وردوه حار.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ الدار ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ طردا على ملأ العوالم ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ﴾ الردء ﴿الْمَرْفُودُ﴾ المردأ أو العطاء المعطى.

﴿ذَلِكَ﴾ المسطور كله ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول الأكرم الأطهر ردد الله له أكمل السلام ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ أساسه ودوره وأهله هلكوا، ﴿وَحَصِيدٌ﴾ درس رسمه مع أهله وصار كالمحصود، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ إهلاكا ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما أوردوها موارد الهلاك كما ادعوا مع الله إلها سواه، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ إهلاكه لهم ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ هلاك ودمار.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ المراد: أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم، ﴿شَدِيدٌ﴾ ولا مرد له.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ما حصل إلى الأمم ﴿لآيَةً﴾ ردعا ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ كل العوالم رأوه.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ المعاد المسطر ﴿إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ محدود ومعلوم.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ﴾ مطروح ما كأوله ﴿نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ (الهاء) عائد الله ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الأمم ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ كما علمه الله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ طرح الصعداء مع الصداح، ﴿وَشَهِيقٌ﴾ ردها مع صداح أحط.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أعواما عدد أعوام دوامها ﴿إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وأراده وهو دوامهم سرمدا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾[1] رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه كوصل الموصول الأول ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أعواما عدد أعوام دوامهما كالأول أو وارد كلاهما على اصطلاحهم لو أرادوا حكم الدوام لأمر سردوا له ما دام السماء ﴿إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وهو دوامهم على الأول ولو حمل ما دام على اصطلاحهم المحرر عاد إلا ما لكل مسلم عاص لعدم حلوله دار المأوى أولا مع السعداء الأول وهم ما طرحه إلى الأول على الحمل المحرر ﴿عَطَاءً﴾ مصدر مؤكد ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ دائم لا حسم له أمدا وسرمدا.

---

(١) قال الرازي: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالارْضُ إِلا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وفيه مسألتان: المسألة الأولى: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿سُعِدُوا﴾ بضم السين والباقون بفتحها وإنما جاز ضم السين لأنه على حذف الزيادة من أسعد ولأن سعد لا يتعدى وأسعد يتعدى وسعد وأسعد بمعنى ومنه المسعود من أسماء الرجال. المسألة الثانية: الاستثناء في باب السعداء يجب حمله على أحد الوجوه المذكورة فيما تقدم وههنا وجه آخر وهو أنه ربما اتفق لبعضهم أن يرفع من الجنة إلى العرش وإلى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها إلا الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ﴾ (التوبة: ٧٢). انظر تفسير الرازي (١٨/٤٠٣).

﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ﴾ وسوء مسلكهم وهلاكهم كما هلك الأمم المار سردهم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إلا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وحصل لهم الهلاك ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ سهم هلاكهم، ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ حال مما أدى مؤدى السهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحى له ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أسلم له ملأ ورده ملأ كالكلام المكرم الموحى لمحمد ردد الله لروحه أكمل السلام.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ المراد: إمهال حكم العالم إلى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وحل الهلاك على أهل العمى، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ (الهاء) لكل راد أحكام الكلام المكرم وإرسال محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ (الهاء) لكلام الله ﴿مُرِيبٍ﴾.

﴿وَإِنَّ﴾ ورواه راوٍ طارحا أحد مكرره وأعمله ﴿كُلا﴾ أسمها ﴿لَمَّا﴾ اللام لام مؤل وما وصل لا مؤدى له، ورواه راوٍ كهلا وهو للحصر كألا ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم السرائر وعكسها، والمراد: معاملهم أعمالهم.

﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على العمل ودعاء الأمم إلى الله ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَ﴾ أمر ﴿مَنْ تَابَ﴾ أسلم ﴿مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ وهو عدو حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ معاملكم على أعمالكم.

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كودادكم لهم وإطلاعهم على إسراركم وعدم ردكم لأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ﴾ وصل ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ ردع لأمره، والواو واو الحال ﴿ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ أصلا وأمدا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أوله وعصره، ﴿وَزُلَفًا﴾ حصصا ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ أوله وما وراءها ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ المحرر سردها كما لو صلى كل مسلم ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ سوى مآله حد كالعهر والسكر ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الأمر المار، أو إلى الكلام المكرم ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على دعاء الأمم وأمر الإرسال، والأمر للرسول ردد الله له السلام ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد: معاملهم على صالح الأعمال.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا

قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آية:١١٦، ١١٧]:

﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم المار عهدها ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أهل عمل صالح، أو أولو راء وأحلام ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ المراد: ردعوا عما حرر، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ وهو حطام الدار الأولى وما لا دوام له، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ المراد: أهلها على مسلك الرسل ﴿بِظُلْمٍ﴾ لهم ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أهل السلام.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:١١٨، ١٢٠]:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[١] على هدى كلهم أهل إسلام ﴿وَلَا

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: لمّا كان النعي على الأمم الذين لم يقع فيهم من ينهون عن الفساد فاتّبعوا الإجرام، وكان الإخبار عن إهلاكهم بأنّه ليس ظلماً من الله وأنهم لو كانوا مصلحين لَمَا أهلكوا، لمّا كان ذلك كله قد يثير توهّم أن تعاصي الأمم عمّا أراد الله منهم خروج عن قبضة القُدرة الإلهية أعقب ذلك بما يرفع هذا التوهّم بأنّ الله قادر أن يجعلهم أمّة واحدة متفقة على الحق مستمرّة عليه كما أمرهم أن يكونوا. ولكن الحكمة التي أقيم عليها نظامُ هذا العالم اقتضت أن يكون نظام عقول البشر قابلا للتطوّح بهم في مسلك الضّلالة أو في مسلك الهدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلالة، وأن الله تعالى لمّا خلق العقول صالحة لذلك جعل منها قبول الحق بحسب الفطرة التي هي سلامة العقول من عوارض الجهالة والضلال وهي الفطرة الكاملة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كان الناس أمّةً واحدة﴾. لم يدّخرهم إرشاداً أو نصحاً بواسطة الرُّسُل ودعاة الخير ومُلقّنيه من أتباع الرسل، وهم أولو البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض، فمن الناس مهتد وكثير منهم فَاسِقُونَ ولو شاء لَخلق العقولَ البشرية على إلهام متّحد لا تَعْدوه كما خلق إدراك الحيوانات العُجم على نظام لا تتخطّاه من أوّل النشأة إلى انقضاء العالم، فنجد حال البعير والشّاة في زمن آدم عليه السّلام كحالهما في =

يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

﴿إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ وأراد لهم الهدى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أهل الهدى للهدى، وأهل العمى للعمى، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ما أوعده وهو ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ هم هم مع الهاء وعدمها، ﴿وَالنَّاسِ﴾ ولد آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَكُلا﴾ كل أمر ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ عامله عامل كل على مسلك وهم العامل المكرر ﴿نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ روعك، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ أومأ إلى ما حكاه وسرده له ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آية:١٢١، ١٢٢]:

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ وهو أمر مهدد لهم.

﴿وَانْتَظِرُوا﴾ مآل أمركم أو الدوائر لأهل الإسلام ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ الدوائر لكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آية:١٢٣]:

=

زماننا هذا، وكذلك يكون إلى انقراض العالم، فلا شكّ أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني لأنّ ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة المخلوطة، لينتقلوا منها إلى عالم الحياة الأبديّة الخالصة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فلو خلق الإنسان كذلك لما كان العمل الصالح مقتضياً ثواب النعيم ولا كان الفساد مقتضياً عقاب الجحيم، فلا جرم أنّ الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأجور، ومنها أمر الصلاح والفساد في الأرض وهو أهمّها وأعظمها ليتفاوت الناس في مدارج الارتقاء ويَسْموا إلى مراتب الزلفى فتتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة حتى يعد الواحد بألف ﴿ليميز اللهُ الخبيث من الطيب﴾ (الأنفال: ٣٧). وهذا وجه مناسبة عطف جملة ﴿وتمّت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجِنة والناس أجمعين﴾ على جملتي ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم. انظر التحرير والتنوير (١٢/١٨٨).

﴿وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما هو حاصل إلى دروسهما لا لسواه، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، ورواهٍ لسواه ﴿الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ وهو معامل كل عاص ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ للسامع، والمراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم لدى المعاد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يوسف

ردد الله له السلام، مائة وإحدى عشرة آية

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ [آية ١ - ٦]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى هؤلاء الحكم المسرود أولها ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ الساطع أمر هداه.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ﴾(١) الكلام لأهل الحرم الحرام ﴿تَعْقِلُونَ﴾ مؤداه

---

(١) قال الرازي: ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وفيه مسائل: المسألة الأولى: روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين، سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن كيفية قصة يوسف، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية، ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها. والتقدير: إنا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآناً عربياً، وسمى بعض القرآن قرآناً، لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض. المسألة الثانية: احتج الجبائي بهذه الآية على كون القرآن مخلوقاً من ثلاثة أوجه: الأول: أن قوله: ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يدل عليه، فإن القديم لا يجوز تنزيله وإنزاله وتحويله من =

ومداركه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ﴾ **أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا** ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿إِذْ﴾ **معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه** ﴿قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ **مكسورا، ورواه راوٍ على سوى الكسر وإلا لما حول عما هو ولد الكسر** ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ **حالما** ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ **مؤكد لرأى الأول** ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ **مهلكا حسدا لك لعلمهم مآل أمر حلمك** ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ **الأحلام،** ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ **المراد: ما عم الإرسال أو هو،** ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ **أولاده** ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ **إرسالا أو ما عم الإرسال** ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ **محل إرساله وأهله،** ﴿حَكِيمٌ﴾ **محل كل أمر محله.**

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ

=

حال إلى حال، الثاني: أنه تعالى وصفه بكونه عربياً والقديم لا يكون عربياً ولا فارسياً. الثالث: أنه لما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ دل على أنه تعالى كان قادراً على أن ينزله لا عربياً، وذلك يدل على حدوثه. الرابع: أن قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ يدل على أنه مركب من الآيات والكلمات، وكل ما كان مركباً كان محدثاً. والجواب عن هذه الوجوه بأسرها أن نقول: إنها تدل على أن المركب من الحروف والكلمات والألفاظ والعبارات محدث وذلك لا نزاع فيه، إنما الذي ندعي قدمه شيء آخر فسقط هذا الاستدلال. المسألة الثالثة: احتج الجبائي بقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فقال: كلمة "لعل" يجب حملها على الجزم والتقدير: إنا أنزلناه قرآناً عربياً لتعقلوا معانيه في أمر الدين، إذ لا يجوز أن يراد بلعلكم تعقلون؟ الشك لأنه على الله محال، فثبت أن المراد أنه أنزله لإرادة أن يعرفوا دلائله، وذلك يدل على أنه تعالى أراد من كل العباد أن يعقلوا توحيده وأمر دينه، من عرف منهم، ومن لم يعرف، بخلاف قول المجبرة. والجواب: هب أن الأمر ما ذكرتم إلا أنه يدل على أنه تعالى أنزل هذه السورة، وأراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولكن لم قلتم إنها تدل على أنه تعالى أراد من الكل الإيمان والعمل الصالح. انظر تفسير الرازي (٤١٦/١٨)

أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا
تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ
وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا
لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا
يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [آية:٧ - ١٨]:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾ دلائل على إرسالك ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ وهم الهود سألوا محمدا صلى الله على روحه وسلم سرد ما حصل لهم ﴿إِذْ﴾ معمول لاورد مطروح ﴿قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ (اللام) لام أول الكلام ﴿وَأَخُوهُ﴾ لوالد وأم وهم لوالد ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ﴾ عدم عدل مع أولاده ﴿مُبِينٍ﴾.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ محلا ما هو معلوم لأحد ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ لعدم وداده لسواكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء) للولد المطروح ردد الله له السلام أو للطرح والإهلاك الدال له اطرحوه وما معه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ مرادهم عودهم إلى الله وسؤالهم محو سوء عملهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ دركه المسود ورواها راوٍ على العدد لا الواحد ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أهل المرور ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ولما عولوا على ما رأى ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ ورواهما راوٍ إلى المعول على طرحه ردد الله له السلام، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ المصدر معمول للعامل مورد اللام، ﴿وَأَخَافُ

أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ اللازم مؤل ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ ولما سمع كلامهم أرسله معهم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ صمموا على ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ ومكمل لما مطروح وهو دلوه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ﴾ لما وصل إلى دركه عملهم ﴿هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ على المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ عدوا أو سهاما ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لولوعك.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ لادعائهم هو دمه ولا أصل له ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ المراد: سهل لكم حسدكم له ﴿أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ محمول على مطروح، وهو أمره أو ما أدى مؤداه، ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ مما لا أصل له وهو هلاك ولده.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية:١٩ - ٢٢]:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أهل مرور إلى مصر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ إلى الماء واسمه مالك ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ أرسل دلوه إلى الماء وحال وصولها مسك مسدها المطروح وسطها ردد الله له السلام ولما رآه مالك ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ له أو لرهطه أو هو اسم أحدهم دعاه ﴿هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ﴾ أسر أمره الوارد ورهطه وما أعلموا ملأهم ﴿بِضَاعَةً﴾ ادعوه مملوكا ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ هل هو مملوك أم لا.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أعطاه الوارد ورهطه إلى سواهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ

وَكَانُوا﴾(١) الوارد ورهطه ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ وحمله الملاء إلى مصر، ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو عامل الملك ﴿لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ للمصالح، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وهو حصور لا ولد له، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: كما سلمه الله أولاً أمال له روع العامل المسطور، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ الأحلام ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا راد له لما أراده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم أهل العمى ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو عمر الكهول ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ العلم مع العمل، ﴿وَعِلْمًا﴾ علم الأحلام، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ
بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا
لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾
قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ
فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى وشروه هذا حرف من حروف الأضداد تقول شريت الشيء بمعنى بعته وشريته بمعنى اشتريته فإن كان بمعنى باعه ففيهم قولان أحدهما أنهم إخوته وهو قول الأكثرين والثاني أنهم السيارة ولم يبعه إخوته قاله الحسن وقتادة وإن كان بمعنى اشتروه فإنهم السيارة قوله تعالى بثمن بخس فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه الحرام قاله ابن عباس والضحاك وقتادة في آخرين والثاني أنه القليل قاله عكرمة والشعبي قال ابن قتيبة البخس الخسيس الذي بخس به البائع والثالث الناقص وكانت الدراهم عشرين درهما في العدد وهي تنقص عن عشرين في الميزان قاله أبو سليمان الدمشقي قوله تعالى دراهم معدودة قال الفراء إنما قيل معدودة ليستدل بها على القلة وقال ابن قتيبة أي يسيرة سهل عددها لقلتها فلو كانت كثيرة لثقل عددها وقال ابن عباس كانوا في ذلك الزمان لا يزنون أقل من أربعين درهما وقيل إنما لم يزنوها لزهدهم فيه. انظر زاد المسير (٤/١٩٥).

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٣ - ٢٩]:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ هلم إلى الوطء ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ﴾ (الهاء) لله أو لعامل مصر ﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ لا أطأ أهله لو حمل عود الهاء على عامل مصر، ولو حمل على عوده لله المراد لم أعص أوامره ولا أرد موارد عكسها ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ المراد: كل عاهر.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وهو على ما رواه ولد عم الرسول رأى والده ولطمه على صدره ومكمل لولا لوطئها أو داله هو هم الأول والمراد: لولا مرآه لدلائل مولاه لهم وهو الأولى والأكمل ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ هو عدم لمحه عهود مالك الدار، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ العهر؛ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ أسرع هو إلى الطلوع وأهل العامل إلى مسكه ورده ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ لمسكها له ﴿مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ عامل مصر ﴿لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ عهرا ﴿إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ولد عم لها وسط المهد ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ أمام ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ وراء ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ عامل مصر ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُ﴾ المراد: كلامك المار وهو ما وما أمها ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ودعاه وأمره.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر الحاصل ومراده عدم إطلاع أحد على ما حصل، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ كلم أهله أمرا، وعلم أهل مصر ما حصل.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ

مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى
لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا
تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ
عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ
لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ [آية:٣٠ - ٣٥]:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مصر ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ مملوكها ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ وصل إلى روعها ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ساطع أمره.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ لومها وسماه مكرا لإسراره كإسرار الماكر مكره ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طعاما معدا للحسم أو وسائد، ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ لحسم الطعام أو محل الوسائد، ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ وما أطاع، ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ولما أمره الكل ودعاه إلى مرامها ومرادها ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾(١) أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أهل العمل السوء.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء،

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي دخول السجن، فحذف المضاف؛ قاله الزجاج والنحاس. "أحب إلي" أي أسهل علي وأهون من الوقوع في المعصية؛ لا أن دخول السجن مما يحب على التحقيق. وحكي أن يوسف عليه السلام لما قال: "السجن أحب إلي" أوحى الله إليه "يا يوسف! أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إلي، ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت". وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قرأ: "السَّجن" بفتح السين وحكى أن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق وعبدالرحمن الأعرج ويعقوب؛ وهو مصدر سجنه سجنا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨٤/٩).

﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على الأعمال والسرائر.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ﴾ الدوال على سلوكه مسلك المعصوم ككلام الولد وسط المهد وسواه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ لإلحاح أهل عامل مصر على الأمر المحرر لعدم لومه لها، ولوصولها إلى مرامها المعصوم ردد الله له السلام.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آية:٣٦ - ٤٢]:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ هما مملوكا الملك؛ واحد لطعامه، وواحد لسكره أرادا سم الملك أو رموهما، ولا أصل للدعوى ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ المعد للسكر ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ أرى حلما ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ سماه على الأول، ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ المعد للطعام ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ أرى حلما، وكلاهما حكى الحال المار عهدها ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ لهما معلما ومؤسسا كمال علمه ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ حلما ﴿إِلا

﴿نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ حكمه ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ مهد لهم مسلك الإسلام أولا ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ كرره مؤكدا ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ﴾ وصل ﴿شَيْءٍ ذَلِكَ﴾ أومأ إلى مسلك لا إله إلا الله ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم أهل العمى والإلحاد ﴿لا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لما مهد أولا وأسس لهما صرح ودعاهما إلى الإسلام ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ دال ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ السوي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل العمى والإلحاد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمورهم.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ المعد لسكر الملك ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ مولاه وهو الملك ﴿خَمْرًا﴾ على حاله الأول، ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ المعد للطعام ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ وهو مآل حلمكما وحكمه ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ حكم الحكم المسطور لما أعلماه عدم حلمهما أصلا وأوعدهما حصوله على كل حال.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ حكم ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو المعد للإسكار ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مولاك، وهو الملك لعل حل الأمر والعسر مأمول وطلع المملوك، وعاد لدى مولاه إلى حاله الأولى، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ ما وصاه لدى ﴿رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ عدد الأسداس مع واحد.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ

فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ [آية:٤٣ - ٥٧]:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر ﴿إِنِّي أَرَى﴾ حكى الحال ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ عكس الأول، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ لوى كلها على كل الأول وعلاها ﴿يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ولكم علم واطلاع على أحكام الأحلام.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾ لا أصل لها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ وهو المملوك المعد لسكر الملك ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ مدد دهر ما أوصاه ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ وأرسلوه وورد ودعاه المملوك.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ سماه كما سماه لما حكم له على عوده على حاله الأولى لدى الملك ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ

وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾[(١)] مراده: الملك وملاؤه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حكم حلم الملك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ حولا وراء حول على مسراكم ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ دعوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لعدم أكل السوس له ﴿إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ المراد: ادرسوه لما كلكم ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ﴾ أعوام ﴿شِدَادٌ﴾ محل ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ مطرا وكلاء ومحصودا ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما أسكر.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما عاد له رسوله وحكى له الأمر ﴿ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ودعاه للطلوع ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾[(٢)] سؤاله ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ وهو عامل مصر ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ وعاد الرسول إلى الملك وسأله ما سأل مرسله ولما ورد الكل على الملك.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ هو الأمر ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل مال أم لا ﴿قُلْنَ

---

(١) قال الرازي: ومعنى الافتاء إظهار المشكل، وأصله من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل، فالمعنى كأنه يقوى ببيانه ما أشكل ويصير قوياً فتياً. انظر تفسير الرازي (١١/٢٣٢).

(٢) قال الرازي: اعلم أن الذي فعله يوسف من الصبر والتوقف إلى أن تفحص الملك عن حاله هو اللائق بالحزم والعقل، وبيانه من وجوه: الأول: أنه لو خرج في الحال فربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثرها، فلما التمس من الملك أن يتفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة وأن يتوسل بها إلى الطعن فيه. الثاني: أن الإنسان الذي بقي في السجن اثنتي عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه الظاهر أنه يبادر بالخروج، فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات، وذلك يصير سبباً لأن يعتقد فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم، ولأن يحكم بأن كل ما قيل فيه كان كذباً وبهتاناً. الثالث: أن التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله من تلك النسوة يدل أيضاً على شدة طهارته إذ لو كان ملوثاً بوجه ما، لكان خائفاً أن يذكر ما سبق. الرابع: أنه حين قال للشرابي: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فبقي بسبب هذه الكلمة في السجن بضع سنين وههنا طلبه الملك فلم يلتفت إليه ولم يقم لطلبه وزناً، واشتغل بإظهار براءته عن التهمة، ولعله كان غرضه عليه السلام من ذلك أن لا يبقى في قلبه التفات إلى رد الملك وقبوله، وكان هذا العمل جارياً مجرى التلافي لما صدر من التوسل إليه في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ليظهر أيضاً هذا المعنى لذلك الشرابي، فإنه هو الذي كان واسطة في الحالتين معاً. انظر تفسير الرازي: (١٨/٤٦٨).

حَاشَ لِلهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ سطع أمره ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما ادعى رومها له وإلحاحها ولما عاد له الرسول وحكى له ما حصل كله كلمه مومئا له.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سؤاله الملك ﴿لِيَعْلَمَ﴾ المراد: عامل مصر ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ عهدهم ومولاهم.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ إلا ما رحمه الله وعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كل هم همه ولد آدم على السوء مع عدم العمل ومعه لو أراد.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ ولما دعاه الرسول أسرع إلى الملك ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ ردد الله له السلام ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لها ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم أمرهما، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ لما رووه، وحاصله: ولاه الملك محل عامل مصر، وولاه أمر كل محصود ومدروس ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ حالا ومالا، ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لدوامه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الإلحاد وما سواه وورد أعوام المحل.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ
إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ
مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ
إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِۦ
بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ

﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ
بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ
بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ
أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ
وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ
يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟
جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ
بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا
كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ
ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [آية:٥٨ - ٧٦]:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلى مصر لما سمعوا إعطاء عاملها الطعام لكل وارد معه دراهمه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ لطول العهد الحاصل، وسألهم لما وردوا إلى مصر واسم والدهم وأولاده سواهم، ولما سموا له أسماء الكل وحكوا له الكدر الحاصل لوالدهم لهلاك ولد له وردا له سؤاله كله أرسلهم إلى محل وأكرمهم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ كال لهم ما أرادوه، وهو لكل واحد حملا ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ لما سألوه حملا له وكال لهم حمله، ورام وروده مصححا لادعائهم وأمسك أحدهم إلى وروده أو أمسك حمله إلى وروده ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي

﴿الْكَيْلَ﴾ أكمله ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾ إلى الدار أو إلى محل الطعام ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ ورواه راوٍ على العدد الكامل ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ المراد: ما وردوه دراهم للطعام ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ العدول أو ما هو أعم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ المراد: لعلمهم ردها وعودها معهم ﴿إِذَا انْقَلَبُوا﴾ عادوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعدم حلها لهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ مالا لا حالا لورودهم مع أحمالهم كاملا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع وأهل الكلام ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ﴾ المراد: ما ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وحصل له ما حصل ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ كلاء، ورواه راوٍ كعالم وهو معمول كما حكوا لله دره عالما ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أؤمل كلاءه ورده.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ دراهمهم أو أدمهم أو سواها ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا﴾ اسم سؤال ﴿نَبْغِي﴾ ورواه راوٍ للمدعو السامع الحاصل معه الكلام وهو والدهم ردد الله له السلام، والمراد: هل إكرام على الإكرام الحاصل مأمول لك ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ حصل لهم الدراهم والطعام معا ومار أهله وما روا أهلهم أعدوا لهم الطعام للحال أو المال ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ له وهو حمله ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سهمه المار وهو حمله المحرر ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل أمره على الملك لسماحه.

﴿قَالَ﴾ والدهم لهم ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ وهو عوده معهم ﴿إِلا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ كلكم لهلاككم أو لإحصاركم وأعطوه عهدهم على ما سأل، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ المسطور ﴿قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ وأرسله معهم.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا﴾[1] مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ

---

(١) قال ابن الجوزي: قال المفسرون لما تجهزوا للرحيل قال لهم يعقوب لا تدخلوا يعني مصر من =

﴿مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لما حووا الصور الملاح روعه حصول مكروه لهم وهو سوء المرآى اللام لووردوا مصر كلهم معا، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ﴾ لو أراد الله حصوله لكم ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلهِ﴾ وحده لا لسواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ومراده كما مرد سوء ومكروه المرآى اللام، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم كل ملحد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لكل موال له.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ مأكلا ومطمعا ومأوى، ولما صارا وحدهما ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ كدرا ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حسدا ووطأه على عدم إرساله معهم وأمره إسرارا لأمرهما، وعدم إعلامه لهم.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ صاع مرصع ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ دعا داع ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ اسم للرواحل، والمراد: أهلها ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ه ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ طعاما ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ (الهاء) لحمل الطعام ﴿زَعِيمٌ﴾ ومؤد؛ ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ مرادهم: كل أحد طلع الصواع وسط رحله صار مملوكا والحكم المسطور على مسلك والدهم ردد الله له السلام ولهم.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ الصواع ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ مملوكا ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ لما ألهمه سؤالهم وحكموا له على مسلك والدهم ردد الله لهم السلام ﴿نَرْفَعُ

=

باب واحد وفي المراد بهذا الباب قولان أحدهما أنه أراد بابا من أبواب مصر وكان لمصر أربعة أبواب قاله الجمهور والثاني أنه أراد الطرق لا الأبواب قاله السدي وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال أحدها أنه خاف عليهم العين وكانوا أولي جمال وقوة وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والثاني أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة قاله وهب بن منبه والثالث أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة قاله إبراهيم النخعي (٤/٢٥٤).

دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ علماء العوالم كلهم ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم، وهو الله علا
اسمه وسما حمده.

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ
يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ
إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ
مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا
ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ
يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ
سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي
كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ
أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣
وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ
٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ
ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [آية:٧٧ - ٨٧]:

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ **هو مصور كسواع لوالد أمه حمله وكسره لعدم ركوعهم له** ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ﴾ **سرا ما أسمعهم** ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ **عالم** ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ **هل صار وحصل أم لا.**

﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ **وأحله محل ولده الهالك** ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ **مملوكا** ﴿مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ﴾ مصدر مطروح ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا﴾ وهو الصواع ﴿عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ مصدر صالح للواحد والعدد ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾ عهدا مؤكدا ﴿مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ وصل لا مؤدى له أو للمصدر ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ لا أرحل ولا أعود ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم وأعلمهم.

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا﴾ لما طلع صواع الملك وسط رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ حال إعطاء العهد لك.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ مصر، والمراد: أهلها ﴿وَالْعِيرَ﴾ الرواحل ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ المراد: أهلها ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ولما عادوا إلى والدهم وسردوا له ما حصل.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ سول وسهل واحد مؤدى ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ محمول على مطروح، والمراد: أمره، أو ما أدى مؤداه ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتَوَلَّى﴾ والدهم ﴿عَنْهُمْ﴾ حاسما الكلام معهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ عرا سوادهما عكسه لما أهمل دمعا ﴿مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء كدرا على أولاده ممسك له وسط روعه.

﴿قَالُوا تَاللهِ﴾ لا ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ واصلا ومماسا للهلاك مآلا لطول كدرك وهمك وهو مصدر صالح للواحد والعدد ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أهل اللحود.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾ الهم والكدر ﴿إِلَى اللهِ﴾ لا إلى أحد سواه، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ هو عدم هلاك ولده لما رأى ملك الحمام وسأله وأعلمه الملك عدم هلاكه.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ روموا الإحساس لهما ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾ مراحمه ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ

لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ
لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى
هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا
فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن
قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ
مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ
﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ
يَمْكُرُونَ ﴾ (1)[آية:٨٨ - ١٠٢]:

---

(١) قال الرازي رحمه الله: اعلم أن المفسرين اتفقوا على أن ههنا محذوفاً والتقدير أن يعقوب لما قال لبنيه ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ قبلوا من أبيهم هذه الوصية فعادوا إلى مصر ودخلوا =

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ لدى عودهم إلى مصر ﴿قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ لعدم الطعام، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ رادها كل أحد ﴿فَأَوْفِ﴾ أكمل ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ مسامحا سوء الدراهم ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ولما سمع كلامهم

=

على يوسف عليه السلام فقالوا له هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ فإن قيل إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوا أمر يوسف وأخيه فلماذا عدلوا إلى الشكوى وطلبوا إيفاء الكيل قلنا لأن المتحسسين يتوسلون إلى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا نجربه في ذكر هذه الأمور فإن رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود وإلا سكتنا فلهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعة وقالوا هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ والعزيز هو الملك القادر المنيع مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وهوا الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وعنوا بأهلهم من خلفهم ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ وفيه أبحاث البحث الأول معنى الإزجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا ومثله التزجية يقال الريح تزجي السحاب قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَاباً﴾ (النور ٤٣) وزجيت فلاناً بالقول دافعته وفلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالحيلة والبحث الثاني إنما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة إما لنقصانها أو لرداءتها أو لهما جميعاً والمفسرون ذكروا كل هذه الأقسام قال الحسن البضاعة المزجاة القليلة وقال آخرون إنها كانت رديئة واختلفوا في تلك الرداءة فقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت دراهم رديئة لا تقبل في ثمن الطعام وقيل خلق الغرارة والحبل وأمتعة رثة وقيل متاع الأعراب الصوف والسمن وقيل الحبة الخضراء وقيل الأقط وقيل النعال والأدم وقيل سويق المقل وقيل صوف المعز وقيل إن دراهم مصر كانت تنقش فيها صورة يوسف والدراهم التي جاؤا بها ما كان فيها صورة يوسف فما كانت مقبولة عند الناس البحث الثالث في بيان أنه لم سميت البضاعة القليلة الرديئة مزجاة وفيه وجوه الأول قال الزجاج هي من قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل والمعنى أنا جئنا ببضاعة مزجاة ندافع بها الزمان وليست مما ينتفع به وعلى هذا الوجه فالتقدير ببضاعة مزجاة بها الأيام الثاني قال أبو عبيد إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها قال وهي من الإزجاء والإزجاء عند العرب السوق والدفع الثالث ببضاعة مزجاة أي مؤخرة مدفوعة عن الإنفاق لا ينفق مثلها إلا من اضطر واحتاج إليها لفقد غيرها مما هو أجود منها الرابع قال الكلبي مزجاة لغة العجم وقيل هي من لغة القبط قال أبو بكر الأنباري لا ينبغي أن يجعل لفظ عربي معروف الاشتقاق والتصريف منسوباً إلى القبط البحث الرابع قرأ حمزة والكسائي مزجاة بالإمالة لأن أصله الياء والباقون بالنصب والتفخيم واعلم أن حاصل الكلام في كون البضاعة مزجاة إما لقلتها أو لنقصانها أو لمجموعها ولما وصفوا شدة حالهم ووصفوا بضاعتهم بأنها مزجاة قالوا له ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ والمراد أن يساهلهم إما بأن يقيم الناقص مقام الزائد أو يقيم الرديء مقام الجيد ثم قالوا وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا والمراد المسامحة بما بين الثمنين وأن يسعر لهم بالرديء كما يسع بالجيد. انظر تفسير الرازي (١٨/١٦٠).

رحمهم وأراد إطلاعهم على أمره.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ سوء العمل أو مآل أمره ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ﴾ ورواه راوٍ مسهلا أوله ومادا ﴿لأَنْتَ يُوسُفُ﴾ لما لمحوا وسومه ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ لام ووالد ﴿قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على المكاره ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ حسا وكمالا وسرا وملكا، ﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد كلعل واسمه عائد لهم ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ معك.

﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ﴾ لا عار ولا ملام ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وسواه أولى ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ولما سألهم أحوال والده، وحكوا له ما حصل لسواد مرآه كلمهم أمرا لهم.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ الملامس له أو الحامل له، وهو ما ورده الروح لوالد الرسل ردد الله لهما السلام ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مع كل ولد ومملوك.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ رحل أهلها وأموا والده ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ للأولى حوله ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ حاصله ادعاؤهم عدم إدراكه لهرمه، أو حصول أمر لحمله ومكمل لولا لسلموا مدعاه.

﴿قَالُوا﴾ الأولى حوله ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ العهد، وهو حصولك على ولدك الهالك.

﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ﴾ طرحه ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ عاد ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ هو عدم هلاك ولده.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾ وعدهم ومراده ورود السحر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لكل سائل وداع ورحلوا كلهم معا إلى مصر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ والده وأمه حكما، ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ المحل والمكاره.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ واحد سرر الملك ﴿وَخَرُّوا﴾ الوالد والأم والأولاد ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾ ركعوا له ركوع سلام وإكرام أو هاءه عائد لله علا اسمه وهو حمده

على آلائه.

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ﴾ موسوسا ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ مصالح العالم ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور محلها.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ وهو ملك مصر، ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ الأحلام، ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ المحرر المسطور ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عولوا وصمموا على إهلاكه أو طرحه أو سواهما ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ المراد: لولا إعلام الله ما صار لك اطلاع على أمرهم وإعلامك السائل عما حصل محال لولاه.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية:١٠٣ - ١٠٧]:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم أهل الحرم الحرام ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إسلامهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ (الهاء) عائد إلى كلام الله المكرم ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ الكلام المكرم ﴿إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ كل ما دل على الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا لمحوها ولا سلكوا مسالك إدراكها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ معه سواه كود وسواع لما كلموا مولاهم ما حاصله لا أحد معك إلا واحد هو لك مالكه وما ملك.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ هلاك عام طام ﴿مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ حال ورودها.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1] [آية:١٠٨]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أمر ساطع ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أهل الإسلام ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية:١٠٩، ١١٠]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي﴾ لسوى المعلوم، ورواه راوٍ مكسور الحاء على وروده كأكرم وأوله كأول مكلم معه سواه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا أملاكا ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار لعلمهم وإدراكهم لا المهامه لعدم علمهم وإدراكهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل الحرم ﴿فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ لما ما سلموا الدعوى الرسل ولا أسلموا لهم وعاد أمرهم و(ال) للهلاك، ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ والسرور السرمد الدائم ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ مولاهم ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ورواه ولد عامر، وعاصم على الكلام إلى السامع.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا﴾ (الواو) للأمم، والمراد: علموا مؤكدا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ رواه راوٍ على وروده كوصل، وراوٍ كمدد، وكلاهما لسوى المعلوم، والمراد: ما وعدوا وهو علوهم على أعدائهم ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ﴾ ورواه راوٍ على وروده كردى

---

(١) أي: قل - أيها الرسول الكريم - للناس هذه طريقي وسبيلي واحدة مستقيمة لا عوج فيها ولا شبهة، وهي أني أدعو إلى إخلاص العبادة لله - تعالى - وحده، ببصيرة مستنيرة، وحجة واضحة، وكذلك أتباعي يفعلون ذلك... ولن نكفّ عن دعوتنا هذه مهما اعترضنا العقبات. واسم الإشارة ﴿هذه﴾ مبتدأ، و﴿سبيلي﴾ خبر، وجملة ﴿أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَةٍ﴾ حالية، وقد جيء بها على سبيل التفسير للطريقة التي انتهجها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في دعوته. انظر التفسير الوسيط (٤٩/٥).

﴿مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ الهلاك ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ١١١]:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ الرسل ﴿عِبْرَةٌ لأولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك ﴿مَا كَانَ﴾ الكلام المكرم ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كالكلام الموحى لروح، والموحى لموسى ردد الله لهما السلام، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أساس كل أمر وردع للعوالم، ﴿وَهُدًى﴾ مما هو عمى، ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سردهم لا سواهم لحصول الهدى لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

مكية، وآيها ثلاث وأربعون آية

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [آية:١]:

﴿المر﴾ الله أعلم ما المراد كسائر أوائل السور.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[1] أراد: كلامه المكرم ﴿الْحَقُّ﴾ محمول الاسم الموصول، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الحرم ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ لوروده.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [آية:٢]:

﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ هو عدد العماد﴿تَرَوْنَهَا﴾ المراد: لا عمد لها أصلا ولو لها عمد لأدركها كل راء أو أحدهم ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ واحد سرر الملك كما علم هو أو المراد: الملك، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ يعني القرآن وغيره من الوحي ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس يعني أهل مكة قال الزجاج لما ذكر أنهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال الله الذي رفع السموات بغير عمد قال أبو عبيدة العمد متحرك الحروف بالفتحة وبعضهم يحركها بالضمة لأنها جمع عمود وهو القياس لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألف أو ياء أو واو فجميعه مضموم الحروف نحو رسول والجمع رسل وحمار والجمع حمر غير أنه قد جاءت أسامي استعملوا جميعها بالحركة والفتحة نحو عمود وأديم وإهاب. انظر زاد المسير (٢٩٩/٤).

مُسَمًّى﴾ معلوم، وهو حلول أمر العالم ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ الدلائل ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ وهو المعاد ﴿تُوقِنُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [آية:٣]:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ كالطور وكل لكام ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ كالحلو وعكسه، والأسود وعكسه ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ لسواده ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر كله ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على الواحد الأحد ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [آية:٤]:

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ حواها أصل واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ لكل أصل وحدها ﴿يُسْقَى﴾ كلها ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ ورواه راوٍ على عوده لله على المسلك الأول ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ محرك الوسط ومع عدمه، والمراد حلوها وعكسه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية:٥]:

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ لردهم دعواك الإرسال وعدم إسلامهم لك، والكلام لمحمد ردد الله لروحه أكمل السلام ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ ردهم لأمر المعاد لما سألوا ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمصور مع العدم مصور مع الأصل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ

لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آية:٦]:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الهلاك لما هددوا على عدم إسلامهم ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ حصولهم على كرم أرحم كل راحم ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾ الأمم المار عهدهم لما أهلكوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لأهلك الكل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [آية:٧]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له السلام ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كعصا موسى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مروع كل ملحد وأمر إعطاء الدلائل لله لا لك، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ رسول داع إلى مولاهم.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[1] [آية:٨ - ١٠]:

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: مناسبة هذه الآية لما قبلها هو ما نبه عليه الزمخشري من أنه تعالى لما طلب الكفار أن ينزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) آية وكم آية نزلت، أردف ذلك بذكر آيات علمه الباهر، وقدرته النافذة، وحكمته البليغة، وأن ما نزل عليه من الآيات كافية لمن تبصر، فلا يقترحون غيرها، وأنّ نزول الآيات إنما هو على ما يقدره الله تعالى. وقيل: مناسبة ذلك أنه لما تقدم إنكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض، بحيث لا يتهيأ الامتياز بينها، نبه على إحاط علمه، وأن من كان عالماً بجميع المعلومات هو قادر على إعادة ما أنشأ. وقيل: مناسبة ذلك أنهم لما استعجلوا بالسيئة نبه على علمه بجميع المعلومات، وأنه إنما نزل العذاب بحسب ما يعلم كونه مصلحة. قال ابن عطية: قص في هذا المثل المنبه عل قدرة الله القاضية بتجويز البعث، فمن ذلك الواحدة من الجنس التي هي مفاتيح الغيب يعني: التي لا يعلمها إلا هو، وما تحمله الإناث من النطفة من كل نوع من الحيوان. وهذا البدء يبين أنه لا يتعذر على القادر عليها الإعادة. والله يعلم: كلام مستأنف مبتدأ وخبر، ومن فسر الهادي بالله جاز أن يكون الله خبر مبتدأ محذوف أي: هو الله تعالى، ثم ابتدأ إخباراً عنه فقال: يعلم. ويعلم هنا متعدية إلى واحد، لأنه لا يراد هنا النسبة، إنما المراد تعلق بالمفردات. وما جوزوا أن تكون بمعنى الذي، والعائد عليها في صلاتها محذوف، ويكون تغيض متعدياً. وأن تكون مصدرية، =

﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ حملها على كل الأحوال ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ مددا وعددا وسواها، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ حد محدود.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ على ما سواه كمالا وكهرا.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ لدى علمه ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ لسواده، ﴿وَسَارِبٌ﴾ راء له كل أحد ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [آية:١١]:

﴿لَهُ﴾ لولد آدم كلهم ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ أملاك ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أمامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ والكلاء المسطر حاصل ﴿مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ لرد المكروه ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ وهو آلاؤه ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ سلوكا على سوى ما أمرهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ إهلاكا أو مكروها ﴿فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ ولا راد لا ملك ولا رسول،

=

فيكون تغيض وتزداد لا زمان. وسماع تعديتهما ولزومهما ثابت من كلام العرب. وأن تكون استفهاماً مبتدأ، وتحمل خبره ويعلم متعلقه، والجملة في موضع المفعول. وتحمل هنا من حمل البطن، لا من الحمل على الظهر. وفي مصحف أبي: ما تحمل كل أنثى، وما تضع وتحمل على التفسير، لأنها زيادة لم تثبت في سواد المصحف. قال ابن عباس: تغيض تنقص من الخلقة، وتزداد تتم. وقال مجاهد: غيض الرحم أن ينهرق دماً على الحمل، فيضعف الولد في البطن ويسحب، فإذا بقي الولد في بطنها بعد تسعة أشهر مدة كمل فيها من خمسة وصحبه ما نقص من هراقة الدم، انتهى كلام ابن عباس. وقال عكرمة: تغيض بطهور الحيض في الحبل، وتزداد بدم النفاس بعد الوضع. وقال قتادة: الغيض السقط، والزيادة البقاء فوق تسعة أشهر. وقال الضحاك: غيض الرحم أن تسقط المرأة الولد، والزيادة إن تضعه لمدة كاملة تامة. وعن الضحاك أيضاً: الغيض النقص من تسعة أشهر، والزيادة إلى سنتين. وقيل: من عدد الأولاد، فقد تحمل واحداً، وقد تحمل أكثر. وقال الجمهور: غيض الرحم الدم على الحمل. قال الزمخشري: إن كانت ما موصولة فالمعنى: أن يعلم ما تحمل من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة، وتمام وخدج، وحسن وقبح، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة المترقية. ويعلم ما تغيضه الأرحام تنقصه، وما تزداد أي تأخذه زائداً تقول: أخذت منه حقي وازددت منه كذا، ومنه: ﴿وَازْدَادُواْ تِسْعًا﴾ ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد. وما تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد، فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة. انظر البحر المحيط (٥/٣٦١).

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَالٍ﴾ لأمورهم وراد ما أراده الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [آية:١٢، ١٣]:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ مما ولده اصطكاك الركام ﴿وَطَمَعًا﴾ لحصول الأمطار، ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ لحملها الأمطار.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ الملك مأمور الركام ﴿بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ هو ما ولده اصطكاك الركام ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ إهلاكه ﴿وَهُمْ﴾ أهل الإلحاد ﴿يُجَادِلُونَ﴾ الرسول ﴿فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ محله كاده وأوصله إلى مس الهلاك.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [آية: ١٤]:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ المراد: لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ على الكلام إلى السامع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ مما هو كود وسواع ﴿لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما هم رائموه ﴿إِلا كَبَاسِطِ﴾ ماد ﴿كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ والماء أحط محلا ومحل الماد عال ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ أراده مع علوه وعدم وصوله له ﴿وَمَا هُوَ﴾ الماء ﴿بِبَالِغِهِ﴾ لعدم إدراك الماء مراد ودعاءه، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ إلى سوى الله وهو ما كود وسواع ﴿إِلا فِي ضَلالٍ﴾ لعدم وصولهم إلى مأملهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [آية:١٥]:

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾ كأهل الإسلام، ﴿وَكَرْهًا﴾ كالأول أسلموا لروع الحسام، ﴿وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ الآصال أولها العصر إلى المساء، والمراد: الدوام.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [آية: ١٦، ١٧]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله له السلام ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ لو ما سلموا لك ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ كود وسواع ﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ كل ملحد ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ كل موحد ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ الإلحاد ﴿وَالنُّورُ﴾ الإسلام لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ هل صور صور ما ادعوه إلها أمما وأداهم ما صوروه إلى ادعاء إله معه لا ولا مصور إلا الله ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا إله معه ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ للعوالم.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ عدد واد ﴿بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ هو الكدر على الماء ﴿رَابِيًا﴾ علوا على الماء، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ ورواه راوٍ للسماع ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ كالرصاص وما حكمه كحكمه ﴿ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿حِلْيَةٍ﴾ الحلى لكم ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ كل وعاء ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ المراد: الحلى والأموال كلها حكمها حكم الماء لها كدر كما للماء كدر ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ كدر الأمواه والأموال ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ مطروحا لعدم صلاحه لأمر، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ كالماء المطهر مطروحا كدرهما ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ عصرا ومددا لإصلاح أمور العالم وحكم الإلحاد والعمى كحكم كدر الماء والأموال، وحكم الهدى والإسلام كحكم الماء والمال المطهر مطروحا كدرهما ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية:١٨]:

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أطاعوه وأسلموا لرسله ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ لا أسلموا للرسل ولا أطاعوا ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ معاملهم على كل عمل عملوه ما هو مسامح لهم عملا أصلا ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [آية:١٩ - ٢٤]:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾(١) وأسلم لك ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا علم ولا أسلم لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ كل عهد، ﴿وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ سلوكا على سوى ما أمر وهو عدم الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالرحم وسواها، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ المراد: ما أعده لكل عاص ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ كإحصاء أعمالهم كلها وعدم محو عمل واحد.

---

(١) قال القرطبي: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وروي أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأبي جهل لعنه الله والمراد بالعمى عمى القلب والجاهل بالدين أعمى القلب. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٩).

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الأوامر وردع الهوى ﴿ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لأمر سواه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ﴾ العمل الصالح ﴿السَّيِّئَةَ﴾ العمل الطالح له ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ المال المحمود لدى المعاد وهو ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أسلم ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ولو عملهم أحط إكراما للأول، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ وأول كلامهم لهم.

﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الإكرام الحاصل لكم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ما لكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:٢٥]:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ وهو الإسلام ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالرحم وسواها، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ إلحادا وسلوكا مصادما لأوامر الله ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ لدى المعاد والهلاك السرمد.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [آية:٢٦]:

﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ وسعا وعكسه، ﴿وَفَرِحُوا﴾ أهل الحرم ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وحطامها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ ملمح الدار ﴿الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ﴾ لا دوام له.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [آية:٢٧]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له السلام ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كعصا موسى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ولو رأى كل دلائل الإرسال ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ إلى مسلكه الموصل له ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ عاد إلى الله.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ

أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:٢٨ - ٣٠]:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ وعده لهم على صالح أعمالهم ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الاسم الموصول أول كلام ومحموله ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ مآل ومعاد.

﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسل الرسل إلى الأمم أولا ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ لما أمروا ركوعا له سالوا ما هو ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ المعاد.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [آية:٣١، ٣٢]:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ إلى محل سوى محلها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ وصدعها صدعا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ كما لورد الله لهم أرواحهم وكلموا الأولى حولهم ومكمل لو هو لما أسلموا لك ﴿بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لسواه، ولما أراد أهل الإسلام ورود الدلائل كما سأل أهل الإلحاد طمعا لإسلامهم أوحى الله لرسوله ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ﴾ المراد: أما علم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإسلام.

﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ كإلحاد وسوء الأعمال ﴿قَارِعَةٌ﴾ أحد دوائر الدهر كإهلاك أو أسر أو محل

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الكلام إلى رسوله محمد ردد الله له السلام، والمراد: مع عسكر الإسلام ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ الحرم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ﴾ علوك وكسرك لهم ﴿إِنَّ اللهَ لا

يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ عدم حصول ما وعده أمر محال.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما حصل لك، وهو حكم حكاه الله وسلى رسوله محمدا ردد الله له أكمل السلام ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أملى وأمهل واحد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ المراد: حل محل، وهؤلاء حكمهم كأولئك.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [آية:٣٣، ٣٤]:

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ صالحا وطالحا وهو الله كسواه لا، ﴿وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له ما هم ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾ (الهاء) لله ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ المراد: ولو معه أحد سواه لعلمه ﴿أَمْ﴾ أدعوا معه ما كود وسواع ﴿بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ادعاء لا إصرار معه ولا حواه صدرهم ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ إلحادهم وعماهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إهلاكا وأسرا ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لهم ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ راد.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [آية:٣٥]:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[١] أول كلام مطروح المحمول وحاصله مما

---

(١) اختلف النحاة في رفع مثل فقال سيبويه: ارتفع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير: وفيما يتلى عليكم مثل الجنة وقال الخليل: ارتفع بالابتداء وخبره: تجري من تحتها الأنهار أي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار كقولك: قولي يقوم زيد فقولي مبتدأ ويقوم زيد خبره والمثل بمعنى الصفة موجود قال الله تعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ الفتح وقال: ولله المثل الأعلى أي الصفة العليا وأنكره أبو علي وقال: لم يسمع مثل بمعنى الصفة إنما معناه الشبه ألا تراه يجري مجراه في مواضعه ومتصرفاته كقولهم: مررت برجل مثلك كما تقول: =

أعلم الله رسوله ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ دائم لعدم حصول ماح له ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آية:٣٦، ٣٧]:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كولد سلام وسواه ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ كلما ورد معادلا لما عملوه أحكاه، ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ الأولى صاروا ردءا لأعدائك ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ﴾ وحده ﴿وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ لا إلى سواه ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ المراد: معاده.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (الهاء) للكلام المكرم ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أهواء أهل الإلحاد إلى سلوك مسالكهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ علم لا إله إلا الله

=

مررت برجل شبهك قال: ويفسد أيضا من جهة المعنى لأن مثلا إذا كان معناه صفة كان تقدير الكلام: صفة الجنة التي فيها أنهار وذلك غير مستقيم لأن الأنهار في الجنة نفسها لا صفتها وقال الزجاج: مثل الله عز وجل لنا ما غاب عنا بما نراه والمعنى: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار وأنكره أبو علي فقال: لا يخلو المثل على قوله أن يكون الصفة أو الشبه وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله لأنه إذا كان بمعنى الصفة لم يصح لأنك إذا قلت: صفة الجنة جنة فجعلت الجنة خبرا لم يستقم ذلك لأن الجنة لا تكون الصفة وكذلك أيضا شبه الجنة جنة ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة غير حدث فلا يكون الأول الثاني وقال الفراء: المثل مقحم للتأكيد والمعنى: الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمثل كقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى أي ليس هو كشيء وقيل التقدير: صفة الجنة التي وعد المتقون صفة جنة تجري من تحتها الأنهار وقيل: معناه: شبه الجنة التي وعد المتقون في الحسن والنعمة والخلود كشبه النار في العذاب والشدة والخلود قاله مقاتل ﴿أكلها دائم﴾ لاينقطع وفي الخبر: ﴿إذا أخذت ثمرة عادت مكانها أخرى﴾ وقد بيناه في التذكرة ﴿وظلها﴾ أي وظلها كذلك فحذف أي ثمرها لا ينقطع وظلها لا يزول وهذا رد على الجهمية في زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفنى ﴿تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ أي عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٢/٩).

﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ راد ما أعده الله ولما لاموا الرسول ردد الله لروحه السلام على عدد أهله أوحى الله له.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٨ - ٤٠]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أولادا، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ ما صح ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لكل أمد حكم محدود ومعلوم.

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ورواه راوٍ مكرر الوسط، والمراد: محو الأحكام وسواها على مدار الحكم ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله وهو علمه علا اسمه وسما حمده أو هو اللوح.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أولا، والمراد: لو أرى الله رسوله ردد الله له السلام إهلاك أهل الإلحاد أو لا هو مامور الأداء ودعاء الأمم إلى الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ لا سواه ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ لدى المعاد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [آية:٤١، ٤٢]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أهل الحرام ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ هو كل محل ولاه الله أهل الإسلام مما هو لأهل الإلحاد ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأولى مر عصرهم كما مكر هؤلاء ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ما مكرهم كمكره ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ وأعدلها على عملها وهو المكر كله ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ المراد: أحاده كلهم ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ المآل المحمود لهم أم للرسول وأهل الإسلام.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٣]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلا قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على الإرسال، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هم مسلموا الهود وسواهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة إبراهيم

ردد الله له السلام، مورده الحرم الحرام إلا الم، وآيها اثنتان وخمسون آية

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾[1] [آية: ١ - ٣]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿كِتَابٌ﴾ محمول على مطروح وهو كلام الله المكرم ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: (كتاب): خبر، أي: هذا كتاب، و(بإذن): متعلق بتُخرج، أو حال من فاعله، أو مفعوله. و(إلى صراط): بدل من (النور). (الله الذي)؛ من رفعه فعلى الابتداء، والموصول خبره، أو خبر عن محذوف، ومن خفضه فبدل من (العزيز)، و(الذين يستحبون): صفة للكافرين أو نصب، أو رفع على الذم. يقول الحق جل جلاله: أيها الرسول المحبوب، هذا ﴿كتابٌ أنزلناه إليك لتُخرج الناس﴾ بدعائك إياهم إلى العمل به، ﴿من الظلمات إلى النورِ﴾؛ من ظلمات الضلال والجهل إلى نور الهداية والعلم، ﴿بإذنِ ربهم﴾؛ بتوفيقه وهدايته وتسهيله، ﴿إلى صراطِ العزيزِ الحميد﴾ أي: لتخرجهم إلى نور العلم الذي هو سلوك طريق العزيز الحميد، التي توصل إلى رضوانه ومعرفته. وفي ذكر الوصفين إشارة إلى أنه لا يذل سالكه، ولا يخيب سائله، بل تحمد عاقبته. ثم ذكر الموصوف بهما بقوله: ﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: الموصوف بالعزة والحمد هو الله الذي استقر له ما في السماوات وما في الأرض ملكا. انظر البحر المديد (٣/٤٨٧).

الرسول الأكرم محمد ردد الله له السلام ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام ﴿بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ﴾ مسلك ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ المحمود.

﴿اللهِ﴾ ورواه راوٍ مسموكا على أول الكلام ومحموله ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ هلاك لهم، أو هو اسم لواد حار وسوء الدار لو حله طود لاماعه وأساله ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [آية:٤]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أوحاه الله له وما دعاهم هوله ﴿فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ كاهر لا مكهور، ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور محالها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [آية:٥ - ٨]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ وأمر الله له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ آلائه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الأوامر أو عما دعا له هواه ﴿شَكُورٍ﴾ لآلاء مولاه.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لما رأى عدو موسى حلما أو أعلمه علماؤه هدم ملكه لمولود وسط مصر أو حولها ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ اعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ آلاء مولاكم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ إلحادا أو سلوكا على سوى ما أمر ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لهم ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ عما سواه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود مآل أموره كلها.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ
وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ
عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آية:٩ - ١٢]:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ أمم هود، ﴿وَثَمُودَ﴾ ملأ صالح، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إلا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسالهم ﴿فَرَدُّوا﴾ الواو للأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ كدما لها للؤمهم كعمل السادم على أمر ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على دعواكم، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ لهم ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾ مع سطوع الدلائل ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى أوامره وأولها وأساسها هو الإسلام ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له أو أصل، والمراد: ما سوى ما للأمم ﴿ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾

سماه وحده، وهو حلول أعماركم، ﴿قَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مما هو كود وسواع ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أمر دال على إرسالكم ومصحح لمدعاكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ كدعواكم ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إرسالا ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صح ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أمره ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [1] مسالك الإسلام، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ (ما) للمصدر، ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾

---

(١) قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الأنبياء عليهم السلام جوابهم عنها أما الشبهة الأولى وهي قولهم ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فجوابه أن الأنبياء سلموا أن الأمر كذلك لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب منصب يمن الله به على من يشاء من عباده فإذا كان الأمر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة واعلم أن هذا المقام فيه بحث شريف دقيق وهو أن جماعة من حكماء الإسلام قالوا إن الإنسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصاً بخواص شريفة علوية قدسية فإنه يمتنع عقلا حصول صفة النبوة له وأما الظاهريون من أهل السنة والجماعة فقد زعموا أن حصول النبوة عطية من الله تعالى يهبها لكل من يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان عن سائر الناس بمزيد إشراق نفساني وقوة قدسية وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية فإنه تعالى بين أن حصول النبوة ليس إلا بمحض المنة من الله تعالى والعطية منه والكلام من هذا الباب غامض غائص دقيق والأولون أجابوا عنه بأنهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسدانية تواضعاً منهم واقتصروا على قولهم ﴿وَلاكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة لأنه قد علم أنه تعالى لا يخصهم بتلك الكرامات إلا وهم موصوفون بالفضائل التي لأجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال تعالى ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام ١٢٤) وأما الشبهة الثانية وهي قولهم إطباق السلف على ذلك الدين يدل على كونه حقاً لأنه يبعد أن يظهر للرجل الواحد ما لم يظهر للخلق العظيم فجوابه عين الجواب المذكور عن الشبهة الأولى لأن التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه ولا يبعد أن يخص بعض عبيده بهذه العطية وأن يحرم الجمع العظيم منها وأما الشبهة الثالثة وهي قولهم إنا لا نرضى بهذه المعجزات التي أتيتم بها وإنما نريد معجزات قاهرة قوية انظر تفسير الرازي (١٩/٧٧).

فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [آية:١٣ - ١٧]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ إلى رسلهم ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ محالهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (الهاء) لهم، والمراد: هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى إحلاله محلهم ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ لكل امرء روعه وروده على الحكم العدل لدى المعاد والحكم على الأمم ولهم، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ما هو معد لكل عاص أوامره.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ رسل الله على أممهم وراموا العلو وكسرهم لهم وحصل لهم ما سألوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ المراد: أمامه ﴿جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ ماء معه الدم.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ لكرهه له، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ وسائطه وكل ما هو مؤد له لو هو حاصلا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ أمامه سوى ما حرر ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ هو دوامه على أسوء الأحوال مع الكدر السرمد.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [آية:١٨]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أول كلام ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر وهو عامل أول الكلام المار ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ حملا، ورواه راوٍ على العدد ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ وسم مدده على حدد هره صائم وعصره عادل ﴿لا يَقْدِرُونَ﴾ لدى المعاد ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ وهو صالح الأعمال ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ واحد لعدم الإسلام ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾ عما هو هدى.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾ [آية:١٩ - ٢٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الكلام لكل راء ﴿أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ إعداما وإهلاكا ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ محلكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ عسر.

﴿وَبَرَزُوا﴾ (الواو) للعوالم ﴿لِلهِ﴾ لأمره أو حكمه ﴿جَمِيعًا﴾ والمراد: لدى المعاد وأورده على الأمر المار عهده مع عدم حصوله على مسلك المعار المصرح ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ آراء ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ هم روساؤهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ رادوا ما أعد الله ﴿مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ولواحد أحواله ﴿قَالُوا﴾ الروساء ﴿لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ المراد: لدلوهم على مسالك الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿مَحِيصٍ﴾ معدل إلى محل ما.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ عدو آدم وحسوده ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ أحكم ووصل السعداء إلى دار المأوى والسرور السرمد وأهل العمى إلى سوء دارهم وصعد المطرود محل المعلوم على رؤوس طلاح العالم ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ هو أمر المعاد وحصل كما وعد، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ وعدا لا أصل له وهو عدم المعاد ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿سُلْطَانٍ﴾ أمر مكروه لهم على سلوكهم مسالك وسؤاله ﴿إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ على سوء مسراكم ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ ورواه راوٍ مكسور المكرر ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ كمل كلام المطرود ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الأولى أحلوا الهوى محل الهدى وهم أهل الإلحاد ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [آية:٢٣]:

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ والمُسَلِّمُ هو الله أو الأملاك.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [آية:٢٤ - ٢٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ المراد: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ ولعل المراد الأعم ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ودائم كدوام لا إله إلا الله وسط روع المسلم، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ كالعمل الصالح المؤسس على لا إله إلا الله ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ ومحصولها كمحصول الأعمال، وهو ما أعده الله للعمال على صالح أعمالهم ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لما صور كأمر محسوس.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كادعاء إله مع الله أو ولد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لعل المراد العم كما مر ﴿اجْتُثَّتْ﴾ حسم أصلها ﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ لا دوام لها ولا محصل وحكمها حكم الإلحاد.

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ لدى حلولهم وسط لحودهم وسؤال الأملاك لهم، ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد وحال سؤال الإملاك لهم وسط اللحود، ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية:٢٨ - ٣٠]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا﴾ لعدم حمدهم مولاهم على ما أولاهم

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿جَهَنَّمَ﴾ معمول لعامل الدار وهو هو ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حلولا وسطها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلهِ أَنْدَادًا﴾ معه ﴿لِيُضِلُّوا﴾ رواه راوٍ كأعل، وراوٍ ككل ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ هو مسلك الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ معادكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آية:٣١ - ٣٤]:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ﴾ عدل وهو حلول أحد محل أحد ﴿فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾ ووداد راد لأمر الله وما أعده لكل عاص أوامره.

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ كلاهما كإلهام إلى عمله، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ مأوى ومراحا ﴿وَالنَّهَارَ﴾ مسعى وسراحا.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (ما) اسم موصول أو للمصدر ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ آلاءه ﴿لا تُحْصُوهَا﴾ عدا وحصرا ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ الملحد ﴿لَظَلُومٌ﴾ لإحلاله محل الإسلام الإلحاد ﴿كَفَّارٌ﴾ لعدم حمده آلاء مولاه وما أولاه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ
إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ
﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [آية:٣٥، ٤١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو اذكر ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ الحرم ﴿آمِنًا﴾ وأعطاه الله سؤله ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ المراد: سلك على مسلكه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سأل الله حال عدم عمله عدم محو الإلحاد.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ هو ولده مع أمه ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو الحرم ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ هوى مال وأسرع ودادا ﴿إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وأعطاه مولاه سؤله كما رام وأمل.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ الإسرار وعكسه على حد سواء ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ هو إما كلام الله على اسمه وسما حمده، وإما كلام والد الرسل ردد الله لهم السلام.

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى﴾ مع ﴿الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ [1] معدلا لها ومداوما على أدائها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أهلا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ أي من الثابتين على الإسلام والتزام أحكامه. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعل من ذريتي من يقيمها. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ أي عبادتي كما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال عليه السلام: "الدعاء مخ العبادة" وقد تقدم في "البقرة". ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله. قال القشيري: ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه. قلت: وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يعني. أباه. وقيل: استغفر لهما طمعا في إيمانهما. وقيل: استغفر لهما بشرط أن يسلما. وقيل: أراد آدم =

لأدائها ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ أراد دعاءه المحرر.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ورواه راوٍ للولد وحده، وسأل مولاه لهما حال عدم عدهما مع أعداء الله وإلا لما سأل لهما مولاه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ هو أو أهله.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٢، ٤٣]:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ أهل الإلحاد ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ إمهالا ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ لهوله.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ الإهطاع: الإسراع لدعاء داع أو لأمر ما ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ كل سامك رأسه إلى السماء ﴿لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ لا آراء ولا إدراك لهم لما عراهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

=

وحواء. وقد روي أن العبد إذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي وكان أبواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة إلى آدم وحواء لأنهما والدا الخلق أجمع. وقيل: إنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبراهيم النخعي يقرأ: "ولولدي" يعني ابنيه، وقيل: إنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبراهيم ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كلهم وهو أظهر. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي يوم يقوم الناس للحساب. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٧٥/٩).

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [آية:٤٤ - ٥٢]:

﴿وَأَنْذِرِ﴾ الأمر لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿النَّاسَ﴾ أهل الإلحاد ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ لدى المعاد وحال حلول أعمارهم وورود حمامهم ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ألحدوا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هو ردهم إلى الدار الأولى لو حمل على الأول، أو المراد: إمهال وورود حمامهم لو حمل على حلول الأعمار ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ مرادهم: لا إله إلا الله ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ إسلاما لهم وسلوكا على أوامرهم ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿زَوَالٍ﴾ إلى دار سواها.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أمم الإلحاد المار عصرهم، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ ولا ردعكم أمرهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ ما أطلعكم على أحوالهم ومسراهم ومآل أمرهم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ وأصروا على المكروه إلى الرسول ردد الله له السلام ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ علمه أو ما أعده لهم على سوء عملهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام أوله وعامل المصدر مطروح وراءها ﴿مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ المراد: ما حكمه كحكمها، وهو الإسلام على الأول، وعلى كسر اللام المراد أصلها.

﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ وهو علوهم على أعدائه ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ حاصل لكل عاص.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لادكر مطروحا ﴿تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ المراد: صورها كما ورد مدها مد الأدم أو أصلها كما أورده ولد مسعود ﴿وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ﴾ لأمره أو لحكمه ﴿الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

﴿وَتَرَى﴾ الكلام إلى محمد ردد الله له السلام ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ كل واحد مع موسوسه ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ كل أدهم أو السلاسل.

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ ورروعهم طلاء ﴿مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى﴾ علوا ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مطلع

وراء عمل الأمم كلهم واحدا واحدا مع عدم طول الحصص والمدد.

﴿هَذَا﴾ أومأ إلى الكلام المكرم ﴿بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أوحاه الله، ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ الأحلام.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحجر

مكية، وآيها تسع وتسعون

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد كسائر أوائل السور.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم على حد عمد مرمر، ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿رُبَمَا﴾ ورواه راوٍ مكرر ما وراء رائه ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ لدى المعاد حال سطوع حالهم، وحال أهل الإسلام أو حال ورود حمامهم واطلاعهم على محالهم كما ورد أو حال حلول هلاكهم وكسر أهل الإسلام لهم.

﴿ذَرْهُمْ﴾ دعهم الأمر للرسول ردد الله لروحه السلام ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾ أمل طول العمر وسواه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم وسوء سلوكهم حال اطلاعهم على ما أعده الله لهم.

﴿وَمَا أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ﴾ [1] وصل لا مؤدى له ﴿قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أمد محدود لهلاكها وهو عمرها.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ وصل ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ المحدود لها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾.

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: اعتراض تذييلي لأن في هذه الجملة حكماً يشملهم وهو حكم إمهال الأمم التي حق عليها الهلاك، أي ما أهلكنا أمّة إلا وقد متّعناها زمناً وكان لهلاكها أجل ووقت محدود، فهي ممتعة قبل حلوله، وهي مأخوذة عند إبانه. انظر التحرير والتنوير (١٤/١٤).

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [آية:٦ - ٩]:

﴿وَقَالُوا﴾ ملحدو الحرم للرسول ردد الله له السلام ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ الكلام المكرم على دعواه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿لَوْ مَا﴾ هلا أو مؤداها حصول أمر لحصول سواه ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وصحح ادعاؤك الإرسال، والكلام الوارد لك هو كلام الله.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ﴾ الهلاك لهم ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا﴾ حال ورود الأملاك مع هلاكهم ﴿مُنْظَرِينَ﴾ إمهالا.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ مؤكد لاسم العامل المؤكد ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ الكلام المكرم ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [آية:١٠ - ١٣]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شِيَعِ﴾ واحدها كل ملأ على مسلك واحد ﴿الأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما حصل لك ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ (الهاء) عائد إلى ما أدى إلى عدم إسلامهم للرسل ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (الهاء) للرسول ردد الله له السلام ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ هلاك الأمم الأولى وحكم هؤلاء كحكمهم.

﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾ [آية:١٤، ١٥]:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ المراد: صعودهم.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سكر وسد واحد ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:١٦، ٢٥]:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ كالحمل والأسد والدلو وسائرها ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ لكل راء إلى عطارد وسواه، ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ صعودا واطلاعا على أحوالهم وأسرارهم.

﴿إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ الاسم الموصول عامله كل على مسلك وهم العامل المكرر ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ لإهلاكه أو طرده.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ كالطور وسواه لهدئها، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ معلوم محدود.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ هو كل مطعم ومكسى ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ كالأهل والمملوك والحمر وسواها.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ إلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ على مدار المصالح والحكم.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ حوامل الركم الماطر ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركم على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ دائموا الدوام والعالم كله هلك.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ [1]أوله عهد آدم إلى عهد الرسول ردد الله لهما

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ فيه ثمان =

السلام ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ إلى حلول دور الإعصار وهلاك العالم كلهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ
مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ
﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

=

تأويلات: "المستقدمين" في الخلق إلى اليوم، و"المستأخرين" الذين لم يخلقوا بعد؛ قاله قتادة وعكرمة وغيرهما. الثاني - "المستقدمين" الأموات، و"المستأخرين" الأحياء؛ قاله ابن عباس والضحاك. الثالث: "المستقدمين" من تقدم أمة محمد، و"المستأخرين" أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ قاله مجاهد. الرابع - "المستقدمين" في الطاعة والخير، و"المستأخرين" في المعصية والشر؛ قاله الحسن وقتادة أيضا. الخامس - "المستقدمين" في صفوف الحرب، و"المستأخرين" فيها؛ قاله سعيد بن المسيب. السادس: "المستقدمين" من قتل في الجهاد، و"المستأخرين" من لم يقتل، قاله القرظي. السابع: "المستقدمين" أول الخلق، و"المستأخرين" آخر الخلق، قال الشعبي. الثامن: "المستقدمين" في صفوف الصلاة، و"المستأخرين" فيها بسبب النساء. وكل هذا معلوم الله تعالى؛ فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة. إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية؛ لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: "كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس. وهو أصح. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩).

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [آية:٢٦ - ٤٤]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ حال أسود معه رمل عراه الحمو وصار مصلصلا لو صودم ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ الحماء الحال الأسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصور أو مكروه الروائح.

﴿وَالْجَانَّ﴾ والدهم أو مصور عدو آدم المطرود ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أولا وآدم ما صور ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ الحر الواصل إلى المسام.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لأورد أو ادكر مطروحا ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ وكمل ﴿وَنَفَخْتُ﴾ المراد الأعم وهو السلوك ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أورد الروح له علا اسمه إكراما لآدم ردد الله له السلام ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ركعا ركوع سلام وإكرام.

﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ مؤكد أم مؤكدا ﴿إِلا إِبْلِيسَ﴾ المطرود ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما عصمك وردعك ﴿أَن لا﴾ وصل ﴿تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ (الهاء) لدار المأوى والسرور السرمد أو للسماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وأورده حدا للطرد المار لما هو وراء الحدود كلها.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ إمهالا ومد عمر ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الأمم.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ المسمى لحلول عمره، أو صداح الصور الأول.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ إلى المطرود ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ السلوك على مسلك العمى ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ورواه ولد عامر، ووالد عمرو مكسور اللام كلما ورد، والمراد على الأول الأولى: سلكوا مسالك الهدى وردعوا الهوى، وعلى الكسر الأولى: طهروا سرائرهم عما سوى الله، أو المراد: أهل الإسلام.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أهل الإسلام ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ هم كل ملحد، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ معك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ محالها درك؛ أعلا وأوسط وأحط ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ درك ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ سهم ﴿مَقْسُومٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [آية:٤٥ - ٥٠]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ مما هو مروع، أو المراد: مع سلام ﴿آمِنِينَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ كل مكروه حوا الصدر كحسد وسواه ﴿إِخْوَانًا﴾ حال هم ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ملأ لا أحد وراء أحد وهو حال أم حالا ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ حال أم حال أو أول كلام، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أمدا وسرمدا.

﴿نَبِّئْ﴾ الأمر لرسوله ردد الله له السلام ﴿عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لأهل الإسلام، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لكل ملحد أو عاص ﴿هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ المؤلم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ
مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا
تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

[آية: ٥١ - ٧٩]:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم أملاك وردوا إلى محله ومعهم الروح ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ﴾ لما دعاهم إلى الطعام وما أكلوا ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا﴾ رسل ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ المراد: مع مسه له وهو حال ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[1].

---

(١) قال الرازي: معنى: ﴿عَلَى﴾ ههنا للحال أي حالة الكبر، وقوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ فيه مسألتان: المسألة الأولى: لفظ ما ههنا استفهام بمعنى التعجب كأنه قال: بأي أعجوبة تبشروني؟ فإن قيل: في الآية إشكالان: الأول: أنه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وإنكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر. الثاني: كيف قال: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ مع أنهم قد بينوا ما بشروه به، وما فائدة هذا الاستفهام. قال القاضي: أحسن ما قيل في الجواب عن ذلك أنه أراد أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع أنه يبقيه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شاباً ثم يعطيه الولد، والسبب في هذا الاستفهام أن العادة جارية بأنه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وإنما يحصل في حال الشباب. فإن قيل: فإذا كان معنى الكلام ما ذكرتم فلم قالوا: ﴿بشرناك بالحق =

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ﴾ لا ﴿يَقْنَطُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ما أمركم وما وراءكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ هم ملاء لوط، وأرسلوا لإهلاكهم ﴿إِلا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ مع الهلكى لسلوكها على مسلكهم وهو الإلحاد.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ المراد: لوطا ﴿الْمُرْسَلُونَ قَالَ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لما ما رآهم أولا أكد لهم الإعلام ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ الواو لملأه ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ وهو هلاكهم، ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الأمر الحاصل ولا راد له ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ حصص ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ وسر وراءهم مطلعا على أحوالهم ومسرعا، ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ورائه لعدم روعه مما هو حال على الملأ، ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ المراد: كما أمركم الله إلى مصر أو سواها، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ أوحى الله له والموحى هو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ حال والمآل اصطلامهم.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ سدوم وهم ملأ لوط لما سمعوا ورود مرد ملاح إلى داره ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال طمعا لحصولهم على مرادهم ومأملهم.

=

فلا تكن من القانطين﴾. المسألة الأولى: هذا الكلام حق، لأن القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور: أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه. وثانيها؛ أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد إليه. وثالثها: أن يجهل كونه تعالى منزهاً عن البخل والحاجة والجهل فكل هذه الأمور سبب للضلال، فلهذا المعنى قال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّه إِلا الضَّآلُّونَ﴾. المسألة الثانية: قرأ أبو عمرو والكسائي: (يقنط) بكسر النون ولا تقطنوا كذلك، والباقون بفتح النون وهما لغتان: قنط يقنط، نحو ضرب يضرب، وقنط يقنط نحو علم يعلم، وحكى أبو عبيدة: قنط يقنط بضم النون، قال أبو علي الفارسي: قنط يقنط بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل من أعلى اللغات يدل على ذلك اجتماعهم في قوله: ﴿مِنا بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ (الشورى: ٢٨) وحكاية أبي عبيدة تدل أيضاً على أن قنط بفتح النون أكثر، لأن المضارع من فعل يجيء على يفعل ويفعل مثل فسق يفسق ويفسق ولا يجيء مضارع فعل على يفعل. والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١٩/١٥١).

﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ﴾.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: دعاؤه العالم إلى داره لمأكل ومطعم.

﴿قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ المراد: إملاكا لا عهرا.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ كلام الله إلى رسوله محمد ردد الله له السلام ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ عمه كعلم حار.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صاح الملك الروح ﴿مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ (الهاء) عائد إلى محالهم ودورهم أو إلى سدوم ﴿سَافِلَهَا﴾ سمكها الملك الروح إلى السماء وحطها عاكسا لها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ اسم للطرس المحرر وسطه ما أعده الله لهم، أو اسم لدار الهلاك السرمد، أو اسم للصلصال المحمى وسطها وصار كالمرمر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على الله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ لكل مدرك حصل الأمور مع وسومها أو حصلها وأدركها لما أدرك وسومها أولا.

﴿وَإِنَّهَا﴾ محال ملأ لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ مسلك ما درس رسمه كل سالك راء رسومها؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ الدوح ﴿لَظَالِمِينَ﴾ لما ردوا دعوى رسولهم، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ وحصل لهم الهلاك، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ سدوم والوح ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ مسلك ﴿مُبِينٍ﴾ لكل أحد.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آية:٨٠ - ٨٤]:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ اسم واد لهم وهم ملأ صالح وأممه ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ عدم إسلامهم لرسولهم كعدم إسلامهم إلى الرسل كلهم لمآل أمر الكل إلى واحد وهو لا إله إلا الله.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ دلائل إرسال وسولهم ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى﴾ ما رد مكروها ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ لا دور لهم ولا أموالهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [آية:٨٥، ٨٦]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾[1] وكل أحد معامل على عمله صالحا أو طالحا ﴿فَاصْفَحِ﴾ الأمر للرسول محمد ردد الله لروحه أكمل السلام ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ وعاملهم حلما وكرما، والأمر المسطور محاه أمر المعارك وإعمال الحسام وهو ممحو المؤدى لا الكلام؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ﴾ للعوالم ﴿الْعَلِيمُ﴾ الصالح لهم ومصالحهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٨٧، ٩٩]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ أمر الكلام المكرم على ما رواه مسلم وسواه، وسماها كما سماها لورود كلامها مكررا كل ركوع ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾

﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الردع لعدم طموحهما طموح المائل ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ ملأ ﴿مِنْهُمْ﴾ لسلوكه مسلك المعدوم لو صور مع ما أعطاك مولاك، ﴿وَلا تَحْزَنْ

(١) موقع الواو في صدر هذه الجملة بديع. فهذه الجملة صالحة لأن تكون تذييلا لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقّوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها، ولأن تكون تصديراً للجملة التي بعدها وهي جملة (وإن الساعة لآتية). والمراد ساعة جزاء المكذّبين بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أي ساعة البعث. فعلى الأول تكون الواو اعتراضية أو حالية، وعلى الثّاني عاطفةً جملة على جملة وخبراً على خبر. انظر التحرير والتنوير (٧٤/١٤).

عَلَيْهِمْ﴾ لعدم إسلامهم ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ كالكلام السهل وسواه مما هو محمود لهم ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ مما أعده الله لكل ملحد كالهلاك وسواه ﴿الْمُبِينُ﴾ الساطع دلائله.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ الهلاك ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ رهط صالح ردد الله له السلام الأولى آلوا على عمل المكروه له أو الأولى سدوا مسالك الحرم حال الموسم وصدوا كل وارد على الرسول للإسلام، أو هم الهود، ومدعوا الأهل والولد للواحد الأحد لما أسلموا لأحد أحكام الكلام الموحى إلى رسلهم ووردوا أحدها، أو هم الأولى سهموا كلام الله المكرم سهاما؛ سهم سحر، وسهم علم مارد وسواهما ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ﴾ كل كلام موحى إلى الرسل أو الكلام المكرم وحده على ما مر ﴿عِضِينَ﴾ سهاما على الحكم المار أو المراد: أسحارا على عوده إلى كلام الله المكرم الموحى لمحمد ردد الله له السلام.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ﴾ الأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: أعل كلامك على الملأ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ إهلاكا وإعداما، وهم: العاص ولد وائل، والأسود ورهطهما ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ كردهم كلام الله المكرم وادعائهم السحر وسواه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ كل مصل، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحمام والأمر للدوام كالأول.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النحل

مكية إلا: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ، وآيها مائة وثمان وعشرون

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1] [آية: ١]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن معرفة تفسير هذه الآية مرتبة على سؤالات ثلاثة:
فالسؤال الأول أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب يوم القيامة وهو الذي يحصل عند قيام الساعة ثم إن القوم لما لم يشاهدوا شيئاً من ذلك احتجوا بذلك على تكذيبه وطلبوا منه الإتيان بذلك العذاب وقالوا له ائتنا به وروي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر ١) قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ (الأنبياء ١) فأشفقوا وانتظروا يومها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ فوثب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورفع الناس رؤوسهم فنزل قوله ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ والحاصل أنه عليه السلام لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه إلى الكذب، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وفي تقرير هذا الجواب وجهان الوجه الأول أنه وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها قد جاءك الغوث فلا تجزع والوجه الثاني وهو أن يقال أن أمر الله بذلك وحكمه به قد أتى وحصل ووقع فأما المحكوم به فإنما لم يقع لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود والحاصل كأنه قيل أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد فصح قولنا أتى أمر الله إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل لأنه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت السؤال الثاني قالت الكفار هب أنا سلمنا لك يا محمد صحة ما تقوله من أنه تعالى حكم بإنزال العذاب علينا إما في الدنيا وإما في الآخرة إلا أنا نعبد هذه الأصنام فإنها شفعاؤنا عند الله فهي تشفع لنا عنده فنتخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعة هذه الأصنام =

﴿أَتَى﴾ أورد ما مر حكمه وأراد ما هو وارد حالا أو مآلا لحصوله على كل حال ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ هو حلول دور الإعصار أو هلاكهم، ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أوحاه الله لرسوله ردد الله له السلام لما سألوه إسراع وروده، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ٢]:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ﴾ المراد: أحدهم، وهو الروح ﴿بِالرُّوحِ﴾ هو ما أوحاه إلى الرسل ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهم رسله ردد الله لهم السلام ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ روعوا كل ملحد ما أعده الله له على سوء عملهم وأعلموه ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾ [آية: ٣]:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أسس صورهما على مدار حكمه ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه ما هو كود وسواع.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤]:

﴿خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ محاول راد

=

فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فنزه نفسه عن شركة الشركاء والأضداد والأنداد وأن يكون لأحد من الأرواح والأجسام أن يشفع عنده إلا بإذنه ومَا في قوله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يجوز أن تكون مصدرية والتقدير سبحانه وتعالى عن إشراكهم ويجوز أن تكون بمعنى الذي أي سبحانه وتعالى عن هذه الأصنام التي جعلوها شركاء لله لأنها جمادات خسيسة فأي مناسبة بينها وبين أدون الموجودات فضلا عن أن يحكم بكونها شركاء لمدبر الأرض والسموات السؤال الثالث هب أنه تعالى قضى على بعض عبيده بالسراء وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك أن تعرف هذه الأسرار التي لا يعلمها إلا الله وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عنه بقوله ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لا إله إلا أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ وتقرير هذا الجواب أنه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده ويأمر ذلك العبد بأن يبلغ إلى سائر الخلق أن إله العالم واحد كلفهم بمعرفة التوحيد والعبادة وبين أنهم إن فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة وإن تمردوا وقعوا في شر الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار مخصوصاً بهذه المعارف من دون سائر الخلق وظهر بهذا الترتيب الذي لخصناه أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١٩/١٧٣).

أمر المعاد.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩﴾ [آية: ٥ - ٩]:

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما رد ألم عكس الحر ككل كساء حاكوه، وأصله ما على أدمها، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ كالحمل والدر ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ لحوما ودسما.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ حال ردها إلى مراحها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ حال إرسالها إلى المرعى.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ لولاها ﴿إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ مع كمال العسر ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ رحمكم، وسهل لكم أمرها.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ مما لا ورود له على روع أحد.

﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ إعلامه لكم المسلك العدل السوى الموصل إلى الهدى ﴿وَمِنْهَا﴾ المسالك ﴿جَائِرٌ﴾ حائد ومائل عما هو عدل وهدى، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى المسلك العدل الموصل.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام وكل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ المراد: ما عم الكلاء وسواه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أسام أرسل للمرعى.

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر والمعدوم كله ﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ كله دال أهل الإدراك على الواحد الحد

وكمال علمه وحكمه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ مأوى، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ مسعى، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ﴾ ورواها راوٍ على أول الكلام ومحمولها ﴿مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ وعلى الأول حال لها كلها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ كل ما له روح وسواه ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أسود وأحمر وسواه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٤ - ١٩]:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾(١) وسهله لكم ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك،

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره، وهذه نعمة من نعم الله علينا، فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا. وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده. وسماه هنا لحما واللحوم عند مالك ثلاثة أجناس: فلحم ذوات الأربع جنس، ولحم ذوات الريش جنس، ولحم ذوات الماء جنس. فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلا، ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا، وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش والسمك يجوز متفاضلا. وقال أبو حنيفة: اللحم كلها أصناف مختلفة كأصولها؛ فلحم البقر صنف، ولحم الغنم صنف، ولحم الإبل صنف، وكذلك الوحش مختلف، كذلك الطير، وكذلك السمك، وهو جحد قولي الشافعي. والقول الآخر أن الكل من النعم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه. والقول الأول هو =

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ وسواه ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾ صوادع لمائه ﴿فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ه على آلائه.

﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ كالطور وسواه لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ مأدو مآل واحد ﴿بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ أسالها، ﴿وَسُبُلاً﴾ مسالك مهدها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى كل محل مراد لكم.

﴿وَعَلامَاتٍ﴾ دلائل على المسلك كالسهل والوعر وسواهما، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لو ساروا حال سواد المساء.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾ وهو ما هو كود وسواع لا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ عدم سلوككم ومسراكم على مسرى العلم والإدراك.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما أعطاكم ووالكم الآلاء مع عدم حمدكم، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٍۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ

=

المشهور من مذهبه عند أصحابه. ودليلنا هو أن الله تعالى فرق بين أسماء الأنعام في حياتها فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ثم قال: ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ فلما أن أم بالجميع إلى اللحم قال: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١] فجمعها بلحم واحد لتقارب منافعها كتقارب لحم الضأن والمعز. وقال في موضع آخر: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١] وهذا جمع طائر الذي هو الواحد، لقوله تعالى: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] فجمع لحم الطير كله باسم واحد. وقال هنا: ﴿لَحْماً طَرِيّاً﴾ فجمع أصناف السمك بذكر واحد، فكان صغاره ككباره في الجمع بينهما. وقد روي عن ابن عمر أنه سئل عن لحم المعز بلحم الكباش أشيء واحد ؟ فقال لا؛ ولا مخالف له فصار كالإجماع، والله أعلم. ولا حجة للمخالف في نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام إلا مثلا بمثل؛ فإن الطعام في الإطلاق يتناول الحنطة وغيرها من المأكولات ولا يتناول اللحم؛ ألا ترى أن القائل إذا قال: أكلت اليوم طعاما لم يسبق الفهم منه إلى أكل اللحم، وأيضا فإنه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم" وهذان جنسان، وأيضا فقد اتفقنا على جواز بيع اللحم بلحم الطير متفاضلا لا لعلة أنه بيع طعام لا زكاة له بيع بلحم ليس فيه الزكاة، وكذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلا. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٥/١٠).

بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [آية: ٢٠ - ٢٣]:

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كود وسواع ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ صوروا مما هو مرمرا وسواه.

﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا أرواح لهم ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ مؤكد، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا علم لهم ولا إحساس ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ هل أحد مصور ومدع إلها لا روح ولا علم ولا إحساس له.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾ للواحد الأحد ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عما هو هدى وسالكو مسالك العمى.

﴿لا جَرَمَ﴾ مؤداه وحاصله كمؤدى والله ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وهو معاملهم على أعمالهم ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ﴾ المراد: المال، والأصل محال على الله كما هو معلوم ﴿الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾
قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ
ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ
أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [آية: ٢٤ - ٢٩]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذا﴾ اسم سؤال، والسائل أهل الإسلام أو سواهم، (ذَا) اسم موصول أو هو مع كلاهما للسؤال ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على رسوله محمد ردد الله له السلام ﴿قَالُوا﴾ هو ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ المراد: لا أصل له.

﴿لِيَحْمِلُوا﴾ لدى مآل أمورهم ﴿أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لما دعوهم إلى مسالك العمى وسلكوا على ما أمروهم صار

كحكمهم ﴿أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ألا ساء الحمل حملهم.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هو عدو والد الرسل والمحاور له لما ادعى ما ادعاه عدو موسى وعمر صرحا، ورام صعود إلى السماء وأنكر على أهلها ﴿فَأَتَى اللهُ﴾ المراد: أمره ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أساسه أو عمده وحركها وهدمها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ وهلكوا كلهم.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ معد لهم سوء الدار والهلاك الدائم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ أهل الإسلام ﴿فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الرسل أو العلماء أو الأملاك ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لورود حمامهم وهم على سوء حالهم وإلحادهم ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ سالموا وأطاعوا لما رأوا الحمام وكلامهم هو ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ كادعاء أحد مع الله وسواه ﴿بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْأَٰخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٣٠ - ٣٤]:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿مَاذَا﴾ اسم سؤال واسم موصول أو كلاهما اسم سؤال ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هم أهل الإسلام ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ كعلوهم على أعدائهم وسواه، ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ دار المأوى والسرور الكامل ﴿خَيْرٌ﴾ مما أعطوه أولا، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ الدار.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ

كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ كلهم مطهر صدرهم مما هو إلحاد ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم الأملاك لدى ورودهم موارد حمامهم وسلهم لأرواحهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ وكلام الأملاك لهم لدى المعاد ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أهل الإلحاد ﴿إلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لسل أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ المعاد أو ما أعده لهم ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأمم الأولى ما أسلموا لرسلهم وأهلكوا، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ لما دمرهم وأهلكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لإلحادهم وسوء مسراهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ﴾ أحاط وحل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الهلاك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [آية: ٣٥]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ كالوصائل وكل حام وسواها ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حاولوا رسلهم وردوا ما دعوهم له ﴿فَهَلْ﴾ ما ﴿عَلَى الرُّسُلِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾ كما أرسل محمد ردد الله له أكمل السلام إلى هؤلاء ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ما هو كود وسواع ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ﴾ وأسلم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ لعلم الله عدم إسلامه، ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم وهو الهلاك.

﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ الكلام إلى الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ مع

عدم مراد الله له لا حصول له ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي﴾ ورواه راوٍ لسوى المعلوم ﴿مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لما أراده الله وأعده لهم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣٨ - ٤٠]:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ ورد الله ادعاءهم حاكما ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ كلاهما مصدر مؤكد معمول لعامل مطروح ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ حصوله.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مع أهل الإسلام ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ لدعواهم عدم حصول المعاد.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ورواه راوٍ على طرح العامل محصل المصدر.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [آية:٤١، ٤٢]:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ﴾ لإعلاء أحكامه وأوامره ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ هم الرسول وأهل الإسلام معه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ المراد: إحلالهم دارا ﴿حَسَنَةً﴾ دار لحد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ دار السرور الدائم ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أهل الإلحاد الإكرام الحاصل للرسول وأهل الإسلام لأسلموا وصاروا معهم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كل مكروه حملهموه أهل الإلحاد، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ سلموا أمورهم كلها إلى الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا أملاكا ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ علماء الكلام الموحى إلى موسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ودل الحكم المسطر على عدم إرسال الله للدعاء العام ملكا ولا سواه إلا ما حرر.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ معمول لعامل مطروح وهو أرسلوا ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الطروس، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ كلام الله المكرم ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ كالحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٤٥ - ٤٧]:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ المراد: مكروا مكرا لسوء؛ وهو إصرارهم على الكروه للرسول ردد الله له السلام وورمهم صد أهل الإسلام ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كما اهلك مالك الأموال المعلوم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ كما حصل لملأ لوط.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ وهم على الرواحل والمراحل ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ كإهلاك أهلهم وأموالهم وإهلاكهم واحدا واحدا إلى اصطلامهم كلهم ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لإمهاله وعدم ورود الهلاك مسارعا لهم.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [آية: ٤٨]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ المراد: لدى طلوعها إلى وصولها إلى وسط السماء وحال الآصال ﴿سُجَّدًا لِلهِ﴾ ركعا لما أمر وأراد مولاهم ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ كل مطاطئ لأوامره.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[1] [آية:٤٩، ٥٠]:

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ﴾ المراد: كُلُّ أطاعه ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ كل ما له روح ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ عدهم وحدهم إكراما لهم ﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عما أمرهم.

﴿يَخَافُونَ﴾ الواو للأملاك ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ المراد: علو الكَهرِ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [آية: ٥١، ٥٢]:

﴿وَقَالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ مؤكد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكًا ومملوكًا، ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ كُلُّ أطاعه ﴿وَاصِبًا﴾ دائما لما مر وهو لا إله إلا هو وحده؛ ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الواحد.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آية: ٥٣ - ٥٥]:

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ لا آلاء إلا آلاؤه ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ عدم أو علل ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ هو الدعاء مع الصداح.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾ هم أهل الإلحاد ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا﴾ ودوموا على سوء حالكم، وهو أمر مهدد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل أمركم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: قد عرف السجود منذ أقدم عصور التاريخ فقد وجد على الآثار الكلدانية منذ القرن التاسع عشر قبل المسيح صورة حمورابي ملك كلدية راكعاً أمام الشمس، ووجدت على الآثار المصرية صور أسرى الحرب سجداً لفرعون، وهيآت السجود تختلف باختلاف العوائد. وهيئة سجود الصلاة مختلفة باختلاف الأديان. والسجود في صلاة الإسلام الخُرور على الأرض بالجبهة واليدين والرجلين. انظر التحرير والتنوير (١/٤٢٢).

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٥٦ - ٦٠]:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ الواو لكلِّ مُلحدٍ ﴿لِمَا لا يَعْلَمُونَ﴾ المراد: لما لا علم له، ولا روح، ولا إحساس؛ كود، وسواع ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أموالا وسواها، ﴿تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال ملام ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على الله، وهو ادعاؤكم أمره لكم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلهِ﴾ الأملاك ﴿الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ عما ادَّعوه له، ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الأولاد عكس الأول، والمراد: ادعوا له إلا حظ ولهم الأعلى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملؤ كدرًا.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ ملأه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ روع العار ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾ مع العار ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ وَأْدًا ولَحْدًا ﴿أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم المحرر.

﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ هم كل مُلحدٍ ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ للواد المحرر ﴿وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ وهو لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [آية: ٦١]:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ إلحادهم ومسراهم على سوى ما أمر مولاهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على مسطحها ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ كل ما له روح لسوء عمل ولد آدم، وعَمَّمَ الكلَّ لِورودِ أمر الهلاك عامًا، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ سَمَّاهُ وعلمه، وهو حلول أعمارهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ المحدود لهم ﴿لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا

لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٦٢ - ٦٤]:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ه لهم كادعاء أحد معه على ملكه وإصرارهم على المكروه لرسله ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ وهو ادعاؤهم ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿لا جَرَمَ﴾ أدّى مؤدّى والله ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ رد لكلامهم وما ادَّعُوه مؤكد أكده ما أدّى مؤدّى والله، والعامل المؤكد ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ لها، ورواه راوٍ مكرر الرَّاء ومكسورها، والمراد: عادو الحدود.

﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ﴾ للأمم ﴿الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ورأوها على مسلك الهدى وأصروا على سوء عملهم وردوا دعوى الرسل، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أورد اللام وأراد الدار الأولى، أو المراد: دار المعاد وأراد الحال مآلا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول ردد الله له السلام ﴿الْكِتَابَ﴾ كلام الله المكرم ﴿إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للأمم ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ كأحوال المعاد، وأحكام الأعمال، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٦٥ - ٦٧]:

﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام ﴿مَاءً﴾ مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعُ إدراك.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ مسلكًا إلى العلم ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ راعَى مؤدَّاه ووحد الهاء أو راعى واحدها ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ عكر معدها ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا عكر معه ولا دم ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور إلى المعد.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ مُسكرًا، وهو وارد حال حله ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ ما صلح للأكل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [آية: ٦٨، ٦٩]:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ المراد: ألهمها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ مأوى، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ مأوى، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ما عَمَّره لك الأمم، ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ رومًا للمرعى ﴿ذُلُلا﴾ حال المسالك والمراد: سلوكا لا عسر معه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم وحده أو مع سواه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ٧٠، ٧١]:

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ وأصلكم العدم ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾[1] لدى حلول أعماركم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ كَالهرَم الموصل إلى هدمِ الإدراكِ ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ لسوء إدراكه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ على كل ما أراده.

﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ واحد له مال وواحد معدم، واحد

(١) قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بين معناه. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ يعني أردأه وأوضعه. وقيل: الذي ينقص قوته وعقله ويصيره إلى الخرف ونحوه. وقال ابن عباس: يعني إلى أسفل العمر، يصير كالصبي الذي لا عقل له؛ والمعنى متقارب. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل". وفي حديث سعد بن أبي وقاص "وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر" الحديث. خرجه البخاري. ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ إن الله عليم قدير" أي يرجع إلى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الأمور لفرط الكبر. وقد قيل: هذا لا يكون للمؤمن، لأن المؤمن لا ينزع عنه علمه. وقيل: المعنى لكيلا يعمل بعد علم شيئا؛ فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره إليه؛ لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه. والمعنى المقصود الاحتجاج على منكري البعث، أي الذي رده إلى هذه الحال قادر على أن يميته ثم يحييه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٤١).

مالك وواحد مملوك، وهلُمَّ ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ وهم الملاك ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ على كل مملوك لهم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ هو للمالك والمملوك معا، والمراد: الرد على كُلِّ مُدَّعٍ مع الله أحدًا سواه، وحاصله: هم كرهوا ردهم لمملوكهم مما ملكوه ومملوكهم مساوٍ لهم، وكلهم ولد آدم ومع ما حرر ادعوا السوى مع الله وهو مالك الملك وما ساواه أحد كما ساواهم مملوكهم، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ لادعائهم معه سواه.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آية: ٧٢]:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ المراد: مؤادها كحواء أصلها آدم ردد الله له السلام، وسائر الحرم مؤادها الماء، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ كالمطاعم أو الحلال، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ ما هو كود وسواع ﴿وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ إلحادًا وادعاء للسوى معه.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٧٣]:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ كالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ هو الكلاء، وكل محصود سواه ﴿شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ملكًا له أصلا لعدم روحهم وإحساسهم وصلاحهم لأمرٍ ما.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [آية: ٧٤ - ٧٦]:

﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ﴾ لا إله إلا هو الواحد الأحد ما له مساوٍ، ولا معه أحد ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَنْ﴾ المراد: وحُرًّا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ المملوك مع الحر المالك للأموال لا ﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ كلُّ الحمد له ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أهل الحرم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمورهم.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم إدراكه وعمله ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾ ومولاه عائله ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لعدم إدراكه ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ مدرك حاوٍ للمحامد ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آية: ٧٧]:

﴿وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما لا وصول للحس له أوامر المعاد ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لإرصاده لأمر الله ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو ما صحح عمله أو ما سوى المعدم أو ما سوى المحال ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٨، ٧٩]:

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ الأسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ـه على آلائه لكم طورًا طورًا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الهواء ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل على الواحد الأحد ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٨٠]:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ مَأوَى مما هو مدر أو مرمر ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل على الرواحل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾ كالكساء والوطاء، ﴿وَمَتَاعًا﴾ أموالا ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى مدد حصول أوطاركم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨١ - ٨٣]:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا﴾ لرد الحر، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ محال للمأوى، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ كل كساء ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ المراد: وعكس الحر، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ كالدروع ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ما أسلموا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ ورد حال عدم ورود أمر المعارك.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ﴾ ما عددها لهم كلهم ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ لإلحادهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آية: ٨٤]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو رسوله على أممه ولها ﴿ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عودًا إلى الدار الأولى أو كلامًا ﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ رومًا للسلوك على أوامر الله.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ

عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ [آية: ٨٥ - ٨٨]:

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[1] إلحادًا ﴿الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ولا إمهال لهم.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ كود وسواع، وما ادعوه إلها مع الله ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ وهو ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ردوا ما ادعوه لركوعهم لهواهم لا لهم أوردوا دعواهم لعلمهم لا إله مع الله الإله الواحد.

﴿وَأَلْقَوْا﴾ المراد: أهل إلحاد ﴿إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ سلَّموا لحكمه ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ هو رد ما كود وسواع ما أعده الله لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام ودعوا إلى الإلحاد ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ هو صدهم ودعائهم الأمم إلى الإلحاد.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [آية: ٨٩]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هو رسولهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾ الكلام إلى رسوله محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ أممك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كالحلال والحرام، والأحكام والأوامر، والروادع، ﴿وَهُدًى﴾ مما هو عمى، ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا. ﴿الْعَذَابَ﴾ أي عذاب جهنم بالدخول فيها. ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يمهلون؛ إذ لا توبة لهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٦٢).

تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ
أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ
وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً
وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٩٠،
٩٣]:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ المسلك الوسط لا عطل كعدم الإله أصلا ولا ادعاء أعداد، والعدل هو لا إله إلا الله ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ أداء ما أمر الله على على أكمل الأحوال، ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ كالعم وولده والأرحام، والمراد: إعطاؤهم مهامهم، ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ العهر ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ إلحادًا أو سواه، ﴿وَالْبَغْيِ﴾ عدم العدل ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أمرًا ورادعًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾ هو لما عاهدوا الرسول ردد الله له أكمل السلام على الإسلام ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ كعدم دوامكم على العهود وسواه.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أحكام له ﴿أَنْكَاثًا﴾ حلا لأحكامه الأول ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ﴾ المراد: وسائط لا للصلاح لـ ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى﴾ عددًا ﴿مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ﴾ الهاء لأمر الدوام على العهود ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ عهدًا أو سواه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل مسلك واحد ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال ملام ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لورودكم موارد أعمالكم صالحا وطالحا.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا
صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ
إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٩٤ - ٩٦]:

﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ﴾ كرره مؤكدًا ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ على مسالك الإسلام، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ الهلاك حالا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ لصدودكم أو لصد سواكم عمّا هو دوام على العهود، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مالا لدى المعاد.

﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾[1] هو ما وعدوه على عودهم إلى الإلحاد ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما وعدكموه على العود إلى مسالكهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ أموالا وسواها ﴿يَنْفَدُ﴾ هالك، ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ دائم لا هلاك له، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على العهود أو العدم ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [آية: ٩٧ - ١٠٠]:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ كالسرور وعدم الكدر لو معسرًا والسرور وعدم الحرص لو موسرًا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ﴾ المراد هم وأراد ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ اسأل الله رد وساوسه كما أمرك ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلا﴾ نهى عن الرُشا وأخذ الأموال على نقض العهد؛ أي لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا. وإنما كان قليلا وإن كثر لأنه مما يزول، فهو على التحقيق قليل، وهو المراد بقوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفي بالعهد وثبت على العقد. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٧٣).

يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ سلوكا على ما أمرهم ووسوس لهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ الهاء عائد لاسم الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٠١، ١٠٢]:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ لصالح ما ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ لوروده على مدار الحكم ﴿قَالُوا﴾ أهل الإلحاد ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ مدع ما لا أصل له ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ مدارك الكلام وحكم محو الأحكام.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ الطهر، والمراد: الملك الروح المطهر ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الإسلام، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الأولى سلموا لحكمه وأحكامه وإحكامه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٠٣]:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ هو أحد الروم على دعواهم أو سواه ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ ما ادعوه ومالوا له كلامه ﴿أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا﴾ أومأ إلى كلام الله المكرم ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ وهل أحد أولاد الروم صالح معلما لكلام كالكلام المسموع لكم حاوٍ لسائر العلوم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٠٤، ١٠٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ كرره مؤكدًا للرد.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾ [آية: ١٠٦ - ١١٠]:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الاسم الموصول مسموك المحل على أول الكلام، أو هو اسم كمهما والمحمول أو المكمل مطروح، وهو معامل على سوء عمله أو ما أدى مؤداه ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ﴾ أكرهه مكره على كلام الإلحاد ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ﴾ وسع ﴿صَدْرًا﴾ وصار مسرورا له ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى ما هددهم وأوعدهم ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ وصاروا كمعدوم الحواس كلها، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما أمامهم وما هو معد لهم على سوء أعمالهم.

﴿لا جَرَمَ﴾ أدى مؤدى والله ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمرور أعمارهم سدى ومآل أمرهم إلى الهلاك الدائم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ المراد: إلى محل لحد الرسول ردد الله له السلام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ أكرههم سواهم على كلام الإلحاد، ورواه راوٍ على وروده للمعلوم، والمراد: هم أكرهوا سواهم على ما حرر، ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على هول الكر والمعارك؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ومحمول العامل المؤكد دال على محمول العامل المؤكد الأول.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١١١]:

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو اذّكر ﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا هم لها سواها ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٢ - ١١٥]:

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا قَرْيَةً﴾ الحرم، والمراد: أهلها ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ أمر الكر والمعارك ﴿مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ مأكلها ومطعمها ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ﴾ آلاء ﴿اللهِ﴾ ولا أسلم أهلها لرسوله، ﴿فَأَذَاقَهَا﴾ أوردها وأراد إدراك المكروه ﴿اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ كما أورد الكساء وأراد ما هو عار كل أحد لدى حصول الروع مع عدم المأكل وعراهم المحل أعوامًا إلى السادس وواحد ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ المحل والروع ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: لما أخبر عنهم بأنهم أذيقوا لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وكان إنما ذكر مِن صُنعهم أنهم كفروا بأنعم الله، زيد هنا أن ما كانوا يصنعون عامّ لكل عمل لا يرضي الله غير مخصوص بكفرهم نعمةَ الله، وإن من أشنع ما كانوا يصنعون تكذيبهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع أنه منهم. وذلك أظهر في معنى الإنعام عليهم والرّفق بهم. وما من قرية أهلكت إلا وقد جاءها رسول من أهلها ﴿وما كان ربّك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ (سورة القصص: ٥٩). انظر التحرير والتنوير (٣٠٨/١٤).

﴿فكُلُوا﴾ الأمر لأهل الإسلام ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لا سواه.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما سرد لهم ما أَحَلَّهُ عدد لهم ما حرمه وأكده رادعًا عما هو سلوك على مسلك الأهواء لأمر الحلال والحرام وهو.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [آية: ١١٦، ١١٧]:

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لا أحلَّه الله ولا حرمه ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ لهم.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ هو مدد أعمارهم إلى ورود حمامهم، ﴿وَلَهُمْ﴾ لدى المعاد ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [آية: ١١٨، ١١٩]:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم الهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو ما مؤداه، وعلى الأولى هادوا حرم كل إلى كمالها، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لسلوكهم مسلكًا أدَّى إلى الأمر المحرر.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ المراد: الإلحاد أو ما هو أعم ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾ أسلموا وعادوا إلى مولاهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ الهاء عائد لما أم السوء أو لما محاه ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آية: ١٢٠ - ١٢٣]:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إمامًا، أو هو وارد مورد المدح على حد هو العالم كله ﴿قَانِتًا﴾ طائعًا﴿لِلهِ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الهدى﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما ادَّعوا.

﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك عدل.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كمدح سائر أهل الملل له وإعطائه صالح الأولاد مع طول العمر﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أهل المحل الأعلى.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى محمد ردد الله له السلام ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرره للرد على ما ادَّعَاه الهود وسواهم، وهو سلوكهم على مسلكه ردد الله له السلام.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آية: ١٢٤]:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ إكرامه وعدم عمله عملا لله﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على رسولهم وهم الهود، وسألوه موسى ردد الله له السلام﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آية: ١٢٥ - ١٢٨]:

﴿ادْعُ﴾ الأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم، والمدعو هم الأمم﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (١) للعوام والأولى للعلماء،

(١) قال ابن الجوزي: المراد بالحكمة ثلاثة أقوال: أحدها أنها القرآن رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني الفقه قاله الضحاك عن ابن عباس والثالث النبوة ذكره الزجاج وفي الموعظة الحسنة قولان أحدهما مواعظ القرآن قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني الأدب الجميل الذي يعرفونه =

﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ الهاء لأهل الإصرار ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كسرد الدلائل مع الكلام السهل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ومعاملهم على أعمالهم، والحكم المحرر حال عدم ورود أمر المعارك، ولما أهلك أهل الإلحاد عم رسول الله صلى الله على روحه وسلم، ورآه كلم الرسول الأولى حوله ما حاصله إهلاك عدد معلوم محله أوحى الله له.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ سرده أولا وصرح له أمرا لما أوحى.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لحرصك على إسلامهم ﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ هَمٍّ وَكَدَر ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إكرامًا وإعلاءً على أعدائهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ سلوكًا على ما أمرهم.

=

قاله الضحاك عن ابن عباس. انظر زاد المسير (٤/٥٠٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإسراء

مكية، إلا وَإِنْ كَادُوا [آية: ٧٣]،

الآيات الثماني، مائة وإحدى عشرة آية

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١﴾[1] [آية: ١]:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الحَرَم الحرام ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأقْصَى﴾ المُصلَّى المطهَّر على ما

---

(١) قال الرازي: إنما أسرى به من بيت خديجة. فالآية دالة إما على المسجد فقط، أو على الحرم كله، وعلى التقديرين فالمقصود حاصل، لأن الخلاف حاصل فيهما جميعاً، فإن قيل: المراد به الحج ولهذا قال: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ لأن الحج إنما يفعل في السنة مرة واحدة، قلنا: هذا ضعيف لوجوه. أحدها: إنه ترك للظاهر من غير موجب. الثاني: ثبت في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم، وهذا يقتضي أن المانع من قربهم من المسجد الحرام نجاستهم، وذلك يقتضي أنهم ما داموا مشركين كانوا ممنوعين عن المسجد الحرام. الثالث: أنه تعالى لو أراد الحج لذكر من البقاع ما يقع فيه معظم أركان الحج وهو عرفة. الرابع: الدليل على أن المراد دخول الحرم لا الحج فقط قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله مِن فَضْلِهِ﴾ (التوبة: ٢٨) فأراد به الدخول للتجارة. وثانيها: قوله تعالى: ﴿أُولَائِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ﴾ وهذا يقتضي أن يمنعوا من دخول المسجد، وأنهم متى دخلوا كانوا خائفين من الإخراج إلا ما قام عليه الدليل فإن قيل: هذه الآية مخصوصة بمن خرب بيت المقدس، أو بمن منع رسول الله صلى الله عليه وسلّم من العبادة في الكعبة، وأيضاً فقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ﴾ ليس المراد منه خوف الإخراج، بل خوف الجزية والإخراج، قلنا: الجواب عن الأول: أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ الله﴾ ظاهر في العموم، فتخصيصه ببعض الصور خلاف الظاهر.. انظر تفسير الرازي (١٠/٤).

حكاه الكلام المكرم كما صار له الإسراء إلى السماء على ما حكاه الرسول صلى الله على روحه وسلم، ورووه مصححًا، وصعد ومعه الروح سماءً سماءً إلى وصوله إلى الدار المعمور، وما وراءه ورأى ما رأى، وأوحى الله له ما أوحى، وعاد ردد الله له السلام إلى وطائه، ولما حكاه لأهل الإسلام الأولى حوله، سَلَّمَه مَلأ ورده رهط وعادوا إلى سوء مسلكهم، وسأله ملأ رسوم المصلى المطهر وسرد لهم رسومه مع علمهم لها أولا، وساوى ما حكاه لهم لما علموه، وسألوه رواحل لهم على المسالك، وأعلمهم أحوالها، وحدد لهم مددًا لورودها على أهلها، ولما رأوا الأمر كله كما حكاه وأعلمهم ادعوا السحر له وما أسلموا، وهل أمر الإسراء والصعود إلى السماء حصل حلما، أو لروحه ردد الله له السلام وحدها، أو لكله؛ وعدد العلماء على حصولهما لكله لا حلما ولا للروح وحدها، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ حسا كالمأكل والأمواه وسواه كورود الملائك وحلول الرسل ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ كمروره وعوده إلى وطائه والمساء واحد ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلام رسوله ﴿الْبَصِيرُ﴾ المُطلع على أعماله وأكرمه لما هو أهل الإكرام.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝﴾ [آية: ٢، ٣]:

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الكلام الموحى، ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلا تَتَّخِذُوا﴾ ورواه راوٍ على وروده للسامع ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلا﴾ إلهًا موكولا له أمركم.

﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مدعو على طرحها ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ حامد الله على سائر أحواله.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المراد: أوحى لهم ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ الموحى لموسى ردد الله له السلام ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هما عدم سلوكهم على أحكام الكلام

الموحَى لموسى وسواه وإهلاكهم لوالد الحصور ردد الله لهم السلام، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ كعدم مسراكم إلى العدل.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ عدم سلوكهم على أحكام الكلام الموحى لرسولهم ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ لدى المعارك، ﴿فَجَاسُوا﴾ راموكم ﴿خِلالَ الدِّيَارِ﴾ وسط محالكم لإهلاككم، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ لكسركم وطردكم لهم، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ملأ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [آية: ٧، ٨]:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ لعود صالح أعمالكم لكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ لورودكم على سوء موردها، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ سوى الأولى عادوا لكم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ المراد: لكمودها كدرًا، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ المُصَلَّى المطهَّر ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وهدموه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا﴾ ما عائد إلى الأولى كسروا ﴿تَتْبِيرًا﴾ إهلاكا، وحصل كله أو الأولى هو إهلاكهم لوالد الحصور وما وراءها هو إهلاكهم للحصور ولده ردد الله لهما السلام، وكلاهما حصل.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ المراد: لو عادوا إلى الله عما صدروا صلحوا عملهم، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى عدم الصلاح وسوء العمل﴿ عُدْنَا﴾ إلى الأمر الأول، وعادوا لما أرسل محمد صلى الله على روحه وسلم كردهم مُدَّعاه وإصرارهم على السوء والمكروه له، وعاد لهم الإهلاك وسواه مما حصل، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ حصرهم الله وسطها.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [آية:٩ - ١١]:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .

﴿وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ المعاد ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا، وهو دار الهلاك الدائم، ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على أهله وولده لدى كدره أو حصول أمرٍ له ﴿دُعَاءَهُ﴾ المراد: كدعائه لهم ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾ لإسراعه إلى الدعاء وعدم لَمْحِهِ مآل الأمور.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [آية: ١٢ - ١٥]:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ كلاهما دالٌّ على كَمَالِ حُكْمِ المولَى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ وطمسها سواد الدهماء لحصول كمال أمر المأوى للأمم، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مَسعَى إلى مصالحكم، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ للعوام وسواها، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾ .

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عَمَلِهِ ﴿فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ حَوَى أعماله كلها ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ والأمر له هو؛ ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ .

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا هداه وصالح عمله عائد لسواه، ولا عماه وطالح عمله مردٍ سواه، ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا أحد حامل سوء حمل أحد كل وارد موارد أعماله، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ مُعَلَّمًا ومُعَلِّمًا الأمم الأحكام وما أوحاه له مولاه.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا

تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [آية: ١٦، ١٧]:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ المراد: أهلها ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المراد: رؤساؤها كإرسال الرسل ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ مردوا على أوامر الرسل وما أطاعوا، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ المحدود لهلاكها ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ دَمَّرُوا هلك واحد.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا ومطلعًا على أعمالهم كلها وعكسه.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [آية: ١٨ - ٢٢]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ حال عَمَلِهِ ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ الدار الأولى وحُطامها ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ لا للكل، وهل كل أحد حاصل على مرامه وهواه، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ لدى المعاد ﴿جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا﴾ ملومًا ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودًا[1].

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عَمَلَ لها عملها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ لدى الله.

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ﴾ عامله كعامل (كلا) على وهم للعامل المكرر ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ كل حاصل على آلاء المولى مسلمًا أو ملحدًا.

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿من كان يريد العاجلة﴾ يعني من كان يريد بعمله الدنيا فعبر بالنعت عن الاسم عجلنا له فيها ما نشاء من عرض الدنيا وقيل من البسط والتقتير لمن نريد فيه قولان: أحدهما لمن نريد هلكته قاله ابو اسحاق الفزاري والثاني لمن نريد أن نعجل له شيئا وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا وبيان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قدر له ثم يدخل النار في الآخرة وقال ابن جرير هذه الآية لمن لا يوقن بالمعاد. انظر زاد المسير (٥/٢٠).

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مآلا وسؤددًا، ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا﴾ وأمرها أهم والعمل للأهم أَوْلَى.

﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الكلام والردع ورد للرسول صلى الله على روحه وسلم وهو الرأس، والمراد: المرؤوس والإمام، والمراد: المأموم ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا﴾.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [آية: ٢٣، ٢٤]:

﴿وَقَضَى﴾ أَمَرَ ﴿رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مصدر عامله أمره المطروح ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ ورواه راوٍ مع المد أمام المؤكد ﴿عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ ورواه راوٍ مع الكسر وحده، ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ رادعًا لهما عمَّا أراداه أو عملا، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾ سهلا حلوًا.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ راحمًا لحالهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ
كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ
وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ
أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا
مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا
عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٢٥ - ٤٠]:

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ سرد كالمهدد لكل مصر على المكروه لهما ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ لكل عائد وراع له ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر وكدر والده أو أمه مع عدم الإصرار.

﴿وَآتِ﴾ اعط ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ المحارم أو الأرحام، وحمله على هؤلاء أَوْلَى ﴿حَقَّهُ﴾ كإطعامه وإكرامه ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ كإعطاء الأموال سوى أهلها ومحالها.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ لسلوكهم على مسلكهم أو على ما وسوسوا لهم، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ وحكم السالك على مسلكه وأمره كحكمه.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ المحرر أسماؤهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ المراد: ولو عدم إعطائك وإكرامك لهم صادر لأمل حصولك على مآل ومما هو حاصل معط لهم، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا﴾ سهلا كالوعد إلى الحصول.

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾(١) كالإمساك كل الإمساك ﴿وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ سبب نزولها أن غلاما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أمي تسألك كذا وكذا قال ما عندنا اليوم شيء قال =

﴿الْبَسْطِ﴾ كإعطائك كل أحد محل الإعطاء أولا ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ عائد للأول ﴿مَحْسُورًا﴾ سادمًا أو محسومًا لا مال لك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ما هو موسع ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالم ومطلع على سرائر الأمم وكلا الإعطاء وعدمه مؤسس على المصالح والحكم.

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾ وأدًا ﴿خَشْيَةَ﴾ روع ﴿إِمْلاقٍ﴾ عدم ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾.

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾ ساء مسلكًا هو، ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ كولده أو والده، أو كل أحد عاد مآل الهالك له ﴿سُلْطَانًا﴾ على مهلكه ﴿فَلا يُسْرِفْ﴾ المراد: عدم عدوه الحدود ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ كإهلاكه سوى المهلك ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ لورود أمر الله أعمالا للحدود.

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ ما عاهدوه أو عوهدوه ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾.

﴿وَأَوْفُوا﴾ أكملوا ﴿الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ هو كل ما أعد لعلم عدد الدراهم والأرطال ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ العدل ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ مآلا لكم.

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ الروع ﴿كُلُّ أُولَئِكَ

=

فتقول لك اكسني قميصك قال فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت حاسرا فنزلت هذه الاية قاله ابن مسعود وروى جابر بن عبد الله نحو هذا فزاد فيه فأذن بلال للصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فرأوه عريانا فنزلت هذه الاية والمعنى لا تمسك يدك عن البذل كل الامساك حتى كأنها مقبوضة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط في الاعطاء والنفقة فتقعد ملوما تلوم نفسك ويلومك الناس محسورا قال ابن قتيبة تحسرك العطية وتقطعك كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا به قال الزجاج المحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء فالمعنى فتقعد وقد بلغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صرت بمنزلة من قد حسر قال القاضي ابو يعلى وهذا الخطاب اريد به غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون فلم ينههم الله لصحة يقينهم وانما نهى من خيف عليه التحسر على ما خرج من يده فأما من وثق بوعد الله تعالى فهو غير مراد بالاية. انظر زاد المسير (٥/٢٩).

كَانَ﴾ المرء ﴿عَنْهُ مَسْئُولا﴾.

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ أصله كمال السرور ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ ولا صادعًا لها صدعًا لوطئكها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا﴾.

﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الأحكام المار سردها ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ الكلام إلى الرسول محمد ردد الله له أكمل السلام، ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ردع للرأس والإمام، والمرد: المرؤوس والمأموم ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ مطرودًا.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ السؤال لأهل الحرم الحرام ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا﴾ على دعواكم لا ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [آية:٤١، ٤٤]:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ المراد: سرد الحكم المسطور مكررًا ﴿فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا نُفُورًا﴾ عما هو مسلك العدل.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ مع الله ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا﴾ راموا ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ وهو الله ﴿سَبِيلا﴾ مسلكًا للكر كعمل الملوك مع الملوك؛ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ له ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ لإمهاله لكم على إلحادكم ﴿غَفُورًا﴾ لكلّ عائدٍ له.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ

وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [آية: ٤٥ - ٤٨]:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ رادًا عما أرادوه، وهو إعدامك أو حصول مكروه لك.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أكلا لا ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الهاء عائد لكلام الله المكرم، والمراد: لعدم إدراكهم مؤداه، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ لعدم سماعهم له، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ مع عدم سردك لا إله لهم، ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ حال سماعك لك وما سمعوه ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ كل محاورٍ لأمره ﴿إِذْ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر مما مر ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ لما حاوروا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا﴾ سحر وعدم حلمه وإدراكه.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ كالساحر والمسحور والملموم وسواها ﴿فَضَلُّوا﴾ عما هو هدى ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ مسلكًا إلى الهدى، أو إلى عوراء الرسول صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [٤٩ - ٥٢]:

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ حطامًا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا﴾ مصدر أو حال ﴿جَدِيدًا﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾(١) مما لا صلوح له للروح لا معدل لعدم

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: أنه تعالى لما قدر على تخليق ما هو أعظم من أبدان الناس فكيف يقال: =

عودكم وحلول أرواحكم محالها الأول ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وأصلكم العدم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ محركًا كل رأسه، وحاكما على محال كلامك، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أمر المعاد ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ سراعًا إلى الدعاء ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أمره أو كل حامدًا له على الحال ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا﴾ لهول ما هو داهمكم.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥٣، ٥٤]:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ أهل الإسلام ﴿يَقُولُوا﴾ لأهل الإلحاد ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ﴾ موسوسًا ومحركًا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ المراء وعدم الصلاح ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ولما أمر الله أهل الإسلام سلوكًا مع أهل الإلحاد على مسالك الكلام السهل علمهم ما هو وهو.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ المراد: لو أسلموا وعادوا إلى مولاهم ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ لو داموا على سوء مسالكهم إلى ورود حمامهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾ موكولا أمرهم ومكرهًا لهم على الإسلام، والحكم المحرر ورد حال أمر الكر وأعمال الصوارم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ

=

إنه لا يقدر على إعادتها ؟ فإن من كان الفعل الأصعب عليه سهلا، فلأن يكون الفعل السهل الحقير عليه سهلا كان أولى وهذا المعنى مذكور في آيات كثيرة: منها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْض بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ (يس: ٨١) وثانيها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحيي الْمَوْتَى﴾ (الأحقاف: ٣٣) وثالثها: ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧). انظر تفسير الرازي (٢٠٦/١٧).

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [آية: ٥٥، ٥٧]:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عالم أحوال الأمم كلهم ومحل الإرسال وأهله، وهو رد لردهم دعوى محمد ردد الله له السلام الإرسال لعدم صلوحه له ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ هو إدراك كل واحد إكرامًا ما أدركه سواه كالكلام لموسى، وملك ولد داود، وإسراء محمد ردد الله لهم أكمل السلام ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ المراد الأولى سموهم إلها ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالملائك والروح وسواهم ﴿فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا﴾ له إلى محل سواكم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلها ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ كلهم رائم المسلك الموصل إلى الله ﴿أَيُّهُمْ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر للواو، والمراد: رام مسالك الوصول إلى الله الأولى هم ﴿أَقْرَبُ﴾ إلى الله، وروم سواهم لها أولى، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ومروعًا كل أحد ولو ملكًا أو رسولا.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [آية: ٥٨]:

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ لحلول الأعمار وورود الحمام ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ إهلاكًا وأسرًا ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح ﴿مَسْطُورًا﴾ محررًا.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [آية: ٥٩]:

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ ما سأله أهل الحرم الرسول ردد الله له السلام كالعصا وورود الملائك معه ﴿إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ وأهلكوا، ولو حصل إرسالها إلى هؤلاء لردوها وما أسلموا وأدى الحال إلى إهلاكهم مع صدور حكم الإمهال

لكمال أمر محمد ردد الله له السلام، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ لما سألوها رسولهم صالحًا ﴿مُبْصِرَةً﴾ ساطعًا أمرها ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ وأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿إِلا تَخْوِيفًا﴾ للأمم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [آية: ٦٠]:

﴿وَإِذْ﴾ عامله مطروح أورد أو ادكر ﴿قُلْنَا لَكَ﴾ المراد: ما أوحاه له، وهو ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علمًا ومرادًا، كل أمر أراده حاصل لا مرد له ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ المراد: الإسراء ﴿إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل الحرم لما سمعوها وعاد رهط إلى الإلحاد، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ الطرد لطاعمها حاصل ﴿فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [آية: ٦١ - ٦٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لأورد مطرحًا ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ اركعوا ﴿لآدَمَ﴾ ركوع سلام وإكرام، ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ معمول على طرح عامل الكسر.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ﴾[1] اللام لام مؤل ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ

---

(١) رأى هنا علمية فتتعدى إلى مفعولين، أولهما ﴿هذا﴾ والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه، والكاف حرف خطاب مؤكد لمعنى التاء قبله، والاسم الموصول ﴿الذي﴾ بدل من ﴿هذا﴾ أو صفة له، والمراد من التكريم في قوله ﴿كرمت علي﴾: التفضيل. والمعنى: قال إبليس في الرد على =

الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ﴾ اصطلامًا ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ موسوسًا لهم وموصلهم إلى أسوء المسالك وَأَرْدَى المهالك ﴿إلا قَلِيلا﴾ هم الأول عصمهم الله.

﴿قَالَ﴾ الله له ﴿اذْهَبْ﴾ ممهلا كسؤلك ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً﴾ مصدر ﴿مَوْفُورًا﴾ مكملا.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ دعائك ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ كل ملائك ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ﴾ حمله لهم على حصول المال الحرام ﴿وَالأَوْلادِ﴾ لكل عاهر ﴿وَعِدْهُمْ﴾ موسوسًا لهم، وحاملهم على الإصرار على عدم حصول المعاد، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا﴾ ما لا أصل له.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أهل الإسلام ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾ موكولا له أمورهم وهو كالئهم وعاصمهم.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [آية: ٦٥ - ٦٩]:

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ مصالحكم وأوطاركم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ روع الهلاك وسط الماء ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ كل مدعو لكم سواه ﴿إلا إِيَّاهُ﴾ وحده، ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ مما روعكم وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.

=

خالقه - عز وجل - : أخبرني عن هذا الإنسان المخلوق من الطين، والذي فضلته علي، لماذا فضلته علي وأمرتني بالسجود له مع أنني أفضل منه، لأنه مخلوق من طين، وأنا مخلوق من نار!! انظر التفسير الوسيط (٦٤/٥).

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ كما أهلك مالك الأموال المعلوم ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ما رَمَى الحصا كما حصل لملأ لوط، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلا﴾ كالئًا مما أراد وحل.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ الهاء عائد إلى الطم ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ مرورها كأسر لمصادمها ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ مداع رائم لدمكم.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [آية: ٧٠ - ٧٢]:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ صورًا وعلمًا وكلامًا وسواها ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الرواحل وسواها ﴿وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ ولاء وملكًا وسؤددًا وإكرامًا، والاسم الموصول إما وارد مورد ما، وإما وارد على أصل مورده وعم الملك عموم الإعداد العام لا عموم الآحاد.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لمطروح هو ادَّكر ﴿نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ رسولهم أو طرس أعمالهم ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم السعداء ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ عملا ما.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدار ﴿أَعْمَى﴾ عمَّا هو هدى ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ما هو مهدى إلى المسلك الموصل إلى السلام ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ ولما سأل ملأ رسول الله صلى الله على روحه وسلم إحرام وأدلهم كالحرام الحرام أوحى الله لرسوله.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [آية: ٧٣ - ٧٧]:

﴿وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء ﴿كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا﴾ لو حصل مسؤلهم ومرادهم ﴿لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾ لإلحاحهم ﴿إِذًا﴾ لو صدر الأمر المسطور ﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ ما هو معد لسواك مما هو ألم ﴿الْحَيَاةِ وَضِعْفَ﴾ ما هو لسواك لو عمله مما هو ألم ﴿الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ عاصمًا مما حرَّر.

﴿وَإِنْ﴾ أصله المؤكد واسمه الهاء مطروحًا ﴿كَادُوا﴾ الواو للهود ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ محل لحده المكرم ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ حصل ما أرادوا ﴿لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا﴾ لهلاكهم.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ لما طردوا رسلهم ﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٢]:

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ﴾ حول ﴿الشَّمْسِ﴾ عما هو وسط السماء ﴿إِلَى﴾ ورود ﴿غَسَقِ﴾ سواد ﴿اللَّيْلِ﴾ والمراد: صَلِّ العصر وما أمه العصر، وصل ركوع أول المساء وما أمه ﴿وَقُرْءَانَ﴾ وصل ركوع ﴿الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ لملائك المساء وعكسه.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ صلِّ ﴿بِهِ﴾ الهاء للكلام المكرم ﴿نَافِلَةً﴾ مؤكدًا أمرها ﴿لَكَ﴾ وحدك ولأهل الإسلام سواك عمل طوع لا أمر مؤكد ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ حامدك على حصوله لك أهل السماء وسواهم، وهو على ما صحح سؤاله مولاه أرحم الرحماء سماحًا لأهل لا إله إلا الله.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾[1] اللحد أو المراد ما حوى اللحد المكرم ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾

---

(١) قال الرازي: قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: أنا ذكرنا في تفسير قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الارْضِ﴾ (الإسراء: ٧٦) قولين: أحدهما: المراد منه سعي كفار مكة في إخراجه منها. والثاني: المراد منه أن اليهود قالوا له الأولى لك أن تخرج من المدينة إلى الشام ثم إنه تعالى قال له: ﴿أَقِمِ الصَّلَواةَ﴾ واشتغل بعبادة الله تعالى ولا تلتفت إلى هؤلاء الجهال فإنه تعالى ناصرك ومعينك ثم عاد بعد هذا الكلام إلى شرح تلك الواقعة فإن فسرنا تلك الآية أن المراد منها أن كفار مكة أرادوا إخراجه من مكة كان معنى هذه الآية أنه تعالى أمره بالهجرة إلى المدينة وقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ - وهو المدينة - ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ - وهو مكة. وهذا قول الحسن وقتادة وإن فسرنا تلك الآية بأن المراد منها أن اليهود / حملوه على الخروج من المدينة والذهاب إلى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم منها ثم أمره الله بأن يرجع إليها كان المراد أنه عليه الصلاة والسلام عند العود إلى المدينة قال: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وهو المدينة - ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يعني أخرجني منها إلى مكة مخرج صدق أي افتحها لي. والقول الثاني: في تفسير هذه الآية وهو أكمل مما سبق أن المراد ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ - في الصلاة - ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ منها مع الصدق والإخلاص وحضور ذكرك والقيام بلوازم شكرك. والقول الثالث: وهو أكمل مما سبق أن المراد: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ منها بعد الفراغ منها إخراجاً لا يبقى علي منها تبعة ربقية. والقول الرابع: وهو أعلى مما سبق: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ في بحار دلائل توحيدك وتنزيهك وقدسك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل إلى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث المحدثات إلى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد المنزه عن التكثيرات والتغيرات. والقول الخامس: أدخلني في كل ما تدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك وأخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه أن يكون صدق العبودية حاصلا في كل دخول وخروج وحركة وسكون. والقول السادس: أدخلني القبر مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق. البحث الثاني: مدخل بضم الميم مصدر كالإدخال يقال أدخلته مدخلا كما قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلا مُّبَارَكًا﴾ (المؤمنون: ٢٩) ومعنى إضافة المدخل والمخرج إلى الصدق مدحهما كأنه سأل الله تعالى إدخالا حسناً وإخراجاً حسناً لا يرى فيهما ما يكره ثم قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠) أي حجة بينة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني. وبالجملة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية على من خالفه بالحجة وبالقهر والقدرة، وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه بأنه يعصمه من الناس فقال: ﴿وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) وقال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢) =

لا أرى ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ إلى المعاد على الأول، أو مما هو الحرم الحرام ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مكرمًا على المحمل الأول أو سالمًا على سواه، ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ على الأعداء.

﴿وَقُلْ﴾ لدى حلولك الحرم الحرام ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ الإلحاد ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مارًا لا دوام له.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ما هو لصلاح الحال والمعاد كالدواء لأهل العلل والهلكى، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿إِلا خَسَارًا﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [آية: ٨٣، ٨٤]:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ﴾ وصار مصحًا موسعًا ﴿أَعْرَضَ﴾ عما هو مسلك أحمد لمولاه، ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ لواه، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الداء والعدم ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ كل أحد سالك على مسالك ما حكاه حاله إما الهدى وإما عكسه، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾ مسلكًا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [آية: ٨٥ - ٨٧]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ الواو للهود ﴿عَنِ﴾ حد ﴿الرُّوحِ﴾ ملاك ولد آدم وسواه ﴿قُلِ﴾ لهم

=

وقال: ﴿لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾ (التوبة: ٣٣) ولما سأل الله النصرة بين الله له أنه أجاب دعاءه فقال: ﴿وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ﴾ وهو دينه وشرعه - ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ وهو كل ما سواه من الأديان والشرائع، وزهق بطل واضمحل، وأصله من زهقت نفسه تزهق أي هلكت، وعن ابن مسعود: "أنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب على وجهه". وقوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها لا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه والله أعلم. انظر تفسير الرازي (٣٨٨/٢١).

﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ علم الله وحده لا وصول للحس إلى إدراكها، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وهو الكلام المكرم كالطمس لمحاله طروسًا أو صدورًا ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلا﴾ لعوده ورده لك مسطورًا.

﴿إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ لعل حصولها راده لك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [آية: ٨٨، ٨٩]:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ رداء، ولعل عدم سرد الملائك لعدم ورودهم مع أهل المراء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ للهدى.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [٩٠ - ٩٣]:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ماء.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا﴾ كلهم مرى لكل راء، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أحمر المال، ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ صعودًا، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحده ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ معلما ودالا على إرسالك

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إلا بَشَرًا﴾ كسائر ولد آدم ﴿رَسُولا﴾ كسائر الرسل، وأمر الدلائل عائد لله على ما هو ملائم حال الأمم لا للرسل.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٩٤ - ٩٦]:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولا﴾ إلى الأمم وما أرسل ملكا.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ كَانَ فِي الأرْضِ﴾ محل ولد آدم ﴿مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا﴾ والمراد: أمر الرسول مراعى معه حال المرسل لهم إلى الملائك ملك والى ولد آدم، وما ساواهم ولد آدم ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أمر الإرسال ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا ومُطلعًا أسرارهم وأحوالهم كلها.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [آية: ٩٧، ١٠٠]:

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾[١] كلما ساروا ساروا ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ كلها أحوال ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ هدأ سعرها لأكل لحومهم وإدمهم ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ رد الأمر المعاد ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ حطامًا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ مع حالهما ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلا﴾ لورود حمامهم وحلول أعمارهم أو لمعادهم ﴿لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلا كُفُورًا﴾ وردا له.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ وسائر آلائه ﴿إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ممسكًا حد الإمساك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [آية: ١٠١ - ١٠٤]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ العصا وممسكها وعلو الماء على دورهم وما سلطه الله لكل كلائهم ومحصودهم والسوس المسلط على ممارهم، وما ورد على

---

(١) قوله - سبحانه - : ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المهتد وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ﴾ كلام مستأنف منه - تعالى - لبيان نفاذ قدرته ومشيئته. أي: ومن يهده الله - تعالى - إلى طريق الحق، فهو الفائز بالسعادة، المهدى إلى كل مطلوب حسن، ﴿ومن يضلل﴾ أي: ومن يرد الله - تعالى - إضلاله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿أولياء﴾ أي: نصراء ينصرونهم ويهدونهم إلى طريق الحق ﴿من دونه﴾ عز وجل، إذ أن الله - تعالى - وحده هو الخالق للهداية والضلالة، على حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته. وجاء قوله - تعالى - ﴿فهو المهتد﴾ بصيغة الإفراد حملا على لفظ ﴿من﴾ في قوله ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ﴾ وجاء قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ بصيغة الجمع حملا على معناها في قوله: ﴿ومن يضلل﴾. قالوا: ووجه المناسبة في ذلك - والله أعلم - أنه لما كان الهدى شيئًا واحدًا غير متشعب السبل، ناسبه الإفراد، ولما كان الضلال له طرق متشعبة، كما في قوله - تعالى - : ﴿وَلا تَتَّبِعُواْ السبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ناسبه الجمع. انظر التفسير الميسر (٨٦/٥).

مأكلهم ودورهم وملأها والدم والطمس والمحل أو الطور وصدع الطم لمرورهم وسطه، وهطل الماء لما أمر الله موسى وصدع ما هو كالمرمر، وهؤلاء محل علو الماء على دورهم والطمس والمحل، ﴿فَاسْأَلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله له أكمل السلام، والمراد: اسأل ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عما حصل لموسى مع عدوه، ورواه راوٍ (سال) على عوده إلى موسى ردد الله له السلام ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ معدوم الحلم والإدراك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ﴾ الدلائل ﴿إِلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ حال دوال على الإرسال، ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكًا.

﴿فَأَرَادَ﴾ عدو موسى ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ طاردًا موسى وملأه ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ حلول دور الدهور والإعصار ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ السعداء وعكسهم معًا.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩﴾ [آية: ١٠٥ - ١٠٩]:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الهاء للكلام المكرم، والمراد: مكلوءا مع الأملاك ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ على رسول الله صلى الله على روحه وسلم، ولعل الورود الأول إلى السماء الأولى كما هو وارد مصححًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا﴾ أهل الإسلام ﴿وَنَذِيرًا﴾ أهل الإلحاد.

﴿وَقُرْءَانًا﴾ معمول لعامل داله هو ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ ما ورد لك ورود أو أحدا كله معا ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ مهلٍ لما هو أسهل للإدراك، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾ على مدار المصالح.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ هم مسلموا الأمم ﴿إِذَا

يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ اللحى ﴿سُجَّدًا﴾ حمدا لحصولهم على الوعد.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحًا ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا﴾ .

﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ اللحى ﴿يَبْكُونَ﴾ لما عراهم لدى سماعهم له، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع كلام الله ﴿خُشُوعًا﴾ ولما دعا رسول الله ردد الله له السلام وسأل طورا الله، وطورا الراحم، وأسرع وهم أهل الإلحاد إلى ورود الراحم لسوى الله ولوموا على دعائه مع الله سواه أوحى الله لرسوله.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [١١٠، ١١١]:

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وكلها أسماء لمُسمًّى واحد، وهو الله علا اسمه وسما حمده، ومما ورد أسماء الله على المسلك والمصطلح المعلوم: الله لا إله إلا هو، الملك، السلام، المصور، الحكم، العدل، الواسع، الودود، الواحد، الأحد، الصمد، الأول، مالك الملك.

﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ الردع لعدم إسماع أهل الإلحاد كلام الله الحامل لهم على عدو حدودهم، والكلام السوء إلى الرسول وسواه ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ إسرارًا إلى حد عدم سماع الأولى وراءك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ مسلكًا وسطًا.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (١) المراد: ما معه

---

(١) هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذا: عزير وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه تعالى الله عن أقوالهم ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ لأنه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ قال مجاهد: المعنى لم يحالف أحدا ولا ابتغى نصر أحد أي لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعا وقال الكلبي: لم يكن له ولي من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس ردا لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الحسن بن الفضل: ولم يكن له ولي من الذل يعني لم يذل فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه ﴿وكبره تكبيرا﴾ أي عظمه عظمه تامة ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٤٥).

إله، لا إله إلا هو ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ أحد موالٍ له ﴿مِنَ الذُّلِّ﴾ وسرد الحمد مؤسسًا على ما عدده دال على مورده له لا لسواه، وهو أهل الكمال والمحامد كلها ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ والأمر المؤكد دل على عدم وصول حمد كل حامد إلى حد ما هو أهله.

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق ٣
مكانة القرآن العظيمة ٤
معنى القرآن ٥
فضل تلاوة القرآن ٦
تفسير القرآن ١٠
ترجمة المؤلف ١٢
منهج العمل في الكتاب ١٣
سورة فاتحة الكتاب ١٧
سورة البقرة ١٩
سورة آل عمران ١٣٣
سورة النساء ١٩٧
سورة المائدة ٢٥٤
سورة الأنعام ٢٩٩
سورة الأعراف ٣٤٣
سورة الأنفال ٣٨٩
سورة براءة ٤٠٦
سورة يونس ٤٤٣
سورة هود ٤٦٨
سورة يوسف ٤٩٥
سورة الرعد ٥١٨
سورة إبراهيم ٥٣١
سورة الحجر ٥٤٣
سورة النحل ٥٥٤
سورة الإسراء ٥٨٠
فهرس المحتويات ٦٠٥

DURR AL-ᵓASRĀR FĪ TAFSĪR AL-QURᵓĀN BIL-ḤURŪF AL-MUHMALAH

by

Al-mufti Maḥmūd ben Muḥammad Nasīb
Al-Ḥusayni al-Ḥamzāwi

Edited by

Usāmah ᶜAbdul-ᶜAẓīm

Volume I

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

درر الأسرار
في تفسير القرآن بالحروف المهملة

تأليف

مفتي الديار الشامية
محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة
الحسيني الحمزاوي الحنفي
المتوفى ١٣٠٥هـ

اعتنى به ووضع حواشيه
أسامة عبد العظيم

الجزء الثاني

سورة الكهف - سورة الناس

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : DURR AL-ᵓASRĀR
FĪ TAFSĪR AL-QURᵓĀN
BIL-ḤURŪF AL-MUHMALAH

Classification: Exegesis of the Qur'an
Author : Al-mufti Maḥmūd ben Muḥammad Nasīb Al-Ḥusayni al-Ḥamzāwi
Editor : Usāmah ᶜAbdul-ᶜAẓīm
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 1248 (2 volumes)
Size : 17* 24
Year : 2011
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : در الأسرار
في تفسير القرآن
بالحروف المهملة
التصنيف : تفسير قرآن
المؤلف : محمود بن محمد نسيب الحمزاوي
المحقق : أسامة عبد العظيم
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 1248 (جزءان)
قياس الصفحات : 24 *17
سنة الطباعة : 2011
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى (لونان)

DKi
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6939-6
ISBN 2-7451-6939-4

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكهف

مكية، وآيها مائة وعشر آيات

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾(1) [آية: ١، ٦]:

﴿الْحَمْدُ﴾ هو سردِ المحامد المردود ورودها إلى عمل الطوع ﴿لِلهِ﴾ وهل المراد

(١) قال القرطبي: افتتح السورة تبارك وتعالى بحمده، وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم لما أنكروا عليه من ذلك فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يعني محمدا، إنك رسول مني، أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً﴾ أي معتدلا لا اختلاف فيه. ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾ أي عاجل عقوبته في الدنيا، وعذابا أليما في الآخرة، أي من عند ربك الذي بعثك رسولا. ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ أي دار الخلد لا يموتون فيها، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً﴾ [الكهف: ٤] يعني قريشا في قولهم: إنا نعبد الملائكة وهي بنات الله. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] أي لقولهم إن الملائكة بنات الله. ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِباً. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ [الكهف: ٦] لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوه منهم، أي لا تفعل. قال ابن هشام: ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ مهلك نفسك. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٤٨).

إعلام أهل الإسلام للإسلام له، أو لسلوك الأمم وحمدهم كما حمد أو كلاهما وهو الأولى ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ كعدم سلوك كلامه على مسلك مؤداه المراد.

﴿قَيِّمًا﴾ حال مؤكد للحال الأول ﴿لِيُنْذِرَ﴾ الكلام المكرم أهل الإلحاد ﴿بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ الهاء لاسم الله، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَيُنْذِرَ﴾ مما عمَّ الحكم الأول ملاءهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ لهول مدعاهم.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ﴾ الأولى أموهم وسلكوا على مسالكهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ دعواهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ مُهلِك ﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ لما ولّوا ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الكلام المكرم ﴿أَسَفًا﴾ معمول له، والمراد: لحرصك على إسلامهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [آية: ٧، ٨]:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ﴾ مما له روح وسواه ﴿زِينَةً لَهَا﴾ ولأهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾ كأهل الحرص والأطماع وعكسهم.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أملس لا كلاء ولا محصود.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى
ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠
فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ
ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن
رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن
كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ
مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾
وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ
ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾
وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ
بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى
ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ
أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا
أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ
فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ
ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ
كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ
كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا
تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ
لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا
يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ٩ - ٢٦]:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ هو المحل الواسع وسط كل علم ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المسطور وسطه أسماؤهم ووالدهم وما حصل لهم ﴿كَانُوا﴾ وحدهم ﴿مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ عدا سائر الدلائل لا.

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ لما أراد ملكهم إكراههم على الإلحاد ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هدى.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ كلا راد سماعهم لكل كلام، والمراد: حلول كراهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ أعوامًا ﴿عَدَدًا﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ مما حصل لهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم سطوع ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ عدًا واسم كأعلم وأكرم ﴿لِمَا﴾ حال أمدا ﴿لَبِثُوا أَمَدًا﴾ معمول ﴿أَحْصَى﴾.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ المؤسس على العلم لا على الأوهام ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ على وطاء ملكهم وأمرهم ركوعًا إلى ما هو كود وسواع، ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ وراء الحد.

﴿هَؤُلاءِ﴾ أول كلام ﴿قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على ركوعهم لهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ دال ساطع ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ المراد: لا أحد.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ هو كلام أحد الرهط المسرود أمرهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ (ما) اسم موصول رده الواو على الهاء وهو لما هو كود وسواع ﴿إِلا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ مكسور الأول، ورواه راوٍ مكسور الوسط عكس الأول، والمراد: المأكل.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾[1] رواه راوٍ كصالح، وراوٍ كإدارك، والمراد:

---

(١) قال الرازي: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: قرأ ابن عامر تَزْوَرُّ ساكنة الزاي المعجمة مشددة الراء مثل تحمر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي تزاور بالألف والتخفيف والباقون تزاور بالتشديد والألف والكل بمعنى واحد، والتزاور هو الميل والانحراف، ومنه زاره إذا مال إليه =

حولها ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ حسما ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ والمراد: عدم وصولها لهم أصلا، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ موسع ﴿مِنْهُ﴾ لموارد روح الهواء ﴿ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ دلائل ساطع حكمه ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ السالك مسالك الوصول ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لعدم أكل مماسهم لحومهم مع طول المدد ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ معمول لما أمامه لما حكى الحال ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ ممر محلهم ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ ورواه راوٍ مكرر لام وسطه ﴿رُعْبًا﴾ روعًا مالئًا صدرك، ورواه راوٍ محرك الوسط كالراء.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ رواه راوٍ مكسور الراء، وراوٍ كعدل، والمراد: دراهمكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ طرسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى﴾ أحل ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ إلى حد الهلاك ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ المراد: أطلع الله ملأهم، وأهل الإسلام على أحوالهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ لعلم كل مطلع على أمرهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ هو أمر المعاد، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ﴾ معمول لما أدّى مؤدّى أطلع ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ أهل الإسلام وعكسهم ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر العمار حولهم، أو أمر ورودهم موارد الحمام، أو هاء عائد إلى مسلك ملأهم لما ادعى رهط حصول المعاد ورده سواهم ﴿فَقَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى

=

والزور الميل عن الصدق، وأما التشديد فأصله تتزاور سكنت التاء الثانية وأدغمت في الزاي، وأما التخفيف فهو تفاعل من الزور وأما تزور فهو من الإزورار. البحث الثاني: قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ أي أنت أيها المخاطب ترى الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم وليس المراد أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو، ومعناه أنك لو رأيته على هذه الصورة. البحث الثالث: قوله: ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي جهة اليمين وأصله أن ذات صفة أقيمت مقام الموصوف لأنها تأنيث ذو في قولهم رجل ذو مال، وامرأة ذات مال، والتقدير كأنه قيل تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين. انظر تفسير الرازي (٢١/٤٤٤).

أَمْرِهِمْ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ المراد: رائمو الإطلاع على أمرهم وعددهم كم هم على عهد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ادعى رهط هم ﴿ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ رهط ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وكلاهما رمى ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ لا دال له ولا مطلع لهم على ما حكوه وادعوه.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الواو لأهل الإسلام ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولما حكاه الله، وما اوماً إلى رده كالأول دل على ادعاء مصحح ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ على حكم ما أطلعه مولاه وحكاه له، ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ الهاء للرهط الكرام المسرود أمرهم ﴿مِنْهُمْ﴾ الهاء للهود ﴿أَحَدًا﴾.

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ لما سأل أهل الحرم الرسول ردد الله له السلام إطلاعهم على أمر هؤلاء الرهط الكرام ووعدهم إعلامه لهم ﴿غَدًا﴾ وما سرد لهم ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ أوحاه مولاه له، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ المراد: الحكم المحرر، وهو ما صدره (إلا)، وهل المراد سرده موصولا أو ما دام المحل واحدا، وروى راوٍ: (ولو) إلى عام، وعدد العلماء الأعلام على سواه، ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ أوماً إلى أمر الرهط الكرام ﴿رَشَدًا﴾ هدى إلى ما هو أدل على أمر الإرسال وسأل الله وأعطاه مولاه ما هو أدل وأسطع على أمر إرساله.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ على مصطلح أعداد الروم وسواهم ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ على مسلك أعداد أهل الإسلام ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ﴾ علم ﴿السَّمَوَاتِ﴾ علم ﴿وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ﴾ الهاء لاسم الله ﴿وَأَسْمِعْ﴾ والمراد: ما أسمعه وأراه لما لا وصول لحس العالم إلى إدراكه ﴿مَا لَهُمْ﴾ الهاء لأهل السماء وما أمها ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُلْتَحَدًا﴾ موئلا.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ لا لأمر أو علل سواه وهم معدمو أهل الإسلام، ﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ المراد: عدم طموحهما إلى حلى أهل الأموال، ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ هو الكلام المكرم، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ إلحادًا وسالك طرد أهل العدم، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ لطرحه الهدى وراءه.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [آية: ٢٩]:

﴿وَقُلِ﴾ له ولرهطه كلام الله هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سرد مهدد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ما حولها حائط أو سواه ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ عكر الدسم ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ لحره ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هو، ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ هو على إحدى الوسائد وسرده، وراعى ما أعد لأهل دار السرور الدائم وإلا لا وسائد لهم على ما حرره العلماء الأعلام، ولعل وسائدهم مما هو آلام لهم ولم أره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ﴾ اسم موصول حال محل هم ﴿أَحْسَنَ عَمَلا﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام سرمد ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ المراد: صروحهم ﴿الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ عدد السوار ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الحلل السماك والأول عكسها ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السرر ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ على الوسائد كما مر.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا
خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا
وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا
﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ
لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ
رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ
مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ
خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ
مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ
أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن
لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ
ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٣٢ - ٤٤]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ لأهل الإلحاد مع أهل الإسلام ﴿مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحَدِهِمَا﴾ وهو الملحد ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ محصودا كالحمص والحمراء.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾(١) أول كلام محموله ﴿آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾ الهاء للأكل

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ أي كل واحدة من الجنتين، واختلف في لفظ "كلتا وكلا" هل هو مفرد أو مثنى؛ فقال أهل البصرة: هو مفرد؛ لأن كلا وكلتا في توكيد الاثنين نظير "كل" في المجموع، وهو اسم مفرد غير مثنى؛ فإذا ولي اسما ظاهرا كان في الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة، تقول: رأيت كلا الرجلين وجاءني كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين؛ فإذا اتصل بمضمر قلبت الألف ياء في موضع الجر والنصب، تقول: رأيت كليهما ومررت بكليهما، كما تقول عليهما. وقال الفراء: هو مثنى، وهو مأخوذ من كل فخففت اللام =

﴿شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا﴾ وسطهما ﴿نَهَرًا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ ورواه راوٍ محرك الوسط كأوله، وراوٍ ما حرك وسطه ﴿فَقَالَ﴾ الملحد ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ملأ ورهطا ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ مع المسلم، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ لإلحاده ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ لا هلاك لها أمدًا.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ لدى المعاد على دعواك ﴿لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ معادا ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ وهو أصل آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ﴾ وعدلك ﴿رَجُلا لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ﴾ كما حكاه الرسول الأطهر صلى الله على روحه وسلم، وحاصل ما رووه هو كل أحد أعطاه الله أهلا أو مالا، ورآه وسرد ما حرر ما هو راء مكروها ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا﴾.

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ المراد: أما حالا أو مآلا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ هو ما ولده اصطكاك الركم ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ملساء كالمرمر، ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ أو للرد رد محصل المصدر على الإرسال المار ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾ للماء ﴿طَلَبًا﴾ مدر كالرده محله.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ ومحله على حكم مدار عسى المار، وأهلك ماله كله ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ سد ما ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ لعمارها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ هدم دعائمها، وصار الكرم على الدعائم، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ ملأ ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ لدى هلاكها، ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ هو لحاله لدى هلاكها ﴿هُنَالِكَ﴾ لدى المعاد ﴿الْوَلايَةُ﴾ ورواه راوٍ محرك مكسور الواو وكلاهما للملك ﴿لِلهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ مآلا لأهل الإسلام، ورواه راوٍ محرك الوسط كأوله.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ

=

وزيدت الألف للتثنية. وكذلك كلتا للمؤنث، ولا يكونان إلا مضافين ولا يتكلم بواحد، ولو تكلم به لقيل: كل وكلت وكلان وكلتان. انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٠١/١٠).

ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [آية: ٤٥]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ لملائك ﴿مَثَلَ﴾ معمول أول ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ مكمل عامل المعمول الأول ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ المراد: لحلول الماء، وهو المطر ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ لما أرواه المطر إدهام وأسود كلاؤها ومحصودها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار الكلاء والمحصود ﴿هَشِيمًا﴾ مكسرًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [آية: ٤٦]:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الأولاد ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مددًا لا دوام لها وهلاكها عما أسرع حال ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ كل عمل صالح، أو المراد: الحمد لله ولا إله إلا الله وسواها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾ ما أمله كل أحد لدى الله.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [آية: ٤٧ - ٤٩]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح كأورد أو ادكر ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لله مع علو كماله، والمراد: محو إعلامها ورسومها، ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ الهاء للأمم كلهم ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال، والمراد: كل أمم رسول وحدهم حالهم كحال العسكر للورود على الملك للسلوك على أمره، والكلام لأهل المعاد كلهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كلكم عار، والكلام للأولى ردوا أمر المعاد وحكموا على عدم حصوله ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿لَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ طروس الأعمال ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ هم كلّ مُلحدٍ ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ مروعهم ما حرر وسطه، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لدى إطلاعهم على سوء أعمالهم ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ مصدر ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾ عدها وحررها، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مسطورًا وسط طروسهم، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [آية: ٥٠، ٥١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح كادكر ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ ركوع سلام وإكرام ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾ مرد ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وما ركع لآدم ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ أولاده ورهطه ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أعداء والواو واو الحال ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ كل عاص ﴿بَدَلاً﴾ عدو آدم المطرود وأولاده ورهطه وإحلال السلوك على ما وسوسوه محل السلوك على أوامر الله ورسوله.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ الهاء للمطرود وأولاده ﴿خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ هم كل موسوس ﴿عَضُدًا﴾ ردا ولم سلوككم على مسالك وسواسهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥٢، ٥٣]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لمطروح كادكر ﴿يَقُولُ﴾ ورواه راوٍ على وروده لله مكلما مع علو كماله ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ ما هو كود وسواع ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ درأهم كل مكروه ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ المراد: وادٍ مهلك[1].

---

(١) قال الرازي: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ وفيه أبحاث البحث الأول قرأ حمزة =

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ علموا علمًا حاسمًا لكل وهم ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلا لسوها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإنْسَانُ﴾ الملحد ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾ مراء محول كألم عمر ورأسًا.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ هم مُلحِدو أهل الحرم ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ المراد: ما ردهم عما هو سلوك على مسلك الإسلام وأوامر الله إلا ورودهم على موارد الأمم الأول، وهو الهلاك المعد لهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا﴾ ساطعًا أمره وهم راؤه.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [آية: ٥٦]

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ﴾ أهل الإسلام، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أهل الإلحاد، ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كسؤالهم الله مرسل أحد ولد آدم رسولا ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ الكلام المحرر ﴿وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾.

=

(نقول) بالنون عطفاً على قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ وأَوْلِيَاء مِن دُونِي وَمَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ والباقون قرأوا بالياء البحث الثاني واذكر يوم نقول عطفاً على قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ﴾ البحث الثالث المعنى واذكر لهم يا محمد أحوالهم وأحوال آلهتهم يوم القيامة إذ يقول الله لهم نَادُواْ شُرَكَائِيَ أي ادعوا من زعمتم أنهم شركاء لي حيث أهلتموهم للعبادة ادعوهم يشفعوا لكم وينصروكم والمراد بالشركاء الجن فدعوهم ولم يذكر تعالى في هذه الآية أنهم كيف دعوا الشركاء لأنه تعالى بين ذلك في آية أخرى وهو أنهم قالوا ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ (غافر ٤٧) ثم قال تعالى ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ أي لم يجيبوهم إلى ما دعوهم إليه ولم يدفعوا عنهم ضرراً وما أوصلوا إليهم نفعاً. انظر تفسير الرازي (١١٨/٢١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٧ - ٥٩]:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ سوء أعماله إلحادًا وسواه، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ إكلالا ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الهاء للكلام، والمراد: ما هم مدركوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ما هم سامعوه، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ مع الحال المسطر سردها.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ حالا ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ الهلاك ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو المعاد ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا﴾.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ المراد: أهلها كملأ عاد، ولوط ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ ألحدوا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ رواه راوٍ لمهلكهم كمكرمهم، وهو عامل الإكرام، والمراد لإهلاكهم، وراوٍ على المصدر، والمراد لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ
لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا
تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا
فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل
لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ
قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ
عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا
﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم
مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن
يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا
فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [آية: ٦٠، ٨٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو اذكر ﴿قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ﴾ سائرًا ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الواحد محل ملك كسرى، والواحد محل الروم ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهرًا ومددًا.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ موسى ردد الله له السلام ما سأله وهو لما رحلوا ما ادكره ﴿فَاتَّخَذَ﴾ السمك ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ مسلكا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المحل المسطور ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ

﴿أَذْكُرَهُ﴾ حاصل المصدر معمول على مسلك وهم العامل المكرر لهاء العامل الأم، ﴿وَاتَّخَذَ﴾ السمك ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ لهما.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى عدم ادكار السمك ﴿مَا﴾ اسم موصول ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾ هو المرام لصدور عدم ادكار سمكه دالا على حصوله على المراد، ﴿فَارْتَدَّا﴾ عادا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ إلى محلهما الأول ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ المراد: ما عمَّ الإرسال ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ لما سأل موسى ملاؤه إطلاعهم على أعلم الأمم وأطلعهم على ما حاصله هو هو، وما رد العلم إلى الله أوحى الله له واحدًا علم ومطلع على علم ما علمه موسى، وسأل الله الوصول له وهداه، وأورد لموسى علامًا دالا على حصول المسؤول، وهو عدم ادكار السمك ولما رواه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ رواه راوٍ كأحد، وراوٍ كعسر ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ وكلم موسى ما حاصله موسى على علم علمه الله له ما علمه له، وهو على علم علمه الله له ما علمه لموسى ردد الله لهما السلام كما ورد مصححا ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي﴾ ورواه راوٍ مع المؤكد ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ لم حصل، ولم صار لعدم سلوكه على مسلك علمك ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ معللا لك أمره وماله.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ كلاهما سائر على الساحل ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ طارحًا أحد ألواحها ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كحرك، وراوٍ كعلم وأهلها مسموك ﴿أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ كالإصر ما أدى كل رآء إلى الهكر ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ والمراد: سهل الأمر على رائم العلم وأوصلهما الملاح إلى الساحل.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا﴾ ما أدرك الحلم وأمسكه ﴿فَقَتَلَهُ﴾ لما طرحه وحسم رأسه ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ ورواه راوٍ مع عدم المد مكرر آلامه ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ رادًا له كل راءٍ وسامعٍ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ ورواه راوٍ كلحد ﴿عُذْرًا﴾.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ آس العواصم ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ سألهم الطعام ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ مائلا ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ عمره أو عمد له عمودًا ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ﴾ ورواه راوٍ كاطلع ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾[١] لدى عودهم، أو المراد: أمامهم ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالح مرساها ومسراها ﴿غَصْبًا﴾ مصدر.

﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لأمر، وهو لو أدرك لألحد وولع والده وأمه حامل لهما على سلوكهما مسلكه ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كعدد ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ صلاحًا، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وحصل لهما ما أراده.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ﴾ مال، ﴿لَهُمَا وَكَانَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ استدل بهذا من قال: إن المسكين أحسن حالا من الفقير، وقد مضى هذا المعنى مستوفى من سورة "براءة". وقد وقيل: إنهم كانوا تجارا ولكن من حيث هم مسافرون عن قلة في لجة بحر، وبحال ضعف عن مدافعة خطب عبر عنهم بمساكين؛ إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها، وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة أو خطب: مسكين. وقال كعب وغيره: كانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها من أبيهم خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر. وقيل: كانوا سبعة لكل واحد منهم زمانة ليست بالآخر. وقد ذكر النقاش أسماءهم؛ فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما؛ والثاني أعور، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم؛ والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون، وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس والروم؛ ذكره الثعلبي. وقرأت فرقة: ﴿لمساكين﴾ بتشديد السين، واختلف في ذلك فقيل: هم ملاحو السفينة، وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل السفينة، وكل الخدمة تصلح لإمساكه فسمي الجميع مساكين. وقالت فرقة: أراد بالمساكين دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والأظهر قراءة ﴿مساكين﴾ بالتخفيف جمع مسكين، وأن معناها: إن السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم والله أعلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٣/١١).

أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ورعاهما الله لصلاح والدهما حالا ومآلا ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ ملكا لصالحهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ مالهما ﴿رَحْمَةً﴾ معمول له عامله أراد ﴿مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ طوعًا ما حصل إلا لأمر إلهام الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [آية: ٨٣: ٩٨]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ الواو للهود ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ ما هو رسول ولا أعم ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾ أسرد ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ مما حصل له ﴿ذِكْرًا﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ مسهلا له أمر مراحلها ومسالكها ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

سَبَبًا﴾ مسلكًا موصلا إلى مراده، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مسلكا.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ المراد: محله ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وسطها حمأ، وهو الحال الأسود وحلولها وسطها حكم مؤسس على المرآى لا على أصل حالها، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا﴾ إلهامًا ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ هؤلاء الملأ إهلاكًا ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أسرا.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ لإلحاده ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ إهلاكًا وإعدامًا، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ ورواه راوٍ محرك الوسط كأوله، والمراد: وروده على سوء الدار والهلاك الدائم.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ كل سهلٍ لا عسرٍ معه، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مسلكًا.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ المراد: محل أول طلوعها مما هو معمور ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ﴾ هم السود ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ لا عمارا ولا دروعا.

﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كما سرد ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ عددًا وعساكر وسواها ﴿خُبْرًا﴾ علما، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مسلكا.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ واحده: سد كصد وكمد اسم علم أو الأول لما سده الأمم وما كمد لما هو على أصله لا عمل ولد آدم ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ المراد: أمامهما ﴿قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا﴾ إما لعدم إدراكهم، وإما لعدم إدراك السامع كلامهم ومرامهم.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ ورواهما راوٍ مسهلا لهما، وكلاهما اسم ملأ ﴿مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ لعدوهم على الأموال ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ ورواه راوٍ كإمام، والمراد مآلا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حدا دارئا وصولهم.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾ كالأموال والعساكر، والعدد والعدد ﴿خَيْرٌ﴾ مما هو لكم واعمل لكم السد لله ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أرومه ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ وحدًا محدودًا.

﴿آتُونِي زُبَرَ﴾ كسر ﴿الْحَدِيدِ﴾ كسروه كسرا كسرا لصلاحها إلى مدماك الحائط مع المدر وسواه ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ هما أعلا محسوم العلم ووسطهما

الممر، ورواه راوٍ محركا وسطه كأوله كعمر، وراوٍ ما حرك داله أصلا كمهر وحط الأكوار حوله ﴿قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ مهلاً طرح معمول العامل الأول وهو الأمر وأعمل ما أمه.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ علوا على أعلاه، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ لسمكه.

﴿قَالَ هَذَا﴾ أومأ إلى السد أو عمله ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ المحدود لطلوعهم ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مدكوكا لا علو له، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ حاصلا.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [آية: ٩٩ - ١٠١]:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾(١) المراد: حال طلوعهم على الأمم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ الهاء للأمم كلهم ﴿جَمْعًا﴾ إلى محل واحد، ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ هو الكلام المكرم، ﴿وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ كلما أراد الرسول ردد الله له السلام أسماعهم.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ

(١) قال الطاهر ابن عاشور: الترك: حقيقته مفارقة شيء شيئاً كان بقربه، ويطلق مجازاً على جعل الشيء بحالة مخالفة لحالة سابقة تمثيلا لحال إلفائه على حالة، ثم تغييرها بحال من كان قرب شيء ثم ذهب عنه، وإنما يكون هذا المجاز مقيداً بحالة كان عليها مفعول تَرك، فيفيد أن ذلك آخر العهد، وذلك يستتبع أنه يدوم على ذلك الحال الذي تركه عليها بالقرينة. والجملة عطف على الجملة التي قبلها ابتداء من قوله (حتى إذا بلغ بين السدين)، فهذه الجملة لذكر صنع الله تعالى في هذه القصة الثالثة من قصص ذي القرنين إذ ألهمه دفع فساد ياجوج وماجوج، بمنزلة جملة ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ في القصة الأولى، وجملة ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾ فجاء أسلوب حكاية هذه القصص الثلاث على نسق واحد. انظر التحرير والتنوير (٤٠/١٦).

ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [آية: ١٠٢ - ١٠٦]:

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ كالروح رسوله والملائك ﴿مِنْ دُونِي﴾ كلًّا مألوها ولا سؤال ولا ملام لهم كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وسواهم ﴿نُزُلًا﴾ كالمحل المعد للوارد.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ كل عمل صالح مرَّ سُدَى لإلحادهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ دلائله كالكلام المكرم وسواه، ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أمر المعاد، ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ سؤددًا.

﴿ذَلِكَ﴾ الأمر المحرر، وهو ما أُعِدَّ لهم سُدَى وعدم السؤدد ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [آية: ١٠٧ - ١١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسطها وأعلاها ﴿نُزُلا﴾ معدًّا لورودهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا﴾ معدلا إلى سِواهَا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ مآوه ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدوال على حكمه وأراد رسمها وحصرها محرر ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ولد آدم لم أدع حصر حكم الله ودلائله ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ مؤملا معاده لمولاه على صالح الأحوال، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ كما لو رأى حال العمل، والمراد: إصدار أعماله كلها لله لا لعلل أو مرام سواه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة مريم

مكية، وآيها ثمان وتسعون آية

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [آية: ١]:

﴿كهيعص﴾ الله أعلم ما المراد كسائر أوائل السور المار سردها.

﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ
إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي
خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي
وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ
لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا
وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ
مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ
وَعَشِيّٗا ۝١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا
وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ
وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥﴾[1] [آية: ٢ - ١٥]:

---

(١) قوله - تعالى - : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ﴾ خبر لمبتدأ محذوف. أي: المتلو عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا. ولفظ ﴿ذِكْرُ﴾ مصدر مضاف لمفعوله. ولفظ ﴿رَحْمَةِ﴾ مصدر مضاف
=

لفاعله وهو ربك، و﴿عَبْدَهُ﴾ مفعول به للمصدر الذي هو رحمة. و﴿زَكَرِيَّآ﴾ هو واحد من أنبياء الله الكرام، وينتهى نسبه إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام - . والمعنى: هذا الذي نذكره لك يا محمد، هو جانب من قصة عبدنا زكريا، وطرف من مظاهر الرحمة التي اختصصناه بها، ومنحناه إياها. قوله: ﴿إِذْ نادى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيّاً﴾ ظرف لرحمة ربك. والمراد بالنداء: الدعاء الذي تضرع به زكريا إلى ربه - عز وجل - . أي: هذا الذي قرأناه عليك يا محمد في أول هذه السورة، وذكرنا لك، هو جانب من رحمتنا لعبدنا زكريا. وقت أن نادانا وتضرع إلينا في خفاء وستر، ملتمسا منا الذرية الصالحة. وإنما أخفى زكريا دعاءه، لأن هذا الإخفاء فيه بعد عن الرياء، وقرب من الإخلاص، وقد أمر الله - تعالى - به في قوله: ﴿ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المعتدين﴾ ويبدو أن هذا الدعاء قد تضرع به زكريا إلى ربه في أوقات تردده على مريم، واطلاعه على ما أعطاها الله - تعالى - من رزق وفير. ويشهد لذلك قوله - تعالى - : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المحراب وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يامريم أنى لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ الله إنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدعآء﴾ ثم بين - سبحانه - ما نادى به زكريا ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العظم مِنِّي...﴾ والوهن: الضعف. يقال: وهن الجسم يهن - من باب وعد - إذا ضعف. وخص العظم بالذكر، لأنه دعامة البدن، وعماد الجسم، وبه قوامه، فإذ ضعف كان غيره من أجزاء الجسم أضعف. وإفراد لفظ العظم لإرادة الجنس. ﴿واشتعل الرأس شَيْباً﴾ والمراد باشتعال الرأس شيبا: انتشار بياض الشيب فيه. والألف واللام في لفظ ﴿الرأس﴾ قاما مقام المضاف إليه. والمراد: واشتعل رأسي شيباً، وهذا يدل على تقدم السن، كما يشهد له قوله - تعالى - ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكبر عِتِيّاً﴾ وقوله - عز وجل - : ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الكبر..﴾ قال صاحب الكشاف: "شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر... باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزا ولم يضف إلى الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة...". وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ أي: ولم أكن فيما مضى من عمري مخيب الدعاء وإنما تعودت منك يا إلهي إجابة دعائي، وما دام الأمر كذلك فأجب دعائي في الزمان الآتي من عمري، كما أجبته في الزمان الماضي منه.

فأنت ترى أن زكريا - عليه السلام - قد أظهر في دعائه أسمى ألوان الأدب مع خالقه، حيث توسل إليه - سبحانه - بضعف بدنه، وبتقدم سنه، وبما عوده إياه من إجابة دعائه في الماضي. ثم حكى - سبحانه - بعض الأسباب الأخرى لإلحاح زكريا في الدعاء فقال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الموالي مِن وَرَآئِي وَكَانَتِ امرأتي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ..﴾. والموالي: جمع مولى، والمراد بهم هنا: عصبته وأبناء عمومته الذين يلون أمره بعد موته، وكان لا يثق فيهم لسوء سلوكهم. والعاقر: العقيم الذي لا يلد، ويطلق على الرجل والمرأة، يقال:

﴿ذِكْرُ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر المسرود، أو ما أدَّى مؤداه ﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ نِدَاءً﴾ دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ سرًا وإسراره له إما لعدم إطلاع أحد على دعائه أو لعدم لوم أحد له على رومه الولد مع هرمه أو لهرمه صار كلامه ودعاؤه همسًا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ وهى ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ المراد: ما دعا الله وسأله أمرًا إلا وحصل مسؤله ومراده كما سأل.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أولاد عمه ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ وراء وروده موارد الحمام والمروع له عدم سلوكهم على مسلك لا إله إلا الله، ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ولدا ﴿يَرِثُنِي﴾ رواه راوٍ محركا، وراوٍ ما حركه ورده على الأمر الوارد مورد الدعاء، ﴿وَيَرِثُ﴾ محركا، ومع عدمها ومراده العلم والإرسال ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ولما ورد سؤاله مورد آماله دعاه الله.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مُسَمَّى.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول، والمراد: حد العمر.

﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ والمراد: حصول ولد لكما مع حالكما وهرمك ووصولك حد العمر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ كإعطائك وسائط الوطء وإصلاح رحم أهلك، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ دالا على الحمل ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ

=

أمراة عاقر، ورجل عاقر. أي: وإني - يا إلهي - قد خفت ما يفعله أقاربي ﴿مِن وَرَآئِي﴾ أي: من بعد موتي، من تضييع لأمور الدين، ومن عدم القيام بحقه ﴿وَكَانَتِ امرأتي عَاقِراً﴾ لا تلد قط في شبابها ولا في غير شبابها، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿وَلِيّاً﴾ أي: ولدا من صلبي، هذا الولد ﴿يَرِثُنِي﴾ في العلم والنبوة ﴿وَيَرِثُ﴾ أيضاً ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق بن إبراهيم العلم والنبوة والصفات الحميدة ﴿واجعله﴾ يا رب ﴿رَضِيّاً﴾ أي: مرضيا عندك في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته. ففي هاتين الآيتين نرى زكريا يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده - عز وجل - . انظر التفسير الميسر (١٧٧/٥).

سَوِيًّا﴾ المراد: مع عدم داء مؤد إلى عدم كلامك.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ المصلى ﴿فَأَوْحَى﴾ أوماً ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ لدى الأوائل والأصال، ولما صار حمله وولد وعمر أعوامًا دعاه مولاه.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ الموحى إلى موسى ﴿بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ ما عم الإرسال ﴿صَبِيًّا﴾ كهلا، ﴿وَحَنَانًا﴾ رحما للأمم ﴿مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾ طهرًا ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ لا عصى الله ولا هم أصلا.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لمولاه، ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ ما مسه المطرود ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ مما هو آلام اللحد ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ مما أعده الله لكل عاص كسوء الدار وسواها.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ
هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ
فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى
مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى
وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ
أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا
﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ
قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ
﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آية: ١٦ - ٣٦]:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم ﴿مَرْيَمَ إِذِ﴾ لما ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ وسط دارهم.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ لروم طهورها حال طهرها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ الملك الروح ردد الله له السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ أمرد ﴿سَوِيًّا﴾ على أحلى الصور الملاح.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ومكمل العامل دل له أول الكلام ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾ طاهرًا سالكًا على مسلك الصلاح، أو المرد مرسلا.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أملاكا ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ عهرًا.

﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكِ﴾ وهو حصول ولد لك لا والد له ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لكل مسلم له، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ ورد لها ﴿الْمَخَاضُ﴾ هو ألم لدى طرح الحمل ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ حمل وصور وولد مع عدم مرور المدد أصلا كله حصل على الإسراع ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الأمر وحصوله ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ﴾ اسم موصول ﴿تَحْتِهَا﴾ ولدها، أو الملك الروح ردد الله لهما السلام، وروى راوٍ الموصول والوصل على وروده عاملا ومعمولا مكسورًا ﴿أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ماء حسم مددًا وسال، أو أصله السرو وهو السؤدد، والمراد ولدها الروح.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[1] مع مرور مدد لا حمل لها ولا رأس ﴿تُسَاقِطْ﴾

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي
=

رواه راوٍ كَلامَس، وراوٍ كادّارَكَ ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ وسألك ما أمر ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ إمساكا عما هو كلام ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ ولما راوه ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو أحد الصلاح وكلموها على المسلك المسطور لورعها، وصلاحها المعلوم لهم أولا، وهو أحد الطلاح لحملهم لها على العهر ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ

=

وَقَرِّي عَيْناً﴾ فيه مسائل:

الأولى - قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي﴾ أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع. والباء في قوله: ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة مؤكدة كما يقال: خذ بالزمام، وأعط بيدك قال الله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي فليمدد سببا. وقيل: المعنى وهزي إليك رطبا على جذع النخلة. ﴿وتُسَاقِطْ﴾ أي تتساقط فأدغم التاء في السين. وقرأ حمزة ﴿تساقط﴾ مخففا فحذف التي أدغمها غيره. وقرأ عاصم في رواية حفص ﴿تساقط﴾ بضم التاء مخففا وكسر القاف. وقرئ ﴿تتساقط﴾ بإظهار التاءين و﴿يساقط﴾ بالياء وإدغام التاء ﴿وتسقط﴾ ﴿يسقط﴾ و﴿تسقط﴾ و﴿يسقط﴾ بالتاء للنخلة وبالياء للجذع؛ فهذه تسع قراءات ذكرها الزمخشري رحمة الله تعالى عليه. ﴿رُطَباً﴾ نصب بالهز؛ أي إذا هزت الجذع هززت بهزه "رطبا جنيا" وعلى الجملة فـ"رطبا" يختلف نصبه بحسب معاني القراءات؛ فمرة يستند الفعل إلى الجذع، ومرة إلى الهز، ومرة إلى النخلة. "وجنيا" معناه قد طابت وصلحت للاجتناء، وهي من جنيت الثمرة. ويروى عن ابن مسعود - ولا يصح - أنه قرأ "تساقط عليك رطبا جنيا برنيا". وقال مجاهد: ﴿رُطَباً جَنِيّاً﴾ قال: كانت عجوة. وقال عباس بن الفضل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله: ﴿رُطَباً جَنِيّاً﴾ فقال: لم يذو. قال وتفسيره: لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدي مجتنيه؛ وهذا هو الصحيح. قال الفراء: الجني والمجني واحد يذهب إلى أنهما بمنزلة القتيل والمقتول والجريح والمجروح. وقال غير الفراء: الجني المقطوع من نخلة واحدة، والمأخوذ من مكان نشأته يريد بالجنى ما يجنى منها أي يقطع ويؤخذ. قال ابن عباس: كان جذعا نخرا فلما هزت نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف، ثم أخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا، ثم رطبا؛ كل ذلك في طرفة عين، فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ منه شيء. الثانية - استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما؛ فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز. الثالثة - الأمر بتكليف الكسب الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، خلافا لما تقوله جهال المتزهدة؛ وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه. وقد كانت قبل ذلك يأيتها، رزقها من غير تكسب كما قال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٩٤).

امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ المراد: ما أحدهما عاهر.

﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ ومرادها: اسألوه هو مكلمكم ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وما عهد لأحد كلم ولدا وسط المهد.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ كلام الله الموحى له، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ سرد ما مر عهده وأراد ما هو حاصل حالا أو مآلا مسلك المعار المصرح، ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ كلامه ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ ورواه راوٍ على المصدر، وعامله هو داله، والمراد: كلامه هو المسلك العدل والهدى لا كما حكموا وادعوا هو ولد الله أو إله معه ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ادعى الهود سحره، وادعى ملاؤه ما حاصله هو ولد الله، وكلاهما ادعى ما لا أصل له.

﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى﴾ أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ رواه راوٍ على طرح محصل المصدر، وراوٍ على عدمه مسموكًا.

﴿وَإِنَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا أوله ﴿اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ المحرر والمسطور ﴿صِرَاطٌ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل إلى دار السرور الدائم، أو إلى الله.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣٧ - ٤٠]:

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ هل هو ولد الله أو إله معه أو هو هو حل وصعد إلى السماء ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وأهواله وهو المعاد.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ المراد: ما أسمعهم وآراءهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ لدى المعاد ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ أورده مورد الهاء ﴿الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ والمراد: صموا وعموا حالا عما هو هدى وما أسمعهم وأراهم له مآلا، وهو لدى المعاد لإطلاعهم على سوء مسالكهم وادعائهم ما لا أصل له على الله ورسوله.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ روعهم، والأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ لدى المعاد ﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ على هلاكهم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما أعده الله لهم ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ مؤكد ﴿نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أولوا الأحلام وسواهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ وكل أحد معامل على عمله.

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ
تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ
ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ
لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى
حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ
رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾
[آية: ٤١ - ٥٠]:

﴿وَاذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ مراده: ما هو كود، وسواع.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا﴾ مسلكًا ﴿سَوِيًّا﴾ سوى موصلا إلى الله.

﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ المراد: السلوك على مسالك وسواسه وهو الركوع لما سوى الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ مطرودًا

معه.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ﴾ كلامًا مكروها، أو على أصله ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ دهرًا ومددًا طوالا.

﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ وعده حال عدم علمه رسم اسمه مع أعداء الله ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مكرمًا حد الإكرام.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ ركوعًا له ﴿عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ورحل إلى المحل المطهر ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والأولاد، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ كمدح سائر الأمم والملل لهم على دور الدهور والأعصار.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ ومكسور اللام المراد لله، وعلى سوى الكسر المراد طهره الله، ﴿ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا ﴾.

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ﴾ اسم لعلم معلوم ﴿ الأَيْمَنِ ﴾لموسى، ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ لما أسمعه كلامه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾وحصل لسؤال موسى مولاه إرساله معه ردد الله لهما السلام.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ وعد واحدا ودام محله حولا مؤملا عوده وما حال إلى عود الموعود، ﴿وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ ملأه ﴿بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [آية: ٥٦، ٥٧]:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ علو السؤدد والكمال، أو إلى سادس سماء أو سواها، أو حلوله دار المأوى والسرور السرمد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ۝٥٨ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝٦٢﴾ [آية:٥٨، ٦٢]:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ المراد: الصاعد إلى سادس سماء، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾. المراد: ولد ولده سام، وهو والد الرسل ردد الله له السلام، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ هو للسوء ما لو حرك وسطه ﴿أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾ كالهود، وكل مدع الولد للواحد الأحد، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ هو واد وسط سوء الدار، ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ المراد: موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ وموعوده هو دار المأوى والسرور الدائم أو الأعم.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ كل كلام لا محط ولا مدار له ﴿إِلا سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ المراد: على حال الدار الأولى، أو المراد: دوام وروده.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [آية: ٦٣، ٦٥]:

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ **ولما سأل رسول الله الروح ردد الله لهما السلام ما حاصله لم أمهل وما ورد أوحى الله له.**

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ **أمور دار المعاد،** ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ **أمور الدار الأولى،** ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ **أوله عصر الكلام إلى حلول دور الأعوام، والمراد له علم المحرر كله** ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ **أحدا مسمى الله لا.**

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [آية: ٦٦ - ٧٤]:

﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ﴾ **الراد لأمر المعاد** ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ **كما ادعى محمد.**

﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ **سوى العدم، والمعاد أسهل مما لا أصل له أصلا.**

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ **المراد: كل واحد مع موسوسه مسلسلا** ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ **على أحط كردوسهم.**

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ المراد: أعصاهم أو رؤساؤهم.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[1] حلولا وسعرا، ورواه راوٍ مكسور الصاد.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْكُمْ﴾ أحد ﴿إِلا وَارِدُهَا﴾ وأصلها وحالها أو وارد حولها ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾ ورودهم ﴿حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ وعده وعدا عدم حصوله محال، أو المراد آلى على حصوله.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ رواه راوٍ كأعلى، وراوٍ كسمى ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ على أحط كردوسهم، وهو دال على ورود أهل الإسلام إلى ما حولها لا على حلولهم وسطها.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال، والمراد: كلام الله المكرم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أهل الإسلام أم أهل الإلحاد ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ ورواه راوٍ كهمام، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ملما للكلام.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم وأهل عصور ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ مآلا، وكل وطاء ووعاء للدار ﴿وَرِئْيًا﴾ مرأى.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [آية: ٧٥، ٧٦]:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ كطول عمره وإمهاله ﴿حَتَّى إِذَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾ أي أحق بدخول النار يقال صلى يصلى صليا ونحو مضى الشيء يمضي مضيا إذا ذهب وهوى يهوي هويا وقال الجوهري ويقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجع لحته يصلاها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية وقرئ ﴿وَيُصَلَّى سَعِيراً﴾ ومن خفف فهو من قولهم: صلي فلان بالنار "بالكسر" يصلى صليا أحترق قال الله تعالى ﴿هُمْ أَوْلَى بِهَا صُلِيّاً﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١١).

رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ كالإهلاك والأسر، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ المعاد وما حوى ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ملأ أهل الإسلام أم هم.

﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ كل عمل صالح الحمد لله، ولا إله إلا الله وسواهما ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ لأهلها وعاملها.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٢]:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ هو العاص ولد وائل ﴿وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أعمله ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مؤكدا على ما ادعى وأمل.

﴿كَلا سَنَكْتُبُ﴾ المراد الأمر إلى المحرر وهو الملك ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ وهو المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ لدى المعاد ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ مُلْحِدوا الحرم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ما هو كود وسواع ﴿آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ لدى الله.

﴿كَلا﴾ ردع ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ الواو لكل إله ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ المراد: ردهم لها ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعداء لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [آية: ٨٣، ٨٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا﴾ المراد: سلط الله ﴿الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ وسوسوا لهم على سلوك مسالك الهلاك ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ رائما حلول هلاكهم؛

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ مدد أعمارهم ﴿عَدًّا﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو ادكر ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ كل مؤمل آلاءه وإكرامه لهم.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عدد وارد عراهم الأوام.

﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ وهو العمل الصالح، أو لا إله إلا الله ولا حول ولا مع إكمالها.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [آية:٨٨، ٩٥]:

﴿وَقَالُوا﴾ الهود، ومدعو الأهل والولد للواحد الحد وسواهم ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ كالأمر، وهو ما أدى إلى الهكر ﴿تَكَادُ﴾ ورواه راوٍ على ورود أوله لما هو معد كلامًا للمرء لا لعكسه ﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾، وروى راوٍ أوله على وروده لما هو معد علاما لعكس المرء مكررا طاءه، والمراد: صدعها لما أدعوه، ﴿وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ إلا وهو مملوك له.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ حصرهم وأحاطهم علما واحدا واحدا.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ لا مال ولا ردء له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ [آية: ٩٦ - ٩٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أهل السماء، وسواهم مواد لهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ عدو ألد وهم أهل المراء.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أهل عصور وأمم ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ همسا، والمراد: كما حصل الهلاك والدمار لأولئك حاصل لهؤلاء.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة طه

مكية، وآيها مائة وخمس وثلاثون آية

﴿طه ۝١﴾ [آية: ١]:

﴿طه﴾ الله أعلم ما مراده.

﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ ﴾[1][آية: ٢ - ٨]:

---

(١) قال الرازي: قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ ففيه مسائل:
المسألة الأولى: قال صاحب "الكشاف": إن جعلت طه تعديداً لأسماء الحروف فهذا ابتداء كلام وإن جعلتها اسماً للسورة احتمل أن يكون قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع المضمر لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها وهي قسم. المسألة الثانية: قرىء ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾. المسألة الثالثة: ذكروا في سبب نزول الآية وجوهاً: أحدها: قال مقاتل إن أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال عليه السلام: "بل بعثت رحمة للعالمين" قالوا: بل أنت تشقى فأنزل الله تعالى / هذه الآية رداً عليهم وتعريفاً لمحمد صلى الله عليه وسلّم بأن دين الإسلام هو السلام وهذا القرآن هو السلام إلى نيل كل فوز والسبب في إدراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها. وثانيها: أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام: "أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً" أي ما أنزلناه لتهلك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة، وروي أيضاً أنه عليه السلام: "كان إذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام" وقال بعضهم كان يقوم على رجل واحدة، وقال بعضهم كان يسهر طول الليل فأراد بقوله:
=

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ كلالاً وكدًّا مطولا ركوعك وما ورد كلام الله وأوحاه لك.

﴿إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ مواعد الله أو المراد الأولى علم الله حصول الروع لهم لا لسواهم.

﴿تَنْزِيلا﴾ مصدر معمول لعامل مطروح ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ أوردهما ما عدا سائر العالم لورودها أساسا وأصلا للعوالم كلهم، وسرد الأولى أمام السماء لصددهم إلى الحس.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو أحد سرر الملك ﴿اسْتَوَى﴾ كما علم هو، أو المراد: الملك له وسواه أولى.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لعل المراد الهواء وما حله، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ المراد: ما وراء الحصحص.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ حمدًا أو دعاء ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ هو ما ورد على الأرواح وما لا مرور له على الأرواح أصلا ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا

=

﴿لِتَشْقَى﴾ ذلك، قال القاضي هذا بعيد لأنه عليه السلام إن فعل شيئاً من ذلك فلا بد وأن يكون قد فعله بأمر الله تعالى، وإذا فعله بأمره فهو من باب السعادة فلا يجوز أن يقال له: ما أمرناك بذلك. وثالثها: قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد لا تشق على نفسك ولا تعذبها بالأسف على كفر هؤلاء فإنا إنما أنزلنا عليك القرآن لتذكر به، فمن آمن وأصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك إلا البلاغ وهو كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ (الكهف: ٦) الآية، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ (يونس: ٦٥). ورابعها: أنك لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم﴾ (الغاشية: ٢٢)، ﴿حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام: ١٠٧) أي ليس عليك كفرهم إذا بلغت ولا تؤاخذ بذنبهم. وخامسها: أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهوراً تحت ذل أعدائه فكأنه سبحانه قال له لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة أبداً بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فإنا ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقياً فيما بينهم بل تصير معظماً مكرماً. انظر تفسير الرازي (١٥/٢٢).

يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ
عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا
فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا
ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ
أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي
﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا
﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي
ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ
وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ
بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ

مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ
شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى
كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟
أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾

۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ
ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟
إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ
ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟
يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ
وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ

وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ
عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ
هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ
إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا
مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ
﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ
مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن
نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟
﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى

خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن
تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [آية: ٩ - ٩٧]:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ﴾ عرسه ﴿امْكُثُوا﴾ دوموا محلكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ عود مسعر ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ دالا على مسالك مصر.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وعلى سوى الكسر رواه راوٍ.

﴿أَنَا﴾ مؤكد ﴿رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر ﴿طُوًى﴾ معمول كواد على مسلك وهم العامل المكرر، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ ولا أطلع أحدا على حصولها وصدورها ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ عملا صالحًا أو طالحًا؛ ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ المراد عما هو إسلام لورودها وحصولها ﴿مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ راد الأمر لها ﴿فَتَرْدَى﴾ الردى كصدى هو الهلاك ورداه أهلكه، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[1].

(١) قال الرازي: علم أن قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ لفظتان فقوله وَمَا تِلْكَ إشارة إلى العصا وقوله بِيَمِينِكَ إشارة إلى اليد وفي هذا نكت إحداها أنه سبحانه لما أشار إليهما جعل كل واحدة منهما معجزاً قاهراً وبرهاناً باهراً ونقله من حد الجمادية إلى مقام الكرامة فإذا صار الجماد بالنظر الواحد حيواناً وصار الجسم الكثيف نورانياً لطيفاً ثم إنه تعالى ينظر كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب العبد فأي عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان إلى سعادة الطاعة ونور المعرفة وثانيها أن بالنظر الواحد صار الجماد ثعباناً يبتلع سحر السحرة فأي عجب لو صار القلب بمدد النظر الإلهي بحيث يبتلع سحر النفس الأمارة بالسوء وثالثها كانت العصا في يمين موسى عليه السلام فبسبب بركة يمينه انقلبت ثعباناً وبرهاناً وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن فإذا حصلت ليمين موسى عليه السلام هذه الكرامة والبركة فأي عجب لو انقلب قلب المؤمن
=

=

بسبب إصبعي الرحمن من ظلمة المعصية إلى نور العبودية ثم ههنا سؤالات الأول قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ سؤال والسؤال إنما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال فما الفائدة فيه والجواب فيه فوائد إحداها أن من أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئاً شريفاً فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم هذا ما هو فيقولون هذا هو الشيء الفلاني ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم خذا منه كذا وكذا فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية وكضربه البحر حتى انفلق وفي الحجر حتى انفجر منه الماء عرضه أولا على موسى فكأنه قال له يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع ثم إنه قلبه ثعباناً عظيماً فيكون بهذا الطريق قد نبه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث إنه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده فهذا هو الفائدة من قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ وثانيها أنه سبحانه لما أطلعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة إلى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه ثم إنه مزج اللطف بالقهر فلاطفه أولا بقوله ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ ثم قهره بإيراد التكاليف الشاقة عليه وإلزامه علم المبدأ والوسط والمعاد ثم ختم كل ذلك بالتهديد العظيم تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ ليعرف موسى عليه السلام أن يمينه هي التي فيها العصا أو لأنه لما تكلم معه أولا بكلام الإلهية وتحير موسى من الدهشة تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الدهشة والحيرة والنكتة فيه أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة إزالتها فسأله عن العصا وهو لا يقع الغلط فيه كذلك المؤمن إذا مات ووصل إلى حضرة ذي الجلال فالدهشة تغلبه والحياء يمنعه عن الكلام فيسألونه عن الأمر الذي لم يغلط فيه في الدنيا وهو التوحيد فإذا ذكره زالت الدهشة والوحشة عنه وثالثها أنه تعالى لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أعظم مما ذكر تنبيهاً على أن العقول قاصرة عن معرفة صفات النبي الحاضر فلولا التوفيق والعصمة كيف يمكنهم الوصول إلى معرفة أجل الأشياء وأعظمها ورابعها فائدة هذا السؤال أن يقرر عنده أنه خشبة حتى إذا قلبها ثعباناً لا يخافها السؤال الثاني قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ خطاب من الله تعالى مع موسى عليه السلام بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فيلزم أن يكون موسى أفضل من محمد الجواب من وجهين الأول أنه تعالى كما خاطب موسى فقد خاطب محمداً عليه السلام في قوله ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم ١٠) إلا أن الفرق بينهما أن الذي ذكره مع موسى عليه السلام أفشاه الله إلى الخلق والذي ذكره مع محمد (صلى الله عليه وسلم) كان سراً لم يستأهل له أحد من الخلق والثاني إن كان موسى تكلم معه وهو (تكلم) مع موسى فأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يخاطبون الله في كل يوم مرات على ما قال (صلى الله عليه وسلم) (المصلي يناجي ربه) والرب يتكلم مع آحاد أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة بالتسليم والتكريم والتكليم في قوله ﴿سَلامٌ قَوْلا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس ٥٨) السؤال الثالث ما إعراب قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ الجواب

=

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ أو طار كطرد الهوام، وحمل المأكل وسواه.

﴿قَالَ أَلْقِهَا﴾ اطرحها ﴿يَا مُوسَى﴾.

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ صل مسرع حد الإسراع.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ المراد: إلى حالها ﴿الأولَى﴾ عصا.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ على حال لألاء كالموم ﴿مِنْ غَيْرِ

=

قال صاحب (الكشاف) (تلك بيمينك) كقوله ﴿وَهَاذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (هود ٧٢) في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسماً موصولا وصلته بِيَمِينِكَ قال الزجاج معناه وما التي بيمينك قال الفراء معناه ما هذه التي في يمينك واعلم أنه سبحانه لما سأل موسى عليه السلام عن ذلك أجاب موسى عليه السلام بأربعة أشياء ثلاثة على التفصيل وواحد على الإجمال الأول قوله ﴿هيَ عَصَايَ﴾ قرأ ابن أبي إسحق (هي عصي) ومثلها (يا بشرى) قرأ الحسن (هي عصاي) بسكون الياء والنكث ههنا ثلاثة إحداها أنه قال هِيَ عَصَايَ فذكر العصا ومن كان قلبه مشغولا بالعصا ومنافعها كيف يكون مستغرقاً في بحر معرفة الحق ولكن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عرض عليه الجنة والنار فلم يلتفت إلى شيء ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم ١٧) ولما قيل له امدحنا قال (لا أحصي ثناء عليك) ثم نسي نفسه ونسي ثناءه فقال (أنت كما أثنيت على نفسك) وثانيها لما قال عَصَايَ قال الله سبحانه وتعالى أَلْقِهَا فلما ألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ليعرف أن كل ما سوى الله فالالتفات إليه شاغل وهو كالحية المهلكة لك ولهذا قال الخليل عليه السلام ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي الحديث (يجاء يوم القيامة بصاحب المال الذي لم يؤد زكاته ويؤتي بذلك المال على صورة شجاع أقرع) الحديث بتمامه وثالثها أنه قال هي عصاي فقد تم الجواب إلا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الأخر لأنه كان يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض الثاني قوله ﴿أتوكأ﴾ والإتكاء واحد كالتوقي والإتقاء معناه اعتمد عليها إذا عييت أو وقفت على رأس القطيع أو عند الطفرة فجعل موسى عليه السلام نفسه متوكئاً على العصا وقال الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) (اتكىء على رحمتي) بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال ٦٤) وقال ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(المائدة ٦٧) فإن قيل أليس قوله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقتضي كون محمد يتوكأ على المؤمنين قلنا قوله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على الكاف في قوله ﴿حَسْبَكَ اللهُ﴾ والمعنى الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين الثالث قوله ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ أي أخبط بها فأضرب أغصان الشجر ليسقط ورقها على غنمي فتأكله وقال أهل اللغة هش على غنمه يهش بضم الهاء في المستقبل وهششت الرجل أهش بفتح الهاء في المستقبل وهش الرغيف يهش بكسر الهاء قاله ثعلب. انظر تفسير الرازي (٢٢/٢٢).

سُوءٍ﴾ داء ﴿آيَةً﴾ حال ﴿أُخْرَى﴾.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرسالك أحداها ﴿الْكُبْرَى﴾.

﴿اذْهَبْ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وملأه ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ عدا الحدود.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسعه لحمل أوامرك وإرسالك.

﴿وَيَسِّرْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ عسر كلام حصل له حال ما سعره، وهو محمول على الكواهل ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ لدى أداء أوامرك.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ ردًا ﴿مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾.

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ﴾ كلاهما، رواهما راوٍ على الأمر الوارد مورد الدعاء، ورواهما راوٍ على ورودهما لموسى ردد الله له السلام على حد أكرم أدع لك.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالما صالح الأمور وأصلحها.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ﴾ معلل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ إلهامًا لما روعها إهلاك عدوك كل مولود ولد ﴿مَا يُوحَى﴾ والموحى لها هو.

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ طرحًا ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ طم مصر ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ وصار كل راء مائلا لك، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ المراد: على كلاء لك.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ ومرادها الإطلاع على أمرك ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ محدود لك للإرسال، وهو عدد موعده أعوامًا ﴿يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ دلائل وإرسال، ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ المراد: عدم ألوهما ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ عدا حدوده ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وحكم لعل عائد لهما لا لله علا اسمه لعلمه عدم إسلامه لهما.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ مسرعا إلى عمل مكروه ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾.

﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ كالِئًا وردًا ﴿أَسْمَعُ﴾ كلامه، ﴿وَأَرَى﴾ عمله ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ﴾ ردعه لما حملهم عسر الأمور كالعمار والهد والحمل وسواها.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ دال على أمر الإرسال، ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ سلام الملائك أو السلام مما هو ألم ومكروه.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ وسارا ووصلا إلى محله وسردا له ما أمرهما مولاهما ولما سمعه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ دعاه وحده لوروده أصلا ولا دلاله ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المراد: أعطى كل واحد حدا حده عما سواه ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ الكل إلى صالحهم كالمأكل والماء والموطئ.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الأولَى﴾ كأمم هود، وصالح، ولوط، وكلهم ادَّعوا كود وسواع إلها.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلْمُهَا﴾ علم ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ مسالك، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرًا؛ كمل كلام موسى لعدوه وكمله الله مكلما أهل الحرم، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ كحلو وعكسه، وأسود وأحمر وعكسه.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَاتٍ لأولِي النُّهَى﴾ الأحلام.

﴿مِنْهَا﴾ الهاء عائد إلى المهاد ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ المراد: آدم، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ لدى ورود حمامكم ورمسكم وسط اللحود، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ الهاء إلى عدو موسى ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ﴾ وادعى السحر، ﴿وَأَبَى﴾ ما وحد الله.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ كهدى، ورواه راوٍ مكسور أوله، والمراد وسطا.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ أهل مصر ﴿ضُحًى﴾.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ هم أهل سحره ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ الموعد.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ لما رآهم، ومع كل واحد مسد وعصا ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعاء أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ رواه راوٍ على وروده كأكرم، وراوٍ على وروده كعلم، وكلاهما مؤداهما الهلاك ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ على الله.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام ﴿قَالُوا إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها ﴿هَذَانِ﴾ ورواه عمرو على الأصل أو اسم العامل الهاء مطروحا، وما أمه أول الكلام ومحمول ﴿لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ المراد: أهل مسلكهم أو مسلكهم أو رؤساؤهم وأهل السؤدد.

﴿فَأَجْمِعُوا﴾ كأكرم، والمراد: أحكامه، ورواه راوٍ مع الوصل، والمراد: اللم ﴿كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ حال، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولا، ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصاه ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ راعه عدم سطوع أمر الإرسال، وورووده كالسحر على مسلك واحد ﴿قُلْنَا﴾ له ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ كل ساحر ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ وطرح موسى عصاه، وحصل كما وعده مولا.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ لله لا لسواه لما رأوا أمرا سوى السحر، وعلموا إرسال موسى، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

﴿قَالَ﴾ عدو موسى ﴿آمَنْتُمْ﴾ ورواه راوٍ مطروح ما هو للسؤال ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ معلمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي﴾ على ﴿جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ مراده هو وإله موسى، أو هو وموسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدوم.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسال موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ الاسم الموصول رده الواو على الاسم الموصول وهو ما، أو الواو واو مؤل ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ عامل أو حاكم ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ علما وعملا، ﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء مؤد مؤدى الأمر وهو كلام الله ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كوروده موارد

حمامه وهو على إلحاده وسوء عمله ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ على حال سوى الألم والكدر الدائم، ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ الهاء لصروحها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال وعاملها مؤدى ما أومأ وهو أولئك، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ كل مطهر.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ وروى راوٍ موصول الأول ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا﴾ المراد: إدراك عدوك، ﴿وَلا تَخْشَى﴾ هلاكًا وسط الماء.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ﴾ الطم ﴿مَا﴾ أمر هائل ﴿غَشِيَهُمْ﴾ والهاء لعسكره أوله ولهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ وما هداهم ودلهم على مسالك العمى والهلاك لا كما ادعى.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ دعاهم لما أهلك عدوهم أو الدعاء للأولى على عهد الرسول والمراد والدوهم ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ لحصول الكلام على موسى وإعطائه الأحكام، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ طائرٍ معلوم.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ﴾ مكسور الحاء، ورواه راوٍ على وروده كطلع ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ مكسور اللام، ورواه راوٍ كالأول ﴿عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ إلى سوء الدار والهلاك الدائم.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ وحد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ دام على ما حرر إلى ورود حمامه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾[1] ما أسرع ورودك إلى الموعد وحدك ﴿يَا مُوسَى﴾.

﴿قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ على صدد له، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿وما أعجَلَكَ عن قومك يا موسى﴾ أي: ما حملك على العَجَلَة، وأيُّ شيء أعجلك منفردًا عن قومك، وقد أمرتك باستصحابهم، ولعل في إفرادك عنهم عدم اعتناء بهم؟ فأجاب عليه السلام بقول: ﴿هُمْ أُولاءِ على أثَري﴾ أي: هم هؤلاء قريبًا مني، فهُم معي، وإنما سبقتهم بخطا يسيرة، ظننت أنها لا تُخلُّ بالمعية، ولا تقدح في الاستصحاب، فإن ذلك مما لا يُعتد به فيما بين الرفقة. انظر البحر المديد (٤/٤٣٤).

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ كمد أحد الكمد.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ إعطاء للأحكام ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ المراد: ما طال الأمر ولأمر الموعد ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ هو دوامهم على ما أمرهم.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ محركًا أوله على سائر الأحوال ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ ورواه راوٍ على حمل كهمل ﴿أَوْزَارًا﴾ أحمالا ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ حلى ملأ عدو موسى ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ طرحًا إلى الاصلاء ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ صداح مسموع ﴿فَقَالُوا﴾ هم لا مساس ورهطه ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ موسى إلهه، وسار رائما له.

﴿أَفَلا يَرَوْنَ﴾ عامل كلعل، واسمها الهاء مطروحًا ﴿لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا﴾ ولا هو راد لهم سؤالا لو سألوه، ﴿وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ المراد: درأه ﴿وَلا نَفْعًا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ عود موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

﴿قَالَ﴾ موسى لما عاد ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾.

﴿أَلا﴾ وصل لا مؤدى له ﴿تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

﴿قَالَ يَابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المراد: لو سار وراء موسى لسار معه الأولى ما مالوا إلى عمل لا مساس، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك ومرامك الحامل لك على ما حصل.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ ورواه راوٍ على وروده إلى السامع ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ الملك الروح لما سلك وسط الطم أمام عدو موسى لسلوكه وراءه، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ طرحا وسط المصور، وصار له روح، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ طول عمرك ﴿أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾ دعاء دعاه وأورده مورد أمر حكاه وحصل كما دعا، وصار كلما مسه أحد أو مس هو أحد أحم كلاهما معا، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لدى عودك إلى الله ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام، ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ الهاء لرماده ﴿فِي﴾ هواء ﴿الْيَمِّ﴾ الطم ﴿نَسْفًا﴾ وعمل كما وعد.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [آية: ٩٨ - ١٠٤]:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وسع علمه كل ما صح علمه لا إلهكم المُدرَى إلى الهواء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ الكلام إلى رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ هو الكلام المكرم.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ وما أسلم له ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ حِمْلا.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ الهاء للحمل ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا﴾ حملهم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ المراد: ما وراء الأولى، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ مع سواد صورهم، والمراد: على صور أعدى عدوهم وهم الروم.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ سرًا وهمسًا لهول ما عراهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلهم أراء أو أعمالا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا﴾ واحدا، والحكم المسطور لهول ما هم رأوه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [آية: ١٠٥ - ١١٠]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ مآل أمرها ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ لمآلها كالرمل السائل وإرسال الأرواح لها ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ صرداحًا.

﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ محلا أحط، ﴿وَلا أَمْتًا﴾ محلا أعلا.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ إلى الحكم العدل ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ معدل لكل مدعو إلى سلوكه على سوى ما دعاه، ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾ همس الوطء كوطء الرواحل.

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أحدًا ﴿إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ السعداء، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا﴾ هو لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمور دار معادهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أمور لدار الأولى إلى حلول دور الدهر، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ما وصل علمهم، ولا أحاط أمور مآلهم وحالهم، أو ما أحاط علمهم ما علمه الله على عود الهاء إلى اسم الله، وعلى الأول عائد إلى الاسم الموصول.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [آية: ١١١ - ١١٤]:

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ وهو الله، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ إلحادًا.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ كالحط على ما عمل طالحا، ﴿وَلا هَضْمًا﴾ كالحط مما عمل صالحا.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ مكررا ما أوعده كل ملحد وعاص أوامره ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ كهلاك الأمم الأول لحصول ارعواء هؤلاء.

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[1] عما ادعاه أهل الإلحاد، ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ لما عرف العباد عظيم نعمه، وإنزال القرآن نزه نفسه عن الأولاد والأنداد فقال: ﴿فَتَعَالَى اللهُ﴾ أي جل الله الملك الحق؛ أي ذو الحق. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٥٠).

كدرسك له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ إكمال الروح أداء ما أوحاه الله، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا
تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ
ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾
قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ
هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا
وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ
وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [آية: ١١٥ - ١٢٧]:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا﴾ المراد: ردعه ﴿إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ أكله ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد المسطور ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ المراد: ما صمم على الأمر، ولو صمم لادكر العهد المحرر.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لادكر مطروحا ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى﴾.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء ممدودا ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ كلالا حاصدا ودارسا وسواه، ولمسعى آدم على حواء أورده وسرده سواها؛ ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾.

﴿وَأَنَّكَ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿لا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ لعدم حصولك على الماء، ﴿وَلا تَضْحَى﴾.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أوصله وسواسه ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ

﴿الْخُلْدِ﴾ الدوام لأكل حملها، وهل هو السمراء أو سواها، ﴿وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ لا هلاك له.

﴿فَأَكَلا﴾ آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ صار آدم وحواء كل واحد راصا على حصحص له ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ لما أكل الحمل المحرر، ﴿فَغَوَى﴾ عما أمل ورامه، وهو الدوام وعدم الهلاك كما وعده الموسوس وهو عدوه.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ لما عاد إلى مولاه مما حصل إمهالاً عمدا كما مر مصرحا، ﴿وَهَدَى﴾ هداه وألهمه الدوام على الدعاء.

﴿قَالَ اهْبِطَا﴾ الأمر لآدم وحواء مع ما حواه كلاهما وهو أولادها أو لآدم وعدوه المطرود ﴿مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الأولاد لأولاد ﴿عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ رسول أو كلا موحى له ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ﴾ حالا، ﴿وَلا يَشْقَى﴾ مآلا لدى المعاد.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ وهو الهدى المحرر أو كلامه المكرم ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ورواه راوٍ كسكرى، والمراد: ما موسع له، أو المراد: ألم اللحد ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ على أصله، أو المراد: العَمَه، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾.

﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ لما أوهمها وما سلك مسلكها كالأعمى أعماه الله، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ وسط سوء الدار.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ هو وروده إلى المعاد أعمى أو إلى سوء الدار ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أدوم مما مر.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾
فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ
ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا
بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ

أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آية: ١٢٨ - ١٣٥]:

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾(١) الله أو رسوله أو الهدى المار أو مدلول ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال الهاء ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأولِي النُّهَى﴾ الأحلام.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ لإمهال ما هو معد لهم إلى المعاد ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك وهو مدلولكم وما معها ﴿لِزَامًا﴾ أمرًا حاصلا لهم على كل حال ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ رده الواو على اسم العامل.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ محا حكمه أمر الكر وإعمال الحسام، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامدًا له على هداك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الأولى، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ المراد: العصر، ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ صل أول المساء وما ورآها، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المراد: ما وراءها العصر ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ صل لعلك حاصل على مأملك كلها.

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لحصوله وسائط هلاكهم، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الإرسال والهدى أو ما أعده لك ﴿خَيْرٌ﴾ مما والاهم، ﴿وَأَبْقَى﴾ أدوم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يريد أهل مكة؛ أي أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إذا سافروا وخرجوا في التجارة طلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاويه؛ أي أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم. وقرأ ابن عباس والسلمي وغيرهما ﴿نَهْدِ لَهُمْ﴾ بالنون وهي أبين. و﴿يَهْدِ﴾ بالياء مشكل لأجل الفاعل؛ فقال الكوفيون ﴿كَمْ﴾ الفاعل؛ النحاس: وهذا خطأ لأن "كم" استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها. وقال الزجاج المعنى أو لم يهد لهم الأم بإهلاكنا من أهلكنا. وحقيقة "يهد" على الهدى؛ فالفاعل هو الهدى تقديره أفلم يهد الهدى لهم. قال الزجاج: "كم" في موضع نصب ﴿أَهْلَكْنَا﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٦٠).

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ داوم ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ لك ولا لأهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود أمرها ﴿لِلتَّقْوَى﴾ لأهلها.

﴿وَقَالُوا﴾ أهل الإلحاد ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ردد الله له السلام ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ مما سألوه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ الكلام الموحى إلى موسى وسواه كهلاك الأمم والأحكام، والحكم كلها حكاه الكلام المكرم.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ إرسال محمد رسوله صلى الله على روحه وسلم أو كلامه المكرم ﴿لَقَالُوا﴾ لدى المعاد ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ أسرًا ﴿وَنَخْزَى﴾ حلولا وسط سوء الدار.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾ مآل أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ﴾ المسلك ﴿السَّوِيِّ﴾ العدل، ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ مما هو أسوء المسالك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء

مكية، وآيها مائة واثنتا عشرة آية

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن
رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى
يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا
كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ١ - ١٠]:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ كل ملحد ﴿حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما أعد لهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾[(١)].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ قال عبد الله بن مسعود: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهن تلادي يريد من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد. وروي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ فنفض يده من البنيان، وقال: والله لا بنيت أبدا وقد اقترب الحساب. "اقترب" أي قرب الوقت للذي يحاسبون فيه على أعمالهم. ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله تعالى: ﴿إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
=

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ إلمامه ووروده على أسماعهم ﴿إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الاسم الموصول معمول على مسلك وهم العامل المكرر لواو (أسروا) ﴿هَلْ هَذَا﴾ محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ وما أورده سحر ولا أمر سواه ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ مع علمكم سحره.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ حاصلا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه، ﴿الْعَلِيمُ﴾.

﴿بَلْ﴾ لهدر حكم السحر وسرد حكم سواه أولا كمال كلام وسرد كلام سواه ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ كعصا موسى، والدال على إرسال صالح ردد الله لهما السلام.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالا نُوحِي﴾ ورواه راوٍ مكسور الحاء أوله دالا على الله وكمال علاه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لإملائك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ علماء الكلام الموحى إلى موسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ الهاء للرسل كلهم ﴿جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

=

يَلْعَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾. وقيل: الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش؛ يدل على ذلك ما بعد من الآيات؛ ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، وطابت نفسه بالتوبة، ولم يركن إلى الدنيا، فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب، والموت لا محالة آت؛ وموت كل إنسان قيام ساعته؛ والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى. وقال الضحاك: معنى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ أي عذابهم يعني أهل مكة؛ من لأنهم استبطؤوا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا، وكان قتلهم يوم بدر. النحاس ولا يجوز في الكلام اقترب حسابهم للناس؛ لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز أن ينوي به التأخير. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ ابتداء وخبر. ويجوز النصب في غير القرآن على الحال. وفيه وجهان: أحدهما: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ يعني بالدنيا عن الآخرة. الثاني: عن التأهب للحساب وعما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الواو عند سيبويه بمعنى "إذ" وهي التي يسميها النحويون واو الحال؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٧/١١).

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ هم كل مسلم لهم سالك على مسالكهم وأوامرهم، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ أهل الرد لدعواهم.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ هو الكلام المكرم ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ
أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [آية: ١١ - ١٥]:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ هو الكسر، والمراد: الإهلاك ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ إلحادًا، ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ محلهم.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أدركوا الإهلاك إدراك المحسوس ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ إسراعًا وكلام الملائك لهم ﴿لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكًا لهم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لما رأوا حلول الهلاك سدموا على عملوا سدما مردودا.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ محصود الصوارم ﴿خَامِدِينَ﴾ هلكى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا
هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾
أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾
أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آية: ١٦ - ٢٤]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ولدًا أو عرسا أو ما هو أعم ﴿لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ مما هو كالحور والملك ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ومكمل عمل العامل داله ما كمل لو أو هو حال محل ما.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الإلحاد ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أصله كسر الرأس المهلك، والمراد مطوره ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ الهلاك ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله مما لا أصل له كالولد والعرس.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ الملائك، وهو أول كلام محموله ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ المراد: عدم طرو الكلل على الملك.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ حال الواو.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ﴾ كالمرمر والرصاص وسواهما ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الهلكى الأولى حلوا اللحود لا.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ﴾ لمراد سواؤه لا عدد معهم الله ﴿لَفَسَدَتَا﴾ إما لاطراد مرد أوامرها على محل واحد حال وأمها وهو محال أو لألوها كلها وهو محال ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ كادعائهم أحدا معه، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ دالا مصححا مدعاكم ﴿هَذَا﴾ أومأ إلى كلام الله المكرم ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ أهل الإسلام ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ كالموحى إلى موسى وسواه، والكل هدروا حكم أحد مع الواحد الأحد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عما هو موصل إلى الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي﴾ ورواه راوٍ مكسور الحاء على وروده لله مع علو كماله ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ملكا ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ الملائك ﴿عِبَادٌ﴾ له ﴿مُكْرَمُونَ﴾ لا أولاد كما ادعوا، ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوه وما هم عاملوه، ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ حصولها له، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ كلهم رائع.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٢٩ - ٣٢]:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الهاء للملائك أو ولد آدم وسواهم ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ سواء الله ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ﴾ وراوٍ طرح الواو ﴿يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أما علموا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ سدًّا لا مطر ولا كلأ لهما ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ مطرًا وكلأ وكل محصود، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾ له روح ﴿حَيٍّ﴾ والمراد: ماء المطر وسواه ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أطوادًا ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ الهاء للأطواد ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلا﴾ واسعا ممرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مهامهم ومصالحهم.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ إلى الحد المعلوم ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ الهاء للسماء، والمراد أحوالها الدوال على كمال علم سامكها ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [آية:٣٣]:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ كل واحد مما حرر ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ سراعا على سطحه كالعائم على سطح الماء.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [آية: ٣٤، ٣٥]:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ الدوام ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ لا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ﴾ العُسْرى ﴿وَالْخَيْرِ﴾ السرَّاء ﴿فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وكل وارد موارد عمله.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾(١) واصما لها ومورد اعوارها، ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ مؤكد ﴿كَافِرُونَ﴾ ولما سألوا الرسول صلى الله على روحه وسلم حلول الهلاك أوحى الله له:

﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ وعود الهلاك حالا ومآلا لدى المعاد وأراهم صوارم أهل الإسلام وما حصل لهم ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ هو واصل لكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية:٣٨، ٤١]:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد المعاد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

(١) وقوله - تعالى - : ﴿أهذا الذي بَعَثَ الله رَسُولا﴾ مقول لقول محذوف وعائد الموصول محذوف - أيضا - . أي: كلما وقعت أبصار أعدائك عليك - أيها الرسول الكريم - سخروا منك، واستنكروا نبوتك، وقالوا على سبيل الاستبعاد والتهكم: أهذا هو الإنسان الذي بعثه الله - تعالى - ليكون رسولا إلينا. وقولهم هذا الذي حكاه القرآن عنهم، يدل على أنهم بلغوا أقصى درجات الجهالة وسوء الأدب. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٦١/٦).

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مكمل لو مطروح وهو لما سألوا الإسراع.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ سدرا لهولها ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا أمهال لهم.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ ألم ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو الهلاك، وحكم هؤلاء كحكم أولئك.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية:٤٢، ٤٤]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾ حارسكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ لو أراد إهلاككم لا أحد ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ كلامه المكرم ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أمر للهدر، والمراد ألهم عاصم سوى المولى الواحد لا ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الواو لكل إله ادعوه ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ﴾ أهل الادعاء ﴿مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ آلاء ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ المراد: كل محل سلط الله رسوله وأهل الإسلام على أهله وولاهم أمره، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [آية: ٤٥ - ٤٧]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ﴾ ورواه راوٍ كأكرم على وروده

للسامع، وهو الرسول ردد الله له السلام ومعموله الأول ﴿الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ مكمل لا سمع ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أصلها إحدى الروائح ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكا لهم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ وكسا لصالح عمل ما ولا حطا على طالح عمل ما ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ العمل أو العول ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ علمًا وعدلا وإحصاءً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية: ٤٨ - ٥٠]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ ما أحاط الهدى والحلال عما سواهما، ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾ ارعواء ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ المراد: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾.

﴿وَهَذَا﴾ أومأ إلى الكلام المكرم ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا
هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ
وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى
بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا
صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾» [آية: ٥١ - ٧٣]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ **هُدَاهُ** ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ **موسى أو إدراكه الحلم** ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ **أحوالا وأطوارًا، وهل هو أهل أو لا.**

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ **الصور، وهو ما كود وسواع** ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ قَالَ﴾ **لهم** ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ﴾ **مالك** ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ **المسرود كله** ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ **كسرًا لها** ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ **حكاه سرا ولما ولوا عمد للصور كلها** ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ **كحطام، ورواه راوٍ مكسور الأول، والمراد كسرا كسرا** ﴿إِلا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ **حط المعول على كرده** ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ **لما عادوا، ورأوا الصور كلها كسرا كسرا** ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ **لا كلهم** ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ **واصما وملوما لهم** ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ **على ملأهم** ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ **على سكوعه، ولما وصل** ﴿قَالُوا أَأَنْتَ﴾ **ورواه راوٍ سهلا ما وراء الأولى مع المد وعدمه** ﴿فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ﴾ أوهمهم وأراد هو ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ أول كلام ﴿هَذَا﴾ محموله ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ ردوا إلى عماهم وسوء مسلكهم وعادوا إلى المراء معه ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾ مرادهم لم أمرهم اسألوهم مع عدم ردهم سؤال السائل ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ﴾.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ عدم إدراكها وصلاحها لركوعكم لها.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ وسعروها ورموه وسطها ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ مكرا ومكروها ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ لما حصحص سلوكهم على مسلك العمى وسلوكه على الهدى وما وصلوا إلى ما أرادوه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ على مسؤوله أو هو ولد الولد، ﴿وَكُلا﴾ هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ رسلا أو كلا سلكوا على الصلاح والهدى.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ وحول راوٍ ما وراء الأولى إلى مولود كسرها ﴿يَهْدُونَ﴾ الأمم ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى الهدى، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ كل موحد لله.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [آية: ٧٤، ٧٥]:

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ ما عم الإرسال، أو حكما محركا، ﴿وَعِلْمًا﴾ علم الرسل، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ المراد: أهلها الأعمال ﴿الْخَبَائِثَ﴾ اللواط ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه عكس سره ﴿فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ

فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1][آية: ٧٦ - ٧٧]:

﴿وَنُوحًا﴾ معمول مطروح كأورد ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا الله وسأله هلاك ملأه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ لوط وعمه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ هو إهلاك الماء العالم وما سلم إلا هو والأولى معه.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدوال على إرساله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن

---

(١) قوله تعالى ﴿إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ﴾ ففيه مسألتان: المسألة الأولى لا شبهة في أن المراد من هذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب ويؤكده حكاية الله تعالى عنه ذلك تارة على الإجمال وهو قوله ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (القمر ١٠) وتارة على التفصيل وهو قوله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الارْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ (نوح ٢٦) ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى أجابه بقوله ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهذا الجواب يدل على أن الإنجاء المذكور فيه كان هو المطلوب في السؤال فدل هذا على أن نداءه ودعاءه كان بأن ينجيه مما يلحقه من جهتهم من ضروب الأذى بالتكذيب والرد عليه وبأن ينصره عليهم وأن يهلكهم فلذلك قال بعده ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِنَا﴾ المسألة الثانية أجمع المحققون على أن ذلك النداء كان بأمر الله تعالى لأنه لو لم يكن بأمره لم يؤمن أن يكون الصلاح أن لايجاب إليه فيصير ذلك سبباً لنقصان حال الأنبياء ولأن الإقدام على أمثال هذه المطالب لو لم يكن بالأمر لكان ذلك مبالغة في الإضرار وقال آخرون إنه عليه السلام لم يكن مأذوناً له في ذلك وقال أبو أمامة لم يتحسر أحد من خلق الله تعالى كحسرة آدم ونوح فحسرة آدم على قبول وسوسة إبليس وحسرة نوح على دعائه على قومه فأوحى الله تعالى إليه أن لا تتحسر فإن دعوتك وافقت قدري

أما قوله تعالى ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ فالمراد بالأهل ههنا أهل دينه وفي تفسير الكرب وجوه أحدها أنه العذاب النازل بالكفار وهو الغرق وهو قول أكثر المفسرين وثانيها أنه تكذيب قومه إياه. انظر تفسير الرازي (١٦٧/٢٢).

يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٢]:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ كرم أو محصود سواه ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ سومًا للكرم أو المحصود المار، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ لحكم داود وولده، وأهل الدعوى، وحكم داود إعطاء السوائم لأهل الكرم وحكم ولده إعطاء الكرم إلى أهل السوائم وإعطاؤها إلى أهل الكرم ودرها وأولادها لهم إلى عود الكرم إلى حالها الأولى ولدى عودها رد الكرم إلى أهله والسوائم إلى أهلها.

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ وعاد داود إلى حكمه، ﴿وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا﴾ ما عم الإرسال ﴿وَعِلْمًا﴾ علم الأحكام.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ الله معه ﴿وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ الهاء لداود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ هو عمل الدروع ﴿لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ لدى الكر ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ المراد: أهل الحرم الحرام ﴿شَاكِرُونَ﴾ الله على آلائه.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ ما أراد الإسراع وأمرها له ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ومما علمه إعطاء الآلاء لأهلها، وهو ولد داود ردد الله لهما السلام.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ كل طم لوصولهم إلى الدرر وسواها، وإعطائها له، ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ له ﴿عَمَلا دُونَ ذَلِكَ﴾ كعمار الكور وسواها، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ لعدم هدم ما عمروه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آية: ٨٣ - ٨٦]:

﴿وَأَيُّوبَ﴾ معمول لأورد مطروحا ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ﴾ لما عدم ماله كله وهدم داره على أولاده وهلكوا ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ إما ولد له عددهم وعدد كعددهم أورد الله أرواحهم وولد له على عددهم ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ما أمرهم وعما ردعهم.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ سلك الرسل أو ما هو أعم ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها وأهلها.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [آية: ٨٧، ٨٨]:

﴿وَذَا النُّونِ﴾ السمك السارط له ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لملأه لما سئم لسكوعهم ومطر مع عدم ورود أمر الله له ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ المراد: حدس عدم صدور أمر الله على حصول مكروه له لمطوره ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ سواد المساء الدامس، وسواد الطم، وسواد وسط السمك ﴿أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ للمطور مع عدم الأمر.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ والكدر الحاصل له، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [آية: ٨٩، ٩٠]:

﴿وَزَكَرِيَّا﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ﴾ ودعاؤه هو ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ المراد: واحدا لا ولد له، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاء، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولدا، ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ إصلاحا ﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاء للمسرود أسماؤهم ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ وأملا لحصول المراحم ﴿وَرَهَبًا﴾ روع الحرد، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً

لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ [آية: ٩١]:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا﴾ المراد: الملك الروح ﴿فِيهَا﴾ الهاء لدرعها كما مرَّ ﴿مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم والملك وسواهما وأمرا دالا على كمال المصور ولدا لا والد له.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٩٢ - ١٠٠]:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(١) حال، والمراد: سالك الرسل كلهم لا إله إلا الله،

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لما ذكر الأنبياء قال: هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد؛ فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام؛ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما. فأما المشركون فقد خالفوا الكل. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ أي إلهكم وحدي. ﴿فاعبدونِي﴾ أي أفردوني بالعبادة. وقرأ عيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ورواها حسين عن أبي عمرو. الباقون ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بالنصب على القطع بمجيء النكرة بعد تمام الكلام؛ قال الفراء. الزجاج: انتصب ﴿أُمَّةً﴾ على الحال؛ أي في حال اجتماعها على الحق؛ أي هذه أمتكم ما دامت أمة واحدة واجتمعتم على التوحيد فإذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة أهل الدين الحق؛ وهو كما تقول: فلان صديقي عفيفا أي ما دام عفيفا فإذا خالف العفة لم يكن صديقي. وأما الرفع فيجوز أن يكون على البدل من ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ أو على إضمار مبتدأ؛ أي إن هذه أمتكم، هذه أمة واحدة. أو يكون خبرا بعد خبر. ولو نصبت ﴿أمتكم﴾ على البدل من ﴿هذه﴾ لجاز ويكون "أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ" خبر "إن". انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٣٩).

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ الأولى ما سلكوا على مسالك الرسل والهدى ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ووارد وموارد أعمالهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ﴾ لمسعاه ﴿كَاتِبُونَ﴾ المراد: أمره ملك العمل وحارسه.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أراد: أهلها ﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ إلى المراد ولا أصل، أو إلى الدار الأولى ولا وصل لا مؤدى له.

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ﴾ ورواه راوٍ مكررًا ما أمام الحاء كسدد ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ المراد: سدهما، ﴿وَهُمْ﴾ أهل السد أو الأمم كلهم ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ محل عال ﴿يَنْسِلُونَ﴾ إسراعا.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ المعاد ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكلامهم لما رأوا هول المعاد هو ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكًا لهم ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أومأ إلى المعاد ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لعدم الإسلام إلى الرسل.

﴿إِنَّكُمْ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (ما) لكل ما هو كود، وسواع، ولكل داع لهم إلى الركوع لسوى الله، كالمطرود عدو آدم وإردائه ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ المراد: الحلول وسطها.

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ﴾ الصور كود وسواع ﴿آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ﴾ الإله والمالوه ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ كالصعداء ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾ أمرًا سارًا أو الأعم، ولما ادعى أهل الإلحاد ما حاصله الروح الرسول مألوه لملأ والملك مألوه لملأ، وهم واردو سوء الدار أوحى الله ردا لكلامهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا

فَعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آية: ١٠١ - ١٠٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ كالروح والملائك ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ هو أمر المطور إلى سوء الدار والهلاك السرمد، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ سرورا، وكلاهم لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ الطومار أو الملك محرر الأعمال أو اسم محرر لرسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿لِلْكُتُبِ﴾ ورواه راوٍ على العدد ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ أصله العدم ﴿نُعِيدُهُ وَعْدًا﴾ مصدر معمول لمطروح، ومؤكد لحاصل الكلام المار ﴿عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأمر المحرر.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ ما أوحاه الله إلى داود ردد الله له السلام، أو هو كل كلام موحى إلى الرسل ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ اللوح ﴿أَنَّ الأَرْضَ﴾ دار السرور الدائم ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ كل صالح.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ الكلام المكرم ﴿لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ الأولى هممهم السلوك على أوامر مولاهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ
أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا
تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم
بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية: ١٠٧ - ١١٢]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ كلهم، والكلام إلى الرسول الأكرم واحد سلك الرسل ردد الله له ولهم أكمل السلام ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لما هو موحى، والسؤال وارد مورد الأمر، والمراد: أسلموا.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما هو موحى ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ إعلام المعارك ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ ورود الهلاك أو المعاد.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ مكرا لأهل الإسلام، وهو معاملكم على مكركم وسركم.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ الهاء للإعلام المار ﴿فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ حلول أعماركم.

﴿قَالَ﴾ ورواه راوٍ كسأل ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ العدل هو هلاكهم وحصل المسؤول ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ مما لا أصل له كادعائكم ساحر وسواه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحج

مكية إلا آيتين: وَمِنَ النَّاسِ [آية: ٣]

وآيها ثمان وسبعون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾[1] [آية: ١، ٢]:

---

(١) قال القرطبي: الزلزلة شدة الحركة، ومنه قوله - تعالى - : ﴿... وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين آمَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله..﴾ وأصل الكلمة من زل فلان عن الموضع، أي: زال عنه وتحرك، وزلزل الله قدمه، أي: حركها وهذه اللفظة تستعمل في تهويل الشيء". وقال الآلوسي: "والزلزلة: التحريك الشديد، والإزعاج العنيف، بطريق التكرير، بحيث يزيل الأشياء من مقارها، ويخرجها من مراكزها. وإضافتها إلى الساعة، من إضافة المصدر إلى فاعله، لكن على سبيل المجاز في النسبة كما في قوله - تعالى - : ﴿بَلْ مَكْرُ الليل والنهار﴾ لأن المحرك حقيقة هو الله - تعالى - ، والمفعول الأرض أو الناس، أو من إضافته إلى المفعول، لكن على إجرائه مجرى المفعول به اتساعاً كما في قوله: "يا سارق الليلة أهل الدار..". والمعنى: يأيها الناس اتقوا ربكم اتقاء تاماً، بأن تصونوا أنفسكم عن كل ما لا يرضيه، وبأن تسارعوا إلى فعل ما يحبه، لأن ما يحدث في هذا الكون عند قيام الساعة، شيء عظيم، ترتجف لهوله القلوب، وتخشع له النفوس. وقال - سبحانه - : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ الساعة شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ بصيغة الإجمال والإبهام لهذا الشيء العظيم، لزيادة التهويل والتخويف. ثم فصل - سبحانه - هذا الشيء العظيم تفصيلا يزيد في وجل القلوب فقال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ..﴾. والضمير في " ترونها"، يعود إلى الزلزلة لأنها هي المتحدث عنها والظرف " يوم " منصوب بالفعل تذهل، والرؤية بصرية لأنهم يرون ذلك بأعينهم. والذهول: الذهاب عن الأمر والانشغال عنه مع دهشة وحيرة وخوف، أي: أن هذه الزلزلة من مظاهر شدتها ورهبتها، أنكم ترون الأم بسببها تنسى وتترك وليدها الذي ألقمته ثديها. وكأنها لا تراه ولا تحس به من شدة الفزع. قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: لم =

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ واسلكوا كما أمركم ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هائل، والعامل المؤكد مع معموله كالمعلل للأمر المار.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ المراد: أمهها له لهول ما هو حاصل، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ لروعها، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ روعًا ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ سكرًا ومداما ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ هالهم حلوله وكوّر أحلامهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [آية: ٣، ٤]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كدعوى الولد له وسواها ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ مراء ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ مارد أو عارٍ عما هو صلاح.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على المارد ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ﴾ سلوكا مسالك وسواسه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ حاملا له على ما هو مؤد ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ سوء الدار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [آية: ٥]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ المراد: أصلكم ووالدكم، وهو آدم ﴿ثُمَّ﴾ صور أولاده ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ الماء المحدود إلى الرحم ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم كالطحال، ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ لحم ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ

=

قيل ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع: التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها: أو عن الذي أرضعته وهو الطفل. انظر التفسير الميسر (٦/٩٥).

مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو مدد الحمل ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ الكمال إدراكا وأحلام، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ وما وصل إلى كمال أحواله، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ هرمًا وسوء إدراك ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ عائدا إلى حاله الأولى، ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ لا كلأ لها كالرماد ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [٦، ٧]:

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الأطوار والأحوال المار سردها ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الدائم، والمراد كله دال على دوامه، ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٨ - ١٠]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى﴾ دال معه، ﴿وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ لوى كرده عما هو هدى مراء ﴿لِيُضِلَّ﴾ ورواه راوٍ كعدل ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هلاك وحصل له، ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣﴾ [آية: ١١ - ١٣]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ حاصل المراد لا على دوام؛ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صلاح حال كمال وولد ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ علل ولأواء ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ عاد إلى سوء مسلكه الأول، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ لطمور ما أمله ﴿وَالآخِرَةَ﴾ لعوده

إلى عماه ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ﴾ كود وسواع ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء المحرر ﴿هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ عما هو هدى.

﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ لو سلم حصوله له ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾ ما دعاه، ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ له هو.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [آية: ١٤ - ١٦]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ كإكرام كل طائع وإهلاك كل عاص.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ﴾ الهاء لمحمد رسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ مسد ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ داره على حد كل ما علاك سماء ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ عما هو موطئ له ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ عمله المسطور ﴿مَا يَغِيظُ﴾ ه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الكلام المكرم ﴿آيَاتٍ﴾ دلائل ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ سواطع، ﴿وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هداه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [آية: ١٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم الهود، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ رهط للهود، ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هو إحلال أهل الهدى دار السرور الدائم، وأهل العمى دار السوأى والهلاك السرمد، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ عملوه ﴿شَهِيدٌ﴾ مطلع وعالم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

﴿وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [آية: ١٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ كلها ركوع لأمره وما أراد، ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم أهل الإسلام، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ هم الأولى حادوا عما أمرهم وهو الإسلام، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ﴾ ما أسعده ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ مسعد؛ ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ إكراما وسواه.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[1] [آية: ١٩ - ٢٢]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ خرج مسلم عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسما إن ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة. وبهذا الحديث ختم مسلم رحمه الله كتابه. وقال ابن عباس: "نزلت هذه الآيات الثلاث على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ثلاثة نفر من المؤمنين وثلاثة نفر كافرين"، وسماهم، كما ذكر أبو ذر. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إني لأول من يجثو للخصومة بين يدي الله يوم القيامة؛ يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه"؛ ذكره البخاري. وإلى هذا القول ذهب هلال بن يساف وعطاء بن يسار وغيرهما. وقال عكرمة: المراد بالخصمين الجنة والنار؛ اختصمتا فقالت النار: خلقني لعقوبته. وقالت الجنة خلقني لرحمته. قلت: وقد ورد بتخاصم الجنة والنار حديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها". خرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال ابن عباس أيضا: "هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله منكم، آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل إليه من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا وتركتموه وكفرتم به حسدا؛ فكانت هذه خصومتهم"، وأنزلت فيهم =

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ أهل الإسلام والأولى، مرّ سردهم ﴿اخْتَصَمُوا﴾ أورد الواو حملا على المؤدى ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ مسلكه الموصل أهل الإسلام ادعوا مسلكهم هو المسلم وسواهم ادعى مسلكه هو المسلم، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ دسم وسواه، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أدمهم.

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ واحدها السوط ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ لصك رؤوسهم.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ مدركهم ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ردوا إلى محلهم صكا ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ كلام الملائك لهم لدى إصدارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٢٣، ٢٤]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ حول السرد الأول، وأورد العامل المؤكد أحماد الحال أهل الإسلام ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

=

هذه الآية. وهذا قول قتادة، والقول الأول أصح رواه البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر، ومسلم عن عمرو بن زرارة عن هشيم، ورواه سليمان التيمي عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ - إلى قوله - عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وقرأ ابن كثير ﴿هَذَانِّ خَصْمَانِ﴾ بتشديد النون من ﴿هَذَانِ﴾. وتأول الفراء الخصمين على أنهما فريقان أهل دينين، وزعم أن الخصم الواحد المسلمون والآخر اليهود والنصارى، اختصموا في دين ربهم؛ قال: فقال: ﴿اخْتَصَمُوا﴾ لأنهم جمع، قال: ولو قال "اختصما" لجاز. قال النحاس: وهذا تأويل من لا دراية له بالحديث ولا بكتب أهل التفسير؛ لأن الحديث في هذه الآية مشهور، رواه سفيان الثوري وغيره عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسما إن هذه الآية نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. وهكذا روى أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس. وفيه قول رابع "أنهم المؤمنون كلهم والكافرون كلهم من أي ملة كانوا"؛ قاله مجاهد والحسن وعطاء بن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود والكلبي. وهذا القول بالعموم يجمع المنزل فيهم وغيرهم. وقيل: نزلت في الخصومة في البعث والجزاء؛ إذ قال به قوم وأنكره قوم. انظر الجمع لأحكام القرآن (٢٦/١٢).

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ المراد: كل سوار مرصع، ورواه راوٍ مردود على محل أساور وعامله، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو لا إله إلا الله أو الحمد لله، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ المحمود هو أو المحمود مآله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: دوام الصد ما داموا لا حال ولا سواه، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد: الحرم الحرام ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ أهله، ﴿وَالْبَادِ﴾ كل طار، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ إلحادا، وهو العدول عما هو مسلك العدل ﴿بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ

فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ
جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ
لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٢٦ - ٣٧]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ محله لعماره لما درس وأرسل الله الأرواح حسرا على أصل أسه وأمره ﴿أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ مما هو كود وسواع ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المراد: كل مصل.

﴿وَأَذِّنْ﴾ ادع وأعْلِم ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ وصعد علما وصاح كما أمر، ولما دعاهم أسمع الله الأول وسط الأرحام ﴿يَأْتُوكَ رِجَالا﴾ على سوى الرواحل، وكل حامل، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾ مسلك ﴿عَمِيقٍ﴾ مطرح المراحل.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ حالا أو مآلا، ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ﴾ كالإهلال على الدماء ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ اللَّاء أسالوا دماءها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ المراد: لحومها ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ هم أولو اللأواء.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أعمال إحلال الإحرام كلها ﴿وَلْيُوفُوا﴾ رواه راوٍ كأوحى، وراوٍ كسمى ﴿نُذُورَهُمْ﴾ الدماء، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ مكمل الإحلال أو الوداع ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هو أول دار أسس.

﴿ذَلِكَ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ﴾ أحكامه، وسائر ما حرمه أو الحرم أو المصلى الحرام والمحل الحرام والعصر الحرام والمرء المحرم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ﴾ أكلا ﴿إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ كما مر حكمه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ ما هو ﴿مِنَ الأَوْثَانِ﴾ الصور كود وسواع، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ كله.

﴿حُنَفَاءَ﴾ كل مائل إلى المسلك الموصل ﴿لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ كلاهما حال الواو ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ حدورا وامعاطا ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ سراعا ﴿أَوْ

تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ إطراحا لا سلام معه.

﴿ذَلِكَ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ﴾ ما أهداه للحرم كإهدائه الكرائم ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾[1] كما لحمل سوى ما آلمها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الإهلال على دمها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ محل حل دمها ومساله ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحرم الحرام كله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ محل إهلال على الدماء لله ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ حال مسال دمها، والمراد: سرد اسم الله علا اسمه وسما حمده، ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ كل طائع.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ روعًا ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ كدوائر الدهر، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ على أكمل أحوالها وأداء، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿وَالْبُدْنَ﴾ الرواحل ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ إعلام المسلك الموصل له ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ كما مر حالا ومآلا ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ لدى مسال دمائها ﴿صَوَافَّ﴾ على عواملها كلها أو إلا أحداها، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ إلى مطرحها لورود حمامها حال الأكل ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ الأمر دال على الحال، ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ المعدم مع عدم السؤال ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على آلائه.

﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا﴾ كلاهما ما هو مطموح له ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ المطموح له هو عملكم الصالح ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع﴾ أي: لكم في هذه التجليات، إن عظمتموها وعرفتم الله فيها، منافع، ترعَوْن من أنوارها وتشربون من خمرة أسرارها، فتزدادوا معرفة وتكميلا، إلى أجل مسمى، وهو مقام التمكين، فحينئذ تواجهه أنوار المواجهة، فتكون الأنوار له، لا هو للأنوار، لأنه لله لا لشئ دونه، ﴿قُلِ الله ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. ثم محل هذه الأنوار إلى بيت الحضرة، فحينئذ يستغني بالله عن كل ما سواه. وقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكًا﴾ أي: لكل عصر جعلنا تربية مخصوصة، والوصول واحد؛ ولذلك قال: ﴿فإلهكم إله واحد﴾. وقال القشيري: الشرائعُ مختلفةٌ فيما كان من المعاملات، متفقة فيما كان من جملة المعارف. ثم قال: ذكّرهم الله بأنه هو الذي أمرهم ويُثيبهم، ﴿فله أسلموا﴾: اسْتَسلموا لحكمِه، من غير استكراهٍ من داخل القلب ولا من اللفظ. هـ. انظر البحر المديد (٤/٦٢١).

هَدَاكُمْ﴾ إلى معالم المسلك الموصل له (وما) للمصدر أو اسم موصول ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أهل لا إله إلا الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [آية:٣٨، ٤١]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صوائل الإلحاد وأهله ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ المراد: معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ أعداء الله ورسوله، والمراد لأهل الإسلام، وهو أول حكم ورد لأعمال الصوارم والمطور إلى المعارك، ﴿وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الحرم الحرام ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ مؤد إلى طردهم وإطراحهم ﴿إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ مسلطا رسوله، وأهل الإسلام على أعدائه ﴿لَهُدِّمَتْ﴾ ورأوا ما كرر داله ﴿صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾ للهود ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ مصمما على إعلاء أوامره وصرد أحكامه ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ﴾ على إعلائهم ﴿عَزِيزٌ﴾ لا راد لمراده.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ إعلاء على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ مآلها إلى حكمه لدى المعاد.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آية: ٤٣ - ٤٦]:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ ملأ هود، ﴿وَثَمُودُ﴾ ملأ صالح، ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ المراد: إمهاله لهم إلى حلول أعمارهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ لأولئك هل ورد محله أم لا، وحكم هؤلاء كحكمهم.

﴿فَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ لهلاك أهلها، ورواه راوٍ للواحد ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ المراد: أهلها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ صار سطحها وسطها، وهدم كل حائط، ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ لهلاك أهلها، ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ سام عماره، ولا أهل له.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ لم صرع وأهلك هؤلاء، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما حصل لهم؛ ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أورد الصدر مؤكدا.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [آية: ٤٧، ٤٨]:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾(١) عدم حلوله أمر محال ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ لطوله حد الطول، ورواه راوٍ لسوى السامع.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد: أهلها ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ المآل.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وهو قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقيل: نزلت في أبي جهل بن هشام، وهو قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ أي في إنزال العذاب. قال الزجاج: استعجلوا العذاب فأعلمهم الله أنه لا يفوته شيء؛ وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/٧٨).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [آية: ٤٩، ٥٠]:

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو دار السرور السرمد.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٤]:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ الكلام ردًّا وراموا هدر أحكامه ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ الأولى سلكوا على مسالكهم حدس عدم إدراك الهلاك لهم، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ سوء الدار أو اسم لإحدى دركها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ أمره الله دعاء ملأ إلى المسلك الموحى له، ﴿وَلا نَبِيٍّ﴾ ما أمر إلى دعاء أحد إلى السلوك على مسلك ما أوحاه الله له ﴿إلا إِذَا تَمَنَّى﴾ سرد كلام الله الموحى له ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ما سرده لملأه كلاما سوى الموحى ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ هدارا، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ رد لما أوحاه لرسله، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كل مدع مع الله سواه، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم أهل الإسلام ﴿أَنَّهُ﴾ كلام الله ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المسلك

الموصل والمسلم.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٥ - ٥٩]:

﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ الهاء لكلام الله، والمراد: لما أورده المطرود حال سرد الرسول له وأهدر الله حكمه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ حلول أعمارهم وورود حمامهم ﴿بَغْتَةً﴾ دهمًا مع عدم علم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ما هو مولد لهم صلاح أمر إصلاح، أو هو المعاد.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ﴾ وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإسلام، وأهل الإلحاد ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا﴾ وسط الكر ﴿أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو مأكول دار السرور الدائم وآلاؤها ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلا يَرْضَوْنَهُ﴾ هو دار السرور السرمد، ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿ذَلِكَ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ كر على أعداء الله وسط الحرم كما كروا هم على أهل الإسلام وسطه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾

طردا وإطراحا ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لهم كرهم على الأعداء وسط الحرم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء أهل الإسلام ﴿بَصِيرٌ﴾ راء أعمالهم وأحوالهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الدائم، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ كل مدعو لهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه إلها ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ المعدوم أو الهالك، ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل العوالم ﴿الْكَبِيرُ﴾ لا إله معه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [آية: ٦٣، ٦٤]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ المراد: العلم ﴿أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرًا ﴿فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ لحصول الكلأ وكل محصود ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ لإحلاله الأمطار وإطلاعه الكلأ وكل محصود، ﴿خَبِيرٌ﴾ مطلع على سرائر العالم حال عدم حلول المطر.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكًا ومملوكًا ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ الحامد لكل موال له أو هو أهل الحمد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آية: ٦٥، ٦٦]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ المراد: العلم ﴿أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾[١] كالحمر وسواها للأحمال وما عداها، ﴿وَالْفُلْكَ﴾ رده الواو على ما أورد على اسم العامل المؤكد

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ يريد البهائم التي تركب ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه قال الزجاج كراهة أن تقع وقال غيره لئلا تقع ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من وقوع السماء عليهم وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم نظفا ميتة ثم يميتكم عند آجالكم ثم يحييكم للبعث والحساب إن الإنسان يعني المشرك لكفور لنعم الله إذ لم يوحده. انظر زاد المسير (٤٤٨/٥).

﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ لحمل ولد آدم وأحمالها ﴿بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ ولولا إمساكه لها لحصل لها الإمعاط وهلك العالم ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لما سهل لهم مسالك الدلائل أو لما أمسكها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ وسط الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى حلول أعماركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ كل ملحد ﴿لَكَفُورٌ﴾ لآلاء مولاه لما ما وحده.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٦٧ - ٦٩]:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ سالكوه ﴿فَلا يُنَازِعُنَّكَ﴾ سائر أهل الملل، أو المراد: عدم سماع الرسول صلى الله على روحه وسلم كلامهم ﴿فِي الأَمْرِ﴾ أمر مسلك الإسلام أوامر أكل لحوم الهلكى مع عدم إمرار الحد على كردها لحسم رؤوسها، ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى مسالك الإسلام، أو إلى لا إله إلا الله ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك سوى.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ وحصحص الأمر معك ﴿فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو مراؤكم على ما لا أساس له والحكم المسطور محا مؤدا وورود أعمال الحسام أوامر المعارك.

﴿اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وهو مأمل كل أحد على عمله أهل الإسلام وسواهم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٧٠، ٧٢]:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم المسطور ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ دالا على حله وهو ما كود وسواع ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ حاكم على وروده إلها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ إلحادًا ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ مصحح لأمر سلوكهم أو راد ما أعده الله لهم على سوء عملهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ اللاء حواها الكلام المكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ سواطع الدلائل على أحكام الله وما أسسه للأمم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ لها كالكره وعدم السرور.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ سطوًا وصولا ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ﴾ ما هو أكره لكم ﴿مِنْ ذَلِكُمُ﴾ الكلام المكرم المسرود لكم هو ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ دار حلول ومآل ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [آية:٧٣، ٧٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل الحرم لا كلهم ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ هو ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ المراد: ركوعهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه، وهو ما كود وسواع ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ واحده مع الهاء ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا﴾ كلهم ﴿لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما طلوهم كالمسك وماء الورد وما حكمه كحكمه ﴿لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ والمراد: ساووا صورًا لا عمل ولا حراك لها أصلا مع إله سالك، وسار أمره ومراده إلى سائر العوالم ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ الراكع لهؤلاء الصور، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المركوع له وهو الصور.

﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما علموه ولا أدركوا علوه لما ساووه مع صور واهٍ أمرها ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ كاهر لا مكهور.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ

﴿٧٥ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٧٥، ٧٦]:

﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ولد آدم رسلا ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ مدرك وعالم كل الأمور ومما أدركه وعلمه دعواهم ما حاصله ركوعهم للصور وسائل إلى الوصول إلى الله علا اسمه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما عملوه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ وما هم عاملوه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [آية: ٧٧، ٧٨]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ صلوا، والمراد: الدوام ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحده ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كوصل الأرحام ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ﴾ لله أعداءه ﴿حَقَّ﴾ مصدر عكس محله وصار أولا ﴿جِهَادِهِ﴾ كطرح الوسع ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ لإعلاء أحكامه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ سهل لكم الأمور لدى مس الحال كأكل الصوم لأهل العلل والعمد إلى الحصحص لدى عدم الماء وسواهما ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ معمول لعامل مطروح، وهو العامل الوارد على ما حاكاه سواه كما لو حكى حاك أحمد كالأسد، والمراد: وسع لكم كما وسع على والد الرسل ردد الله له السلام والموسع هو مسلكه الموحى له، أو المراد: اعملوا عمله واسلكوا ما سلكه وسماه الله والدهم لما هو والد الرسل ردد الله لهم السلام ووالد الرسل كوالد الأمم كلهم ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد أولا حال عدم ورود كلام الله الموحى إلى محمد رسوله ردد الله لروحه السلام لما أسس الحرم ودعا إلى الله، وحكى الله دعاءه لمحمد كما مر أولا ﴿وَفِي هَذَا﴾ المومأ له هو كلام الله الموحى لمحمد ردد الله له السلام ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ اللام المعلل مع معموله معمول

لسماكم والرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ لدى المعاد لما أدَّاه لكم وهو أحكام ما أوحى الله له ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لما أداه لهم رسلهم مما أوحاه الله لهم، وهو مؤسس على إعلام محمد صلى الله على روحه وسلم أهل الإسلام وهو معصوم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كما هو الأحرى لكل معلم عدل، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ حرصًا على أوامره لدى سائر أموركم ﴿هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ مولى أموركم ومعل لكل على أعدائكم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو لا عدل له سواه ولا رديء له علا اسمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المؤمنون

مكية، وآيها مائة وثماني عشرة آية

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[1] [آية: ١ - ١١]:

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أي: فازوا بكل مطلوب، ونالوا كل مرغوب، فالفلاح: الفوز بالمرام والنجاة من المكاره والآلام، وقيل: البقاء في الخير على الأبد، وقد تقتضي ثبوت أمر متوقع، فهي هنا لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل، وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة؛ وهي الإخبار بثبوت الفلاح لهم، فخُوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه. والإيمان في اللغة: التصديق بالقلب، والمؤمن: المصدِّق لِما جاء به الشرع، مع الإذعان بالقلب، وإلا.. فكم من كافر صدّق بالحق ولم يذعن، تكبُّراً وعناداً، فكل من نطق بالشهادتين، مواطئاً لسانُه قلبَه فهو مؤمن شرعاً، قال عليه الصلاة والسلام:" لَمَّا خَلَقَ الله الجَنَّةَ، قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمنُون - ثلاثاً - أنا حرامٌ على كلِّ بخيل مُرائي"؛ لأنه بالرياء أبطل العبادات الدينية، وليس له أعمال صافية.

ثم وصف أهل الإيمان بست صفات، فقال: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾: خاضعون بالقلب ساكنون بالجوارح، وقيل: الخشوع في الصلاة: جمع الهمة، والإعراض عما سواها، وعلامته: ألا يجاوز بصرُه مصلاه، وألا يلتفت ولا يعبث. وعن أبي الدرداء: (هو إخلاص المقال، وإعظام المقام، واليقين التام، وجمع الاهتمام). وأضيفت الصلاة إلى المصلين؛ لانتفاع المصلِّي بها وحده، وهي عُدَّته وذخيرته، وأما المُصلَّى له فَغَني عنها. انظر البحر المديد (٣/٥).

﴿قَدْ﴾ مؤكد لحصول المأمول مع عدم عدمه عكس لما ﴿أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حصلوا على آمالهم، وروى راوٍ الدال محركا ووصل ما أمها، وراوٍ أمام الحاء واو العدد على حد أكلوك الأسود.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ مهالوا مواعد الله علا اسمه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ المراد الأعم كلاما وسواه ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدوها ومعطوها كما أمر الله، وأعلم رسوله، وهو عمل مال عكس الأول.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عما حرم الله.

﴿إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ عرس أحدهم، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ المراد: الإماء لا على العموم وأورد ما هو لسوى المدرك لورود الملك له أصلا ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى﴾ رامَ وعمدَ ما ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المحدود لهم، وهو العرس والإماء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الأولى كمل عدوهم إلى وراء ما أحل الله لهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المراد: الأعم للمالك أو المملوك ﴿رَاعُونَ﴾ كلأ لها وإصلاحا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿يُحَافِظُونَ﴾ كما لو صلوها أداء.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ لا سواهم.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو محل أعلا دار السرور السرمد ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دال مصرح على أمر المعاد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١١ - ١٦]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ هو آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ ما سل ومحص مما هو كدر ﴿مِنْ طِينٍ﴾ المراد: مسلول مما حرر.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء لآدم على طرح الولد، والمراد أولاده ﴿نُطْفَةً﴾ ماء ولد آدم

﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دمًا أحمر ما هو سائل ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وصار الدم المسطور لحما ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ﴾ وكلاهما رواه ولد عامر، وسواه على الواحد لا العدد، وراوٍ على العدد لأولهما ﴿لَحْمًا﴾ مما هو دم أحمر، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ لحلوله روحه ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ﴾ علا اسمه وحكمه وحكمه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أعلاهم واسما كل مصور لورود ما صوره سواه، ولا روح ولا حس له ولا إدراك، وما صوره هو علا اسمه مدرك حساس له روح.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ صائر كلكم إلى السام لا محال.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ لوروده كل عامل على عمله طائع أو عاص.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [آية: ١٧ - ٢٠]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ عدد السماء وسماها كما سماها لسمو كل سماء على سماء، أو المراد: مسالك للأملاك، أو لما هو كعطارد ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ الأولى علاهم السماء ﴿غَافِلِينَ﴾ ما أهمل أمرها علا اسمه، وهو كالئ العالم إمساكا للسماء، ولو حصل الإهمال وعدم الإمساك لها لمح مرآى لحدر السماء على العالم وهلك كلهم[١].

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ كل ما علا ﴿مَاءً﴾ المراد: ما عم المطر وسواه ﴿بِقَدَرٍ﴾ هو الكم المعطل صلاح العالم على حصوله، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ يعني السموات السبع قال الزجاج كل واحدة طريقة وقال ابن قتيبة إنما سميت طرائق بالتطارق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض قوله تعالى ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب والثاني ما كنا تاركين لهم بغير رزق فأنزلنا المطر والثالث لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم. انظر زاد المسير (٥/٤٦٥).

إصعادًا لمحله الأول أو إلماما وإصدارًا أو محوًا له كله ﴿لَقَادِرُونَ﴾ وهلاك العالم أمر حاصل لا محال لو أصعد المولى الماء إلى محله الأول ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ الهاء للماء ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ سردهما علا اسمه مكرمهما على سواهما ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كالسمراء والكلا وكل محصود.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ طود موسى ردد الله له السلام، وروى راوٍ الاسم الممدود مكسور الأول، وراوٍ كأسماء ﴿تَنْبُتُ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كأكل ﴿بِالدُّهْنِ﴾ عامل الكسر وصل على الأول ومعد على ورود العامل كأكل ﴿وَصِبْغٍ﴾ إدام، ورواه راوٍ ككرام ﴿لِلآكِلِينَ﴾ كل أكل.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [آية: ٢١، ٢٢]:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ﴾ الرواحل وسواها ﴿لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ﴾ رواه راوٍ كأرْوَى، وراوٍ كرمى ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَعَلَيْهَا﴾ المراد: الرواحل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٣ - ٢٨]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه علا اسمه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدًّى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ اسم ما ولكم هو المحمول وما واسمها، والمحمول معلل للأمر إماما وهو وحدوه، وروى راوٍ ما أم الهاء مكسور الراء ﴿أَفَلا

﴿تَتَّقُونَ﴾ المراد: حول آلائه لو عصوه ووحدوا سواه وحلول الألم على رؤوسهم.

﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾ رؤساؤهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لعوامهم ﴿مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ سؤددا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ إرسال رسول ﴿لأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ رسلا لكم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ المومأ له إماما دعاهم له والد سام ردد الله له السلام وهو أمره لهم وحدوا الله أو إرساله ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ ولولاها ما دعا إلى واحد أو ما ادعى الإرسال ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ أمهلوه ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى عوده عما ادَّعاه، أو إلى حلول عمره.

﴿قَالَ﴾ والد سام ردد الله له السلام لما رأى عدم إسلامهم وحسم أمله ﴿رَبِّ انْصُرْنِي﴾ أهلكهم أو رام حلول ما أوعدهم الله على عدم إسلامهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مرأى مولاه وكلئه له ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمره له ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وهو هلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ سطع ماؤه، وهو وسم ورود الهلاك ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ احمل وورد سلك هو وسلك هو سواه معدى لواحد، وعلى المعدى ما حكاه الله علا اسمه وهو ما سلككم ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ ورواه راوٍ على الكسر وحده ﴿زَوْجَيْنِ﴾ كالطائر والأسد والحمار وسواها، وعلى الأول هو معمول لا سلك كمعمول سلككم ﴿اثْنَيْنِ﴾ مؤكد، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ عرسك وأولادك وكل ولد معه عرسه، أو المراد: وأهلك كل مسلم معك ﴿إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ هلاكًا، وهم كل ملحد مع أحد أولاده وعرسه، ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كدعائك لهم ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ لا محال لإلحادهم وعدم إسلامهم.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ومما حصل لهم وهو إهلاكهم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن
كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ
ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية: ٢٩ - ٤٣]:

﴿وَقُلْ﴾ لدى مرساها ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلا﴾ رواه راوٍ كمطلع مكسور الوسط، والمراد محلا، وراوٍ ككرم وهو مصدر أو اسم محل ﴿مُبَارَكًا﴾ المصدر أو المحل ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ محلا أو مصدرا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور، وهو أمر والد سام ردد الله له السلام وإهلاك ملأه أهل الإلحاد ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل لأهل الأحلام ﴿وَإِنْ﴾ أصلها المؤكد واسمها الهاء مطروح عائد إلى الأمر أو ما أدى مؤداه ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ حال ملأ والد سام ردد الله له السلام لدى إرساله لهم لعلم حالهم علم سطوع.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هم عاد أو ملأ صالح ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح ﴿أَنِ﴾ للحل ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ حاصل الكلام حل لمؤدى أرسل المار ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ ما أوعد الله كل عاص أمره ورسله.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ أمر المعاد أو دار السرور السرمد ودار الكدر الدائم ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ المراد: حصولهم على الآلاء ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أموالا وأولادًا ﴿مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ وسمًا وحالا ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ دل على عائده عائد الأكل المار.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ مردود إلى اسم الله علا اسمه لوروده أولا ﴿لَخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾[1] لا لحم لها ﴿أَنَّكُمْ﴾ مؤكد للمؤكد

---

(١) قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُخْرَجُونَ﴾ =

الأول واسمه وأورده لما طال الكلام ﴿مُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحد لكم أو مما هو حال عدم إلى عكسه، وهو محمول اسم مؤكد الأول.

﴿هَيْهَاتَ﴾ طال حصول ما وعدكم ووروده ﴿هَيْهَاتَ﴾ مؤكد للأول أو مؤاداهما إطراح الأمر المسطور ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ اللام الوارد على ما وصل مؤكد لا مؤدى له، والمراد: ما وعدكم وهو أمر المعاد.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ لا معاد وراءها ﴿نَمُوتُ﴾ لدى ورود الحمام ﴿وَنَحْيَا﴾ لدى دسر الأرحام للأولاد ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ما وراء المطور مرد.

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول، وهو هود، أو صالح على ما مر ﴿إِلا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ لما ادعى الإرسال، ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الرسول المار اسمه ﴿رَبِّ انْصُرْنِي﴾ على هؤلاء وأهلكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله علا اسمه ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ما وصل مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ على عدم إسلامهم حال ورود هلاكهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الألم أو الهلاك، أو صاح الروح ردد الله له السلام على الملأ وأهلكهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الحمام أو الوعد الصادر لا محال أو عدل الله علا اسمه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ ما حمله كل واد ورماه أو الكلأ صادمه الحر وكمده ﴿فَبُعْدًا﴾ مصدر مورد الدعاء ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأولى ردوا دعوى الرسل سلموها.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أمما ﴿آخَرِينَ﴾ أمم صالح، ولوط، وسواهم ردد الله لهم السلام.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ الحد المحدود لهلاكها أو عصر

=

أي مبعوثون من قبوركم. و﴿أنّ﴾ الأولى في موضع نصب بوقوع ﴿يَعِدُكُمْ﴾ عليها، والثانية بدل منها؛ هذا مذهب سيبويه. والمعنى: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم. قال الفراء: وفي قراءة عبد الله ﴿أيعدكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاماً أنكم مخرجون﴾؛ وهو كقولك: أظن إن خرجت أنك نادم. وذهب الفراء والجرمي وأبو العباس المبرد إلى أن الثانية مكررة للتوكيد، لما طال الكلام كان تكريرها حسنا. وقال الأخفش: المعنى أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما يحدث إخراجكم؛ ف ﴿أنّ﴾ الثانية في موضع رفع بفعل مضمر؛ كما تقول: اليوم القتال، فالمعنى اليوم يحدث القتال. وقال أبو إسحاق: ويجوز ﴿أيعدكم إنكم إذا مِتم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون﴾؛ لأن معنى ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ أيقول إنكم.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٢٢).

حمامها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عما حد لهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤٤]:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ ممدودا كرحمى وصرعى ومده كمدها، وأوله حل محل الواو، والمراد: كل عصر واحدا، ورواه والد عمرو مطروح المد على وروده مصدرا حالا وأماله ولد عامر ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً﴾ وروى راوٍ أول واحد الأمم مسهلا إلى حول الواو

﴿رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ المراد: إهلاكا ودمارًا ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ سمرا للعوالم حكوها ﴿فَبُعْدًا﴾ مصدر ورد مورد الدعاء على كل ملحد ﴿لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [آية: ٤٥ - ٤٨]:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرسالها المار سردها ﴿وَسُلْطَانٍ﴾ دال على الإرسال ﴿مُبِينٍ﴾ ساطع أمره، ولعله هو العصا ووحدها سردا لورودها أو دلائل موسى ردد الله له السلام وآمالها.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عما دعاهم له كلاهما، وهو الإسلام لله علا اسمه ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أهل كهرٍ لسلوكهم على سوى العدل.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أورده واحد لورود حكمه كالمصدر ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ المراد: أطاعوا أمرهم كالروع لهم ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ وسط الطم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ

﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [آية: ٤٩ - ٥٦]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحَى له ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ الهاء عائد إلى ملأ موسى الأولى دعاهم لما هلك عدوه وسط الطم لا على العموم لهلاك عدوه أولا ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى أحكام الله علا اسمه وأوامره.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ لوروده ولدا ولا والد له وحملها له ولا ماس لها، وحكم الولد وهو الروح ردد الله له السلام وأمه سواء، وللأمر المحرر ما أم أمه وما عددها، ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ محل عال وهو المصلى المطهر أو مصر، أو ما رووا عماره إلى سام ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مسوى حصحصها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء سار راكد مدرك لكل راء حسا إدراكا ساطعا.

﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ كل حلال أحل الله لهم أكله ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ هو السلوك على مسلك أوامر الله علا اسمه ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المراد وهو معامل كل أحد على عمله، (وَ) اعملوا؛ (إِنَّ هَذِهِ) الهاء عائد إلى مسالك الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ المراد: مللكم أو ملائكم وعدوكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سلوك واحد لعوده إلى أمر واحد، وهو لا إله إلا الله وواحد الأمم معمول على الحال، وروى راوٍ العامل المؤكد مكسور الأول، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ راعوا ما آمركم.

﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ الواو عائد لأمم الرسل ردد الله لهم السلام، والمراد كل سلك مسلكا سوى المراد ملأ ركع لسواع ورهط ركعوا للصور سواه ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أمر المسلك الموحده الله ورسله لهم، وهو معمول لعامل كسر مطروح ﴿زُبُرًا﴾ حال الواو أوامرهم، والمراد: كل واحد سلك مسلكا كأمم موسى وأمم الروح ردد الله لهما السلام، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كل مُدَّعٍ مسلكه هو الهدى ومع عماه هو مسرور.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم والهاء للمحد أم رحم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ عماهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى ورود حمامهم أو إهلاكهم.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ إمداد ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ مصرح لما حواه الاسم الموصول وهو ما لا محموله والمحمول هو ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ إكرامًا لهم لا

﴿بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا إدراك محصل الإمداد المحرر له هو لإمهالهم إلى العصر المحدود لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1][آية:٥٧، ٦١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ هول ما أعده لكل عاص ﴿مُشْفِقُونَ﴾ رائعهم أمره.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لمدلولها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه سرا وعكسه.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ معطو أهل العدم ﴿مَا آتَوْا﴾ ما أعطوهم أموالا أو صالح أعمال ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ رائعهم رد الله علا اسمه لها ﴿أَنَّهُمْ﴾ هو على طرح اللام عامل الكسر أمام العامل المؤكد ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملهم على كل

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي: من عذابه خائفون حذرون، ﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ المنصوبة والمُنَزَّلة، (يؤمنون) بتصديق مدلولها، وبكتب الله كلها، لا يُفرقون بين كتبه، كالذين تقطعوا أمرهم بينهم - وهم أهل الكتاب وغيرهم، ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ شركاً جلياً ولا خفياً، بخلاف مشركي العرب والعجم. ﴿والذين يؤتون ما آتَوْا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكوات والصدقات. وقرئ: ﴿يأْتُونَ مَا أَتَواْ﴾ بالقصر، أي: يفعلون من الطاعات، ﴿وقلوبهم وَجِلةٌ﴾: خائفة ألا تُقبل منهم؛ لتقصيرهم؛ بأن لا يقع على الوجه اللائق، فيُؤخذوا به ويُحرموا ثوابه؛ لأنهم ﴿إلى ربهم راجعون﴾ فيعاتبهم، أو من مرجعهم إليه، وهو يعلم ما يحيق عليهم، والمصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر، في حَيّزِ صِلاتِهَا من الأوصاف الأربعة، لا عن طوائف، كل واحدة منها متصفة بواحد من الأوصاف المذكورة، كأنه قيل: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، وبآيات ربهم يؤمنون... إلخ. وإنما كرر الموصول؛ إيذاناً باستقلال كل واحد من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حِيالها، وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها، وخبر "إنّ": ﴿أولئك يسارعون﴾، أشار إليهم بالجمع اعتبار اتصافهم بتلك النعوت، مع أنَّ الموصول واقع على الجمع. انظر البحر المديد (٣٦/٥).

عمل صالح أو طالح.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وعملها روما لحصولهم على ما أعد الله ووعد كرما لعاملها ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ هاء لها عائد إلى الأعمال المار حكمها أو إلى دار السرور أو وهم لصالح الأعمال ﴿سَابِقُونَ﴾ لعلم الله علا اسمه عملهم.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [آية: ٦٢ - ٦٧]:

﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ كحل الأكل للصائم مع عدم الوسع وسواه، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ هو اللوح المكلؤ المسطر وسطه أعمال ولد آدم كلهم أو لوح كل واحد وحده المحرر له الملك الموكل للعمل الصالح أو عكسه ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ﴾ أهل الأعمال سائرها ﴿لا يُظْلَمُونَ﴾ كالحط مما هو عمل صالح أو على ما هو طالح.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ عمى مكور ومصد لها ﴿مِنْ﴾ إدراك ﴿هَذَا﴾ كلام الله الموحى لرسوله محمد ردد الله له السلام أو اللوح المار حكمه ﴿وَلَهُمْ﴾ المراد لأهل العمى والإلحاد ﴿أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ وراء الأعمال المار حكمها لأهل الإسلام ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ ووارد وسوء مواردها.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أهل الآلاء ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ حسام محمد رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ صاحوا روما للمدد والكلام لهم.

﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ﴾ العامل المؤكد وما أمه معلل لعدم رومهم المدد ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ كلام الله المكرم ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ عودا إلى ورائكم لا سماع ولا عمل ولا إدراك.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عما هو الهدى، وهو الإسلام لرسوله محمد أدام الله له السلام ولا كرام ﴿بِهِ﴾ الهاء للحرم الحرام ﴿سَامِرًا﴾ حال، وهو مصدر، والمراد: ملأ كلهم حاك،

وراوٍ حول الحرم ما حواه الكلام المكرم سمرا ﴿تَهْجُرُونَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كسدد، وحاصل الكل هو على الأول حسمهم لأحكامه، وكأكرم وسدد ردهم لها مع اللوم لكلام الله ولرسوله ردد الله له السلام وللوصم لهما.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [آية: ٦٨ - ٧٢]:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ كلام الله المكرم لسطوع مدلوله وهداه وروده دالا لإرسال محمد رسول الله ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ كالرسل والكلام الموحى إلى الأمم المار عهدها الأولى أسلموا لما ورد لهم وأطاعوه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ محمدًا صلى الله روحه وسلم مع كمال علمه ولا معلم له إلى سواه مما هو دال على إرساله ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ ما ادعاه، ولا رد إلا لدعوى الأمر المحال لدى أهل الأحلام ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ﴾ الهاء للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿جِنَّةٌ﴾ هوس وسعر مع علمهم كمال علمه وحلمه ودهائه، ﴿بَلْ جَاءَهُمْ﴾ رسولهم محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ كلام الله المكرم، وهو حاوٍ لا إله إلا الله ومسالك الإسلام كلها.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ كلام الله علا اسمه ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ وأكد وأطد ما ادعوه وهو العدل والرد مع الواحد الأحد ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لعدم دوام الملك وصلاح أمره إلا لحاكم واحد كما مر ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ كلام الله وهو حاوٍ لسؤددهم ومدح أهل الإسلام على العموم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ عطاء ومآلا على أدائك أحكام الإسلام لهم ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ عطاء، ورواه ولد عامر على عدم المد كالأول، وراوٍ مدهما معا كمعاد ﴿خَيْرٌ﴾ لدوامه وعطاؤهم لو صح ما دام لك، وهو محمول ما أدى مؤدى العطاء ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إكرم كل معطٍ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ

ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آية: ٧٣ - ٧٧]:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك عدل وهو السلام.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أمر المعاد وأحواله ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ المسلك العدل معمول أمه عامله وهو ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ والمراد: كلهم عادل وحائد عما هو العدل والمسلك المسلم.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ ألم المحل الحاصل لهم لما دعا على أهل أم رحم رسول الله صلى الله على روحه وسلم ودام المحل على الحرم أعواما كأعوام محل مصر لما رأى ملكها ما رأه وأولها له الرسول مأول الأحلام ردد الله له السلام ﴿لَلَجُّوا﴾ داموا أو وصلوا إلى وراء الحد سكوعا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدر كالعمى للمراى، وكل حائر أعمه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ حد الحسام لدى المعارك والأسر ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما طأطأوا رؤوسهم ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ روعا ومردوا على سوء أطوارهم سمودًا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إلى الله علا اسمه دعاء، والمراد: ما أطوارهم الدعاء إلى مولاهم لدى المكاره.

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ المراد: أعوام المحل الممار حكمها، أو هو الإهلاك والأسر والمحل للأول ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ حاسموا ما لهم ومطامعهم عما هو وصول إلى الآلاء والمراحم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٣]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ صور ﴿لَكُمُ السَّمْعَ﴾ الأسماع، ﴿وَالأَبْصَارَ﴾ للحس،

﴿وَالأَفْئِدَةَ﴾ لإدراك مصالح أولادكم ومعادكم ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد ﴿تَشْكُرُونَ﴾ مولاكم على ما أولاكم لعدم ردكم الحواس إلى ما صورها له، وهو ما حلله لها لا ما حرمه.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ صوركم وأصلكم العدم ﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ إرسالا للروح للحمل وسط الرحم ﴿وَيُمِيتُ﴾ إصدارًا لها لدى حلول الأعمار وورود الحمام، ﴿وَلَهُ﴾ لأمره لا لعلل سواه ﴿اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ سوادا وعكسه وطولا وعكسه ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ كمال حكمه علا اسمه، وهو مورد الكل، ومصدرها لا رد له ولا عدل معه وما أمر المعاد وإصدار الأمم إلا أحدها.

﴿بَلْ قَالُوا﴾ ملحدو أم رحم ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾ والدوهم وكل سالك مسلكهم ﴿قَالُوا﴾ الواو للأول ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لا وهموا وحكموا أو المصدر مع العدم مصور مع الأصل.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ أمر المعاد ﴿مِنْ قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الوعد المسطر وهو معادهم ﴿إِلا أَسَاطِيرُ﴾ عددًا سطور أم راءه هاء أو عدد أسطار الوارد عدد السطر ﴿الأَوَّلِينَ﴾ المراد: ما لا أصل له.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آية: ٨٤ - ٩٢]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ ولد آدم، وكل ما له روح ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مصورها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لحكم سالم الأحلام له علا اسمه ﴿قُلْ

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وكرر راوٍ أوله على الأصل، والمراد: أدركوا ما حاصله هو الإله المصور لكم ولهؤلاء الآكام والهوام، وأصلها كلها العدم لو أعادها مع الأصل المحسوس هو أسهل مما هو لا أصل له[1].

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ روى والد عمرو وسواه اسم الله علا اسمه مع عدم لام الكسر على سرد السؤال.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ما أعده لكم على ركوعكم لسواه.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾ حام وحارس لكل ما سواه ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ لا حارس له ولا حام ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أهل علم وإدراك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ رواه والد عمرو مع عدم اللام كأول.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ مع سطوع الأمر ودلائله.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ هو لا إله إلا الله ووعد أمر المعاد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لما حاولوهما وردوهما.

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ علا اسمه لا حاكى أحدا ولا حاكاه أحد ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ مساهم حكما وملكا ﴿إِذًا﴾ لو ساهمه إله كما ادعوا ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾

---

(١) قال الرازي: اعلم أنه يمكن أن يكون المقصود من هذه الآيات الرد على منكري الإعادة وأن يكون المقصود الرد على عبدة الأوثان وذلك لأن القوم كانوا مقرين بالله تعالى فقالوا نعبد الأصنام لتقربنا إلى الله زلفى ثم إنه سبحانه احتج عليهم بأمور ثلاثة أحدها قوله ﴿قُل لِّمَنِ الارْضُ وَمَن فِيهَا﴾ ووجه الاستدلال به على الإعادة أنه تعالى لما كان خلقاً للأرض ولمن فيها من الأحياء وخالقاً لحياتهم وقدرتهم وغيرها فوجب أن يكون قادراً على أن يعيدهم بعد أن أفناهم ووجه الاستدلال به على نفي عبادة عبادة الأوثان من حيث إن عبادة من خلقكم وخلق الأرض وكل ما فيها من النعم هي الواجبة دون عبادة ما لا يضر ولا ينفع وقوله ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه وثانيها قوله ﴿مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ووجه الاستدلال على الأمرين كما تقدم وإنما قال ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ تنبيهاً﴾ على أن اتقاء عذاب الله لا يحصل إلا بترك عبادة الأوثان والاعتراف بجواز الإعادة وثالثها قوله تعالى ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وإعلم أنه سبحانه لما ذكر الأرض أولا والسماء ثانياً عمم الحكم ههنا فقال من بيده ملكوت كل شيء ويدخل في الملكوت الملك والملك على سبيل المبالغة وقوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقال أجرت فلاناً على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحداً. انظر تفسير الرازي (٢٣/ ١٠١).

صار كل إله واحد ملكه وحاكم أممه ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ سما أحدهم على مساهمه كملوك ولد آدم دال الأمر إلى عدم دوام صلاح العالم لما مر مرارا ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ه مما حرر وهو المساهم والولد.

﴿عَالِمِ﴾ محمول على هو مطروح، ورواه ولد عامر ووالد عمرو مكسورا ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٩٣ - ٩٦]:

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا﴾ ما وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿تُرِيَنِّي﴾ معمول ما أمه ما ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ ه، وهو حلول الألم لهم والهلاك أو حلول الألم لدى دار المعاد.

﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معهم وأهلك لهلاكهم.

﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ وعدم حلوله إما لإطلاع المولى على حصول إسلام أحدهم أو أولادهم، وإما إكراما لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم لحلوله معهم ووسطهم.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ المراحم والمكارم والحلم ﴿السَّيِّئَةَ﴾ عملهم المكروه لك والأمر المسطور ورد حال عدم ورود حكم الحسام ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ الرسول محمدا لا أصل له كادعائهم السحر له وسواه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٩٧ - ١١١]:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ وساوسهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ كحومهم حوله حالا ما ﴿حَتَّى﴾ لأول الكلام ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى محله وسط دار الكدر الدائم ومحله وسط دار السرور السرمد لو أسلم ﴿قَالَ﴾ لما أطلع على الأمر ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الدار الأولى.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ هو لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿فِيمَا﴾ ما موصول، والمراد الدار ﴿تَرَكْتُ﴾ وراح العمر سُدى، ﴿كَلَّا﴾ للردع والرد لما أراد، وهو عوده إلى الدار الأولى، والمراد: لا عود ﴿إِنَّهَا﴾ الهاء لرومه العود والرد ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ على كل حال ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل وصاد عما أرادوا وهو العود ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ هو المعاد، والمراد: لا عود أصلا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الأولى أو ما أمها ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ عواصم عما أعد لهم، وهل عم الحكم المحرر أهل الإسلام الأولى هم رحم رسول الله صلى الله على روحه وسلم أم لا، واللائح عدم عمومه لهم إكراما للرسول الأكرم ردد الله له السلام لما رواه الحاكم وصححه، وهو وعد الله رسوله عدم حلول الألم لدى المعاد على إله ما وحدوا لله علا اسمه وأسلموا لرسوله، وورد سأل رسول الله صلى على روحه وسلم الله عدم حلول أهله دار الآلام وأعطاه مولاه ما سأل، وكل ما ورد رادا على الحكم المحرر محمول على سوى رحمه ردد الله له السلام أو على سوى الموحد ﴿وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ الرحم عكس حال الدار الأولى لدلهم.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ المراد: أولو العمل الصالح ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أهل الإسعاد الكامل.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ الأولى لا عمل صالحا لهم وهم أهل الإلحاد ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ محمول على (أولئك) أم محمولا وهو الاسم الموصول.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ وكلام الحال لهم أو على أصله.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ وعدا لما أعد لكم على عدم الإسلام ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ مكسور الأول ورواه راو ممدودا وكلاهما مصدر ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عما هو مسلك الهدى ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الهاء لدار الكدر والدرك ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى ما صادم أمرك ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ لهم مالك ﴿اخْسَئُوا﴾ اطرحوا أو صه ﴿فِيهَا﴾ دار السوأى ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ كلاما عائدا إلى حسر الألم، والمراد: حسم أطماعهم وآمالهم عما أرادوا.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء للأمر ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ هم أهل الإسلام ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ لدوامكم على وصمهم ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ دار السرور السرمد ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على وصمكم لهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ العامل واسمه ومحموله سد مسد معمول العامل المؤكد الوارد محمولا له، ورواه راوٍ مكسور أعلى أول الكلام ومحموله ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ كلهم واصل إلى مرامه ومراده.

﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [آية: ١١٢ - ١١٨]:

﴿قَالَ﴾ الله أو الملك المأمور لسؤالهم، ورواه راوٍ على الأمر، وهو إما للملك أو لأحد رؤسائهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ مع الأرواح ولدى عودكم للحودكم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ عدوها كما عدوها لمرورها سرورًا لما رأوا ما رأوا مما أعد الله لهم أو لمطورها والماطر كالمعدوم ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ هم الأملاك الأولى عدوا أعمار الأمم وأحصوا أعمالهم.

﴿قَالَ﴾ الله أو الملك كما مر، ورواه راوٍ على الأمر والمأمور هو الملك أو أحد الرؤساء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ طول مدد حلولكم وسط دار الدرك.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾(١) لهوًا لا لحكم ما لا هو للإرصاد والحمل على الأوامر لورودكم على أعمالكم صالحها وطالحها، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ لا، ورواه راوٍ للمعلوم ﴿فَتَعَالَى اللهُ﴾ عما هو لهو ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ مالك الملك كله وما سواه مملوك له ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الحو لكل ما سواه ﴿الْكَرِيمِ﴾.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ راكعًا له وحده أو مع الله ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ حاصل لا مع اسمها ومحمولها ورد وسمًا حاسرًا لا مؤدى له ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وهو معامله على سوء عمله ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ أهل الإسلام ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أولاهم وأرحمهم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ أي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الأنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ [القيامة: ٣٦] يريد كالبهائم مهملا لغير فائدة. قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي: إن الله تعالى خلق الخلق عبيدا ليعبدوه، فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها، فإن عبدوه فهم اليوم له عبيد أحرار كرام من رق الدنيا، ملوك في دار الإسلام؛ وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لئام، وغدا أعداء في السجون بين أطباق النيران. و﴿عَبَثاً﴾ نصب على الحال عند سيبويه وقطرب. وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر أو لأنه مفعول له. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور

مدنية، وآيها أربع وستون آية

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾[1] [آية: ١]:

﴿سُورَةٌ﴾ محمول لأول كلام مطروح أو هو أول كلام مطروح المحمول ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ وكرر والد عمرو وسواه راءه، ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ساطع أمرها ودلائلها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ورواه راوٍ مكررا ما أم أو له، وراوٍ على طرح ما حاكى الأول.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي

(١) قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: "علموا نساءكم سورة النور". وقالت عائشة رضي الله عنها: "لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل". ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرئ بتخفيف الراء؛ أي فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الأحكام. وبالتشديد: أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة. وقرأ أبو عمرو: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ بالتشديد أي قطعناها في الإنزال نجما نجما. والفرض القطع، ومنه فرضة القوس. وفرائض الميراث وفرض النفقة. وعنه أيضا ﴿فَرَضْنَاهَا﴾ فصلناها وبيناها. وقيل: هو على التكثير؛ لكثرة ما فيها من الفرائض. والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة؛ ولذلك سميت السورة من القرآن سورة. وقد مضى في مقدمة الكتاب القول فيها. وقرئ ﴿سُورَةٌ﴾ بالرفع على أنها مبتدأ وخبرها ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾؛ قاله أبو عبيدة والأخفش. وقال الزجاج والفراء والمبرد: ﴿سُورَةٌ﴾ بالرفع لأنها خبر الابتداء؛ لأنها نكرة ولا يبتدأ بالنكرة في كل موضع، أي هذه سورة. ويحتمل أن يكون قوله ﴿سُورَةٌ﴾ ابتداء وما بعدها صفة لها أخرجتها عن حد النكرة المحضة فحسن الابتداء لذلك، ويكون الخبر في قوله ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾. وقرئ "سورةً" بالنصب، على تقدير أنزلنا سورة أنزلناها. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٥٨).

دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [آية: ٢، ٣]:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ المراد: مما ورد لكم حكمهما والٍ موصول، وهو أول كلام محموله ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ والحكم لكل مسلم مدرك حر، ولو له أهل ولها واطئ صححه حكم الله رموهما إلى هلاكهما كما مر حكمه، ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ المراد: حكمه وأعمال حدوده ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ هو المعاد، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾ عدد ما ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿الزَّانِي﴾ المراد: كل أحد صار أمر عهره معلوما وحد له ﴿لا يَنْكِحُ إِلا زَانِيَةً﴾ لو رام عرسا له ﴿أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ وهو الأولى والأحرى لأهل العهر، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ الحكم المسطور ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل الورع والصلاح وحكم حرم المحرر هل هو عام أو لرهط معلوم، والأولى أولى ومحا حكمه الأمر العام لما حوى العواهر وسواها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [آية: ٤ - ١٠]:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على العهر ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ المراد: كل واحد ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ أصلا طول عمرهم ﴿أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الأولى عول على عدم صلاحهم وسوء حالهم سوى الاسم

الموصول الآم لا لا وهو.

﴿إلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عما رموا أهل الصلاح ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم سوء عملهم ﴿رَحِيمٌ﴾ لإلهامهم العود إلى مولاهم.

﴿وَالَّذِينَ﴾ هو هلال رأى واحد مع عرسه على وطائه ﴿يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ عهرا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ على دعواهم ﴿إلا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ أول كلام مطروح المحمول ﴿أَرْبَعُ﴾ معمول على المصدر ﴿شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما ادعى عهر عرسه، ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَيَدْرَأُ﴾ هو دال المحمول المطروح ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد العهر ﴿أَنْ تَشْهَدَ﴾ عرسه ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ أول كلام محموله ﴿أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وروى راوٍ العامل المؤكد كلم وما أمه مكسور الوسط، واسم الله مسموك الهاء.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ لعاملكم على سوء عملكم حالا لا مآلا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ
لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ
﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ
ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ
أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم
بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ
لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ
أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا

وَٱلْأَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا
زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ
أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَاخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾
يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ
لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١١ - ٢٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾(١) سرد ما لا أصل له على أم أهل الإسلام، عرس الرسول ردد الله له السلام ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ مسطح، وولد سلول، ومساعدوهما ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ الكلام مع الرسول وأهله ووالدها ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لما أكرم الله رسوله، وطهر أهله عما وصمها اللؤماء مما لا أصل له وأوعد الأولى سارعوا إلى أمره المكروه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ على كل ساع ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ معامل على سوء عمله، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ وهو ولد سلول، أو هو وسواه ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ حال كالطرد لولد سلول، وعمى مسطح ومساعدهما، أو مالا لدى المعاد وهو دار

---

(١) الإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ الناس. وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء، ومنه سمي أهل سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم قرى قوم لوط أصحاب المؤتفكة لأن قراهم ائتفكت، أي قُلبت وخسف بها فصار أعلاها أسفلها فكان الإخبار عن الشيء بخلاف حالته الواقعية قلباً له عن حقيقته فسمي إفكاً. انظر التحرير والتنوير (١٨/ ١٦٩).

الكدر والكمد الدائم.

﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ وحسموا كلامهم عما هو مؤد إلى كدر رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كما هو حال أهل الإسلام والصلاح.

﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿جَاءُوا﴾ الواو للرهط المحرر ﴿عَلَيْهِ﴾ الهاء لما ادعوه وحكوه ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ﴾ لدى حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ إمهاله له لحصولهم على العود لمولاهم عما سلكوه مما صادم أوامره، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ محو سوء أعمالهم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ على أسرع الأحوال ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ المراد: ما سلكوه ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو دار الدرك والألم السرمد.

﴿إِذْ﴾ معمول لمسكم، أو لما الاسم الموصول وهو ما ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ طرح أوله أو ما حاكاه ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ المراد: رووه وحكوه مسلسلا ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا﴾ كلاما ﴿لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ سهلا لا لوم ولا ملام ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ أمره.

﴿وَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ كما هو حال أهل الصلاح ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ﴾ لا أصل له ﴿عَظِيمٌ﴾ مؤد إلى كدر رسول الله ردد الله له السلام.

﴿يَعِظُكُمُ اللهُ﴾ كارها ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ ما داموا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ دوموا على عدم العود للأمر المحرر وما حاكاه.

﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على مسالك الصلاح أمرا وردعا، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ عالم الأحوال كلها، ﴿حَكِيمٌ﴾ محل أمره وردعه محله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ كلامها لها أصل وأساس أو لا ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ الحد، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ دار الدرك والألم الدائم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ما حوى صدر كل أحد ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ إلا الأمر المدرك للحس.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ كرره لهول أمره ﴿وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ مكمل لولا داله المكمل الأول والمراد لمسكم الألم المهول.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ مسالك وساوسه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد إلى السالك على مسالك الموسوس، وهو كالمعلل

للردع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ العوراء، وكل مكروه لدى الرسل الكرام ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما حاد عما حده الله ورسوله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لما سهل لكل عاص مسالك الهود، وأسس الحدود مواح لسوء الأعمال ﴿مَا زَكَا﴾ المراد: ما طهر ولا صلح ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ دهر الداهر ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ حاملا له على الهود ومطهره ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامكم ﴿عَلِيمٌ﴾ مطلع على ما حواه صدركم، وأوحى الله لرسوله ردد الله له السلام لما آلى الإمام الأول والد عرس الرسول الأكرم على عدم إكرام مسطح، وهو رحمة ومعدم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ كوالله أو مصدره الألو ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ورعًا وصلاحًا ﴿وَالسَّعَةِ﴾ أموالا ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ كمسطح، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عما صدر ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مع حكمه المسلط على كل العوالم، ولما سردها الرسول ردد الله له السلام للأمام الأول عاد إلى إكرام مسطح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ عهرا ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾ عما هو عهر لعدم وروده على الصدور ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إسلاما لله ورسوله ﴿لُعِنُوا﴾ طرودا عما هو محط المراحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لما أداه مؤدى لهم ﴿تَشْهَدُ﴾ وروى راوٍ أوله كأمام هاء ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو لدى المعاد ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ العادل ﴿الْمُبِينُ﴾ الساطع أمر عدله.

﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ العواهر ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ كل عاهر ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ أولو العهر ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ العواهر، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ أهل الطهر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ كل طاهر، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ أولو الطهر ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ أهل الطهر كالرسل الكرام ردد الله لهم السلام وحرمهم أهل الطهر ﴿أُولَئِكَ﴾ المراد: الرسول المطهر صلى الله على روحه وسلم وأهله وحاملها على رحلها ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لدى حلولهم دار المأوى والسرور الدائم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ

عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾(١)[آية: ٢٧ - ٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ كما لو سلم وسأل أهل الدار هل أحل داركم أم لا على ما حكاه الرسول

(١) ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات، أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتى على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل على وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزل قوله - تعالى - : ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ لا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُواْ﴾. فقال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام، ليس فيها ساكن، فأنزل الله - تعالى - : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾.

والمراد بالبيوت في قوله - تعالى - : ﴿لا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً...﴾ البيوت المسكونة من أصحابها، بدليل قوله - سبحانه - بعد ذلك، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾. وقوله - تعالى - : ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾، من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف، فهو من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا، ومنه قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا قضى مُوسَى الأجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطور نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امكثوا إني آنَسْتُ نَاراً..﴾ أي: قال لأهله إني رأيت ناراً. ويصح أن يكون من الاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش، لأن الذي يقرع الباب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له أهل البيت في الدخول، زالت وحشته، ودخل وهو مرتاح النفس. وعلى هذا المعنى يكون الكلام من باب المجاز، حيث أطلق اللازم وهو الاستئناس، وأريد الملزوم وهو الإذن في الدخول. والمعنى: يا من آمنتم بالله - تعالى - حق الإيمان، لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها، والتي هي مسكونة لسواكم " حتى تستأنسوا"، أي: حتى تعلموا أن صاحب البيت قد أذن لكم، ورضيت نفسه بدخولكم " وتسلموا على أهلها " أي: وتسلموا السلام الشرعي على أهل هذه البيوت الساكنين فيها. وعبر - سبحانه - عن الاستئذان في الدخول بالاستئناس، لأنه يوحي بأن القادم قد استأنس بمن يريد الدخول عليهم وهم قد أنسوا به، واستعدوا لاستقباله، فهو يدخل عليهم بعد ذلك وهم متهيئون لحسن لقائه. فإذا ما صاحب كل ذلك التسليم عليهم. كان حسن اللقاء أتم وأكمل. انظر التفسير الوسيط (١٨/٧).

الأكرم صلى الله على روحه وسلم ولو أحلوا له الحلول حل وإلا عاد ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ المراد: سؤالكم أهل الدار، وأوحى الله لكم الحكم المسطور ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ حملا لكم على ما هو الأصلح لحالكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ رادا لسلامكم وسؤالكم ﴿فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ المراد: إلى وصول ملاكها وإحلالهم لكم حلولها ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ﴾ لدى السؤال ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ الأمر لعدم الإلحاح على أهل الدار ﴿هُوَ﴾ العود وعدم الإلحاح ﴿أَزْكَى﴾ أطهر ﴿لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ مطلع على الملح وسواه، والسالك مسلك أوامره، ومعامل كل أحد على عمله.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ هو كل محل أعد للأحمال والحمر والرواحل وسواها كرى أو لله ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ هو كرد الحرور والسموم والحر وعكسه ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أوعد كل مطلع على عوار أهل دار.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ عما حرمه الله ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إلا على ما أهل الله لهم كالعرس والأماء ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾ أطهر أو أولى وأحرى ﴿لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ عالم ومطلع على أعمال سائر حواسهم وما حواه صدرهم وما حركه هممهم وما حاولوه وراموه.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الأمر كالأول لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ﴾ وصل كالأول ﴿أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما حرم الله، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما هو عهر، ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالسوار ومحالها ﴿إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كما لو لاح لسوى المحرم سوارها لدى روم أمرها على الأول أو ما حل مرآه، وحكى حله الرسول ردد الله له السلام، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كرره لسرد المحارم وراء إلا وهو ﴿إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ وحكم الأعمام وأولاد والد الأم كحكمهم، ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أهل الإسلام وإلا لا ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ عم كل مملوك إماء أو لا وحل لهم كلهم مرأى السرر إلى الكردوس، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ محال أكل الطعام أو هم كل هرم وممسوح الأولى لا همم لهم إلى الوطء ﴿غَيْرِ﴾ ورواه ولد عامر معمولا على الحال ﴿أُولِي الإِرْبَةِ﴾ الأولى لهم الهمم إلى أمر الوطء ﴿مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لعدم إدراكهم الحلم وعدم اطلاعهم على أمر الوطء، وحكم هؤلاء كحكم المحرم سوى الواطء، ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ مما صار كلمحكم سوى المحارم لكم، وسائر ما حرم الله على العموم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [آية: ٣٢ - ٣٤]:

﴿وَأَنْكِحُوا﴾ الأمر للمولى والولد وما حكمه كحكمهم ﴿الأيَامَى مِنْكُمْ﴾ هو الواحد لا عرس له والعرس لا واطئ لها حرًا أو مملوكا، ولما ردع الله علا اسمه عما هو مؤد إلى العهر أمر الأمر المسطور الموصل مع المسلك الحلال إلى حصول الولد

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أهل الإسلام ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا﴾ الواو للأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه ولا حد لآلائه ﴿عَلِيمٌ﴾ ومطلع على أحوال العلم وسعًا وعدمًا.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أموالا للمهر والمأكل عما هو عهر ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إلى حصول مال للمهر والمأكل وسواه، ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ كمملوكه حر لو أدى لمولاه دراهم معلوما عددها حالا أو إلى مدد للعموم ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إماء أو عكسها ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الأمر لوسط أحواله ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاح أداء الأموال، ﴿وَآتُوهُمْ﴾ الأمر لكل مولى عامل مملوكه على الحكم المسطور وإعطاؤهم لهم كالحط مما حرروه ﴿مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ العهر ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ صلاح الحال وعامل أراد لا مؤدى له لوروده معموله محلا للإكراه ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ﴾ مال ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو لا دوام له، ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للعواهر كرها أو للمكره لو عاد وهاد إلى الله والأولى أولى لما رواه ولد مسعود.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أحكامها وحدودها، ورواها ولد عامر وسواه على الكسر، ﴿وَمَثَلا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وكلاما مسرودا محاك لأحوال الأمم الأولى مروا أولا كآدم روح الله ردد له السلام، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ هم الحاصل لهم الروح لا سواهم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى
زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ
ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا
بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ
وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آية: ٣٥ - ٣٨]:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] المراد: ملمعهما ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ ما حكاه وسط

---

(١) قال الرازي: هل يجوز إطلاق لفظ النور على الله قال الله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ وأما الأخبار فروى أنه قيل لعبد الله بن عمر نقل عنك أنك تقول الشقي من شقي في بطن أمه فقال سمعت رسول الله يقول إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شيء فقد اهتدى ومن أخطأ فقد ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله تعالى واعلم أن القول بان الله تعالى هو هذا النور أو من جنسه قول باطل ويدل عليه وجوه الأول أن النور إما أن يكون جسما أو كيفية في جسم والجسم محدث فكيفياته أيضا محدثة وجل الإله عن أن يكون محدثا الثاني أن النور تضاده الظلمة والإله منزه عن أن يكون له ضد الثالث أن النور يزول ويحصل له أفول والله منزه عن الأفول والزوال وأما قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فجوابه أن هذه الآية من المتشابهات والدليل عليه ما ذكرناه من الدلائل العقلية وأيضا فإنه تعالى قال عقيب هذه الآية ﴿مثل نوره﴾ النور فأضاف النور إلى نفسه إضافة الملك إلى مالكه فهذا يدل على أنه في ذاته ليس بنور بل هو خالق النور بقي أن يقال فما المقتضي لحسن إطلاق لفظ النور عليه فنقول فيه وجوه الأول قرأ بعضهم لله نور السموات والأرض وعلى هذه القراءة فالشبهة زائلة والثاني أنه سبحانه منور الأنوار ومبدعها وخالقها فلهذا التأويل حسن إطلاق النور عليه والثالث أن بحكمته حصلت مصالح العالم وانتظمت مهمات الدنيا والآخرة ومن كان ناظما للمصالح وساعيا في الخيرات فقد يسمى بالنور يقال فلان نور هذه البلد إذا كان موصوفا بالصفة المذكورة والرابع أنه هو الذي تفضل على عباده بالإيمان والهداية والمعرفة وهذه الصفات من جنس الأنوار ويدل عليه القرآن والأخبار أما القرآن فقوله تعالى في آخر الآية ﴿نور على نور يهدي الله﴾ من يشاء النور وأما الأخبار فكثيرة الخبر الأول ما روى أبو أمامة الباهلي عن النبي أنه قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الخبر الثاني عن أنس بن مالك عن النبي أنه قال هل تدرون أي الناس أكيس قالوا الله ورسوله أعلم قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قالوا يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود فإذا دخل النور في القلب انفسح واتسع للاستعداد قبل نزول الموت الخبر الثالث عن ابن مسعود قال تلا النبي قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ الزمر فقلت يا رسول الله كيف يشرح الله صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقلت ما علامة ذلك يا رسول الله قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت الخبر الرابع عن أنس رضي الله عنه قال بينما رسول الله يمشي في طريق إذ لقيه حارثة فقال رسول الله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يتعاوون فيها فقال عليه الصلاة والسلام عرفت فالزم ثم
=

صدور أهل الإسلام ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ أحد كوى الحائط ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ لامع، والدر اللؤلؤ، ورواه والد عمرو وسواه مكسور الدال ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ المراد: محلها وسط معمور المحال لا حر ولا عكسه أو محلها على سطح صحراء أو على أعلا محل ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ﴾ هو هدى الله لأهل الإسلام ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ﴾ للإسلام ومسالكه ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ حسا لحصول كمال الإدراك، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أحاط علمه علا اسمه المحسوس وسواه.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ معمول للعامل وراء اسمه، والمراد كل مصلى ﴿أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أعمارا أو علو سؤدد ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ على العموم، رواه راوٍ للمعلوم وولد عامر لسواه ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾.

=

قال رسول الله من سره أن ينظر إلى رجل نور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى هذا ثم قال يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له فنودي بعد ذلك يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب فاستشهد في سبيل الله الخبر الخامس عن ابن عباس رضي الله عنه قال بينما أنا جالس عند النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ سمع صوتا من فوقه فرفع رأسه إلى السماء فقال إن هذا الباب من السماء قد فتح وما فتح قط فنزل منه ملك فقال يا محمد أبشر بنورين لم يؤتهما أحد من قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الخبر السابع عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي كان يقول اللهم بك نصبح وبك نمسي وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور اللهم اجعلني من أفضل عبادك عندك حظا ونصيبا في كل خير تقسمه اليوم من نور تهدي به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو بلاء تدفعه أو سوء ترفعه أو فتنة تصرفها الخبر الثامن عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي أنه سئل عن أهل الجنة فقال أهل الجنة شعث رؤسهم وسخة ثيابهم لو قسم نور أحدهم على أهل الأرض لوسعهم الخبر التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حاجة أحدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم الخبر العاشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله إن الله عز وجل يقول نوري هداي ولا إله إلا الله كلمتي فمن قالها أدخلته حصني ومن أدخلته حصني فقد أمن الخبر الحادي عشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يدعو أعوذ بكلمات الله التامة وبنوره الذي أشرقت له الأرض وأضاءت به الظلمات من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن درك الشقاء وشر قد سبق الخبر الثاني عشر عن النبي أنه كان يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا والحديث مشهور. انظر تفسير الرازي (١٠٥/١).

﴿رِجَالٌ﴾ لو العامل وراء اسمه للمعلوم كما رواه الأول هو معموله، وعلى ما رواه ولد عامر لمدلوله مطروحا على السؤال ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ مع صلاح حالهم المحرر ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ لهول الأمر وروع الهلاك.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ اللام مع معمولها المصدر معلول للعامل وراء لا وهو إلا لهاء المار ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ هو دار الآلاء والسرور السرمد ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إكراما ما وعده على أعمالهم ولا أدركوه حصرا، ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطاء واسعا لا حصر له.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [آية:٣٩، ٤٠]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أحوالهم على عكس أحوال أولئك ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ ما لألأ على سطح الصحراء لدى الحر كالماء ﴿بِقِيعَةٍ﴾ صحراء ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ وما هو ماء ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما وهمه ﴿وَوَجَدَ اللهَ﴾ المراد: ما أعده الله له على سوء عمله ﴿عِنْدَهُ﴾ الهاء عائد للعمل ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ عامله على عمله ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿أَوْ﴾ أعمالهم ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ ماؤه طام ﴿يَغْشَاهُ﴾ الهاء للطم ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ واحد على واحد وعدد على عدد ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ الهاء لأمواه الطم اعلاها واسمها ﴿سَحَابٌ﴾ أعمى لألأ الهلال وعطارد والسهى ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ اسحم الماء على الطم وما علاه واسحم الركام ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ الهاء عائد لراء ما ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ للسواد الحاصل ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا﴾ هدى ﴿فَمَا لَهُ مِنْ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿نُورٍ﴾ لا هدى وسوى الله علا اسمه.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ

صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ كلهم مصلى وداع وموحد له كلاما أو دال حال ﴿وَالطَّيْرُ﴾ عدد الطائر ﴿صَافَّاتٍ﴾ حال وهو المد وسط الهواء ﴿كُلٌّ﴾ المراد: كل واحد مما عمه الاسم الموصول وما حواه ال ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله علا اسمه ﴿صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ كلاما وعملا لأهل الإدراك والأحلام ودلائل أحوال لسواهم كالطائر والأسد وسواهما.

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المحل والحال ملك ومملوك ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الكل.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي﴾ هو للرواحل الحداء لها ﴿سَحَابًا﴾ حاصل المراد هو الإرسال ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ موصل عدد احاده واحد إلى واحد ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ واحدا على واحد ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ هو المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام على حد كل ما علاك سماء ﴿مِنْ﴾ ما هو ك ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ الهاء للسماء، والمراد الركام ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ عامل الكسر حاسر لما عماه الأطواد ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ الهاء لدر الماء والهواء ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا﴾ لآلئ ﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ مرأى كل راء.

﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ المراد: أحوالها كالطول وعكسه والسواد وعكسه والحر وعكسه أو مع ما حرر حلول كل واحد محل ما وراءه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر مرده ﴿لَعِبْرَةً﴾ إحدى الدلائل ﴿لأولِي الأَبْصَارِ﴾ أهل الإدراك.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ

رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آية:٤٥، ٤٦]:

﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ هو الماء الوارد إلى الرحم، ولا حصر لورود أحد الهوام ولا ماء ولا رحم أصلا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالصل، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كولد آدم والطائر، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالأسد والحمار والهر؛ ﴿يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ مما حرر وعهد، ومما لا عهد له لدى العالم، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ كلها دلائل لكم على الواحد الأحد ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلام الموصل إلى دار السلام، ولما داعى ولد وائل ولد عم رسول الله وهو الكرار، وأراد ولد عم الرسول إسماع دعواه لرسول الله صلى الله على روحه وسلم ورد ولد وائل ما رامه ولد عم الرسول أوحى الله لرسوله ردد الله له السلام.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [آية:٤٧، ٥٠]:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الواو لأهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ حكمهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الكلام والدعوى راد الحكم الله ورسوله ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الحاصل إسلامهم كلاما وصدرا وعلما وعملا.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ﴾ حكمه وما أوحاه لرسله ﴿وَرَسُولِهِ﴾ الحاكم كما حكم الله وأمره ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ لعلمهم عدم حكم الرسول لهم لسلوكهم على سوى مسلك العدل ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ الحكم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾ الهاء عائد إلى الحكم أو إلى الرسول ﴿مُذْعِنِينَ﴾ سراعا لعلمهم حصول الحكم لهم ﴿أَفِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ إلحاد ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ ووهموا عدم حكمك كما أمرك الله ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أم راعهم عدم عدل الله ورسوله لا ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٥١، ٥٢]:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد: الكلام الأولى والأحرى لحال أهل الإسلام المعهود كمال إسلامهم وصلاح حالهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لحكم الله ورسوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمرهما وحكمهما ﴿وَيَخْشَ اللهَ﴾ على ما صدر، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ معامل كالمصحح ولولاها لكسر ما أمه الهاء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ المراد: لهم دار السلام.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٥٣، ٥٤]:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ مكرا للعدو ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ﴾ لهم ﴿لا تُقْسِمُوا﴾ على ما لا أصل له ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ معلوم أمرها أولى مما هو موهوم ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ كلامكم كلام طائع وعملكم عاص وسرائركم وما حواه صدركم معلوم لمولاكم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ مطروح الأول ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿مَا حُمِّلَ﴾ هو أمر الإرسال وأداؤه لهم ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ هو السلوك على ما أمركم، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أداء الإرسال الساطع أمره.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [آية:٥٥ - ٥٧]:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ محل أهل الإلحاد مملكهم ما حواه أعداؤهم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ للمعلوم وسواه ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وملكهم مصر وسواه وهم الهود، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ هو الإسلام كعلوه على سائر الملل سواه ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ العدو ﴿أَمْنًا﴾ لهم، وحصل كله كما وعد الله علا اسمه ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ حال الاسم الموصل أو أول كلام مؤسس على سؤال مطروح ﴿لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ حال الواو، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الوعد المسطور ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكامل سكوعهم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ سلوكًا على سائر أوامره ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أمل حلولكم دوائر مراحم أرحم الرحماء.

﴿لا تَحْسَبَنَّ﴾ رووه للسامع وسواه، وعلى كل هو الرسول الأكرم صلى اللهم على روحه وسلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله إدراكا وإهلاكا ﴿فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد والمأوى دار الدرك[1].

(١) قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد بالنصرة. وقراءة العامة ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء خطابا. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو حيوة ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، بمعنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين الله في الأرض، لأن الحسبان يتعدى إلى مفعولين. وهذا قول الزجاج. وقال الفراء وأبو علي: يجوز أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أي لا يحسبن محمد الذين كفروا معجزين الأرض. فـ ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول أول، و﴿مُعْجِزِينَ﴾ مفعول ثان. وعلى القول الأول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿أنفسهم﴾ مفعول أول، وهو محذوف مراد ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مفعول ثان. قال النحاس: وما علمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا إلا وهو يخطئ قراءة حمزة؛ فمنهم من يقول: هي لحن؛ لأنه لم يأت إلا بمفعول واحد ليحسبن. وممن =

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لما كمل الكلام على حكم المملوك العائد إلى الله عاد إلى إكمال حكمه العائد إلى مالكه، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ﴾ وكلها محال طرح الرداء والكساء وروم الواحد أهله ووطاءه ﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ محمول على أول كلام مطروح أو معمول على وهم العامل المكرر لما حاكاه أول الكلام ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ﴾ الهاء لكل مملوك لهم وللأحرار الأولى ما أدركوا الحلم ﴿جُنَاحٌ﴾ ردع وملام ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ سوى المحال المحرر حكمها ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ لمصالحكم ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وحاصل أول الكلام ومحموله مؤكد للأول ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الأحكام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ مطلع على أموركم وأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ محل أوامره محلها.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ الكلام للأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ على الحكم المار ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم الأحرار الأولى أدركوا الحلم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرره مؤكد للحكم الأول.

=

قال هذا أبو حاتم. وقال الفراء: هو ضعيف؛ وأجازه على ضعفه، على أنه يحذف المفعول الأول، وقد بيناه. قال النحاس: وسمعت علي بن سليمان يقول في هذه القراءة: يكون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في موضع نصب. قال: ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الأرض. قلت: وهذا موافق لما قاله الفراء وأبو علي؛ لأن الفاعل هناك النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا القول الكافر. و﴿مُعْجِزِينَ﴾ معناه فائتين. وقد تقدم. ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠١).

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٦٠]:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ عما هو دم وحمل للهرم ﴿اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ للهرم الحاصل وعدم الطامع ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ كالرداء وما حاكاه ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ ساطع أمرها ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ كعدم طرح الرداء وما حاكاه ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦١]:

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ ردع وملام، والحكم المحرر رد لما وهمه الأصحاء، وهو عدم الأكل مع هؤلاء، ﴿وَلا﴾ ردع ولا ملام ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ المراد: دور أولادكم ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ كدار مملوكه أو ما وكلوا على كلئه ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وكله لو علم الأكل سرور المأكول طعامه وإلا لا، أو علم السرور لأهل الود وأكل طعام المحارم حلال علم السرور أو لا، أو الحكم المسطور ورد أول الإسلام ومحا الله حكمه ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ كل أحد وحده ورد ردا لما حرموا الطعام لدى عدم المؤاكل ورائم الأكل لو حصل معه مؤاكل حل له الأكل وإلا لا، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ مما مر سرده ﴿فَسَلِّمُوا

عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ المراد: سلموا على أهلها الأولى هم محارمكم أو أهلكم أو أولادكم، أو المراد: لو حل دارا لا أهل لها سلم على روحه، وعلى كل مملوك لله صالح وراد سلامه الأملاك كما ورد وحكاه الرسول الأكرم ردد الله له السلام ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الأحكام والمعالم وكرره مؤكدا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ صلاح أمركم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [آية: ٦٢]:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ المراد: أهل الكمال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ مصمما صدرهم وكلامهم على الإسلام ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ مع الرسول ردد الله له السلام ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كما لو صلوا معه أو كروا على عدوهم ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لأمر ما ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ لكمال إسلامهم وحرصهم على أوامر مولاهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ﴾ الكلام للرسول ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ومهامهم ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ المراد: الأمر موكول لك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾[1][آية: ٦٣، ٦٤]:

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿لا تجعلوا دُعاءَ الرسولِ بينكم كدُعَاءِ بعضِكم بعضاً﴾ أي: إذا احتاج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم لأمر جامع، فدعَاكم، فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً، ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الراعي؛ لأن أمره - عليه الصلاة والسلام - وشأنه ليس كشأنكم: أو: لا تجعلوا دعاء =

﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ كما لو صاحوا له ودعوه آمحمد آأحمد كدعاء واحدهم لأحدهم، والمراد: ادعوه رسول الله وهو الأحرى والأولى لكرمه على مولاه وسموه علاه صلى الله على روحه وسلم، أو المراد: دعاء الرسول إلى مصلى أو مكر، والمراد: إسراعهم لأمره وما رامه وعدم إهمال دعائه ردد الله له السلام كإهمال دعاء أحدهم لواحدهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ كمطورهم ورسول الله وسط المصلى، أو حال الكر على الأعداء ﴿لِوَاذًا﴾ وراء أحد أو معه، وهو معمول على الحال للواو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أمر الله أو الرسول، وكلاهما واحد ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأواء حالا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لدى المعاد مآلا.

﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ علمًا مؤكدًا، والمراد: هو معاملكم على عملكم الصالح والطالح، (وَ) عالم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) الهاء لله علا اسمه ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأعمال صالحها وطالحها وسواها.

=

الرسول على أحد، كدعاء بعضكم على بعضاً، فإنَّ غضبه عليه ليس كغضبكم؛ لأن غضبه غضب الله، ودعاءه مستجاب. وهذا يناسب ما قبله من جهة التحذير عن ترك الاستئذان، فإنَّ من رجع بغير استئذان معرض لغضبه - عليه الصلاة والسلام - ودعائه عليه. أو: لا تجعلوا نداءه صلى الله عليه وسلم كنداء بعضكم بعضاً؛ كندائه باسمه، ورفع الصوت عليه، ونداله من وراء الحُجرات، ولكن بلَقَبه المعظم؛ يا رسول الله، يا نبي الله، مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت. قال القشيري: أي: عَظِّموه في الخطاب، واحفظوا حرمته وخدمته في الأدب، وعانقوا طاعته على مراعاة الهيبة والتوقير. هـ. فالإضافة، على الأولَيْن: للفاعل، وعلى الثالث؛ للمفعول، لكنه بعيد من المناسبة لما قبله ولما بعده في قوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ أي: يخرجون قليلا قليلا على خِفْيَةٍ منكم، ﴿لِوَاذاً﴾ أي: ملاوذين، بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمن يخرج بالإذن؛ إراءة أنه من أتباعه. أو مصدر، أي: يلوذون لواذاً. واللواذ: الملاوذة، وهي التعلق بالغير، وهو أن يلوذ هذا بهذا في أمر، أي: يتسللون عن الجماعة؛ خفية، على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض. انظر البحر المديد (١٦٢/٥).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفرقان

مكية، وآيها سبع وسبعون آية

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾[1] [آية: ١ - ٣]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ اختلف في معناه؛ فقال الفراء: هو في العربية و"تقدس" واحد، وهما للعظمة. وقال الزجاج: ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة. قال: ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير. وقيل: ﴿تبارك﴾ تعالى. وقيل: تعالى عطاؤه، أي زاد وكثر. وقيل: المعنى دام وثبت إنعامه. قال النحاس: وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق؛ من برك الشيء إذا ثبت؛ ومنه برك الجمل والطير على الماء، أي دام وثبت. فأما القول الأول فمخلط؛ لأن التقديس إنما هو من الطهارة وليس من ذا في شيء. قال الثعلبي: ويقال تبارك الله، ولا يقال متبارك ولا مبارك؛ لأنه ينتهي في أسمائه وصفاته إلى حيث ورد التوقيف. قلت: قد ذكر بعض العلماء في أسمائه الحسنى "المبارك" وذكرناه أيضا في كتابنا. فإن كان وقع اتفاق على أنه لا يقال فيسلم للإجماع. وإن كان وقع فيه اختلاف فكثير من الأسماء اختلف في عده؛ كالدهر وغيره. وقد نبهنا على ذلك هنالك، والحمد لله. و﴿الفرقان﴾ القرآن. وقيل: إنه اسم لكل منزل؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. وفي تسميته فرقانا وجهان: أحدهما: لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. الثاني: لأن فيه بيان ما شرع من حلال وحرام؛ حكاه النقاش. ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يريد محمدا صلى الله عليه وسلم. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ اسم "يكون" مضمر يعود على ﴿عبده﴾ وهو أولى لأنه أقرب إليه. ويجوز أن يكون يعود على ﴿الفرقان﴾. وقرأ عبد الله بن الزبير: ﴿عَلَى عِبَادِهِ﴾. ويقال: أنذر إذا خوف؛ وقد تقدم في أول "البقرة". والنذير: =

﴿تَبَارَكَ﴾ علا وسمَا ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ كلام الله المكرم ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ﴾ كلامه أو محمد رسوله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ المرسل لهم الرسول ﴿نَذِيرًا﴾ مروعهم مما صادم أمر مولاهم.

﴿الَّذِي﴾ معمول على وهم عود عامل الاسم الموصول الأول، أو معمول على المدح ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكًا ومملوكًا ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما ادعاه أهل العمى المرسل لهم الروح ردد الله له السلام ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما ادعاه أهل الركوع إلى الصور كود وسواع ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ سواه وأهله لما أراده له.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ الهاء لله علا اسمه، والمراد سواه ﴿آلِهَةً﴾ صورا ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ المركوع لهم هو مصورهم، ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ رده أو أراده أحد لهم ﴿وَلا نَفْعًا﴾ لوهم أو لو أدراك وأرادوه ﴿وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ لأحد، والمراد: مالك هؤلاء هو الإله وما سواه مملوك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أرادوا كلام الله المكرم ﴿إِلا إِفْكٌ﴾ كلام لا أصل له ولا هو كلام الله كما ادعاه محمد ردد الله له السلام ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُ﴾ الهاء للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَيْهِ﴾ على الكلام المسطور ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ كعداس وسواه أطلعوه على ما صدر وحصل للأمم الأول وهو سطره مع ما

=

المحذر من الهلاك. الجوهري: والنذير المنذر، والنذير الإنذار. والمراد بـ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ هنا الإنس والجن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان رسولا إليهما، ونذيرا لهما، وأنه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيره عام الرسالة إلا نوح فإنه عم برسالته جميع الإنس بعد الطوفان، لأنه بدأ به الخلق. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/١).

علمه وادعاه لله ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾ لادعائهم ما حاصله كلام الله علا اسمه هو كلام لعداس أو سواه ﴿وَزُورًا﴾ على الرسول لما وهموه هو المؤسس لكلام وادعاؤه لله لا أصل له.

﴿وَقَالُوا﴾ وادعوا سوى ما حرر وهو ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما سطره الأمم الأول ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ حررها له محرر سواه ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ مكررا لها أمورًا على سمعه.

﴿قُلْ﴾ لهم ردا لدعواهم ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما لا وصل للعلم له كحلول المطر وما حل الأرحام وورود الحمام ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لكل موحد ﴿رَحِيمًا﴾ لحالهم.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [آية: ٧ - ١٠]:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ مرادهم مع ادعائه الإرسال هو ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كأكل ولد آدم كلهم ﴿وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ وأحواله كلها كأحوال ولد آدم ومرادهم لو صح ما ادعاه وهو الإرسال لعاكس حاله أحوالهم ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ مسلما له لكل دعوى ادعاها.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ مال واسع مؤد إلى عدم مسعاه ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ محل حاو للكلأ والسمراء والأمواه وسواها ﴿يَأْكُلُ﴾ ورواه راوٍ على وروده للمكلم ومعه سواه ﴿مِنْهَا﴾ كما لسائر أهل الوسع والأموال ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ المراد: أهل الإلحاد لأهل الإسلام ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا﴾ سحره سواه وآمال حلمه وإدراكه أوله سحر وهو واحد اللها، أو هو ممر الروح، ومرادهم أحد ولد آدم لا ملك.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ حاولوا لك أحوالا لا أصل لها كحصول المال، وحلول الملك معه والمسحور ﴿فَضَلُّوا﴾ عما هو هدى وما هو موصل إلى إدراك درر

العوالم وهم الرسل ردد الله لهم السلام ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ مسلكا إلى رد أمر إرسالك أو إلى الهدى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ مما أوردوه لك كالأموال وسواها ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أمواهها ﴿وَيَجْعَلْ﴾ رد الواو على محل مكمل العامل، ورواه ولد عامر وسواه مسموكا ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ وهل هو وعد لدى المعاد مآلا أو للحال، كلاهما رواه أهل العلم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [آية: ١١ - ١٦]:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ وما أدركوا إلا حطام الدار الأولى وما لا دوام له وعموا عما هو دائم وهو أمر المعاد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾ أمر المعاد ﴿سَعِيرًا﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ المراد: حصل مرآهم لها ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ حد وصول المرآى ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ أو لأملاكها ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ حال للمحل وراءه ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ الكدر حاصل معه والروح والسرور مع وسع المحل كما هو معلوم ومحسوس لكل أحد ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ هو أحكام وكاء الكوع مع الكود ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أراد وراموا الهلاك وورده وكلام الأملاك لهم.

﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا ﴿وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ على عدد الآلام لكم.

﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ ما أوعده الله أهل العمى، وهو دار الدرك والأهوال المار سردها ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ كما علم الله حلولهم وسطها أو كما سطر حلولهم وسط اللوح، أو على حكم ما وعدهم لحصول وعده كما وعد ﴿جَزَاءً﴾ على إسلامهم وأعمالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ معادًا ومردًا.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ الآلاء اللّاء وصل إدراكهم لها على سلوك همم للكامل

والأكمل وعلوها ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مراد حصولها، وهو إما للواو أو الهاء ﴿كَانَ﴾ اسمها إما عائد للاسم الموصول وهو ما أو لمصدر وعد المار، ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾ والسائل هو الموعد أو الأملاك.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾(١) [آية: ١٧ - ١٩]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ راجع إلى قوله ﴿وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءالِهَةً﴾ (الفرقان ٣) ثم ههنا مسائل

المسألة الأولى يَحْشُرُهُمْ فنقول كلاهما بالنون والياء وقرىء نَحْشِرُهُمْ بكسر الشين المسألة الثانية ظاهر قوله ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ أنها الأصنام وظاهر قوله فَيَقُولُ ﴿أَءنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي﴾ أنه من عبد من الأحياء كالملائكة والمسيح وغيرهما لأن الإضلال وخلافه منهم يصح فلأجل هذا اختلفوا فمن الناس من حمله على الأوثان فإن قيل لهم الوثن جماد فكيف خاطبه الله تعالى وكيف قدر على الجواب فعند ذلك ذكروا وجهين أحدهما أن الله تعالى يخلق فيهم الحياة فعند ذلك يخاطبهم فيردون الجواب وثانيها أن يكون ذلك الكلام لا بالقول اللساني بل على سبيل لسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات وكلام الأيدي والأرجل وكما قيل سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وأما الأكثرون فزعموا أن المراد هو الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام قالوا ويتأكد هذا القول بقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاء إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ ٤٠) وإذا قيل لهم لفظة (ما) لا تستعمل في العقلاء أجابوا عنه من وجهين الأول لا نسلم أن كلمة (ما) لما لا يعقل بدليل أنهم قالوا (من) لما لا يعقل والثاني أريد به الوصف كأنه قيل (ومعبودهم) وقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا﴾ (الشمس ٥) ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (لكافرون ٣) لا يستقيم إلا على أحد هذين الوجهين وكيف كان فالسؤال ساقط المسألة الثالثة حاصل الكلام أن الله تعالى يحشر المعبودين ثم يقول لهم أأنتم أوقعتم عبادي في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم قالت المعتزلة وفيه كسر بين لقول من يقول إن الله يضل عباده في الحقيقة لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الجواب الصحيح أن يقولوا إلهنا ههنا قسم ثالث غيرهما هو الحق وهو أنك أنت أضلتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا إضلالهم إلى أنفسهم علمنا أن الله تعالى لا يضل أحداً من عباده فإن قيل لا نسلم أن المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه فإنهم قالوا ﴿وَلاكِن مَّتَّعْتَهُمْ =

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ الله علا اسمه، ورواه راوٍ على وروده لعلو كمال المكلم كما لو كلم ومعه سواه ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد: سواه كالروح والأملاك ردد الله لهم السلام وسائر الصور كود وسواع ﴿فَيَقُولُ﴾ الله علا اسمه، ورواه ولد عامر على وروده للمكلم كما لو كلم ومعه سواه ﴿أَأَنْتُمْ﴾ السؤال لسطوع أمر الرد على الركع لسوى الله ممهدا لحصول الكدر لهم ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ﴾ لسوء آرائهم وعدم إدراكهم مسلك الهدى وردهم دعوى الرسل ﴿ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ المسلك الموصل إلى الله.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ المراد سواك ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد للعدم لا مؤدى له سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أحدهم لوروده معصوما كالرسل والملك واحدهم لعدم صلاحه لأمر ما كالصور لعدم الحس والإدراك ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ آلاء وإكراما وطول عمر ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ لآلائك أو كلامك المكرم، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى وواحده كهالك.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ رد المركوع لهم دعوى الركع ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ وهو ادعائكم لهم أحكام الإله أو ادعائكم ردهم لكم إلى مسالك العمى ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ ورواه راوٍ إلى السامع ﴿صَرْفًا﴾ ردا لما أعده الله لكم على سوء عملكم وإلحادكم ﴿وَلا نَصْرًا﴾ ردء على الرد المسطور ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ ركوعا إلى سوى الله علا اسمه والكلام عام لسائر الأمم ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ هو دار الدرك وسوء المرد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [آية:٢٠]:

=

وَءابَاءهُمْ حَتَّى نَسُواْ الذّكْرَ﴾ وهذا تصريح بأن ضلالهم إنما حصل لأجل ما فعل الله بهم وهو أنه سبحانه وتعالى متعهم وآباءهم بنعيم الدنيا قلنا لو كان الأمر كذلك لكان يلزمهم أن يصير الله محجوباً في يد أولئك المعبودين ومعلوم أنه ليس الغرض ذلك بل الغرض أن يصير الكافر محجوجاً مفحماً ملزماً هذا تمام تقرير المعتزلة في الآية أجاب أصحابنا بأن القدرة على الضلال إن لم تصلح للاهتداء فالإضلال من الله تعالى وإن صلحت له لم تترجح مصدريتها للإضلال على مصدريتها للاهتداء إلا لمرجح من الله تعالى وعند لذلك يعود السؤال وأما ظاهر هذه الآية فهو وإن كان لهم لكنه معارض بسائر الظواهر المطابقة لقولنا. انظر تفسير الرازي (٢٤/٥٤).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا﴾ رسلا ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ وحكمك وحكمهم واحد ولامهم ملاؤهم كما لامك ملاؤك على أكل الطعام وسواه، والكلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ كأهل الأموال لأهل العدم والأصحاء لأهل العلل والداء والأمراء والرؤساء لكل صعلوك والعلماء لعكسهم والرسل الكرام للعوالم، والكل حساد للأول على ما أكرمهم مولاهم ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على سماعكم المكروه سؤال وارد مورد الأمر ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ مطلعا على أحوال المسلم أمره لمولاه مع سماعه المكروه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾﴾ [آية:٢١، ٢٤]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لردهم أمر المعاد ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ﴾ رسلا أو مع محمد دوال على إرساله ردد الله لهم السلام ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ آمرًا اسلموا لمحمد وهو رسول ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لما أرادوا ما أراده ردد الله له السلام وهو رسول معصوم مكمل وما وصل له ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أورد لهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ﴾ هم أملاك الألم ﴿لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ولأهل الإسلام السرور الكامل والمراحم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد أو للأملاك ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ كلام هم حاكوه لدى ورود عدو أو أمر مكروه، وحاصله الدعاء إلى الله لرده، وعلى حمله للأملاك المراد: حراما محرما على أهل الإلحاد الحلول لدار السلام أو السرور.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ صالح كوصل الرحم وإطعام الطعام ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾ هو العفار الساطع وسط الهواء ﴿مَنْثُورًا﴾ لا رَكمَ له أمد الدهر والإعصار لإعطاء المولى لهم على أعمالهم الآلاء حالا لا مآلا لدى المعاد ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا﴾ هو حلول الدار حال الحر، والمراد: محل أهل الإسلام وهو دار السلام محل السرور، ومحل أولئك، وهو دار الدرك والألم محل الكدر السرمد.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴾ [آية:٢٥، ٢٩]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لا ورد مطروح ﴿تَشَقَّقُ﴾ وروى ولد عامر وسواه ما أمه الوسط كالوسط ﴿السَّمَاءُ﴾ كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾ المراد: معه لا وحدها ﴿وَنُزِّلَ﴾ كوحد ولسوى المعلوم، ورواه راوٍ كأكرم على وروده للمكلم كما لو كلم ومعه سواه ﴿الْمَلائِكَةُ﴾ وسط الركام ومعهم طروس أعمال الأمم ﴿تَنْزِيلا﴾ مصدر مؤكد لعامله.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ ولو هو المالك على كل حال لهلاك الملاك كلهم ما عدا الواحد الأحد إعطاء للمالك صورا حكم المالك أصلا، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ لا على أهل الإسلام.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾ هو للعموم أو لواحد معلوم ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ سدمًا على ما مرَّ وصدر ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿سَبِيلا﴾ مسلكا إلى الهدى.

﴿يَا وَيْلَتَى﴾ ورواه راوٍ على أصله، ومؤداه كمؤدى وأهلكاه ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا﴾ المراد: كل اسم صالح للعلم أو احد معلوم كما مر حكم أل ﴿خَلِيلا﴾.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ هو لا إله إلا الله، وسماع كلام الرسول أوامره وروادعه، أو هو كلام الله المكرم ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ﴾ الملحد ﴿خَذُولا﴾ والاه وأوصله إلى الهلاك ولما هلك لوسواسه حاد ومطر.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ سماعا.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هو كلام الله، والمراد كما لك أعداء ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ

الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك إلى مسلك كهرهم، ﴿وَنَصِيرًا﴾ لك على أعدائك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

[آية: ٣٢ - ٣٤]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما ورد الكلام الموحى لموسى وداوود والروح ردد الله لهم السلام ورد الله ما أوردوه مما لا طائل له لما أوحى لرسوله ﴿كَذَلِكَ﴾ ورد لك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ولولاه لما وسعه صدرك إلا مع العسر ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾ على مهلٍ لعدم عسر إدراكه وحرسه.

﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال وارد لطموس مدعاك ﴿إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الهادم لما أسسوه وسألوه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ مؤدى ومراما مما سألوه وأدلَّ على إرسالك.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾[١] الاسم الموصل محمول على هم مطروح، أو أول كلام ومحموله ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ مسلكا وواردا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي: يُحشرون كائنين على وجوههم، يُسحبون عليها، ويجرون إلى جهنم. وقيل: مقلوبين؛ وجوههم إلى قفاهم، وأرجلُهم فوق، ﴿أولئك شرٌّ مكاناً﴾ أي: مكانة ومنزلة، أو: مسكناً ومنزلا، ﴿وأضلُّ سبيلا﴾؛ وأخطأ طريقاً. ونزلت الآية لَمَّا قالوا: إن أصحاب محمد شر خلق الله وأضل الناس طريقاً. وقيل: المعنى: إن حاملكم على هذه السؤالات اعتقادُكُمَ أن محمداً ضال، ومكانه حقير، ولو نظرتم إلى ما يؤول إليه أمركم، لعلمتم أنكم شر منه مكاناً، وأضل سبيلا. والله تعالى أعلم. الإشارة: تثبيت القلوب على الإيمان، وتربية اليقين، يكون بصحبة الأبرار ورؤية العارفين الكبار، والترقي في معاريج التوحيد، إلى أن يفضي إلى مقام العيان، يكون بعقد الصحبة مع أهل التربية، وخدمتهم وتعظيمهم، حتى يوصلوه إلى ربه. ومن شأنهم أن الله يدافع عنهم، ويجيب من سألهم تشغيباً، فيلهمهم الجواب، فضلا منه، فلا يُسألون عن شيء إلا جاءهم بالحق وأحسن تفسيراً، ثم هدد من صغَّرهم وحقَّر شأنهم بقوله: ﴿الذين يُحشرون...﴾ الآية. والله تعالى أعلم. انظر البحر المديد (١٢٨/٥).

كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [آية: ٣٥ - ٣٩]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ردءاً على إعلاء أوامر الله وإحكام أحكامه.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ عدو موسى وملاؤه أهل مصر ﴿بِآيَاتِنَا﴾ كالعصا وسواها ومطر موسى وردؤه ردد الله لهما السلام إلى أعدائهما كما أمر الله وردوا دعواهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ المراد: أهلكلهم الله إهلاكا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ لما ردوا دعوى الرسول المحرر وهو رسولهم صاروا كما لو ردوا مدعى الرسل كلهم لدعوى سائر الرصد الأمم إلى أصل واحد وهو لا إله إلا الله ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مآلا لدى المعاد سوى اللم الأول.

(وَ) أورد لهم (عَادًا) هم ملأ هود، ﴿وَثَمُودَ﴾ ورواه راوٍ كأحمد، وهؤلاء هم ملأ صالح، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ ملأ ركع للصور كود وسواع داروا حول الرس وأهلكهم الله، أو هم ملأ دسوا رسولهم وسط الرس ولما هلك دمرهم الله ﴿وَقُرُونًا﴾ أمما سواهم أهل إعصار ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ملأ هود، وصالح، وأهل الرس ﴿كَثِيرًا﴾ ما أحصى عددها إلا الله.

﴿وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾ ولاح لهم الدلائل، ولما أصروا على سوء عملهم أهلكوا كما حكى الله علا اسمه وهو ﴿وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكهم الله إهلاكا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [آية: ٤٠ - ٤٢]:

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ ملحدو أم رحم، والمراد: مروا مرارا ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ سدوم محل رؤساء ملأ لوط ﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ لما لاط أهلها وأهلكهم الله كلهم ﴿أَفَلَمْ

يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ لدى مرار مرورهم على رسومها ﴿بَلْ كَانُوا﴾ ملحدا أم رحم ﴿لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ عودًا لدى المعاد كما هو أمل أهل الإسلام.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ الكلام للرسول محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إلا هُزُوًا﴾ وكلامهم ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولا﴾ على دعواه.

﴿إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد مطروح اسمه وهو الهاء ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ على الركوع لها والإمساك لأمرها، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ المعد لهم لدى المعاد ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ واردًا ومسلكا أهم أم أهل الإسلام، والمراد: ولو أمهلهم الله ما أهملهم.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿أَرَأَيْتَ﴾ احك والسؤال للأمة ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أطاع هواه ﴿أَفَأَنْتَ﴾ السؤال للرد ﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾ كالئًا له عما هو سلوك على مسلك هواه لا.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ كلامك لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ﴾ لعدم إدراكهم دلائل الإرسال ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ لإدراكها ما هو الصالح لها وهؤلاء لا إدراك لهم لصالحهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٤٥ - ٥٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ حال مرور سواد المد لهم إلى الطلوع ﴿وَلَوْ

شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ دائما أمدا ما هو حائل لطلوعها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ الهاء لمعمول مد ﴿دَلِيلا﴾ ولولاها ما علم ولا أدركه الحس ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ الهاء عائد لمعمول مد الممدود ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ كطلوعها، ولما أورد مد، والمراد: أسار أورد وراءه عكسه، أو المراد سهلا، وحصوله لدى حلول أمر العالم وأعمارها كلها.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ كلا ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ حاسما للأعمال ومراحا للعوالم، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ لروم المأكل وسائر المصالح.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿بُشْرًا﴾ كسعر، ورواه راوٍ كصلح، وراوٍ أوله الموحده، وراوٍ كعصر ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ المراد: أمام المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ اسم لكل ما علا وهو الركام ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿طَهُورًا﴾ مطهرا.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لعدم الكلأ والمحصود ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ الهاء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ كالرواحل والحمل والحمر وسؤالها ﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ أولاد آدم ﴿كَثِيرًا﴾ كأهل المدر.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الهاء للمطر ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ آلاء الله، ورواه راوٍ كأكل ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ عدم الحمد على آلاء المولى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ رسولا مروعا أهلها سواك، ولعلو سؤدد محمد صلى الله على روحه وسلم أرسله الله إلى سائر الأمم أهل الأمصار وأهل المدر ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ مائلا إلى هواهم، ولعله ردع للرسول محمد ردد الله له السلام، والمراد: ردع أهل الإسلام ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لعلو مكر العلم والدلائل على مكر الحسام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [آية: ٥٣ - ٥٥]:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما مرصوصا واحد إلى واحد ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ حاسم حر الأوام، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ملح كل الملح ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ رادًا ورادعا لحصولهما طما وماء واحدا، ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ حدا محدودا.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ هو الماء الوارد على الأرحام لدى الوطء ﴿بَشَرًا﴾

ولد آدم ﴿فَجَعَلَهُ﴾ إما ﴿نَسَبًا﴾ وهو الواطئ (وَ) إما (صِهْرًا) وهو الأهل والعرس ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الماء الوارد على الأرحام مساوٍ آحاده والمولود الحاصل معاكس إعداده.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ الواو لكل عادل وملحد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لا يَنْفَعُهُمْ﴾ لو ركعوا له، ﴿وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ لو حادوا وما ركعوا للصور ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ كل عادل وملحد ﴿عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ مساعدا للوسواس عدم آدم وأولاده على الإلحاد والعدل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [آية: ٥٦، ٥٧]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا﴾ لأهل الإسلام، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مردعا أهل العدل والإلحاد ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الهاء لأداء أمر الإرسال ﴿مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أَجْرٍ﴾ مال وعطاء ﴿إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ المراد: لا أسألكم عطاء على أداء أوامر الله لكم إلا عملا صالحا موصلكم إلى الله، أو المراد إلا إعطاء مال لأهل العدم، أو للأرحام، أو ما حاكاهما لا له ردد الله له السلام.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾(١) هو الدائم العطاء وما سواه هالك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ اعل كماله عما هو وصم واحمده أمد العمر على آلائه ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ﴾ معمول أمام العامل، وهو ما أدى مؤدى مطلعا ﴿عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ مطلعا وعالما، وما على الرسل لو أسلم الأمم أو ألحدوا.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ تقدم معنى التوكل في ﴿آل عمران﴾ وهذه السورة وأنه اعتماد القلب على الله تعالى في كل الأمور، وأن الأسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار به من الشركاء. والتسبيح التنزيه، وقد تقدم. وقيل: ﴿وَسَبِّحْ﴾ أي وصل له؛ وتسمى الصلاة تسبيحا. ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ أي عليما فيجازيهم بها. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٦٢).

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ مدد كـ ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولو أراد حصول العالم كله على أسرع حال لحصل ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ ملك ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو واحد سرر الملك ووحد سرده لملك سواه ملك الأولى أو الله أعلم ما المراد ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ﴾ الأمر لكل أحد أراد السؤال ﴿بِهِ﴾ الهاء لله علا اسمه، والمراد: السؤال عما هو الأولى والأحرى لكمال الإله الواحد الأحد أو للسؤال عما حرر، وهو أمر السماء وأحوال حصولها ﴿خَبِيرًا﴾ عالمًا له الإطلاع والعلم الكامل، وهو الله علا اسمه أو هو الملك الروح ردد الله له السلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ هم ملحدو أهل الحرم الحرام ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ ووحدوه ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ سألوا وأوردوا ما لعدم سماعهم ورود الاسم المحرر لله ووهموا مسمى سوى الله ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع والآمر على كل هو محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر المحرر ﴿نُفُورًا﴾ عما هو الهدى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ علا وسما كماله ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ كالحمل والأسد والدلو، أعدها الله لحلول عطارد وما حكمه كحكمه، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ الهاء للسماء ﴿سِرَاجًا﴾ محا لألاؤه وطلوعه سواد المساء، ورواه راوٍ كسعر للعدد ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ حل كل محل الأول ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ ورواه راوٍ على وروده كأكل ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ وحمدا لمولاه على ما أولاه.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ

لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا
يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا
﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ
فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾﴾ [آية: ٦٣ - ٧٧]:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أول كلام محموله أولئك ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ لا سمودًا ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ وكلموهم كلامًا كرهوه ﴿قَالُوا سَلامًا﴾ كلموهم كلام سداد مسلما عما هو حرام أو مكروه.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ طول المساء وهو عدد، أو مصدر سرى مسرى العدد.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لدى دعائهم مع عملهم الصالح المسطور ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ دائما لا حول له؛ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ على أحد ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ هو إعطاء الأموال وإهلاكها على ما حرم الله ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ كعدم إعطاء السهم المحدود كما أمر الله ﴿وَكَانَ﴾ إعطاؤهم الأوال ﴿بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وسطا وعدلا.

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ حرم إهلاكها ﴿إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإلحاد والإهلاك والعهر أحدها أو كلها ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ هو ما أعده الله للعامل على العمل السوء.

﴿يُضَاعَفْ﴾ ورواه راوٍ كسدد ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ﴾ ورواه ولد عامر

مطموح الدال كالأول ﴿فِيهِ مُهَانًا﴾ حال.

﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المار سردها ﴿حَسَنَاتٍ﴾ لدى المعاد كإلهامهم الهود إلى الله، ومحو سوء أعمالهم، أو المراد: إلهامهم سلوك الوارد الموصل إلى الهدى، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وهو على ما هو.

﴿وَمَنْ تَابَ﴾ مما أساء سوى المار حكمهم ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ سدم على ما صدر وعاد إلى مولاه ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ عائد إلى الله عودا ومعامله على صالح عمله.

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ الكلام السوء والعوراء ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ كالأولى ما سمعوه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كلامه المكرم ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ المراد: ما مر حكمها على أسماعهم وإدراكهم إلا وعوها وسلكوا على وارد أمرها وردعها.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ ورواه والد عمرو وسواه على الواحد لا العدد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أهل صلاح، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ وحده لوروده مصدر الأصل، والمراد: أهل علم وعمل.

﴿أُولَئِكَ﴾ ها هو المحمول ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ هو أحد أسماء دار السلام أو اسم لا على محل وسطها ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على مر الأوامر وحلو صالح العمل، ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ ورواه راوٍ على ورود أصله كسمى ﴿فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ والمسلم هم الملاك.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا حمام ولا طموح ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ لهم.

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم والمأمور محمد ردد الله له السلام ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ لدى اللأواء ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ رسوله المكرم وكلامه المكرم، وحاصل الكلام: لولا دعاؤكم مولاكم لما حسر اللأواء لعدم إسلامكم لرسوله وكلامه، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ ما أعده الله لكم على عدم الإسلام ﴿لِزَامًا﴾ معكم لا حول له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء

مكية إلا وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) [آية: ٢٢٤ - ٢٢٧]، وآيها مائتان وسبع وعشرون آية

﴿طسٓمٓ ۝١﴾[(١)] [آية: ١]:

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿طسم﴾ قرأ الأعمش ويحيى وأبو بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف: بإمالة الطاء مشبعا في هذه السورة وفي أختيها. وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة والزهري: بين اللفظين؛ واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. وقرأ الباقون بالفتح مشبعا. قال الثعلبي: وهي كلها لغات فصيحة. وقد مضى في ﴿طه﴾ قول النحاس في هذا. قال النحاس: وقرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم والكسائي: ﴿طسم﴾ بإدغام النون في الميم، والفراء يقول بإخفاء النون. وقرأ الأعمش: وحمزة: ﴿طسين ميم﴾ بإظهار النون. قال النحاس: للنون الساكنة والتنوين أربعة أقسام عند سيبويه: يبينان عند حروف الحلق، ويدغمان عند الراء واللام والميم والواو والياء، ويقلبان ميما عند الباء ويكونان من الخياشيم؛ أي لا يبينان؛ فعلى هذه الأربعة الأقسام التي نصها سيبويه لا تجوز هذه القراءة؛ لأنه ليس ها هنا حرف من حروف الحلق فتبين النون عنده، ولكن في ذلك وجيه: وهو أن حروف المعجم حكمها أن يوقف عليها، فإذا وقف عليها تبينت النون. قال الثعلبي: الإدغام اختيار أبي عبيد وأبي حاتم قياسا على كل القرآن، وإنما أظهرها أولئك للتبيين والتمكين، وأدغمها هؤلاء لمجاورتها حروف الفم. قال النحاس: وحكى أبو إسحاق في كتابه "فيما يجرى وفيما لا يجرى" أنه يجوز أن يقال: ﴿طسين ميم﴾ بفتح النون وضم الميم، كما يقال هذا معدي كرب. وقال أبو حاتم: قرأ خالد: ﴿طسين ميم﴾. ابن عباس: ﴿طسم﴾ قسم وهو اسم من أسماء الله تعالى، والمقسم عليه: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾. وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن أقسم الله به. مجاهد: هو اسم السورة؛ ويحسن افتتاح السورة.
=

﴿طسم﴾ مر الكلام على أوائل السور مرارا والأصح: الله أعلم ما المراد.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [آية: ٢ - ٤]:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ اللامع أمر هداه ولألاؤه.

﴿لَعَلَّكَ﴾ الكلام لمحمد ردد الله له السلام ﴿بَاخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَفْسَكَ﴾ لـ ﴿أَلا يَكُونُوا﴾ الواو لأهل الحرم الحرام ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ والمصدر المحصل معمول للام، وهو لعدم إسلامهم أو روع عدم الإسلام.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ أمرًا مروعًا رادًا لهم إلى الإسلام على كل حال ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ لما ورد أولو الأحلام موسومًا لها عددها كموسومه.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٥، ٦]:

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ كلام الله ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ وروده على الرسول لا كلام الله كما هو معلوم ﴿إِلا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ حالا كحلول الحسام على رؤوسهم والهلاك أو مآلا لدى المعاد، وهو ما أعده لهم على عملهم ﴿أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ المراد: كلام الله هو أم لا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ﴾ وأحوالها ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ كالسمراء والسمسم والكلأ ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود أكله وطعمه وروحه ومرآه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ ودلائل على كمال حكم واحد أحد لا إله إلا هو ﴿وَمَا كَانَ

=

الربيع: حساب مدة قوم. وقيل: قارعة تحل بقوم. ﴿طسم﴾ و﴿طس﴾ واحد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٧/١٣).

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لعدم رسم إسلامهم وسط اللوح، ولو رسم وعلمه الله لسلموا إلى رسوله وكلامه وأسلموا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ كاهر لا مكهور ﴿الرَّحِيمُ﴾ عم رحمه العوالم كل طائع وعاص، أو لأهل الإسلام والهدى.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ
هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم
مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ
فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾
فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ
نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾
قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا
تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ
إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ
وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ
ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ

ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ
أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ
إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ
خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ
أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ
قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم
مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ
إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ
أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [آية:١٠ - ٦٨]:

أورد لهم ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولا لهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو معهم ﴿أَلا يَتَّقُونَ﴾ الله ولا هم موحدوه.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ لعدم إسلامهم، ﴿وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ إلى أداء أمر الإرسال ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ المراد: مساعدا معه.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ هو إهلاكه لأحدهم وهو وسط مصر ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ المراد: ولما اؤد أوامرك لا المروع له هو حصول الهلاك أو الورود على موارد الحمام.

﴿قَالَ﴾ الله علا اسمه ﴿كَلَّا﴾ ما هم مهلكوك ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ موسى ومساعده وعدوهما ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ سامعو ما هو حاصل.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وحد الرسول لوروده مصدر الأصل وإلا كلاهما رسول ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿قَالَ﴾ عدو موسى لما وصل هو ومساعده وأوصلاه ما أمرهما الله لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ عصر لسدك حلم امك، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ عددها كعدد أصل موعده سوى ما أكمله، ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾ أراد: إهلاك الواحد المار ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أراد: آلاءه وإكرامه له.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ المراد: حصل ما حصل وهو لا عالم ولا رسول.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علما وحكما محركا، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى أحد الأمم.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وصاروا كلهم كالمملوك لك لا، ومحصل المصدر مع مصدره محمول على أول كلام مطروح.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لما رأى عدم ارعواء موسى عما ادعاه وأراد هدر مدعاه ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ممَّ هو ولما رام ما لا وصول إلى إدراكه أصلا حاوله موسى ردد الله له السلام ورده إلى ما هو مدرك.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أهل علم أدركوا المراد والكلام ووحدوه.

﴿قَالَ﴾ عدو موسى ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ هم رؤساء ملأه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ عدم وأم كلامه للسؤال الوارد الدال على عدم علمه مع ادعائه الإرسال السؤال على مواد آلهه وما هو، وهو أورد الرسوم.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ عدل موسى ردد الله له السلام إلى ما هو أدل إلى المدعى وأسرع إلى إدراك السامع.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وسماه رسولا سلوكا على ادعاء موسى لها

﴿لَمَجْنُونٌ﴾ لسؤاله أمرا وسلوك المسئول، وهو موسى على أمر سواه.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لو لكم حلم وإدراك أدركوا لا رد لسؤالكم إلا الرد المحرر.

﴿قَالَ﴾ لموسى لما هدم موسى ردد الله له السلام ما أورده ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ المعهود حالهم لك، وعدل إلى الكلام المحرر هددا لموسى ردد الله له السلام رأى عدم ارعوائه عما ادعاه.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ دال على أمر إرسال والواو للحال، ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ كالموم لها لمع ولألاء الهواء إلى السماء.

﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ماهر محصل لعلوم السحر كلها ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ المراد: عدم الحكم على أمرهما وأصرهما ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ لأهل علم السحر ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ أمالها ولد عامر، ووالد عمرو، ورواه ساحر ، ﴿عَلِيمٍ﴾ سام سحره سحر موسى.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ سؤال صدره هل، والمراد الأمر؛ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ على سحر موسى وعمله ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ حكى حاك وعده لهم هو ورودهم على داره أمام كل أحد ومطورهم وراء الكل.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ المراد: أمرهم موسى لما سألوه طرح سحره وعصاه ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا﴾ لدى طرحها ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾[1] رواه راوٍ كسدد، وراوٍ كعلم، وكلاهما

(١) قال الرازي: قوله: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ فالمراد من قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم (ويزورونه) فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى، (بالتمويه على الناظرين أو إفكهم) وسمى تلك الأشياء إفكاً مبالغة.
=

مؤداه الأكل المسرع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما موهوه مما لا أصل له.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ لما رأوا العصا وعملها، وعلموا عدم السحر سلموا لموسى ردد الله له السلام ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ﴾ ورواه روح وسواه مع السؤال لهم ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ﴾ الهاء لموسى ردد الله له السلام ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ علمكم أمرا ودسا أمرا أو وادعكم واسر لكم الأمر الحاصل ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل امركم وما هو حاصل لكم، وهو؛ ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالُوا لا ضَيْرَ﴾ هو كما لو طرح وسطه وكرر راؤه وحاصله لا سوء ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ وراء حلول الحمام ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ المراد: عودهم لمولاهم لدى المعاد.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ مرادهم الأمل لا الطمع على أصله ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا﴾ المصدر معمول للام كسر مطروح أمام العامل ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أول مسلم لموسى ردد الله له السلام أو أول مسلم عصرهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ لما مر أعوام وهو داع لهم إلى الإسلام وما أسلم له أحد سوى الأول ﴿أَنْ﴾ للحل ﴿أَسْرِ﴾ وروى راوٍ أوله موصولا، وسرى وأسرى واحد، والمراد: سر كما رواه راو ﴿بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ وراءكم عدو موسى ورهطه، وهو معطل أمر الأمراء ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ لما علم سراهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ للعساكر وراءهم وكلامهم ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ سدسهم كره، وحكمهم المحرر لمحا لعسكرهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ ورواه راوٍ ممدودًا وراء الحاء، والمراد: مدركو الأمور أو كاملو السلاح أصحا ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ الهاء لعدو موسى وملأه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ لهم وسط مصر ﴿وَعُيُونٍ﴾ حاور ماؤها وسط الدور، ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال لهم وسماها كما سماها لعدم أدائهم سهمها كما حكم الله ورسله، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ للأمراء والرؤساء.

﴿كَذَلِكَ﴾ محمول على أول كلام مطروح هو الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لما هلك عدو موسى وملاؤه والهاء لأموالهم ومحالهم وسط مصر ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾ المراد: أدركوهم على حد المرأى ﴿مُشْرِقِينَ﴾ حال الطلوع ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأى

=

انظر تفسير الرازي: (٢٤/٥٠).

هؤلاء أولئك ورأى أولئك هؤلاء ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ مدركهم عدوهم ولا عددهم كعددهم ولا عددهم كعددهم.

﴿قَالَ﴾ موسى ردد الله له السلام لملأه ﴿كَلا﴾ ما هم مدركوكم ولا مهلكوكم؛ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ كالئ ومعل لكم على عدوكم ﴿سَيَهْدِينِ﴾ مسالك السلام.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ وسارع موسى أكمل الله له السلام إلى عمل ما أمره مولاه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ مصدوعا على عدد أممهم كما مر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كعلم عال.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ المراد: الوصول إلى الصدد ﴿ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ عدو موسى وعساكره، وسلكوا وراء موسى ردد الله له السلام والأولى معد مسالكهم وسط الطم، ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ووصلوا إلى ساحل الماء على حالهم المحرر حكمها.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ عدو موسى وعسكره كلهم لسد الماء المسالك اللاء صدعها موسى وسط الماء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إهلاك هؤلاء المسطور ﴿لآيَةً﴾ للأمم وملأهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الهاء لأهل مصر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ كاهر لا مكهور، ومما هو كهر إهلاكه لأهل الإلحاد والمسطور أمرهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ عم رحمه أهل الإسلام وسواهم، سلم موسى وملاءه وأمهل إهلاك عدوهم.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ
أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ
يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ
تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾
ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ
يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ
ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ

صِدْقٍ فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى
ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ
أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا
هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن
كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾
فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾
[آية: ٦٩ - ١٠٤]:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ المراد: ملحدو الحرم الحرام ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صورا ﴿فَنَظَلُّ﴾ المراد الدوام ﴿لَهَا عَاكِفِينَ﴾ ركعا حولها.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ طرح ووصل، والمراد: سماع دعائهم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كم حال عدم ركوعكم لهم.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ لما رأوا لا رد لسؤاله إلا وصم مألوههم حاولوه وعادوا إلى سلوكهم مسالك أصولهم.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ﴾[1] الأولى مروا أمامكم

---

(١) أي: قال لهم إبراهيم على سبيل الإنكار والتأنيب: أفرأيتم وشاهدتم هذه الأصنام التي عبدتموها أنتم وآباؤكم الأقدمون من دون الله - تعالى - إنها عدو لى لأن عبادتها باطلة لكن الله - تعالى - رب العالمين هو وليى وصاحب الفضل على في الدنيا والآخرة، فلذا أعبده وحده. فقوله ﴿إلا رَبَّ العالمين﴾. استثناء منقطع من ضمير ﴿إِنَّهُمْ﴾. قال صاحب الكشاف: وإنما قال: ﴿عَدُوٌّ لي﴾ تصويرا للمسألة في نفسه، على معنى: أنى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة الذي الخير كله منه، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسها أولا، وبنى عليها تدبير أمره، لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، ليكون أدعى لهم إلى القبول. ولو قال: فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة، ولأنه دخل =

وصاروا لكم كالإمام.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ ولكل راكع لهم وحكاه له، وما كلمهم عدو لكم لما هو أدعى إلى السلوك على مسالك الهدى ووحد العدو لوروده مصدر الأصل ﴿إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: كل مألوه لهم عدو لهدى لله علا اسمه وطرح إلا مما عمه الاسم الموصول، وهو ما طرح موصول أو محسوم، وصلح لوروده موصولا لركوع أحد أصولهم إلى الله علا اسمه وسما حمده.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى مسالك الهدى والاسم الموصول إما واسم لما أم إلا أو أول كلام.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ رد الواو اسما موصولا على اسم موصول، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ لدى حلول العمر ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ أومأ والد الرسل ردد الله له السلام إلى حصول المعاد.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أؤمل ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ أورده معلما الدعاء للأمم وهو معصوم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ لدى المعاد.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ كمال العلم والعمل، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أهل الصلاح الكامل وهم الرسل الكرام، والمراد: حلوله معهم دار السلام.

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ حمدا ومدحا ﴿فِي الآخِرِينَ﴾ الأمم الأولى هم وراءه إلى حلول دور العالم، ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَاغْفِرْ لأَبِي﴾ المراد: ألهمه العود لك، ودعاؤه المحرر حصل حال عدم علمه عدم إسلام والده ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ مسالك الهدى.

=

في باب من التعريض، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح، لأنه يتأمل فيه، فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي - رحمه الله - : أن رجلا واجهه بشيء، فقال: لو كنتُ بحيث أنت، لاحتجتُ إلى الأدب... وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحِجْر فقال: ما هو بيتي ولا بيتكم. ثم حكى القرآن الكريم، ما وصف به إبراهيم خالقه من صفات كريمة تليق بجلاله - سبحانه - فقال: ﴿الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: أخلص عبادتي لرب العالمين، الذي أوجدني بقدرته، والذي يهديني وحده إلى ما يصلح شأني في دنياي وفي آخرتي. انظر التفسير الميسر(٨/٨٨).

﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الواو للأمم كلهم؛ ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ﴾ ملاكه ﴿وَلا بَنُونَ﴾ ولدهم وأصولهم ﴿إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مما هو إلحاد، وهم كل مسلم لله ورسله.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ صددا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ هم كل موحد لله ومسلم لرسله.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ هم أهل الإلحاد، والمراد: كلا أهلها راء لهما أمامه ومطلع على أحوالها ألاء أو إلا ما وهو لدى ورود الأمم للإطلاع على أعمالهم، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه كالصور ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ ردا لما اعد الله لكم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ حدا عما هو حاصل لهم معكم لحلولهم مع كل مألوه لهم وسط سوء الدار.

﴿فَكُبْكِبُوا﴾ طرحوا ورموا وهووا إلى الدرك ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ المراد: الإله والمألوه، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ ملاؤه وعسكره، أو كل سالك على وسواسه والحمل على الأول أولى ﴿أَجْمَعُونَ﴾ مؤكد لملأ عدو آدم.

﴿قَالُوا﴾ الواو لكل راكع لسوى الله ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع كل مألوه لهم كالصور ﴿تَاللهِ إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ عمى ساطع أمره.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ركوعًا لكم مع صلاحكم له، ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ﴾ هم ملاء عدو آدم المطرود، أو المراد: والدوهم الأولى سلكوا مسالكهم.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ رسل أو أملاك كرام ردد الله لهم اسما السلام كما لأهل الإسلام، ﴿وَلا صَدِيقٍ﴾ ودود ﴿حَمِيمٍ﴾ مهمه أمرهم.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ عودا إلى الدار الأولى، ولو لروم ما لا وصول وحصول له ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الحكم المسطور أمر والد الرسل وملأه ردد الله له أكمل السلام ﴿لآيَةً﴾ دالا على كمال علم الرسول المحر ردد الله له السلام وسوء حال كل راكع إلى الصور، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ الهاء عائد لملأ الرسول المسطور ﴿مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ لإمهاله أهل الإلحاد وعدم إسراعه لإهلاكهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي

لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ
الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ
تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ
يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [آية: ١٠٥ - ١١٢]:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ لما ردوا دعوى رسولهم صاروا كراد دعوى سائر الرسل ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ لا لوالد أو أم أو المراد الاعم، وهو الأولى ﴿نُوحٌ﴾ ووالده الأعلى ووالدهم واحد ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله وحده.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أداء أمر الإرسال، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ اسلكوا على ما أمركم وهو لا إله إلا الله، وراعوا أوامره وروادعه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الله وأمر الإرسال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال أو عطاء وعامل الكسر للوصل ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ العطاء المأمول على الدعاء لكم ﴿إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على سواه، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾ كرر الأمر مؤكدا ﴿وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ﴾ ورواه راوٍ على وروده كأسماع، وهو على ما رواه أول كلام محموله ﴿الأَرْذَلُونَ﴾ الأولى لا سؤدد ولا مال لهم.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هل إسلامهم حصل لله ولرسوله أو لطمع مال ومأكل وسؤدد وسواها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلا عَلَى رَبِّي﴾ هو المطلع على سرائرهم والمعامل لهم على أعمالهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لو لكم علم وإدراك لما صار إسلام هؤلاء رادًّا وصادًّا لإسلامكم.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مؤسس على ما أوهمه كلامهم وسؤالهم وهو روم طرده للأولى اسلموا له ﴿إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وأهل الأموال والسؤدد وعكسهم لدى الرسل

على حد سواء.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ كلامًا أو حصى.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ المراد: احكم حكما.

﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مما هو حال على أهل الإلحاد أو مما راموه هم، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء ولد آدم وطائرًا وسواهما كالحمار، والأسد، والهر وسواهما، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ وهم ملأ والد سام ردد الله له السلام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ معلوم أمرها وحكمها الاطلاع والعلوم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [آية: ١٢٣ - ١٤٠]:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ هم ملأ هود، وعاد اسم والدهم الأعلى ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ لأم ووالد ﴿هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال وما أوحاه الله؛ ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما آمركم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على دعائكم إلى الله والسلوك على مسلك أوامره ﴿مِنْ﴾

وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ مال أو عطاء ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وهو العطاء الدائم.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ محل عال ﴿آيَةً﴾ عمارًا علما لأهل المرور أو محال للحمام أو مروحا للهوهم ﴿تَعْبَثُونَ﴾ حال، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء عمارها محكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ حاول أحدكم سوطا أو حساما ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ لا رحم لكم، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾ ودعوا هؤلاء الأعمال المكروه مآلها ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما ادعوكم له.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ كرر الأمر مؤسسا على حكمه عدد الآلاء ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ حالا ومآلا، والمراد: لو داموا على إصرارهم وعدم سلوكهم على ما أمرهم.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ مرادهم لا ارعواء لهم عما هم سالكوه أصلا.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أومأوا إلى ما روعهم حلوله ﴿إِلا خُلُقُ﴾ كسهم ﴿الأَوَّلِينَ﴾ ومرادهم إلا ادعاء ادعاه الأمم الأول، وهو لا أصل، له ورواه عاصم، وولد عامر كعمر، وأومأوا إلى ما هم سالكوه، والمراد: سلوكهم هو سلوك الأمم أمامهم وهو الحكم على عدم حصول المعاد، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أصلا لعدم المعاد.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ودمرهم الصرصر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر حكمه ﴿لآيَةً﴾ وردعا لكل سالك على مسالكهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الكاهر لكل معاد، ﴿الرَّحِيمُ﴾ لعدم إسراع الهلاك لأهل الإلحاد ولا داع ولا هاد.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: تصدير القصص بتكذيب الرسل والأمر بالطاعة؛ للدلالة على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق، والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب، ويُبعده من العقاب، وأنَّ الأنبياء - عليهم السلام - مُجْمِعون على ذلك، وإن اختلفوا في فروع الشرائع، المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار، وأنهم منزهون عن المطامع الدنيئة، والأغراض الدنيوية بالكلية. انظر البحر المديد (٢٧٣/٥).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ [آية: ١٤١ - ١٥٩]:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ هم ملأ صالح ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ ﴿صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال والدعاء، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما أمركم وادعوكم له.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء والأمر المحرر سردهما ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ مال أو عطاء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا﴾ طوى الاسم الموصول الآلاء وعددها هو ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ مكسر وما ود للحمل.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ على ما رواه والد عمرو وسواه، ورواه راوٍ ممدودا واحده كعالم، والمراد: مع السرور، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما أمركم، ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ هم كل ساع وراء ما حد له سواء عاد لمال أو لحكم، ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ عاصوا أوامر مولاهم، ﴿وَلا يُصْلِحُونَ﴾ سلوكا على ما أمرهم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الأولى سحروا وساء حلمهم وإدراكهم أو

الأولى لهم سحر وهو ممر الروح وسط الصدر وما أمه كالمؤكد له وهو ﴿مَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ دال مصحح لأمر إرسالك ومدعاك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ مصححا لدعوى الإرسال ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ لما راموها ودعا الله وأسرها الله لهم حكم سؤالهم ومرامهم ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ سهم ماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ راعوا موردكم وموردها.

﴿وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لهول ما هو حاصل لكم.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ العامل أحدهم ولما أمروه صار كلهم عاملا، ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ على سوء عملهم وأمرهم له وعلموا حلول ما أوعدهم ولولاه ما سدموا.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ كما أوعدهم رسولهم وأهلكوا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ ردعا للأمم وراءهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أومأ الحكم المحرر إلى عدم حلول ما أوعدهم رسولهم لو أسلم له العدد الوارد اسما للعامل.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [آية: ١٦٠ - ١٧٥]:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ردهم دعوى رسول واحد وهو لوط ردد الله له السلام كردهم دعوى سائر الرسل كما مر مرار ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ لآلام أو والد ﴿لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ الله.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على

ما أمركم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الله وأمر الإرسال ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ مال ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على سواه هو المأمول عطاؤه وآلاؤه.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ وحدكم سوى سائر الأمم ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أو المراد وحدهم لا سواهم، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ الحلال إلى الحرام، وكل ساع وراء ما حد الله ورسوله له عادٍ.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عما هو دعوى الإرسال أو عما هو ردع لهم عما هم سالكوه ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ طردا إلى محل سوى مصرهم.

﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ الأعداء ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ المراد: سوء مآل أعمالهم.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أهل داره والأولى حوله وعلى مسلكه ﴿إِلا عَجُوزًا﴾ عرسه ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ مع الأولى هلكوا أو داموا وسط محلهم وما مطروا مع لوط ردد الله له السلام.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ الدمار والهلاك واحد ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ سوى المطر المعهود أو حصى أمطر على أحاد لهم لا على كلهم وأهلكهم، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم المحرر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ ردعا للأمم وراءهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ما صدره ما هو كالمعلل لدمارهم وإهلاكهم، وإمطار الحصى وأومأ الحكم المحرر إلى عدم إهلاكهم لو أسلم العدد الوارد اسما للعامل وراء الاسم الموصل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ [آية: ١٧٦ - ١٩١]:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾[1] رواه راوٍ مطروح الأول وحرك اللام كما حرك ما طرحه، وهو اسم لكل محل ولد الإملود كمحل الحور وما حاكاه، والمراد: محل معلوم لوروده مورد المعهود ﴿الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الأحكام وأداء الأوامر، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما أمركم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الهاء لأمر الإرسال ودعائهم للسلوك على أوامر الله المعلوم سردا ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ عطاء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ اكملوه، ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ هو كل ما أعد لعلم الأرطال والدراهم ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ العدل، ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ مما لهم، ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد أدى مؤدى العامل.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: الغيضة التي تنبت الشجر، والمراد بها: غيضة بقرب مدين، يسكنها طائفة منهم، وكانوا ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام، وكان أجنبياً منهم، ولذلك قيل: ﴿إذ قال لهم شُعيبٌ﴾ ولم يقل: أخوهم، بخلاف مدين، فإنه منهم، ولذلك قال: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ [الأعراف: ٨٥ وهود: ٨٤ والعنكبوت: ٣٦] وقيل: الأيكة: الشجر الملتف، وكان شجرهم المقل، وهو الدوم. قال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمتين؛ أصحاب الأيكة وأصحاب مدين. فأهلك الله أصحابَ الأيكة بالظُلة، وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا. وقرئ: "لَيْكَةِ"؛ بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وإنما كتبت هنا وفي " ص " باللام؛ اتباعاً للفظ. انظر البحر المديد (٢٨٢/٥).

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ الأمم ﴿الأَوَّلِينَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الأولى سحروا ورَكَّ إدراكهم أو الأولى لهم سحر وهو الرئه ﴿وَمَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروح عائد إلى الأمر ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ولا أصل لدعواك الإرسال.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ رواه راوٍ كعلم، وراوٍ كسلع مكسور الأول ومحرك الوسط ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ومرادهم أحد أوراد السماء كسدسها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المراد: وهو معاملكم على أعمالكم، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ركام مد أعلاهم وراء صراعهم وأمطر الركام المحرر مطرا لاعهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [آية: ١٩٢ - ١٩٧]:

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد إلى ما حكاه الله لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم، وهو ما حصل لأمم الرسل الكرام المحرر سردها أو عائد إلى كلام الله المكرم الموحى ردد الله أكمل السلام ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ الكلام لمحمد رسوله ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ عما هو مؤد إلى الألم وهو إما عمل أولا.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ عامل الكسر مع معموله معمول إلى الإلمام عامل الروح أو معمول لما هو أمامه وهو المحلى، والمراد: ورود محمد صلى الله على روحه وسلم أحد الرسل الكرام الأولى كلامهم السمحاء، وهم هود، وصالح، والملهم والده إلى حسم رأسه لما أراه الله حلما وعد له مولاه ورسوله الأمم الأولى علاهم ركام مد أعلاهم وراء الحر، وأمطروا مطرا علاهم ومحمد ردد الله لهم أكمل السلام.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء للكلام المكرم الموحى إلى محمد أكمل الله له السلام ﴿لَفِي زُبُرِ﴾ طروس ﴿الأَوَّلِينَ﴾ كالكلام الموحى إلى موسى، والكلام الموحى إلى الروح أكمل الله لهما السلام.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ لأهل الحرم الحرام أهل الإلحاد ﴿آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ علماؤهم الأولى أسلموا لمحمد ردد الله له السلام كولد سلام وسواه، والمراد: علم هؤلاء العلماء دال مصحح لإرسال محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [آية: ١٩٨ - ٢٠٧]:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لعدم إدراكهم مؤداه وحكم كلمه وأحكامه.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ المراد: الإحلال، والهاء عائد إلى رد دعوى الإرسال وعدم الإسلام للرسل المار أو إلى الإلحاد وداله ما صدره ما ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ هم ملحدو الحرم الحرام.

﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ﴾ ما هو مؤد إلى الإسلام ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ حالا ومآلا لدى المعاد ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ حال عدم إدراكهم وروده.

﴿فَيَقُولُوا﴾ لدى حلوله ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ورد سؤالهم حاصله لا.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ لعلهم سألوا إمطار الألم أو وروده.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ المراد: اعلم واحك ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ أعواما ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

﴿مَا﴾ للسؤال أو كلا ﴿أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ما هو راد الما، ولا هو مسهله.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [آية: ٢٠٨، ٢٠٩]:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل رادعو أهلها وساردو لهم الدلائل، ﴿ذِكْرَى﴾ لهم معمول على المصدر أو على العله، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ كإهلاك مع عدم

إرسال، أو المراد: إهلاك ملأ أطاعوا.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [آية: ٢١٠ - ٢١٣]:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ كما ادعى أهل الإلحاد، ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ ما هو صالح ﴿لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الأملاك ﴿لَمَعْزُولُونَ فَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ المراد: لو صح سلوك رسوله المعصوم صلى الله على روحه وسلم على المسلك المسطور وسلوكه أمر محال.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [آية: ٢١٤، ٢١٦]:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ أمر لرسوله محمد ردد الله له أكمل السلام وأطاع أمر مولاه، وروعهم ما أعده الله لكل عاص كما رواه محمد ومسلم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هم أهل لا إله إلا الله ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ الواو للأولى دعاهم وروعهم ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ما للمصدر، والمراد: عملكم وهو الركوع لسوى الله علا حمده.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [آية: ٢١٧ - ٢٢٠]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ سلم أمورك كلها له ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الركوع، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ مع كل مصل.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائك وكلامك، ﴿الْعَلِيمُ﴾ والمطلع على ما حواه صدرك.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [آية: ٢٢١ - ٢٢٧]:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم الحرام ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ﴾ طرح ما كأوله ﴿الشَّيَاطِينُ﴾.

﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ مدع ما لا أصل له ﴿أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ المراد: ما سمعوه على ورود السمع للمسموع ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ لأدائهم له على سوى ما سمعوه.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الأولى مالوا إلى كلامهم ورووه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾[1] للكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾ وصولا إلى ما وراء الحد مما هو مدح أو عوار، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ كل ما وعدوه أو أوعدوه لا أصل له.

﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا﴾ لأهل الإسلام لما عاورهم أهل الإلحاد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ لما أسمعهم العوار أهل الإلحاد وما هم أهله والواو لأهل الإسلام، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم مسمعو العوار لأهل الإسلام وسواهم على العموم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ عود ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ هم عائدوه لدى ورودهم موارد الحمام.

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق؛ لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت، ولم يكن هائما يذهب على وجهه لا يبالي ما قال. نزلت في عبدالله بن الزبعرى ومسافع بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت. ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: أكثرهم يكذبون؛ أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه. وقيل: إنها نزلت في أبي عزة الجمحي. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٥١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النمل

مكية، وآيها خمس وتسعون آية

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿طس﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ﴾ هو اللوح أو الكلام المكرم ﴿مُبِينٍ﴾.

﴿هُدًى﴾ المراد: هاد مما هو عمى، ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هدى وما أمه كلاهما حال، والعامل مؤدى ما أومأ وراء طس.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ على أكمل أحوالها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ علموها علما حاسما وهم طار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ وأحالوا أمر المعاد ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ ومال هواهم لها ورأوا الطلاح صلاحا ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ كلهم صائر والعمه للصدر كالعمى للمرآى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ الحسام والأسر حالا ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ لحلولهم الدرك، ومحل الكدر السرمد.

﴿وَإِنَّكَ﴾ الكلام لمحمد ردد الله له أكمل السلام ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ عالم ما حصل وما هو حاصل وهو الله علا اسمه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ
قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾(1)[آية: ٧ - ١٤]:

---

(١) قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: - قوله - تعالى - : هنا ﴿سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ مع قوله - تعالى - في سورة القصص ﴿لعلي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ كالمتدافعين. لأن أحدهما ترج، والآخر تيقن. قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا، مع تجويزه الخيبة. فإن قلت: كيف جاء بسين التسويف - هنا -؟ قلت: عدة لأهله أنه يأتيهم وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة. فإن قلت: فلم جاء بأو دون الواو؟ قلت: بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده...".

ثم بين - سبحانه - ما حدث لموسى عندما اقترب من النار فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النار وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾ و﴿أن﴾ هنا مفسرة، لما في النداء من معنى القول. وقوله: ﴿بُورِكَ﴾ من البركة، بمعنى ثبوت الخير وكثرته. والخير هنا يتمثل في تكليم الله - تعالى - لنبيه موسى. وفي ندائه له. وتشريفه برسالته، وتأييده بالمعجزات. والمراد بمن في النار: من هو قريب منها، وهو موسى - عليه السلام - . والمراد بمن حولها: الملائكة الحاضرون لهذا النداء، أو الأماكن المجاورة لها. أي: فلما وصل موسى - عليه السلام - إلى القرب من مكان النار، نودي موسى من قبل الله - عز وجل - على سبيل التكريم والتحية: أن قُدس وطهر واختير للرسالة من هو بالقرب منها وهو موسى - عليه السلام - ومن حولها من الملائكة، أو الأماكن القريبة منها. قال الآلوسي: "قوله: ﴿مَن فِي النار وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ذهب جماعة إلى أن في الكلام مضافا مقدراً في موضعين. أي: من في مكان النار، ومن حول مكانها قالوا: ومكانها البقعة التي حصلت فيها، وهي البقعة المباركة، المذكورة في قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا﴾ أي: النار - ﴿نُودِيَ مِن =

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح وهو أورد ﴿قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ﴾ عرسه وهو سائر إلى مصر ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ هو علم مسالك مصر ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ كرأس عود أو سواها مما هو هاد إلى المسالك، أو للاصطلاء كما دل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ وصل إلى ما رآه ﴿نُودِيَ أَنْ﴾ للحل أو أصلها العامل المؤكد أو للمصدر ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو موسى ردد الله له السلام ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم الأملاك أو الموصول الأول هم الأملاك وحولها موسى، ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ اسم مصدر مؤداه الله معرى عما هو سوء ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ للأمر وللحال ﴿أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ أمر وعمل ما أمر ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ حراكا ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ صلى مسرع ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ما عاد روعا ودال روعه دعاء الله له.

﴿يَا مُوسَى لا تَخَفْ﴾ عصاك ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ المراد: أحدا سوى الله علا اسمه.

﴿إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ المراد: عاد إلى الله عم حصل ﴿بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ له ما حصل ﴿رَحِيمٌ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ الادعاء ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ درعك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ داء مرسلا ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ سواها أو معها ومر عددها وسردها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ عامله عامل الأول وهو مرسلا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ معلل للإرسال.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ لامعا حكمها، ساطعا أمرها ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

=

شَاطِئِ الوادي الأيمن فِي البقعة المباركة مِنَ الشجرة..﴾ وقيل: من في النار: موسى - عليه السلام - ، ومن حولها: الملائكة الحاضرون... وقيل الأول الملائكة، والثاني موسى، واستغنى بعضهم عن تقدير المضاف بجعل الظرفية مجازاً عن القرب التام... وأيا ما كان فالمراد بذلك بشارة موسى - عليه السلام -". وقال الشوكاني: "ومذهب المفسرين أن المراد بالنار - هنا - النور". وقوله - تعالى - : ﴿وَسُبْحَانَ الله رَبِّ العالمين﴾ من تتمة النداء، وخبر منه - تعالى - لموسى بالتنزيه. لئلا يتوهم من سماع كلامه - تعالى - التشبيه بما للبشر من كلام. انظر التفسير الميسر (١٠١/٨).

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ ردوها وما سلموا لها ولا أسلموا ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ الواو للحال، حاصل المراد: ردوها مع علمهم لها العلم الكامل ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ سمودا عما أورده موسى ردد الله له السلام ﴿فَانْظُرْ﴾ الأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ مآل أمرهم هو إهلاكهم وسط الطم حالا ودار الدرك مآلا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ
عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ
ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ
فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا
أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ
بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ
شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى
يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ

قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ
أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا
وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن
يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن
مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ
قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ
ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ
نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا
كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾» [آية: ١٥ - ٤٤]:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ» ولده «عِلْمًا» هو علم الأحكام «وَقَالا» حمدا لمولاهما «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي فَضَّلَنَا» علما «عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» سوى أهل العلم أو الأولى ما علموا علمهما.

«وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» علما وما عم الإرسال أو ملكا «وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» المراد: إدراك ما أراده الطائر «وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أعطاه الله الملوك وأهل ما عم الإرسال «إِنَّ هَذَا» العطاء المحرر «لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» الساطع لدى كل أحد.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ المراد: إصرارهم مأمومه وساروا معا ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ لما ورد عساكر ولد داود على الواد المحرر ﴿يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا﴾ الآمر ملك المأمور ﴿مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ الحطم والكسر واحد ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ المراد: مع عدم إدراكهم إهلاكهم لكم ولو أحسوا أو أدركوا لما أهلكوكم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ المراد: الإلهام ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أحدها العلم ومما علمه إدراكه همسها ﴿وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ إكمالا للحمد وروما لدوام الآلاء ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ دار السلام ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ كله ورام الهدهد وما رآه ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ المراد: أهو مع الطائر وما لاح ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ولما صحح عدم حلوله مع الطائر آلى مهددا وأوعد ﴿لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كأصره مع حمام أو طائر سوى الهدهد ﴿أَوْ لأذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال ساطع أمره على عدم حلوله مع الطائر.

﴿فَمَكَثَ﴾ رواه راوٍ ككرم، ورواه عاصم كطلع ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ﴾ المراد: الهدهد لما ورد على ولد داود ردد الله لهما السلام ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ اطلع على أمر ما علمه ولد داود، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ اسم والدهم الأعلى ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ مصحح.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ واسمها معلوم ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ صالح للملوك كالسلاح والعدد وسواهما ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ أحد سرر الملك ﴿عَظِيمٌ﴾ عال أو المراد مكلل، وراوٍ سواه.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ركوعهم المحرر وسواه ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى ﴿فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى مسلك المسطور.

﴿أَلا يَسْجُدُوا لِلهِ﴾ أصل إلا العامل المحصل للمصدر وأمها لا للوصل، ورواه راوٍ إلا كعلى وما أمها أمر وأوله للدعاء والمدعو مطروح ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ ما هو مطر أو كلأ ومحصود، وهو مصدر كالعلم للمعلوم ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ما حواه صدرهم وما حواه كلامهم؛ ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿قَالَ﴾ المراد: ولد داود ردد الله لهما السلام للهدهد ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وأمره الرود ولما دلهم الهدهد على الماء ورواهم وصلوا حرر له ولد داود صكا حاصله أمام اسم الله السلام على الأولى سلكوا مسالك الهدى لا علو على محرره وردوا كلكم مسلم ومهره وسلمه للهدهد وأمره.

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ﴾ اطرحه وارمه ﴿إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ردًا لسؤال الصك وما حواه ومطر الهدهد كما أمره، ولما وصل إلى محلهم رماه لها وحولها عسكرها ولما طرحه لها، وحصل اطلاعها على ما حواه الصك.

﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ كرمه لما حواه أو لكرم مرسله ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ الهاء لما حرر وسطه ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ لعلهم سألوها ما حواه الصك واسم مرسله.

﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ المراد: أوردوا آراءكم ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ حسما له وحكما ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ إلا مع علمكم واطلاعكم ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ عددا وعددا ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ لدى المعارك والمكر، ﴿وَالأَمْرُ﴾ موكول ﴿إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ صلحًا أو مكرًا ومرادهم السلوك على أمرها.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾(١) المراد: حلولهم مصرا مع أعمال

(١) قال القرطبي: في هذه الآية مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ الملأ أشراف القوم وقد مضى في سورة ﴿البقرة﴾ القول فيه. قال ابن عباس: كان معها ألف قيل. وقيل: اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم. لأخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض، ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ فكيف في هذه النازلة الكبرى. فراجعها الملأ بما يقر عينها، من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها؛ وهذه محاورة حسنة من الجميع. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف. الثانية - في هذه الآية دليل على صحة المشاورة. وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] في إما استعانة بالآراء، وإما مداراة للأولياء. وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب؛ فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضائهم على الطاعة لها، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، =

الحسام لا مع الصلح والسلام ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ لمطور أموالهم وهدم دارهم وأسرهم، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ الواو عائد إلى مرسل الصك، وهو ولد داود وملاؤه.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ المراد: مرسلوها لعلمها حال المرسل له، وهو ولد داود هل هو ملك أو مما عم الرسول حرصًا على ما أهداه رسلها له أوردا له.

﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ رسلها ومعه المهدى ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ الكلام لرسولها

=

وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم؛ ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته.

الثالثة - قوله تعالى: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة؛ فلما فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها. وفي هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام لأمر سليمان عليه السلام. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قيل: هو من قول بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته. وقال ابن عباس: هو من قول الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك ومخبرا به. وقال وهب: لما قرأت عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا؟ ! فقال بعض القوم: ما نظن هذا إلا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده؛ فسكتوه. وقال الآخر: أراهم ثلاثة من العفاريت؛ فسكتوه؛ فقال شاب قد علم: يا سيدة الملوك! إن سليمان ملك قد أعطاه ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، والله اسم مليك السماء، والرحمن الرحيم نعوته؛ فعندها قالت: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ فقالوا: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ في القتال ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قوة في الحرب واللقاء ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ ردوا أمرهم إليها لما جربوا على رأيها من البركة ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ف ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور، فصدق الله قولها. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن الأنباري: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تام؛ فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وشبيه به في سورة ﴿لأعراف﴾ ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩ - ١١٠] تم الكلام، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]. وقال ابن شجرة. هو قول بلقيس، فالوقف ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩٥).

وملأه أو للرسول ومرسله ﴿فَمَا آتَانِيَ اللهُ﴾ وهو الملك وما عم الإرسال ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

﴿ارْجِعْ﴾ الأمر للرسول ﴿إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ﴾ عساكر ﴿لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ ما هم حاملو مكرها، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ الهاء عائد لمصرهم المار اسمها وهو اسم والدهم الأعلى كما مر ﴿أَذِلَّةً﴾ لطمور أموالهم ودارهم، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أسراء.

﴿قَالَ﴾ ولد داود ﴿يَأَيُّهَا الْمَلأ أَيُّكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وإلا لما حل له إلا مع سؤالها وأمرها.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ هو المارد الألد ﴿مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ محلك المرصود للأحكام ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ أراد: على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ على ما حواه مرصعا كالدر والألماس وسواهما.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ﴾ هو الروح ردد الله له السلام، أو ملك سواه، أو أحد أمراء ولد داود المعلوم اسمه لكل أحد ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الوارد للرسل أو اللوح أو اسم الله الأكرم ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الكلام لولد داود ردد الله له السلام أو للمارد الألد ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾ حاصلا وهادئا ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أومأ إلى الورود ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ علم سطوع لعلمه علا اسمه ما حواه الصدر والسطر ﴿أَأَشْكُرُ﴾ آلاءه وأحمده ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ ها ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لحصول دوام الآلاء له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ما أولاه مولاه ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ معط آلاء الحامد وسواه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ حولوه إلى سوى حاله الأول ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ إلى عمله ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى علمه، أو إلى الإسلام، وأراد المحك لإدراكها.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وما حصل رد سؤالهم لها هو هو لكمال إدراكها ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ كلام ولد داود وملأه أو كلامها ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ الهاء عائد على ورودها لو حمل الكلام على وروده لولد داود وملأه وعائد على الحال لو حمل الكلام لها ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عما هو إسلام أو ركوع لله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد: سواه ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ورواه راوٍ العامل المؤكد على وروده للمصدر.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ كل محل عال عماره على عماد أولا، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء راكدًا أو وسطه السمك وسواه ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ للحلول وسطه

ووصولها إلى ولد داود ردد الله لهما السلام، وهو على واحد السرر صدر الصرح ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ ودعاها إلى الإسلام.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ المراد: لركوعها إلى سواه؛ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأهلها ولد داود وأرسلها إلى محل ملكها على حالها ومطر ملكها مع مطور ملكه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٤٥ - ٥٣]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ ملأ لآلام ووالد ﴿صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ أهل إسلام، وأهل إلحاد ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ صالح لأهل الإلحاد ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ حل ما أوعدهم وهددهم على عدم إسلامهم ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ عودهم إلى مولاهم وهودهم عما صدر ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ المراد: حالا وحال صدور الألم هودهم مردود.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ المراد المعلل لحلول الألم وهو عملهم السوء ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ محرر ومرسوم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ لأواء وسراء لعلم حالكم علم سطوع.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ حالهم دائما

الطلاح لا الصلح.

﴿قَالُوا﴾ المراد: أحدهم لأحدهم ﴿تَقَاسَمُوا﴾ آلوا أمر ﴿بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ الهاء عائد على صالح رسولهم ردد الله له السلام، وحاصل المراد: إهلاكهم له مع أهله أهل الإسلام الأولى حوله مساء ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ الأولى لهم ولاء دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ﴾ كمعطى ومطلع ومسمع ﴿أَهْلِهِ﴾ والمراد: عدم علمهم مهلكه، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ لما وحدوا الهاء، وحكموا على مهلك أهله وحده وهم على ما أسسوا رآوا مهلكه ومهلك أهله.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ أصروا على المكروه لرسولهم وأهله وما أدركوا آمالهم، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ المراد: عاملهم الله على مكرهم وما أصروا لرسولهم وأهلكهم ودمرهم ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا﴾ رواه راوٍ مكسور الأول على وروده أول كلام أو محمول على مطروح، ورواه راو على وروده محصل المصدر ومحله كمحل اسم العامل عكس الكامل ﴿دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لما صاح الروح ردد الله له السلام وأهلكهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ لا عمار لها حال عاملها مؤدى ما أومأ ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ ألحدوا وما للمصدر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ هم الحاصل لهم الردع والارعواء لا لسواهم.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صالحا وأهل الإسلام له معه ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الإلحاد.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [آية: ٥٤ - ٥٨]:

﴿وَلُوطًا﴾ معمول لعامل مطروح وهو أورد ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ كلكم مطلع على اللائط والملوط وراء لهما.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللاء محل وأهل الوطء ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ مآل أموركم وسوء عملكم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ﴾ أهل ﴿لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عما هو لوط.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أهل الحلول وسط الآلام.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم المحرر

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ
٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ
حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ
بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ
ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا
بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ
هُم مِّنْهَا عَمُونَ ٦٦﴾ [آية: ٥٩ - ٦٦]:

﴿قُلِ﴾ أمر لمحمد رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك أهل الإلحاد وعلم أحوالهم، ﴿وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ هم ﴿ءَاللَّهُ﴾ ورواه راوٍ مسهلا ما أم أولاهما مع المد وعدمه كما مر حكمه مرارا، وراوٍ على حالهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكل طائع وراكع له ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده للسامع وهم أهل أم رحم، والمراد آالله أحرى للركوع أم هؤلاء الصور.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أصول العالم ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام ﴿مَاءً﴾ مطرًا على حد كل ما علاك سماء ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾ كل محل محوط كالكرم المسور ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ ملاح ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ﴾ رواه راوٍ على حالهما، وراوٍ مسهلا ما أم الأولى مع المد وعدمه ﴿مَعَ اللهِ﴾ رد له لا إله إلا هو إله واحد ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عما هو هدى، وهو لا إله إلا الله إلى ما هو عمى وهو ركوعهم إلى الصور.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا﴾ هو عكس المائد ﴿وَجَعَلَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوارا ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الملح وعكسه ﴿حَاجِزًا﴾ حدًا لا واحد مسائط لواحد ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ الهدى.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المراد: أهل الكدر واللأواء لا كل مكدر مع لمح الأحاد ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ ما ساء العالم والعموم أولى للمح عد الآلاء ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ لا إله إلا هو ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد ما أمه ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ورواه راوٍ للسماع.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ إلى مرامكم ومأمكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حال عمى المسالك مساء وعكسه ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ كرسل عدد واحده كرسول ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أمام المطر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ لا ﴿تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه كالصور.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ وسط الأرحام وأصله الماء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لدى المعاد وعدم إسلامهم لأمر المعاد مردود رده الدال الحاسم ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مطرا ﴿وَالأَرْضِ﴾ كلأ ومحصودا ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ مصور لما حرر وعد لا إله إلا معه ﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد رسوله ردد الله له أكمل السلام ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ما هو دال على مدعاكم وصححوه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ومدعاهم عدد الإله وأوحى الله لرسوله لما سألوه حد عصر ورود الساعة.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ هم الأملاك ﴿وَالأَرْضِ﴾ وهم ولد آدم وسواهم ﴿الْغَيْبَ إِلا اللهُ﴾ هو عالمه وحده وحسم إلا ما أمها وهو اسم الله علا حمده عما لا علم له، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ كسواهم والواو لأهل الإلحاد ﴿أَيَّانَ﴾ عصر ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ما هم عالمو عصر معادهم.

﴿بَلِ﴾ هل ﴿ادَّارَكَ﴾ كأكرم حصل، ورواه راوٍ ادارك مكررا داله ﴿عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ والمراد: ما حصل علمهم أمر المعاد وهم سألوا عصر وروده ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ لعدم الدال لها لدى آرائهم ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ ما هم محصلون دلائلها ولا هم مدركوها لعمه صدورهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آية: ٦٧ - ٧٠]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ردا لحصول أمر المعاد ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحود ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ على عهد رسلهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ﴾ الكلام لا أصل له عددا سطوره ﴿الأَوَّلِينَ﴾ الأمم الأول.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأولى ردوا أمر المعاد وما أسلموا لرسلهم ومال أمرهم هو هلاكهم.

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على ردهم دعواك ﴿وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ حكم أورده الله وسلى رسوله محمدا ردد الله له أكمل السلام لما ردوا دعواه المعاد.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [آية ٧١ - ٧٤]:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ هو ورود الهلاك لهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم، والأمر للرسول الأكرم ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ﴾ كعلم، وحاصل المراد: عسى وصوله وحصوله مسرعا ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حلوله ووروده وعسى، ولعل كالمحسوم أمره لدى الملوك، وعلى السلوك المحرر سرى ما وعد الله وأوعد، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ لإمهاله كل عاص ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ ما هم حامدوه على آلائه اللاء لا حصر لها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما طواه صدر كل أحد ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ كلاما على رسوله وهو معاملهم

على سوء أعمالهم.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ٧٥ - ٨١]:

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1] هو اللوح أو علمه ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأولى أدركوا عصر محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كأحوال دار السلام ودار الدرك وسواهما.

﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى﴾ مما هو عمى ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لحصول الارعواء لهم لا لسؤالهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كسواهم لدى المعاد ﴿بِحُكْمِهِ﴾ عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا راد لما حكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ محل أحكامه وعصرها.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ المسلك الساطع الموصل إلى الله ولك العلو على أعدائك أهل الإلحاد ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ المراد: وحال أهل الإلحاد كحال الأولى إدراكهم الحمام أو الصم لعدم إدراك حواسهم دعاءك، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع

---

(١) ﴿وما من غائبةٍ في السماء والأرض﴾ أي: من خافية فيهما ﴿إلا في كتاب مبين﴾ في اللوح المحفوظ. يُسمى الشيء الذي يخفى ويعيب غائبة وخافية. والتاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية. ونظائرهما، وهي أسماء غير صفات. ويجوز أن يكونا صفتين، وتاؤهما للمبالغة، كالرواية. كأنه قال: وما من شيء شديد الغيوبة إلا وقد علمه الله، وأحاط به، وأثبته في اللوح المحفوظ. ومن جملة ذلك: تعجيل عقوبتهم، ولكن لكل شيء أجل معلوم، لا يتأخر عنه ولا يتقدم. ولولا ذلك لعَجَّل لهم ما استعجلوه. والمُبين: الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة: أو: مبين لما فيه من تفاصيل المقدورات. والله تعالى أعلم. انظر البحر المديد(٣٥٩/٥).

إدراك وارعواء ﴿إلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٨٢ - ٨٦]:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الأمر الموعود وروده ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾ وموردها الحرم الحرام كما ورد ﴿مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ مورده الكلام أو الكلم كما رواه راوٍ كأكرم ﴿أَنَّ﴾ مكسور، ورواه راوٍ على المصدر ﴿النَّاسَ﴾ المراد: ملحدوا الحرم ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ ورودها المسطور، أو المراد كلام الله ﴿لا يُوقِنُونَ﴾ إسلاما لها.

﴿وَ﴾ أوردهم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ ملأ وهو لدى المعاد ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ والمراد: رؤساؤهم ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ المراد: أصر أو لهم عكسه ورد إلى أولهم ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ محل الاطلاع على أعمال الأمم ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ الرسل ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الواو واو الحال ﴿أَمَّا﴾ أم وما للسؤال ﴿ذَا﴾ اسم موصول ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما آمركم.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حل ما أوعدهم لردهم دعوى الرسل ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ ألحدوا ﴿فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾ لعمهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ المراد: للكرى كسواهم، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لروم المصالح ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل على الواحد الأحد ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سردهم لحصول الارعواء لهم لا لسواهم.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا

وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٨٧ - ٩٣]:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، المعلوم أو المراد الصور محركا ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: هالهم هولاً مؤدى إلى ورود الحمام ﴿إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ هم الملك الروح، وملك المطر، وملك الصور، وملك الحمام، أو أهل الإسلام الأولى أهلكوا ووسط المعارك، أو المراد موسى ردد الله له السلام، أو الحور، ولعل المراد الأعم ﴿وَكُلٌّ﴾ كلهم ﴿أَتَوْهُ﴾ كساموه، ورواه راوٍ كرموه ﴿دَاخِرِينَ﴾.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ محلها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ المطر حال حلوله، ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد ﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكمه وسواه ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ورواه راوٍ للسامع، والواو عائد إلى الأمم طائع وعاص، والمراد: عالم أحوالهم ومعامل كل أحد على عمله صالح أو طالح.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله لدى المعاد ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ﴾ هول ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ورواه راوٍ على الحسم ﴿آمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الإلحاد ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ وسؤال الأملاك لهم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل حكمه حكم ما قل لهم.

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾(١) أم رحم ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ لا طائر مصاد

---

(١) ﴿إنما أُمرتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدة﴾ أي: مكة، أي: إنما أمرني ربي أن أعبده، وأستغرق أوقاتي في مراقبته ومشاهدته، غير مبالٍ بكم، ضللتم أم رشِدتم، وما عليّ إلا البلاغ، وقد بلغتكم وأنذرتكم. وتخصيص مكة بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها، ﴿الذي حرَّمها﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، يأمن الملتجأ إليها، ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شوكها، ولا ينفّر صيدها. والتعرض لبيان تحريمه إياها تشريف لها بعد تشريف، وتعظيم إثر تعظيم، مع مافيه من الإشعار بعلة الأمر بعبادة ربها، وأنهم مُكلفون بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا الْبَيْتِ الَّذِيا أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]. ومن الإشارة إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها، ألا =

ولا دم مسال وسواهما مما حرم ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أسرا وملكا، والمراد: سوى المعدوم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أهل الدوام على الإسلام.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ﴾ دعاء للأمم إلى السلوك على مسلك أوامره ورواعه ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ وسلك مسالكه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح أعماله لها ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ وما ارعوى ﴿فَقُلْ﴾ مروعا له ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ وما على الرسول إلا الدعاء، والحكم المحرر محا حكمه أمر المعارك وأعمال الحسام على رؤوس أهل الإلحاد واللئام.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ﴾ على آلاء لا حصر لها ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ كالإهلاك والأسر لهم ﴿فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع، وحاصل المراد هو معاملكم على أعمالكم.

=

يُرى أنهم مع كونها محرمة أن تنتهك حرمتها، ويلحد فيها بإثم، قد استمروا فيها على تعاطي أفجر الفجور، وأشنع الإلحاد، حيث تركوا عبادة ربها، ونصبوا الأوثان، وعكفوا على عبادتها، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون. قاله أبو السعود. ثم قال تعالى: ﴿وله كلُّ شيء﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، من غير ان يشاركه أحد في شيء من ذلك، تحقيقاً للحق، وتنبيهاً على إن إفراد مكة بالإضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف، مع عموم الربوبية لجميع الموجودات. ﴿وأُمرتُ أن أكون من المسلمين﴾ المنقادين له، الثابتين على ما كنا عليه، من ملة الإسلام والتوحيد. الذين أسلموا وجوهم له تعالى، وانقادوا إليه بالكلية. انظر البحر المديد (٣٧٤/٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص

مكية، وآيها ثمان وثمانون آية

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾(1) [آية: ١ - ٦]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله تعالى ﴿طسم﴾ كسائر الفواتح وقد تقدم القول فيها وتِلْكَ إشارة إلى آيات السورة ﴿والْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هو إما اللوح وإما الكتاب الذي وعد الله إنزاله على محمد (صلى الله عليه وسلم) فبين أن آيات هذه السورة هي آيات ذلك الكتاب ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه الحلال والحرام أو لأنه بين بفصاحته أنه من كلام الله دون كلام العباد أو لأنه يبين صدق نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أو لأنه يبين خبر الأولين والآخرين أو لأنه يبين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال أما قوله تعالى ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي على لسان جبريل عليه السلام لأنه كان يتلو على محمد حتى يحفظه وقوله ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ فهو مفعول ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (المؤمنون ٢٠) وقوله ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه وجهان أحدهما أنه تعالى قد أراد بذلك من لا يؤمن أيضاً لكنه خص المؤمنين بالذكر لأنهم قبلوا وانتفعوا فهو كقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢) والثاني يحتمل أنه تعالى علم أن الصلاح في تلاوته هو إيمانهم وتكون إرادته لمن لا يؤمن كالتبع قوله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا في الارْضِ﴾ قرئ فرعون بضم الفاء وكسرها والكسر أحسن وهو كالقسطاس والقسطاس عَلا استكبر وتجبر وتعظم وبغى والمراد به قوة الملك والعلو في الأرض يعني أرض مملكته ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ أي فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم مخالفته أو يشيع بعضهم بعضاً في استخدامه أو أصنافاً في استخدامه أو فرقاً =

﴿طسم﴾ الله أعلم ما المراد على الأسلم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ المواميء للحاصل ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هم أهل الإدراك لا سواهم.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا﴾ سمد ﴿فِي الأَرْضِ﴾ مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾ أهل مصر ﴿شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ حاصل العامل مع معموله إما وسم لما أم أهلها أو هو حال لعدو موسى أو أول كلام ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ لما أعلموه، وهو مطور ملكه لولد مولود ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لإهلاكه وإعدامه الأولاد وسواه.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ عدد إمام، والمراد للمسلك الموصل إلى الله ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك عدو موسى وملأه.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ مصر وما مهمله السام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وهو مطور ملكهم وهلاكهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [آية: ٧، ٨]:

=

مختلفة قد أغرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع أو المراد ما فسره بقوله ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ أي يستخدمهم ﴿يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا﴾ فهذا هو المراد بالشيع قوله يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ تلك الطائفة بنو إسرائيل وفي سبب ذبح الأبناء وجوه أحدها أن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل في ليلة كذا يذهب ملكك على يده فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاماً فقتلهم وعند أكثر المفسرين بقي هذا العذاب في بني إسرائيل سنين كثيرة قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفاً من بني إسرائيل قال بعضهم في هذا دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل وهذا السؤال قد يذكر في تزييف علم الأحكام من علم النجوم ونظيره ما يقوله نفاة التكليف إن كان زيد في علم الله وفي قضائه من السعداء فلا حاجة إلى الطاعة وإن كان من الأشقياء فلا فائدة في الطاعة وأيضاً فهذا السؤال لو صح لبطل علم التعبير ومنفعته وأيضاً فجواب المنجم أن النجوم دلت على أنه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وعلى هذا التقدير لا يكون السعي في قتله عبثاً. انظر تفسير الرازي (١٩٣/٢).

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ المراد: الإلهام أو حال الكرى ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ وهو المولود المحرر لما ولد ﴿أَنْ﴾ للحل ﴿أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ طم مصر ﴿وَلا تَخَافِي﴾ هلاكه وسط الماء، ﴿وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ اللام لام المال ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ رواه راوٍ محركا كمسد، وراوٍ كعسر ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ كلهم عاص أوردهم الله موارد أعمالهم.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [آية: ٧ - ١١]:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ لما أراد إهلاك موسى ردد الله له السلام هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ﴾ الكلام لعدو موسى وملأه ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وأطاعوها وعدلوا عما هموا، ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ مآل أمرهم معه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لما وصلها علم وصوله إلى عدوه ﴿فَارِغًا﴾ مما سوى ولدها موسى ردد الله له السلام ﴿إِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأولى سلموا لوعد الله ومكمل لولا داله كاد وما أمها.

﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ المراد روم رسمه والاطلاع على أحواله ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ محل ما هو صدد محلهم ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿وَحَرَّمْنَا﴾ المراد: العصم والحد ﴿عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ أولا عصر إلا علم

ولا اطلاع لامه على حاله، وصار كلما أوردوه على حلم اللسد ردها وكرهها ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ السادا وسواه ﴿وَهُمْ لَهُ﴾ الهاء عائد إلى موسى ردد الله له السلام أو إلى الملك كادعائها عود الهاء له لما سألوها ﴿نَاصِحُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ كما حصل الوعد لها إلهاما ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ لدى وصولها إلى ولدها ﴿وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ العلم علم مرأى وسطوع ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الهاء للأمم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ حصول ما وعد الله وأوعد علما حاسما لكل وهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو وصول عمره إلى أعوام عددها عدد موعده ﴿وَاسْتَوَى﴾ وصل إلى عمر الإرسال، وهو كموعده مع ما أكمله ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ المراد: علم الحكماء والعلماء، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما حصل لموسى وأمه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٥ - ١٩]:

﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مصرا وسواها ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أول المساء، أو لدى الحر والدلوك ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ الأولى داموا على مسلكه ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أراد: إكراه الأول على حمل العود إلى مطها طعام عدو موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ ورام موسى مساعدا له ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ ولما ورد موسى كلم العدو ما حاصله دعه، وحاوره العدو أدعه وأحملك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ وروى راوٍ محل الواو لاما وهو الصك على الصدر ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾

أهلكه وما مراده إهلاكه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لولد آدم ﴿مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ موسى سادما على ما حصل لا على مسلك العمد ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ للهائد أعماله دائما وأمدا.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا﴾ العامل المسلط على ما المصدر، وهو عامل مؤل كوالله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أراد آلاء مولاه لما هاد ومحا الله عمله الصادر ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ رداء ومساعدا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أحوال أهل الهالك وما هو حاصل له ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ لما دعاه أمس ورامه رداء ومساعدا على عدوه وأهلكه موسى ردد الله له السلام. ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى ولرائمه ردا ومساعدا وهو الداع ﴿قَالَ﴾ الداع المحرر لما سماه موسى كما سماه وهاله إهلاك موسى له ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ﴾ مهلكا أحاد ولد آدم عدوا ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ولما سمع عدوها ما حكاه مع موسى أوصله لأهل الهالك وعال الأمر ووصل إلى عدوه ملك مصر وملأه، وعولوا على إهلاك موسى ردد الله له السلام، وورد مسلم آل عدوه وهو ولد عم ملك مصر، وأوصل لموسى ما أراده عدوه وملاؤه كما حكى الله.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ

مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ
ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ
قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾ [آية: ٢٠ - ٢٨]:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ **مسرعًا مهرولا** ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ **الهاء للمصر المحرر** ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ **إدراكهم له وإمساكه** ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ **هم ملأ عدوه.**

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ **أمَّ ورام** ﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ **إحدى السواد، وهو اسم ولد والد الرسل ردد الله لهما السلام** ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ **المسلك لوسط لعدم علمه مسالكها، وأرسل الله له ملكا سار معه وأوصله لها.**

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ **المراد: وصل إلى رسها** ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ **سوى إلاهه** ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ **المراد: الردع لردعهما ما لهما روع الحلول مع سواه** ﴿قَالَ﴾ **موسى لهما** ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ **ما حالكما وأمركما** ﴿قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ﴾ **كأكرم، ورواه والد عمرو، وولد عامر كطلع** ﴿الرِّعَاءُ﴾ **عدد راع وصدورهم أو إصدارهم رواحهم كلهم إلى محالهم،** ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ **هم هرم ورحم موسى حالهما ومطر إلى رس الله سوى الأول.**

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ **طعام آآكله** ﴿فَقِيرٌ﴾ **سائل، ولما علم والدهما ما أسدى موسى ردد الله لهما السلام أمر أحداهما دعاءه.**

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ **سمكا لكم درعها على رأسها** ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ **ولعل موسى ردد الله له السلام أسرع إلى الرواح معها لما سمع هرم والدها لا طمعا لمأكل أو مطعم.**

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ﴾ **موسى** ﴿عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ **حكى له ما حصل كله إلى وروده**

إلى الماء ﴿قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لعدم وصول عدو موسى إلى محلهم.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ المرسله ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ للمرعى ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ ولما رأى والدها كلامها محله.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ أعوام ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ إكمالها ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأولى موعودهم حاصل لا محال وعهدهم مراعى ومكلؤ.

﴿قَالَ﴾ موسى ردد الله لهما السلام ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى العهد المسطور ﴿أَيَّمَا﴾ ما وصل لا مؤدى له ﴿الأَجَلَيْنِ﴾ مع الإكمال وعدمه ﴿قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ المراد: لو لم أكمل أطولهما ﴿وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ موسى ووالد عرسه ﴿وَكِيلٌ﴾ كالئ ومطلع وكمل الأهول، وأعطاه صهره عصا آدم وعودها أس دار السلام.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ
لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ
مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ
ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ
جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾
وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ

رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ
لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ
مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا
لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ
﴿٤٢﴾ [آية: ٢٩ - ٤٢]:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾ لعل أطولهما كما هو المأمول ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أمَّا مصر ﴿آنَسَ﴾ رأى على المدى ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم علم ﴿نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ ودال على مسالك مصر ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ كرأس عود أو سواها مما هو هاد إلى المسالك أو للاصطلاء كما دل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ﴾ لموسى ردد الله لهما السلام وهو المدعو للداع ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ معمول لما أدى مؤدى الدعاء كالعامل والمعمول الأول وهو ما أمه الواد ﴿أَنْ﴾ للحل لا أصلها العامل المؤكد ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ﴾ كالأولى ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ المراد: ارمها ورماها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ حراكا ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ صل مسرع ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولى روعا ودال روعه دعاء الله له وهو ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ﴾ عصاك ﴿إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ الإدماء ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ درعا ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ على عكس حالها الأول وهو الإدمه ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ داء، والمراد: داء السأم المعلوم.

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾[(١)] رواه راوٍ كوله المصدر، وراوٍ كعدل، وراوٍ كرمح، وحاصل المراد مع الكل: الروع ﴿فَذَانِكَ﴾ المراد كلاهما، وهما العصا، والمسلوك وسط الدرع ﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ مرسلا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والإرسال إلى الأولى كهؤلاء أولى وأحرى، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

﴿وَأَخِي﴾ أول كلام ﴿هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ حاصل هو وما أمه محمول أول الكلام المار ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ ورواه راوٍ كمدى، والمراد مساعدا ﴿يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله علا حمده وعدا ووعده حاصل كما لو أوعد ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ علوا على أعدائكما، أو دالا لمدعاكما ﴿فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ وصول سوء أصلا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ معمول لعامل أمر مطروح وهو أمطرا ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ على أعدائكما.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ساطع أمرها ودلائلها ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ أومأوا إلى ما أورده موسى ردد الله له السلام كالعصا وسواها ﴿إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ على الله لا

---

(١) قال القرطبي: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ﴿وَمِنَ﴾ متعلقة بـ ﴿وَلَّى﴾ أي ولى مدبرا من الرهب وقرأ حفص والسلمي وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ بفتح الراء وإسكان الهاء وقرأ ابن عامر والكوفيون إلا حفص بضم الراء وجزم الهاء الباقون بفتح الراء والهاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ وكلها لغات وهو بمعنى الخوف والمعنى إذا هالك أمر يدك وشعاعها فأدخلها في جيبك واردها إليه تعد كما كانت وقيل: أمره الله أن يضم يده إلي صدره فيذهب عنه خوف الحية عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن ابن عباس؛ قال فقال ابن عباس: ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام، ثم يدخل يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه الرعب ويحكى عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: أن كاتبا كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر، فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر: خذ قلمك وأضمم إليك جناحك، وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي، وقيل: المعنى أضمم يدك إلي صدرك ليذهب الله ما في صدرك من الخوف وكان موسى يرتعد خوفا إما من آل فرعون وإما من الثعبان وضم الجناح هو السكون؛ كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ يريد الرفق وكذلك قوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أرفق بهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٨٤).

دال إرسال، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ السحر أو ادعائه الإرسال ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ المراد: على عصرهم.

﴿وَقَالَ﴾ وطرح راوٍ الواو ﴿مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الهاء عائد له علا اسمه ﴿وَمَنْ﴾ رد الواو اسم موصول على اسم موصول مكسور المحل ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ المراد: المحمود مآلها ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ هم أهل الإلحاد.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ له العلو والسمو الكامل ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ أراه وأعلم ما هو ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ﴾ الهاء لموسى ردد الله له السلام ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ المراد: لادعائه الإرسال لآله سواه.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وما هم أهل للسمود ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، ورواٍ لسواه، والمراد: لدى المعاد.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحا ﴿فِي الْيَمِّ﴾ الطم الملح؛ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل أمر ﴿الظَّالِمِينَ﴾ لما صاروا إلى الهلاك.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ رؤساء أهل الإلحاد ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لدعائهم إلى الإلحاد وادعاء إله سوى الله لا إله إلا هو ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾ لرد ألم أو حصول سلام لهم.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طردا عما هو رحم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أهل الإطراح عما أعده الله لأهل لا إله إلا الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ
لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ
وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ
﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم
مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ
يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ
يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى
مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية: ٤٣ - ٥٠]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحى له ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى﴾ كملأ والد حام، وملأ عاد وسواهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال الموحى لموسى، ﴿وَهُدًى﴾ لكل سالك على مسلكه ﴿وَرَحْمَةً﴾ لكل مسلم له ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ الكلام للرسول الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِجَانِبِ﴾ الطور أو الواد أو المحل ﴿الْغَرْبِيِّ﴾ لموسى ردد الله له السلام لما كلمه الله علا حمده ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ المراد: ما أوحاه الله ﴿إِلَى مُوسَى الأَمْرَ﴾ الإرسال إلى عدوه وملأه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على ما أوحاه الله له.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أمما وراء موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ طال عمرهم وأمهوا العهود اللاّ عهدها الله إلى موسى لطول المدد والأعمار، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مأكدا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ والد عرس موسى وملاؤه ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ محمولا أم محمولا ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك رسولا، ولك ما حصل للأمم الأول.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ العلم المعلوم ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى لإعطائه الكلام المكرم الموحى له ﴿وَلَكِنْ﴾ أرسلك الله ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم أهل أم رحم والحرم الحرام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مما هو إلحاد وسواه ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومكمل لولا الأولى هو لما حصل إرسالك رسولا لهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ هو رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ كالعصا وسواها ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ

مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ الواو للأولى حالهم كحالهم وهم أهل الإلحاد على عصر موسى ردد الله له السلام ﴿قَالُوا﴾ ادعى أهل عصر موسى السحر له ما ادعاه أهل عصر محمد أكمل الله لهما السلام والواو على ما حرر لأهل الإلحاد على عصر موسى، ولأهل الإلحاد الأولى على عصر محمد ﴿سِحْرَانِ﴾ موسى ومحمد، ورواه راو على المصدر، والمراد: ما أوحاه الله لموسى، وما أوحاه الله لمحمد وهو كلامه المكرم ﴿تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ موسى، ومحمد، وما أوحاه الله لهما وهو كلامه المكرم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم الحرام والأمر لمحمد ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ مما أوحاه الله لموسى، ومحمد أكمل الله لهما السلام ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك وهو روم ما هو أهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾ المراد: لا أحد ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هم أهل الإلحاد لادعائهم محل الأحد الصمد سواه.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٧]:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ هو كلام الله المكرم الموحى لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهاء للكلام المكرم ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أوحاه الله لما أسلم رهط الهود ولد سلام وسواه وسواهم

﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لإطلاعهم أولا على دال وروده وسط ما أوحاه الله لموسى والروح ردد الله لهما السلام.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ لإسلامهم لموسى أو الروح، ولمحمد صلى الله على كلهم وسلم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على مر العمل أو على ما حملهم أعداء الله ورسول ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ والدسع والدسر واحد ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ الطاعه ﴿السَّيِّئَةَ﴾ عكسها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ المراد: عار أهل الإلحاد وإسماعهم الكلام المكروه لهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ كرما، ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام موادع أو داع ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لأورادهم ولا كلامهم مراد لهم.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ المراد عالم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أوحاه الله لرسوله لما حرص على إسلام عمه والد الأسد الكرار لما ورد عمه المسطور على موارد حمامه.

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾ هو الطرد مع الإسراع ﴿مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ رد لما ادعوه ﴿يُجْبَى﴾ مؤدى مصدره الحمل، وروى أو أوله لعكس المرء ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ لهم ﴿مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ولو علموا لما راعهم طرد الملأ حولهم لهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها على مسلك المرسل المطروح ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ حالهم كحال هؤلاء دمرهم الله وهدم دارهم ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا﴾ لأهل المرور والمطور ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ لعدم أعمار إحد دارهم أو حوله محلهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أهلها لدى سلوكهم على مسالك الطلاح وسوء العمال ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أصلها وهو المصر، ولكل مصر أعمال ﴿رَسُولا يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ **لردهم دعوى الرسل وإلحادهم وسمودهم.**

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [آية: ٦٠]:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ **عائد إلى أحوال الدار الأولى** ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ **مدد أعماركم،** ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ **هو ما أعده لأهل الصلاح** ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٦١ - ٦٤]:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾[1] **هو دار السلام** ﴿فَهُوَ لاقِيهِ﴾ **مدركه على كل حال** ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ **طول عمره مع الآلام والأكدار** ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ **للسؤال، ولدار الدرك والكدر السرمد وهو الملحد، والأول المسلم.**

---

(١) ﴿أفمن وعدناه وعداً حسنا﴾، وهو الجنة؛ إذ لا شيء أحسن منها، حيث اشتملت على النظر لوجه الله العظيم، ولأنها دائمة، ولذا سميت الحسنى، ﴿فهو﴾: أي: الوعد الحسن ﴿لاقيه﴾ ومدركه، لا محالة، لامتناع الخلف في وعده تعالى، ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ الذي هو مشوب بالكدر والمتاعب،، مستعْقب بالفناء والانقطاع، ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضَرين﴾ للحساب والعقاب، أو: من الذين أحضروا النار.

والآية نزلت في المؤمن والكافر، أو: في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل - لعنه الله - ، ومعنى الفاء الأولى: أنه لَمَّا ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقّبه بقوله: ﴿أفمن وعدناه﴾ أي: أبعد هذا التفاوت الجلي نُسَوي بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة؟ والفاء الثانية للتسبيب، لأنه لقاء الموعود مسبب عن الوعد. و" ثم ": لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع. ومن قرأ: "ثم هْو"؛ بالسكون، شبه المنفصل بالمتصل، كما قيل في عَضد - بسكون الضاد - . انظر البحر المديد (٤٢٦/٥).

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هو ملأ دار السلام، ودار الكدر والدرك، والمراد: رؤساء أهل الإلحاد ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ﴾ هم ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم طرح عائد الاسم الموصول وهؤلاء أول كلام محموله ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ المراد: هم سولوا ووسوسوا لهم لا أكرهوهم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مما سلكوه وهو هواهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ما ألهوا إلا أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ وهم الصور والدمى ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ ومكمل لو هو؛ لما رواه لدى المعاد.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آية: ٦٥ - ٧٥]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لأورد مطروح ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ مردود رده الواو على الأول.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ﴾ حاروا لما هم محاوروه ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لعمههم.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ عما هو إلحاد وادعاء مع الله سواه كود وسواع ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ سلك على مسلك أوامر مولاه كالإسلام والعمل ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الأولى حصولا آمالهم حكم مرامهم وعسى للحصول كما هو مسلك الكرام والأمراء والملوك.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا حكم على علاه ولا حاكم ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ على الواحد الأحد ﴿سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ مصدره كالأسرار مؤدى ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما أسره صدرهم وما حواه كلامهم معلوم لله كلاهما.

﴿وَهُوَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى﴾ الدار الأولى، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ دار السلام والسرور السرمد، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ الصارم الصارد، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿قُلْ﴾ لأهل أم رحم والأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائما ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ على دعواكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ﴾ المراد: سماع إدراك للحكم على عدم إله سواه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ هو والأول حاصل مؤداه الأعلام ﴿إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ دائما ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ على مدعاكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ مما هو كد وكلال ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ سوء مسلككم.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ الأول للأول وما أمه لما أمه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاكم مع مرورها ودورهما.

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿نَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرره لوروده أساسا لما أمه وهو.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ على مسالكهم وأحوالهم وأعمالهم وهو رسولهم ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ادعائكم إله مع الله وصححوا دعواكم ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ لا إله معه ولا رده له ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو ادعاؤهم إلها معه.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن
ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ
يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ
مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾
[آية: ٧٦ - ٨٤]:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ولد عمه أو رحمه وأسلم لموسى ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ سمودا وعلوا ووسع مال ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ الأموال ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ المراد: ما لو حملها ملأ لا كلهم وأمالهم حملها ﴿إِذْ﴾ معمول لأورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ هم أهل الإسلام ﴿لا تَفْرَحْ﴾ للمال المعطى لك سرور علو وسمود ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

﴿وَابْتَغِ﴾ رم ﴿فِيمَا آتَاكَ اللهُ﴾ وهو وسع المال ﴿الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ والعمل لها ﴿وَلا

تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ كعدم عملك لدار معادك أصلا، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إعطاء للمعدم والسائل ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ سلوكا على ما صادم أوامر مولاك ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ الهاء عائد للمال ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ وهو أعلم أهل عصره سوى موسى وولد أمه ردد الله لهما السلام ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الأول ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال، والمراد: هو عالم إهلاك الله الأمم الأول كما سمعه وعلمه والله مهلكه كما أهلكهم، أورد لادعائه العلم، والمراد ولو هو عالما كما ادعى لأدرك محال الهلاك ورد مصارع هلكه ﴿وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال إعلام أو أصلا لعدائهم ووصولهم إلى وراء الحدود واطلاع مولاهم على سوء أعمالهم وإلحادهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ مع ملأه كلهم كامل العدد والحلى والحلل على حلى واحد ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ لما رأوهم ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ﴾ سهم ﴿عَظِيمٍ﴾ كامل عددا وحلى وأمولا وحللا.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وعلموا ما وعد الله أهل الصلاح مآلا ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ﴾ وهو دار السلام لدى المعاد ﴿خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أعطاه الله وُلِدَ عم موسى حالا، ﴿وَلا يُلَقَّاهَا﴾ الهاء عائد إلى دار السلام وهو مؤدى ما وراءه اسم إله ﴿إِلا الصَّابِرُونَ﴾ على كل عمل صالح وعما هو طالح.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كردهم هلاكه وردع مصارع حمامه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ مما أراده الله.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ محله ﴿بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ﴾ موسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ المراد: موسع العطاء على واحد وحاصره على واحد ﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ﴾ رووه للمعلوم وسواه ﴿بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لآلاء الله.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ دار السلام، والسرور الدائم على الدوام ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ كسمود أو كهر ﴿وَلا فَسَادًا﴾ كعمل معاص، ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود مآلها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عمل المحارم أو ما أوعد الله أهل الطلاح على عملهم، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

[آية: ٨٥ - ٨٨]:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾[1] أوحاه وأصدره ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أم رحم ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ﴾ اسم موصول معمول لعامل مطروح لا اسم داله أعلم أو أدى أعلم مؤدى عالم، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ كلام الله المكرم، والمراد: رده لك إلى أم رحم كإعطائك الكلام المكرم، وكلاهما حاصل لا على أمل ﴿إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ

---

(١) قال الرازي: ﴿إِنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ (القصص: ٨٥) أي قدر، ثم إن السورة لا يمكن فرضها لأنها قد دخلت في الوجود وتحصيل الحاصل محال، فوجب أن يكون المراد وفرضنا ما بين فيها، وإنما قال ذلك لأن أكثر ما في هذه السورة من باب الأحكام والحدود فلذلك عقبها بهذا الكلام، وأما قراءة التشديد فقال الفراء: التشديد للمبالغة والتكثير، أما المبالغة فمن حيث إنها حدود وأحكام فلا بد من المبالغة في إيجابها ليحصل الانقياد لقبولها، وأما التكثير فلوجهين: أحدهما: أن الله تعالى بين فيها أحكاماً مختلفة والثاني: أنه سبحانه وتعالى أوجبها على كل المكلفين إلى آخر الدهر، أما قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا﴾ ففيه وجوه: أحدها: أنه سبحانه ذكر في أول السورة أنواعاً من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ إشارة إلى الأحكام التي بينها أولا ثم قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا﴾ إشارة إلى ما بين من دلائل التوحيد، والذي يؤكد هذا التأويل قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فإن الأحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكيرها. أما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم لظهورها فأمروا بتذكيرها. وثانيها: قال أبو مسلم يجوز أن تكون الآيات البينات ما ذكر فيها من الحدود والشرائع كقوله: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (آل عمران: ٤١) سأل ربه أن يفرض عليه عملا وثالثها: قال القاضي إن السورة كما اشتملت على عمل الواجبات فقد اشتملت على كثير من المباحثات بأن بينها الله تعالى، ولما كان بيانه سبحانه لها مفصلا وصف الآيات بأنها بينات. انظر تفسير الرازي (٣١٨/٢٣).

فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ ردأ ومساعدا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

على ما دعوك له وهو السلوك على مسالكهم وإلحادهم.

﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله وراء الدال وأومأ أم داله مكرر طرح أولهما لعمل لا والواو لعدم الحركه ﴿عَنْ آيَاتِ اللهِ﴾ العمل على مسالكها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ﴾ الأمم ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى الركوع لمولاك والسلوك على مسالك أوامره وروادعه ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مساعدا لهم على ما راموه.

﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ولو سأل سائل ما حاصله رسول الله صلى الله على روحه وسلم معصوم عما هو سلوك على هؤلاء المسالك، وعدم صدور ما حرر أمر حاصل حسما رد سؤاله المحرر ردع الله لرسوله ما هو إلا لحسم أطماع الإلحاد عما هو سلوك على مسالكهم لا لردع رسوله المعصوم عليه السلام سطر ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ المراد: إلا هو وأورد الورد واراد الكل ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ الصارد الصارم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[1][آية: ١ - ٤]:

---

(١) سورة العنكبوت من السور التي افتتحت ببعض حروف التهجى ﴿الم﴾، ويبلغ عدد السور التي افتتحت بحروف التهجى، تسعاً وعشرين سورة. وقد سبق أن قلنا: لعل أقرب الأقوال إلى الصواب، أن هذه الحروف المقطعة قد وردت في افتتاح بعض السور، على سبيل الإيقاظ والتنبيه، للذين تحداهم القرآن الكريم، فكأن الله - تعالى - يقول لأولئك العارضين في أن القرآن من عند الله: هاكم القرآن ترونه مؤلفا من كلام هو من جنس ما تؤلفون منه كلامهم، ومنظوما من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها حروفكم، فإن كنتم في شك من كونه منزلا من عند الله، فهاتوا مثله، وادعوا من شئتم من الخلق لكي يعاونكم في ذلك.. والاستفهام في قوله - سبحانه - : ﴿أَحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ للإنكار و﴿حسب﴾ من الحسبان بمعنى الظن. وقوله: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ من الفتن، بمعنى الاختبار والامتحان. يقال: فتنت الذهب بالنار، أي: أدخلته فيها لتعلم الجيد منه من الخبيث. وجملة " أن يتركوا " سدت مسد مفعولي حسب، وجملة " أن يقولوا " في موضع نصب، على معنى: لأن يقولوا، وهي متعلقة بقوله: ﴿يتركوا﴾. وجملة " وهم لا يفتنون " في موضع الحال من ضمير " يتركوا". والمعنى: أظن الناس أن يتركوا بدون امتحان، واختبار، وابتلاء، وبدون نزول المصائب بهم، لأنهم نطقوا بكلمة الإيمان؟ إن ظنهم باطل، ووهم فاسد، لأن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، بل هو عقيدة تكلف صاحبها الكثير من ألوان الابتلاء والاختبار، عن طريق التعرض لفقد الأموال والأنفس والثمرات، حتى يتميز قوي الإيمان من ضعيفه. قال القرطبي: والمراد بالناس قوم من المؤمنين كابن ربيعة، والوليد بن الوليد... فكانت صدورهم تضيق بذلك، وربما استنكروا أن يمكن الله الكفار من المؤمنين. قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده، اختبار للمؤمنين وفتنة.

=

﴿الم﴾ الله أعلم ما مراده على الأسلم المصحح.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ لعلم أحوالهم وما أسره صدرهم إسلاما أو إلحادا.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ المراد: علم السطوع لكل أحد وإلا هو عالم كل عصر أسرارهم وما طواه صدرهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ حال ادعاء الإسلام.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الإلحاد وكل ما حرمه الله ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ المراد: ما هم وارد وموارد أعمالهم لا هم واردوها ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم المسطور.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [آية: ٥ - ٧]:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ﴾ دار السلام، أو المراد: الوصل إلى ما أعده له مولاه على صالح الأعمال ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ العصر المحدود له ﴿لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ كلام الأمم ﴿الْعَلِيمُ﴾ سرائرهم وأعمالهم.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ كرا على العدو الملحد أو على الهوى ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لعود الصالح له لا لله ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم والملك وسواهما.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كإلهامهم عمل صالح

=

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال، فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، موجد حكمها بقية الدهر.. وقوله - سبحانه - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين﴾ مؤكد لما قبله من أن ظن الناس أن يتركوا بدون ابتلاء، لقولهم آمنا، هذا الظن في غير محله، لأن سنة الله قد اقتضت أن يدفع الناس بعضهم ببعض، وأن يجعل الكافرين يتصارعون مع المؤمنين، إلا أن العاقبة في النهاية للمؤمنين. والمقصود بقوله - تعالى - : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ..﴾ إظهار علمه - سبحانه - ، أو المجازاة على الأعمال. انظر التفسير الوسيط (٢٥٥/٨).

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على عملهم المحرر ﴿أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [آية: ٨، ٩]:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ وصى حال محل الأمر ﴿حُسْنًا﴾ معمول لعامل مطروح هو أولهما ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ وعدم وآمه لما علم هدره أولى ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: أعاملكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ مع أهل الصلاح والكمال وهم الرسل، وكل موال لله، أو المراد: حلولهم معهم دار السلام.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ﴾ كما لو أهل الإلحاد على الإسلام ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ رومهم إلحاده ووآمه لهم ﴿كَعَذَابِ اللهِ﴾ سواء لو أطلعهم على ما راموه ﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ لأهل الإسلام ﴿مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ عددا مع أهل الإسلام وراموا سهما ﴿أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ﴾ عالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ إسلاما أو إصرارا على الإلحاد.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدرا وكلاما، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ وهم كل مسلم كلاما لا صدرا وسرا وهو معاملهم على سوء أعمالهم، ومعامل أهل الإسلام على صالحها.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا

مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ المراد: ما هم سالكوه وهو الإلحاد ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ لوعد سلوكهم على مسلكهم عملا طالحا ورد الله دعواهم لما أوحى ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لادعائهم أمرا لا وصول ولا حصول له أصلا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ سوء أعمالهم ﴿وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهو أمرهم المحرر ووعدهم أهل الإسلام حمل سوء أعمالهم لو سلكوا على مسالكهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله مما لا أصل له.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [آية: ١٤، ١٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ وعمره كموعد موسى مع مكمله ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وهو داع لهم إلى الله وردوا ما ادعاه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ علا الماء على محالهم وأهلكهم ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لإلحادهم وردهم دعوى رسولهم ردد الله له السلام ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ الأولى حلوها معه أولاده وسواهم كما مر، ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأمم وراءهم.

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟

ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا
ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم
بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ
لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا
فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى
ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ
ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ
لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ
وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ
ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ
يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آية: ١٦ - ٣٥]:

﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد لهم أو ما حاكاه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده ووحدوه ﴿وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما هو سلوككم وهو الركوع إلى الصور والدمى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصالح والأصلح لكم مما هو سواهما.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه ﴿أَوْثَانًا﴾ صورا ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ لا أصل له ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ المراد: المصدر أو ما هو مأكول ﴿فَابْتَغُوا﴾ روموا ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ لا لدى سواه ﴿الرِّزْقَ﴾ كله هو الملك له ولكم ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ هو أهل العطاء والحمد ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ المراد: أهل أم رحم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم، وصار مآل أمرهم الهلاك ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ المحصحص أمره والحسام

للأوهام.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ على وروده لسوى السامع ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ مردود رده الواو على ما أم (أولم) ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المسطور وهو الحكم الأول والإعاده ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ ما حكاه كلام الله لوالد الرسل أو لمحمد ردد الله لهم أكمل السلام ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ﴾ الله ﴿الْخَلْقَ﴾ للأولى مروا أمامكم وصاروا إلى مصارعهم وإدراكهم حمامهم ﴿ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ﴾ ورواه راوٍ كالكلاله ﴿الآخِرَةَ﴾ وراء الأولى لدى المعاد ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هلاكه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمه ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ رد للسؤال والورود على موارد أعمالكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ مولاكم إدراكا ﴿فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ المراد لو صح وسلم صعودكم لها ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ حارس أو رادع مما أراد حلوله مولاكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم أو دلائله على لا إله إلا الله ﴿وَلِقَائِهِ﴾ المعاد ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ دار السلام المعد لأهل الإسلام ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم لإلحادهم وعدم إسلامهم لكلامه ورسله.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾[1] الهاء عائد إلى والد الرسل ردد الله لهم السلام ﴿إِلا أَنْ

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿فما كان جواب قومه﴾: يحتمل أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه، والمراد بالأمم قبله: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، وأن تكون من كلام الله في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشأن قريش، مُعْتَرِضَةً بين أول قصة إبراهيم وآخرها. فإن قلت: الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت؛ معترضة فيه؛ فلا تقول: مكة، وزيد قائم، خير بلاد الله؟ قلت: قد وقع الاتصال، وبيانه: أن إيراد قصة إبراهيم عليه السلام إنما هو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أباهُ إبراهيم كان مبتلى بنحو ما ابتلى به؛ من شرك قومه، وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: ﴿وإن تُكذِّبوا﴾ يا معشر قريش محمداً، فقد كذب إبراهيمَ قومُه، وكل أمة كذبت نبيها لأن قوله: ﴿فقد كذّب أمم مِن قبلكم﴾ لا بد من تناوله لأمة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض متصل، ثم سائر الأيات بعدها من توابعها؛ لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله، وهدم الشرك، وتوهين قواعده، وصفة قدرة الله وسلطانه، ووضح صحته وبرهانه. قاله النسفي. انظر البحر المديد (٤٦١/٥).

قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ﴾ لما سعروها وطرحوه وسطها وردها على والد الرسل سلاما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ردها سلاما ﴿لَآيَاتٍ﴾ كلؤه وإهمادها وعودها سلاما وحلوله وسط محل مكلئ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لإطلاعهم على الحكم وإسلامهم لها لا لسواهم لعدم ارعوائهم.

﴿وَقَالَ﴾ والد الرسل ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا﴾ صورا ركعا لها وما للمصدر على ورود ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ محمول العامل المؤكد أو اسم موصول وهو اسم العامل المؤكد، ورواها راوٍ معمول ما أم ما لا معمولها الأول، وراوٍ مملوك عمرو، وراوٍ كما لكا عمرا، وما أمها معمول لها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ﴾ الرأس ﴿بِبَعْضٍ﴾ المرؤوس ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ﴾ المرؤوس ﴿بَعْضًا﴾ الرأس ﴿وَمَأْوَاكُمُ﴾ كلكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ رادع عما هو حلول وسطها.

﴿فَآمَنَ لَهُ﴾ لوالد الرسل ﴿لُوطٌ﴾ هو ولد والده وأمه ﴿وَقَالَ﴾ والد الرسل ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ المراد: إلى محل أمره المطور له ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وسار هو وعرسه ولوط وورد هو إلى ما مهمله السام ولوط إلى سدوم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وراء الأول كلاهما ولد له ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ كل الرسل وراءه هو والدهم ﴿وَالْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى، والموحى للروح، ولداود، ولمحمد صلى على كلهم وسلم ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ هو حمد كل الأمم له مدى الدهر ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كمل أهل الصلاح.

﴿وَلُوطًا﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾ وسهل راوٍ ما أم الأولى مع المد وعدمه ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ كالأولى ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ على أهل المرور أو مسالك الأولاد لعدم صدور الماء وسط الأرحام ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ محال كلامكم كل واحد مع رهطه ﴿الْمُنْكَرَ﴾ كاللواط وسواه على ملأ الرهط، وكل مطلع على سوء عمل سواه.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ لرسولهم لوط ﴿إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وصحح مدعاك وهو سوء عملهم وحلول الألم على عامله ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ وأحلل على أهل اللواط والعمل السوء الملك.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ حصول ولد ووراءه ولد ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أهل إلحاد.

﴿قَالَ﴾ والد الرسل ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ الواو للأملاك رسل الله ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أهل الحلول وسط الألم أو سدوم.

﴿وَلَمَّا أَنْ﴾ وصل مؤكد ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ أهمه أمرهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لورودهم على صور ملاح مرد وراءه سماع ملأه ورودهم ووصولهم لهم، ولما رأوا روعه اهداؤه ﴿وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كسدد كالأولى ﴿وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ مع أهل الهلاك.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ رواه راوٍ كمكرم، وراوٍ كمهدد ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ ألما ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ رسمها ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ لكل ما وراء ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أهل حلم وإدراك.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَٰخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آية: ٣٦ - ٤٠]:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ ملأ لألام ووالد ﴿شُعَيْبًا﴾ هو وما أمه معمول لأرسل مطروح أو هو على وهم سرده ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا﴾ ارعوا ﴿الْيَوْمَ الآخِرَ﴾ هو المعاد ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد للعامل.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ ماد محلهم أو صاح على رؤوسهم الملك الروح

ردد الله له السلام كما مر ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ مصرهم أو دورهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ ركعا على كردوسهم الأحط هلكى.

﴿وَعَادًا﴾ معمول لأهلك مطروح ﴿وَثَمُودَ﴾ ورواه راوٍ كأحمد ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ ورسومها الساطع أمرها لأهل المرور على المسالك ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الإلحاد، وكل عمل سوء ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أهل إدراك لا عمها.

﴿وَقَارُونَ﴾ معمول لأهلك مطروح ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على لا إله إلا الله ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ ما أعده الله لهم وهو إهلاكهم، والمراد أدركهم.

﴿فَكُلًا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ سوء عمله ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أرواحا حملها الحصى أو ملكا رماهم كملأ لوط، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ صاح الملك الروح ردد الله له السلام وأهلكهم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾ كولد عم موسى المعطى أموالا لا حصر لها، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ كعدو موسى وملأه وسواهم، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ كإهلاكهم وما هم أهل للهلاك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لعملهم ما أدى إلى إهلاكهم.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ صورا ركعوا لها وادعوها موئلا ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ وموئلها كموئل أولئك ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا هو راد حرا ولا عكسه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ سوء مسلكهم لما ركعوا لهؤلاء الصور.

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا﴾ اسم موصول معمول للعلم ﴿يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لأهل السماع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الكاهر ما سواه ﴿الْحَكِيمُ﴾

محل الأمور محلها.

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ وسط الكلام المكرم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾ أولو العلم والإدراك.

﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا للهو ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سردهم لا سواهم لحصول الارعواء لهم لا لأهل العمى والإلحاد.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [آية: ٤٥]:

﴿اتْلُ﴾ أمر لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَأَقِمِ﴾ المراد: الدوام ﴿الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ حال أدائها ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ﴾ هو الصلاة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما سواها ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آية: ٤٦، ٤٧]:

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله مع سرد الدلائل والكلام السهل ﴿إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ لكرههم على أهل الإسلام، والمراد عاملوها عمل الحسام لا حلو الكلام ﴿وَقُولُوا﴾ لو سردوا لكم ما أوحاه الله لرسلهم كموسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ كلام الله المكرم لموسى لمحمد ﴿وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ما أوحاه لموسى والروح ردد الله لهم أكمل السلام ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ وهو الله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ لا لسواه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم كما أوحى الله إلى رسلهم كلاما ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كولد سلام ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله الموحى إلى رسوله محمد، ﴿وَمِنْ هَؤُلاءِ﴾ أهل أم رحم والحرم الحرام ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ لدى سطوع أمرها ودلائلها ﴿إِلا الْكَافِرُونَ﴾ الهود، أو محمول على الأعم.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آية: ٤٨، ٤٩]:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهاء لورود الكلام المكرم إلى رسوله الأكرم ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ وهو أدل أمر على إرسالك ﴿إِذًا﴾ لو محررا ساردا ﴿لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الهود.

﴿بَلْ هُوَ﴾ كلام الله المكرم الموحى لرسوله الأكرم ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ مكلؤ ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم أهل الإسلام ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ﴾ لردهم لها حال سطوع دلائلها وهم الهود.

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1] [آية: ٥٠ - ٥٢]:

---

(١) الآيات الكونية، كعصا موسى، وناقة صالح. ولولا حرف تحضيض بمعنى هلا. أي: وقال المبطلون للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت والعناد، هلا جئتنا يا محمد بمعجزات حسية كالتي جاء بها بعض الأنبياء من قبلك، لكي نؤمن بك ونتبعك؟ وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيات عِندَ الله وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إرشاد من الله - تعالى - لنبيه صلى الله عليه وسلم إلى ما يرد به عليهم. أي: قل - أيها الرسول - الكريم - في ردك على هؤلاء الجاهلين، إنما الآيات التي تريدونها عند الله - تعالى - وحده، ينزلها حسب إرادته وحكمته، أما أنا فإن وظيفتي الإنذار الواضح بسوء مصير من أعرض عن دعوتي، وليس من وظيفتي أن أقترح على الله - تعالى شيئاً. وقوله - سبحانه - : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب يتلى عَلَيْهِمْ...﴾ كلام مستأنف من جهته - تعالى - لتوبيخهم على جهالاتهم، والاستفهام للإنكار، والواو للعطف على مقدر.
والمعنى: أقالوا ما قالوا من باطل وجهل، ولم يكفهم أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب الناطق بالحق، يتلى على مسامعهم صباح ومساء، ويديهم إلى ما فيه سعادتهم، لو =

﴿وَقَالُوا﴾ ملحدو الحرم الحرام وأم رحم ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد أكمل الله له السلام ﴿آيَاتٌ﴾ ورواها راو على العدد ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ كما لصالح، وعصا موسى، وموائد الروح ردد الله لهم السلام ﴿قُلْ﴾ لهم والأمر لمحمد ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ أمر ورودها وإرسالها موكول لله لا للرسل ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لا أملك أمرا.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ عما سألوه ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ دائما مدا الدهور والعصور وما سألوه أمر لا دوام له ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكلام المكرم أو دوامه أمدا ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لملأ ما همهم سوى أمر الإسلام.

﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ على أداء الإرسال ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المراد: وعلمه حاله وحالهم أولى، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو الركوع لما سوى الله، ﴿وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حالا ومآلا.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً

=

تدبروه وآمنوا به، واتبعوا أوامره ونواهيه؟ والتعبير بقوله - سبحانه - : ﴿يتلى عَلَيْهِمْ﴾، يشير إلى أن هذه التلاوة متجددة عليهم، وغير منقطعة عنهم، وكان في إمكانهم أن ينتفعوا بها لو كانوا يعقلون. ولذا ختم - سبحانه - الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذلك لَرَحْمَةً وذكرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. أي: إن في ذلك الكتاب الذي أنزلناه عليك - أيها الرسول الكريم - ، والذي تتلوه عليهم صباح مساء، لرحمة عظيمة، وذكرى نافعة، لقوم يؤمنون بالحق، ويفتحون عقولهم للرشد، لا للتعنت والجحود والعناد. ثم أرشده - سبحانه - إلى جواب آخر يرد به عليهم فقال: ﴿قُلْ كفى بالله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾. أي: قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء الجاهلين: يكفيني كفاية تامة أن يكون الله - تعالى - وحده، هو الشهيد بيني وبينكم على أني صادق فيما أبلغه عنه، وعلى أن هذا القرآن من عنده. وهو - سبحانه - ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السماوات والأرض﴾ علماً لا يعزب عنه شيء، وسيجازيني بما أستحقه من ثواب، وسيجازيكم بما يستحقونه من عقاب. ﴿والذين آمَنُواْ بالباطل﴾ وأعرضوا عن الحق ﴿وَكَفَرُواْ بالله﴾ - تعالى - مع وضوح الأدلة على أنه - سبحانه - هو المستحق للعبادة والطاعة. الذين فعلوا ذلك: ﴿أولئك هُمُ الخاسرون﴾ خسارة ليس بعدها خسارة، حيث آثروا الغي على الرشد، واستحبوا العمى على الهدى، وسيكون أمرهم فرطاً في الدنيا والآخرة. انظر التفسير الميسر (٢٩١/٨).

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آية: ٥٣ - ٥٧]:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ لرومهم إمطار الحصى ﴿وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ حد محدود له أو لهم ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ مسرعا، ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ عصر وروده، وهو إعمال الحسام على رؤوسهم أو ورودهم مصارع حمامهم.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ حالا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ كالسور لهم مآلا.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ المراد: الأمر أو الأملاك، ورواه راوٍ على الواحد وهو الله أو ملك الألم ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: ما أعد لكم على سوء أعمالكم.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ المراد: مطورهم إلى محل مسهل للسلوك على أمر مولاهم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى أهل السماع، والمراد: عودهم لدى المعاد وورود كل على موارد عمله.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ المراد: إحلالهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ كل محل عال كالصرح وسواه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ الهاء للصروح ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ دار السلام وصروحها.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على مكروه أهل الإلحاد والمطور إلى مصر سوى مصرهم، أو محل سوى محلهم روما للسلوك على أوامر الله، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦٠]:

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ الكلام لكل ماطر إلى محل أو مصر سوى محله لله ولرسوله، والمراد: كلوا أموركم لمولاكم هو مطعمكم وسواكم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ دعاءكم وكلامكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ ما حواه صدركم وسرائركم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٦١]

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ إلى الركوع لسواه.

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آية: ٦٢، ٦٣]:

﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ المراد: موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ حاصرا ﴿لَهُ﴾ وهل كلاهما واحد، والمراد: عصرا موسعا، وعصرا حاصرا، أو موسع لواحد وحاصر على واحد ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومما عمله محل الوسع والحصر.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الهاء لأهل أم رحم كالأول ﴿مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ وحده وهم ركع لسواه ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ على سطوع الدلائل على ألا أحد معه سواه أو على ما عصمك مما هم سالكوه، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ سلموا لأسره العالم كلهم وادعوا معه سواه وركعوا له.

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آية: ٦٤ - ٦٧]:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ لعدم دوامها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ العمر الدائم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ دوامها وعدم دوام الدار الأولى لعملوا لدار أمرها وعمرها دائم.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1] الدعاء المراد، ومما دل على عدم علمهم وإدراكهم دعاؤهم الله وحده حال روعهم المهالك ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ وحال وصولهم إلى السلام، ومطور الروع دعوا معه سواه وركعوا للسوى ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ ما الاسم الموصول لآلاء الله على الأولى الحد وإلا دعائهم مع الله إلها، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ رد الواو معمول محصل مصدر على ما حاكاه أو اللام الأمر وورده مهددا لهم على أعمالهم، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أهل الحرم الحرام، والمراد العلم ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ مصرهم وهو أم رحم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ أهله وعماره، ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ سطوا على الأرواح والأموال ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصور والدمى ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ لادعائهم معه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [آية: ٦٨، ٦٩]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ هو ادعاؤه ردءا له ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ رسول الله أو كلامه المكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ حال وروده ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أرواحهم وأعداء الله ورسوله ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ المسلك الموصل لله ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أهل الإسلام كلأ وإعلاء على أعدائهم.

---

(١) قال القرطبي: فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه. وفي الحديث: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده" ذكره صاحب الشهاب؛ وهو حديث صحيح. وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ لما وجهه إلى أرض اليمن: "واتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٢٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم

مكية، وآيها ستون

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿الم﴾ الله أعلم ما مراده على الأصح الأسلم

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[1] مدعو الأهل والولد للواحد الأحد ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ صدد

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿غُلبت الرومُ﴾ أي غلبت فارسُ الرومَ ﴿في أدنى الأرض﴾ أي: في أقرب أرض العرب؛ لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم، أي: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام. أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوّهم. قال ابن عطية: قرأ الجمهور: "غُلبت"؛ بضم الغين. وقالوا: معنى الآية: أنه بلغ أهل مكة أن الملك كسرى هزَم جيشَ الروم بأذرعاتٍ، وهي أدنى أرض الروم إلى مكة، فسُر لذلك كفارُ قريش، فبشر المؤمنين بأن الروم سيغلبون. هـ. وهذا معنى قوله: ﴿وهم﴾ أي: الروم ﴿من بعد غَلَبِهم﴾، وقرئ: بسكون اللام؛ كالحلَب والحلْب، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: وهم من بعد غلبة فارس إياهم ﴿سيَغْلِبون﴾ فارس، وتكون الدولة لهم. وذلك ﴿في بِضْعِ سنين﴾، وهو ما بين الثلاث إلى العشر. قال النسفي: قيل: احتربت الروم وفارس، بين أذرعاتِ وبُصرى، فغلبت فارسُ الروم، والمَلِكُ بفارس، يومئذٍ، كسرى " أبرويز"، فبلغ الخبر مكة، فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ لأنَ فارسَ مجوسٌ؛ لا كتاب لهم، والروم أهل كتاب، وفرح المشركون وشمتوا، وقالوا: أنتم والنصارى أهل الكتاب، ونحن فارس أُمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنَّ نحن عليكم، فنزلت الآية. فقال أبو =

حدود الروم إلى أعدائهم ﴿وَهُمْ﴾ الروم ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ وحصول الكسر لهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ أعداءهم.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ المراد: أمام كسر أعداء الروم لهم ووراء كسر الروم أعداءهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِنَصْرِ اللهِ﴾ الروم على أعدائهم ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لحاصل الكلام أمامه ﴿لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم ملحدو ام رحم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ حصول وعده على كل حال لعدم إدراكهم.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ما هو مدار المطعم والمكسا ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ﴾ أعاده مؤكدا ﴿غَافِلُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [آية: ٨]:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ أولا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا

=

بكر: والله لَيَظْهَرَنَّ الروم على فارس بعد بضع سنين، فقال له أُبَيُّ بنُ خلف: كذبت، فناحبه - أي: قامره - على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال - عليه الصلاة والسلام - : "زِدْ في الخطر وأبعد في الأجل"، فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين، ومات أبيّ من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، أو: يوم بدر، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أُبَيٍّ، فقال عليه الصلاة والسلام - : "تصدَّقْ به". وهذه آية بينة على صحة نبوته، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب. وكان ذلك قبل تحريم القمار، عن قتادة. ومذهب ابي حنيفة ومحمد - رضي الله عنهما - : أن العقود الفاسدة؛ كعقد الربا وغيره، جائز في دار الحرب بين المسلمين والكفار، واحتجا بهذه القصة. هـ. زاد البيضاوي: وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار. هـ وقرئ: "غلبت"؛ بالفتح، " وسيُغلبون " بالضم، ومعناه: أن الروم غَلَبُوا على ريف الشام، وسيغلبهم المسلمون، وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها، وفتحوا بعض بلادهم، وعلى هذا يكون إضافة الغلَب إلى الفاعل. ﴿لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد﴾ أي: من قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء. أو: من قبل الغلبة وبعدها، كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين - وقبله: وهو وقت كونهم مغلوبين - ومن بعد كونهم مغلوبين - وهو وقت كونهم غالبين، يعني: أن كونهم مغلوبين أولا، وغالبين آخراً، ليس إلا بأمر الله وقضائه. ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

بِالْحَقِّ﴾ معمول لعلم مطروح داله الكلام وسرده ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وحد محدود له ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل أم رحم ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ وهو أمر المعاد ﴿لَكَافِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾ [آية: ٩، ١٠]:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأولى أهلكوا لردهم دعوى رسلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ الهاء لأهل الحرم ﴿قُوَّةً﴾ كعاد وسواهم، ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾ ردوا أعلى حصحصها إلى الدرك ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ المراد: أولئك ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ هؤلاء وهم أهل الحرم ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل الساطع أمرها ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ لما أهلكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لردهم دعوى الرسل وعدم إسلامهم لهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ﴾ اسم العامل أمامه أو محموله والاسم هو السوى ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ اسم لدار الكدر والألم الدائم المعد لكل ملحد على الدوام، ولكل عاص إلى حد محدود وسوء حالهم هول ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)﴾ [آية: ١١ - ١٣]:

﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى معادهم وورود كل على موارد أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾ كأكرم ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المراد عدم كلامهم لسطوع أمر إلحادهم.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ اللاء ادعوها مع الله كود وسواع ﴿شُفَعَاءُ﴾ مما اعد الله لهم على ادعائهم معه إلها سواه، ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أورد ما صدر، وحصل محل ما هو صادر، وحاصل لحصوله على كل حال على مسلك المصرحه.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ

فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧)﴾ [آية: ١٤ - ١٧]:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أهل الإسلام، وأهل الإلحاد.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ المراد: دار السلام ﴿يُحْبَرُونَ﴾ مصدره السرور.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى إلى رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ أمر المعاد وما وراءه ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ حالوه.

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ﴾ المراد: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ حوى ركوع أول المساء وما أمها ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ هو للركوع الأول أمام الطلوع.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾ [آية: ١٨، ١٩]:

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المراد: حامده أهلها ﴿وَعَشِيًّا﴾ وهو ركوع العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ركوع ما وراءه العصر.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ كولد آدم وسواه ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الرحم، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ ماء ولد آدم وما حكمه كحكمه ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ ولد آدم والطائر وسواهما، ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ﴾ كل ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها، ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحد وما حكمه كحكمه، ورواه راوٍ للمعلوم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ

تَخْرُجُونَ (٢٥)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٥]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ﴾ المراد: والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ كحواء، وأصلها آدم، وكل الحرم أصلها ماء المرء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ كل ولد آدم ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور حكمه ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ حكم مولاهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ كالأسود والأحمر والأسمر، وكلكم ولد واحد، وهو آدم وأمكم حواء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلائل على الله ﴿لِلْعَالِمِينَ﴾ هو ما سوى الله، ورواه راوٍ مكسور اللام، والمراد: أولو العلم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ﴾ كراكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ راحما حالكم ولولاه لهلك العالم كلهم، ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر المطعم والمكسى ومصالحكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك وعلم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أحله محل الاراءه، ولو المحصل للمصدر معدوما أو العامل محصل المصدر مطروح أمامه ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ مما هو مولده لأهل المرور على المسالك ﴿وَطَمَعًا﴾ لأهل الأمصار والسواد لحلول الأمطار ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ ورواه راوٍ كردد ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ﴾ كلأ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلائل على المولى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أهل الأحلام.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[1] لا على عمد محسوس وأورد الأمر وأراد الإراده ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ﴾ عصر أمره الصور لورودكم إلى المعاد

(١) والمراد بقيامه: ثباتهما وبقاؤهما بتلك الصورة العجيبة البديعة. أي: ومن آياته - سبحانه - الدالة على كمال قدرته، خلقه للسموات وللأرض، وإبقاؤه لهما على هذه الصورة البديعة، وقيامها وثباتهما واستمساكهما على تلك الهيئة العجيبة، وذلك كله بإرادته وأمره ومشيئته. قال ابن كثير: وشبيه بذلك قوله - تعالى - : ﴿وَيُمْسِكُ السمآء أَن تَقَعَ عَلَى الأرض إِلا بِإِذْنِهِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الله يُمْسِكُ السماوات والأرض أَن تَزُولا﴾ وكان عمر بن الخطاب. رضى الله عنه - إذا اجتهد في اليمين قال: لا، والله الذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمة ثابتة بأمره وتسخيره إياها. انظر التفسير الميسر(٨/٣٣٠).

﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ على أسرع حال.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ [آية: ٢٦، ٢٧]:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ كلهم طائع لأمره.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ للمعاد ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ المراد: ولو راعوا أصولهم وإلا كلاهما سهل على الله ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هو لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محلها.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٢]:

﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ الكلام لأهل الإلحاد ﴿مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهو ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ككل مملوك لكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أموالا وسواها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وكل مملوك لكم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ المراد: هل مروعكم مملوككم كالحر وما لكم وادعاؤكم ما هو مملوك لله إلها معه، والحال مملوككم ما هو مساوٍ لكم ولا هو معدود كالحر وكلكم أصل واحد ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأهل الإدراك.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لما ادعوا مع الله سواه ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وكم عالم سلك على مسالك هواه وردعه علمه وهؤلاء لا علم رادع لهم عما هم سالكوه ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ لا مهدى ولا هاد له ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ عما أعده الله لهم على سوء مدعاهم ومسلكهم.

﴿فَأَقِمْ﴾ الأمر لمحمد رسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ

﴿حَنِيفًا﴾ مائلا لله وحده ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾ معمول على حد رأسك والحسام أو مصدر، والمراد: مسلك الإسلام أو العهد المعطى لدى عالم الأرواح لما عاهد آدم وولده مولاهم على لا إله إلا الله ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ كادعاء إله معه ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الصراط السوي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ المراد: ملحدو الحرم الحرام ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ عدم أوده، ولو علموه لما أدعوا مع الله سواه.

﴿مُنِيبِينَ﴾ حال هو الحال وسط العامل المار أدى مؤدى مسلك الإسلام أو العهد المعطى كما مر أو حال اسم الرسول الأكرم أول السرد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله، والمراد: كلكم عائد إلى الله عما هو دعاء أو ركوع لسواه ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ صدر الأمر أولا للرسول، والمراد: أمر الأمم إكراما له صلى الله على روحه وسلم.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ على حكم أهوائهم ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ مللا لا على مسلك واحد ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كل سره مسلكه لادعائه هو المسلك الموصل والمسلم.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٥]:

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿ضُرٌّ﴾ لأواء ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾ عودا ﴿إِلَيْهِ﴾ لا إلى سواه ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ مطرا ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه ركوعا للصور.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام المآل أو لام الأمر، وورد مهددا لهم على ادعاء سوى الله معه ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل سوء أعمالكم، وهو أمر مهدد لهم.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ دالا على ما ادعوه مع الله أو ملكا معه دال على ادعائهم المحرر ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أمرا لهم ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ لا آمر ولا دال على ادعائهم المسطور.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ

وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٦ - ٣٩]:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كل ملحد على العموم ﴿رَحْمَةً﴾ المراد: الآلاء ﴿فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ لأواء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لحسوم أعمالهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ومآل الحال المحرر حال المسلم أمره لمولاه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصرًا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ المسطور كله ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلائل على حكم الله ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سردهم لحصول الارعواء لهم لا لسواهم.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ كل رحم ومحرم ﴿حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾ الصعلوك، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أهل المرور والمطور الأولى لا أموال لهم وهم على المسالك، والمراد: إعطاؤهم مما هو سهم الأموال أحد عماد الإسلام ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ ما أعده على صالح أعمالهم لا أمر سواه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصلو أمورهم على مرامهم.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ مال محرم ﴿لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو﴾ ما هو مطهر ﴿عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ لأموالكم كما أمركم مولاكم وهو السهم المحدود ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ لا لأمر سواه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ واحده كالمكرم مكسور الراء، والمراد: ما لهم، أو ما أعده الله لهم على إعطائهم السهم المعلوم رامئ لسلوكهم على مسلك أوامره.

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤٠]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ لدى حلول أعماركم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إلى المعاد وورود كل على موارد عمله ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ كالصور وسواها ﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه لا إله إلا إله واحد.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)﴾ [آية: ٤١ - ٤٥]:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ لعدم المطر والكلأ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ كل محل على ساحله لعدم الماء ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ هو حسوم أعمالهم ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ الله ورواه راوٍ على وروده كالمكلم ومعه سواه ﴿الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم سالكوه هودا إلى مولاهم.

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم، والأمر لرسوله محمد ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ المراد: أهلكهم الله ودمرهم لإلحادهم وعدم ارعوائهم وهدم دورهم وأمصارهم، ومال كل ملحد كمال هؤلاء وهو الدمار.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ مسلك الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ معمول لمرد وهو عصر المعاد ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ كل إلى محل أهل الإسلام إلى دار السلام وأهل الإلحاد إلى السوئ دار الآلام.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ ومال أمره إلى السوئ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ موطئو محال لهم وسط دار السلام.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما أم اللام معلل لمهد ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ المراد: معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٤٦]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ لحلول الأمطار ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر والكلاء ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ أورد الأمر وأراد الاراده ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ مصالحكم ومهامكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مولاكم على آلائه، والكلام لأهل الحرم الحرام أو للأعم ولم أره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي

﴿الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [آية: ٤٧ - ٥٠]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾(١) الدلائل وصححوا دعوى إرسالهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ لردهم دعوى الرسل، والمراد: إهلاكهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على أهل الإلحاد وإهلاكهم.

﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ ركاما ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ مرارا موصولا، ومرارا محسوما ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وهادئا ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ رواه راوٍ كعلم مكسور الأول، وراوٍ كعلل، والمراد موصولا ومحسوما ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ الهاء عائد المطر ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المراد: محالهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لحلول المطر.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ مؤكد للأول ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ ما هم مؤملو حلول المطر.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ﴾ ورواه ولد عامر على العدد ممدود أمام الراء ﴿رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ﴾ كلأ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ﴾ الهاء عائد إلى الكلأ، وكل محصود وداله السرد أو الركام ﴿مُصْفَرًّا لَظَلُّوا﴾ صاروا رد لما وطأه للام، وساد مسد معمول ما وراء الموطئ ﴿مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات والحجج النيرات ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أي فكفروا فانتقمنا ممن كفر. ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿حَقّاً﴾ نصب على خبر كان، ﴿نَصْرُ﴾ اسمها. وكان أبو بكر يقف على ﴿حَقّاً﴾ أي وكان عقابنا حقا، ثم قال: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ابتداء وخبر؛ أي أخبر بأنه لا يخلف الميعاد، ولا خلف في خبرنا. وروي من حديث أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من مسلم يذب عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله تعالى أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة - ثم تلا - " وكان حقا علينا نصر المؤمنين". ذكره النحاس والثعلبي والزمخشري وغيرهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٤).

﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ وحال هؤلاء كحال الأولى وردوا مصارع حمامهم أو الصم لعدم إدراكهم وسماعهم الدلائل ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ أورده مؤكدا عما هم وسوء حالهم. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ سماهم كما سماهم لعمه صدورهم وعدم إدراكهم إعلام الهدى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع ارعواء وإدراك ﴿إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وكلهم مسلم لأمرك.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء حل وسط الرحم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ هو وما أمامه، وما وراءه رواه راوٍ كرمح، وراوٍ كهدم ﴿قُوَّةً﴾ اللحم والدم وحلول الروح، أو إدراك الحلم وإكمال الحواس ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ هو الهرم ﴿وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ على كل ما أراده.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مَا لَبِثُوا﴾ وسط لحودهم ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ أما أمها أو لما لمحوا دوامهم وسط السوئ ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ المراد: عدولهم إلى عدم رمؤهم وسط لحودهم، أو وسط الدار الأولى كعدو لهم عما هو هدى، وهو الإسلام لأمر المعاد إلى العمى وهو ردهم له.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [آية: ٥٦ - ٦٠]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾ الملك وسواهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ﴾

علمه أو اللوح أو حكمه ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ حصوله ووروده لكم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ﴾ ورواه راوٍ على وروده لعكس المرء ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لإلحادهم ﴿مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا هود ولا عود لهم إلى الدار الأولى.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ مؤد إلى ارعوائهم وإسلامهم لرسلهم وأمر المعاد وراء الحمام ﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿جِئْتَهُمْ﴾ الكلام إلى الرسول محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿بِآيَةٍ﴾ كعصا موسى ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ محمد وأهل الإسلام ﴿إِلا مُبْطِلُونَ﴾ لدعواكم ما لا أصل له.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ علم لا إله إلا الله أو محمول على الأعم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ حاصل ووعد الله هو إعلاؤه أمر رسوله على أعدائه ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ المراد: عدم حملهم له على الأمر المحرر لعدم حمل الرسول عوراءهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان

مكية إلا: وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) [آية: ٢٧، ٢٨]

وآيها أربع وثلاثون

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿الم﴾ الله أعلم ما المراد على الأسلم كما مر مرارا.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿هُدًى﴾ محمول أول كلام مطروح هو هو، ورواه راوٍ على الحال، ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ على أكمل الأحوال ركوعا وسواه ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ﴾ أمر المعاد ﴿هُمْ﴾ مؤكد لهم الأول ﴿يُوقِنُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لما وحدوا الله وعملوا العمل الصالح.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ ﴾ [آية: ٦، ٧]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[1] مما لا أصل له ولا أساس ﴿لِيُضِلَّ﴾ رواه راوٍ كالح، وراوٍ كعل ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ مسلك الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم الموحى لرسوله محمد الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ سمودا ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ هو الصمم وعدم السمع ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (١١)﴾ [آية: ٨ - ١١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال هاء لهم ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ وهو حاصل على كل حال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا كاهر له على عدم حصول ما وعد أو أوعد كلاهما حاصل لا محال ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحل أحكامه ووعوده محلها.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ وسمكها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ولو لها عماد لرآه كل أحد، والمراد: لا عمد لها أصلا ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أطوادًا لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿هَذَا﴾ أومأ إلى السماء وما حواه، والدرك وما علاه وطواه ﴿خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي﴾ الأمر لأهل الحرم الحرام ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ كل إله له سواه على دعواكم ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ هم أهل الإلحاد، وكل مدع مع الله إلها لا إله إلا هو إله واحد ﴿فِي

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿ومن الناس من يشتري لَهْوَ الحديث﴾ أي: ما يلهى به عما يقرب إلى الله؛ كالأحاديث التي لا أصل لها، والخرافات التي لا حقيقة لها، والمضاحك، وفضول الكلام. قيل: نزلت في النَّضر بن الحارث، كان يخرج إلى فارس للتجارة، فيشتري أخبار الأعاجم، ثم يُحدث قريشاً بها، ويقول: إن محمداً يُحدثكم بأخبار عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رُسْتُم، وأخبار الأكاسرة، فيستملحُون حديثه ولا يسمعون القرآن. انظر البحر المديد (٥/٥٤٤)

ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾ [آية: ١٢ - ١٩]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ العلم والعمل أدرك عصر داود، وعلمه داود ردد الله له السلام العلم ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلهِ﴾ على ما أعطاك، وهو العلم والحكم ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لمآل حمده وصالح عمله له، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ آلاء الله ما أولاه ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ عما هو حمد ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال، ولو عدم حمد العالم له.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدّى مؤداه ﴿قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ﴾ الملحد ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وسمع ولده المحرر كلامه وعاد إلى الله وأسلم ووحد.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ هو حملها له ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾ هو ألم الولاده ﴿وَفِصَالُهُ﴾ عما هو لسد حلمها ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ والكلام للمولود هو ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ مالك ومعادك.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ إلحادًا ﴿عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وأما لهما ﴿فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ مسلك ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ عاد وهاد ﴿إِلَيَّ﴾ مسلما موحدا ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: أعمالكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ الهاء للإساءه ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي

السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: حلولها وسط أعلا محل، أو أحطه، أو أسره ﴿يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾ وعاملها مسئول ووارد على مواردها ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ علمه واصل إلى كل ما سر ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم ومطلع على محالها.

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ لأمرك وردعك عما سطر ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحرر سرده ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ مما حسم الله السلوك على مسالكها، ووعد على عملها وأوعد على عدمه.

﴿وَلا تُصَعِّرْ﴾ ورواه راوٍ ممدودًا مورده صاعر وصعر كعدل واحد وصعره آماله ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ سمودا ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ على الأمم.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ المراد: الحال الوسط لا إسراعا كل الإسراع ولا إمهالا كل الإمهال، ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لعدم إسراره.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ [آية: ٢٠، ٢١]:

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ الكلام لكل صالح له ﴿أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه عالم الأعلى والأحط كله مدار لمصالح ولد آدم ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأكمل ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ أدركها الحس كوسام صوركم ﴿وَبَاطِنَةً﴾ كالعلم والإدراك وسواهما، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل الحرم الحرام ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى﴾ هداه إلى مسلكه أحد الرسل الكرام ﴿وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أوحاه الله إلى رسول.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وأوحاه إلى رسوله ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ هدى أو عمى ﴿أَ﴾ هم سالكوا ما سلك والدوهم ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ إلى عمل عامله عائد أمره إلى الهلاك السرمد والسعر، والمراد لا.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)﴾ [آية: ٢٢ - ٢٤]:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ﴾ موكلا له أموره كلها ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أمسك ما حله أمر محال ﴿وَإِلَى اللهِ﴾ لا إلى سواه ﴿عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ مآلها ومعادها.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾(١) المراد: عدم هم الرسول إلى إلحاد كل ملحد لعود حسوم أعمالهم لهم ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ لدى المعاد ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ وكلهم وارد موارد عمله ومعامل على سوء حاله ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما أسره صدر كل أحد وطواه وعلمه له ولسواه على حد سواء، وهو معامل على الكل.

﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ عصرا ﴿قَلِيلا﴾ طوال أعمارهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هو ألم دار السوأى والكدر السرمد.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)﴾ [آية: ٢٥، ٢٦]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لسطوع الدلائل على ما حرر ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ﴾ على هدر ما ادعوه، وهو حصول إله معه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ علم الدلائل، أو المراد: عدم علمهم ما أداهم إلى هدر مدعاهم.

﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا معهما ولا مألوه لأهلهما إلا هو ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما هو حمد كل حامد ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود، وأهل للحمد ولو

(١) قال الرازي: لما بين حال المسلم رجع إلى بيان حال الكافر فقال ﴿وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ﴾ أي لا تحزن إذا كفر كافر فإن من يكذب وهو قاطع بأن صدقه يتبين عن قريب لا يحزن بل قد يؤنب المكذب على الزيادة في التكذيب إذا لم يكن من الهداة ويكون المكذب من العداة ليخجله غاية التخجيل وأما إذا كان لا يرجو ظهور صدقه يتألم من التكذيب فقال فلا يحزنك كفره فإن المرجع إلي فأنبئهم بما عملوا فيخجلون وقوله ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما أضمرته صدورهم وذات الصدور هي المهلك ثم إن الله تعالى فصل ما ذكرنا وقال ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً﴾ أي بقاؤهم مدة قليلة ثم بين لهم وبال تكذيبهم وكفرهم بقوله ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي نسلط عليهم أغلظ عذاب حتى يدخلوا بأنفسهم عذاباً غليظاً يضطرون إلى عذاب النار فراراً من الملائكة الغلاظ الشداد الذين يعذبونهم بمقامع من نار وفيه وجه آخر لطيف وهو أنهم لما كذبوا الرسل ثم تبين لهم الأمر وقع عليهم من الخجالة ما يدخلون النار ولا يختارون الوقوف بين يدي ربهم بمحضر الأنبياء وهو يتحقق بقوله تعالى ﴿فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ﴾. انظر تفسير الرازي (١٣٥/٢٥).

عدم حمد كل حامد له.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ﴾ ال العهد، والمراد: ما أحاط ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ سواه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ كلها مداوء للمصاطر ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ المراد: لو صار كل عود مصطرا، وكل طم مدادا وأمد المداد المصطر، والمصطر حرر لما سطر آحاد كلم الله لعدم حصرها على حد محدود ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ مصور كل ما أراد ﴿حَكِيمٌ﴾ محل كل مراد له محله.

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ لصدوره أمرا لا عملا ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ سامع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ ما هو صالح لها، وما هو مسموع ولا إدراكه أحدهما حاوله عما هو إدراك لسواها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)﴾ [آية: ٢٩، ٣٠]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ المراد: العلم والكلام لكل صالح ﴿أَنَّ اللهَ يُولِجُ﴾ محل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ والمراد: رامئ حصص أحدهما وحاط مما سواه ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ كلاهما ﴿يَجْرِي﴾ وسط مسالكه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حد محدود حده وسماه لهما ﴿وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم، ومطلع على أعمالكم ومعاملكم على صالحها وطالحها.

﴿ذَلِكَ﴾ المسطور كله ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ﴾ وما سواه هدر وهوس ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لأهل سماع الكلام ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿الْبَاطِلُ﴾ لا دوام ولا أصل له، ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل أحد سواه ﴿الْكَبِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾ [آية: ٣١، ٣٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ المراد: على سطح الماء وأعلاه ﴿بِنِعْمَتِ اللهِ﴾ آلائه على الأمم لحصول مصالحهم، ولولاها لعسر الأمر على أهلها لطول المدى والمدد ﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ الكلام لكل صالح لها ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ دلائله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر كله ﴿لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على مر الأوامر ﴿شَكُورٍ﴾ لآلاء مولاه حامد على ما أولاه.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ علا أهل الإلحاد ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ الأطواد ﴿دَعَوُا اللهَ﴾ وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء وسألوه حسر همهم ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ وحسر همهم ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ حاله وسط لا مسلم ولا ملحد، وواحد دائم على إلحاده ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ مكار حلال للعهود ﴿كَفُورٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [آية: ٣٣، ٣٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل أم رحم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي﴾ حال وروده ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ رد ولا المولود على الوالد ﴿عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ ووعده حصول أمر المعاد ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ سلوكا ودواما على مسالك إلحادكم ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الوسواس عدو آد كحمله على عدم الإسلام أو عدم عودكم وهودكم إلى الله.

﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علم عصر ورودها ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿الْغَيْثَ﴾ المراد: وعالم عصر حلول الأمطار ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ هل هو مرء أو عكسه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ كعمل صالح أو طالح ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ والله عالم كلها ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ كل ما صح علمه ﴿خَبِيرٌ﴾ مطلع على أسرار الأمور كلها كاطلاعه على سواطعها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة السجدة

مكية، وآيها ثلاثون

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿الم﴾ الله أعلم ما مراده.

﴿تَنْزِيلُ﴾ أول كلام ومحموله ما صدره لا ﴿الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ محمول أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ محمول أم محمولا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[1] محمد، لا ﴿بَلْ هُوَ﴾ كلام الله ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الكلام للرسول الأكرم ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لعدم إدراكهم عصر الرسل الأول كموسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لهداك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٍ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿أم يقولون افتراه﴾، إنكار الأعداء على المحبين سُنَّة لازمة. فإن أُلبِس الحق على الأعداء فلا يضركم، ولا عليكم، فإنَّ صحبة الحبيب للحبيب أَلَذُّ ما تكون عند فقد الرقيب. قاله القشيري. انظر البحر المديد (٥/٥٨١).

وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [آية: ٤ - ٩]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ محمول على أمر لا معلوم كما هو الأحرى لكماله ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ أحد سرر الملك، أو المراد ملكه له، أو علو كما مر ﴿مَا لَكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم الحرام ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿وَلِيٍّ﴾ مولى اسم ما ﴿وَلا شَفِيعٍ﴾ راد لما أعده لكم على سوء عملكم ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ما هو معد لكم.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ طول عمر العالم ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ الأمر لحلول حد العالم ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أعواما أو المراد حدور الملك حاملا لما أمر مولاه، ووصوله إلى العالم الأحط وصعوده إلى السماء وعوده.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ مؤسس أمرهما على ما واءم حكمه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الكاهر ﴿الرَّحِيمُ﴾ لكل طائع وعاص.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على وآم الحكم ومصالح الأمم كرما لا حكما ﴿خَلَقَهُ﴾ مصدر، ورواه راوٍ كطلع ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ﴾ هو آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أولاده ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ دم لا سائل ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ الهاء لآدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ المراد: سواه وصوره مدركا حساسا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ الكلام لأولاده ﴿السَّمْعَ﴾ المراد: الأسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ الأرواع ﴿قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له.

﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو لكل راد أمر المعاد ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا﴾ وروى راوٍ أوله مهملا وأصل اللحم وصل صمر وأروح ﴿فِي الأَرْضِ﴾ المراد: وصاروا حصحصا مع حصحصها ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وراءه ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد أو ورود الحمام ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّاكُمْ﴾ كلكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لسل أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ لورودكم على موارد أعمالكم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾[1][آية: ١٢ - ١٤]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ هم أهل الإلحاد ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ مطأطئوها، وكلامهم هو ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما وعد الرسل وهو أمر المعاد ﴿وَسَمِعْنَا﴾ كلامك على الرسل ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدار الأولى ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ سوى العمل الأول ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ لسطوع الدلائل، وما لكلامهم وسؤالهم طائل ومكمل لو مطروح، وهو لرأى أمرا وما إدراك ما الأمر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ إلى الإسلام والعمل الصالح ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ولد آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ وكلام الأملاك لأهل الإلحاد لدى ورودهم على دار السوأى حلوها ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ وهو عدم إسلامكم له ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ المراد: طرحهم وسط دار السوأى كالمأموه وأورده للمحاكاة، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم، وكرر الأمر مؤكدا للحكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الإلحاد وردكم دعوى الرسل.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

---

(١) صور - سبحانه - أحوال هؤلاء الكافرين، عندما يقفون للحاسب، تصويراً مرعباً مخيفاً فقال: ﴿وَلَوْ ترى إِذِ المجرمون نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. وجواب " لو " محذوف، والتقدير: لرأيت شيئاً تقشعر من هوله الأبدان. وقوله: ﴿نَاكِسُواْ﴾ من النكس، وهو قلب الشيء على رأسه كالتنكيس.. وفعله من باب نصر - والخطاب يصح أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم - أو لكل من يصلح له. أي: ولو ترى - أيها الرسول الكريم - حال أولئك المجرمين الذين أنكروا البعث والجزاء، وهم يقفون أمام خالقهم بذلة وخزى، لحسابهم على أعمالهم.. لو ترى ذلك لرأيت شيئاً ترتعد له الفرائص، وتهتز منه القلوب. انظر التفسير الميسر(٣٠/٩).

يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [آية: ١٥ - ١٧]:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ روعوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ ركعا لروعهم ما أعد الله لكل عاص ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عما هو إسلام أو طاعه.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ علوا وسموا ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ للكرى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مما أعده لأعدائه ﴿وَطَمَعًا﴾ لحصول رحماه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ لأهل العدم وكل سائل.

﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ﴾ سر ﴿لَهُمْ﴾ لا ملك ولا رسول ﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ والمراد: ما أعده الله لأهل الصلاح على أعمالهم ما مر على روع أحد، ولا هو معلوم إلا الله ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولعلهم لما أسروا أعمالهم عما سوى الله أسر الله ما أعده لهم عما سواه.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢)﴾ [آية: ١٨ - ٢٢]:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ﴾ ما حال أهل الصلاح مساوٍ لحال أهل الطلاح.

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا﴾ كل محل أعد لأهل المرور والروح ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ لإلحادهم وردهم دعوى الرسل ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ محل دار السلام مأوى أهل الإسلام ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ المراد: دوامهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ رسلكم، وكل مدع حصوله.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى﴾ ألم الدار الأولى إهلاكا وأسرا وعللا ﴿دُونَ﴾ أمام ﴿الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ ألم دار السوأى والكدر السرمد ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل الأولى ورأهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإسلام حال سماعهم ما أعده الله لأهل الإلحاد أمامهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ كلامه المكرم ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ لا أحد ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ
﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ
يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ
أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢٣ - ٣٠]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ محال ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ الهاء لموسى وراءه رسول الله مساء الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ الهاء لموسى أو لكلام الله الموحى لموسى ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ رؤساء علم ﴿يَهْدُونَ﴾ ملئهم إلى ما حواه حكما وإحكاما ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام وما للمصدر ﴿صَبَرُوا﴾ على مر الأوامر أو على حمل مكروه أعدائهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ لعلمهم وإدراكهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مما هو أحكام الله.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهاء لأهل أم رحم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ لدى مرورهم على دورهم وأمصارهم، والمراد: إما صار معلوما لأهل الحرم هلاك الأمم أمامهم لإلحادهم مع اطلاعهم على هدم محالهم ودورهم لدى مروهم ومطورهم إلى الامصار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل لكل مدرك ﴿أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾ سماع ارعواء وإدراك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ عساء كعمر ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ كالعدس والحمص وسواهما ﴿أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لأهل الإسلام ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ إعلاء الله لكم على سواكم وعلو مسلككم على سائر المسالك والملل، أو المراد: حلول ما أوعدهم الله حلوله ووروده على عدم إسلامهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ عصر وروده ﴿لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ لعدم إدراكهم عصره لو حمل سؤالهم على علو أهل الإسلام على أهل االإلحاد ﴿وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ إمهالا لهود أو عود إلى الله.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾[1] حلول ما أوعدوه وهو حاصل لا محال ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ كل مكروه لك، ومحا الأمر المحرر الحسام وأمر المعارك والكر.

---

(١) أي: فأعرض عن هؤلاء المشركين، وعن أقوالهم الفاسدة دون أن تلتفت إليها، وامض في طريقك أنت وأتباعك، وانتظر النصرة عليهم بفضلنا وإرادتنا، إنهم - أيضاً - منتظرون ما سيئول إليه أمرك، وسيكون أمرك بخلاف ما يمكرون وما ينتظرون. انظر التفسير الوسيط (٨/٣٣٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأحزاب

مدنية، وآيها ثلاث وسبعون

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(١) [آية: ١ - ٣]:

---

(١) قال الرازي: في تفسير الآية مسائل: الأولى في الفرق بين النداء والمنادى بقوله يا رجل ويا أيها الرجل وقد قيل فيه ما قيل ونحن نقول قول القائل يا رجل يدل على النداء وقوله يا أيها الرجل يدل على ذلك أيضاً وينبيء عن خطر خطب المنادي له أو غفلة المنادى أما الثاني فمذكور وأما الأول فلأن قوله (يا أي) جعل المنادى غير معلوم أولا فيكون كل سامع متطلعاً إلى المنادى فإذا خص واحداً كان في ذلك إنباء الكل لتطلعهم إليه وإذا قال يا زيد أو يا رجل لا يلتفت إلى جانب المنادى إلا المذكور إذا علم هذا فنقول فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا لا يجوز حمله على غفلة النبي لأن قوله النَّبِيّ ينافي الغفلة لأن النبي عليه السلام خبير فلا يكون غافلا فيجب حمله على خطر الخطب. المسألة الثانية الأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به إذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي عليه السلام كان متقياً فما الوجه فيه نقول فيه وجهان احدهما منقول وهو أنه أمر بالمداومة فإنه يصح أن يقول القائل للجالس اجلس ههنا إلى أن أجيئك ويقول القائل للساكت قد أصبت فاسكت تسلم أي دم على ما أنت عليه والثاني وهو معقول لطيف وهو أن الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثاني وأما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا وكيف والأمور الدنيوية شاغلة والآدمي في الدنيا تارة مع الله وأخرى مقبل على ما لا بدّ منه وإن كان معه الله وإلى هذا إشارة بقوله ﴿إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ﴾ (فصلت ٦) يعني يرفع الحجاب عني وقت الوحي ثم أعود إليكم كأني منكم فالأمر بالتقوى يوجب استدامة الحضور الوجه الثاني هو أن النبي عليه الصلاة والسلام كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه تركا للأفضل فكان له في كل ساعة تقوى متجددة فقوله اتَّقِ اللهَ على هذا أمر بما ليس فيه =

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد: الرسول محمد صلى على روحه وسلم ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ الأمر للدوام ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أوحاه الله لرسوله لما سأله رهط أهل الإلحاد عدم رده على الركوع للصور والدُّمَى ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ الصالح والد احس ﴿حَكِيمًا﴾ محل أوامره وروادعه محلها.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو كلامه المكرم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وموح لك ما هو مصلح لأعمالك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ سلم أمورك كلها لله ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾ موكولا له الأمور.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ

=

وإلى هذا أشار عليه الصلاة والسلام بقوله (من استوى يوماه فهو مغبون) ولأنه طلب من ربه بأمر الله إياه به زيادة العلم حيث قال ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه ١١٤) وأيضاً إلى هذا وقعت الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) يعني يتجدد له مقام يقول الذي أتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيئاً إذا علم هذا فالنبي (صلى الله عليه وسلم) بحكم ﴿إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (فصلت ٦) كان قد وقع له خوف ما يسير من جهة ألسنة الكفار والمنافقين ومن أيديهم بدليل قوله تعالى ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب ٣٧) فأمره الله بتقوى أخرى فوق ما يتقيه بحيث تنسيه الخلق ولا يريد إلا الحق وزاد الله به درجته فكان ذلك بشارة له في ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيّ﴾ أنت ما بقيت في الدرجة التي يقنع منك بتقوى مثل تقوى الآحاد أو تقوى الأوتاد بل لا يقنع منك إلا بتقوى تنسيك نفسك ألا ترى أن الإنسان إذا كان يخاف فوت مال إن هجم عليه غاشم يقصد قتله يذهل عن المال ويهرب ويتركه فكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أمر بمثل هذه التقوى ومع هذه التقوى لا يبقى الخوف من أحد غير الله وخرج هذا مخرج قول القائل لمن يخاف زيد أو عمراً خف عمراً فإن زيداً لا يقدر عليك إذا كان عمرو معك فلا يكون ذلك أمراً بالخوف من عمرو فإنه يخاف وإنما يكون ذلك نهياً عن الخوف من زيد في ضمن الأمر بزيادة الخوف من عمرو حتى ينسيه زيداً ثم قوله تعالى ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ يقرر قولنا أي اتق الله تقوى تمنعك من طاعتهم المسألة الثالثة لم خص الكافرين والمنافقين بالذكر مع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ينبغي أن لا يطيع أحداً غير الله نقول لوجهين أحدهما أن ذكر الغير لا حاجة إليه لأن غيرهما لا يطلب من النبي عليه الصلاة والسلام الاتباع ولا يتوقع أن يصير النبي عليه السلام مطيعاً له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده إلا مطاعاً والثاني هو أنه تعالى لما قال ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ منعه من طاعة الكل لأن كل من طلب من النبي عليه الصلاة والسلام طاعته فهو كافر أو منافق لأن من يأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأمر أمر إيجاب معتقداً على أنه لو لم يفعله يعاقبه بحق يكون كافراً. انظر تفسير الرازي (١٦٤/٢٥).

مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ادَّعَاه أحد أهل الإلحاد وأوحاه الله لرسوله ردا على المدعى المسطور ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي﴾ ورواه راوٍ اللآء ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ ممدودا ولا ممدود ﴿مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ كما لو كلم واحد أهله ما حاصله عرسه كأمه هل عراها أحكام الأم لا ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ هم كل مدعو لسوى والده ولدا للسوى المحرر ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المراد: هل صارحكم المدعو ولدا لأحدكم حكم الولد لكم لا ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ والحكم المسطور رد على الهود لما ادعوا أهوال رسول الله عرس ولده، والحال هو مدعو لا ولد الرسول صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ مسلكه.

﴿ادْعُوهُمْ﴾ المراد: ادعوا الأولاد ﴿لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ اعدل ﴿عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ هم، المراد: كل موال أو المولى ولد العم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ﴾ اللوم حاصل على ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ دعاءه ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما حصل أولا عصر عدم الردع ﴿رَحِيمًا﴾ وحكم المدعو ولدا مع ادعاء الداع لها الحرار لو مملوكا وصار حرا، ولو هو حر الأصل صار حكمه حكم الولد لو صالح لها عمرا.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لرومه صلى الله على روحه وسلم صلاح حالهم على كل حال ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وحرام على كل أحد أهول أمه ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ كلامه أو اللوح ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ والحكم المسطور محا حكم ما صدر أول الإسلام، وصار محو المؤدى لا السرد ﴿إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ كما لو أوحى لهم ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ الحكم الأول وما أمه ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح أو الموحى إلى موسى أكمل الله له السلام ﴿مَسْطُورًا﴾ محرا.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أرود أوما أدى مؤداه ﴿أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ عهودهم على دعائهم الأمم إلى الله ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ رد الواو هؤلاء الرسل على الأول رد الأكارم على الكرماء ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهدا مؤكدا ﴿لِيَسْأَلَ﴾ الله ﴿الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ المراد: حصل العهد المسطور للسؤال عما حرر، وهو دعاء الرسل أممهم إلى السلوك على مسالك أوامر الله ﴿وَأَعَدَّ﴾ الله ﴿لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما وهو دار السوأى.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا (١١)﴾ [آية: ٩ - ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ عساكر للكر والمعارك ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الأملاك ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ مطلعا وراء أحوالكم.

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ أعلى الواد ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أحطه ودركه ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾ مآل مرأها أمها إلى الأعداء لما أحاطوا لكم ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ صعود اللروع الحاصل ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ طورا إعلاء على عدوكم وطورا كسر أعدائكم لكم.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿زِلْزَالا شَدِيدًا﴾ لهول ما رأوا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ

الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧)﴾ [آية: ١٢ - ١٧]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ داء المحال ﴿مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ علوا على الأعداء ﴿إِلا غُرُورًا﴾ هدار لا أصل له.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ هم أهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ اسم لمحل لحد رسول الله صلى الله على روحه وسلم وما حوله ﴿لا مُقَامَ﴾ رواه راوٍ كسلام مصدرا، وراوٍ كمدام للمحل ﴿لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ عود إلى طود سلع للكر والمعارك أو عودوا للإلحاد وأسلموا ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للعود ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ عمارها ما هو محكم ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ رد الله ادعاءهم عدم أحكامها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ مصر الرسول أو دورهم ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا﴾ سألهم أهل الإلحاد ﴿الْفِتْنَةَ﴾ العود إلى الإلحاد والكر على أهل الإسلام ﴿لآتَوْهَا﴾ ورواه راوٍ ممدودا، والمراد: أعطوها وعملوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الهاء للرده ﴿إِلا يَسِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ﴾ المراد: رسول الله على الرَّسْوِ ﴿مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾ إلى الأعداء ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولا﴾ ووادعه معامل على سوء عمله.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ العمر له حد محدود ﴿وَإِذًا﴾ المراد: ولو حصل طائل ﴿لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا﴾ وهو إلى حلول أعماركم.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ هلاكًا ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ المراد: لا أحد مصادم ما أراد الله وما أراده المولى حاصل لا محال ﴿وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿وَلِيًّا﴾ مأمولا رحمه ﴿وَلا نَصِيرًا﴾ لردع السوء.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا (٢٠)﴾ [آية: ١٨ - ٢٠]:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ الكر على الأعداء والمعارك ﴿إِلا قَلِيلا﴾ للسمعه ﴿أَشِحَّةً﴾ ما هم أهل سماح لعدم صولهم وكرهم على أعداء أهل الإسلام ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ دورا ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ﴾ سكر ورود ﴿الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحصل أهل الإسلام أموال العدو ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ أسمعوكم المكروه أو صكوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ كحد الصوارم ﴿أَشِحَّةً﴾ معمول على الحال ﴿عَلَى الْخَيْرِ﴾ روم الأموال ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ صدرا ﴿فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أهدرها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإهدار المحرر ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ سهلا لا راد له.

﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى الحرم الحرام لما هالهم وروعهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ﴾ عودا ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ﴾ كل مار ﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ مع أهل الإلحاد ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ ومعكم لدى عود أعدائكم للكر والمعارك ﴿مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا﴾ لردع العار لا لإعلاء أوامر الله ورسوله.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [آية: ٢١]:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لدى المعارك وسواها، والمراد: وكما كر رسول الله على الأعداء كروا وصولوا ﴿لِمَنْ﴾ معمول على وهم ورود العامل المكرر للكم ﴿كَانَ يَرْجُو اللهَ﴾ المراد: هو أمل ما أعده الله لكل طائع على صالح أعماله ﴿وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ لا لسوى المحرر، وهو ما أداه الاسم الموصول لعدم أمله الأمل المحرر.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [آية: ٢٢]:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ﴾ عولوا على الكر والصول على أهل الإسلام ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ وعدهما هو علو أهل الإسلام على أهل الإلحاد وكسرهم لهم ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ما رأوه ﴿إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)﴾[1] [آية: ٢٣، ٢٤]:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ كالصول والكر على أعدائه مع رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ ورد موارد مصارعه حماما أو إهلاكا ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ حلول أحدهما ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ لعهد عاهدوه.

﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ هو دوامهم على عهودهم، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ لعدم دوامهم على عهدهم ﴿إِنْ شَاءَ﴾ حلول حمامهم وهم على سوء حالهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لو هادوا إلى مولاهم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لكل عائد هائد ﴿رَحِيمًا﴾.

﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾ [آية: ٢٥ - ٢٧]:

﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ مراد أو هو علوهم على الرسول وأهل الإسلام معه ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ لورود الأملاك والأرواح، ﴿وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا﴾ على أسر ما أراده ﴿عَزِيزًا﴾ عائلا على أمره.

---

(١) أي: صدقوا فيما عاهدوه، فحذف الجار، وأوصل المفعول إلى " ما"؛ وذلك أن رجالا من الصحابة نَذَرُوا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا، وقاتلوا حتى يُسْتَشْهَدُوا، وهم: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعيد بن زيد، وحمزة، ومصعب، وأنس بن النضر، وغيرهم. ﴿فمنهم مَن قضى نَحْبهُ﴾؛ نذره؛ بأن قاتل حتى استشهد؛ كحمزة، ومصعب، وأنس بن النضر. والنَّحْبُ: النذر، واستعير للموت؛ لأن كل حي من المحدثات لا بد له أن يموت، فكأنه نذرٌ لازم في رقبته، فإذا مات؛ فقد قضى نحبه، أي: نذره. وقال في الصحاح: النحب: النذر، ثم قال: والنَّحْبَ: المدة والوقت. يقال: قضى فلان نَحْبَه، إذا مات هـ. فهو لفظ مشترك بين النذر والموت. وصحح ابنُ عطية أن النحب الذي في الآية ليس من شرطه الموت. بل معناه: قَضَى نذره الذي عاهد الله عليه من نصرة الدين، سواء قُتل أو بقي حيًّا. بدليل قوله - عليه الصلاة والسلام - في طلحة: "هذا ممن قَضَى نَحْبَه " هـ. ﴿ومنهم مَن ينتظرُ﴾ أي: الموت على الشهادة؛ كعثمان وطلحة، ﴿وما بدّلوا﴾؛ العهد ﴿تبديلا﴾؛ ولا غيَّروه، لا المسْتَشْهَد، ولا مَن ينتظر الشهادة. وفيه تعريض بمَن بدّل من أهل النفاق، كقوله تعالى فيما مر: ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ اللهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ...﴾ [الأحزاب: ١٥]. ﴿ليجزي اللهُ الصادقين بصدقهم﴾؛ بوفائهم بالعهد، ﴿ويُعذِّب المنافقين إن شاء﴾ إذا لم يتوبوا، ﴿أو يتوبَ عليهم﴾ إن تابوا ﴿إن الله كان غفوراً﴾ بقبول التوبة، ﴿رحيماً﴾ بعفو الحوبة. انظر البحر المديد (٢٨/٦).

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ كل محل محكم الأساس والعمار له سور أولا وورد لما ردع مكروه العدو كالصور للوعل وسواه ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الروع ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ كأولادهم.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ سوادهم ومحصل محصودهم ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾ دورهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ كلها ﴿وَأَرْضًا﴾ لهم ﴿لَمْ تَطَئُوهَا﴾ أولا ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ،

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ هو رسوله الأكرم محمد ردد الله له السلام ﴿قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وسع الأموال والحلل ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾ لا سوء ولا إكراه.

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ﴾ دار السلام والسرور السرمد الدائم ﴿فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السلام.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ كل عمل مكروه سطر له حد معلوم ﴿مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾ لدى المعاد ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ المكروه واحد ولو مورده آل الرسول الطهر صار اكره ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ أمرا سهلا.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ المراد: الدوام على أوامر الله ورسوله وروادعهما ﴿مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ الواحد لدوامها على أوامر الله، والواحد لعدم طمعها وروم الأموال والحلل ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ سوى ما سطر ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ دار السلام.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ كعمل العواهر ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ سوء حواه صدره ﴿وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾.

﴿وَقَرْنَ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ﴾ حال المطور إلى محل كالدل وسواه ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى﴾ عصر آدم إلى عصر والد حام أو عصر والد الرسل، أو عصر الروح إلى عصر محمد صلى الله على كلهم وسلم، والمراد: عدم اطلاع على وسام أو حلل آل الرسول ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمدا وسرمدا على كل الأحوال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ كل عمل أوعد الله عامله وأورد الحصر معللا للأمر والردع... وله عمم الحكم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ مدعو على طرحها، والمراد: حرم الرسول الأكرم ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ أعمال الرسول الأطهر ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ عالما مطلعا على أعمال الأمم كلهم.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٣٥]:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ المراد: كل طائع لأحكام الله ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كل مسلم صدرًا وكلامًا ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ أهل الدوام على الطاعه، ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ إسلاما لله، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على مر الأوامر والروادع، ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ لله علا اسمه، ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ مما أعطاهم مولاهم، ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ للصوم المعلوم أحد أساس الإسلام، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عما هو عهر أو حرام، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ كلاما وصدرا ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لكل عمل لا حد له لمحو ما مر له ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾ [آية: ٣٦]:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ﴾ ما صحح لهما ﴿إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ لسوى أمر رسول الله صلى الله على روحه وسلم ولا لهم إلا

السلوك على ما أمر، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾ وهلك مع الهلكى.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ [آية: ٣٧ - ٤٠]:

﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ ما أم الواو معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ لما هداه للإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ لحرارك له، والاسم الموصول للمدعو ولد رسول الله صلى الله على روحه وسلم وأمره معلوم لكل أحد ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾ المراد: عدم سراحه لها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو ودادك سراحها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ لومهم لك على أهولها أو ودادها ﴿وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وسرحها المدعو ولد الرسول ووراء مدد الدم أهلها رسول الله صلى الله على روحه وسلم كما حكى الله وهو، ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ ملام ﴿فِي﴾ أهولهم على ﴿أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وما حكمه كحكم الولد ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ﴾ ما أراده أو حكمه ﴿مَفْعُولا﴾ حاصلا لا محال.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ لوم وملام ﴿فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ الرسل الأول كداود وسواه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ حكما محسومًا ومصرومًا ﴿الَّذِينَ﴾ علم للاسم الموصول الأول ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللهَ﴾ المراد: كلام الأمم وعارهم ما هو مروعهم على ما أحله الله لهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ كالئا لأعمال الأمم.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ ما لرسول الله ولد أدرك الحلم وصار له

أهل وسرَّحها، وحرم على الرسول أهولها والطاهر وسواه أولاده ما أدركوا مدارك المرء، ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ﴾ وكل رسول والد ملأه رحما لا مولدا، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ولو له مدرك الحلم لصار رسولا إكراما لوالده إمام الرسل ردد الله له أكمل السلام، ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومما علمه ورود رسوله محمد أول كل الرسل أسرا ووراءهم عصرا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ لدى الطلوع والدلوك أوائل وآصالا.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ راحما لكم ﴿وَمَلائِكَتُهُ﴾ سؤالهم محو صالح أعمالكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام ﴿وَكَانَ﴾ الله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ لما أصلح أمرهم وهداهم.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ لدى ورود الحمام أو الوصول إلى دار السلام ﴿سَلامٌ﴾ مما هو مكروه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو دار السلام والسرور السرمد.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلا كَبِيرًا (٤٧) وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا (٤٨)﴾ [آية: ٤٥ - ٤٨]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على أممك المرسل لهم، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ كل طائع ﴿وَنَذِيرًا﴾ لكل عاص، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ﴾ إلى السلوك على أوامره ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ لألاؤه، هاد مما هو عمى الإلحاد.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لك ﴿بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلا كَبِيرًا﴾ على سائر الأمم أو على أعمالهم، ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ سلوكا على ما أرادوا ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ هو معاملهم على سوء أعمالهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾ موكولا له أمرك.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾ [آية: ٤٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾

ورواه راوٍ على ورود أصله ماس، وعلى كل المراد الوطء، أو ما حكمه كحكمه ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ دما أو مددا ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ المراد: حال عدم المهر المسمى ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)﴾ [آية: ٥٠ - ٥١]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الدعاء لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أورد الإحلال وأراد إعلام رسوله الحل ﴿اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ المراد: المهور وأورد إعطاء المهر للأولى، ولو حل الوطء مع عدم إعطائه المهر حالا، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ لدى صولك على أهل الإلحاد وملكك أموالهم وحرمهم ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ وسوى ما سطر لا ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ رده الواو على الأول أو معمول لعامل مطروح ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾ المراد: ما أدى مؤدى الملك كالإعطاء وسواه ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ المراد: لو أراد الرسول أهو لها مع عدم المهر وإلا لا ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد ﴿لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لعدم المهر أصلا ولو الإعطاء المحرر حاصلا لأحد أهل الإسلام صح، وعلى المعطى له أداء مهر محاك عرسه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الإسلام ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ كسائر أحكام الأهوال والمهر وعدد الأهل ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ كالإماء للمالك ﴿لِكَيْلا﴾ معمول للمصدر المؤكد ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ حصر لأمر الأهول ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ للأمر العسر وحوره ﴿رَحِيمًا﴾ لما وسع الأمر.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ المراد: إطراحها عما هو وطء أو وطاء ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ﴾ إلى وطائك ﴿مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ روما ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ دحرا أو سراحا ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا حرام ولا ملام ﴿عَلَيْكَ ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر ﴿أَدْنَى﴾ إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ

وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ مؤكد، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هو وداد كل أحد إلى عرسه ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ ما حواه الصدور ﴿حَلِيمًا﴾ ما هو مسارع إلى إحلال الألم على كل عاص.

﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [آية: ٥٢]:

﴿لا يَحِلُّ﴾ ورواه راوٍ لعكس المرء ﴿لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾[١] المراد: سوى اللاء على وطائه ﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ﴾ عرسا محل عرس ﴿بِهِنَّ مِنْ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿أَزْوَاجٍ﴾ كسراحك لإحدى حرمك وأهوالك سواها محلها ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ كالإماء حل لك ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ كالئا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)﴾ [آية: ٥٣ - ٥٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ للسلوك كالدعاء ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ إدراكه مصدر ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ إلى طعام ﴿فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ طعم وأكل واحد مؤدى ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ المراد: الوراط والمطور ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكود ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ لو طردكم، ﴿وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو طاردكم ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الهاء لحرم الرسول الأطهر ﴿مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ عما هو وسواس ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ ما صح لكم ﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ كملكم أمرا مكروها له

---

(١) قال المفسرون من بعدهن والأولى أن يقال لا يحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤتيهن من الوصل والهجران والنقص والحرمان. انظر تفسير الرازي (١٨٠/٢٥).

مما حرر كله ﴿وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ لا لسراح ولا لحمام ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ أهول حرمه ﴿كَانَ عِنْدَ اللهِ﴾ عملا ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ مما حرر، وهو أهولكم إحدى حرم الرسول الأكرم ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿لا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ﴾ المراد: ولا على حرم أهل الإسلام ﴿وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أمراء أو إماء كل مملوك أو للإماء لا لسواها ﴿وَاتَّقِينَ اللهَ﴾ سلوكا على مسلك أوامره ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ عالما مطلعا على كل ما سواه.

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [آية: ٥٦]:

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ رسوله الأطهر محمد ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ حاصل المراد: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾ [آية: ٥٧، ٥٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على ما كرها وحرماه، أو المراد: الرسول وحده لا سماعه المكروه والعوراء ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ طردهم عما هو رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ هو دار السوأى والكدر الدائم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ المراد: لا لعمل أداهم إلى الكلام المكروه أوحاه الله لرسوله ردعا لرهط عاوروا ولد عم الرسول، وهو الأسد الكرار، أو للأولى رموا حرم رسول الله صلى الله على روحه وسلم وطهرها مما رموها، أو للعهر سلكوا وراء الحرم روما للعهر ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ساطعا أمره لكل أحد.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [آية: ٥٩]:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ لدى المطور لوطر أوامر ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾ إلى ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ إماء أو حرائر ﴿فَلا يُؤْذَيْنَ﴾

إسماعا للكلام المكروه، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما صدر أولا وهو عدم إسدال الملاءة ﴿رَحِيمًا﴾ لما حكم الحكم المحرر.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا (٦١) سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا (٦٢)﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عما هو سوء صدر ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كوداد العهر ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ككلامهم لأهل الإسلام ما حاصله ورد العدو وعساكركم كسروا وهلكوا أو ما حاكاها ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ مردود إلى اللام الموطئ ومردود ما أمها مطروح هو داله، وحاصل المراد: ورود أمر الله لطردهم أو لأعمال الحسام على رؤوسهم ﴿ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ﴾ وراء ورود الأمر المسطور ﴿فِيهَا﴾ الهاء عائد إلى مصر لحد الرسول ﴿إِلا قَلِيلا﴾ لعدم ورود الأمر لطردهم.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ معمول على الحال، أو على عكس المدح ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ حلوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾ ها هو ما أوعدهم الله حلوله.

﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ مسلكه ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ حالهم كحال هؤلاء ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ عما أراده.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ [آية: ٦٣ - ٦٨]:

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ هم أهل الحرم الحرام ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ عصرها ووردها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾ عامل كامل ﴿قَرِيبًا﴾.

﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ طردهم وأطرحهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ إلى ما لا مدى له على الدوام ﴿لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ كالئا لهم عما هو ورود وحلول ﴿وَلا نَصِيرًا﴾ رادا أو راد عاما حرر.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ حالا إلى حال أو محلا إلى محل ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ الواو للمرؤوس، والواو الأول لرؤسائهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ ورواه راوٍ ممدودا وراء الدال ﴿وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ مسلك الهدى.

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ﴾ آلمهم أو على أصله ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ عدده، ورواه عاصم موحد أوسطه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ [آية: ٦٩]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا﴾ مع رسولكم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ وادعوا الآدر له ﴿فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا﴾ لما رؤه وهو عار لا مأدور ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ له السؤدد.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [آية: ٧٠، ٧١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ ودعوا اسماع الرسول الكلام المكروه ﴿وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا﴾ مسددا لا ما لا أصل له.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ كعدم ردها أو إلهامكم لعمل الصالح، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على أوامرهما وروادعها ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ حصل مرامه على مراده.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٧٢ - ٧٣]:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ المراد: كل عمل وعد الله عامله على عامله وأوعده على وداعه كالصوم وسواه ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ أسر الله لها الإدراك والكلام ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ روّعها أمرها وحملها ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ آدم ردد الله له السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ له لما حمل أمرا وما أدراك ما هو ﴿جَهُولا﴾ مآل ما حمل.

﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ﴾ اللام معلل لحمل آدم المار ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ

وَالْمُشْرِكَاتِ﴾[(١)] لعدم السلوك على مسلك ما حمله والدهم آدم ردد الله له السلام ﴿وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لأدائهم ما حمل آدم على أكمل الأحوال ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لكل طائع.

---

(١) أي بإيصال الهموم إليهم بسبب علو كلمة المسلمين، وبأن يسلط النبي عليه السلام قتلا وأسرا واسترقاقا. ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ يعني ظنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع إلى المدينة، ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية، وأن المشركين يستأصلونهم. كما قال: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾ [الفتح: ١٢]. وقال الخليل وسيبويه: ﴿السوء﴾ هنا الفساد. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ في الدنيا بالقتل والسبي والأسر، وفي الآخرة جهنم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دائرة السوء﴾ بالضم. وفتح الباقون. قال الجوهري: ساءه يسوءه سوءا (بالفتح" ومساءة ومساية، نقيض سره، والاسم السوء "بالضم". وقرئ ﴿عليهم دائرة السُّوء﴾ يعني الهزيمة والشر. ومن فتح فهو من المساءة. ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً، وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ تقدم في غير موضع جميعه. والحمد لله. وقيل: لما جرى صلح الحديبية قال ابن أبي: أيظن محمد أنه إذا صالح أهل مكة أو فتحها لا يبقى له عدو، فأين فارس والروم فبين الله عز وجل أن جنود السموات والأرض أكثر من فارس والروم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٥/١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ

مكية، وآيها أربع وخمسون

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾(1)[آية: ١، ٢]:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد سرد المحامد للمحمود على عمل الطوع لا الإكراه عمرو عمر على علمه وكرمه ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا وآلاء، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ على السلوك إلى دار السلام ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ المحكم أموره وما أسره كله ﴿الْخَبِيرُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ما هو سالك وحال ﴿فِي الأَرْضِ﴾ كالماء وسواه ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالكلاء والمحصود ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كعطاء الأمم والأملاك ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ كل صاعد ﴿فِيهَا﴾ كأعمال ولد آدم وسواها ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ لكل طائع.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي المستحق للحمد هو الذي بيده ما في سماوات الأرواح؛ من الكشوفات وأنواع الترقيات، إلى ما لا نهاية له، من عظمة الذات، وبيده ما في أرض النفوس؛ من القيام بالطاعات وآداب العبودية وتحسين الحالات، وما يلحق ذلك من المجاهدات والمكابدات، وبيده ما يتحفهم به في الآخرة، من التعريفات الجمالية، والفتوحات الربانية، والترقي في الكشوفات السرمدية. فله الحمد في هذه العوالم الثلاثة؛ إذ كلها بيده، يخص بها مَن يشاء من عباده، مع غناه عن الكل، وإحاطته بالكل، ورحمته للكل. يعلم ما يلج في أرض النفوس من الهواجس والخواطر، وما يعرج منها من الصغائر والكبائر، أو من الطاعة والإحسان من ذوي البصائر، وما ينزل من سماء الملكوت من العلوم والأسرار، وما يعرج فيها من الطاعات والأذكار، وهو الرحيم بالتقريب والإقبال، الغفور لمساوئ الضمائر والأفعال..انظر البحر المديد (٦/٩٧)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ [آية: ٣، ٤]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ ردا لورودها ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ رد كلامهم ردا مؤكدا ﴿عَالِمِ﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح، والمراد مسطور وسطه.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ معلل لما أم اللام الموطئ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وسط دار السلام.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٥]:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾ هدر ﴿آيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ ورواه راوٍ كعامل ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ أسوء الألم ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [آية: ٦]:

﴿وَيَرَى﴾ المراد: العلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ كولد سلام ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو كلامه المكرم ﴿هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ﴾ مسلك ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ المحمود، والصراط المحرر هو لا إله إلا الله.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واحد لواحد سلوكا على مسلك الأهكومه ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ أرادوا محمدا أكمل الله له السلام ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ كصعود الروح والدم واللحم، وسائر الأوراد صار حصحصا ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معاد سوى الأول.

﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ لما ادعى الأمر المسطور ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ هوس وسعر ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾ أورده الله ردا على ما ادعوه لرسوله واوعدهم أمرا لا مآل له إلا الهلاك سرمدا.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أعلاهم وأحطهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ رواه راوٍ كعلم مكسور الأول، وراوٍ والأول على حاله كرمم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ هو لمح ما سطر ﴿لآيَةً﴾ دالا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ عائد إلى الله مسلم لأمره عالم أسره لكل ما أراده.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾ [آية: ١٠ - ١٤]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا﴾ المراد: ما عم الإرسال والملك، وكلام الله الموحى له وأمرا للأطواد وهو ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ رده الواو على محل الأطواد المدعو ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ لعمل الدروع والأمر له.

﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ دروعا ﴿سَابِغَاتٍ﴾ كوامل ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ المراد: احكم حوك الدروع ﴿وَاعْمَلُوا﴾ أهل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم وراء، ومطلع على عملكم وأعاملكم على الصلاح.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ المهل سائل موردها كالماء ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ عما أمر ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ألم دار الدرك والكدر السرمد ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾ صروح عوال، ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ صور أملاك وآساد وسواها وأعمال الصور على عهده حلال ﴿وَجِفَانٍ﴾ واحدها وعاء للماء ﴿كَالْجَوَابِ﴾ كل محل للماء واسع ﴿وَقُدُورٍ﴾ لطعام ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ كالطود مع العلو، ولو أرادوا الصعود لها حطوا

السلالم وصعدوا لعلوها ووسعها وأحكامها ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ لله على ما أولاكم، وهو معمول على المصدر أو الحال أو العله، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ الراد حواسه كلها إلى أحمد مولاه على كل حال.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على ولد داود أكمل الله لهما السلام لما أدركه الحمام ودام على عصاه حولا كاملا ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ مصدر لأكلها عصاه، وهو مدعم هوى ولما هوى علموا إدراك الحمام له كما حكى الله ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ عصاه، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ وهوى ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ المراد: علموا الأمر وراء العمى ﴿أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ كما ادعوا لعلموا إدراك الحمام له و﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل المكد.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)﴾ [آية: ١٥ - ٢٣]:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لأولاده وهو اسم والدهم الأعلى كما مر ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ علم دال على عدل الله وحلمه ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ والأمر لهم ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما أولاكم مصركم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هواء وماء، وحصحصا وما حلها هوام أصلا ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عما هو حمد على الآلاء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ اسم واد، أو المراد: ما أمسك الماء كالسكر والعمار المركوم، ووصل الماء وأهلك أموالهم

وعمارهم، ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ مأكول ﴿خَمْطٍ﴾ مر ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الأمر الحاصل لهم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ (ما) للمصدر ﴿وَهَلْ نُجَازِي﴾ لسوى المعلوم، ورواه راوٍ للمعلوم، وأوله صالح لكل واحد معه سواه ﴿إِلا الْكَفُورَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وسعا على أهلها ماء وهواء، والمراد سوى ما مهمله السام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ على مسالك السواح ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ للسواح كل مساء إلى محل ولاهم حاملو طعام ولا ماء والأمر لهم ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا روع لهم ما داموا سواحا.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ ورواه راوٍ كعامل ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى ما مهمله السام ملوا آلاء الله وسألوه دحور مأمهم للعلوم على الرواحل وحمل الماء والمطعم ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما سئموا آلاء مولاهم وألحدوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للأمم وراءهم ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ إلى سائر الأمصار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطر كله ﴿لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على ما أمر ﴿شَكُورٍ﴾ على ما أعطاه مولاه وأولاه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ رواه راوٍ كرصد أو كهدد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الإلحاد ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أمل أعماهم وإهلاكهم وهم أكدوا حدسه وأمله ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ وهلكوا ﴿إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد: إلا أهل الإسلام.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ولاء ﴿إِلا لِنَعْلَمَ﴾ علم سطوع ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ لورود كل أحد على موارد أعماله صالحها وطالحها ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ كالئ ومطلع.

﴿قُلِ﴾ لأهل أم رحم والأمر لمحمد ردد الله له أكمل السلام ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ المراد: ما ادعوه إلها كالصور ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه لصالح ولردع سوء ﴿لا يَمْلِكُونَ﴾ لكم ولا لسواكم ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ لا أسرا ولا ملكا، وكلهم لله مملوك حالهم كحالكم ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ردء أو مساعد.

﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾[1] ردا لمدعاهم، وهو صدورها لهم مما هو كود وسواع

---

(١) أي ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الإذن تهيبا لكلام الله تعالى، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب بالانقياد. وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل =

﴿إلا لِمَنْ أَذِنَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، ورواهٍ لسواه ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾ كالأول للمعلوم وسواه ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ للأمر المسطور ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل ما سواه علو ملك وسؤدد كهر لا علو محل ﴿الْكَبِيرُ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٤) قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلا بَلْ هُوَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٧]:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ المطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ الكلأ والمحصود ﴿قُلِ اللهُ﴾ سواء حكموا له أو لا، لا إله سواه ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ الراكع لله وحده، أو الراكع للصور ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ لأهل الإدراك وسالم الحواس.

﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ كل أحد معامل ومسئول على عمله.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ لدى المعاد ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ حكما ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ ومآل كل طائع دار السلام، وكل عاص دار السوأى والكدر السرمد، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ محل الأحكام.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ صورا ركعا لهم ﴿كَلا﴾ لا أحد مع الله ولا ركوع لسواه، وهو للردع عما ادعوه ﴿بَلْ هُوَ اللهُ﴾ وحده ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

=

أمر يأمر به الرب تعالى؛ أي لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون، مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين. وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير - قال - والشياطين بعضهم فوق بعض" قال: حديث حسن صحيح. وقال النواس بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أراد أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله تعالى سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير - قال فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث، أمره الله تعالى". انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦/١٤).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٠]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ المراد: محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿إِلا كَافَّةً﴾ حال لما أمه ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ لأهل الإسلام وواعدهم دار السلام ﴿وَنَذِيرًا﴾ لأهل الإلحاد وموعدهم الهلاك ودار السوأى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الحرم الحرام ملحدوه ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ الأمر المسطور.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ مرادهم وعد المعاد، ودار الألم والكدر السرمد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سألوا رسول الله وأهل الإسلام معه.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ لورودكم إلى المعاد ﴿لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهو حاصل لا محال.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ [آية: ٣١ - ٣٣]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ملحدو أم رحم ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ﴾ الموحى لمحمد أكمل الله له السلام ﴿وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كالموحى إلى موسى والروح ردد الله لهما السلام، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ هؤلاء ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لدى سؤالهم عما عملوا وما ألحدوا ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ هم كل مرؤوس ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ هم الرؤساء ﴿لَوْلا أَنْتُمْ﴾ المراد: لولا صدودكم ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ إلى الرسول.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ كل مرؤوس ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ مرادهم لا ما هم صدوهم كما دل له ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ مرادهم ما صدهم عما هو هدى إلا مكر رؤسائهم أمداً أصلا ورواحا ومساء ﴿تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ كود وسواع ﴿وَأَسَرُّوا﴾ كلاهما ﴿النَّدَامَةَ﴾ على عدم إسلامهم ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما وصلوا دار السوأى ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا ما أعد لهم على سوء أعمالهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)﴾ [آية: ٣٤ - ٣٧]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ رسل ﴿إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساء أهلها للرسل ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ مرادهم لما أعطاهم الله الأموال والأولاد دل على عدم ورودهم موارد الألم للأكرام المحرر.

﴿قُلْ﴾ لهم ردا على ما ادعوه ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ المراد: موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصرا على كل أحد أراد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ حكم الله ومراده.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ كدعواكم ﴿إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ والمراد: ما الأموال والأولاد موصل أحد إلى الله إلا المسلم العامل العمل الصالح ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ ورواه راوٍ على الواحد صروح دار السلام ﴿آمِنُونَ﴾ المكاره كلها الحمام وسواه.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٨، ٣٩]:

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي﴾ إهدار ﴿آيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ لله على حدسهم لا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ طورا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ طورا ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لله ولرسوله لا لأمر سواه ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ حالا أو مآلا ﴿وَهُوَ

خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٥]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الرأس والمرءوس المار سردهما ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ ورواه راوٍ على عوده لله وحده كالأول ﴿لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الواو عائد للأملاك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ طهرا عما هو رده وحصول إله معك ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ المراد: لا مولى لهم إلا الله ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ كل ما رد لما وسوسوا لهم وأطاعوهم ركوعا للصور ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ الهاء لولد آدم لأهل الإلحاد، والمراد كلهم ﴿بِهِمْ﴾ الهاء للمرده ﴿مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ﴾ هو المألوه ﴿لِبَعْضٍ﴾ هو الإله ﴿نَفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلحادا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ساطع هداها ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ أومأوا إلى الرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ مرادهم الصور كود وسواع ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ أرادوا كلام الله المكرم ﴿إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ على الله لا أصل له.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ كلام الله، أو المراد: إرسال محمد أوامر الإسلام ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ ووسطها ما دل على ادعاء أحد مع الله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ المراد: لا دال على مدعاهم أصلا لعدم سرده وسط طرس موحى ولعدم إرسال رسول دل إرساله على المدعى المحرر، وهو حصول أحد

مع الله، ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا﴾ هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ كطول العمر ورمؤ الأموال والعدد والهاء عائد لأولئك ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ لهم لما ردوا دعوى الرسول، والمراد: ما صار مآل أمرهم إلا إهلاكهم.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)﴾ [آية: ٤٦ - ٥٠]:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا﴾[1] لدى كل أمر ﴿لِلهِ﴾ لا لمراء أو سواه ﴿مَثْنَى﴾ وراطا ﴿وَفُرَادَى﴾ واحدا واحد ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أمر رسولكم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ محمد ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ هوس ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أمام ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ المراد: لو عصوا أمره وردوا دعواه.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ على أمر الإرسال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال أو سواه ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ تمم الحجة على المشركين؛ أي قل لهم يا محمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ﴾ أي أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه. ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام، تقتضي نفي الشرك لإثبات الإله قال مجاهد: هي لا إله إلا الله وهذا قول ابن عباس والسدي. وعن مجاهد أيضا: بطاعة الله. وقيل: بالقرآن؛ لأنه يجمع كل المواعظ. وقيل: تقديره بخصلة واحدة، ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع خفض على البدل من ﴿وَاحِدَةٍ﴾، أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ، أي هي أن تقوموا. ومذهب الزجاج أنها في موضع نصب بمعنى لأن تقوموا. وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود، وهو كما يقال: قام فلان بأمر كذا؛ أي لوجه الله والتقرب إليه. وكما قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أي وحدانا ومجتمعين قاله السدي. وقيل: منفردا برأيه ومشاورا لغيره، وهذا قول مأثور. وقال القتبي: مناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه، وكله متقارب. ويحتمل رابعا أن المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل، لأنه في النهار معان وفي الليل وحيد، قال الماوردي. وقيل: إنما قال: ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ لأن الذهن حجة الله على العباد وهو العقل، فأوفرهم عقلا أوفرهم حظا من الله، فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة، وإذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد؛ والله أعلم. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ الوقف عند أبي حاتم وابن الأنباري على ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾. وقيل: ليس هو بوقف لأن المعنى: ثم تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا، أو رأيتم فيه جنة. انظر الجامع في أحكام القرآن (٣١١/١٤).

المراد: لا أسألكم أمرًا أمدا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ﴾ لا على أحد سواه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على السرائر كلها.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ﴾ المراد: الطرح ﴿بِالْحَقِّ﴾ هو ما أوحاه إلى رسله ﴿عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ ما حصل وما هو حاصل، وما لا حصول له إلى ما لا مدى له ولا حصر ولا حد.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الإلحاد ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ صار أمر الإلحاد هدرا لا عمل له أصلا لهلاكه.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عما هو هدى ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ لورود كل أحد على موارد عمله ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ مما هو كلام أو حكم ومكمل العامل هو الهدى هداه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ دعاء كل داع ﴿قَرِيبٌ﴾ كرما وإعطاء لسائله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٤]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾ لدى ورودهم إلى المعاد للسؤال ومكمل لو رأى أمرا وما أدراك ما الأمر ﴿فَلا فَوْتَ﴾ لأحد عما أعد الله له ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هو لحودهم.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ الهاء لمحمد أو لكلام الله المكرم ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ حصول الإسلام وسله سلا سهلا ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ محل الإسلام الدار الأولى وهم وصلوا إلى المعاد.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الرسول الأكرم أو الكلام المكرم ﴿مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ على الرسول صلى الله على روحه وسلم مما لا أصل له ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ كادعائهم طور السحر له وطور الهوس.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ هو الإسلام ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ كل محاك لهم إلحاد ﴿مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ لأمر محمد، أو لكلام الله لا أسلموا له ولا سلكوا على أوامره ومسالكه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الملائكة

مكية، وآيها خمس وأربعون

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١، ٢]:

﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ لا أحد محص حمد الله سواه، والحمد سرد المحامد للمحمود على عمل الطوع ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] صادعهما، والمراد: أسرهما أولا ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ وسائط إلى الرسل والأمم ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ أسر الأملاك وسواهم ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ عطاء أو مطر أو الأعم كالعلم والإرسال وسائر الآلاء ﴿فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الهاء عائد لإمساك الله الآلاء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ العائل على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأحكام محلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٣، ٤]:

---

(١) قال الرازي: ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد، فنقول لما ذكر الله أنه فاطر السموات والأرض، وذكر من الأمور السماوية والأرواح وإرسالها بقوله: ﴿جَاعِلِ الملائكة رُسُلاً﴾ ذكر من الأمور الأرضية الرياح وإرسالها بقوله: ﴿وَالله الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾. انظر تفسير الرازي (٢٢٦/٢٦).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل الحرم الحرام ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أواكم حرمه لا عول ولا وصل ﴿هَلْ مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿خَالِقٍ﴾ أول كلام ﴿غَيْرُ اللهِ﴾ محموله ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ الكلأ وكل محصود ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ لا معدل لكم إلى إله سواه.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الكلام لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلى الله رسوله، والمراد: أحمل كما حملوا ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ كلها العامل وعمله وكلكم وارد موارد أعماله صالح أو طالح.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)﴾ [آية: ٥ - ٧]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ المعاد والورود موارد الأعمال ﴿حَقٌّ﴾ حاصل لا محال ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عما وراءها ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الوساوس عدو آدم كحمله لكم على الإمهال وعدم العود والهود إلى الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ عاملوه كالأعداء على سائر الأحوال ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ ملأه، وكل سالك سلوك وساوسه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ سوء الدار.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وسط السوء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الحكم الأول حصر لحال كل موال للوسواس وسالك على ما وسوس له، وما أمه حصر لحال الأُلّى عصوا أمر المطرود وأطاعوا أمر الله ورسوله.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [آية: ٨]:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ لما حكم وهمه وهواه على إدراكه وحلمه، والمراد: كواحد هداه الله لا وداله هو ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ لعدم إسلامهم لك وردهم مدعاك ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وهو معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [آية: ٩]:

﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ ورواه راوٍ للواحد ﴿فَتُثِيرُ﴾ حكى الحال ﴿سَحَابًا﴾ ركاما، وحاصل المراد: حملها له ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لعدم كلئه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ الهاء عائد لمطره وللركام الصائر مطرا ﴿الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها، والمراد: عساء كلئها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ عدم عودكم إلى المعاد وراء الحمام كعود الكلأ وراء العساء.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [آية: ١٠]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ السؤدد حالا أو مآلا لدى المعاد ﴿فَلِلهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ مع عمله، وهو لا إله إلا الله وكل عمل محاك لها ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هو إصرارهم على المكروه للرسول كطرده أو إهلاكه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ حالا ومآلا ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ مكرهم داحس لا صرد له.

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [آية: ١١]:

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ أسر والدكم آدم كمل الله له السلام ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ أسركم وصوركم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم المهال وسط الأرحام ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ كالمرء مع عرسه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ﴾ إلا وهو عالم ومطلع على حالها، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ ما مد عمر أحد ووصل إلى الهرم ﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ كإدراك حمامه له، وعدم وصوله إلى حد العمر والهرم ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾ هو علم الله أو اللوح ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم أو الكلؤ ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ حكى الله حال الموحد والملحد ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ حلو، وهو حال الموحد ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ألد الملوحه وهو حال الملحد، ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو لحم السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤ وسواه ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ صوادع للماء ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مولاكم على ما أولاكم وأعطاكم.

﴿يُولِجُ﴾ محل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ لحصول طوله، ﴿وَيُولِجُ﴾ محل ﴿النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ لطول مدد السواد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ وسط مسالكه ﴿لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حد محدود ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أولا وأمدا على الدوام ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ كل مألوه لكم سواه وهم الصور كود وسواع ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أمرا ما.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ لأمر ﴿لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لعدم الحس، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ دعاءكم وسلم سماعهم له ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ لهم مع الله ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وهو الله عالم كل معلوم.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾ [آية: ١٥ - ١٨]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾ على كل حال ﴿وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود ولوعدم حمد كل حامد.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ محلكم ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ أسر عالم سواكم ﴿عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ ما هو أمر عسر ألد.

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ المراد: لا أحد حامل حمل أحد؛ كل وارد على موارد أعماله، وكل واحد مسئول عما عمله هو لا سواه ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ اكلها حملها ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ المراد: إلى حطه على سواها ﴿لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو للحمل ﴿ذَا قُرْبَى﴾ كوالد أو ولد ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ هم الأولى روعهم ما أوعدهم الله وما رواه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ طهر صدره

عما هو الحاد وسواه ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ المآل والمعاد وهو المعامل على الأعمال.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)﴾ [آية: ١٩ - ٢٤]:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ الملحد ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ والموحد.

﴿وَلا الظُّلُمَاتُ﴾ الإلحاد ﴿وَلا النُّورُ﴾ الهدى والإسلام.

﴿وَلا الظِّلُّ﴾ دار السلام ﴿وَلا الْحَرُورُ﴾ سوء الدار.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ﴾ أهل الإسلام ﴿وَلا الأَمْوَاتُ﴾ أهل الإلحاد ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ﴾ إسماع ارعواء وإدراك ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ إرعواء وهداه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هم كل ملحد وسماهم كما سماهم لعدم إدراكهم وحسهم إعلام الهدى كأهل اللحود.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ﴾[1] ما أمرك إلا دعاؤهم والإسماع عائد أمره لله.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الهدى ﴿بَشِيرًا﴾ وواعدا كل طائع دار السلام ﴿وَنَذِيرًا﴾ كل عاص وموعده الهلاك ودار السوأى ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصر ﴿إِلا خلا﴾ مر ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ رسول أو عالم والأول أولى.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ [آية: ٢٥، ٢٦]:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الواو لأهل الحرم الحرام ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كملأ هود، وصالح سواهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسالهم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ كطروس والد الرسل أكمل الله له السلام ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الموحى لموسى، والروح ردد الله لهما السلام.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما ردوا دعوى الرسل ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ المراد: إهلاكهم هل هو حال محله أم لا.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي: ما عليك إلا التبليغ والإنذار، فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفعه، وإن كان من المصرين فلا عليك. انظر البحر المديد (٦/١٨٠).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا أو ما هو أعم ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كالأسود والأحمر وسواهما ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ مسالك ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ المراد: حال هؤلاء كحال أولئك أسود وأحمر وأسمر وسواهما ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وأورع الأمم أعلمهم، وملحدو الحرم لعدم علمهم لا ورع لهم ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ عائل على أمره لإراد لحكمه ﴿غَفُورٌ﴾ لكل عائد وهائد له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)﴾ [آية: ٢٩، ٣٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ كإعطاء سهم أموالهم أحد عمد الإسلام وسواه كإعطائهم المعدم ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ لا كساد لها ولا هلاك.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ على صالح أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ إكراما ﴿مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لطالح عملهم ﴿شَكُورٌ﴾ لصالحه.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣١]:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه، وهو ما أوحاه الله لموسى وسواه ﴿إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم ومطلع على سرائرهم وأحوالهم كلها.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٥]:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ المراد: الإعطاء ﴿الْكِتَابَ﴾ كلام الله المكرم ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ المراد: علماء أهل الإسلام، أو كل مسلم لمحمد صلى الله على روحه وسلم لكرمهم على سائر الأمم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ لعدم العمل، أو لعدم العلم ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ حاله وسط لا عمل دوما ولا وداع أو رائم للعلم ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ عمل وهدى سواه إلى العمل، أو المراد العلماء ﴿بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ومكود ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسوى المعلوم، والواو للأولى مر سردهم وهم أهل الإسلام﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ محمول أم محمولا أو حال ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مرصع رصعه ما هو أمامه ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ ألهم كله ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لطالح العمل ﴿شَكُورٌ﴾ لصالحه.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ دار المكوث والدوام ﴿مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ كلال لعدم الأوامر.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)﴾ [آية: ٣٦ - ٣٨]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ﴾ المراد: كما حصل لهؤلاء ﴿نَجْزِي﴾ ورواه والد عمرو على وروده لسوى المعلوم وحل محله ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ ودعاؤهم هو ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ والكلام لهم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا﴾ المراد: مددا وعصرا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ هو الرسول أو كلام الله أو الحلم أو هلاك الأهل والأرحام ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ رادع لما أعد الله لهم ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والعالم أسرار الصدور عالم ما سواها

على كل حال.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا﴾ [آية: ٣٩]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾[1] كلما هلك أهل عصر ورد أهل أعصر إلى محلهم ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ لوروده موارد سوء عمله ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا﴾ لعدم حصولهم لدى المعاد إلا على سوء الأعمال وألم دار الكدر والهم السرمد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)﴾ [آية: ٤٠، ٤١]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ وهم الصور ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ركوعا لهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مع الله الواحد الأحد ﴿فِي﴾ أسر ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ دل على ورودهم مع الله ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ دال ﴿مِنْهُ﴾ عائد إلى الطرس ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ على ركوعهم للصور ﴿إِلا غُرُورًا﴾ أمرا هدرا لا أصل له.

﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَزُولا وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿زَالَتَا إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ ما ممسكهما ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ سواه ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لإمساكه لهما وعدم هلاك العوالم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾ قال قتادة: خلفا بعد خلف، قرنا بعد قرن. والخلف هو التالي للمتقدم، ولذلك قيل لأبي بكر: يا خليفة الله؛ فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا راض بذلك. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي جزاء كفره وهو العقاب والعذاب. ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتاً﴾ أي بغضا وغضبا. ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَاراً﴾ أي هلاكا وضلالا. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥٥/١٤).

وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [آية: ٤٢ - ٤٥]:

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ آلى ملحدو أم رحم ﴿بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾ أمم موسى والروح وسواهما ردد الله لهما السلام ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إرساله وروده ﴿إلا نُفُورًا﴾ عما هو الهدى.

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿السَّيِّئِ﴾ كالإلحاد وسواه ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾ كالسور ﴿إلا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ المراد: إلا حلول ما حل على الأمم الأول الأولى ما أسلموا لرسلهم وهو هلاكهم ودمارهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾ لا حال محل الألم سواه، ولا حاصل الهلاك إلا على أهل الإلحاد وأعدائه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ وهم سواح إلى كل مصر ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حال مرورهم على دورهم وأمصارهم ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أهلكهم الله كلهم لما ردوا دعوى الرسل الإرسال وما أسلموا لهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ كل مراد له حاصل لا محال ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ الأمور والأحوال كلها ﴿قَدِيرًا﴾ على أسر ما أراده.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ المراد: لو هو معاملهم على سوء أعمالهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ كل ما له روح أو ولد آدم لحسوم عملهم ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حد محدود لهم وهو عصر المعاد ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ الموعود لهم ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ الموحد والملحد ﴿بَصِيرًا﴾ معاملا أهل الإسلام على الصالح، وأهل الإلحاد على الطالح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يس

مكية، وآيها ثلاث وثمانون آية

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤
تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ
ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى
ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا
فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ
۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ
۝١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ
مُّبِينٖ﴾ [آية: ١ - ١٢]:

﴿يس﴾ الله أعلم ما مراده على الأصح الأسلم كما مر[1].

---

(١) قال الرازي: ﴿يس * وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ قد ذكرنا كلاماً كلياً في حروف التهجي في سورة العنكبوت وذكرنا أن في كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر أو البحث الأول: هو أن في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أموراً تدل على أنها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الإنسان لا يصل إليها بعينها فنقول ما هو الكلي من الحكمة فيها، أما بيان أن فيها ما يدل على الحكمة فهو أن الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف ثمانية وعشرين حرفاً، وهي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة، ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال وتسعة أحرف أخر في آخر الحروف من الفاء إلى الياء وعشرة من الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين هما الألف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو =

=

وذكر سبعة، ولم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحداً لم يذكره وهو الخاء، ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة إلا واحداً لم يتركه وهو الميم، والعشر الأواسط ذكر منها حرفاً وترك حرفاً فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين، وليس هذا أمراً يقع اتفاقاً بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة، وأما أن عينها غير معلومة فظاهر وهب أن واحداً يدعى فيها شيئًا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن، وق، وص. وبعضها بحرفين كسورة حم. ويس. وطس. وطه. وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم. وطسم. والر. وبعضها بأربعة كسورتي المر. والمص. وبعضها بخمسة أحرف كسورتي حمعسق. وكهيعص. وهب أن قائلا يقول إن هذا إشارة إلى أن الكلام، إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والحرف كثيراً ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وباء الإلصاق / وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض وأو للتخيير وأم للاستفهام المتوسط وأن للشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم وألا يألو وعلا يعلو في الفعل، والاسم والفعل جاء على أربعة، والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة كفجل وسجل وجردحل فما جاء في القرآن إشارة إلى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه، فماذا يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعلم تمام السر إلا الله ومن أعلمه الله به، إذا علمت هذا فنقول اعلم أن العبادة منها قلبية، ومنها لسانية، ومنها جارحية، وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم، أما القلبية مع أنها أبعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا، وإنما وجب الإيمان به والاعتقاد سمعاً كالصراط الذي (هو) أرق من الشعرة وأحد من السيف ويمر عليه المؤمن والموقن كالبرق الخاطف والميزان الذي توزن به الأعمال التي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار فإن هذه الأشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي، وإنما المعلوم بالعقل إمكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول، وكذلك في العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات، وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي أن العبد إذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة لا يكون إلا آتياً بمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتي به للفائدة وإن لم يؤمن كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فإن تحتها كنزاً هو لك ينقلها وإن لم يؤمن/ إذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية وجب أن يكون منها ما لا يفهم معناه حتى إذا تكلم به العبد علم منه أنه لا يقصد غير الانقياد لأمر المعبود الآمر الناهي فإذا قال:﴿حم﴾ علم أنه لم يذكر ذلك لمعنى يفهمه أو يفهمه فهو يتلفظ به إقامة لما أمر به.

البحث الثاني: قيل في خصوص يس إنه كلام هو نداء معناه يا إنسان، وتقريره هو أن تصغير إنسان إنيسين فكأنه حذف الصدر منه وأخذ العجز وقال: ﴿يس﴾ أي أنيسين، وعلى هذا يحتمل

=

﴿وَالْقُرْءَانِ﴾ الواو واو مؤل كوالله ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم السرد والمؤدى.

﴿إِنَّكَ﴾ الكلام لمحمد رسوله أكمل الله له السلام ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك الرسل أمامك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ عدل، وهو لا إله إلا الله.

﴿تَنْزِيلَ﴾ رواه راوٍ مسموكا على وروده محمولا، وراوٍ معمولا لأمدح مطروح ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ وهو الله.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ على عصرهم ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عما هو هدى.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ هو مل سوء الداء ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله عدم إسلامهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ المراد: سامكو رؤوسهم إلى الأعلى ما هم أهل إسلام وركوع إلى أوامر الله ورسوله.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ سد الله مسالك إسلامهم أمامهم مسدود ووراءهم مسدود سدا، وحاصل المراد: إسلامهم محال.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ ردعك لهم وعدمه على السواء ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ إسلامهم صار أمرا محالا.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أحكام كلام الله المكرم ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ وحده وما رآه ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لصالح أعماله ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو حلوله دار السلام.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ﴾ وسط اللوح ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ كل عمل عملوه صالح أو طالح لورودهم على مواردها ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ ما أسسوه للأمم وراءهم كعلم علموه ومهدوم عمروه أو عكسه، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح.

=

أن يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلّم ويدل عليه قوله تعالى بعده: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. البحث الثالث: قرىء يس إما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف هو قوله هذه كأنه قال: هذه يس، وإما بالضم على نداء المفرد أو على أنه مبني كحيث، وقرىء يس إما بالنصب على معنى اتل يس وإما بالفتح كأين وكيف، وقرىء يس بالكسر كجير لإسكان الياء وكسرة ما قبلها ولا يجوز أن يقال بالجر لأن إضمار الجار غير جائز وليس فيه حرف قسم ظاهر وقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ أي ذي الحكمة كعيشة راضية أي ذات رضا أو على أنه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم. انظر تفسير الرازي (٢٦/٢٥٢).

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ
لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي
شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ
فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾
يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:
١٣ - ٣٠]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ **معمول أول أمه مكمله وهو** ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ **أس العواصم** ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ **المراد: رسل الرسول روح الله أرسلهم لأهلها.** ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ **وهما الحصور والمهلل وسط السمك أو سواهما** ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ **كلام أوحاه أو رسول أرسله** ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ **كلام سار مسرى والله الأعلى،** ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ **مع الدال اللامع أمره كدعائهم للأكمه وعوده راء، ودعائهم لأحد أهل اللحود وعود الروح له.**

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وعدم حلول الأمطار لحسومكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الواو للرسل ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ المراد: ما أداكم إلى الطائر حاصل معكم لسوء أعمالكم وإلحادكم ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ أهل عداء.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ مهرولا لما سمع رد ملأه دعوى الرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وأمرهم مؤكدا الأمر الأول.

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على الدعاء إلى الإله ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ولعلهم سألوه هل هو على مسلك الرسل وسرد لهم.

﴿وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿آلِهَةً﴾ صورا كود وسواع لا ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ مما هو حاصل على دعواكم ﴿وَلا يُنْقِذُونِ﴾ مما هو مكروه ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ساطع هدره لو لم أسلم لله وحده.

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ وحال ما سمعوا كلامه وإسلامه أهلكوه، ولما ورد موارد الحمام ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ إكراما ولما لإهلاكه سمكه الله إلى دار السلام وسلمه ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وحكى ما حكاه رحما للأعداء وروما لإسلامهم، وحصولهم على ما حصل كما هو مسلك أهل الله.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ المراد: وراء إهلاكه أو سمكه إلى السماء ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أملاك لإهلاكهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ لإهلاكهم أملاكا.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحها على رؤوسهم الملك الروح ردد الله له السلام ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ لا أرواح لهم كالرماد.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء وكل رادٍ دعوى الرسل وأهلكه الله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وأداهم إلى حصول إهلاكهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾ [آية: ٣١، ٣٢]:

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الواو لأهل أم رحم، والمراد: اعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾

الأمم ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ العامل المؤكد مع حاصل الكلام وراءه معمول على وهم العامل المكرر لكم.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ كل الأمم ﴿لَمَّا﴾ إلا للحصر، ورواه راوٍ لما كسما، وعلى ما رواه ما للوصل لا مؤدى له ﴿جَمِيعٌ﴾ محمول ﴿لَدَيْنَا﴾ لدى المعاد ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للسؤال، وورودهم على موارد أعمالهم.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٦]:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ أمر دال لهم على حصول المعاد وهو محمول أمه أول الكلام وهو ﴿الأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ لعسائها ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ كلأ ومحصودا ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالسمراء والعدس ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ كالكروم وسواها ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ (ما) اسم موصول، والمراد: ما عصروه ﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء الله على ما أعطاهم.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ المراد: كل مأكول مأسور مما هو حصحص ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أسر وصور أولادهم ﴿وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ مما لا اطلاع لهم على أصله وحكمه ما هو.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [آية: ٣٧ - ٤٠]:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ حالكو السواد.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ لحد محدود له مدى دورها ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى عدم عدائها حدها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ العائل على أمره العالم أحاكم العوالم كلها.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ كالعواء والسماك وسعد السعود وسواها ﴿حَتَّى عَادَ﴾

لدى كل راء ﴿كَالْعُرْجُونِ﴾ عود الكرم أو الكلد ﴿الْقَدِيمِ﴾ لحصول الأود له.

﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لا صح ولا سهل لها إدراكه، والمطور معه ﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾ المراد: وكلهم مما هو سائر كعطارد وما حاكاه ﴿فِي فَلَكٍ﴾ دوار حامل للكل أولا ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كلهم سائر وسطه وسالك على مسالكه.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم حال روم كل ولد مصالح والده ومطورهم إلى الأمصار ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ لدى مطورهم إلى أحد الأمصار على الماء، أو المراد لدى المطور على سطح الحصحص وهو الرواحل.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٤)﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ مما عراهم ودهمهم وهو الهلاك وسط الماء.

﴿إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ لعدم حلول أعمارهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٤٧)﴾ [آية: ٤٥، ٤٧]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾[1] هو ألم الدار الأولى وهلاكهم كسواهم

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قال قتادة: يعني ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الآخرة. ابن عباس وابن جبير ومجاهد: "ما بين أيديكم" ما مضى من الذنوب، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما يأتي من الذنوب. الحسن: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما مضى من أجلكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما بقي منه. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة؛ قاله سفيان. وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس. قال: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من أمر الآخرة وما عملوا لها، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما ظهر لكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما خفي عنكم. والجواب محذوف، والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا؛ دليله قول =

﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ألم سوء الدار والكدر الدائم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لأملكم رحم الله ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ على أهل العدم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الأولى سألوهم إعطاء الأموال ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ على مدعاكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ لأمركم سلوكا على سوى ما أراد الله على مدعاكم، ولو أراد الله إطعام أهل العدم لأطعمهم هو وأعطاهم وما ودعهم كلا على أحد سواه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)﴾ [آية: ٤٨ - ٥٤]:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أرادوا وعد حصول المعاد ووروده ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حدوا لوروده حدا وعصرا معلوما.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صائحها ملك الصور ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ حال كدهم على مصالحهم ومهامهم.

﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ لأمر ما ﴿وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ وارد ومصارع حمامهم كما هم لا عود لهم إلى دورهم وأهلهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ﴾ أهل اللحود ﴿مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ اللحود والمرامس ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ كلهم مسرع إلى المعاد والسؤال.

﴿قَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ مصدر حاصل مؤداه الهلاك ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ كل محل للكرى ﴿هَذَا﴾ أومأوا إلى أمر المعاد ووروده ﴿مَا﴾ اسم موصول ﴿وَعَدَ﴾ه ﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

=

بعد: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ فاكتفى بهذا عن ذلك. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٥).

﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا﴾ لورودهم على موارد أعمالهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: ما أعده الله لهم على سوء اعمالهم لا حط ولا رمؤ على الأعمال.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)﴾ [آية: ٥٥ - ٥٨]:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ كل عمل مسر لهم ﴿فَاكِهُونَ﴾.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ﴾ ورواه راوٍ كمهل ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ الأرائك والسرر واحد ﴿مُتَّكِئُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ كل ما ودوا حصوله وراموه سألوه أولا ولهم ﴿سَلامٌ﴾ أول كلام ﴿قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ وموصله لهم الأملاك، أو المسلم هو الله ولا وسائط أصلا.

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ (٦٧)﴾ [آية: ٥٩ - ٦٧]:

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ الدعاء لهم حال مطور أهل الإسلام إلى دار السلام، ومطور أهل الإلحاد إلى سوء الدار والكدر السرمد.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ المراد: ألم آمركم ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ وأرسل لكم الرسل ﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ سلوكا على مسالك وساوسه وما هو آمركم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا﴾ أوما إلى السلوك على عهده وأمره ﴿صِرَاطٌ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ عدل لا أود له وسالكه واصل إلى الهدى.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ الوساوس عدو آدم ﴿مِنْكُمْ جِبِلا﴾ وأمما ﴿كَثِيرًا﴾ ما حصر عدهم سوى الله ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ المطرود عدوا لكم.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ حلولها كما أوعدكم الرسل ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ المراد: لإلحادكم.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ لردع كلامها ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ وسواها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ لأسر الله لها كلاما.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ الطمس والمسح واحد مؤدى ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ (ال) للعموم لا لعهد، والمراد: مسلك ووارد لسلوكهم ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ المسالك مع العمى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ على سوى صور ولد آدم ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ المراد: وسط دورهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ مطورا إلى الأمام ﴿وَلا يَرْجِعُونَ﴾ إلى وراء، أو المراد: ولا عود لهم عما هو رد لدعوى رسلهم.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ (٦٨) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)﴾ [آية: ٦٨ - ٧٠]:

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ لطول عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ كعوده هرما وراء ما صار كهلا وهلم ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ الهاء عائد إلى الرسول الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الشِّعْرَ﴾ ولو ادعاه أهل الإلحاد له ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ ما صح ولا سهل ﴿لَهُ﴾ علمه أو هو ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ المراد: ما الكلام الموحى إلى محمد ﴿إِلا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾ ما هو كلام احد الأمم.

﴿لِيُنْذِرَ﴾ كلام الله المكرم أو رسوله الأكرم، ورواه راوٍ على ورود أوله للسامع ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أهل حس وإدراك وهم أهل الإسلام ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ وعد الألم ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كل مصر على الإلحاد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ [آية: ٧١ - ٧٣]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ ما عمله وأسره الله وحده لا ردء ولا

مساعد له ﴿أَنْعَامًا﴾ الرواحل وسواها ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ طوعا ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ لحما ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كمسكها وما حوى ﴿وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاهم على ما أعطاهم.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥) فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)﴾ [آية: ٧٤ - ٧٦]:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه صورا ﴿آلِهَةً﴾ ركعا لها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مما أعده الله لهم على سوء عملهم.

﴿لا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الواو لكل إله على مدعاهم سوى الله لا إله إلا إله واحد ﴿نَصْرَهُمْ﴾ الهاء لكل راكع للصور ﴿وَهُمْ﴾ الصور ﴿لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ المراد: الصور مع كل راكع لها وارد إلى سوء الدار.

﴿فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ وردهم أمر إرسالك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وكلهم معامل على سوء عمله ووارد موارد ومصارعه.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1] [آية: ٧٧ - ٨٣]:

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسانُ أَنَّا خَلَقناه من نُطفةٍ﴾ مَذِرة، خارجة من الإحليل، الذي هو قناة النجاسة، ﴿فإذا هو خَصِيم مبين﴾ بيّن الخصومة، أي: فهو على مهانة أصله، ودناءة أوله، يتصدّى لمخاصمة ربه، ويُنكر قدرته على إحياء الميت بعدما رمّت عظامه. وهي تسلية ثانية له صلى الله عليه وسلم، وتهوين ما يقولونه في جانب الحشر، وهو توبيخ بليغ؛ حيث عجّب منه، وجعله إفراطاً في الخصومة بيّناً فيها. رُوي أن أُبيّ بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بالٍ، ففتّه بيده، وقال: يا محمد؛ أترى الله يحيي هذا بعدما رمّ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "نعم ويبعثك ويدخلك جهنم " فنزلت الآية. ﴿وضَرَبَ لنا مثلا﴾ =

﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ﴾ هو العاص ولد وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ألد المرء لرد أمر المعاد.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ على رد أمر المعاد ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ وأصله الماء حل الرحم ﴿قَالَ﴾ العاص ولد وائل ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ وعمد إلى واحد رم وأراها الرسول وكلمه ما حاصله هل هو صالح لحلول الروح ورد سؤاله الرسول الأطهر هو صالح كصلاحك لحلولك دار السوأى.

﴿قُلْ﴾ للعاص ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مصدر ورد كالعلم للمعلوم ﴿عَلِيمٌ﴾ سائر أحواله حاله ومآله.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ كما لو حك عودا على عود وأورى كلاهما ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ المراد: ما أورى.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ ما أصله كأصلهم وهو ولد آدم ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾ لا حصر لما أسره وعلمه.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ حال أمره ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أسره ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ﴾ وهو معدوم ﴿كُنْ﴾ آمرا ﴿فَيَكُونُ﴾ حاصلا طائعا.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد، وهو معامل كل واحد طائع أو عاص على عمله، والحكم المسطور وعد أهل الإسلام، وأوعد أهل الإلحاد.

=

أمراً عجيباً، بأن جَعَلنا مثل الخلق العاجزين، فنعجز عما عجزوا عنه؛ من إحياء الموتى، ﴿ونَسِيَ خَلْقَه﴾ من المنيّ المهين، فهو أغرب من إحياء العظم الرميم. و" خلقه ": مصدر مضاف للمفعول، أي: خلقنا إياه، ﴿قال مَن يحيي العظامَ وهي رميمٌ﴾ بالٍ مفتت، وهو اسم لما بَلِيَ من العظام، لا صفة، ولذلك لم يؤنّث. وقد وقع خبراً لمؤنث، وقيل: صفة بمعنى مفعول، من: رممته، فيكون كقتيل وجريح. وفيه دليل على أن العظم تحله الحياة، فإذا مات صار نجساً، وهو مذهب مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا تحلّه الحياة، فهو طاهر كالشعر والعصب. ﴿قل يُحْيِيها الذي أنشأها﴾ خلقها ﴿أولَ مرة﴾ أي: ابتداء، ﴿وهو بكل خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عليمٌ﴾ لا يخفى عليه أجزاؤه، وإن تفرقت في البر أو البحر، فيجمعه، ويُعيده كما كان. انظر البحر المديد (٦/٢٤٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات

مكية، وآيها مائة واثنتان وثمانون آية

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[(١)] الواو مؤل، والمراد: والأملاك المواد سواعدهم وسط الهواء رصدا لأمر الله.

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ الأملاك روادع.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هو كلام الله المكرم.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿لَوَاحِدٌ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾ هذه قراءة أكثر القراء. وقرأ حمزة بالإدغام فيهن. وهذه القراءة التي نفر منها أحمد بن حنبل لما سمعها. النحاس: وهي بعيدة في العربية من ثلاث جهات: إحداهن: أن التاء ليست من مخرج الصاد، ولا من مخرج الزاي، ولا من مخرج الذال، ولا من أخواتهن، وإنما أختاها الطاء والدال، وأخت الزاي الصاد والسين، وأخت الذال الظاء والثاء. والجهة الثانية: أن التاء في كلمة وما بعدها في كلمة أخرى. والجهة الثالثة: أنك إذا أدغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين، وإنما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة؛ نحو دابة وشابة. ومجاز قراءة حمزة أن التاء قريبة المخرج من هذه الحروف. ﴿والصافات﴾ قسم؛ الواو بدل من الباء. والمعنى برب الصافات و﴿الزاجرات﴾ عطف عليه. ﴿إن إلهكم لواحد﴾ جواب القسم. وأجاز الكسائي فتح إن في القسم. والمراد بـ ﴿الصافات﴾ وما بعدها إلى قوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾ الملائكة في قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة. وقيل: تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد. وهذا كما تقوم العبيد بين أيدي ملوكهم صفوفا. وقال الحسن: ﴿صَفّاً﴾ لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم. وقيل: هي الطير. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/٦١).

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ محال الطلوع، والمراد: والدلوك.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [آية: ٦ - ١٠]:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ لألائها على العوالم.

﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر عامله مطروح ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ عما هو طاعه.

﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾ أهل المرود ﴿إِلَى الْمَلإِ الأعْلَى﴾ الملأ الأعلى هو الأملاك عمار السماء، وروى راوٍ وسمع مكررا واسطه، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿دُحُورًا﴾ مصدر دحره دحورًا طرده ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ لدى المعاد ﴿وَاصِبٌ﴾ دائم.

﴿إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ طرح إلا الاسم الموصول مما عمه حكم واو سمع، وراء لا، والمراد: لا سمع لهم إلا سمع مارد كاللص سمع إحدى كلم الأملاك وأسرع مطورا ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ له لمع ولألاء.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)﴾ [آية: ١١ - ١٤]:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل أهل أم رحم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ كالسماء وعمارهم الأملاك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ المراد: أصلهم ووالدهم، وهو آدم ﴿مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ وحل لاطئ.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ لردهم دعوى إرسالك وأمر المعاد، والكلام لرسوله محمد أكمل الله له السلام (وَ) هم (يَسْخَرُونَ)، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ مما هو دال ومصحح أمر إرسالك لهم ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ لها.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩)﴾ [آية: ١٥ - ١٩]:

﴿وَقَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أومأوا إلى كل أمر دال لإرسال الرسول

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ حكوه ردا على كل مدع أمر المعاد.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ مردود ورده الواو أو أو على محل العامل المؤكد واسمه أو على واو محموله.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ لا سؤدد ولا علاء لكم.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ الأمم كلهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ راصد وما هو حاصل لهم.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٦]:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ مصدر ومؤداه الهلاك وكلام الأملاك لهم ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ عصر مورد الأعمال.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ الحكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ رسلكم.

﴿احْشُرُوا﴾ أمر الله للأملاك ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلحادا وادعاء مع الله سواه ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ كل راكع إلى الصور ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ وكل إله لهم على دعواهم.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وأوردوهم ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ مسلك ﴿الْجَحِيمِ﴾ دار السوأى.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ على الصراط ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عما هو عمل أو كلام.

﴿مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ﴾ كحالكم الأولى.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ مسلمو أمورهم كلها.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٢٧ - ٣٩]:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الرأس والمرؤوس ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ واحد ملوم واحدا.

﴿قَالُوا﴾ الواو للمرؤوس ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ المراد: على أسلم المسالك على دعواكم.

﴿قَالُوا﴾ الرؤساء ردا لدعوى أولئك إهلاكهم ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ مرادهم: هم ما أكرهوهم على سلوكهم دعرهم أكرههم وأداهم إلى الهلاك.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ هو ملؤه سوء الدار ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ ألمها.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ معلول ومعلله ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الرأس والمرؤوس ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ المراد: كما هو حاصل لهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ سواهم.

﴿إِنَّهُمْ﴾ هؤلاء ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ على كل داع لها ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا﴾ كلها ﴿لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ مرادهم لكلام محمد أكمل الله له السلام والإكرام ورد دعواهم لما أوحى.

﴿بَلْ جَاءَ﴾ محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لسلوك كل الرسل على مسلك واحد، وهو لا إله إلا الله.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ﴾ لإلحادكم وردكم دعوى الرسول.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلا ما أعده الله لكم على سوء عملكم لا حطا ولا رموءا.

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٩]:

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ حكم إلا كورد الحمر كلهم إلا عمرا.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ محدود لوروده مددا والعطاء المعلوم هو.

﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ لورودها على أهل دار السلام مع عدم الكد والسؤال ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ أرائك ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ ما أحدهم راء وراء أحدهم أمام لإمام.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ راح ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ عكس راح الدار الأولى لاحمرارها.

﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾ صول على الأحلام، ﴿وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ لسوى المعلوم، ورواه راوٍ كأكرم، والمراد السكر.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ الأعلى الماهر ﴿عِينٌ﴾ ملاحها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ مكلؤ عما هو كدر.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾ [آية: ٥٠ - ٦١]:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أمور الدار الأولى وما حصل لهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ مواد ومسامر.

﴿يَقُولُ﴾ راد الأمر المعاد وحصوله ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ على حصوله المعاد.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ حاصل المراد، أو وراء الحمام معاد وسؤال لكل أحد عما عمل لا.

﴿قَالَ﴾ السائل المسلم للأولى حوله ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ على أحوال أهل سوء الدار لاطلعكم على حاله.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ السائل المحرر ﴿فَرَآهُ﴾ رأى مواده ومسامره ﴿فِي سَوَاءِ﴾ وسط ﴿الْجَحِيمِ﴾ دار السوأى.

﴿قَالَ تَاللهِ إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد، واسمه الهاء مطروح ﴿كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ أردى وأهلك واحد.

﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ هداه إلى الإسلام ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك إلى سوء الدار؛ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

﴿إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى﴾ كلام أهل دار السلام، والمراد لإحمام مدركهم وراء الحمام الأول ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أصلا.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ كلامهم أو هو كلام الله؛ ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾ [آية: ٦٢ - ٧٤]:

﴿أَذَلِكَ﴾ المسطور ﴿خَيْرٌ نُزُلا﴾ هو كل ما أعده أهل الدار إلى السواح وكل مدعور ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ أعدها الله لأهل دار السوأى.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ لكل ملحد أهل أم رحم وسواهم، ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿طَلْعُهَا﴾ حملها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ لهوله وسوء مرآه، أو المراد: حملها كرأس كل صلى هائل.

﴿فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا﴾ الهاء لحملها ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ لعدم حصولهم على مأكول سواها، أو لحصول الإكراه لهم على أكلها.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار هم واردوه حاسم لأمعائهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ هم على سوء مسالكهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ إسراعا إلى الهلاك.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾[1] أمام أهل عصر الرسول الأكرم ﴿أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ الأمم المار عهدهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ رسلا روعوهم مآل أمورهم وسوء مسراهم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي من الأمم الماضية. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي رسلا أنذروهم العذاب فكفروا.﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي آخر أمرهم. ﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي الذين استخلصهم الله من الكفر. وقد تقدم. ثم قيل: هو استثناء من ﴿المنذرين﴾. وقيل هو من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٨/١٥).

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ **أهل الإلحاد عاد أمرهم إلى الهلاك.**

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ **إلا أهل الارعواء والعود إلى مولاهم سلمهم الله مما حل على سواهم.**

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٨٢)﴾ [آية: ٧٦ - ٨٢]:

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ **لما دعا ملأه وأهلكهم الله لدعائه.**

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ **هو هلاكهم لسمو الماء،** ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ **كل ولد آدم أولاد أولاده.**

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ **حمدا كاملا** ﴿فِي الآخِرِينَ﴾ **الرسل والأمم وراءه إلى حلول الأدوار.**

﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ **المراد: حمدهم له هو سلام، أو السلام المحرر هو سلام الله.**

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ **كما أكرمه الله مكرمهم** ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ **هم ملحدو ملأه.**

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا

عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾ [آية: ٨٣ - ١١٣]:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ السالك على مسلكه العدل ﴿لإِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ما حل روعه سوى الله.

﴿إِذْ قَالَ﴾ وهو على حاله المعهود أمرها ﴿لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ سوى الله.

﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾ ركوعا إلى صور لا أصل لها.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو مودعكم على سوء حالكم لا.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ لما سألوه المطور معهم وأوهمهم سلوكه على مسالك علمها.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ مراده: سأرد موارد العلل والداء ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَرَاغَ﴾ مال وعمد ﴿إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ الصور كود وسواع وحولها الطعام ﴿فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ﴾ ردا للسؤال.

﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ آلى على أمه صورهم وكسرها، وسمع ملأوه كسره للصور.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ إسراعا ولما سألوه لم كسر ما هم ركوع له.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ـه وهو الصور ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ المراد: وعملكم، وكل ما سور ما هو صالح للركوع له.

﴿قَالُوا﴾ لما سمعوا كلامه ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ واملاؤه عودا ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ هو طرحه وسط ما عمروه له ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ لعدم حصول ما أرادوه، وكادوه وهدر عملهم وسلم مما أصروه له.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ إلى محل أمره، وهو ما مهمله السام ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى صالح الأمور، ولما وصل إلى المحل المحرر.

﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولدا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ وصل إلى عمر الولد المساعد والده، والمراد: إلى حد الحلم ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ رأى ما أورده

لولده أو ما هو مأول ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ أمره لحصول العلم هل ولده مسلم للأمر أم لا.

﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ما أمرك مولاك.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ سلما إلى أمر الله ﴿وَتَلَّهُ﴾ صرعه ورماه ﴿لِلْجَبِينِ﴾ وأمر حدها على كرده وما حسم.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ المراد: أسرع إلى ما أمر وما صده وداد ولده عما أمره الله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أومأ إلى أمر إهلاك الوالد ولده ﴿لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ العادل هو والده وورد لله لإلهام الله والده العدل أو لإعطائه أو لأمره له ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ الأمم وراءه حمدا ومدحا كاملا إلى حلول الأدوار.

﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ ولدا ﴿نَبِيًّا﴾ حال، والمراد معلوما حصوله وروده كما حرر، ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أولاده والهاء للوالد ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ولده ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مسلم موحد ﴿وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ملحد ﴿مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ (١١٩) سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)﴾ [آية: ١١٤ - ١٢٢]:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إكراما كالإرسال وسواه ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ هو كهر عدو موسى وملأه لهم.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الهاء عائد لموسى وولد أمه وملأهما، والمراد: على أعدائهم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ المسطور وسطه الحكم والأحكام وسواها، وهو كلام الله الموحى إلى موسى ردد الله له السلام.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ المسلك الموصل إلى الله ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ﴾ مدحا وحمدا كاملا على ممر الدهور والعصور.

﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) وَاللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾ [آية: ١٢٣ - ١٣٢]:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾[1] هو ادراس أو سواه ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾ ما أعده الله لكل ملحد عاص أوامره.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلا﴾ اسم مألوه لهم كود وسواع ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الركوع لله.

﴿وَاللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ ورواهم راوٍ على الحمل، والمراد: هو الله.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ إلى سواء الدار والألم المدرار والكدر السرمد.

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ﴾ طرد إلا ما وراءها مما عمه حكم رد دعوى الرسول وهو الواو ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ حمدا كاملا حامده الأمم وراءه ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ هو هو، أو المراد: هو وأهل الإسلام معه ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) قول الحق جلّ جلاله: ﴿وإنَّ إلياس لَمِنَ المرسلين﴾ وهو إلياس بن ياسين بن العيزار، من سبط هارون عليه السلام. قال ابن إسحاق: لَمَّا قبض الله حزقيل النبي، عظمت الأحداث في بني إسرائيل، ونسوا عهد الله، وعبدوا الأوثان، فبعث الله إلياس، وبنو إسرائيل حينئذ متفرقون في أرض الشام، وفيهم ملوك كثيرة. وذلك أن يوشع لمَّا فتح الشام بعد موسى عليه السلام وملكها، بوّأها بني إسرائيل، وقسمها بينهم، وأحلّ سبطاً منهم ببعلبك ونواحيها. ومنهم السبط الذي نشأ منهم إلياس. انظر الثعلبي. وقيل: إلياس هو إدريس. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "وإن إدريس " موضع إلياس. والمشهور ما تقدّم. انظر البحر المديد (٢٨٥/٦).

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ [آية: ١٣٣ - ١٣٨]:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد، أو ما أدى مؤداه ﴿نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ مع الهلكى ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ الدمار والهلاك واحد ﴿الآخَرِينَ﴾ هم كل ملحد ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم الحرام ملحدهم ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ على محالهم ودورهم ﴿مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾ كل طلوع ومساء ومحلهم هو سدوم كما مر ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)﴾ [آية: ١٣٩ - ١٤٨]:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملؤ، ولعدم مطورها على سطح الماء علم أهلها حلول مملوك عاص مولاه وسطها وسألوا المساهمه.

﴿فَسَاهَمَ﴾ أهلها ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ وطلع السهم سهمه ولما عولوا على طرحه إلى الماء طرح هو روحه إلى الماء أو هم طرحوه.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ السمك ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ملام أو ملوم هو على ما عمل وسادم.

﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الله طول عمره أو وسط السمك ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المراد: لصار السمك مرمسا ولحدا له إلى المعاد.

﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ المراد: الطرح ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ ساحل الماء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ كالولد حال مولده ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ وهم ملاؤه الأول، ومحلهم حدود الموصل ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ورد أو مورد الواو، والمراد: لو رآهم راء لحكم على الحكم الأول أو على ما أمه، وهو الرمؤ على العدد المسطور.

﴿فَآمَنُوا﴾ له وأسلموا ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ إلى حلول حد أعمارهم

المحدود لها.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)﴾ [آية: ١٤٩ - ١٥٢]:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل أهل الحرم الحرام ﴿أَلِرَبِّكَ﴾ الملاك هم ﴿الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ على مدعاهم.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ الأسر المحرر وادعوه.

﴿أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾ ادعائهم على الله ما لا أصل ولا أساس له ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ﴾ لما ادعوا الأملاك هم أولاد الله، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لدعواهم الأمر المسطور.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾ [آية: ١٥٣ - ١٦٠]:

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ الحكم الهدر ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ عدم صلاح الولد لله الواحد الأحد لا وُلد ولا وَلد.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ دال ساطع على مدعاكم ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ وصححوا دعواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا﴾ الواو لأهل الحرم وأم رحم ﴿بَيْنَهُ﴾ الهاء لله ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ الأملاك ﴿نَسَبًا﴾ لادعائهم ولد الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ الهاء لكل حاكم على حصول الولد لله ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ إلى دار السوأى الكدر السرمد.

﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الله كادعائهم الولد له ﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أهل لا إله إلا الله والحكم المسطور كورد الحمر إلا محمدا.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)﴾ [آية: ١٦١ - ١٧٠]:

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ما للصور والدمى ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ على كل ألوه لكم، أو

المراد: على الله لو محله وراء عامله وهو ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ أحدا ﴿إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ لدى علم الله.

﴿وَمَا مِنَّا﴾ أحد، وهو كلام الملك الروح كلمه لمحمد أكمل الله لهما السلام ردا على كل راكع لسوى الله ﴿إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ لدى الركوع لمولاه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ المواطئ حال أداء الطاعه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ مطهرو المولى عما ادعاه له أهل الإلحاد كالولد وسواه.

﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿كَانُوا﴾ ملحدوا أم رحم ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ الطروس الأول ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الأولى ركعوا لله وحده.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم الموحى إلى رسوله محمد الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمر إلحادهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [آية: ١٧١ - ١٨٢]:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ المراد: علوهم على أعدائهم ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وعدا والوعد هو.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾(١) على أهل الإلحاد.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ قال الفراء: أي بالسعادة. وقيل: أراد بالكلمة قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] قال الحسن: لم يقتل من أصحاب الشرائع قط أحد ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ أي سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة. ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على المعنى ولو كان على اللفظ لكان هو الغالب مثل ﴿جُنْدٌ مَا =

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ أهل الإسلام ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على أعدائهم كلاما وحساما أو المراد: لدى المعاد والمآل المحمود.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ إلى حصول عصر الوعد ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ ارهم حلوله على رؤوسهم وها هو حال لا محال ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ حلوله ومآل أمرهم، ولما سألوا رسول الله حد وروده أوحى الله مهددا لهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ حل على حماهم، والمراد هم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ حكم آكد الحكم الأول سلى الله رسوله وهدد أعداءه ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مما سرده كله كادعاء الولد له والإله معه ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ عم الرسل كلهم.

﴿وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على حصول علو أهل الإسلام على أهل الإلحاد اللئام.

=

هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]. وقال الشيباني: جاء ها هنا على الجمع من أجل أنه رأس آية.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٣٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ص

مكية، وآيها ثمان وثمانون آية

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿ص﴾ الله أعلم ما المراد ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ الواو واو مؤل ومكمله مطروح، وهو ما الأمر كما ادعى ملحدو الحرم عدو الإله لا إله إلا إله واحد.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ سمود ﴿وَشِقَاقٍ﴾ لأمر الله ورسوله.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم ﴿فَنَادَوْا﴾ لما رأوا حلول الهلاك ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(١) المراد: وما العصر عصر رواح أو سلام.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ رسول ﴿مِنْهُمْ﴾ ولد آدم كلامه ككلامهم، وهو الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ أومأوا إلى محمد أكمل الله له السلام ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أمر الأمم ركوعا إلى واحد وهو الله لا سواه ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أمر ما حاكاه أمر.

---

(١) لات: هي لا، ألحقت بها التاء كما ألحقت في ثم ورب، فقالوا: ثمت وربت، وهي تعمل عمل ليس في مذهب سيبويه، وعمل إن في مذهب الأخفش. فإن ارتفع ما بعدها، فعلى الابتداء عنده؛ ولها أحكام ذكرت في علم النحو، ويأتي شيء منها هنا عند ذكر القراءات التي فيها. والمناص: المنجا والغوث، يقال ناصه ينوصه: إذا فاته. قال الفراء: النوص: التأخر، يقال ناص عن قرنه ينوص نوصاً ومناصاً: أي فر وزاغ. انظر تفسير البحر المحيط (٣٦٥/٧).

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١﴾ [آية: ٦ - ١١]:

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ﴾ لما أمرهم الرسول سلوكا على مسلك لا إله إلا الله ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾ دوموا ﴿عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ على الركوع لها ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ لا مرد له وحصوله لا محال.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ على عصر الرسول روح الله ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ﴾ لا أصل له.

﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿الذِّكْرُ﴾ كلام الله المكرم ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ مرادهم ما هو أعلاهم سؤددا ولا عمر لم أوحى الله له وحده ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ المراد: لدى اطلاعهم على الألم، وما أعده الله لهم على سوء عملهم كلهم مسلم لإرسال محمد ولا طائل لإسلامهم حال الاطلاع على الألم.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ للإرسال وسواه إلى كل أحد أراده لما أراد ولا رادع لما أعطى.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾ كل مسلك موصل إلى السماء لإعطاء الإرسال لكل أحد مراد لهم.

﴿جُنْدٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو هم ﴿مَا﴾ هو لعكس لأمر ما المعلوم حكمها ﴿هُنَالِكَ﴾ لدى ردهم إرسال الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ الملأ إلا لأصروا على رد دعوى الرسل وأهلكوا وحكم هؤلاء كحكمهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا

يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ [آية: ١٢ - ٢٠]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو﴾ الملك الموطد ﴿الأَوْتَادِ﴾، ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لما رد كل دعوى رسولهم صار كراد دعوى كل الرسل ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ﴾ ملحدو أم رحم ﴿إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ عود ومرد.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ هو طرس الأعمال ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ الآد على الطاعه كصومه واحدا وأكله واحدا وركوعه سدس المساء ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ عائد هواد إلى الله.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ﴾ حال ركوعه ركوع المساء ﴿وَالإِشْرَاقِ﴾ حال ركوعه ركوعها.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ﴾ مما هو طائر أو طود ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾ كلما صلى أو وحد وحدوا.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ حرسا وعددا وعساكر وعددا ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ كمال العلم أو ما عم الإرسال ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ حسم الأحكام.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)﴾ [آية: ٢١ - ٢٦]:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ المراد: أهلها ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ صاروا له كالسور والحائط.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ محله ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لورودهم والحرس على سدده وهم أملاك وردوا على صور ولد آدم وأومأ لداود روماً لارعوائه لما رام عرس واحد وأهلها، وله أهل عدد ما هم عادوه له كما حكى الله ﴿قَالُوا﴾ له ﴿لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾ هو العداء لدى الحكم أو عكس العدل، ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ المسلك الوسط العدل.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ المراد: كلاهما موحد أو ملأ ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أرادوا العرس ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ﴾ عرس ﴿وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أُهُولا ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ المراد: أورد له دلائل ما اسطاع ردها.

﴿قَالَ﴾ داود لهما ردا للسؤال ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ كل سائط ماله مع مال سواه ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا﴾ مؤكد ﴿هُمْ﴾ ولما حكم داود الحكم المسطور صعدا إلى السماء وكلماه ما حاصله حكم داود على روحه وحال سماعه كلامهما راعه الأمر ﴿وَظَنَّ﴾ علم علما مؤكدا ﴿دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ هاد وعاد لمولاه مما حصل وهو أهوله للعرس.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ العمل الصادر، ﴿وَإِنَّ لَهُ﴾ لداود ﴿عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ معاد، وهو دار السلام.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ على الملك والحكم ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: عما هو المسلك العدل الموصل إلى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ولو سلموا لوروده لأسلموا للرسل.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [آية: ٢٧ - ٢٩]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا﴾ هدرا، والمراد: ما أسرهما وما حلهما إلا للركوع لله وحده ﴿ذَلِكَ﴾ الأسر الهدر ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم ملحدوا أم رحم ﴿فَوَيْلٌ﴾ اسم واد وسط سوء الدار ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ أوحاه الله لرسوله محمدا أكمل الله له السلام لما ادعى ملحدو الحرم الحرام حصولهم لدى المعاد على ما هو معطى لكل موحد.

﴿كِتَابٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)﴾ [آية: ٣٠ - ٤٠]:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ولده ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ ولد داود ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(١) عائد إلى الله هواد.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ أمام الدلوك ﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ لما أراد المكر والمعارك وألهاه أمرها عما هو ركوع العصر.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ المراد: ركوع العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ المراد: دلوكها، ولو العائد معدوم لحصول دالها وهو المساء أول السرد.

﴿رُدُّوهَا﴾ الهاء لما أوردوه على ولد داود ردد الله لهما السلام ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا

---

(١) في الأواب أقوال قد تقدمت في بني إسرائيل أليقها بهذا المكان أنه رجاع بالتوبة إلى الله تعالى مما يقع منه من السهو والغفلة قوله تعالى ﴿ذ عرض عليه بالعشي﴾ وهو ما بعد الزوال الصافنات وهي الخيل وفي معنى ﴿الصافنات﴾ قولان أحدهما أنها القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد وابن زيد واختاره الزجاج. انظر زاد المسير (١٢٧/٧)

بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ مسح حسام أو مسح إكرام لو حمل اللائه على المردود، والمراد: وصوله إلى حد ما أدركه المرأى.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ لا هو له عرسا هواه لها، وحصل ركوعها للصور وسط داره ولا علم له ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ ماردا ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ عاد إلى ملكه.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صدر، وهو الركوع إلى الصور وسط داره ولا علم له ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي﴾ ما هو مسهل ولا حاصل ﴿لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ كل مأمول ومسئول.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ دائما لأمره وطوعه ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ إلى كل محل أراده ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ معمار ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ وسط الماء محصل لؤلؤا وسواه.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾ عكما ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ الأداهم ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ اعط مما أعطاك مولاك ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ ما أولاك ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المراد: ما هو مسئول؛ امسك أو أعطى.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ معاد ومرد، وهو دار السلام.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ كد ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم أو وسواس لأهله لما طردوه.

﴿ارْكُضْ﴾ صك أو حرك ﴿بِرِجْلِكَ﴾ المحل وصكه وحصحص الماء، والكلام له ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء له ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ولما عمل كما أمر سلمه الله مما عراه والماء واحد أو حصحص له لما صك المحل ماء حار وماء صر.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ رد الله له كل سالم وهالك أعاد له أولاده الهلكى رد لهم الروح وأولد له عددهم ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو عدد الأعواد وسواها مركوم واحدا إلى واحد ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ عرسك لما أرسلها إلى وطر وطال عودها آلى على حطائها وصكها مائه ﴿وَلا

تَحْنَثْ﴾ لعدم حطائها، ورام العدد المسطور وصكها وحلل ما آلى له.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ هو ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ دائم العود إلى الله.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ (٤٧)﴾ [آية: ٤٥ - ٤٧]:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي﴾ الأود على الطاعة ﴿وَالأَبْصَارِ﴾ الإدراك الكامل أو الأعمال والعلوم ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ادكارهم أمر المعاد دائما، ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)﴾ [آية: ٤٨ - ٥٤]:

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ ولد عم أمامه ﴿وَكُلٌّ﴾ كلهم ﴿مِنَ الأَخْيَارِ﴾.

﴿هَذَا﴾ أومأ إلى أمورهم المسرود حكمها ﴿ذِكْرٌ﴾ حمد وسؤدد لهم ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كلهم على العموم ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مآل لدى المعاد وما أدراك ما هو.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً﴾ معمول على الحال ﴿لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ لعله الراح كما مر.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ على سوى الماهر المهر ﴿أَتْرَابٌ﴾ عمر كل امرء وعمر عرسه واحد.

﴿هَذَا﴾ المسطور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام للسامع ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾، ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ حسم أمدا.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ

الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)﴾ [آية: ٥٥ - ٦١]:

﴿هَذَا﴾ المحرر لأهل الإسلام ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ معاد ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ حال ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الوطاء الممد لهم.

﴿هَذَا﴾ معمول لعامل مطروح داله هو ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ الماء الحار ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ المهل السائل كالمده ﴿وَآخَرُ﴾ ورواه راوٍ على العدد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ كالماء الحار والمده ﴿أَزْوَاجٌ﴾ والكلام لرؤسائهم حال حلولهم وسط سوء الدار هو.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾ حال دار السوأى ﴿مَعَكُمْ﴾ وكلام الرؤساء هو ﴿لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ حالوها.

﴿قَالُوا﴾ الواو لكل مرؤوس، والمراد: كلامهم لرؤسائهم ﴿بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ الهاء للإلحاد أو للألم ﴿لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الواو لكل مرؤوس ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ ولعله لإلحاده هو، وحمل سواه على الإلحاد.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)﴾ [آية: ٦٢ - ٦٦]:

﴿وَقَالُوا﴾ هم ملحدو الحرم ﴿مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾ هم كل صعلوك مسلم ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ حاصل لا محال ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

﴿قُلْ﴾ لكل ملحد والأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ أروعكم ما أعده الله لكم ملحد ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لكل ما سواه.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ لكل موال وطائع.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)﴾ [آية: ٦٧ - ٧٠]:

﴿قُلْ هُوَ﴾ المراد: كلام الله المكرم الموحى لرسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ **لعماكم وعدم إدراككم** ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى﴾ **الملأ الأعلى هو ملأ الملك** ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ **على أسر آدم.**

﴿إِنْ﴾ **ما** ﴿يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ﴾ **لـ** ﴿أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [آية: ٧١ - ٨٨]:

﴿إِذْ﴾ **معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه** ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ **هو آدم ردد الله له السلام.**

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ **المراد: إكمال الله أسره** ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ **أورد الروح وعاملها له علا اسمه لعلو كمال الروح، والمراد: وصار آدم حساسا مدركا له روح** ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ **ركوع إكرام وسلام لا ركوع آله لمألوه.**

﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ **مؤكد** ﴿إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ **صار** ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ **لدى علم الله العلام.**

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ **أوردهما وأراد والله اعلم عدم الوسائط كوالد وأم وماء حل رحم الام** ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ **مع عدم صلاحك للسمود** ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ **أهلا للسمود وصالحا له؛** ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ الهاء عائد إلى دار السلام أو إلى السماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[(١)] مطرود.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ المعاد.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الأمم.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ إلى طرح روح الملك إلى الصور الطرح الأول.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أهل الإسلام أهل لا إله إلا الله.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾ معمول على المصدر، أو على طرح عامل الكسر كوالله أصله،

---

(١) في تفسير الرجيم أن نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مركومين بالشهب والله أعلم. فإن قيل كلمة إلى لانتهاء الغاية فقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجيء يوم الدين، أجاب صاحب "الكشاف" بأن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة جعل مع اللعنة أنواع من العذاب تصير اللعنة مع حضورها منسية. واعلم أن إبليس لما صار ملعوناً قال: ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قيل إنما طلب الإنظار إلى يوم يبعثون لأجل أن يتخلص من الموت لأنه إذا نظر إلى يوم البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجيء يوم البعث لا يموت أيضاً فحينئذ يتخلص من الموت فقال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ومعناه إنك من المنظرين إلى يوم يعلمه الله ولا يعلمه أحد سواه، فقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ وهو قسم بعزة الله وسلطانه ﴿لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فههنا أضاف الإغواء إلى نفسه وهو على مذهب القدر وقال مرة أخرى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فأضاف الإغواء إلى الله على ما هو مذهب الجبر وهذا يدل على أنه متحير في هذه المسألة. وأما قوله: ﴿إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ففيه فوائد: الفائدة الأولى: قيل غرض إبليس من ذكره هذا الاستثناء أن لا يقع في كلامه الكذب لأنه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى أنه يغوي الكل لكان يظهر كذبه حين يعجز عن إغواء عباد الله الصالحين، فكأن إبليس قال: إنما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب في هذا الكلام، وعن هذا يقال: إن الكذب شيء يستنكف منه إبليس فكيف يليق بالمسلم الإقدام عليه؟ فإن قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾؟ (الحج: ٥٢) قلنا: إن إبليس لم يقل إني لم أقصد إغواء عباد الله الصالحين بل قال: لأغوينهم وهو وإن كان يقصد الإغواء إلا أنه لا يغويهم. الفائدة الثانية: هذه الآية تدل على أن إبليس لا يغوي عباد الله المخلصين، وقال تعالى في صفة يوسف: ﴿إِنَّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤) فنصل من مجموع هاتين الآيتين أن إبليس ما أغوى يوسف عليه السلام، وذلك يدل على كذب الحشوية فيما ينسبون إلى يوسف عليه السلام من القبائح. انظر تفسير الرازي (٢٦/٤١٨).

ورواه راوٍ مسموكا أول كلام ومحموله مطروح ﴿وَالْحَقَّ﴾ معمول لما وراه وهو ﴿أَقُولُ﴾.

﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ المراد: أولاده ﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ الهاء للأمم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله له السلام ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على أداء ما أوحاه الله له، وهو الكلام المكرم أوامر الإرسال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال أو سواه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ما لا صلاح ولا أهل له ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ كلام الله المكرم ﴿إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أهل الدعاء.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ ما حواه كلام الله وعد أو عكسه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ لدى المعاد أو المراد: وراء مصارع الحمام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الزمر

مكية؛ إلا: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [آية: ٥٣]، وآيها خمس وسبعون

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾[1] كلام الله المكرم أول كلام محموله هو ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ موحدًا له عما سواه.

﴿أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ هو لا إله إلا الله، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ صورا ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وحاصل مدعاهم هو ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ مصدر ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ هم وأهل الإسلام، وكل وارد على موارد أعماله هؤلاء إلى دار السلام، وأولئك إلى سوء الدار ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ كادعائه الولد له ﴿كَفَّارٌ﴾ كركوعه إلى سواه.

﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما ادعى أهل العمى ﴿لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وكل الأمم مأسور له ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عما ادعوه له ﴿هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لما سواه.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ محل واحدا وسط واحد، أو المراد كل واحد كار على واحد كرورا كأكوار العمائم، والمراد واحد وراء واحد، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو مدى دوره ﴿أَلا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ العائد على أمره المصدر ما أراده سوى المحال ﴿الْغَفَّارُ﴾ لكل طائع.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والدكم آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أمكم حواء ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ كالماء أولا وعود الماء، وما وعود الدم لحما وسواه، وحلول الروح وعوده مدركا حساسا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ سواد ما حوى رحم أمه والرحم ووعاء الولد ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عدولا إلى الركوع لسواه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ رحما وكرما على الأمم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا

(١) قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ويجوز أن يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل؛ قال الفراء. وأجاز الكسائي والفراء أيضا ﴿تَنْزِيلَ﴾ بالنصب على أنه مفعول به. قال الكسائي: أي اتبعوا واقرؤوا ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾. وقال الفراء: هو على الإغراء مثل قوله: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي الزموا. والكتاب القرآن. سمي بذلك لأنه مكتوب. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٥).

يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ﴾ روح ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ روح ﴿أُخْرَى﴾ كل عامل حامل عمله لا أحد مسئول لعمل أحد ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو معامل كل واحد على عمله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما طواه صدر كل أحد.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [آية: ٨]:

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ﴾ الملحد ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾ هائدا وعائدا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ أعطاه آلاء ﴿مِنْهُ﴾ الهاء لله ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو الله، وما لا على أصله أو على أصله، والمراد: الأمر المدعو لحسره ﴿وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا﴾ كود وسواع ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ عصرا ﴿قَلِيلا﴾ طول عمرك المحدود لك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ لدى الورود على موارد أعمالك.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آية: ٩]:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ دار السلام كواحد ملحد عاص لا ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ المراد: ما العالم مساو لعكسه كما الطائع ما هو مساو للعاص ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)﴾ [آية: ١٠ - ١٦]:

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ المراد: ما أعده لكل عاص أوامره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ كسلوكهم على مسلك أمر مولاهم ﴿حَسَنَةٌ﴾ دار السلام ﴿وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ﴾ ارحلوا إلى محل مسهل لكم أداء ما أمركم الله لو عسر أداؤها

وسط مصر أهل الإلحاد؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على أداء ما أمروا ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حاصل المراد: عدم حصر ما هو معطى لهم.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ موحدا له، ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أول أممه إسلاما.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لهول حواه لا كالأهوال.

﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ عما هو إلحاد أو ركوع لسواه.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أمر مهدد لهم، المراد: وروا سوء مآلكم ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لما علموا أهلهم وأرحامهم سلوكا على مسالك الإلحاد حرموا حلول دار السلام ﴿أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ سرد لما هو حاصل لهم ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أهل الإسلام ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ (١٨)﴾ [آية: ١٧، ١٨]:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الصور ركوعا لها ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ حال ورودهم موارد الحمام ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ سلوكا على مسالك صلاح أمرهم حالا ومآلا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ﴾ إلى الصراط الموصل له ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ [آية: ١٩، ٢٠]:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ المراد: حكم ملء الله دار السوأى ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ لا لك أمر هداهم ولا ردع ما أعده الله لهم على طلاحهم وسوء عملهم.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ وأطاعوا أوامره ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ كل محل عال كالصرح ﴿مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: ماؤها ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر معمول لوعد مطروح ﴿لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آية: ٢١]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ هو ماء المطر ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ كالعدس والحمص والسمراء ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ عساء ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ كسرا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور كله ﴿لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك دالا لهم على الواحد الأحد.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾ [آية: ٢٢، ٢٣]:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ هداه وسلك على مسالكه ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالأولى سكر الله صدورهم وأعمالهم لا ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ عما هو سماع لكلام الله ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ هو كلامه المكرم ﴿مُتَشَابِهًا﴾ كلمه وسرده ومؤداه ﴿مَثَانِيَ﴾ كالوعد، وعكسه والحر، وعكسه والإسلام والإلحاد والحر والمملوك وسواها ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ روعا مما حواه ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ المراد: إلى سرد ما وعده إلى كل طائع والأول لسرد ما أوعده إلى كل عاص ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى كلام الله المكرم المحرر ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ دال على صلاح أمره.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٦]:

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] المراد: حال الملحد المسطور

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال عطاء وابن زيد: يرمى به مكتوفا في النار فأول =

كحال الوارد على دار السلام لا ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ما أعده الله لكم على سوء عملكم.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلك لما روعهم الرسل حلول الألم ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ﴾ أسرا وإهلاكا وسواهما ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ المهد لهم ﴿أَكْبَرُ﴾ لدوامه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حلوله ودوامه لما ألحدوا ولأسلموا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكد ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ما هو مائل أصلا كسرد أمر ما وحكم على صلاحه وراءه أو أمامه حكم على سوء حاله عكس الحكم الأول أو ما أمه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الإلحاد.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ [آية: ٢٩ - ٣١]:

﴿ضَرَبَ اللهُ﴾ للموحد والملحد ﴿مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ لا وئام لهم وكلهم عسر ﴿وَرَجُلا سَلَمًا﴾ ورواه راوٍ سلما ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا﴾ المراد: ما المملوك لواحد سالما كالمملوك لعدد كلهم عسر لا وئام لهم، والأول لحال الملحد وما أمه لحال الموحد ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ وحده وكل الحمد له ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أهل الحرم الحرام أم رحم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم وإلحادهم.

=

شيء تمس منه النار وجهه. وقال مجاهد: يجر على وجهه في النار. وقال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت، فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه، فحرها ووهجها على وجهه؛ لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال. والخبر محذوف. قال الأخفش: أي ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أفضل أم من سعد، مثل: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي وتقول الخزنة للكافرين ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي جزاء كسبكم من المعاصي. ومثله ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١٥).

﴿إِنَّكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ كلهم معدود مع الهلكى أوحاه الله لرسوله لما طال رصد أهل الإلحاد لحمام ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٧]:

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ وادعى ولدا له، أو إلها معه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ كلامه المكرم ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ومحل ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو رسوله أكمل الله له السلام ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم أهل الإسلام ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الإلحاد وما أعده الله لكل عاص.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ على صالح أعمالهم.

﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ حكم على الأسوأ حكما عاما لعمل السوء عموم الأولى ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ﴾ أو هو والأسوأ المار وارد على عدم الرموء كأعدل وارد العادل ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ورسوله محمدا ردد الله له أكمل السلام والإكرام ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الكلام لرسوله ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الصور والدمى إهلاكا وروم سوء، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ كهولاء عدموا إدراكهم وروعوا رسولهم مس سوء الصور مما لا أصل له ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ﴾ عائل على أمره ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا

أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١)﴾ [آية: ٣٨ - ٤١]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل وهو الموطئ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لسطوع الدلائل على الواحد الحد ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ركوعا له وهو الصور ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، ورواهما راوٍ معمول كلاهما لما أمه كمكرم محمدا ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم ما سواه مصدر الأمور.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ المراد: على حاله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول معمول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم، وهو ألم دار السوأى.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ هداه لعود صالح أعماله له لا لسواه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ مكره لهم على الهدى والإسلام.

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾ [آية: ٤٢ - ٤٤]:

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ المراد: ما حال حلول حمامها ولا عمرها المحدود لها ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ حاصل لها حال الكرى ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ كعدم ردها إلى محلها ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى حلول عمرها المحدود، والمسمى لها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ﴾ الصور اللَّاءِ ركوعهم لها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾ حاصل مأملكم لا.

﴿قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ما أحد مالكها إلا الله ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملكم على سوء عملكم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)﴾ [آية: ٤٥ - ٤٦]:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ مع عدم سرد كل إله لهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ كرها وحصرا ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الصور الأولى ركعوا لها كود وسواع ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ سرورا لسرد أسمائهم.

﴿قُلِ اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ آسرهما لا على أصل وأساس محاك لهما ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عالم الأحوال كلها ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مما هو أمر صراطك الموصل لك وسواه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٨)﴾ [آية: ٤٧، ٤٨]:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أوعدهم الله موعدا حاسما لكل أمل سلم ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ المراد: كدور وألم ما وصل حدسهم له.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ سوء أعمالهم ﴿وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الألم الموعود لهم.

﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ [آية: ٤٩ - ٥٢]:

﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ﴾ آل آدم كله ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ المراد: الإعطاء ﴿نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ اعلم إعطاءه أو على أهل وصلاح له ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الهاء لولد آدم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ الأمر المسطور.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كولد عم موسى الرسول المار حكمه وملأه ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ سائر الأموال.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ هو ما أعد الله لهم على سوء عملهم ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ﴾ أهل الإلحاد وادعاء مع الله سواه ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ﴾ مولاهم عما أراده لهم.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسع العطاء ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصرا على كل أحد أراده ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)﴾ [آية: ٥٣ - ٦٣]:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ سلكوا مسالك هواهم وعصوا مولاهم ﴿لا تَقْنَطُوا﴾ المراد: حسم أمل المراحم ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ محمول على الأعم لأهل الإسلام سواء عاد وهاد أحدهم إلى الله أو لا، كما هو ساطع الحكم لكل مدرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَأَنِيبُوا﴾ عودوا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ العمل ﴿لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ لرد الألم المعد لكم لو عدم إسلامكم وعودكم إلى الله ولو حمل الحكم الأول على الهود صار الحكم المسطور دالا له.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو كلامه المكرم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ عصر وروده لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى﴾[1] حاصل مؤداه السدم ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ المراد: ألا لو ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ اراد

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿أن تقول نفس﴾ قال المبرد المعنى بادروا قبل أن تقول نفس وحذرا من أن تقول نفس وقال الزجاج خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ومعنى يا حسرتا يا ندامتا ويا حزنا والتحسر الاغتمام على ما فات والألف في يا حسرتا هي ياء المتكلم =

أوامره وعدم السلوك على مسالكها ﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد كلعل واسمه الهاء مطروحا ﴿كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي﴾ إلى الإسلام والصراط الموصل له ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ما أعده لكل عاص أوامره.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ عودا إلى الدار الأولى دار الأعمال ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿بَلَى﴾ رد الله وداد الملحد حصول الهدى له ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ كلامه المكرم، وهو مؤد إلى حصول الهدى ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عما هو إسلام لها وللرسول ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ﴾ لادعائهم إلها معه أو ولد له ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ كلحا لإلحادهم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عما هو إسلام وهدى.

﴿وَيُنَجِّي اللهُ﴾ مما أعده لأعدائه ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ العمل الصالح، أو المراد: دار السلام ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حاصل لا وما أمه حال محل الحال.

﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ موكول له الأمور كلها.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما كالمطر والكلأ، وكل محصود، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لعدم حصولهم على مأملهم.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ

=

والمعنى يا حسرتي على الإضافة قال الفراء والعرب تحول الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ويخرج على لفظ الدعاء وربما أدخلت العرب الهاء بعد هذه الألف فيخفضونها مرة ويرفعونها أخرى وقرأ الحسن وأبو العالية وأبو عمران وأبو الجوزاء يا حسرتي بكسر التاء على الإضافة إلى النفس وقرأ معاذ القارئ وأبو جعفر يا حسرتاي بألف بعد التاء وياء مفتوحة قال الزجاج وزعم الفراء أنه يجوز يا حسرتاه على كذا بفتح الهاء ويا حسرتاه بالضم والكسر والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء مع الوصل انظر زاد المسير (١٩٢/٧).

الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾ [آية: ٦٤ - ٧٠]:

﴿قُلْ﴾ لهم والأمر لمحمد ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ مع سطوع الدلائل على الركوع له لا لسواه.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الرسل كلهم والله ﴿لَئِنْ﴾ اللام لام الموطئ ﴿أَشْرَكْتَ﴾ المراد: لو صور وسلم صدوره وحصوله وإلا هو محال لسرد الكلام لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿بَلِ اللهَ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ له على آلائه.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ لما ادعوا معه إلها سواه وعدلوه لا إله إلا إله واحد ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال ﴿قَبْضَتُهُ﴾ ملكه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ حاصل المراد ما سواه مالكهما ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه كود وسواع.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ هلك ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ كالملك الروح، وملك المطر الصور لورود حمامهم وراء الحمله، أو المراد: إلا الحور وسواها وسط دار السلام ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ﴾ الأمم الهلكى كلهم ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ما هو حاصل.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ طروس أعمال الأمم كلها لورود كل أحد على موارد عمله ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ على الأمم ولهم وهم أهل الإسلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم كما ورد مصححا، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ العدل ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كحط مما هو عمل صالح أو على عمل طالح.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ المراد: علم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ [آية: ٧١، ٧٢]:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ ملأ ملأ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لحولهم وسطها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ كلهم أولاد آدم وحواء ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ كلام الله المكرم وسواه مما أوحاه إلى الرسل الأول كموسى، وداود ردد الله لهما السلام ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ ما أوعده الله وهو ملؤ دار السوأى ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ دار السوأى.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [آية: ٧٣ - ٧٥]:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ملأ ملأ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ الواو للحال ﴿أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: لا مكروه عار لكم وراء حلولكم دار السلام أمدا ﴿طِبْتُمْ﴾ أعمالا وحالا ومآلا ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ لما وعدهم حلولهم دار السلام ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ مرادهم دار السلام ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ كل صرح أراده أحدهم مما أعده الله له ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ دارهم دار السرور السرمد.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ﴾ حال المسر وسط الحال الأولى ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الهاء عائد إلى الأمم كلهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الحكم العدل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حمدوا مولاهم على الحكم العدل، وهو حلول أهل الإسلام دار السلام ووصول أهل الإلحاد إلى سوء الدار والحامد هم أهل الإسلام أو الأملاك.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المؤمن

مكية، وآيها ثمانون آية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾[1] [آية: ١ - ٣]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح كما مر.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم أول كلام محموله ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لكل مسلم هائد ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم وهو مصدر، ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لكل ملحد ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ العطاء الواسع والكرم والآلاء على الدوام ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الأمم كلهم.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿حم﴾ أي: يا محمد. فاقتصر على بعض الحروف، ستراً عن الوشاة، كعادة العُشاق في ذكر محبوبهم، يرمزون إليه ببعض حروفه. وقال ابن عطية: سأل أعرابي النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن " حم " ما هو؟ فقال: "بدء أسماء وفواتح سور " وفي حديث: "إذا بُيتّم فقولوا: حم لا يُنصرون " قال أبو عبيد: كأن المعنى: اللهم لا ينصرون. قلت: لا يبعد أن يكون توسل بحبيب الله على هزم الأعداء. وعن ابن عباس: (أنه اسم الله الأعظم). هـ. وكأنه مختصر من " حي قيوم". ﴿تنزيلُ الكتاب﴾ أي: هذا تنزيل القرآن ﴿من الله العزيزِ العليم﴾ أي: العزيز بسلطانه، الغالب على أمره، العليم بمَن صدّق به وكذّب. وهو تهديد للمشركين، وبشارة للمؤمنين. والتعرُّض لوصفي العزة والعلم للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب؛ لظهوره عزه وعز مَن تمسّك به، ولاشتماله على علوم الأولين والآخرين. ﴿غافر الذنبِ﴾ أي: ساتر ذنب المؤمنين؛ ﴿وقابلِ التَّوْبِ﴾ وقابل توبةَ الراجعين ﴿شديدِ العقاب﴾ للمخالفين، ﴿ذي الطَّوْلِ﴾ على العارفين، أي: الفضل التام على العارفين، أو: ذي الغنى عن الكل. وعن ابن عباس: (غافر الذنب، وقابل التوب، لمَن قال: "لا إله إلا الله " شديد العقاب لمَن لم يقل لا إله إلا الله). انظر البحر المديد (٦/٤٣٢).

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم محمد أكمل الله له السلام ﴿إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ملحدوا أم رحم ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ وإمهال الله لهم إلى عصر محدود ﴿فِي الْبِلادِ﴾ مآل أمرهم سوء الدار.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ﴾ كعاد وسواهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أسرا أو إهلاكا ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ مما لا أصل له ولا أساس ولا رأس له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ إهلاكا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ هل هو حال محله أم لا والله هو محله وهم أهله.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾ [آية: ٦ - ٩]:

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ملؤه دار السوأى ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ أول كلام ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ وصل الاسم الموصول ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ محمول الاسم الموصول أول الكلام ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكلامهم لمولاهم هو ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ المراد: رحمك وعلمك وسع ما سواك ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ مما هو إلحاد وأسلموا لك ولرسلك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ الموصل لك وهو الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ سوء الدار.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ الاسم الموصول رده الواو على هم المعمول لوعد أمامه ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ المراد: ما أعده الله لعاملها أو السالك على مسالكها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ لدى المعاد ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أومأ إلى الرحم أو إلى الكلئ عما هو سوء، أو المراد كلاهما.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)﴾ [آية: ١٠ - ١٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ والداع هم الأملاك ودعاؤهم وكلامهم لهم هو ﴿لَمَقْتُ اللهِ﴾ المراد: عدم وداده لكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وعدم علمكم صلاح حالكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ معلل للحكم الأول.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ حال حلول كل واحد وسط رحم امه وهو ماء ودم وحال ورود حمامه ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الأولى لدى حلول الروح والولد وسط رحم أمه وحال ورود روحه له لدى المعاد ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ عدم إسلامهم إلى حصول المعاد وردهم مدعاها ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ مما أعده الله لهم على سوء أعمالهم ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ صراط ومسلك وعود إلى الدار الأولى لا.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أومأ إلى ما أعد لهم ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ كادعاء إله معه ﴿تُؤْمِنُوا﴾ للادعاء المسطور، وهو حصول إله معه ﴿فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ﴾ على ما سواه ﴿الْكَبِيرِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)﴾ [آية: ١٣ - ١٧]:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدلائل على لا إله إلا الله ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ ما هو مؤد له كالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ﴾ إلا كل عائد إلى الله عما هو إلحاد.

﴿فَادْعُوا اللهَ﴾ اركعوا له وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ عما هو إلحاد وادعاء إله معه

لا إله إلا اله واحد ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ركوعكم له وحده.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ لأهل الإسلام وسط دار السلام ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أسره ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ هو ما أوحاه إلى الرسل ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ﴾ كل مرسل له الأمم مروعهم ﴿يَوْمَ التَّلاقِ﴾ كل عامل وعمله ومألوه وآله.

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ مما هو لحود إلى الورود على الأعمال والسؤال ﴿لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ عمالا وأعمالا وأحوالا ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ المراد: مع عدم الوسائط، وإلا دائما هو لله وحده وهو المالك لا سواه.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ لورود كل واحد على موارد عمله لا حطا على عمل طالح ولا مما هو صالح ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ موصل لكل واحد ما هو أهله على أسرع حال.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾ [آية: ١٨ - ٢٠]:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ عصر ورود الرواح إلى عالمها للمعاد ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ روعا وهولا ﴿كَاظِمِينَ﴾ على أكدارهم ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿حَمِيمٍ﴾ مواد، ﴿وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ لا مطاع ولا سواه.

﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿خَائِنَةَ الأعْيُنِ﴾ كحلولها على المحرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ العدل الأحرى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ملحدوا الحرم الحرام، ورواه راوٍ على وروده للسامع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه صورا ﴿لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ ما أصلا لعدم حسهم وإدراكهم ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ والمطلع على أعمالهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾ [آية: ٢١، ٢٢]:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل حال ﴿الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأولى ردوا دعوى رسلهم كعاد وسواهم ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي

الأرْضِ﴾ كالصروح، وكل عمار محكم الأساس والعمد ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ودمرهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ لما أعده لهم وسلطه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الله وإرسال الرسل لهم ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على أهل الإلحاد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ (٢٥)﴾ [آية: ٢٣ - ٢٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال ساطع أمره على إرساله ومرسله ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾.

﴿فَقَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ المراد: عودوا إلى عملكم الأول معهم على عهد مولد موسى ردد الله له السلام كما مر ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾ هلاك وهدر لا طائل له.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [آية: ٢٦]:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لما رامه مرارا وراودوه عما حاول وأراده ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ مسلما له مما أحاول لو حصل ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ مراده إلى الركوع إلى سواه ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ كالكر والمعارك.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [آية: ٢٧]:

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لملأه لما سمع كلام عدوه ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠)

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٥]:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ولد عمه، أو رحمه، أو سواهما، وهو موحد ركع لله ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا﴾ لـ ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على مدعاه، وصحح إرساله لكم وأمركم سلوكا على أوامر مولاه ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ حالا ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ ملحد ﴿كَذَّابٌ﴾ مدع ما لا أصل له.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ملك مصر ﴿ظَاهِرِينَ﴾ حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ علوا وسمودا ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا﴾[1] مراده لا أحد، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾ ما أعلمكم إلا ما أعلم مواطئا كلامه ما حواه صدره على صلاح أمره وأمره، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ مسلك الهدى هلاكه موسى ردد الله له السلام.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ ردا على ما ادعاه عدو موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ الأمم المار عهدهم.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ملأ لوط لما ردوا مدعى رسلهم وصمموا على المكروه لهم دمرهم الله وأهلكهم، ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ الدعاء لدعاء الإسلام أهل الإلحاد وعكسه.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ إلى سوء الدار ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لكم على سوء عملكم ﴿مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ دال على الصلاح.

---

(١) أي من عذاب الله تحذيرا لهم من نقمه إن كان موسى صادقا، فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ما أشير عليكم إلا ما أرى لنفسي. ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ في تكذيب موسى والإيمان بي.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣١٠).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ على ما رووا وعدوه هو عدو موسى عمر إلى عصر موسى وإدراكه ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ إدراكه حمامه ﴿قُلْتُمْ﴾ ولا دال لكم على كلامكم ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ ردا لدعوى كل رسول وراءه ﴿كَذَلِكَ﴾ كعدم هداكم المحرر ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ ملحد ﴿مُرْتَابٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ الاسم الموصول معمول على وهم العامل المكرر للاسم الموصول الأول ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ دال ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ﴾ مراؤهم ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ كعدم هداهم ﴿يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ ورواه راوٍ ككل حمار سارح ﴿جَبَّارٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ (٣٧)﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ المسالك.

﴿أَسْبَابَ﴾ مسالك ﴿السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ لادعائه الإرسال وادعائه إلها سواه ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهد ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [آية: ٣٨ - ٤٦]:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ موسى ردد الله له السلام أو مسلم آل عدو موسى المار سرده

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ﴾ مسلك ﴿الرَّشَادِ﴾ الموصل إلى الله.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ لا دوام لها ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ لدوامها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا﴾ عدلا، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسوى المعلوم ﴿الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطاء واسعا.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي﴾ إلى عمل مؤد ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ المراد: عدم العلم المعلوم، ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ لكل هائد وعائد إلى مولاه عما هو إلحاد وسواه.

﴿لا جَرَمَ﴾ لا رد لما دعوه له وهو الإلحاد وادعائه إله مع الله ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾ ما هو صالح، ولا هو أهل للركوع له أصلا ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ كل ملحد ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ حال ورودكم على سوء الدار ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ وأوعدوه وهددوه على كلامه المحرر وسلوكه سوى مسالكهم.

﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ هو إصرارهم على إهلاكه ﴿وَحَاقَ﴾ حل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ هو ملاؤه معه ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ هلاكهم وسط الماء.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ كما ورد حلول أرواحهم وسط حواصل الطائر الأسود، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الحكم الأول ما دام عمر الدار وحكم ما أعده الله لهم لدى المعاد هو ﴿أَدْخِلُوا﴾ ورواه راوٍ على وروده أمرا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ (٥٥)﴾

[آية: ٤٧ - ٥٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَتَحَاجُّونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا﴾ ورداما ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم الرؤساء ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ أحل أهل الإسلام دار السلام، وأهل الإلحاد سوء الدار، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الأملاك مأمورو دار السوأى ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل الساطع أمرها على لا إله إلا الله ﴿قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾ لا طائل ومرادهم حسم آمالهم وأطماعهم.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ علوا على أعدائهم ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ الأملاك لأداء الرسل أوامر مولاهم إلى الأمم.

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ﴾ ورواه راوٍ على ورود أوله علاما لعكس المرء ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد عما هو رحم ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ دار الأكدار والألم الدائم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ كلام الله الموحى له ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المحرر كلام الله ﴿هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الإدراك والأحلام.

﴿فَاصْبِرْ﴾ الأمر لمحمد رسوله أكمل الله له السلام والإكرام ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ وعده هو علو أمر الإسلام على سائر المسالك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أمر للإمام، والمراد: المأموم لسلوك أممه على مسلكه، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المراد: صل واركع ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ما وراء عما هو وسط السماء ﴿وَالإِبْكَارِ﴾ أمام طلوعها وهو الركوع الأول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ [آية: ٥٦، ٥٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله محمد ردد الله له السلام ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ دال ﴿أَتَاهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ﴾ سمود لادعائهم ما حاصله أمر الإرسال والملك لهم لا لسواهم ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ الهاء عائد لمرادهم المعهود ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ والمطلع على أحوالهم.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أوحاه الله لرسوله لما ردوا ادعاءه المعاد، ورواه أمرا محالا ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وعود أرواحهم لدى المعادلهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الإلحاد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ وهم كالأعمى والعالم كعكسه.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (٥٩)﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ لعدم علمه ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ هو العالم ﴿وَ﴾ لا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هم أهل العمل الصالح، ﴿وَلا الْمُسِيءُ﴾ هم أهل العمل الطالح ﴿قَلِيلا مَا﴾ مؤكد لما أمه ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ﴾ لا محال ﴿فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٦٣)﴾ [آية: ٦٠ - ٦٣]:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ المراد: الركوع له والسلوك على مسالك أوامره وروادعه ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أعاملكم على صالح أعمالكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسوى المعلوم ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أسره وصوره صرا أسود مهدئا للحواس محصلا للكرى ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أهله إلى روم مصالحهم ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاهم وما أولاهم.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ حولا عما هو الإسلام مع حصول دلائله ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ دلائله ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [آية: ٦٤، ٦٥]:

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾

لأسره لكم مصدر الحس والإدراك والأحلام والعلوم ومورد الكل كمال ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ سائر المأكل والمطاع ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لا إله إلا هو الدائم وكل ما سواه هالك.

﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ﴾[1] اسلكوا على مسلك أوامره ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ عما هو إلحاد أو ادعاء سواه معه إلها ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ علمهم الله مسلك حمدهم له.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨)﴾ [آية: ٦٦ - ٦٨]:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ركوعا لهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه وهم الصور ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل لا إله إلا الله ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ موحدا له وحده.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ أسركم وصوركم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ الماء الحمال وسط الأرحام ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ الدم ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ الكامل، وهو عمر الكهول ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ لوروده موارد حمامه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مع عدم وصوله إلى عمر الكهول ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى﴾ حدا محدودا لأعماركم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل الواحد الأحد لحصول إسلامكم.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ وأراد حصوله ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

---

(١) لفظ الحي وارد في القرآن قال الله تبارك وتعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة ٢٥٥] وقال ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ [طه ١١١] وقال ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾ [غافر ٦٥] فإن قيل الحي معناه الدراك الفعال أو الذي لا يمتنع أن يعلم ويقدر وهذا القدر ليس فيه مدح عظيم فما السبب في أن ذكره الله تعالى في معرض المدح العظيم فالجواب أن التمدح لم يحصل بمجرد كونه حيا بل بمجموع كونه حيا قيوما وذلك لأن القيوم هو القائم بإصلاح حال كل. انظر تفسير الرازي (١١٤/١).

فَيَكُونُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)﴾ [آية: ٦٩ - ٧٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ عما هو إسلام مع سطوع الدلائل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم وهم ملحدوا وأم رحم ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ هو ما دل على لا إله إلا الله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم.

﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ﴾ أول كلام مطروح المحمول هو ﴿يُسْحَبُونَ﴾.

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ سوء الدار ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ لوعا وسطها كالعود لها ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ معه، والمراد: الصور كود وسواع ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو﴾ أوردوا الدعاء وأرادوا الركوع كما مر مرارا ﴿مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ﴾ كإعماء هؤلاء ﴿يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾ والكلام لهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الألم المعد لكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ كالإلحاد ورد دعوى المعاد، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ هلاك أهل الإلحاد حاصل لا محال ﴿فَإِمَّا﴾ ما وصل مؤكد العامل أمامه ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ إهلاكهم وأسرهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أمام حلوله ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد، وكلهم معامل على سوء عمله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ

هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [آية: ٧٨]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ دال على الإرسال كعصا موسى، والكلام الموحى لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ وأمره ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ هو ما أوعده أعداءه حالا أو مآلا لدى المعاد ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ هو حلول أهل الإسلام دار السلام، وأهل الإلحاد دار السوأى ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ (٨١)﴾ [آية: ٧٩ - ٨١]:

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ﴾ الرواحل وحدها، أو الرواحل وسواها ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كالدر والمسوك ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هو المطور إلى الأمصار ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله على لا إله إلا الله ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ ولا أحداها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [آية: ٨٢ - ٨٥]:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وعددا ﴿وَآثَارًا﴾ عمارا كالصروح وسواها ﴿فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (ما) الأولى للسؤال وللعدم، (وما) وراها اسم موصول.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿فَرِحُوا﴾ الواو لأهل

الإلحاد ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ لما رأوا علم الرسل كالعدم ﴿وَحَاقَ﴾ حل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هو الألم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ حلول الألم الألد ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أرادوا الصور والدمى.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ﴾ معمول على المصدر لعامل مطروح ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ لدى مرآهم الألم الألد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت

مكية، وآيها أربع وخمسون آية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما مراده على الأصح.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ أول كلام ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿كِتَابٌ﴾ محموله ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[1] معمول على المدح أو الحال ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ هم أهل العلم والإدراك.

﴿بَشِيرًا﴾ للسالك على مسالكه، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لأهل الإلحاد ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك وعمل.

﴿وَقَالُوا﴾ للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ مرادهم: لا وصول لهم إلى مسلكه، ولا وصول له إلى مسلكهم ﴿فَاعْمَلْ﴾ على صراطك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ المراد:

---

(١) قال ابن الجوزي: كتاب فصلت آياته هذا مذهب البصريين وقرآنا منصوب على الحال المعنى بينت آياته في حال جمعه لقوم يعلمون أي لمن يعلم قوله تعالى فأعرض أكثرهم يعني أهل مكة فهم لا يسمعون تكبرا عنه وقالوا قلوبنا في أكنة أي في أغطية فلا نفقه قولك وقد سبق بيان الأكنة والوقر في الأنعام ٢٥ ومعنى الكلام إنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم ومن بيننا وبينك حجاب أي حاجز في النحلة والدين قال الأخفش ومن هاهنا للتوكيد. انظر زاد المسير (٤٢٠/٧).

على صراطهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [آية: ٦، ٧]:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ إسلاما وسلوكا على مسلك أوامره ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما صدر إلحادا أو مما هم على سلوكه حالا ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ دلهم أولا على مسالك الهدى وهددهم.

﴿الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ مؤكد لهم الأول ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ [آية: ٨ - ١٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عطاء ما هو محسوم.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ هما الأحد وما وراءه ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ وما صح معه أحد ﴿ذَلِكَ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ عدد العالم، وهو اسم لما سوى الله.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوادًا ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ علو وسموا ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ كلأ ومحصودًا ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ لكل واحد ما هو ملائمه كاللحوم وسائر المطاعم لولد آدم والكلاء لسواهم ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً﴾ معمول على المصدر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ معمول لمصدر مطروح هو الحصر المحرر.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ أم ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أمر مسود، ولعل المراد موادها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا﴾ ما أراده الله وما صور كماله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ كلاهما مصدر حل محل الحال، والمراد: مراد الله حاصل لا محال ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ الحال والمحل.

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ الهاء عائد إلى السماء لورود مؤداها مورد العدد ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ المراد: أمر عمارها وهم الأملاك ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ معمول على المصدر لعامل مطروح ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ (١٦)﴾ [آية: ١٣ - ١٦]:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ وما أسلموا للرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ المراد: روعهم ﴿صَاعِقَةً﴾ حلول ألم وهلاك ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ما أهلكهم مهلكهم.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ حال لألم عاد ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أمامهم عصرا ووراءهم دهرا ﴿أَلا﴾ المصدر معمول لعامل كسر مطروح هو الموحده ﴿تَعْبُدُوا إِلا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ لو أراد إرسال الرسل ﴿لأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ رسلا ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على مدعاكم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ سمودا وعلوا على أهلها وما لهم صلاح للسمود والعلو ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ لما هددوا حلول الألم والهلاك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ المراد: العلم ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ﴾ أهل لأسر عالمهم ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرسال الرسل ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ لا مطر معه ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ حسومها كامل ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ عدم السؤدد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ المعد لهم ﴿أَخْزَى﴾ ألد ﴿وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾ مما هو معد لهم على إلحادهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ [آية: ١٧، ١٨]:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ سردا للدلائل وإرسالا للرسل ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ سلكوا مسالك الإلحاد ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ الإسلام للرسل ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ المعلوم

أمرها ﴿الْهُونِ﴾ عكس السؤدد ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وهو سلوكهم مسالك العمى المحرر.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله مما أحله على هؤلاء.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)﴾ [آية: ١٩ - ٢١]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يُحْشَرُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للملكم ومعه سواه ﴿أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ آصر أولهم مداهم.

﴿حَتَّى إِذَا مَا﴾ وصل مؤكد ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والمراد: حصولها كلاما أو دلائل حال والدال للحكم الأول هو.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ﴾ وحمله العموم كدلائل الحال لا دال له ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هو كلام الله أو إكمال لكلام سوكهم.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)﴾ [آية: ٢٢ - ٢٥]:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ حال ورودكم موارد سوء الأعمال ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ لردكم أمر المعاد ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَذَلِكُمْ﴾ أومأ إلى حد سهم المحرر وهو أول كلام ﴿ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمول أول الكلام المار هو ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على مر الألم ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ سؤالا لحصول مرامهم ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ سولوا لهم السلوك مسالك الهوى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما وراءهم، وهو أمر المعاد لما حملوهم على الإصرار على رده وعدم الإسلام لحصوله ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هو ملؤ الله سوء الدار ﴿فِي﴾ عدد ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ وهلكوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ عملوا كأعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)﴾ [آية: ٢٦ - ٢٨]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ﴾(١) لدى روم رسول الله صلى الله على روحه وسلم أسماعكم له ﴿وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ المراد: لعل كلامكم عال على كلام الرسول حال أمه الأسماع.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هؤلاء أو هو على العموم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على أسوء أعمالهم.

﴿ذَلِكَ﴾ أوما إلى الأسوء المار حكمه وهو أول كلام ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ﴾، والمحمول هو ﴿النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ الدوام ﴿جَزَاءً﴾ معمول على المصدر ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ لما أخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم أخبر عن مشركي قريش وأنهم كذبوا القرآن فقالوا: ﴿لا تَسْمَعُوا﴾. وقيل: معنى ﴿لا تَسْمَعُوا لِهَذَا﴾ لا تطيعوا؛ يقال: سمعت لك أي أطعتك. ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قال ابن عباس: قال أبو جهل إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول. وقيل: إنهم فعلوا ذلك لما أعجزهم القرآن. وقال مجاهد: المعنى ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا. وقال الضحاك: أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول. وقال أبو العالية وابن عباس أيضا: قعوا فيه. وعيبوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ محمدا على قراءته فلا يظهر ولا يستميل القلوب. وقرأ عيسى بن عمر الجحدري وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وبكر بن حبيب السهمي ﴿وَالْغَوْا﴾ بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو. وقراءة الجماعة من لغى يلغى. قال الهروي: وقوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قيل: عارضوه بكلام لا يفهم. يقال: لغوت ألغو وألغى، ولغى يلغى ثلاث لغات. وقد مضى معنى اللغو في ﴿البقرة﴾ وهو ما لا يعلم له حقيقة ولا تحصيل. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥٦/١٥).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ [آية: ٢٩]:

﴿وَقَالَ﴾ أورد ما مر وأراد ما هو وارد لحصوله على كل حال لا محال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ﴾ هو المطرود عدو آدم لوروده أول ملحد ﴿وَالإِنْسِ﴾ ولد آدم المؤسس أمر الإهلاك ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ دوسا ووطئا وسط سوء الدار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ محلا أو سؤددا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [آية: ٣٠ - ٣٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ داموا على حالهم وصلاح أعمالهم كلها ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لدى ورودهم موارد الحمام ﴿أَلا تَخَافُوا﴾ الحمام ولا ما وراءه ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على الدار الأولى ووداعكم الأهل والأولاد ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ والواعد مولاهم ورسله.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد: كالئوكم ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ معكم إلى حلولكم دار السلام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما أراده ورامه أو ما وده.

﴿نُزُلا﴾ عطاء وهو حال ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ هو الله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٦]:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾ إلى الركوع له ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ لا حالاً ولا مآلاً أعدا لله لأهل الأولى دار السلام، ولأهل سوء الأعمال سوء الدار ﴿ادْفَعْ﴾ سوء الأعمال ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ هو العمل الصالح ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ المراد: ما سلك على

السلوك المسطر أحد الأصار عدوه وادًا له ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ وما أهلها ﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الهوى ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ المراد: لو حصل لك وساوسه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للكلام ﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على الأعمال.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨)﴾ [آية: ٣٧، ٣٨]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لعدم صلوح ما عدده للركوع له لورود كل مأسور الله والمأسور ما هو أهل للركوع والأهل له هو الأسر وحده ﴿وَاسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الأمر كالمعلل للردع المار المصدر لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عما هو ركوع لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هم الأملاك ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المراد: دائما ﴿وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ لا سأم ولا ملل عار لهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ [آية: ٣٩، ٤٠]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ عساء لا كلأ لها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ المطر ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ مورد ألحد ولحد ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى إلى الرسول محمد الأكرم أكمل الله له السلام والإكرام ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ هم واردو موارد سوء أعمالهم وإلحادهم لا محال ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا﴾ أمر مهدد ﴿مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مطلع ومعاملكم على أعمالكم كلها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ

قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)﴾ [آية: ٤١ - ٤٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ومحمول اسم العامل المؤكد مطروح، وهو هم هلكى أو ما حاكاه ﴿وَإِنَّهُ﴾ أراد كلامه المكرم ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾.

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ المراد: لا أمامه كلام مصادم أحكامه ولا وراءه كلام أصلا ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ﴾ محل أموره كلها محالها ﴿حَمِيدٍ﴾ حامده كل الأمم والعوالم على الائه لا حصر لها.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ رد المدعاك الإرسال ﴿إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لما رد أممهم ادعاءهم الإرسال ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لرسله أو لكل مسلم لهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائه وأعدائهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٤٤]:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ على مسلك هم مدركوه ﴿أَ﴾ كلام موحى ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾ رسول وهو محمد ﴿عَرَبِيٌّ﴾ لا وئام له ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ إلى الصراط العدل الموصل إلى الله ﴿وَشِفَاءٌ﴾ لصدرهم مما هو محال، ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الاسم الموصول أول كلام محموله ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ما هم مدركوه ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ما هم سامعو الصائح لهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [آية: ٤٥، ٤٦]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحى له ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ المراد: حاله كحال الله المرسل لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ حده أعمارهم، أو عدم حلول الألم إلا لدى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ اصطلاما لأهل الإلحاد، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ كل راد لدعوى الرسل ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الهاء عائد لكلام الله الموحى لموسى، أو الموحى لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿مُرِيبٍ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح عمله لها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وهو الحكم العدل.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨)﴾ [آية: ٤٧، ٤٨]:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[1] ما عالم عصر ورودها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ ورواها ولد عامر وسواه على العدد ممدودا وراء رائها ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ عددا لكم مكسورا وهو الدعاء ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ﴾ حملها ﴿إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ على مدعاكم ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ المراد: الإعلام ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿على ورود أحد معك إلها.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ ركوعا لهم وهم الصور كود وسواع ﴿وَظَنُّوا﴾ علموا علما حاسما لكل وهم طار ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ محل إلى المطور له.

﴿لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)﴾ [آية: ٤٩، ٥٠]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي حين وقتها. وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة أي وما تخرج ثمرة. ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي من أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمرة، واحدها كمة وهي كل ظرف لمال أو غيره؛ ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة؛ قال ابن عباس: الكمة الكفرى قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة ﴿الرحمن﴾. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ على الجمع. الباقون ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ على التوحيد والمراد الجمع، لقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ والمراد الجمع، يقول: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي ينادي الله المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع. ﴿قَالُوا﴾ يعني الأصنام. وقيل: المشركون. ويحتمل أن يريدهم جميعا العابد والمعبود ﴿آذَنَّاكَ﴾ أسمعناك وأعلمناك. يقال: آذن يؤذن: إذا أعلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٧١).

﴿لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ﴾ المراد: الملحد ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ روم وسع الآلاء ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ العدم ﴿فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام الموطئ ﴿أَذَقْنَاهُ﴾ الهاء للملحد ﴿رَحْمَةً﴾ آلاء ووسع مآل وصحه ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ عدم وداء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ المراد: لعمله لما سعى وحصله أو على الدوام ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ دار السلام ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ اللام مؤل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾ اللام كاللام أمامهم ﴿مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٤]:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنْسَانِ﴾ المراد: ولد آدم على العموم والأول المار للملحد وحده لا للعموم ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ مآل عما هو للمولى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ اسم العامل عائد على كلام الله المكرم ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ كما ادعى الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ﴾ لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو الهدى.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ كعلو أهل الإسلام على أهل الإلحاد وملكهم ممالكهم وأمصارهم، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ مما حواه أسر ولد آدم كالحواس والإدراك ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ الهاء لله أو لرسوله أو لكلامه المكرم ﴿الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ عامل الكسر وصل لا مؤدى له ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على حالك وحالهم وكلامك ومدعاك وكلامهم ومدعاهم.

﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ محال ووهم ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ علما واطلاعا، وهو معاملهم كلهم على أعمالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى

وآيها ثلاث وخمسون

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾[(١)] [آية: ١ - ٥]:

﴿حم عسق﴾ الله أعلم ما المراد كما مر ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿حم. عسق﴾ يُشير - والله أعلم - بكل حرف إلى وصف يدلّ على تعظيم قدر حبيبه صلى الله عليه وسلم، فالحاء: أحبَبْنَاك، أو: حبيْناك، أي: أعطيناك الملك والملكوت، والميم: ملَّكناك، والعين: عَلَّمناك ما لم تكن تعلم، أو: عيّناك للرسالة، والسين: سيّدناك، والقاف: قرّبناك. ﴿كذلك يُوحِي إليك﴾ أي: كما خصصناك بهذه الخصائص العظام أوحينا إليك ﴿وإلى الذين مِن قبلك﴾، فقد خصصناهم ببعض ذلك، وأوحينا إليهم، وفي ابنِ عطية: عن ابن عباس: أن هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله، المنزلة على كل نبيّ أُنزل عليه كتاب، ولذلك قال تعالى: ﴿كذلك يُوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾. وقال القشيري: الحاء: مفتاح اسمه حكيم وحفيظ، والميم: مفتاح اسمه مالك وماجد ومؤمن ومهيمن، والعين: مفتاح اسمه عليم وعليّ، والسين: مفتاح اسمه سيد وسميع وسريع الحساب، والقاف: مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدوس، أقسم الله تعالى بهذه الحروف أنه كذلك يُوحي إليك يا محمد. هـ. وقال ابن عطية: وإنما فصلت " حم عسق"، ولم يفعل ذلك بـ"كهيعص"؛ لتجري هذه مجرى الحواميم أخواتها. هـ. زاد النسفي: وأيضاً: هذه آيتان، و" كهيعص " آية واحدة. هـ. فانظره. ﴿الله﴾ أي: يوحي الله ﴿العزيزُ الحكيمُ﴾: فاعل " يُوحي"، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول. و" الله ": فاعل بمحذوف، كأن قائلا قال: مَن المُوحِي؟ فقال: ﴿الله العزيز الحكيم﴾ أي: الغالب بقهره، الحكيم في صنعه وتدبيره. ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ مُلكاً ومِلكاً، ﴿وهو العليُّ﴾ شأنه ﴿العظيمُ﴾ سلطانه وبرهانه. انظر تفسير البحر المديد (٥٣٤/٦).

﴿قَبْلِكَ﴾ أوحى إلى سائر الرسل أمامك ﴿اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وأسرا ومملوكا ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ على كل ما سواه.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ مصدره صدع واحد مؤدى ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ ورد الاسم الموصل على أهل الإسلام لا على سواهم ﴿أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لكل موال له ﴿الرَّحِيمُ﴾ لحالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [آية: ٦ - ٩]:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ هم الصور ركعوا لهم ﴿اللهُ حَفِيظٌ﴾ محص أعمالهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ومعاملهم على طالحها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ موكول لك أمرهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل أم رحم والحرام وسائر الأمم ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ للأعمال والعمال أو للروح ووعائها ﴿لا رَيْبَ﴾ لا محال ﴿فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ المراد: وراء الركم المحرر دار السلام لأهل الإسلام، ودار السوأى لأهل الإلحاد.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كلهم على مسلك واحد، وهو مسلك الإسلام ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ هم الأولى هدوا إلى صراطه ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ المراد: كل ملحد ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ راد ما أعد لهم على سوه أعمالهم.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ الهاء لله، والمراد سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ صورا ركعوا لها وأعدوها لمكارههم وأوطارهم على حدسهم الداحس ﴿فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ هو المعد لكل أمر لا ما أعدوه لهم لو أرادوا ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)﴾ [آية: ١٠ - ١٢]:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ مع أهل الإلحاد ﴿فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أعود لدى المكاره والأوطار.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أسرهما رأس لا على طور صدر أو ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لأسره حواء وأصلها آدم ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ﴾ مصدره كالأسر مؤده، أو المراد الإرماء ﴿فِيهِ﴾ الهاء عائد على مصدر ما أمه لكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عامل الكسر وصل مؤكد لا مؤدى له أو أصل ومؤداه، وهو محمول على الله لا على ما حاكاه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ الكلام ﴿الْبَصِيرُ﴾ الأحوال.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما كالأمطار والكلأ، وعطاء العالم كلهم ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصر على كل أحد أراد حصر عطائه ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [آية: ١٣ - ١٥].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول رسول أسس المسالك للأمم ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام لرسوله الأكرم محمد أكمل ردد الله له السلام مولاه ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ها هو ما وصاه اله إلى الرسل المسطر سردهم والى محمد صلى الله على كلهم وسلم، وهو لا إله إلا الله ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى صراط لا إله إلا الله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ

مَنْ يُنِيبُ﴾ كل عائد وسالك على أوامره.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ الواو للأمم المار عهدهم وعصرهم لما وحد أمم والحد أمم ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ علم هو الله أحد أو ورود الرسل أو علم ما أوحاه الله لرسلهم ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وروما للأموال وسواها ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ حكمها هو إمهال أهل الإلحاد ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ورود عصر المعاد أو حلول أعمارهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ واصطلم الله أهل الإلحاد كلهم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هم أمم موسى والروح ورأه أكمل الله لهما السلام ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الهاء لمحمد صلى الله على روحه وسلم أو الكلام الله المكرم ﴿مُرِيبٍ﴾.

﴿فَلِذَلِكَ﴾ المراد: لعدم سلوك الأمم كلهم على المسلك العدل ﴿فَادْعُ﴾ الأمم والأمر لمحمد رسوله، والمراد: إلى السلوك على مسلك لا إله إلا الله ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ دم على الدعاء ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ كما أمرك الله ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ على سائر الرسل ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أداء للإرسال وحكما ﴿اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أسر الكل ومولى أمورهم ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ كل وارد على موارد عمله ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ لدى المعاد ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الأمم كلهم.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩)﴾ [آية: ١٦ - ١٩]:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي﴾ صراط ﴿اللهِ﴾ رسوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ وعلا أمر الإسلام على سائر المسالك ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ هدر ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لدى المعاد وهم الهود.

﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم على رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْحَقِّ﴾ أحكاما ومسالك ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ المراد: العلم ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ ورودها ﴿قَرِيبٌ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لما ردوا حصولها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ هالهم أمر ورودها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الحاصل لا محال ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ

يُمَارُونَ فِي﴾ ورود ﴿السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى.

﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ كلهم على العموم طائع أو عاص، والمراد: ما أهلكهم لعدم سلوكهم مسلك أوامره ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٣]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ﴾[(١)] ما أعده الله لأهل الطاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ وهو معطى ما أراده وعمل له ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ﴾ عطاء ﴿الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ لعدم رومه لها.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ هم كل موسوس لهم وحاملهم على الإلحاد ﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾ وأسسوا ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ الداحس الهدر ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ كالإلحاد وحملهم على رد أمر المعاد ﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ وحكمها هو إمهال الله إلى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ واصطلم الله أهل الإلحاد ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المراد: كل ملحد ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ مروعهم هول المعاد وسوء أعمالهم، وورودهم على مواردها ﴿وَهُوَ﴾ ورودهم على موارد عملهم ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ على كل

---

(١) يقول الحق جلّ جلاله: ﴿مَن كان يُريد حرثَ الآخرةِ﴾، سُمِّي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة المستقبلة حرثاً، مجازاً؛ لأن الحرث: إلقاء البذر في الأرض لننظر نتاجه، فأطلقه على العمل، لجامع حصول النتاج، أي: مَن كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿نَزِدْ له في حَرْثِه﴾؛ نضاعف له ثوابه، الواحدة بعشر إلى سبعمائة فما فوقها، أو: نَزِدْ له في توفيقه وإعانته، وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه. ﴿ومَن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حَرْثَ الدنيا﴾ وهو متاعها وطيباتها ﴿نُؤْتِهِ منها﴾ أي: شيئاً منها، حسبما قسمناه له، لا ما يريده ويبتغيه، ﴿وما لهُ في الآخرة من نصيبٍ﴾ إذا كانت همته مقصورة على الدنيا. ولم يذكر في عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده، من زكاء أعماله، وفوزه في المآب؛ لأن ما يُعطى في الآخرة يستحقر أن يُذكر معه غيره من الدنيا. انظر البحر المديد (٦/٥٥٣).

حال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أحلى محالها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ لا ما لسواهم ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ رواه راوٍ كسدد، وراوٍ كامل محرك الوسط ﴿اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الله وأداء الإرسال ﴿أَجْرًا﴾ مآلا أو عطاء ﴿إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ طرد إلا ما أحله المؤدى لا السرد كورد الحمر كلها إلا عمرا ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾ المراد: العمل ﴿حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لكل هائد وعائد له ﴿شَكُورٌ﴾ لعمل كل طائع.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)﴾ [آية: ٢٤، ٢٥]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ لما ادعى ورود كلام الله له ﴿فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ممسكا لما أوحاه لك ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ ما ادعاه أهل الإلحاد ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ما أوحاه إلى رسوله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما أودعه صدر كل أحد.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ لدى عود عاملها إلى مولاه وهوده ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده للسامع.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾ [آية: ٢٦ - ٢٨]:

﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾ الله إلى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سؤالهم ودعائهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما سألوه ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ كلهم ﴿لَبَغَوْا﴾ دحسوا ﴿فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ﴾ ورواه راوٍ على وروده كأكرم ﴿بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ إعطاءه ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ومعط لكل أحد ما هو الأولى والأحرى لحاله.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ مطره على كل محل سهل ووعر، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ موالٍ آلاءه لكل طائع وعاص ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود

لدى الكل حالا، ولو عدم لدى أهل الإلحاد حمده كلاما.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٣١)﴾ [آية: ٢٩ - ٣١]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للمعاد ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ الكلام لأهل الإسلام ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ عدم أو لأواء ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سوء الأعمال ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ كعدم سؤال عاملها.

﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ الكلام لأهل الإلحاد ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ حارس ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد ما أراده الله لكم وأعده.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٦]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ الأطواد ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ رسوا على الماء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ موكل همه وأصرها على إدراك دلائل الله ﴿شَكُورٍ﴾ على آلائه، أو المراد: لكل مسلم كامل.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ المراد: إهلاك أهلها ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ سوء الأعمال ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مرسلا لها لا مهلكا لأهلها.

﴿وَيَعْلَمَ﴾ مردود رده الواو على معمول لعامل مصدر مطروح، أو ممسوك على أول الكلام ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ عما أعده الله لهم على سوء أعمالهم.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ طول مدد أعماركم لا دوام له ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ ما أعده لكل طائع ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٧ - ٣٩]:

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ كل عمل حد عامله على عمله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى ما دعاهم لعمله وأمرهم سلوكا على مسالكه أو ردعا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ المراد: أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى﴾ مصدر ﴿بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ على الطاعه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لله على كل عاد.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (٤٣)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٣]:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سماها كما سماها لورودهما على مورد واحد ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وده مع عدوه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ المراد: هو مكرمه إكراما، وما أدراك ما أكرام الله ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ملام ولا سؤال.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ سمودا وعلوا ﴿وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم على سوء أعمالهم.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على المكروه ﴿وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أومأ إلى العمل المسطور عمله ﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ المراد: عملها.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨)﴾ [آية: ٤٤ - ٤٨]:

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ هاد ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ سوى الله ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا﴾ أورد رأى وأراد ما هو وارد لحصوله لا محال ﴿الْعَذَابَ﴾ المعد لهم على إلحادهم ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ﴾ إلى الدار الأولى ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ مسلك.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ الهاء عائد إلى سوء الدار ودارها الألم المار ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لحلولهم وسط دار كدرها وألمها دائم، وعدم وصولهم إلى الحور اللاء أعدها الله لأهل الإسلام ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ دائم، وهو مكمل لكلامهم أو هو كلام الله رأسا.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى الهدى أو إلى دار السلام ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ وحدوه واركعوا وصلوا له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ المراد: رده وعوده أمر محال ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾ موئل ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ لسوء أعمالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ كالئا أعمالهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ﴾ ودعاء الأمم إلى الإسلام والسرد المحرر ممحو الحكم لورود حك الحسام وراءه ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ ولد آدم على العموم ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ آلاء ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ لأواء أو داء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ آلاء مولاه.

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [آية: ٤٩ - ٥٠]:

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ أولادا وحدها ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ أولادا وحدهم ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ ومعط لهم أولادا ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لا ولد له اصلا ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ

مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صح لأحد ولد آدم ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا﴾ ما هو موح له ﴿وَحْيًا﴾ إلهاما أو حال كرى كما حصل لأم موسى وألهمها، وكما رأى والد الرسل أمر الله له حسم رأس ولده حال الكرى ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما لو سمع كلاما، وما رأى مكلما كما سمع موسى أكمل الله له السلام، وهل ما سمعه كلام الله أو داله وحمله على الدال أولى ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿يُرْسِلَ رَسُولا﴾ ملكا كالروح ردد الله له السلام ﴿فَيُوحِيَ﴾ الملك الرسول إلى المرسل له وهو مكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ الهاء عائد لله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ محل الأمور محلها كلاما للرسل وسواهما.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾(١) هو كلاما المكرم الموحى لرسوله الأكرم محمد أو أورد الروح وأراد الملك الروح أكمل الله لهما السلام ﴿مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ المراد: لولا ما أوحاه الله لرسوله محمد لما درى أحكام كلامه المكرم، ولا معالم الإسلام، وما أمها أمها سد مسد ما رامه درى ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء للملك الروح أو لكلام الله ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ الأمم دعاء لما أوحاه الله لك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك الإسلام.

﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وأسرا ومملوكا ﴿أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ لدى مطور الوسائط كلها.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي وكالذي أوحينا إلى الأنبياء من قبلك أوحينا إليك ﴿رُوحاً﴾ أي نبوة؛ قاله ابن عباس. الحسن وقتادة: رحمة من عندنا. السدي: وحيا. الكلبي: كتابا. الربيع: هو جبريل. الضحاك: هو القرآن. وهو قول مالك بن دينار. وسماه روحا لأن فيه حياة من موت الجهل. وجعله من أمره بمعنى أنزل كما شاء على من يشاء من النظم المعجز والتأليف المعجب. ويمكن أن يحمل قوله: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] على القرآن أيضا ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي يسألونك من أين لك هذا القرآن، قل إنه من أمر الله أنزل علي معجزا؛ ذكره القشيري. وكان مالك بن دينار يقول: يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض. انظر الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف

مدنية إلا: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ [آية: ٤٥] مكية، وآيها تسع وثمانون

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾[1] [آية: ١ - ٥]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ الساطع مسلك هداه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء عائد لكلامه المكرم ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿تَعْقِلُونَ﴾ مداركه.

﴿وَإِنَّهُ﴾ محكم ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح ﴿لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ﴾ على سواه ﴿حَكِيمٌ﴾ حوى حكما.

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يحتمل وجهين الأول أن يكون التقدير هذه حام والكتاب المبين فيكون القسم واقعاً على أن هذه السورة هي سورة حام ويكون قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً﴾ ابتداء لكلام آخر الثاني أن يكون التقدير هذه حام ثم قال ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً﴾ فيكون المقسم عليه هو قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً﴾ وفي المراد بالكتاب قولان أحدهما أن المراد به القرآن وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن أنه جعله عربياً الثاني أن المراد بالكتاب الكتابة والخط وأقسم بالكتابة لكثرة ما فيها من المنافع فإن العلوم إنما تكاملت بسبب الخط فإن المتقدم إذا استنبط علماً وأثبته في كتاب وجاء المتأخر ووقف عليه أمكنه أن يزيد في استنباط الفوائد فبهذا الطريق تكاثرت الفوائد وانتهت إلى الغايات العظيمة. انظر تفسير الرازي (٢٧/١٦٥).

﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ المراد الإمساك ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ كلام الله ﴿صَفْحًا﴾ إمساكا لا أمر ولا ردع لـ ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أهل إلحاد لا.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ حكم مسل لرسول الله صلى الله على روحه وسلم.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾ وحكى الله ما حصل لهم وهؤلاء ما لهم كأولئك وهو هلاكهم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾ [آية: ٩ - ١٤]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ وهو الله ولو حاولوا.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾ كالمهد ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ مسالك ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مرامكم، أو إلى حكم الله.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ مطرا معادلا للوطر ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لعساء كلئها ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحد لكل أحد إلى المعاد، والورود على موارد الأعمال.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ طرح العائد على الاسم الموصول.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ وحد العائد للمح سرد الاسم الموصول وهو ما ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾ حمدا لآلاء مولاكم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)﴾ [آية: ١٥ - ١٧]:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ لما ادعوا ما حاصله الأملاك أولاد الله ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ كل مدع الأمر المسطر ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ أمره ساطع.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ له ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ وحدكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا﴾ ادعاه لله و﴿ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا﴾ لصدور الولد محاك لوالده ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ سواد كدر وكمد ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملؤ كدرا.

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾ [آية: ١٨ - ٢٠]:

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ لعدم كمال إدراكه وحمله.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ واطلعوا على أسر الله لهم ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ عما ادعوه وهم واردو موارد سوء أعمالهم.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ الهاء عائد إلى الأملاك ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾ [آية: ٢١ - ٢٥]:

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله أو لادعائهم المسطور ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ مسلك أو صراط أو إحدى الملل ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ سلوكا على مسالكهم.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ﴾ المراد: ما عم المصر ﴿مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ

﴿مُتْرَفُوهَا﴾ هم أهل الآلاء والرؤساء ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ المراد: إلا ادعوا كما ادعى هؤلاء، وهو حكم مسل لرسول الله ردد الله له أكمل السلام.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ كلكم سالك مسالك والده؛ مرادهم محمد والرسل أمامه صلى الله على كلهم وسلم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الهاء عائد إلى أمم الرسل الأول، وهو مهدد إلى الأولى دعاهم محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ المراد: أهلكهم الله ودمرهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ [آية: ٢٦ - ٣٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا﴾ اسم موصول أو للمصدر ﴿تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِلا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مراده: أسره ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ دائما، أو المراد إلى ما وراء ما هداه له.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أولاده ما هو معدوم موحدهم إلى حدود دور العالم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل أهل الحرم الحرام ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم سالكوه إلى مسلك والد الرسل أكمل الله له السلام.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ﴾ أهل الإلحاد ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ وأمهلهم الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ كرمه المكرم ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ كلام الله ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ﴾ سوى محمد ﴿مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ أم رحم

واحد سوادها ﴿عَظِيمٍ﴾ سؤددا ومالا كولد مسعود، والموسم على معطسه.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ المراد: ما عم الإرسال ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ واحد معدم صعلوك، وواحد له مال ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أموالا وسؤددا ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ﴾ أهل المال ﴿بَعْضًا﴾ المعدم ﴿سُخْرِيًّا﴾ للعمل، والمراد: وسع الله على أحدهم الأموال وحصر على أحدهم الأعمال الموسع أهل العدم لا لكمال موسع ولا لسوء حال معدم ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ داره دار السلام ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أموالا.

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾[1] [آية: ٣٣ - ٣٥]:

---

(١) قال الرزاي: في الآية مسائل:

المسألة الأولى اعلم أنه تعالى أجاب عن الشبهة التي ذكروها بناء على تفضيل الغني على الفقير بوجه ثالث وهو أنه تعالى بيّن أن منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله وبين حقارتها بقوله ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾ والمعنى لولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الخير والرزق لأعطيتهم أكثر الأسباب المفيدة للتنعم أحدها أن يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج أيضاً من فضة عليها يظهرون وثالثها أن نجعل لبيوتهم أبواباً من فضة وسرراً أيضاً من فضة عليها يتكئون ثم قال وَزُخْرُفاً وله تفسيران أحدها أنه الذهب والثاني أنه الزينة بدليل قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ (يونس ٢٤) فعلى التقدير الأول يكون المعنى ونجعل بهم مع ذلك ذهباً كثيراً وعلى الثاني أنا نعطيهم زينة عظيمة في كل باب ثم بيّن تعالى أن كل ذلك متاع الحياة الدينا وإنما سماه متاعاً لأن الإنسان يستمتع به قليلا ثم ينقضي في الحال وأما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وفي حكمه للمتقين عن حب الدنيا المقبلين على حب المولى وحاصل الجواب أن أولئك الجهال ظنوا أن الرجل الغني أولى بمنصب الرسالة من محمد بسبب فقره فبيّن تعالى أن المال والجاه حقيران عند الله وأنهما شرف الزوال فحصولهما لا يفيد حصول الشرف والله أعلم المسألة الثانية قرأ ابن كثير وأبو عمرو سَقْفاً بفتح السين وسكون القاف على لفظ الواحد لإرادة الجنس كما في قوله ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل ٢٦) والباقون سقفاً على الجمع واختلفوا فقيل هو جمع سقف كرهن ورهن قال أبو عبيد ولا ثالث لهما وقيل السقف جمع سقوف كرهن ورهون وزبر وزبور فهو جمع الجمع المسألة الثالثة قوله ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَانِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ فقوله لِبُيُوتِهِمْ بدل اشتمال من قوله لِمَن يَكْفُرُ قال صاحب (الكشاف) قرىء معارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد إلى المساكن العالية كالدرج والسلالم عليها يظهرون أي

=

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على مسلك الإلحاد ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ ورواه راوٍ على العدد لا على الواحد ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ للصعود كالسلام ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى السطح.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ مما حرر أولا ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا﴾ حلى على الأعم، والمراد: لولا روع حصول الإلحاد لأهل الإسلام لأعطى الله أهل الإلحاد ما حرر كله ﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا﴾ كهما، وما وصل مؤكد، ورواها راوٍ كهلا على ورودها كألا ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد: لا دوام له أصلا ﴿وَالآخِرَةُ﴾ المحمود مآلها، أو المراد: دار السلام ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ [آية: ٣٦ - ٤٥]:

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ كلام الله المكرم ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ موسوس له دائما.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ لدى المعاد، وورد للسؤال عما عمل ﴿قَالَ﴾ مكلما للموسوس له ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.

﴿وَ﴾ كلام الله لهما ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ ودادكم ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ لـ ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ والمصدر معمول للام كسر مطروح، وهو معلل للحكم المار.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ رد الواو الاسم الموصول على عدد الأعمى، وحاصل السؤال إسلامهم لك مر محال.

=

على تلك المعارج يطهرون. انظر تفسير الرازي (٢٧/١٨١).

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ كورود حمامك أمام ورود آلامهم وهلاكهم ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ﴾ المراد: على إهلاكهم وحصول ما أوعدوه ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصول إلى مولاك.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ سؤدد ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عما هو سلوك على مسالك أحكامه.

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ المراد: اسال أممهم وعلماءهم ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ سواه ﴿آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ كما ركعوا هم للصور والدمى، وهل أورد حل مسلكهم رسول أو كلام لا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَأَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلآخِرِينَ (٥٦)﴾ [آية: ٤٦ - ٥٦]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ﴾ موسى ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرساله كالعصا وسواها ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أول ما رأوها وما أدركوها.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ أمر دال على إهلاكهم ﴿إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الأولى ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هو إلحاد إلى صراط الهدى.

﴿وَقَالُوا﴾ لموسى أكمل الله له السلام لما رأوا حلول الهلاك ﴿يَأَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ العالم الماهر سحرا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ مرادهم: دعاؤهم لرد الألم والهلاك لو أسلموا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ دعا موسى، و﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ لدعائه ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ حلا للعهود وعودا إلى إلحادهم الأول.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ أما هو أو مأموره ﴿فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَمْ﴾ حصل لكم إدراك كامل، و﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أومأ إلى موسى ردد الله له السلام ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ كلامه لملأه ﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ لو صح ادعاؤه الإرسال ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾.

﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ عدو موسى لمحرر ﴿قَوْمَهُ﴾ المراد: أحلامهم ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ لما أمرهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ وسلكوا مسالك كل عاص أوامر مولاه ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ مصدرا، والمراد: أمام الهلكى ﴿وَمَثَلا لِلآخِرِينَ﴾ الأمم وراءهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ [آية: ٥٧ - ٥٩]:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا﴾ لما أوحى الله كل إله لهم هو حال معهم دار السوأى، وكلموا رسول الله ما حاصله الههم له حكم الروح لركوع اممه له وهم مدعو الأهل والولد للواحد الحد ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ المراد: صاحوا سرورا لما سمعوه.

﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ الرسول الروح أمام محمد أكمل الله لهما السلام ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا﴾ هدرا لعلمهم ورود الاسم الموصول، وهو ما لسوى أهل الأحلام وما هو عام للرسول الروح ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ كلهم ألد.

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الروح ﴿إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ إرسالا ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ لوروده ولدا ولا والد له ﴿مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ (٦٢)﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ محلكم ﴿مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ولد آدم وراء إهلاكهم.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الرسول الروح ردد الله له السلام ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ معلوم ورودها لحلوله ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ﴾ المراد: أمره لهم سلوكا على مسالك لا إله إلا الله ﴿هَذَا﴾ ما آمركم سلوكه ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل سالكه إلى الله.

﴿وَلا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ عما آمركم ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلأبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)﴾ [آية: ٦٣، ٦٤]:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال والأحكام ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ كلام الله الموحى له ﴿وَلأبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مما هو وارد وسط الكلام المكرم الموحى لموسى ردد الله لهما السلام، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ صراط لا إله إلا الله هو المسلك السالم سالكه.

﴿فَاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٦٦) الأخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنْفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ [آية: ٦٥ - ٧٢]:

﴿فَاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾(١) هل الرسول المحرر هو الله أو ولد الله ﴿فَوَيْلٌ

(١) قال أبو العباس الفاسي: قال تعالى: ﴿فاختلف الأحزابُ من بينهم﴾، الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، تنبيهًا على سوء صنيعهم، بجعلهم ما يُوجب الاتفاق منشأ للاختلاف، فإن ما حكى من مقالات عيسى عليه السلام، مع كونها نصوصًا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله، قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط، وفرّق النصارى، فقالت النسطورية: هو ابن الله، وقالت =

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وادعوا الادعاء المسطور ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وهو لدى المعاد، وورودهم على مصارعهم وحلولهم دار الآلام والكدر الدائم السرمد.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ عصر ورودها.

﴿الأَخِلاءُ﴾ أهل الوداد على سوء الأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عصر المعاد ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾ أهل الوداد لله لا لأمر سوء، والكلام لهم ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ﴾ أول كلام ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ رده الواو على أول الكلام والمحمول هو ﴿تُحْبَرُونَ﴾ سرورا وإكراما.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ وعاء الطعام ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وعاء الماء أو الروح ما له عروه ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾ أكلا ووطئا وسواهما ﴿وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ مرأى ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: أعدها الله لكم على صالح أعمالكم كرما.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وما أكل حل للحال محله سواه.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾ [آية: ٧٤ - ٨٠]:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ هم كل ملحد ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

=

اليعقوبية: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وقالت المِلْكَانية: هو ثالث ثلاثة. ﴿فويلٌ للذين كفروا﴾ وهم: المختلفون فيه بأنواع الضلالات. وأظهر الموصول في موضع الإضمار؛ إيذانًا بكفرهم جميعًا، وإشعارًا بِعِلِّيَّةِ الحكم. انظر البحر المديد (٣٢١/٤).

﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ كلهم حاسم أمله عما هو سلام.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لإلحادهم وإحلالهم محل الإله العدل سواه كود وسواع.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ مرادهم: ورود الحمام ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ أمدا وسرمدا وكمل كلام مالك.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ﴾ كلام الله لأهل الحرم وأم رحم ﴿بِالْحَقِّ﴾ إرسال الرسول ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا﴾ ملحدو أم رحم، والمراد: احكموا ﴿أَمْرًا﴾ على حصول المكروه لمحمد ردد الله له السلام ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمرا محكما لإهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما طواه صدورهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ كلامهم مع سواهم ﴿بَلَى﴾ كلاهما مسموع ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الأملاك ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ والمراد: سرهم مسموع وكلامهم مسموع ومسطور.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣)﴾ [آية: ٨١ - ٨٣]:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ لو سلم حصول ولد له ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ للولد المحرر أو لله، والمراد: موحد له.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مما لا أصل له ولا سلمه حلم ولا حكم.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ هدرا ﴿وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو المعاد.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [آية: ٨٤ - ٨٦]:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ مألوه ومركوع له ﴿وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ مركوع له ومألوه ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور كلها محلها ﴿الْعَلِيمُ﴾ مصالح الأمم كلهم.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ﴾ عالم عصر ورودها ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لسامع الكلام.

﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ سوى الله، والمراد: الصور اللاء ركع وصلى أهل الإلحاد لها ما أحدها مالك ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ لأحد كما ادعوا ما أهلها ﴿إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وحد الله كالرسول الروح والأملاك لو حمل الاسم الموصول على ما عم الصور وسواهم، ولو حمل على الصور وحدها صار حكم ما أم إلا محسوما عما أمامها ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حكم لا إله إلا الله سرا وصدرا كما عملوه كلاما.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [آية: ٨٧ - ٨٩]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ عما هو ركوع له إلى الركوع إلى سواه.

﴿وَقِيلِهِ﴾ مصدر، والهاء عائد إلى الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، رواه راوٍ مسموكاً على أول الكلام، ومحموله حاصل ما وراءه، ورواه راوٍ على وروده مصدرا معمول لعامل مطروح، ورواه عاصم وسواه مكسورا معمولا لعامل ما أم العلم وهو الساعة ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وأمر الله رسوله لما دعا مولاه الدعاء المحرر.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ﴾ والأمر المسطور محا حكمه أمر الحسام أو الإسلام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء ما لهم لدى ورودهم على مصارع أعمالهم، وهو حكم مهدد لهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الدخان

مكية، وآيها تسع وخمسون

﴿ حمٓ (١) وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣)
فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ (٥) رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
(٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٨) بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ
يَلۡعَبُونَ (٩) فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ (١٠) يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ
أَلِيمٞ (١١) رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ
رَسُولٞ مُّبِينٞ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ
عَآئِدُونَ (١٥) يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[1] [آية: ١ - ١٦]:

---

(١) قال القرطبي: إن جعلت ﴿حم﴾ جواب القسم تم الكلام عند قوله: ﴿المبين﴾ ثم تبتدئ ﴿إنا أنزلناه﴾. وإن جعلت ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ جواب القسم الذي هو ﴿الكتاب﴾ وقفت على ﴿منذرين﴾ وابتدأت ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. وقيل: الجواب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، وأنكره بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به، ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم، والهاء في ﴿أنزلناه﴾ للقرآن. ومن قال: أقسم بسائر الكتب فقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كنى به عن غير القرآن، على ما تقدم بيانه في أول "الزخرف" والليلة المباركة ليلة القدر. ويقال: ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة القدر. ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب. وروى قتادة عن واثلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزلت الزبور لاثنتي عشرة من رمضان وأنزل الإنجيل لثمان عشرة خلت من
=

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ الحلال مما هو حرام.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ مما هو لوح إلى السماء الأولى ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

﴿فِيهَا﴾ الهاء لمساء حلول كلام الله المكرم ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ كالأعمار والإعطاء.

﴿أَمْرًا﴾ معمول على المصدر عامله ما هو أمام كل أمر، أو على الحال للهاء الأولى ﴿مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل محمدا، والأولى أمامه صلى الله على كلهم وسلم ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ إلى الأمم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سامع كلامهم وعالم أحوالهم وأعمالهم.

﴿رَبِّ﴾ محمول وراء محمول، ورواه راوٍ مكسورا ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿مُوقِنِينَ﴾ أسلموا لمحمد وإرساله.

﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ ورواهما راوٍ على الكسر كالأول.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ ما أسلموا ولا سلموا لحصول المعاد ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ولما سأل رسول الله مولاه ما حاصله المحل وعدم حلول الأمطار أمره الله.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ لعدم الأمطار وسواد الهواء ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ وكلامهم لما رواه ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ لرسولك محمد ورد الله وعدهم الإسلام المحرر سائلا ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ حاصل المراد: إسلامهم مردود لدى حلول الآلام ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ هو محمد أكمل الله له السلام.

=

رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين مضت من رمضان". ثم قيل: أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا في هذه الليلة. ثم أنزل نجما نجما في سائر الأيام على حسب اتفاق الأسباب. وقيل: كان ينزل في كل ليلة القدر ما ينزل في سائر السنة. وقيل: كان ابتداء الإنزال في هذه الليلة. وقال عكرمة: الليلة المباركة ها هنا ليلة النصف من شعبان. والأول أصح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. قال قتادة وابن زيد: أنزل الله القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/١٦).

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ ادعى أحدهم هو معلم واحدهم ﴿مَجْنُونٌ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ لدعاء الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم عصرا ﴿قَلِيلا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى إلحادكم وسوء عملكم.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد لهم أو ما حاكاه ﴿نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ ولعل المراد لدى المعاد ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)﴾ [آية: ١٧ - ٢٩]:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى ردد الله له السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على مولاه.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم له وهو الإسلام والأعمال على ما حده لهم ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ مدعو على طرح الأداه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال ودعاء الأمم.

﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا﴾ سمودا ﴿عَلَى اللهِ﴾ كوداعكم لأوامره ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ مر دال على الإرسال.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ وكل إلى الله أمره لما أوعدوه الأمر المحرر.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ وما سمعوا ما أمر ووصاهم.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ أهل إلحاد وأمره مولاه ﴿فَأَسْرِ﴾ ورد أسرى وسرى ﴿بِعِبَادِي لَيْلا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ راكدا مصدوعا على حاله ومسلكه ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ﴾ محمول لأول كلام مطروح وهو الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ الهاء عائد إلى أموالهم المعلوم أمرها مما حرر ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ هم ملأ موسى، ولو حمل عود الهاء على ما عدده أولا صاروا

سوى ملأ موسى لعدم عودهم إلى مصر.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ المراد: مصعد أعمالهم ﴿وَالأَرْضُ﴾ المراد: مصلاهم لعدم ركوعهم لله، وعدم صالح عمل لهم، وأهل الإسلام لهم مصعد الأعمال والمصلى والأمر المسطور حاصل كلما ورد أحدهم موارد حمامه ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ إمهالا لعودهم وهودهم إلى الله.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلا مَوْتَتُنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)﴾ [آية: ٣٠ - ٣٧]:

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ سامدا ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ الهاء عائد لملأ موسى الأولى سلكوا معه وسط الماء ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ لحالهم، وهم أهل له ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عوالم عصرهم، والمراد: على أهل الأحلام.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ﴾ آلا ﴿مُبِينٌ﴾ ساطع أمره لكل أحد كصدع الطم والسلوى وسواهما.

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾ هم ملحدوا أم رحم والحرم الحرام ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا مَوْتَتُنَا الأولَى﴾ مرادهم وهم أموات وسط الأرحام ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ إلى المعاد وراء الحمام.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ ردوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ رسول أو هو أحد الصلحاء ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وسواهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ على إلحادهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٨، ٣٩]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء وما الله عالمه ﴿لاعِبِينَ﴾ لهوا حال.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ﴾ لورودها دوال على الواحد الأحد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ لعدم إدراكهم.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) إِلا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٢]:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للألم الدائم وحلول دار السوأى.

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ ككل رحم وسواه لا راد لما أعده الله لهم على سوء أعمالهم ﴿شَيْئًا﴾ أمرا ما ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿إِلا مَنْ رَحِمَ اللهُ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ ما أراده حاصل لا محال ﴿الرَّحِيمُ﴾ لكل أحد أراد رحمه.

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)﴾ [آية: ٤٣ - ٥٠]:

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ حملها أمر كل حمل.

﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ المراد: الملحد.

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ كل حار ألد الحراره.

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسوء الدار.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ والكلام له.

﴿ذُقْ﴾ ألم دار السوأى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ على مدعاك.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الألم ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ [آية: ٥١ - ٥٩]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾[1] محل ﴿أَمِينٍ﴾ لا روع لهم، ولا هم، ولا كدر ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ على السرر أمام لأمام ما أحد راء وراء أحدهم.

﴿كَذَلِكَ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو الأمر ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ﴾ الحور عدد الحوراء عكس السوداء ﴿عِينٍ﴾ ملاحها.

﴿يَدْعُونَ﴾ دعاء أمر ﴿فِيهَا﴾ الهاء لدار السلام ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ حال، والمراد: كل مورع.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى﴾ حكم ما وراء إلا الحسم عما أمها كحكم ورد الرهط إلا حمارا، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَضْلا﴾ مصدر وعامله مطروح ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ وكرما ﴿ذَلِكَ﴾ الكرم والعطاء المحرر ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهل الله ورود كلامه المكرم ﴿بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لعل إدراكهم وإسلامهم حاصل.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ حلول هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ حصول هلاكك، ومحا حكم الأمر المحرر أمر الإسلام وأعمال الحسام وراءه.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ لما ذكر مستقر الكافرين وعذابهم ذكر نزل المؤمنين ونعيمهم. وقرأ نافع وابن عامر ﴿في مقام﴾ بضم الميم. الباقون بالفتح. قال الكسائي: المقام المكان، والمقام الإقامة، كما قال:

عفت الديار محلها فمقامها

قال الجوهري: وأما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، لأن الفعل إذا جاوز الثلاث فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبه ببنات الأربعة، نحو دحرج وهذا مدحرجنا. وقيل: المقام (بالفتح) المشهد والمجلس، و(بالضم) يمكن أن يراد به المكان، ويمكن أن يكون مصدرا ومقدر فيه المضاف، أي في موضع إقامة. ﴿أمين﴾ يؤمن فيه من الآفات ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا. والسندس: ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٥٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجاثية

مكية، وآيها ست وثلاثون

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[1] [آية: ١ - ٦]:

---

(١) قال الرازي: ﴿إِنَّ في السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: أن قوله ﴿إِنَّ في السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ لآيَاتٍ﴾ يجوز إجراؤه على ظاهره، لأنه حصل في ذوات السموات والأرض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها، وأيضاً الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والأرض وهي آيات، ويجوز أن يكون المعنى: إن في خلق السموات والأرض كما صرّح به في سورة البقرة في قوله ﴿إِنَّ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ﴾ (البقرة: ١٦٤) وهو يدل على وجود القادر المختار في تفسير قوله ﴿الْحَمْدُ لله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ﴾ (الأنعام: ١). البحث الثاني: قد ذكرنا الوجوه الكثيرة في دلالة السموات والأرض على وجود الإله القادر المختار في تفسير قوله ﴿الْحَمْدُ لله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ﴾ ولا بأس بإعادة بعضها فنقول إنها تدل على وجود الإله من وجوه: الأول: أنها أجسام لا تخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فهذه الأجسام حادثة وكل حادث فله محدث الثاني: أنها مركبة من الأجزاء وتلك الأجزاء متماثلة، لما بينا أن الأجسام متماثلة، وتلك الأجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها في السطح دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجائزات وكل جائز فلا بد له من مرجح ومخصص الثالث: أن الأفلاك والعناصر مع تماثلها في تمام الماهية الجسمية اختص كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة واللطافة والكثافة الفلكية والعنصرية، فيكون ذلك أمراً جائزاً ولا بد لها من مرجح الرابع: أن أجرام الكواكب مختلفة في الألوان مثل =

﴿حم﴾ الله أعلم ما مراده.

﴿تَنْزِيلُ﴾ أول كلام ﴿الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّ فِي﴾ أسر ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ﴾ دلائل على الله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا لسواهم لعدم إدراكهم ما دل على الله.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ طورا ماء، وطورا دما وسط الرحم، وطورا لحما لا روح له، وطورا ولدا، وطورا مراء كاملا مدركا حساسا ﴿وَ﴾ أسر ﴿مَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾ محمول على محل العامل المؤكد واسمه ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ورودا مطورا حورا وسوادا طولا وعكسه ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ طورا حارا، وطورا صرصرا وسواهما ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدلائل على الله.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ﴾ الدوال على لا إله إلا الله ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ حال الدلائل وعاملها مؤدى ما أومأ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ﴾ كلام ﴿اللهِ وَآيَاتِهِ﴾ دلائله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ورواه راوٍ للسامع، والمراد: ملحدو أم رحم.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

=

كمودة زحل، وبياض المشتري، وحمرة المريخ، والضوء الباهر للشمس، ودرية الزهرة، وصفرة عطارد، ومحو القمر، وأيضاً فبعضها سعيدة، وبعضها نحسة، وبعضها نهاري ذكر، وبعضها ليلي أنثى، وقد بينا أن الأجسام في ذواتها متماثلة، فوجب أن يكون اختلاف الصفات لأجل أن الإله القادر المختار خصص كل واحد منها بصفته المعينة الخامس: أن كل فلك فإنه مختص بالحركة إلى جهة معينة ومختص بمقدار واحد من السرعة والبطء، وكل ذكل أيضاً من الجائزات، فلا بد من الفاعل المختار السادس: أن كل فلك مختص بشيء معين وكل ذلك أيضاً من الجائزات، فلا بد من الفاعل المختار، وتمام الوجوه مذكور في تفسير تلك الآيات. البحث الثالث: قوله ﴿لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقتضي كون هذه الآيات مختصة بالمؤمنين، وقالت المعتزلة إنها آيات للمؤمن والكافر، إلا أنه ملا انتفع بها المؤمن دون الكافر أضيف كونها آيات إلى المؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) فإنه هدىً لكل الناس كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥) إلا أنه لما انتفع بها المؤمن خاصة لا جرم قيل ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فكذا ههنا، وقال الأصحاب الدليل والآية هو الذي يترتب على معرفته حصول العلم، وذلك العلم إنما يحصل بخلق الله تعالى لا بإيجاب ذلك الدليل، والله تعالى إنما خلق ذلك العلم للمؤمن لا للكافر فكان ذلك آية دليلا في حق المؤمن لا في حق الكافر والله أعلم. انظر تفسير الرازي (٦٧٣/٢٧).

يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٧ - ١١]:

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ مدع ما لا أصل له ﴿أَثِيمٍ﴾.

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على إلحاده ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عما هو إسلام للرسول ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إصراره المسطور.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ كلام الله ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أورد الوراء وأراد الإمام ﴿وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ أموالا وأولادا ﴿شَيْئًا﴾ مما أعده الله لهم على سوء عملهم وإلحادهم ﴿وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ صورا ركوعا لها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿هُدًى﴾ مما هو عمى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ سهم ﴿مَنْ رِجْزٍ﴾ ألم ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أسره أملس السطح وسهل للسواح مسالكهم ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ﴾ على سطحه ﴿بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا﴾ مصالحكم ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاكم على ما أولاكم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مؤكد لما ﴿مِنْهُ﴾ حال الاسم الموصول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ حكم الله.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)﴾ [آية: ١٤، ١٥]:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾ ما هو مروعهم ما أوعده الله أعداه

أوحاه الله لرسوله لما كلم أحد أهل الإلحاد العوار لعمروهم عمر على المكروه له ﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله، واللام معلل للأمر المار ﴿قَوْمًا﴾ هم أهل الإسلام ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وهو سماحهم لأهل الإلحاد عوارهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمله ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٢)﴾ [آية: ١٦ - ٢٢]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى ردد الله له السلام ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وولد أمه أكمل الله لهما سلامه ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلال كالسوى وسواها ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالم عصرهم، والمراد: أهل الأحلام.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ أمر الحلال والحرام، ودلائل إرسال محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ هل محمد رسول أم لا ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾ حسدا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لمحمد ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ الكلام لرسوله محمد صلى الله وسلم على روحه ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ أمر الحلال والحرام، ومسلك لا إله إلا الله وحده ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ كالركوع إلى سوى الله.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ﴾ مما أراد حلوله على أعدائه ﴿شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ هم أهل الإسلام.

﴿هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى

وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لأمر المعاد وحصوله.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ وعملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ إلحادا وسواه ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ محمول أمام أول الكلام وهو ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حاصل المراد ما الأمر كما وهموا وادعوا ساء حكما حكمهم المحرر.

﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا أو طالحا ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كالحط على طالح أعمالهم، أو الحط مما هو عمل صالح.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ [آية: ٢٣ - ٢٦]:

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ اعلم ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ كوداعه الهدى وسلوكه مسالك الهوى ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ عالما مولاه وروده أهلا للعمى ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ لا هو سامع الهدى ولا هو مدركه ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾[1] كالسواد رادعا مرآه صراط الهدى ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ لا أحد هاد له أصلا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ الواو لكل راد أمر المعاد وحاكم على عدم حصوله ﴿مَا هِيَ﴾ ما الحال ﴿إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ﴾ أمواها وسط الأرحام ﴿وَنَحْيَا﴾ مولدا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ مرور الأعصار ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ لا دال لهم على مدعاهم وما هو الأحدس لا أصل ولا أساس له.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ دلائلها حال ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ ردوا أرواحهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

(١) ﴿وجَعَلَ على بصره غشاوةً﴾ أي: ظلمة مانعة من الاعتبار والاستبصار، ﴿فمَن يهديه من بعدِ الله﴾ من بعد إضلال الله إياه؟ ﴿أفلا تَذَكَّرون﴾ أفلا تتعظون، فتُسلمون الأمور إلى مولاها، يُضل مَن يشاء ويهدي مَن يشاء. انظر البحر المديد (١٠٢/٧).

﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ﴾ وسط الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى ورود الحمام ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ رادا لكم أرواحكم حال ورود عصر المعاد ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لعدم إدراكهم وعلمهم إلا ما هو المحسوس.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٢٧ - ٣٧]:

﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ على الكردوس لهول ما هو حاصل، أو المراد: كلهم مركوم روعا ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ طرس أعمالها والكلام لهم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: ما أعده الله لكم على أعمالكم.

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ ما حرره الأملاك ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ محص أعمالكم كلها صالحها وطالحها ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعمالكم ومحررها هم الأملاك.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ دار السلام ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الساطع أمره.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الكلام لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ كلام الله المكرم ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ أهل إلحاد.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ موعوده أو المصدر ﴿حَقٌّ﴾ حاصل لا محال ﴿وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ﴾ ما ﴿نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ ورودها وحصولها.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ لما رأوا ما أعده الله لهم على عملها ﴿وَحَاقَ﴾ حل أو أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو حلول الألم.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ﴾ وسط سوء الدار والمراد وداعهم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ المراد: عدم العمل له ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ رواد عما أعده الله لكم على سوء أعمالكم.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لمرور عصره.

﴿فَلِلهِ الْحَمْدُ﴾ على حصول ما أوعد ووعد لأهل الإلحاد، وأهل الإسلام ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عامل الكسر مع معموله حال محال الحال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المحل أموره كلها محالها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف

مكية، وآيها خمس وثلاثون

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ كلامه المكرم ﴿مِنَ اللهِ﴾ محمول على ما أدى مؤدى كلام الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ المحل أوامره وروادعه محالها.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] حد محدود إلى حلول أعمار العالم كله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾ روعوا حلوله ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ [آية: ٤]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ المراد الإعلام ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ ركوعا ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه وهو الصور والدمى ﴿أَرُونِي﴾ مؤكد لما ورد وراء الأمر ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي﴾ أسر ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله لما أسرها، والمراد: لا آسر معه لا إله إلا هو

---

(١) ﴿ما خَلَقَ الله السماواتِ والأرض وما بينهما إلا بالحق وأَجَلٍ مُسَمىً﴾ أي: ما خلقها باطلا وعبثاً من غير حكمة، ولا لتبقى خالدة، وإنما خلقها مقرونة بالحق، مصحوبة بالحكمة البالغة، وتنتهي إلى أجل مسمى، وهو قيامُ الساعة، ووقت الحساب، بالثواب والعقاب، فيخرب هذا العالم، ويقوم عالم آخر، لا انتهاء لوجوده.. انظر البحر المديد (٥/٥٠٠).

الواحد الأحد ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ موحى ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ مصحح لمدعاكم وركوعكم إلى الصور ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أوردوه وصححوا مدعاكم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)﴾ [آية: ٥ - ٨]:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ وهم الصور والدمى، ولو دعاهم ركوعا لهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ﴾ الصور ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ ركوع كل راكع لهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لعدم حسهم وإدراكهم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ الصور ﴿لَهُمْ﴾ لكل راكع لهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ لرد الحال لها.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ على أهل أم رحم والحرم الحرام ﴿آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هو كلام الله ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ساطع أمره لكل أحد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد على الله ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ وسلم مدعاكم ﴿فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله ﴿كَفَى بِهِ﴾ الهاء لله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لإمهاله كل عاص.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ [آية: ٩، ١٠]:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ المراد: أول رسول دعا الأمم إلى الله وأوامره ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ (ما) إما اسم موصول أو هو وارد للسؤال، والمراد: أهو مطرود أم هم مهلكوه كما حصل للرسل وهم حال على رؤوسهم الألم كما حل على الأمم الأول أو لا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ هو كلام الله ﴿وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ

مُبِينٌ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ المراد: الإعلام ﴿إِنْ كَانَ﴾ كلام الله الموحى له ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو ولد سلام ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ مؤكدا وروده وسط الكلام الموحى إلى موسى ردد الله له السلام ﴿فَآمَنَ﴾ له ولد سلام وأسلم لوروده ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عما هو إسلام له ومكمل العامل هو إما كلكم أو ما حاكاه ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)﴾ [آية: ١١، ١٢]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ﴾ الإسلام لمحمد أكمل الله له السلام وكلام الله ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ لا أصل له.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا﴾ حال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لكل مسلم ﴿وَهَذَا﴾ كلام الله ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لكل كلام إمامه أوحاه الله للرسل الأول كموسى وسواه ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ كلاهما حال ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ملحدو الحرم الحرام وما حوله ﴿وَ بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [آية: ١٣، ١٤]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ وداموا على العمل الموصل إلى مولاهم ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾ معمول على المصدر لعامل مطروح ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨)﴾ [آية: ١٥ - ١٨]:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أورد وصى وأراد الأمر ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ كلاهما كد وكلال لها ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[1] صار كهلا ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وصل إلى مدى الكمال ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ هو الإلهام ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ عام لكل عمل صالح ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ كورودهم كلهم أهل إسلام لا ملحد معهم ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عما صادم أوامرك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ والسرد المسطور على ما رواه أهل العلم أوحى الله لرسوله لأول إمام ولاه أهل الإسلام أمرهم لدى ورود رسول الله صلى الله على روحه وسلم موارد الحمام.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ عملهم الصالح ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لعودهم وهودهم إلى الله ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ وعد الله لهم هو ما أوحاه لرسوله وصدره وعد الله.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ﴾ مؤداه المصدر السوء ﴿لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ مما هو لحد إلى المعاد ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِي﴾ هلكوا وصاروا رمما وما ورد أحدهم ﴿وَهُمَا﴾ والداه ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللهَ﴾ عود ولدهما إلى صراط الهدى وكلامهما لولدهما هو ﴿وَيْلَكَ﴾ هلاكًا لك ﴿آمِنْ﴾ إلى حصول أمر المعاد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أمر لا أصل له ولا أساس.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الألم وحلولهم دار السوأى حاصل ﴿فِي﴾ عداد ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

---

(١) قال أبو جعفر النحاس: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ التقدير: وقت حمله ، مثل: ﴿واسأل القرية﴾ ، وقرأ أبو رجاء وعاصم الجحدري: ﴿وحمْله وفصْله﴾ ، فرويت عن الحسن ابن أبي الحسن ، واحتج أبو عبيد للقراءة الأولى بالحديث: "لا رضاع بعد فصال " ، وأبين من هذه الحجة أن (فصالا) مصدر ، مثل: قتال ، وهذا الفعل من اثنين؛ لأن المرأة والصبي كل واحد منهما ينفصل من صاحبه ، فهذا مثل: القتال ، وإن كان قد يقال: فصله فصلا وفصالا.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾ [آية: ١٩، ٢٠]:

﴿وَلِكُلٍّ﴾ مسلم أو ملحد ﴿دَرَجَاتٌ﴾ إلى أهل الإسلام العلى، وإلى أهل الإلحاد الدرك ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ عملا صالحا أو طالحا ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ ما أعده الله لهم على أعمالهم ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كحط مما هو عمل صالح أو على ما هو طالح.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ وكلام الأملاك لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لعدم ورودكم أهلا له ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ سلوكا على سوى ما أمركم الله إلحاد أو سواه.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)﴾ [آية: ٢١ - ٢٨]:

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ وهو هود ردد الله له السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ﴾ روع ﴿قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ اسم واد علاه علم رمل طال وسما مع الأود ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أمامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ وراءه إلى أممهم، وكلام هود لهم هو ﴿أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ مراده: لو ركعوا لسوى الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ عما هو ركوع لها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ على الركوع

لها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ هود ردد الله له السلام ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ﴾ هو العالم عصر ورود هلاككم ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وما على الرسول الادعاء الأمم إلى الله ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ لرومكم الهلاك.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ الهاء عائد للألم ﴿عَارِضًا﴾ ركاما وسط الهواء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ﴾ ركام ﴿مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ الهلاك لكم ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ المراد: إهلاكها له حال مرورها ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ ما أراد إهلاكه ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ﴾ هلكوا وحرمهم وأولادهم وأولالهم وما سلم إلا هود وأهل الإسلام معه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ سواهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ﴾ ما ﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿فِيهِ﴾ أموالا وعددا وعددا ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ﴾ وارد كورد اللام ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ وارد مورد اللام ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هو ما أوعدهم رسولهم حلوله لو أصروا على إلحادهم وداموا على سوء مسالكهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ المراد: أهلها وهم عاد، وملأ لوط، وسواهم ﴿وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هو إلحاد إلى صراط الهدى.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾[1] سواه ﴿قُرْبَانًا﴾ إلى الله ﴿آلِهَةً﴾ هم الصور اللاء ركعوا لها ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ لدى ورود الهلاك ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وما أما للمصدر أو اسم موصول.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿فلولا نَصَرَهم الذين اتخذوا من دون الله قُرباناً آلهةً﴾ أي: فهلا منعهم وخلصهم من العذاب الأصنام الذين اتخذوهم آلهة من دون الله، حال كونها متقرباً بها إلى الله، حيث كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] و﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي: غابوا عن نصرتهم، ﴿وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ الإشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم، أي: وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذها آلهة، وثمرة شركهم، وفترائهم على الله الكذب. انظر البحر المديد (١٤١/٧).

قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٣٢)﴾ [آية: ٢٩ - ٣٢]:

﴿وَإِذْ﴾ لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ واسمعوا كلام الرسول ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا﴾ عادوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ روعوا ملأهم حلول الألم، وأمروهم السلوك على مسالك الإسلام، وكلهم هود وكلامهم لملأهم هو.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ كلام الله المكرم ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولعلهم ما سمعوا ورود الروح وإرساله وراء موسى أكمل الله لهما السلام ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ صراط الإسلام، ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾ رسوله محمدا صلى الله على روحه وسلم ﴿وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ما عاد إلى الله سوى ما عاد إلى الأمم ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ﴾ معد لأهل الإلحاد ﴿أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ مولاه ﴿فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ﴾ سوى الله ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ رادو ما أعده الله له ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ (٣٥)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٥]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الواو لكل راد أمر المعاد وحاكم على عدم حصوله أصلا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾ ما كل ﴿بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى

بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ المراد: حلوهم وسطها لا مرورهم مرورا، والكلام لهم حال حلولهم هو ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ أومأ إلى ما أعد الله لهم ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ما للمصدر.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على كل مكروه حملك أممك، والأمر لرسوله محمد ردد الله له السلام ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ هم كل مؤسس الأحكام للأمم ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأولى مروا أمامك وهم على أصح ما رووه والد سام وحام، ووالد للرسل، وموسى، والروح، ومحمد صلى الله على كلهم وسلم ﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ لملائك حلول الألم والهلاك ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ الأمل وسط سوء الدار لطول مدده ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ طول أعمارهم على حدسهم ﴿إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ﴾ محمول على مطروح، وهو كلام الله المكرم ﴿فَهَلْ﴾ لا ﴿يُهْلَكُ﴾ لدى ورود الألم ﴿إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أهل الإلحاد لا سواهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وتُسَمَّى سورة القتال

مكية، أو مدنية، وآيها أربعون آية

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾[1] سواهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام له ولرسوله ﴿أَضَلَّ﴾ هدر ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ كإطعام الطعام ووصل الأرحام وسائر مكارمهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالهم.

---

(١) قال القرطبي: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هم أهل مكة كفروا بتوحيد الله، وصدوا أنفسهم والمؤمنين عن دين الله وهو الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه، وقال السدي. وقال الضحاك: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ عن بيت الله بمنع قاصديه. ومعنى ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وجعل الدائرة عليهم، قال الضحاك. وقيل: أبطل ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم، من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار. وقال ابن عباس: نزلت في المطعمين ببدر، وهم اثنا عشر رجلا: أبو جهل، والحارث بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأمية ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٢٣).

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى كلا الهدر والاصلاح ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ سلكوا مسالك الوسواس ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ كلام الله المكرم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أحوال أهل الإسلام، وأهل الإلحاد.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حال الكر والمعارك ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر معمول لعامل مطروح ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ وها حالهم إهلاكا ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ المراد: امسكوا وأسروهم ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أراد: أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ دروعها وسلاحها وسواها، والمراد: إلى إسلام أهل الإلحاد، أو إعطائهم الأموال وسلوكهم مسالك العهود، والحكم المسطور مدى الإهلاك والأسر ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ اصطلاما ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم الكر على أعدائكم ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ هالك أهل الإسلام إلى دار السلام، وهالك أهل الإلحاد إلى سوء الدار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ ورواه راوٍ كعاملوا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لدى أحد ومعاركه ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ حالهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ كل أحد واصل داره وسطها وأهله ولا دال له.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١)﴾ [آية: ٧ - ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ﴾ أحكامه ومعامله، أو المراد: رسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على أعدائكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ حال كركم على العدو.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا﴾ هلاكا ﴿لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الهلاك ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ على رسوله وهو كلامه المكرم

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلكهم مع أهلهم وأولادهم وأموالهم كلها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ كما حصل لأولئك حاصل لهؤلاء.

﴿ذَلِكَ﴾ علو أهل الإسلام على أهل الإلحاد ﴿بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى﴾ لا راد ولا كالئ ﴿لَهُمْ﴾ عما أعده الله لهم.

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ لا هم لهم سوى الأكل والوطء والسلوك مسالك الهوى ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ومحل ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ أم رحم وأراد أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ مما هو إهلاك لهم ولا راد له.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ دال وهم أهل الإسلام ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ وهم ملحدو أم رحم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ركوعا إلى الصور والدمى.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [آية: ١٥]:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ المراد: ماعرا ومرآه كدر ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ عكس الراح والمدام المعهود لهم ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ لا كدر له أصلا ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أحال هؤلاء مع ما أعطاهم مولاهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ حارًّا ألدها ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ

هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [آية: ١٦ - ١٩]:

﴿وَمِنْهُمْ﴾ الهاء عائد لأهل الإلحاد ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ كلامك وأمرك ووعدك وعكسه ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ المراد: لعلماء ملائك كولد مسعود وسواه ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ لإسلامهم كلاما وإصرارهم على الإلحاد صدرا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ وهم أهل الإسلام ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم، وكل موصل إلى دار السلام ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ وعلمها إرسال محمد صلى الله على روحه وسلم وسواها ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ والمراد: حال ورودها إسلامهم مردود.

﴿فَاعْلَمْ﴾ دم على علمك ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أمر للرسول، والمراد المرسول لهم ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى محال الكرى، والمراد: عالم ومطلع على سائر أحوالكم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٤]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ روما لورود أمر الكر على أعداء الله ورسوله ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ أمر الأعمال الحسام ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أمره وروم الكر على أعداء الله ورسوله ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم كل مسلم كلاما ومصر على الإلحاد صدرا وسرا ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ لروعهم أمر المعارك ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ أول كلام محموله.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ وأوحى الله أمر المعارك لرسوله وأهل الإسلام ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ﴾ حال ادعائهم الحرص على أمر الكر أو المراد: لما

ادعوا الإسلام ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ المراد: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عما هو إسلام للرسول ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ عودا إلى عملكم الأول.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ لا سمعوا كلام الهدى، ولا رأوا مسالكه وسلكوها هم كالأعمى الأصم ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ إدراكا لأحكامه وحكمه ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقْفَالُهَا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾[1] وعادوا إلى سوء عملهم الأول وهو الإلحاد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ مسلك الإسلام ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سوء أعمالهم ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أمد لهم الآمال لو عاد على الوسواس، ورواه راوٍ على وروده للمكلم وهو الله، والمراد: أمهلهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ﴾ هم أهل الإلحاد، وهؤلاء هم أهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾ مرادهم هم مساعدوهم، وكلهم

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا نعته عندهم، قاله ابن جريج. وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون، قعدوا عن القتال بعد ما علموه في القرآن. ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زين لهم خطاياهم، قاله الحسن. ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أي مد لهم الشيطان في الأمل ووعدهم طول العمر، عن الحسن أيضا. وقال: إن الذي أملى لهم في الأمل ومد في آجالهم هو الله عز وجل، قاله الفراء والمفضل. وقال الكلبي ومقاتل: إن معنى ﴿أملى لهم﴾ أمهلهم، فعلى هذا يكون الله تعالى أملى لهم بالإمهال في عذابهم. وقرأ أبو عمرو وابن إسحاق وعيسى بن عمرو وأبو جعفر وشيبة ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء، على ما لم يسم فاعله. وكذلك قرأ ابن هرمز ومجاهد والجحدري ويعقوب، إلا أنهم سكنوا الياء على وجه الخبر من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم، كأنه قال: وأنا أملي لهم. واختاره أبو حاتم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/١٦).

أعداء للرسول صلى الله على روحه وسلم كلموهم سرا وأطلع الله رسوله، وأهل الإسلام على ما أسروه لهم، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول.

﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سل الأملاك أرواحهم على الحال المسطور ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ السلوك على مسلك أوامره، ووداع روادعه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ [آية: ٢٩ - ٣١]:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ كل مكروه أصروه على الرسول صلى الله على روحه وسلم، وأهل الإسلام معه.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ واحد واحد سردا لأسمائهم وسواها ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ علمهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو واو مؤل، والمراد والله ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ كما لو كلموك وأمالوا كلامهم إلى وطر لهم وأمر مراد ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أمرا للكر على أعداء الله وسواه ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ علم سطوع ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ كسلوككم على صراط أوامر الله أوردها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [آية: ٣٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ الصراط الموصل إلى الله ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ هادرا لها كإطعام طعام ووصل الأرحام وسواها.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [آية: ٣٣]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ سلوكا على كل مسلك ماح صالح الأعمال وهادرها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [آية: ٣٤ - ٣٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ صراط الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ حكم عم كل وارد موارد حمامه، وهو مصر على إلحاده، ودال على محو الله سائر طالح العمل لأحد أهل الإسلام.

﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول، وهو الصلح مع أهل الإلحاد ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ﴾ كالئ ومعل لكم على أعدائكم ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ كالحط مما هو عمل صالح لكم.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أحوالها وأمورها وأعمارها لا دوام لها ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ما أعده لكم على الإسلام، وصالح الأعمال ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ﴾ السؤال والروم واحد ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ كإعطائها أهل العدم كلها إلا ما حكم على إعطائه وهو السهم المعلوم أحد معالم الإسلام.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ روما لكلها، وأصل مورده الاصطلام ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾ حرصكم وإمساككم الأموال ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾ لورود الحرص المسطور معللا لحصول إصرار أمر ما على الرسول صلى الله على روحه وسلم.

﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ سلوكا على ما حكم وأمر ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لعود صالح عمله وطالحه له إعطاء أو إمساكا ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ وكل أمر أمركموه صلاحه عائد لكم لا له ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عما أمركم ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ محلكم ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ سلوكا على سوى الهدى ما سلوكهم إلا الهدى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفتح

مدنية، وآيها تسع وعشرون

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣ ﴾

[آية: ١ - ٣]:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[1] وعد لحصوله.

---

(١) قال القرطبي: قال ابن الأنباري: ﴿فَتْحاً مُبِيناً﴾ غير تام، لأن قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ﴾ متعلق بالفتح. كأنه قال: إنا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة، فيجمع الله لك به ما تقر به عينك في الدنيا والآخرة. وقال أبو حاتم السجستاني: هي لام القسم. وهذا خطأ، لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز هذا لجاز: ليقوم زيد، بتأويل ليقومن زيد. الزمخشري: فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة، وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. كأنه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين وأعراض العاجل والآجل. ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب. وفي الترمذي عن أنس قال: أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد أنزلت علي آية أحب إلي مما على وجه الأرض" ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، فقالوا: هنيئا مريئا يا رسول الله، لقد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ - حتى بلغ - فَوْزاً عَظِيماً﴾ قال حديث حسن صحيح. وفيه عن مجمع بن جارية. واختلف أهل التأويل في معنى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقيل: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الرسالة. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعدها، قال مجاهد. ونحوه قال الطبري وسفيان الثوري، قال الطبري: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى قول ﴿تَوَّاباً﴾ [النصر: ١ - ٣]. ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الرسالة ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلى وقت نزول هذه الآية. وقال سفيان الثوري: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ =

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ المراد: ما هو عكس الأولى وإلا هو معصوم.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾ آلاءه كلها ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ المراد: دوام هدى الله على رسوله محمد أكمل الله له السلام، وإلا أصل الهدى حاصل له على كل حال وهو المعصوم ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو صراط الإسلام، ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ لحكم الكر على الأعداء ﴿مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ لله ولرسوله، ولسائر معالم الإسلام ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وهو على علمه وحكمه أمدا إلى ما لا حصر له.

﴿لِيُدْخِلَ﴾ معلل لمطروح، وهو أمر أهل الإسلام الكر على أعدائهم ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ هو عدم علو الرسول صلى الله على روحه وسلم، وأهل الإسلام على أعدائهم أهل الإلحاد ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ كالأول، رواه راوٍ كمرء، وراوٍ كروح ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ طردهم عما هو رحم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ معادا لهم.

=

ما عملته في الجاهلية من قبل أن يوحى إليك. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كل شيء لم تعمله، وقاله الواحدي. تنظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١٦).

﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكلام للرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿شَاهِدًا﴾ لدى المعاد على أممك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لحلولهم دار السلام لو أطاعوك ﴿وَنَذِيرًا﴾ مروعا حلولهم دار السوأى لو عصوك.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ المراد: أممه، ورواه راوٍ كالمحال، ورآه على وروده للسامع ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ردد الله له السلام ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ الهاء لله، والمراد: ورود كل مسلم مساعدا لرسوله، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣)﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لما عاهدوا رسوله صلى الله على روحه وسلم، والمراد: هو عالم ومطلع أعمالهم وأحوالهم وعهودهم، وهو معاملهم على ما سطر كله ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ حل العهد المسطور ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لعود سوء حل عهده له، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ﴾ وسلك على عهده ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ لما دعاهم الرسول أكمل الله له السلام إلى المطور معه إلى أم رحم وما طاوعوه إلى ما أرادهم وهم أسلم وسواهم ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله لعدم السلوك مسالك أمرك ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ المراد: سؤالهم الرسول الأمر المحرر هو كلاما لا سرا وصدرا دعاء لا أصل له ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ لا أحد مالك أمرا لهم ﴿بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالما ومطلعا، وهو معاملكم على سوء

أعمالكم.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ لما مطروا إلى أم رحم والحرم الحرام ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ كاصطلام أهل الإلحاد لهم، ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الأمر المحرر وسواه، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى.

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ سوء الدار والهلاك السرمد.

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [آية: ١٤]:

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وهو على الأمر المحرر إلى ما لا حصر لأمده.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا (١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾ [آية: ١٥، ١٦]:

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المار حكمهم ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾ ورواه راوٍ: كلم الله مكسور اللام والمراد: ما وعده أهل الإسلام، وهو حصولهم على أموال أعدائهم ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أمام العود ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ على سهم الأموال طمعا وحرصا ﴿بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ﴾ معالم الاحكام ﴿إِلا قَلِيلا﴾.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ المار سردهم ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم الأولى عادوا إلى إلحادهم لما ورد رسول الله موارد الحمام أكمل الله له السلام أو هم الروم وسواهم ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ كرا على هؤلاء ﴿يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٧]:

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لا ملام على هؤلاء لو ماكروا على الأعداء لعدم صلاحهم لأمر المعارك ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ ورواه راوٍ كالأول على وروده للمكلم، وهو الله كما لو ورد للمكلم ومعه سواه ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا (٢٣)﴾ [آية: ١٨ - ٢٣]:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ سدر أو سمره وعاهدوا رسول الله صلى على روحه وسلم على الكر على أهل أم رحم إلى ورود حمامهم ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ هدأ الروع والصدر أو الصلح ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وهو على ما هو إلى ما لا حصر لحده.

﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾(١)

---

(١) ﴿وعَدَكُمُ اللهُ مغانِمَ كثيرةً تأخذونها﴾ هو ما فتح على المؤمنين، وغنموه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة. والالتفات إلى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان. ﴿فعجَّلَ لكم هذه﴾ المغانم، يعني مغانم خيبر، ﴿وكفَّ أيديَ الناس عنكم﴾ أي: أيدي أهل خيبر وحُلفاءهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا، وقيل: أيدي أهل مكة بالصلح، ﴿ولِتكون﴾ هذه الكفَّة ﴿آيةً للمؤمنين﴾ وعبرةً يعرفون أنهم من الله بمكان، وأنه ضامن لنصرتهم والفتح عليهم، أو: لتكون آية يعرفون بها صدقَ الرسول صلى الله عليه وسلم من وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية بما ذكر من المغانم، ودخول مكة، ودخول المسجد الحرام آمنين. واللام إما متعلقة بمحذوف مؤخر، أي: وليكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف، وإما يتعلق بعلة أخرى محذوفة من أحد الفعلين، أي: فعجَّل لكم هذه وكفَّ أيدي الناس عنكم لتغنموها ولتكون... الخ، ﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ أي: يزيدكم بصيرةً ويقيناً وثقةً بوعد الله حتى تثقوا في أموركم كلها بوعد الله تعالى. انظر البحر المديد (٧/٢٠٢).

لما صالحكم ولد أسد وسواهم ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً﴾ علما على حصول وعد الله أهل الإسلام وهو علوهم على أعدائهم ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو صراط، وكل الأمور كلها إلى الله.

﴿وَأُخْرَى﴾ المراد: حصولكم على أموال سوى الأولى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ حالا، وهو الكر على الروم وسواهم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا﴾ علما وعلم حصولها، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ وهو على ما هو، والمراد: الدوام والمرور إلى ما لا حد له.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أهل أم رحم وما صالحوكم ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ حارسا ﴿وَلا نَصِيرًا﴾.

﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لحاصل السرد المار ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ إلى سواها.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٦]:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ الهاء عائد إلى أهل أم رحم ﴿عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وأعلاكم على عدوكم ووراء الأمر المحرر حصل الصلح ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام للسامع ﴿بَصِيرًا﴾ وهو على ما هو إلى ما لا حصر لحده.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ﴾ الوصول إلى ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ﴾ رده الواو على معمول صدوكم ﴿مَعْكُوفًا﴾ مأصورا حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ هو الحرام لحسم رأسه ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ وسط أم رحم مع أهل الإلحاد ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أهل إسلام ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ إهلاكا مع أهل الإلحاد الأولى وهم وسط رحم ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ مكروه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ومكمل لولا مطروح، وهو لأمركم الله الكر على أهل الإلحاد الأولى حلو مكه ﴿لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

كأهل الإسلام الأولى هم مع أهل الإلحاد وسط رحم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ صاروا لوحدهم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ لما صدوا رسول الله صلى الله على روحه وسلم عما هو وصول إلى الحرم الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ ركود الصدور وهدأ الروع أو الصلح ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وصالحوهم على عودهم العام الوارد ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ الهاء عائد لأهل الإسلام ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ﴾ أولى ﴿بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وهو على ما هو إلى ما لا حصر لأمده ومدده.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ لما رأى رسول الله صلى الله على روحه وسلم حلما وهو حلوله وسط أم رحم والحرام مع الأولى معه أهل الإسلام وسردها لأهل الإسلام، وحصل لهم السرور الكامل وراءه صار الصلح وما حلوها كما رأى الرسول، وحصر صدر أهل الإسلام أوحاه الله لرسوله ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ أمدا ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ مما هو الصالح ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وما رآه الرسول حاصل على كل حال لدى حلول العام.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدا أكمل الله له السلام ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ مسلك أهل الإسلام، وهو لا إله لا الله محمد رسول الله مع سائر معالمه وأحكامه ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ سائر المسالك والملل سواه ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على إرسالك.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ

عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [آية: ٢٩]:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ محمد أول كلام ورسوله محموله ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هم أهل الإسلام ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا رحم لهم لأهل الإلحاد ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ لأهل الإسلام كالولد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ كلاهما حال ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ علمهم وهؤلاء لأوهم لدى المعاد ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ﴾ أوما إلى العلم المسطور، وهو ورود واحدهم ألد على أهل الإلحاد راحما لأهل الإسلام راكعا مصل سائلا مولاه علاه لمع ولألاء لدى المعاد وكله ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ المراد: حرر وسطها، وأوحاه الله لرسوله موسى ردد الله له السلام، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ أول كلام ومحموله ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ حمله ﴿فَآزَرَهُ﴾ ساعده رواه راوٍ ممدودا، ورواهٍ على سوى المد ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ على أصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ اللام وارد مورد الهاء ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ﴾ الهاء لأهل الإسلام ﴿الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لسوء أعمالهم العائد أمرها لله، أو روم سماح أهلها لو عاد إلى الأمم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السلام والوعد المسطور لكل مسلم على عهد الرسول صلى الله على روحه وسلم والأولى وراءهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجرات

مكية، وآيها ثماني عشر آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا﴾[1] كلاما، أو عملا، أو أمرا ما ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ مع عدم أمرهما لكم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامكم ﴿عَلِيمٌ﴾ أحوالكم وأعمالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢، ٣]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ حال كلامكم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ لدى كلامه ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ وللردع المسطور أوحاه الله لرسوله لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ هدرها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ كالإمام الأول، وعمر، وسواهما، وإلى الله لهم إكرامه ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قال القشيري: ﴿لا تُقدّموا بين يَدي الله ورسوله﴾ لا تعملوا في أمر الدين من ذات أنفسكم شيئاً، وقُفوا حيثما وُقفْتم، وافعلوا ما به أُمِرْتُم، أي: اعملوا بالشرع لا بالطبع في طلب الحق، وكونوا من أصحاب الاقتداء والاتباع، لا من أرباب الابتداء أو الابتداع. انظر البحر المديد (٧/٢٢٦)

عَظِيمٌ﴾ هو دار السلام، ولما ورد ملأ على رسول الله صلى الله على روحه وسلم وهو راكد مع أهله ودعوه وراء محال حرمه لعدم علمهم محله أوحى الله ردا على عملهم المكروه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ محال أهلك ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ محلك الأسمى وكرمك على مولاك وهم معاملوك كأحدهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل عائد وهائد لمولاه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ هل ما حكام له أصل أم لا والأمر المسطور لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ حال ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ﴾ والله موح له أسراركم وكلامكم، ومعلمه كلما أراد إعلامه ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ مما لا أصل ولا أساس له ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ المراد: لوردوا سوء الأعمال والملام ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ كلهم سالك مسالك الدوام والركود على صراط الإسلام ومعالمه.

﴿فَضْلا﴾ مصدر معمول لمطروح ﴿مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ محل أموره وآلاءه محلها.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [آية: ٩، ١٠]:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ دعاء إلى حكم الله ورسوله ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ عودا إلى ما حكم وأمر الأمم سلوكه ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ إصلاحا عادلا لا هوى معه ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ اعدلوا حال رومكم كل أمر ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مسلكا ومأماً ورسولا وإلها ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ مما هو مصادم لأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على سلوككم مسالك أوامره وأحكامه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آية: ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾ هم أهل الأموال ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ أهل العدم كعمار وسواه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا﴾ الأولى لا أموال لهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ الهاء لأهل الأموال، والمراد: لدى علم الله ﴿وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كإسماعكم لأحدكم العوراء والكلام المكروه ﴿وَلا تَنَابَزُوا﴾ كدعاء أحدكم أحدا ﴿بِالألْقَابِ﴾ السوء كل ما كرهه أحدكم ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ﴾ المراد: ساء حالا ورود الاسم المحرر لمسلم كما لو دعا واحد واحد ملحدا وراء إسلامه ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ عما ردعه الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [آية: ١٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ المراد: لو ورد على أهل الإسلام، وأما حدس السوء ورودا على ملحد أو عاص هو أهل له وحال محله ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ روما لاطلاعكم على عار أحدكم ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ كعدم سرده ما هو مكروه له ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ لا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ والمراد: سردكم عار أحدكم كأكلكم لحمه وراء وروده موارد حمامه وأكرهوا سردكم عاره كما أكل لحمه مكروه لكم، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ ما أعده على سردكم العار المحرر ﴿إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ﴾ على كل هائد وعائد ﴿رَحِيمٌ﴾ لهم.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ هما آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ كالعمائر وأعلاها وأحطها، والأصل واحد ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لا لسردكم سؤددكم وعلاكم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ما الأصل كرم المرء وسؤدده الكرم والسؤدد لدى الله هو السلوك على مسالك أوامره وروادعه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [آية: ١٤، ١٥]:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ﴾[1] رهط ولد أسد لما وردوا على رسول الله صلى الله على روحه وسلم عام محل وسألوه العطاء والمأكول ﴿آمَنَّا﴾ مرادهم كلاما وصدروا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ صدرا لإصراركم على الإلحاد سرا، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ لصدور إسلامكم كلاما ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ما حلها وحلوله مأمول وحاصل ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ إسلاما وسواه ﴿لا يَلِتْكُمْ﴾ المراد: الحط ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل الإسلام ما عادوا وهادوا لمولاهم ﴿رَحِيمٌ﴾ لهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ المراد: أهل الإسلام كلاما وسرا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ إسلاما لا

---

(١) قال القرطبي: نزلت في أعرب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر. وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعاوها، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. وقال ابن عباس: نزلت في أعراب أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة قبل أن يهاجروا، فأعلم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين. وقال السدي: نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح: أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والديل وأشجع، قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى المدينة تخلفوا، فنزلت. وبالجملة فالآية خاصة لبعض الأعراب، لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كما وصف الله تعالى. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/١٦).

الأولى أسلموا كلاما مع إصرارهم على الإلحاد سرا.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [آية: ١٦ - ١٨]:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ﴾ لادعائكم الإسلام مع صدوره كلاما لا سرا ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾ لك مع عدم الكر والمعارك ﴿قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾ معمول لعامل كسر مطروح ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ادعاء للإسلام.

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم سركم وما حواه إسلاما أو إلحادا، وهو معاملكم على أعمالكم صالحا وطالحها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ق

مكية، وآيها خمس وأربعون آية

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾(١) [آية: ١ - ٥]:

(١) قال الرازي: يتعلق بالسورة أمور: الأول: أن هذه السورة تقرأ في صلاة العيد، لقوله تعالى فيها ﴿ذَالِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (ق: ٤٢) وقوله تعالى: ﴿كَذَالِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ١١) وقوله تعالى: ﴿ذَالِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤) فإن العيد يوم الزينة، فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فخوراً، ولا يرتكب فسقاً ولا فجوراً، ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بالتذكير بقوله في آخر السورة ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥) ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله ﴿قا وَالْقُرْءَانِ﴾. الثاني: هذه السورة، وسورة ﴿ص﴾ تشتركان في افتتاح أولهما بالحروف المعجم والقسم بالقرآن وقوله ﴿بَلْ﴾ والتعجب، ويشتركان في شيء آخر، وهو أن أول السورتين وآخرهما متناسبان، وذلك لأن في ﴿ق﴾ قال في أولها ﴿ق وَالْقُرْءَانِ ذِي﴾ (ص: ١) وقال في آخرها ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (ص: ٨٧) وفي ﴿قا﴾ قال في أولها ﴿قا وَالْقُرْءَانِ﴾ وقال في آخرها ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥) فافتتح بما اختتم به. والثالث: وهو أن في تلك السورة صرف العناية إلى تقرير الأصل الأول وهو التوحيد، بقوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الالِهَةَ إِلاهًا وَاحِدًا﴾ (ص: ٥) وقوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلا مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ (ص: ٦) وفي هذه السورة إلى تقرير الأصل الآخر وهو الحشر، بقوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَالِكَ رَجْعًا بَعِيدٌ﴾ (ق: ٣) ولما كان افتتاح السورة في ﴿ق﴾ في تقرير المبدأ، قال في آخرها ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنِّي خَالِقًا بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (ص: ٧١) وختمه بحكاية بدء (خلق) آدم، لأنه دليل الوحدانية. ولما كان افتتاح هذه لبيان الحشر، قال في آخرها ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الارْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَالِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤). انظر تفسير الرازي (١١٩/٢).

﴿ق﴾ الله أعلم ما المراد، ﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ الواو واو مؤل كوالله، والمراد: ما أسلم ملحدوا أم رحم لمحمد أكمل الله له السلام.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول مروعهم ورودهم ألم الله لو داموا على سوء إلحاده ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ أومأوا إلى ما روعهم رسولهم وروده وهو عصر المعاد ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ﴾ العود إلى المعاد ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ﴾ المراد: أكلها ﴿مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ المراد: ما عولوا على أمر طورا ادعوا السحر وطورًا ادعوا سواه.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [آية: ٦ - ١١]:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ولا عمد لها ﴿وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ صدوع.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ دحوا على الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوادا ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

﴿تَبْصِرَةً﴾ معمول له كأعطاه الدراهم إكراما ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ عواد إلى أوامر مولاه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ كل محصود.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طوالا حال ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ حمل على حمل ركاما.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لعساء كلئها ومحصودها ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مما هو لحودكم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾ [آية: ١٢ - ١٥]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ ملأ ركعوا للصور، ﴿وَثَمُودُ﴾ أمم صالح.

﴿وَعَادٌ﴾ أمم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ المراد: هو وملاؤه لحصوله ملائما ما هو أمامه ووراءه ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ أصهاره.

﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك مكسور اللام أسلم، ودعا ملأه إلى الإسلام وما أطاعوه ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كملائك هؤلاء ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ لا ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ وهم ومحال عراهم ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو المعاد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [آية: ١٦ - ٣٥]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ﴾ حال ﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِ﴾ عامل الكسر وصل لا مؤدى له أو معدى لوسوس ﴿نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ علما لا محلا ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو كاللها مورد روح المرء وسط كرد كل أحد.

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أومأ أدى مؤداه ﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أعمال

كل امرئ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ وهما ملكا كل أحد المحرر أعماله.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ ملك ﴿عَتِيدٌ﴾ معد ومحرر لأعماله كلها.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ لأواؤه ﴿بِالْحَقِّ ذَلِكَ﴾ الحمام ومصارعه ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للورود إلى المعاد ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ لأهل الإلحاد ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المعاد ورودها موارد السؤال و﴿مَعَهَا﴾ ملك ﴿سَائِقٌ﴾ لها ﴿وَشَهِيدٌ﴾ على عملها، وهو حواس كل أحد والكلام للملحد.

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ الهول ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ حاد مدرك.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل لإحصاء عمله ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ وارد، وهو ما حرره وسوده لأعماله، وأمر الله للملك المحرر.

﴿أَلْقِيَا﴾ المد أصله المؤكد لا لعدد الملك ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ كإعطاء سهم الأموال ﴿مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ ما عول على مسلك لمآله هو سالكه سوى الهوى ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الموسوس له ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى، ومراد الوساوس دعاه وهو أطاعه ورد على كلامه الملحد وادعى إعماء الوسواس له.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ كإحلالهم سوء الدار مع عدم حصول عمل مؤد له.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ رد للسؤال على مسلك السؤال الأول، والمراد: حصل لها الملوء.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ محلها وهم رآوها والكلام لهم ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ عواد إلى أوامر الله ﴿حَفِيظٍ﴾ لحدود مولاه.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ والكلام لهم.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ لإعراكم روع وراءه أصلا، أو المراد مع سلام الله والأملاك الوراد لكم، أو المراد: سلموا على أهلها وحلولها ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الدوام.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ على ما عملوا وسألوا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ هم ملحدو أم رحم والحرم الحرام ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ كعاد وسواهم ﴿فَنَقَّبُوا﴾ وساحوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ لهم أو لسواهم أو موئل عما هو حمام لا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ المراد: واع أو حلم وإدراك ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وارد الروع.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [آية: ٣٨ - ٤٥]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الهواء وما حواه الهواء كالطائر وسواه ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ كلال أوحاه ردا على الهود لما ادعوا حصوله لله.

﴿فَاصْبِرْ﴾ أمر للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ الهود وسواهم على الله مما لا أصل له ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدا لمولاك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الركوع الأول ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ركوع العصر وما أمامها[1].

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أمره بالصبر على ما يقوله المشركون؛ أي هون أمرهم عليك. ونزلت قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة. وقيل: هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته. وقيل معناه: فاصبر على ما يقوله اليهود من =

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ المراد: ركوعا المساء ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول كإصدار.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾ الأمر لكل سامع أو صالح للسماع ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو ملك الصور ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هو السماء مسمع للكل على السواء ودعاؤه للأوصال واللحوم عودا، ومطورا إلى المعاد والسؤال والورود على موارد العمال.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ الورى كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ مما هو لحود إلى المعاد ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ الهاء عائد للأولى هو وسط اللحود ﴿سِرَاعًا﴾ المراد: وكلهم وارد إلى المعاد مسرعا ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ حصول أمر سهل عسر معه أصلا.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ مكره لهم على الإسلام، ومحا حكمه ورود أمر الإسلام أو أعمال الحسام ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ هم أهل الإسلام.

=

قولهم: إن الله استراح يوم السبت. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قيل: إنه أراد به الصلوات الخمس. قال أبو صالح: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح، وقبل الغروب صلاة العصر. ورواه جرير بن عبدالله مرفوعا؛ قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "أما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير - ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾" [طه: ١٣٠] متفق عليه واللفظ لمسلم. وقال ابن عباس: ﴿قَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني صلاة العشاءين. وقيل: المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب؛ قاله عطاء الخراساني وأبو الأحوص. وقال بعض العلماء في قوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ قال ركعتي الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الركعتين قبل المغرب. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الذاريات

مكية، وآيها ستون آية

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾[١][آية: ١ - ١٤]:

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الأرواح ﴿ذَرْوًا﴾ مصدر.

﴿فَالْحَامِلاتِ﴾ المراد: الركام حامل الأمواه والأمطار ﴿وِقْرًا﴾ حملا.

﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ على سطح الماء ﴿يُسْرًا﴾ سهلا مصدر حال محل الحال.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ قال أبوبكر الأنباري: حدثنا عبدالله بن ناجية، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا الجعيد بن عبدالرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه؛ فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأبلغوا به حيه، ثم ليقم خطيبا فليقل: إن صبيغا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم. وعن عامر بن واثلة أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ قال: ويلك سل تفقها ولا تسأل تعنتا ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ الرياح ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْراً﴾ السحاب ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ السفن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ الملائكة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٩).

(فَا) الأملاك (لْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) أمر الأمطار والعطاء وسواها.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ (ما) للمصدر، والمراد وعد المعاد ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعد حاصل لا محال.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ ورود كل أحد موارد عمله ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محال.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ المسالك وسطها كمسالك الرمل.

﴿إِنَّكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم والحرم الحرام ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ على الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم طورا ادعوا له السحر، وطورا ادعوا سواه.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الهاء للرسول، أو لكلام الله، أو للإسلام ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ عما هو هدى، والمراد: علم الله عدم هداه.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ كل مدع ما لا أصل له على الرسول.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ عما أعد الله لهم لدى المعاد.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ الرسول ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ مرادهم وروده.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ لوعا، والكلام لهم.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ ألمكم المعد لكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ روما لحصوله وحلوله.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آية: ١٥ - ٢٣]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ﴾ حال المسر وسط محمول العامل المؤكد ﴿مَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ وأعده لهم على صلح عملهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ حلولهم دار السلام ﴿مُحْسِنِينَ﴾ أعمالهم.

﴿كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (ما) اسم موصول والعائد مطروح، أو للمصدر، أو وصل لا مؤدى له، ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ سهم.

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الإعطاء لعدم سؤاله أحدا.

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دلائل على الله كالأطواد والطم والكلأ وسواها ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ دلائل على الله وحكمه كالإدراك، وسائر حواس ولد آدم ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ المطر الحاصل لحلوله كل محصود ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ما أعده الله لكم على الأعمال كل مسطر، أو المراد: دار السلام لأسر الله لها أعلاها.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ﴾ الهاء عائد لما وعده ﴿لَحَقٌّ﴾ حاصل ﴿مِثْلَ مَا﴾ وصل مؤكد أو اسم كالأمر ما ﴿أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٣٧)﴾ [آية: ٢٤ - ٣٧]:

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ هم أملاك الله معهم الروح.

﴿قَالُوا سَلامًا﴾ مصدر عامله مطروح ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ عدل إلى سمكه لروم الدوام، وهو أول كلام مطروح المحمول ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ محمول على مطروح وهو هؤلاء.

﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ سرا لعدم إطلاعهم على ما أراده وهو الطعام ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ ورأى عدم أكلهم.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ أسر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ كامل العلم.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ صائحه ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطما ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ هل أصلح للولد وعمرها حدود المائة.

﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ﴾ والد الرسل للأملاك سائلا لهم عما أرسلوا ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ولمه إرسالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ أهل إلحاد وهم ملأ لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾

﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلم ومحرر على كلها أسماء أهلها اسما اسما ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أهل العداء واللوط.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ الهاء لسواد ملأ لوط ردد الله له السلام ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك كل ملحد سواهم.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دار لوط والأولى أسلموا له أهله وأولاده أو أولاده وحدهم ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ وسما على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ المؤلم.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)﴾ [آية: ٣٨ - ٤٠]:

﴿وَفِي مُوسَى﴾ وسما وعلما ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّى﴾ وما أسلم لموسى ﴿بِرُكْنِهِ﴾ مع ملأه كلهم، ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحا ﴿فِي الْيَمِّ﴾ الطم ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ عامل ما هو ملام على عمله.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ وسما وعلما ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ما لا مطر معها.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ روح أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥)﴾ [آية:

٤٣ - ٤٥]:

﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ وسماً وعلماً ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ إلى حلول أعماركم وورود حمامكم.

﴿فَعَتَوْا﴾ سمدوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عما هو سلوك على مسالكه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ صاح الملك الروح على رؤوسهم وأهلكهم ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ على مهلهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [آية: ٤٦]:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ معمول لأهلك مطروح، ورواه راوٍ مكسور ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إهلاكهم وسط الماء أولاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [آية: ٤٧ - ٥٥]:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[1] مصدر آد ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أهل وسع.

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ كالمهاد ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ كالسهل والوعر والسواد والحوار، والحلو وعكسه وسواها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ طرح ما كأوله.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ المراد: إلى ما وعده لكل طائع ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مروعكم ما أعده لكل عاص.

﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ كرره مؤكدا الحكم الأول.

---

(١) قال الرازي: وهو بيان للوحدانية وما تقدم كان بياناً للحشر وأما قوله ههنا ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وأنتم تعرفون أن ما تعبدون من دون الله ما خلقوا منها شيئاً فلا يصح الإشراك ويمكن أن يقال هذا عود بعد التهديد إلى إقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الأجسام ثانياً كما قال تعالى ﴿أَوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ (يس ٨١). انظر تفسير الرازي (٢٨/١٩٣).

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلا قَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ المراد: كما ادعى هؤلاء وردوا دعوى رسولهم ادعى الأمم الأوائل وردوا دعوى رسلهم.

﴿أَتَوَاصَوْا﴾ كلهم ﴿بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ركمهم على مسلك واحد عدم هداهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لحصول دعائك لهم.

﴿وَذَكِّرْ﴾ دم على دعائك إلى أوامر الله كما أوحى لك ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٥٦ - ٦٠]:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ مدى الأسر هو الركوع له ولا محال لعدم حصول المدى.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ لا هم، ولا لسواهم، ولا له علا حمده ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ ولا إطعامهم ولا إطعام سواهم؛ ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الرسول محمدا صلى الله على روحه وسلم وردوا ما ادعاه أو لإلحادهم وهم أهل الحرم الحرام وسواهم ﴿ذَنُوبًا﴾ سهم ألم ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ﴾ سهم ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ الأولى هلكوا أولا كعاد وسواهم ﴿فَلا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ روما لوروده لو حصل إمهالهم إلى المعاد.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو ألم المعاد وما أعده الله لهم على إلحادهم وسوء أعمالهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور

مكية، وآيها تسع وأربعون آية

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[1] [آية: ١ - ٨]:

﴿وَالطُّورِ﴾ الطور مصعد موسى، ومحل كلام الله له.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قول الحق جلّ جلاله: ﴿والطورِ﴾ هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى بمَدين، ﴿وكتابٍ مسطورٍ﴾ وهو القرآن العظيم، ونكّر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب، أو: اللوح المحفوظ، أو: التوراة، كتبه الله لموسى، وهو يسمع صرير القلم، ﴿في رَقٍّ منشورٍ﴾ الرَق: الجلد الذي يُكتب فيه، والمراد: الصحيفة، وتنكيره للتفخيم والإشعار بأنها ليست مما يتعارفه الناس، والمنشور: المفتوح لا ختم عليه، أو: الظاهر للناس، ﴿والبيت المعمور﴾ وهو بيت في السماء السابعة، حِيَال الكعبة، ويقال له: الضُراح، وعُمرانه بكثرة زواره من الملائكة، رُوي: أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يطوفون به، ويخرجون، ومَن دخله لا يعود إليه أبداً، وخازنه ملَك يُقال له: "رَزين". وقيل الكعبة، وعمارته بالحجاج والعُمَّار والمجاورين. ﴿والسقفِ المرفوعِ﴾ أي: السماء، أو: العرش، ﴿والبحر المسجُورِ﴾ أي: المملوء، وهو البحر المحيط، أو الموقد، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] والمراد الجنس، رُوي " أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً، تسجر بها نار جهنم، كما يسجر التنور بالحطب " وعن ابن عباس: المسجور: المحبوس، أي: المُلْجَم بالقدرة. والواو الأولى للقسم، والتوالي للعطف، والمقسم عليه: ﴿إِنَّ عذاب ربك لواقعٌ﴾ لنازل حتماً، ﴿ما له من دافع﴾ أي: لا يمنعه مانع، والجملة: صفة لواقع، أي: وقع غير مدفوع. و" من " مزيدة للتأكيد، وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها؛ لأنها أمور عظام، تُنبئ عن عِظم قدرة الله تعالى، وكمال علمه، وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد، وضطبها، الشاهدة بصدق أخباره، التي من جملتها: الجملة المُقسَم عليها. انظر البحر المديد (٣١٨/٧).

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ هو كلام الله الموحى لموسى، أو كلامه الموحى لمحمد أكمل الله لهما السلام.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ وسط الحرم الحرام أو وسط السماء أعلاه.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ حال على أهله ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩ - ١٦]:

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ دورا ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم وهو لدى المعاد.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ هدر ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ كلهم مدسوع لها دسعا؛ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ ما حل على رؤوسكم كادعائكم السحر لما أوحاه الله لرسوله ﴿أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما أعده لكم مولاكم على سوء أعمالكم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ [آية: ١٧ - ٢٠]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا﴾ (ما) للمصدر ﴿آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال الواو ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال معمول اسم العامل المؤكد ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ واحد إلى حد

واحد لا أمام ولا وراء، ولعل المراد: طورا سطرا، وطورا السرر أمام السرر كما مر ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ واسعوها ملاح.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾ [آية: ٢١ - ٣٤]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الاسم الموصول أول كلام ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ أولادهم ﴿بِإِيمَانٍ﴾ ومحمول الاسم الموصل هو ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ إلى دار السلام ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ورواه ولد عامر العدد لا الواحد ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ عمل عملا صالحا أو طالحا ﴿رَهِينٌ﴾ وارد موارد أعماله ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ سألوه وصرحوا أولا.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ راحا أورد المحل وأراد الحال ﴿لا لَغْوٌ فِيهَا﴾ حال كرعهم لها ﴿وَلا تَأْثِيمٌ﴾ ولا حرام على كارعها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ حملا للكأس ﴿غِلْمَانٌ﴾ كلهم مملوك ﴿لَهُمْ﴾ أو هم أولادهم ملاح ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أحوالهم وأعمالهم والآلاء اللاء وصلوا لها.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ مروعهم ما أعده الله لكل عاص.

﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ محوا لطالح الأعمال ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ ألم سوء الدار، ولحلوله وسط المسام سماه سموما.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ ركوعا لله وحده ﴿إِنَّهُ﴾ مكسورا، ورواه راوٍ مطروحا أمامه لام الكسل المعلل ﴿هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾ دم على دعائك الأمم إلى الله ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ ولو ادعوهما لك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ دوائر الدهر، أو المراد: ورود حمامه ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ الهلاك ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هلاككم.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا﴾ ما ادعوه له مما لا أصل له ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ لعدائهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ الهاء عائد إلى كلام الله ﴿بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ سمودا لألوهم عراهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ مصحح لمدعاهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾[1][آية ٣٥ - ٤٣]:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ إله أسر لهم ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ وورودهم أسرا ومأسورا أمر محال.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ولا أسر لهما إلا الله وحده ﴿بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ﴿أَمْ﴾ صلة زائدة والتقدير أخلقوا من غير شيء. قال ابن عباس: من غير رب خلقهم وقدرهم. وقيل: من غير أم ولا أب؛ فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة؛ ليسوا كذلك! أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة؟ قاله ابن عطاء. وقال ابن كيسان: أم خلقوا عبثا وتركوا سدى ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي لغير شيء فـ ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام. ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي أيقولون إنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأتمرون لأمر الله وهم لا يقولون ذلك، وإذا أقروا أن ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم من الإقرار له بالعبادة دون الأصنام، ومن الإقرار بأنه قادر على البعث. ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي ليس الأمر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئا ﴿بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ بالحق ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره. وقال ابن عباس: خزائن ربك المطر والرزق. وقيل: مفاتيح الرحمة. وقال عكرمة: النبوة. أي أفبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاؤوا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٧٤).

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ إرسالا وعطاء ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ كلهم عائل ومسلط على الأمور لا.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مصعد إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ على السلم المسطور كلام الأملاك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ كل مدع له ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال على ما ادعاه ﴿أَمْ لَهُ﴾ لله ﴿الْبَنَاتُ﴾ على دعواكم ﴿وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ مآلا على أمر الإرسال ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ لك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ ولعدم حملهم له ما أسلموا لك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وإهلاكا لك ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: هم أو على عمومه ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الحاصل هلاكهم لإهلاك الرسول كما أصروا ومهدوا.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ حارسهم مما أعده الله لهم ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [آية: ٤٤ - ٤٩]:

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ وردا ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا﴾ هو ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ هو عصر ورود حمامهم.

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مما أعده الله لهم على سوء مسالكهم وأعمالهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كل ملحد ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أمام ألم المعاد وهو ألم أعوام المحل كما ورد وألم إعمال الحسام على رؤوسهم حال المعارك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ حلوله.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ حكمه هو إمهالهم وعدم حلول الألم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مرائ

كلئ وحرس ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ مما هو كرى أو كل محل على العموم.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ المراد: أصله أو صل ركوع المساء ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ دلوكها أوصل الركوع الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النجم

وآيها اثنتان وستون آية

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ
۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ
بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ
مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً
أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا
يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [آية:
١ - ١٨]:

﴿وَالنَّجْمِ﴾(١) المراد: كله لا واحد معلوم أو واحد معلوم ﴿إِذَا هَوَى﴾ دلك.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ورسلوكم محمد صلى الله على زوجه وسلم عما هو هدى ﴿وَمَا غَوَى﴾ سلوكا على مسلك هدر ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما كلام الله المكرم ﴿إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ والثريا إذا سقطت مع الفجر؛ والعرب تسمي الثريا نجما وإن كانت في العدد نجوما؛ يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم. وفي "الشفا" للقاضي عياض: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما. وعن مجاهد أيضا أن المعنى والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل نجوما. وقاله الفراء. وعنه أيضا: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب. وهو قول الحسن قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٣/١٧).

﴿عَلَّمَهُ﴾ علم محمدا ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ هو الملك الروح أكمل الله لهما السلام.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ على ما صوره الله وراء محمد ردد الله لهما أكمل السلام على أصلها سادا الهواء وما، رآه أحد الرسل سواه ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ السماء سادا المطلع.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ الملك الروح إلى الرسول ﴿فَتَدَلَّى﴾ إلى صدده ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ صددا إلى الرسول.

﴿فَأَوْحَى﴾ الله ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ الملك الروح ﴿مَا أَوْحَى﴾ المراد: ما أوحاه الملك الروح إلى محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ لما رأى الملك الروح على أصل الصورة ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ الكلام لأهل الإلحاد والهاء عائد على الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾ على ما راءه، وهو الملك الروح.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على أصل الصوره ﴿نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ لما سرى إلى السماء ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ مأوى أرواح أهل الكمال أو مأوى الأملاك ﴿إِذْ﴾ معمول لرآه ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ المار سردها.

﴿مَا يَغْشَى﴾ ملك أو طائر وسواه ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ ما مآل مرأى رسول الله صلى الله على روحه وسلم عما راه ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما عدل وما حاد.

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ لما سرى إلى السماء ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ١٩ - ٢٣]:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ المراد: الإعلام ﴿اللاتَ وَالْعُزَّى﴾.

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ كلها أسماء صور لهم ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ﴾ أولادا لكم ﴿وَلَهُ الأُنْثَى﴾ أولادا وهم الأملاك.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ لا عدل معها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ

وَآبَاؤُكُمْ﴾ صور ركع لها ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أمر دال على صحاح الركوع لها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ مما سوله الوسواس لكم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ رسوله أو كلامه المكرم.

﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلهِ الآخِرَةُ وَالأولَى (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٦]:

﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ﴾ لكل امرء ﴿مَا تَمَنَّى﴾ مأكل ما وده المرء حاصل ﴿فَلِلهِ الآخِرَةُ وَالأولَى﴾.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ واحد الأملاك لا الملوك ﴿فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ملكا أو رسولا أو عالما، أو مسلما هرما أو صالحا أكرمه الله ﴿وَيَرْضَى﴾ ـه أهلا لها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)﴾ [آية ٢٧ - ٣٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ ما ادعوه وسموه الأملاك الكرام ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو وسائطه العلم ولا علم لهم ﴿شَيْئًا﴾ أمرا ما.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ومحا حكم الأمر المسطور حكم أمر أعمال الحسام أو الإسلام ﴿ذَلِكَ﴾ رومهم مصالح الدار الأولى ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ حد ما وصل له علمهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنِ اهْتَدَى﴾ وهو معامل كل أحد على عمله صالحا أو طالحا، وكل وارد موارد عمله.

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾ [آية: ٣١، ٣٢]:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أسرا وملكا ومملوك ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ إلحادا وسواه ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إسلاما وسواه كسائر صالح الأعمال ﴿بِالْحُسْنَى﴾ دار السلام.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ كل ما أوعد الله عامله أو ما أدى عامله إلى الحد ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ أحد المار حكمه مع العار ﴿إِلا اللَّمَمَ﴾ كمس إلا مراد أو لمسه لا لو لامسه ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ عالم أحوالكم وأعمالكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ﴾ والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ حال لا حس لكم ولا إدراك صوركم وسدد أموركم ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ مدحا لأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٨]:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عما هو إسلام وعاد إلى إلحاده.

﴿وَأَعْطَى قَلِيلا﴾ مما سماه لمعاهده على حمله الألم لدى المعاد لو عاد إلى إلحاده، ولما عاد إلى سوء مسلكه أعطى معاهده، ورواه مما سماه له ﴿وَأَكْدَى﴾ ما أكمل لمعاهده السمى.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ المعاهد له على حمله الألم حاملا ما أعده الله له على إلحاده وسوء عمله.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ما أوحاه الله له وهو كلامه.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أكمل ما أمره الله وعاهده على عمله والمحرر وسط ما أوحاه الله لموسى، وما أوحاه لوالد الرسل أكمل الله لهما السلام.

﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ حاصل المراد: كل أحد حامل عمله لا أحد حامل حمل أحد.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)﴾ [آية: ٣٩ - ٤٦]:

﴿وَأَنْ﴾ أصله العامل المؤكد كالأول ﴿لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلا مَا سَعَى﴾.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ لدى معاده، وهو وارد موارده ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ الأكمل.

﴿وَأَنَّ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول ﴿إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ وراء الحمام، وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ سر ﴿وَأَبْكَى﴾ أهم.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾ لدى حل الأعمار ﴿وَأَحْيَا﴾ لورودهم إلى المعاد.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام لدى الوطء ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ المراد: طرحها إلى الرحم.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [آية: ٤٧ - ٦٢]:

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾ وراء الحمام وعود الأرواح للورود موارد الأعمال.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ الأمم أموالا، ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المعد كالطاس والكأس وسواهما، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾(١).

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأخْرى﴾ أي إعادة الأرواح في الأشباح للبعث. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿النَّشَاءَةَ﴾ بفتح الشين والمد؛ أي وعد ذلك ووعده صدق. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ قال ابن زيد: أغنى من شاء وأفقر من شاء ثم قرأ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩] وقرأ ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] واختاره الطبري. وعن ابن زيد أيضا ومجاهد وقتادة والحسن: ﴿أَغْنَى﴾ مول ﴿وَأَقْنَى﴾ أخدم. وقيل: ﴿أَقْنَى﴾ جعل لكم قنية تقتنونها، وهو معنى أخدم أيضا. وقيل: معناه أرضى بما أعطى أي أغناه ثم رضاه بما أعطاه؛ قاله ابن عباس. وقال الجوهري: قني الرجل يقنى قنى؛ مثل غني يغنى غنى، وأقناه الله أي أعطاه الله ما يقتنى من القنية والنشب. وأقناه الله أيضا أي رضاه. والقنى الرضا، عن أبي زيد؛ قال =

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأولَى﴾ هم ملأ هود، وعاد وراءهم، وهم ملأ صالح ردد الله لرسولهما السلام، وسماها الله أولى لورودهم أول الأمم هلاكا وراء والد سام أكمل الله له السلام.

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ أحدا لا لهؤلاء، ولا لأولئك.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أهلكهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ لصكهم رسولهم إلى وصوله لحد عدم الحراك.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ لأمم لوط كسدوم، وصادوم، وعمورا وصوائم ﴿أَهْوَى﴾ حطا إلى الدرك وراء سمكها إلى السماء وأهواها الملك الروح.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ عماه له ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾.

﴿هَذَا﴾ محمد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى﴾ رسول كالرسل الأول أرسل كما أرسلوا الأمم.

﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ حال حول الساعة ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه روح ﴿كَاشِفَةٌ﴾.

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ كلام الله المكرم ﴿تَعْجَبُونَ﴾.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ﴾ لسماع ما أوعده ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ كلكم لاه عما أمره مولاه ﴿فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا﴾ اركعوا وصلوا لله لا للصور سواه.

=

وتقول العرب: من أعطي مائة من المعز فقد أعطي القنى، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطي المنى. ويقال: أغناه الله وأقناه أي أعطاه ما يسكن إليه. وقيل: ﴿أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه؛ قال سليمان التيمي. وقال سفيان: أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا. وقال الأخفش: أقنى أفقر. قال ابن كيسان: أولد. وهذا راجع لما تقدم. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ ﴿الشِّعْرَى﴾ الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعريان العبور التي في الجوزاء والشعرى الغميصاء التي في الذراع؛ وتزعم العرب أنهما أختا سهيل. وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربا لغيره؛ لأن العرب كانت تعبده؛ فأعلمهم الله جل وعز أن الشعرى مربوب ليس برب. واختلف فيمن كان يعبده؛ فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم؛ وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه: لقد أمر ابن أبي كبشة. وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/١١٩).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القمر

مكية، وآيها خمس وخمسون آية

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾(١) [آية: ١ - ٨]:

---

(١) افتتحت السورة الكريمة بهذا الافتتاح الذي يبعث في النفوس الرهبة والخشية، فهو يخبر عن قرب انقضاء الدنيا وزوالها. إذ قوله - تعالى - : ﴿اقتربت الساعة﴾ أي: قرب وقت حلول الساعة، ودنا زمان قيامها. والساعة في الأصل: اسم لمدار قليل من الزمان غير معين، وتحديدها بزمن معين اصطلاح عرفي، وتطلق في عرف الشرع على يوم القيامة. وأطلق على يوم القيامة يوم الساعة، لوقوعه بغتة، أو لسرعة ما فيه من الحساب، أو لأنه على طوله قدر يسير عند الله - تعالى - . وقد وردت أحاديث كثيرة، تصرح بأن ما مضى من الدنيا كثير بالنسبة لما بقي منها، ومن هذه الأحاديث ما رواه البزار عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "خطب أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب.. فقال: "والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه "".

وروى الشيخان عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "بعثت أنا والساعة هكذا " وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. وشبيه بهذا الافتتاح قوله - تعالى - : في مطلع سورة الأنبياء: ﴿اقترب لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ وقوله - سبحانه - في افتتاح سورة النحل: ﴿أتى أَمْرُ الله فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمقصود من هذا الافتتاح المتحدث عن قرب يوم القيامة، تذكير الناس بأهوال هذا اليوم، وحضهم على حسن الاستعداد لاستقباله عن طريق الإيمان والعمل الصالح. =

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ لما سأل أهل الإلحاد رسول الله صلى الله على روحه وسلم أمرًا دالا على الإرسال حصل الأمر المحرر أو ما حصل، وهو حاصل لدى ورود الساعة.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾ هو ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ دائم.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ الرسول ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ عمل صالح أو طالح ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ مع أهله وسط دار السلام أو سوء الدار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ﴾ كهلاك الأمم الأول عاد وسواهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ اسم مصدر والمرد ردع لهم.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ إكماله ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ كل أمر مروع.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ هو الملك مأمور الصور ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ هو السؤال، وورود الأمم موارد أعمالهم.

﴿خُشَّعًا﴾ ورواه راوٍ على العدد كركع ﴿أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ الرموس واللحود ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ لرمؤ عددهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾ إسراعا مع مد كردهم ورؤوسهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي

=

وقوله - تعالى - : ﴿وانشق القمر﴾ معطوف على ما قبله عطف جملة على جملة. وقوله: ﴿وانشق﴾ من الانشقاق بمعنى الافتراق والانفصال. أي: اقترب وقت قيام الساعة، وانفصل وانفلق القمر بعضه عن بعض فلقتين، معجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكان ذلك بمكة قبل هجرته - صلى الله عليه وسلم - بنحو خمس سنين، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس. وقد ذكر المفسرون كثيرا من الأحاديث في هذا الشأن، وقد بلغت الأحاديث مبلغ التواتر المعنوي. قال الإمام ابن كثير: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء - أي: انشقاق القمر - ، فقد وقع في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. ثم ذكر - رحمه الله - جملة من الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصار فلقتين: فلقة على هذا الجبل وفلقة على هذا الجبل. انظر التفسير الميسر (٦٥/١١).

مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا
فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا
جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾ [آية: ٩ - ١٧]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ الهاء لأهل الحرم الحرام ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ رسولهم والد سام ردد الله له السلام ﴿وَقَالُوا﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ مرادهم: اسمعوه العوراء والمكروه وردعوه عما ادعاه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ ومراده له على أعدائه.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أمطار.

﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ المراد كلاهما ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ الأمر هو هلاكهم وسط الماء.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ واحدها دسار مكسور الأول، وهو المسمار.

﴿تَجْرِي﴾ لما علا الماء على سطحه ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ مرأى وكالئ ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ وهو رسولهم، ورواه راوٍ للمعلوم.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ المراد: أم الألواح والدسر ﴿آيَةً﴾ للامم وراءهم ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هل حل محله أم لا، والمراد: هو حال محله، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢)﴾ [آية: ١٨ - ٢٢]:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ رسولهم هودا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ حل محله، ووصل إلى أهله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ حسوم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الحسوم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما سطر ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ هاد ممدود وحاكوها لطولهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ المراد: هل حل محله، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)﴾ [آية: ٢٣ - ٣٢]:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ الدلائل على الإرسال ورسولهم صالح وما أسلموا له.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا﴾ مرادهم: لو حصل سلوكهم كلهم على مسلك أحدهم وهو صالح ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ عما هو هدى ﴿وَسُعُرٍ﴾ هوس.

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾ ما أوحاه الله له ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ سمد، ومرادهم: ما أوحى الله له وما ادعاه لا أصل له.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ لدى المعاد ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ هم أم رسولهم صالح.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ كما سألوا رسولهم حكم مرادهم ومرامهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ الأمر لصالح ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على كل مكروه عملوه لك.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ لها وهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مساء لهم ومساء لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ لأهله، وسلكوا على الحكم المسطور مددا ولما ملوه أصروا على إهلاكها.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ أحدهم ﴿فَتَعَاطَى﴾ الحسام ﴿فَعَقَرَ﴾ أهلك كما أمروه وأصروا كلهم على الأمر المحرر.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هل حل محله أم لا.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحها الملك الروح أكمل الله له السلام فكانوا ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الكلاء أو العود المكسر بعسائه، وروى راوٍ ما أمام الراء مكسورا، وراوٍ على سوى الكسر كإمامه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

مُدَّكِرٍ (٤٠)﴾ [آية: ٣٣ - ٤٠]:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ الدلائل على إرسال لوط.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أرواحا حوامل للحصى واحدها ما وصل إلى ملئ الراحه ﴿إِلا آلَ لُوطٍ﴾ المراد: وهلكوا كلهم إلا أهل لوط وهم أولاد اللاء معه وسط داره ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ هو احد الأسحار.

﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ الله إسلاما وعملا على مسلك أوامره وأطاع رسله.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ روعهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا﴾ ماروا ووردوا ما روعهم رسولهم ﴿بِالنُّذُرِ﴾ الدلائل على صحاح مدعاه.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ وهم الأملاك لما وردوا على لوط على صور مرد ملاح، وسمع ملاؤه ورودهم ووصلوا إلى داره وسألوه عدم وسعهم عما أرادوه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ مسحها الملك الروح وأعماهم، وصاروا طمسا لا محل لمرآهم أصلا.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ مآل أمر الدلائل على الإرسال وردها هو الهلاك لزادها.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ دائم إلى حلولهم سوء الدر ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ [آية: ٤١ - ٤٦]:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ملأه وهو معهم ﴿النُّذُرُ﴾ الدلائل على الإرسال مع موسى وولد أمه ردد الله لهما السلام كعلو الماء والدم، وكل أمر مورع وما أسلموا و﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ إهلاكا ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ على ما أراده وهو الله.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ الكلام مع أهل الحرم الحرام ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ الأولى عددهم أو لهم ملأ والد سام إلى أمم موسى ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ سلام ورد لكم مما هو إهلاك ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الطروس اللاء أوحاها الله إلى رسله لا ما الأمر كما حرر ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ على رسول الله محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾(١) وحصل وكسروا ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ﴾ المراد: ألمها وما أعده الله لهم لدى ورودهم موارد أعمالهم ﴿أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ مما حصل لهم، وهو علو الرسول على عسكرهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [آية: ٤٧ - ٥٣]:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ﴾ حالا وهو إهلاكهم ﴿وَسُعُرٍ﴾ مآلا لدى المعاد وهو دار السوأى.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ والكلام لهم هو ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ألم سوء الدار.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ حال كل، وروى راوٍ كلا مسموكا على أول الكلام.

﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لكل مراد حصوله ﴿إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ إسراعا.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ الأمم اللاء حاكى حالهم حالكم إلحادا وسوء مسلك ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ سؤال ورد مورد الأمر، والمراد كروا.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ الهاء عائد إلى الأمم كلهم مسطر ومحرر ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ طروس الأملاك.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿سيُهزم الجَمْعُ﴾ جمع أهل مكة، ﴿ويُولُّون الدُّبر﴾ الأدبار. والتوحيد لإرادة الجنس، أو: إرادة أنّ كل منهم يُولّي دبره، وقد كان كذلك يوم بدر. قال عمر رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ كنت لا أدري أي جمع يُهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع، ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فعرفت تأويلها، فالآية مكية على الصحيح، ﴿بل الساعةُ موعدُهم﴾ أي: ليس هذا تمام عقوبتهم، بل الساعة موعد أصل عذابهم، وهذا طلائعه، ﴿والساعةُ أدْهَى وأمرُّ﴾ أي: أقصى غاية من الفظاعة والمرارة من عذاب الدنيا. والداهية: الأمر الفظيع الذي لا يُهْتَدَى إلى الخلاص منه، وإظهار الساعة في موضع إضمارها تربيةً لهولها. انظر البحر المديد (٧/٣٨٨).

﴿وَكُلُّ﴾ عمل ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ حرر وسط اللوح.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ورواه راوٍ على العدد كأسد وأسد، والمراد والراح والعسل وسواهما.

﴿فِي مَقْعَدِ﴾ ورواه راوٍ على العدد كمصاعد ﴿صِدْقٍ﴾ محل سالم عما هو مكروه أو ملام أهله ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾ ملك واسع الملك ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ على كل ما أراده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن

مكية، أو مدنية، أو متبعضة

وآيها ثمان وسبعون آية

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(1) [آية: ١ - ١٣]:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ﴾ كل أحد أراد العلم له ﴿الْقُرْءَانَ﴾.

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ ولد آدم كلهم.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الكلام.

---

(١) قال الرازي: اعلم أولا أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين أحدهما: أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب ثانيهما: أنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ١٦) غير مرة، وذكر في السورة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣) مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الهيبة، وهذه السورة سورة إظهار الرحمة، ثم إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِ﴾ (القمر: ٥٥)، والاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة وقال ههنا: ﴿الرَّحْمَانُ﴾ أي عزيز شديد منتقم مقتدر بالنسبة إلى الكفار والفجار، رحمن منعم غافر للأبرار. انظر تفسير الرازي (٢٩/٣٤١).

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ كلاهما سائر على حده المحدود له.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ كلاهما طائع لمراد مولاه وآسره.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ العدل لكمال صلاح أمر العالم لـ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ حطا مما هو له.

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ دحاها دحوا ﴿لِلأَنَامِ﴾ العالم ولد آدم وسواهم.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ واحده وعاء الطلع.

﴿وَالْحَبُّ﴾ كالسمراء والعدس ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ للمعاطس.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا﴾ الكلام للأولى هم مورد الأمر والوادع ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [آية: ١٤ - ١٨]:

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ حال عاس له صلصله ﴿كَالْفَخَّارِ﴾.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ الوسواس عدو آدم المطرود ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مطلع عصر الحر وعكسه، ومطلع عصر الصرصر وعكسه ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)﴾ [آية: ١٩ - ٢٣]:

﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ الحلو والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ للمرآى.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حد ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ كحلول الحلو وسط الملح أو الملح وسط الحلو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَخْرُجُ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿مِنْهُمَا﴾ المراد أحدهما، وهو الملح ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الأحمر ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)﴾ [آية: ٢٤، ٢٥]:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ أولو الدسر والألواح ﴿الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ كالأطواد علوا وسموا ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)﴾ [آية: ٢٦ - ٣٠]:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ هالك، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أورده وأراد الأعم ﴿ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ على العوالم والأمم، مسلمهم وملحدهم، عطاؤه طام وإكرمه عام ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ سؤال كلام، أو سؤال حال العطاء، ومحو سوء أعمالهم، أو صالح أمورهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أمر كإعطاء سائل وحسر مكروه ولأوى وسواها ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦)﴾ [آية: ٣١ - ٣٦]:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ المراد: سؤاله لهما عما سدر وعمل كلاهما واحد واحدا، إما دار السلام، أو سوء الدار ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ صعوداً أو حدورا، وكلاهما أمر محال ﴿لا تَنْفُذُونَ﴾ صرودا إلى ما وراءهما ﴿إِلا بِسُلْطَانٍ﴾ إلا مسلطا على الصرود إلى ما وراءهما، وهو معدوم، وحال عدمه صرودكم معدوم ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ سعر ﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ مهل محلول ومهال على رؤوسهم ﴿فَلا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ

الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾ [آية: ٣٧ - ٤٥]

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ صدعا وصار لها سدد لحلول الأملاك ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ حمراء كالورد ﴿كَالدِّهَانِ﴾ المسك الأحمر على عكس حالها المعهود ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ المراد: حال صدع السماء وعودها حمراء كالورد والمسك الأحمر ﴿لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ ووراءه كلاهما مسئول عما عملوه ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والكلام لهم.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ﴾ كلهم ساع ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿آنٍ﴾ ألد الحراره ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١)﴾ [آية: ٤٦ - ٦١]:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾[1] لسؤاله الأمم عما عملوا وإرسال كل لمحله هو أهله

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قول الحق جلّ جلاله: ﴿وَلِمَنْ خافَ مقامَ ربه﴾ أي: قيامه بين يديه للحساب ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أو: قيامه تعالى على أحواله، من: قام عليه، إذا راقبه، كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. قال مجاهد: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله تعالى، فيدعها من خوفه. قال السدي: شيئا، مفقودان: الخوف المزعج، والشوق المقلق. هـ. أي: للخائف ﴿جنتانِ﴾ أي: بستانان من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، مسيرة كل بستان: مائة سنة. وقال صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون ما هاتان الجنتان؟ هما بستانان في بستانين، قرارهما لابث، وفرعهما ثابت، وشجرهما نابت"، أَكْرَم بهما المؤمن ليتكامل سروره بالتنقُّل لمن جنة إلى جنة، وقيل: جنة لخوفه وجنة لتركه شهوته، أو: جنة لعقيدته وجنة لعمله، أو: جنة لفعل الطاعة وجنة لتركه المعصية، أو: جنة يُثاب بها وجنة يُتفضل
=

﴿جَنَّتَانِ﴾ أحداهما لولد آدم، وأحدهما لولد الوسواس عدو آدم المطرود ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أعواد ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ عهدوها وأمرها معلوم لهم ﴿زَوْجَانِ﴾ واحد معلوم لهم، وواحد ما هو معلوم وما عهدوه مر أو حلو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال عامله مطروح ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ حملهما ﴿دَانٍ﴾ صدد لكل أكل على كل حال هو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِنَّ﴾ المراد: ما حواه كلاهما وهو الصروح ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ إلا على الماهر ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ وطئا ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ لعدم الكدر والكمد ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ حورا ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الإِحْسَانِ﴾ سلوكهم على مسالك أمر مولاهم ﴿إِلا الإِحْسَانُ﴾ الآلاء اللاء عددها دار السلام وما وسطها ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [آية: ٦٢ - ٧٨]:

=

عليه بها، أو: روحانية وجسمانية، أو: جنة للسابقين وجنة لأهل اليمين، أو: جنة للإنس وجنة للجن؛ لأنّ الخطاب للثقلين، كأنه قيل: لكل خائف منكما جنتان. والأول أرجح، وسيأتي في الإشارة بقيته، ﴿فبأي آلاء ربكما تُكَذِّبان﴾. انظر البحر المديد (٤١٦/٧).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ للأولى هم ما وصلوا إلى كمال أهل أولئك ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ سواد كلأ وسواه مما هو معطر المعاطس ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ماء دائما لا حسم له ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ حور ﴿حِسَانٌ﴾ أسرا وكلاما وحواس ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿حُورٌ﴾ سود المرأى مع حور أحورها ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ وكلها أصلها الدر ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ وطئا، والمراد: عدم الأهوال أصلا ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال مطروح العامل ﴿عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وسائد ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ﴾ حصرا وما حاكاها ﴿حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ورود الاسم كوروده وسط داع اسم الماء، والمراد: الماء، والاسم وصل ﴿ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ على كل الأمم صالحهم وطالحهم على الأعم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الواقعة

مكية، وآيها ست وتسعون آية

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [آية: ١ - ٩]:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[1] صدر أمر الساعة.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ كل الأمم مسلم حصولها حال وصولهم لها.

﴿خَافِضَةٌ﴾ أمما إلى أحط الدرك وهم أهل سوء الدار ﴿رَافِعَةٌ﴾ أمما إلى المحل الأسمى وهم أهل دار السلام.

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ إلى كل محل كالإعصار.

﴿وَكُنْتُمْ﴾ لدى المعاد ﴿أَزْوَاجًا ثَلاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم كل معطى طرس

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة. وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. وفيه إضمار، أي اذكروا إذا وقعت الواقعة. وقال الجرجاني: ﴿إِذَا﴾ صلة، أي وقعت الواقعة، كقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ و﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ وهو كما يقال: قد جاء الصوم أي دنا واقترب. وعلى الأول ﴿إِذَا﴾ للوقت، والجواب قوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر، كقوله تعالى: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ أي لغو، والمعنى لا يسمع لها كذب، قاله الكسائي. ومنه قول العامة: عائذا بالله أي معاذ الله، وقم قائما أي قم قياما.. انظر الجامع في أحكام القرآن (١٧/١٩٥).

أعماله إلى أكرمهما ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ إكراما سوى حلولهم دار السلام.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ هم كل معطى طرس أعماله لها ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ألما وكدرا وحلولا دار السوأى.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ١٠ - ٤٠]:

﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى كل كمال، وهم الرسل الكرام وما عم الرسل ﴿السَّابِقُونَ﴾ أورده مؤكدا.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ﴾ ملأ أول كلام ﴿مِنَ﴾ الأمم ﴿الأَوَّلِينَ﴾ هم مسلمو الرسل الأول السالكوا مسالك أمر الله ورسله.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ هم أهل الأسلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ محمول على أول الكلام المار، وهو ما أدى مؤدى الملأ ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ محاك عمودها مما هو أصل الدراهم ومرصع درا وسواه.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ كلاهما حال.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ مرد ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ لا هرم لهم أصلا وأمدا.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أكؤوس لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ ما لها عرى وما هو كالمعطس، ﴿وَكَأْسٍ﴾ وعاء الراح على العموم ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ مدام سائل كالماء لا حسم له أمدا.

﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا صداع حاصل لهم، ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ سكرا كمطور أحلامهم.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ﴾ لَدِّ سواد المرأى وحورها ﴿عِينٌ﴾ واحدها كحمراء، والمراد: مرآها واسع.

﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ عوراء الكلام وعاره ﴿وَلا تَأْثِيمًا﴾ محرم الكلام ومكروهه.

﴿إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا﴾ هو مسموعهم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ مرصع حملا أعلاه وأحطه.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ دائم ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ هامع دائما ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ﴾ عصرا ما ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا عطاء درهم، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على السرر ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ الهاء عائد على الحور ﴿إِنْشَاءً﴾ لا مولدا لأم أو والد ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا﴾ أهل دلال ﴿أَتْرَابًا﴾ الكل عمرا واحدا ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ﴾ ملأ ﴿مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ﴾ ملأ ﴿مِنَ الآخِرِينَ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧)﴾ [آية: ٤١ - ٥٧]:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ﴾ حرصا ردٍ وسط المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ما حار.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ هواء أسود حار ﴿لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ كسواه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ آلاء.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ﴾ العمل المحرم ﴿الْعَظِيمِ﴾ هو الإلحاد.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ إلى المعاد والورود

موارد العمال ردا على كل مدع حصوله.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ هو عصر المعاد لورود الأمم على موارد عملهم صالحهم إلى دار السلام وطالحهم إلى سوء الدار والكدر الدائم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ لأمر المعاد ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ المراد: على مأكولهم المسطر ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾ الماء الحار.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ الرواحل مسها الأوام.

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أعده الله لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا﴾ هلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ [آية: ٥٨ - ٦٢]:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ماء ولد آدم المهال إلى الأرحام حال الوطء ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ ولدا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ الماء المسطور أولادا وسط الأرحام.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ كأسر سواكم وإحلاله محلكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ركسا لصوركم إلى صور سواها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)﴾ [آية: ٦٣ - ٦٧]:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ المراد: إطرارا له ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ طاروه طرا.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ مكسر إعساء ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أمرا أو سدما على ما عراكم ودهمكم وكلامكم لدى حلوله هو.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ لمطور أموالهم أو لهلاكهم.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حرموا أموالهم لهلاكها.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠)﴾ [آية: ٦٨ - ٧٠]:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ هو الركام الحامل للأمطار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾.

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ملحا ﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ [آية: ٧١ - ٧٢]:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ لها ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لسعر دار السوأى ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ المراد: لصالح أمر سواح المهامه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ والاسم وصل، والمراد: الله علا اسمه وسما حمده.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ [آية: ٧٥ - ٨٠]:

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ (لا) للوصل لا مؤدى لها ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ لدلوكها.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ﴾ الكلام الموحى إلى رسولكم محمد صلى اله على روحه وسلم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ هو اللوح.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ﴾ المراد: ما مس اللوح اطلاعا على ما حواه إلا كل مطهر، وهم الأملاك أو الهاء عائد لكلام الله المكرم، وأورد لا وارد الردع عما هو مس لسوى المطهر ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ (٨٥)﴾ [آية: ٨١ - ٨٥]:

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الكلام المكرم ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ المراد: محل حمدكم مولاكم على حلول الأمطار ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ كادعائكم حلول المطر لطلوع عطارد أو سواه.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿الْحُلْقُومَ﴾ مسلك الطعام ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ إلى حال الوارد على مصارع حمامه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ علما واطلاعا ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ ما لكم إدراك.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٨٦ - ٩٦]:

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ المراد: لا ورود لكم إلى المعاد على مدعاكم، ولا على موراد أعمالكم.

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ رد الروح الوارد موراد حمامه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ صححوا مدعاكم، وردوا روح الوارد على مصارع حمامه.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾(١) الوارد موارد حمامه ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ لدى الله، وهم أهل الكمال والمحل الأسما.

﴿فَرَوْحٌ﴾ المراد: راحه ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ عطاء وإكرام ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أهل الإسلام الأولى أعطوا طروس أعمالهم

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث، وبين درجاتهم فقال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ هذا المتوفى ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا. قال الحسن: الروح الرحمة. الضحاك: الروح الاستراحة. القتبي: المعنى له في طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله، والريحان الاستماع لكلامه ووحيه، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ هو ألا يحجب فيها عن الله عز وجل. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم الجحدري ورويس وزيد عن يعقوب ﴿فَرُوْحٌ﴾ بضم الراء، ورويت عن ابن عباس. قال الحسن: الروح الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَرُوْحٌ﴾ بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٧).

إلى أكرمهما.

﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ المراد: سلام لك عما هو ألم وكدر له.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ﴾ له لحد أو المراد محله وسط دار السوأى ﴿مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أومأ إلى ما أعد لهؤلاء أهل الإلحاد ولأولئك السعداء ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ على كل أحد سواه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد

مدنية، وآيها تسع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ كل العوالم إما حمدوه حمد كلام أو حمد حال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محلها.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا مالك لهما سواه ﴿يُحْيِي﴾ أولا وسط الأرحام أو ما حكمه كحكمها ﴿وَيُمِيتُ﴾ لدى ورود العمر المحدود ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ على سائر العوالم لا أحد معه ﴿وَالآخِرُ﴾ وراء هلاكهم كلهم، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ لسطوع الدلائل، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عما هو إدراك الحواس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(1)

---

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ تقدم. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ أي يدخل فيها من مطر وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره =

[آية: ٤ - ٦]:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ المراد: الملك، أو الله أعلم ما المراد ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ حلولا وسطها كالأمطار وكل هالك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالكلاء وكل محصود ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحم وكل ألم ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ صعودا ﴿فِيهَا﴾ كصالح الأعمال وطالحها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ علما واطلاعا على أحوالكم لكها ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ كلها.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ حلولا ﴿فِي﴾ مدد ﴿النَّهَارِ﴾ لحصوله طوله ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ حلولا ﴿فِي﴾ مدد ﴿اللَّيْلِ﴾ لحصول طوله ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كل سر طواه الصدر.

﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿آمِنُوا﴾ الأمر للدوام، والمراد: دوموا على الإسلام ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ عصرا ما هو مالكه أمامكم ووراء هلاككم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ أومأ إلى الأمام وراء عمر المسال دمه عدوا وسط الدار ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ الكلام مع كل ملحد على العموم ﴿وَالرَّسُولُ﴾ محمد أكمل الله له السلام ﴿يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ رواه راوٍ على وروده للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم على لا إله إلا الله لدى عالم الأرواح ﴿إِنْ كُنْتُمْ

=

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق ومطر وملك ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني بقدرته وسلطانه وعلمه ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يبصر أعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيء منها. وقد جمع في هذه الآية بين ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وبين ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ والأخذ بالظاهرين تناقض فدل على أنه لا بد من التأويل، والإعراض عن التأمل اعتراف بالتناقض. وقد قال الإمام أبو المعالي: إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٣٧).

مُؤْمِنِينَ﴾ اسلكوا مسالك العهد الأول.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ كلام الله المكرم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ لآلاء الإسلام ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لإرساله لكم الرسول وكلامه المكرم.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وراء إسلامكم ﴿أَلا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ولا دوام للأموال مع أحد ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ لأم رحم سكه ﴿وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾ وراء علو أهل الإسلام على أم رحم ﴿وَقَاتَلُوا وَكُلا﴾ هؤلاء وأولئك ﴿وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ دار السلام ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المراد: وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كإعطاء سهم الأموال إلى كل مكر على اعدائه وسواهم مما أمر ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ إلى حد هو عالمه ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ إكرام كامل.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [آية: ١٢]:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ والكلام لهم ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ المراد: حلولها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [آية: ١٣ - ١٥]:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ ورواه راوٍ كأكرم، والمراد: الإمهال ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ وعادوا كما أمروا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ حد محدود ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ أمام أهل الإسلام ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ﴾ إلى أهل الإلحاد ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ لإسلامهم كلاما وإصرارهم على الإلحاد وصدرا وسرا ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ لإصراركم على الإلحاد ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ حلول الدوائر على أهل الإسلام ﴿وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾ طول أعماركم أو أطماعكم على الأعم ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ الحمام الموعود ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الوسواس.

﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾[1] عدل محلكم ﴿وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم أهل الإلحاد سرا وكلاما، وهؤلاء أهل إلحاد سرا وأهل إسلام كلاما ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾ أولى لكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سوء الدار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ [آية: ١٦، ١٧]:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ﴾ رواه راوٍ كهدد، وراوٍ كعدل عدلا ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ كلامه المكرم ﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ هم الهود، وأمم الروح ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾ لطول أعمارهم وأمالهم، أو المراد: عصر ورود الرسول وراء الرسول أمامه، ورواه راوٍ الأمد كدمل ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿اعْلَمُوا﴾ الأمر لأهل الإسلام ﴿أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ﴾ كلأ ومحصودا ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على الأمر المسطور وسواه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ المراد: لحصول كمال الإدراك لكم.

---

(١) قال الرازي: اعلم أن الفدية ما يفتدى به فهو يتناول الإيمان والتوبة والمال وهذا يدل على أن قبول التوبة غير واجب عقلا على ما تقوله المعتزلة لأنه تعالى بين أنه لا يقبل الفدية أصلا والتوبة فدية فتكون الآية دالة على أن التوبة غير مقبولة أصلا وإذا كان كذلك لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا. انظر تفسير الرازي (١٩٨/٢٩)

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)﴾ [آية: ١٨، ١٩]:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ لعله هو حلولهم دار السلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ المراد: حووا أكمله ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على الأمم كل ملحد وراد دعوى الرسل الكرام ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على لا إله إلا الله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ سوء الدار ومأوى الهموم والأكدار.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آية: ٢٠]:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ المراد: وكل ما سطر لا دوام له، وحالها مع أهلها الأولى صار أهم أمورهم حطامها هو ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ المراد: كل أكار ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ عساءه ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لكل مهموم لأمور الدار الأولى ووادع أمر معاده ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾ للسالك مسالك أوامر الله والصائر همه كله وعمله لأمر معاده ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حطامها وعمرها ﴿إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ لعدم دوامه.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)﴾ [آية: ٢١ - ٢٤]:

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المراد: سارعوا إلى كل عملٍ أدى عامله لها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ والله أعلم كم طولها ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ﴾ كحصول محل أو عامله ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كداء أو حمام الأولاد ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ المراد: إلا وهو محرر أولا حال عدم أسرها ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا﴾ المراد: سرور سمود ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ رواه راوٍ على المد، والمراد: أعطاكم، وراوٍ على سوى المد، والمراد: ما ورد لكم ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ سامد على الأمم.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ إمساكا عما هو سهم الأموال أحد أساس أحكام الإسلام الموصول أول كلام مطروح المحمول ومحموله هو كلهم معامل على سوء عمله، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عما أمره مولاه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ المحمود، ولو عدم حمد كل حامد.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٢٥]:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الأملاك إلى الرسل الكرام، والرسل الكرام إلى الأمم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ ال للعدد لا للعهد ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ للكر على الأعداء كالحسام والدروع ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالمعول والموسى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ﴾ سطوع وإلا هو عالم الكل حال العدم ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إعلاء لأوامره ﴿وَرُسُلَهُ﴾ كرا معهم على أعدائهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال الهاء العائد على الله ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَاسِقُونَ (٢٧)﴾ [آية: ٢٦ - ٢٧]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ والمراد: علم الرسم أو ما أوحاه الله إلى موسى، وداود، والروح، ومحمد صلى الله على كلهم وسلم ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الهاء عائد إلى أولاد والد سام، ووالد الرسل أكمل الله لهما السلام ﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ المراد: إرسال رسول وراء رسول ﴿عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا﴾ وراءهم إرسالا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ المراد: وداع الحرم وعدم الوطء والحلول وسط الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ هم ما أمرهم الله سلوكا على مسالكها ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ عملوها لها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [آية: ٢٨، ٢٩]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لرسول الرح أمام الرسول محمد ردد الله لهما أكمل السلام ﴿اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ سهما وسهما ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإسلامكم أولا للروح ووراءه لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لِئَلا﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ المراد: أعلمكم لحصول علم أهل الكلام الموحى لموسى ردد الله له السلام ما حاصله ﴿أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه مطروح ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ مولى الآلاء والإكرام، ومعط الأولى هم أهلها، واللّاء أهلها على ما أدى حُكمه وحِكمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المجادلة

مدنية، إلا العشر الأول، وآيها اثنتان وعشرون

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ الكلام للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ أوس لما حرمها مكلما لها ما حاصله أهله كمطا أمه، وحكم الرسول صلى الله على روحه وسلم على حصول الحرام على الأمد كما عهدوا، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾ حالها وعدمها وأولادا لها ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للكلام والأحوال عالم ومطلع على الكل.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ رواه راوٍ كإدَّرَّك مكررا الدال والراء، وراوٍ، وهو ولد عامر كادارك، وراو، وهو عاصم كساهم ﴿مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي﴾ ورواه راوٍ اللاء مكسورا لا ممدودا ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ ورواه راوٍ حكم الأول ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ إلى إمساك أهله المحرمها ووطئها أو ما حكمه كحكم الوطء ﴿فَ﴾ على كل امرء عاد إلى ما حرر ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ سواء المحرر مسلما أولا ولدى إمام مصر الإسلام مراعى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ وطئاً ولو وطئها مع عدم الحرار حرم، وعاد إلى الله وهاد ﴿ذَلِكُمْ﴾ الحكم المسطور ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ للإرعواء والردع ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ ما هو محرره ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ ولو حصل الوطء حال عدم إكمال الصوم عاده ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصوم المحرر لهم أو علل ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل واحد وواحد صاع وعدم وطئه أهله مراعى ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى العدول إلى الصوم حال عدم حصوله ما هو محرره وإلى العدل إلى الإطعام حال الهرم أو العلل ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ سلوكا على أوامرهما ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ وأحكامه لكم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ كل راد أحكام الله وأوامره ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٥، ٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على سوى حدودهما ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأولى ردوا أحكام رسلهم وما أمروهم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دلائل على صحاح ما ادعاه الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ماح لسمودهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ كلهم إلى المعاد ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ وكل العوالم مطلع على سوء حالهم ﴿أَحْصَاهُ اللهُ﴾ علما وإحاطه ﴿وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما عوالم وأعمالا ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ علما واطلاعا على أحوالهم ﴿وَلا

خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ المراد: علما واطلاعا لا حلولا كما هو معلوم لكل أحد له إدراك وإلمام ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وعلمه الكل على حد سواء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ هم الهود ردعهم الرسول عما حرر وعادوا له، ولما سلكوا مسالك ما ردعوا وما ارعووا أوحى الله لرسوله السرد المسطر ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾ كإحلالهم محل السلام السام على الرسول وهو الحمام ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ﴾ لو محمد رسولا كما ادعى ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾ حلولا ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سوء الدار لهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ [آية: ٩ - ١٠]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ كما عمل هؤلاء ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم سائرها صالحها وطالحها.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ الأولى ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ هو حاملهم على سلوكها ومسولها لهم ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ أوسعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ﴾ ورواه عاصم على العدد كالمكارم ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ وسط دار السلام ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ إلى الركوع، وكل عمل صالح ﴿فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ﴾ وسط دار السلام ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أورده مهددا لهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ المراد: أمامها ﴿صَدَقَةً﴾ كإعطاء الدراهم للمعدم وما سلك مسلكه أحد سوى ولد عم الرسول الأسد الكرار ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ والأمر المسطور ممحو المؤدى ومحا حكمه ما وراء، وهو:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ أمامها ﴿صَدَقَاتٍ﴾ المراد: أروَّعكم إعطاء المال العدم ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المراد: دوموا على سلوك هؤلاء الأطوار ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مطلع على أعمالكم ومعاملكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾ [آية: ١٤ - ١٩]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾[1] وَالَوْا وَوَدُّوا ﴿قَوْمًا﴾ هم الهود، والأول هم أهل

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهود ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ يقول: ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل هم مذبذبون بين ذلك، وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم. قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله بن أبي وعبدالله بن نبتل المنافقين، كان أحدهما يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته إذ قال: "يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان" فدخل عبدالله بن =

الإسلام كلاما لا صدرا وسرا ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أهل إسلام ﴿مِنْكُمْ وَلا﴾ هم هود ﴿مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو إسلامهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عدم حصول إسلامهم سرا وصدرا.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هو عملهم السوء ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ للحرص على أرواحهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا﴾ أهل الإسلام ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ إهلاك أهل الإسلام لهم وكرهم على أوالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ المراد: مما أعده الله لهم على سوء أعمالهم وإصرارهم على الإلحاد سرا وصدرا ﴿شَيْئًا﴾ ما ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ المراد: لله على إسلامهم ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ على الإسلام ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ لدى الله ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿اسْتَحْوَذَ﴾ عال ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ ملاؤه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

=

نبتل - وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية - فقال عليه الصلاة والسلام: "علام تشتمني أنت وأصحابك" فحلف بالله ما فعل ذلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "فعلت" فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية. وقال معناه ابن عباس. روى عكرمة عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال: "يجيئكم الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر الشيطان" فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق، فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "علام تشتمني أنت وأصحابك" قال: دعني أجيئك بهم. فمر فجاء بهم فحلفوا جميعا أنه ما كان من ذلك شيء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ واليهود مذكورون في القرآن بـ ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء المنافقين ﴿عَذَاباً شَدِيداً﴾ في جهنم وهو الدرك الأسفل. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بئس الأعمال أعمالهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يستجنون بها من القتل. وقرأ الحسن وأبو العالية ﴿إِيْمَانَهُمْ﴾ بكسر الهمزة هنا وفي ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾. أي إقرارهم اتخذوه جنة، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل، وكفرت قلوبهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار. والصد المنع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي عن الإسلام. وقيل: في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق. وقيل: أي بإلقاء الأراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد وتخويفهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣٠٤).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [آية: ٢٠ - ٢٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المحاد لهما السالك على سوى مسلك أوامرها ﴿أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾.

﴿كَتَبَ اللهُ﴾ وسط اللوح، أو المراد: حكم واراد، وكل ما أراده حاصل لا محال ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ عائل على أمره.

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ المراد: وداد صدر ﴿مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا عكس أوامرهما ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ الواو لكل محاد ﴿آبَاءَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإسلام ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ لآلاء الإسلام الحال وسط روعهم وصدورهم، أو المراد: كلام الله المكرم، أو هو العلو على أعدائهم وأعدائه ﴿مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ لسلوكهم مسالك الطاعة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سرهم ما أعده لهم على أعمالهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ﴾ الأولى سلكوا مسالك أمره وحادوا عما ردع ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصوله أمورهم على مرامهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحشر

مدنية، وآيها أربع وعشرون آية

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿سَبَّحَ لِلهِ﴾ اللام وصل لا مؤدى له وورد مؤكدا ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أورد ما اسماً موصولا لرموء الأولى لا أحلام لهم على أهل الأحلام ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محلها.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ محل لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ إلى ما مهمله السأم لما طردهم عمر والى الله له الإكرام ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ الكلام مع أهل الإسلام ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ المراد: مما أعده لهم وأراده ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ﴾ أمره أو ما أراده ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ولا مرَّ لهم على حال ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كهدد ﴿بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ حرصا على ما وسطها كالعمد وسواها، وعدم وداعها لأهل الإسلام ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ هدمها أهل الإسلام لوسع محل الكر والمعارك ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ﴾ حكم واراد ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾ الطرد ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾

إهلاكا وأسرا ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ عصوا ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص أوامره.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٥ - ٧]:

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ إحدى أصول حمل الكلد ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ وراوٍ رواه على أصلها كحمرها ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ أمره ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ المراد: الهود لما ادعوا ما حاصله حسم كل عود حامل دحس.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ﴾ رده أو أعاده ﴿عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ الهاء عائد لأهل الإلحاد ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ المراد: الإسراع والكلام لأهل الإسلام ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ﴾ حصل سهل لا عسر معه ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ مروعا ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ ما أعاده ورده له ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ مما هو أموال أهل الإلحاد ﴿فَلِلَّهِ﴾ سهم وسهمه إلى أعمار الحرم الحرام، وكل مصلى، وهو على ما محرر مسدس أو سهم الله ورسوله واحد ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ وسهم الرسول روى راوٍ إلى الإمام، وراوٍ إلى العساكر، وأعمار كل محل صار حدا إلى الإسلام ومحال أهل الإلحاد، وإلى مصالح الإسلام على العموم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ إلى الرسول الأطهر صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالْيَتَامَى﴾ لأهل الإسلام الهالك والدوهم ولا مال لهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أهل العدم والإسلام مراعى ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ سائح لا وصول له إلى ماله ﴿كَيْ لا﴾ المراد: لئلا ﴿يَكُونَ دُولَةً﴾ دولا لأهل الأموال ﴿بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ كل أمر أعطاكموه على العموم ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص أوامره.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [آية: ٨ - ١١]:

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ معمول لعامل مطروح، وهو روعوا لحالهم ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ حال ﴿وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ طرحا لأرواحهم وأموالهم لإعلاء أوامر الله وأحكامه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ إسلاما.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ دار لحد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدا ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أعطوا أولئك، وهو أموال أهل الإلحاد اللاء ساهموها ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وطر إلى ما أعطوه سواهم مأكلا أو مال ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على الأموال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأولى حصلوا أمورهم على مرادهم.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هم أهل الإسلام إلى حلول الأدوار والأعصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا﴾ سوء صدر ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومؤمل الدعاء، وحصول الآمال.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١٢) لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ

عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾[(١)][١١ - ١٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ مرادهم مما هو مصر لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ المراد: على عدم علوهم على أعدائهم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ الرسول، وأهل الإسلام معه، ﴿وَإِنْ﴾ اللام الموطئ مطروح ﴿قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لعلمه عكس ما ادعوه وهو:

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ المراد: أرادوه وعولوا على صدوره ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ مكمل ما وطأه اللام ودال على مكمل العامل وراء اللام الموطئ ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ الواو للهود، أو لكل مسلم كلاما لا صدرا ومصر سرا على الإلحاد.

﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ روعا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ صدور أهل الإسلام كلاما لا سرا وصدرا ﴿مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ الواو للهود، وكل مسلم كلاما ومصر على إلحاده صدرا ﴿جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لروعهم، ورواه راوٍ والد عمرو وسواه على الواحد ﴿بَأْسُهُمْ﴾ كرهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وواه لو كروا على الرسول وأهل الإسلام معه لروع أودعه الله صدورهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ﴾ طردوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ والمراد: حال هؤلاء الهود كحال الأمم الأول هلاكا ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء مآل إلحادهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم لدى المعاد.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ أي منهزمين. ﴿لا يُنْصَرُونَ﴾ قيل: معنى ﴿لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ طائعين. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ مكرهين ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ وقيل: معنى﴿لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ لا يدومون عل نصرهم. هذا على أن الضميرين متفقان. وقيل: إنهما مختلفان؛ والمعنى لئن أخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي ولئن نصر اليهود المنافقين ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ وقيل: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ أي علم الله منهم أنهم لا يخرجون إن أخرجوا.﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ أي علم الله منهم ذلك. ثم قال: ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ فأخبر عما قد أخبر أنه لا يكون كيف كان يكون لو كان؟ وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وقيل: معنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي ولئن شئنا أن ينصروهم زينا ذلك لهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٣/١٨).

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المراد: حال أهل الإسلام كلاما لا صدرا مع الهود كحال الوسواس ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ﴾ آل للعدد وللعهد، والمراد واحد، وهو عم الرسول ردد الله له السلام ﴿اكْفُرْ﴾ حال الوسواس مع الموسوس له كحال الآمر مع المأمور ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ مسموكا اسم للعامل، ورواه راوٍ على المحمول والاسم هو ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [آية: ١٨ - ٢٤]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ المراد: لمعادها ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ كرره مؤكدا للأول ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم كلها صالحها وطالحها.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ﴾ المراد: أوامره وروادعه ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ لوداعهم العمل الصالح ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ محصلو أمورهم على مرادهم ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وصار له حس وإدراك كولد آدم ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ المسطر حكمها ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ المراد: لعل إسلامهم إلى الرسول حاصل.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر وعكسه ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما هو وصم ﴿السَّلامُ﴾ السالم مما هو عار أو عوار ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ محصحص دلائل الرسل ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ راع، وكالئ لكل أحد وعمل ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ المكره العوالم على ما أراده ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما أدى إلى وصم أو وطر إلى السوى ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ مما هو عدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما مطهر له عار، أو وصم، وراعى ما لا حلم له وأورد ما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المحل أموره محلها والراكم لكل كمال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الممتحنة

مدنية، وآيها ثلاث عشرة آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ عدو الله، وعدو أهل الإسلام هم ملحدو الحرم الحرام وأم رحم ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أهل ود ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ طرح أسرار الرسول صلى الله على روحه وسلم لما أراد الكر على أهل الإلحاد وأسره لكم، وورى أوحاه الله لما حرر أحدهم لأهل الإلحاد ما أسره لهم رسول الله والحامل له على إعلامه لهم حصول أمواله وأولاده وسط دارهم أم رحم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أمر الإسلام، أو كلام الله المكرم ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ لـ ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ المراد: لإسلامكم ﴿بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ روما للكر ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ ما أسروه لهم هو روم الرسول معاركهم ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ المراد: لا طائل لما أسروه لهم والله عالم إسرارهم، وعكسها، ومعلم لرسوله أحوالهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ﴾ حاد ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أصل

السواء الوسط، والمراد: حاد صراط الهدى.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ولا طائل لطرحكم الأسرار لهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ صكا وإهلاكا ﴿وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ وصما وإسماع مكروه ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ الأولى حملوكم على طرح الأسرار لأهل الإلحاد ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لعكسه ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كإرسال أهل الإلحاد إلى سوء الدار، وأهل الإسلام إلى دار السلام.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ مأم، ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ كلاما وأعمالا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أهل الإسلام له ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ﴾ كأمراء ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ المراد: كلام والد الرسل وأعماله كلها مأم وإمام لكم لا ما وعده والده وهو سؤاله مولاه محو أعمال والده حال عدم علمه وروده عدو الله، ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ﴾ ما أعده لك على عملك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ومراده: ما هو مالك لوالده إلا الدعاء.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ هو مكمل لكلام والد الرسل ردد الله لكلهم السلام وكلام أهل الإسلام معه.

﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سألوا الله علو أهل الإلحاد على أهل الإسلام ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والموئل لسؤال كل سائل وداع.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ الكلام لأمم محمد رسوله ردد الله له السلام ﴿فِيهِمْ﴾ الهاء لوالد الرسل وملأه معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ ولاء وودا لأهل الإلحاد ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود دائما، ولو عدم كل حامد.

﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ المراد: لإسلامهم أوحاه الله لما عادى أهل الإسلام أرحامهم ﴿وَاللهُ قَدِيرٌ﴾ على أسر ما وعد وهو إسلامهم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما صدر ﴿رَحِيمٌ﴾ حالهم للإسلام، أو المراد: راحم حالكم، وهو ودكم وإعطاؤكم أسرار الرسول صلى الله على روحه وسلم لأهل الإلحاد.

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ المراد: سلوكهم معهم على العدل والحكم المسطور ورد أمام ورود الأمر لعمال الحسام ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أهل العدل.

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ﴾ وداد ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ الحرم الحرام ﴿وَظَاهَرُوا﴾ ساعدوا ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ المصدر معمول لعامل الاسم الموصول على وهم العامل المكرر ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ وراء الصلح مع أهل الإلحاد، وعلى رد أهل الإسلام كل وارد مسلم لهم ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ على الورود روما للإسلام وحده ووداعا للإلحاد وأهله لا لأمر سواه ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ هو المطلع على السرائر ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ ردا ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ﴾ أعطوا أهل الإلحاد ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ وهو المهور ﴿وَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ﴿عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المراد: المهور ﴿وَلا تُمْسِكُوا﴾ رواه راوٍ كأكرم وراوٍ كهدد ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ عرسكم أهل الإلحاد لحسم إسلامكم لعصمها ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ المهور ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ مهور العوائد إلى أهل الإسلام، والمراد: لأهل الإسلام سؤال مهور حرمهم العوائد أهل إلحاد ولأهل الإلحاد لهم سؤال مهور حرمهم العوائد أهل إسلام ﴿ذَلِكُمْ﴾ الحكم المسطور ﴿حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ محل أموره وأوامره كلها محلها.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ المراد: أحد الأهل، أو أحد المهور وعاد ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ كرا على أهل الإلحاد وحصل لكم الأموال ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ مما حصل لكم، وهو أموال أهل الإلحاد ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ وهو مهور أهلهم العوائد أهل إلحاد ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وعمل أهل الإسلام كما أمرهم مولاهم ووراء العمل محا الله الحكم المسطور.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [آية: ١٢]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ وأدًا لروع أو حصول عدم ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كالحصول على ولد والادعاء هو ولد الماهر ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ كل أمر على العموم ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا

يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[١] [آية: ١٣]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ ودادًا لهم ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم سائر أهل الإلحاد على العموم، أو المراد: الهود ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ ما أعده الله لكل طائع أوامره ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ الأولى هم ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ لاطلاعهم على محالهم وسط سوء الدار، وحسم آمالهم وأطماعهم عما أعده الله لكل طائع.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود. وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك. ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ يعني اليهود قاله ابن زيد. وقيل: هم المنافقون. وقال الحسن: هم اليهود والنصارى. قال ابن مسعود: معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا. وقيل: المعنى يئسوا من ثواب الآخرة، قاله مجاهد. ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ أي الأحياء من الكفار. ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أن رجعوا اليهم؛ قال الحسن وقتادة. قال ابن عرفة: وهم الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ وقال مجاهد: المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور أن يرجعوا إلى الدنيا. وقيل: إن الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار؛ وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره. قال ابن عباس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا﴾ أي لا توالوهم ولا تناصحوهم؛ رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن أبي بلتعة. يريد أن كفار قريش قد يئسوا من خير الآخرة كما يس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الآخرة من رحمة الله تعالى. وقال القاسم بن أبي بزة في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: من مات من الكفار يئس من الخير. والله اعلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٧٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصف

مدنية، أو مكية، وآيها أربع عشرة آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ طهره عما هو وصم أو عار اللام وصل لا مؤدى له ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما أُلى الأحلام وسواهم وله أورد ما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ روما للمعارك والكر على أهل الإلحاد ﴿مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ لما ولوا لدى أحد وأعطوا الوراء ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ﴾ المراد: هو مكرم ومعل على الأعداء ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ سطرا حال ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ رأس كالطود.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [آية: ٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ إسماعا للمكروه لما ادعوا أدره وما هو آدر ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾ الواو واو الحال ﴿أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ والرسول مكرم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عدلوا أو مالوا عما هو الهدى وأسمعوا المكروه والعوراء لرسولهم موسى ردد الله له السلام ﴿أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها إلى ما سطر وسط اللوح أو إلى ما علم وهو العمى لهم وعدم الهدى

﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أهل الإلحاد، والمراد: هدى موصلا إلى دار السلام.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [آية: ٦]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ المراد: ما هو أمامه ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿قَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾ ورواه راوٍ ساحر ﴿مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿وَمَنْ﴾ المراد: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ كادعاء إله معه أو ولد له وما أعطاه رسوله سحر ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هم أهل الإلحاد.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ مسلك الإسلام ودلائله على إرسال رسله ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ كلامهم ومدعاهم ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدا صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْهُدَى﴾ كلامه المكرم ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ مسلك الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ سائر الملل ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ سطوع أمره على الكل.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كهدد

﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ المراد: دوامهم على الإسلام لهما والسلوك مسالك أوامرها وروادعهما وإلا أصل الإسلام حاصل ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مكمل لأمر مطروح وهو اسلكوا مسالك ما حرر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَ﴾ لكم ﴿أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأمر لرسوله محمدا أكمل الله له السلام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ﴾(١) [آية: ١٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ﴾ وروى راوٍ اسم الله معمولا للام الكسر ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ المراد: إلى إعلاء أوامر ومعامله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وسماهم كما سماهم لحورهم، وهو عكس السواد، وهم أول مسلم للرسول روح الله ردد الله له السلام ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ له

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارَ الله﴾ أي: أنصار دينه ﴿كما قال عيسى ابنُ مريمَ للحواريين مَنْ أنصاري إلى الله﴾؟ أي: مَن يكون مِن جندي ومختصاً بي، متوجهاً إلى الله. ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى: ﴿مَن أنصاري إلى الله﴾ ولكنه محمول على المعنى، أي: كونوا أنصارَ الله، كما كان الحواريون أنصارَ عيسى، حينما قال لهم: مَن أنصاري إلى الله؟ ﴿قال الحواريون نحن أنصارُ الله﴾ أي: نحن الذين ينصرون دينه، والحواريون: أصفياؤه، وهم أول مَن آمن به من بني إسرائيل، قاله ابن عباس، وقيل: كانوا اثني عشر رجلا. وحواري الرجل: صفوته وخاصته، من الحَور، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثياب، أي: يُبيّضونها، وقيل: إنما سُمُّوا حواريين لأنهم كانوا يُطهرون النفوس بإقامتهم الدين والعلم، ولمَّا كفرت اليهود بعيسى عليه السلام، وهَمُّوا بقتله، فرَّ مع الحواريين إلى النصارى بقرية يُقال لها: نصرى، فنصروه، فقاتل اليهودَ بهم مع الحواريين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فآمنت طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ﴾ به، فقاتلوهم ﴿فإيَّدنا الذين آمنوا﴾ بعيسى عليه السلام ﴿على عدوهم﴾ أي: قوّيناهم ﴿فأصبحوا ظاهِرين﴾؛ غالبين عليهم. انظر البحر المديد [٨/٦٥].

وحكموا على سمكه إلى السماء ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ لادعائهم ولد الله ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ أهل الإلحاد ولما حصل الكر ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿ظَاهِرِينَ﴾ كسروا أعداءهم الإلحاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة

مدنية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ المراد: مطهره عما هو وصم وعار، واللام وصل مؤكد ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما أولو الأحلام وسواهم ولرمؤ السوى أورد ما ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ الطاهر عما هو عوار ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ المحل أموره محالها.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ أهل الدَّو لا المدر ﴿رَسُولا مِنْهُمْ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مطهرهم مما هو إلحاد ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ كلام الله ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما حواه أحكامه وحكما ﴿وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ عمى ساطع أمرها.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[1] عملا وكرما وسؤددا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ العائل على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور محلها ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أعطى

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ هو عطف على " الأُمِّيِّينَ " أي بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم. ويجوز أن يكون منصوبا بالعطف على الهاء والميم في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ وَيُزَكِّيهِمْ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٩٢).

رسوله وأهل الإسلام معه ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على الأمم كلهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ وأمروا سلوكا على مسالكها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ولا عملوا كما أمروا ولا أسلموا لمحمد ردد الله له السلام ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كل ما دل على إرسال محمد ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المراد: أهل الإلحاد.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ المراد: الهود ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلحادا وردا لدعوى محمد صلى الله على روحه وسلم إرساله وعدم إسلامهم له ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر وعكسه ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [آية: ٩ - ١١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ المراد: الركوع الحاصل وسطه ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ أراد: الركوع المحرر ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا﴾ الأمر للحل ﴿فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا﴾ روموا واسألوا العطاء ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لعل أمركم حاصل على مرادكم أوحاه الله لرسوله لما مطر أهل الإسلام إلى سماع كوس صك لورد رواحل.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وحدك أو مع رهط ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ﴾ ما أعده على صالح ﴿خَيْرٌ﴾ للسالك على مسلك أوامره ﴿مِنَ اللهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المراد: هو المسئول العطاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المنافقون

مدنية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿إِذَا جَاءَكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾ وإسلامهم المحرر حاصل كلاما لا سرا وصدرا ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ﴾ المراد: عالم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ لما ادعوا الإسلام لإرسال محمد كلاما وأصروا على عدم إرساله سرا وعاكس إعلامهم سرائرهم.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ موئلا لأموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ صدا أو صددوا ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سوء عملهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ كلاما ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ داموا على إلحادهم سرا وصدرا ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ الإسلام أمدا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لوسامها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لسلط كلامهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ لطولهم وسواه ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ كلما صاح صائح لعسكر أو سواه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ للروع الحال صدورهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ المراد: عدم اطلاعهم على أسرار أهل الإسلام ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ودمرهم ﴿أَنَّى

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ عما هو إسلام مع سطوع الدلائل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [آية: ٥ - ٨]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا﴾ ألووا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ سمودا ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأهل الإسلام ﴿لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ مطورا إلى محالهم ودورهم ﴿وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وهو معط العوالم كلهم هؤلاء وسواهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿الأَعَزُّ﴾ أرادوا أرواحهم ﴿مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ أرادوا أهل الإسلام ﴿وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [آية: ٩ - ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ المراد: كل ركوع وصلاة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أراد: دلائله ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا﴾ هلا أو لو، ولا وصل لا مؤدى له ﴿أَخَّرْتَنِي﴾ المراد: الإمهال ﴿إِلَى أَجَلٍ

قَرِيبٍ﴾ إلى أمد ما ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾ مردود على محل ما هو أمامه ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مداركا للعمل الصالح ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ عمرها المحدود والمسمى لها ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم كلها، رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن

مختلف فيها، وآيها ثماني عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿يُسَبِّحُ لِلهِ﴾ مطهره عما هو وصم أو عار، واللام وصل لا مؤدى له ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أورد ما لحلول أهل الأحلام وسواهم ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ﴾ علم الله إلحاده ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ علم الله إسلامه ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ الحكم محركا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الأمم والعوالم كلهم ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ على حد سواء ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ سرائرها.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ السؤال لأهل أم رحم ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كملأ هود، وصالح وسواهم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ مآل إلحادهم حالا وهو إهلاكهم ﴿وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإسلام للرسل ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عما هو إسلام ﴿وَاسْتَغْنَى اللهُ﴾ عما سواه وعم إسلامهم عموم الأولى ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ محمود ولو عدم كل حامد.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها مطروح وهو الهاء ﴿لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالنُّورِ﴾ كرم الله المكرم ﴿الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وهو معاملكم على عملكم.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ لحلول أهل الصلاح محل أهل الطلاح لو عمل أهل الطلاح صلاحا ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ﴾ عملا ﴿صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للمكلم ومعه سواه كالأول وراء صالحا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المراد: كلام الله المكرم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لهم دار السوأى.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١] للركود والرسول لدى حلول اللأواء ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ﴾ دعاء الأمم إلى الإسلام ﴿الْمُبِينُ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١٤ - ١٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ المراد: ملهوكم عما هو سلوك على أوامر مولاكم ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ ما أساؤكم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ معاملكم كعملكم هؤلاء ولدكم ومملوككم.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ملهوكم عما هو صالح معادكم ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا﴾ ما أمركم سماعه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ على الرحم والمعدم وسواهما، أو المراد: سهم الأموال المأمور لإعطائه أحد أساس الإسلام ﴿خَيْرًا﴾ محمول على اسم عامل عكس الكامل ﴿لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ﴾ حرص ﴿نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأولى حصلوا أمورهم على مرادهم.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما أراد ﴿وَاللهُ شَكُورٌ﴾ لكل

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي بإرادته وقضائه. وقال الفراء: يريد إلا بأمر الله. وقيل: إلا بعلم الله. وقيل: سبب نزولها إن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا؛ فبين الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل، يقتضي هما أو يوجب عقابا عاجلا أو آجلا فبعلم الله وقضائه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٩).

طائع معامله على عمله ﴿حَلِيمٌ﴾ لو عامل كل عاص على ما عصاه.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ عكسه ﴿الْعَزِيزُ﴾ العائل إلى أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محالها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطلاق

مدنية، وآيها اثنتا عشرة آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الدعاء للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: هو وأهل الإسلام معه لعموم الحكم ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ المراد: الإرادة ﴿النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها، والمراد: سراحها لطهر ما مسها ولا وطئها وسطه ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ إكلاؤها وأكملوها ﴿وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾ سلوكا على أوامره وروادعه ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ﴾ إلى حلول الأطهار ﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ عهر ﴿مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ﴾ أومأ إلى الأحكام المار سردها ﴿حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ السراح ﴿أَمْرًا﴾ العود إلى أهول المرء المسرح.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وصولا إلى صدد مرور الأطهار ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ عودا إلى الأهوال والعصم ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على

السراح أو الأهوال والرد ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ﴾ أدوها على ملائم الحال والأمر ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ مما هو مكروه أو لأواء حالا ومآلا.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ موكلا لمولاه كل أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ كل ما أراده حاصل لا محال، ورواه راوٍ كمكرم عمرا ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كمحل وعكسه ﴿قَدْرًا﴾ حدا وعصرا محدودا.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾﴾ [آية: ٤ - ٧]:

﴿وَاللائِي﴾ ورواه راوٍ: واللاء ، ﴿يَئِسْنَ﴾ لهرم ﴿مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الدم ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي﴾ ورواه راوٍ: واللاء كالأول ﴿لَمْ يَحِضْنَ﴾ لعدم الوصول إلى عمر الدم واللاء أول كلام محموله مطروح، وهو كمحول اللاء الأول ﴿وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ﴾ سلوكا على مسالك ما أمره ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ حالا ومآلا.

﴿ذَلِكَ﴾ الحكم ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ الهاء لكل عرس سرحها ماهرها ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ وسعكم ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ المحل ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على

الإلساد ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ وأما على مال معلوم للإلساد ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ وما حصل الوئام على الإلساد كعدم إعطاء الوالد المال على إلسادها وعدم إلساد الأم الولد إلا مع المال ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ للوالد ﴿أُخْرَى﴾ ولا أكره للأم على إلساده.

﴿لِيُنْفِقْ﴾ المسرح والملسد وهو ﴿ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ﴾ أعطاه ﴿اللهُ﴾ المراد: لا الموسر مسهل له كحال المعسر، ولا المعسر مكره على إعطائه مال الإلساد أو السراح لأهله كإعطاء الموسر ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا﴾ أعطاها أموالا ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وحصل وعد الله لما حلوا أم رحم وحصلوا على الأموال.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [آية: ٨ - ١١]:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ المراد: أهلها عصوا أو سمدوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا﴾ لدى المعاد، وأورد ما صدر وأوراد ما هو صادر لحصوله على كل حال ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ هو ألم دار السوأى.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ هلاكا سرمدا.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كرره مؤكدا ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الإدراك والأحلام ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو كلامه المكرم ﴿رَسُولا﴾ معمول لعامل مطروح المراد، وأرسل لكم رسولا وهو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ حال ما هو أمام اسم الله، والعامل مع ما وراءه حال اسم الله الأول ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وراء ورود الكلام والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ عمى الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ لألاء الإسلام ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للمكلم ومعه سواه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾ عطاء دار السلام.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [آية: ١٢]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عددا ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أوله أعلى سماء إلى وصوله إلى أحط العوالم، والأمر هو ما أوحاه إلى الرسل، والحادر الملك الروح ردد الله لهم السلام ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ عامله مطروح، والمراد أعملكم الله لحصوله علمكم ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه كل معلوم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التحريم

مدنية، وآيها اثنتا عشرة آية

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(١) [آية: ١، ٢]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي لله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا، قالت فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير! أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: "بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له". فنزل: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ - إلى قوله - إِنْ تَتُوبَا﴾ لعائشة وحفصة"، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ لقوله: "بل شربت عسلا". وعنها أيضا قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فأحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة. فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك لا. فقولي له: ما هذه الريح؟ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح — فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل. فقولي له: جرست نحله العُرْفُط. وسأقول ذلك له، وقوليه أنت يا صفية. فلما دخل على سودة - قالت: تقول سودة والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي، وإنه لعلى الباب، فرقا منك. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: "لا" قالت: فما هذه الريح؟ قال: "سقتني حفصة شربة عسل" قال: جرست نحلة العرفط. فلما دخل علي قلت له مثل ذلك. ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك. فلما دخل على حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقك منه. قال "لا حاجة لي به" قالت: تقول سودة سبحان الله! والله لقد حرمناه. قالت: قلت لها اسكتي. ففي هذه الرواية أن التي شرب =

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الدعاء لمحمد أكمل الله له السلام ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ إحدى إمائك حرمها لما لامسها على وطاء عرس له والدها عمر، وصار طلاعها وإساءها لصدوره وسط دارها، وعلى وطائها ولما أراد سرورها رسول الله صلى الله على روحه وسلم وحرم الأولى أوحى الله لرسوله الحكم المسطور، أو حرم العسل ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ كحرار الملوك وسواه مما هو صوم أو إطعام، وهل حلل رسول الله صلى الله على روحه وسلم لا روى راوٍ حراره، وراوٍ عدمه لمحو الله له ﴿وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [آية: ٣ - ٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حرم له والدها عمر ﴿حَدِيثًا﴾ هو لما حرم إحدى إمائه المار سرده.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ سواها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللهُ﴾ أطلع الله رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَيْهِ﴾ الأمر المار ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ لعرسه وأعلمها اطلاع الله له ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ ما أعلمها اطلاع الله له كرما وحلما ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وهو الله.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ﴾ الكلام مع حرم الرسول، وهما عرس والدها الإمام الأول وعرس والدها عمر ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ رومًا لما هو كارهه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ﴾ مساعده ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإمام الأول لأهل

=

عندها العسل حفصة. وفي الأولى زينب. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٧٩).

الإسلام، وإلى الله له الإكرام ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ كلهم ردء ومساعد.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ﴾ رواه راوٍ ككرم، وراوٍ كهدد ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ إسلاما ﴿مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾ طوعا أو ركوعا ﴿تَائِبَاتٍ﴾ عما صدر ﴿عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ صوما ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ حملا على السلوك مسالك أمر الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ أهل الإلحاد، وكل راكع لسوى الله ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ الصور اللاء ركعوا لها ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ﴾ المراد: مأموروها، والموكول لهم أمرها ﴿غِلاظٌ﴾ كلاما أو إملأ ﴿شِدَادٌ﴾ أسرا أو أعمالا ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ المراد: ما هو عاصو أمر مولاهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ مؤكد للحكم أمامه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ الكلام لهم حال حلولهم إلى دار السوأى ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما أعد لكم على أعمالكم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٨]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ السدم على سوء العمل والإصرار على عدم العود ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ رد الواو الاسم الموصول على الرسول إكراما لهم ومدحا لحالهم ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الوصول إلى دار السلام ﴿وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ٩]:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ حساما ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ كلاما ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ كلمهم

الكلام الأمر ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سوء الدار لهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ المراد: حالهم كحالهم ولو لهم وصل رحم مع الرسول ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلحادا ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ لا والد سام، ولا لوط ردد الله لهما السلام ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللهِ﴾ مما أعده الله لهما على إلحادهما ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ ملأ والد سام، وملأ لوط.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: حالهم كحالها مع عدم رحمها إلى موسى أوصلها الله إلى أعلا العلى ولما سمع هو إسلامها لموسى عكمها، وطرح على صدرها رحى ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ مع ألمها وحالها ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ وحصل مأمولها وأراها الله محلها وسط دار السلام ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ملأه، وأهل مسلكه وأدركها حمامها، وروى راوٍ سمكها إلى السماء كالروح رسول الله ردد الله له السلام.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ الروح رسول الله إلى رسله طرح الروح وسط درعها وأوصلها الله إلى رحمها وصح الحمل وصوره رسولا لا أصل له ولا وسائط كماء ولد آدم ووالد واطئ امه ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ أحكامه ﴿وَكُتُبِهِ﴾ ما أوحاه إلى رسله ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ مع عداد أهل الطاعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الملك

ثلاثون آية، مكية

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ملك الأمور والعوالم كلها ﴿وَهُوَ عَلَى﴾ أسر ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده سوى المحال ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ كل داء مؤد له لدى حلول العمر ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ للورود إلى المعاد والسؤال ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أطوع إلى مولاه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المورد كل عاص موارد أعماله ﴿الْغَفُورُ﴾ لكل عائد وهائد له عما صدر مما هو سوء عمل.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لها ولسواها ﴿مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ عدم وأم ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ صدوع.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ لعدم إدراك صدع ما ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ محسوم عما رام لعدم حصوله.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن

شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٥ - ١١]:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا﴾ الهاء عائد إلى سعرها لا أصلها لدوامها محلها إلى الأمد ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ كلما حاولوا السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لهم دار السوأى ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ كما الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾(١) على أعداء الله أهل الإلحاد ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ ملأ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ الأملاك مأمورها ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ودعاكم إلى السلوك على مسلك أوامر الله وروعكم ما أعده لكل عاص.

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ وهل مكمل لكلام أهل الإلحاد، أو كلام الأملاك لهم لما حكوا رد دعوى رسلهم.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ سماع ادراك وارعواء ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ هو ردهم دعوى رسلهم وعدم إسلامهم لهم ﴿فَسُحْقًا﴾ طردا واطراحا ﴿لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ عما هو رحم وإكرام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ مروعهم ما أوعده لكل عاص أوامره ﴿بِالْغَيْبِ﴾ سرا وإصرار صدر ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو دار السلام ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أوحاه الله لما أمر أحد أهل الإلحاد أحدهم إسرار كلامه لعدم

---

(١) قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض؛ قاله سعيد بن جبير. وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد: تتفرق. ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ من الغليان. وأصل " تَمَيَّزُ " تتميز.. انظ الجامع لأحكام القرآن (٢١٢/١٨).

سماع إله محمد له ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ كلامكم ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)﴾ [آية: ١٥ - ١٧]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا﴾ سهل لكم السلوك والمطور على سطحها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أطوادها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ آلائه ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ مما هو لحود.

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ حكمه وأمره، وهو الله، أو المراد الأملاك ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ مورا وحراكا وسموكها إلى الأعلى.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ مطر حصى لإهلاككم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ حال حلوله على رؤوسكم ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أحاصل وحال أم لا.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)﴾ [آية: ١٨ - ٢١]:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأول رسلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وحلول هلاكهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ وسط الهواء ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عما هو حدور ﴿إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ محكم أموره كلها.

﴿أم من﴾ الاسم الموصول أول كلام ومحموله هو ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ﴾ ردء وعسكر مساعد ﴿لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ سواه لدى حلول هلاككم، والمراد: لا أحد مساعد لكم على رده ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلا فِي غُرُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله ﴿رِزْقَهُ﴾ المراد: الأمطار ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ﴾ سمود ﴿وَنُفُورٍ﴾ عما هو هدى.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ [آية: ٢٢ - ٢٤]:

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ عدلا ﴿عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ والمحمول داله أهدى الأول.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أسركم وصوركم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا﴾ ما وصل لا مؤدى له ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على آلاء مولاكم.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ أسركم ﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للورود على موارد الأعمال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧)﴾ [آية: ٢٥ - ٢٧]:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لأهل الإسلام والواو لأهل الإلحاد ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ مرادهم وعد المعاد وعصره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حدوه.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ﴾ هو العالم عصر وروده ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ المراد: رأوا ما أعد الله لهم على سوء أعمالهم ﴿زُلْفَةً﴾ على صدد لهم ﴿سِيئَتْ﴾ أسود ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ والمكلم الأملاك ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ادعوا عدم حصوله ووروده.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢٨ - ٣٠]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ المراد: الإعلام ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ﴾ لورود الحمام والهلاك ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ أهل الإسلام ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ وما أحل الهلاك ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لا أحد.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ والمراد: الرسول، وأهل الإسلام أم أهل الإلحاد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أراد: الإعلام ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ إلى محل لا وصول إلى الدلاء له ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ واصل له دلاؤكم سوى الله، والمراد: لا أحد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة ن

مكية، وآيها ثنتان وخمسون آية

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ
ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا
تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾
هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ
ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى
ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [آية: ١ - ١٦]:

﴿ن﴾ المعلوم أو اسم للسمك الله أعلم ما المراد ﴿وَالْقَلَمِ﴾ المحرر اللوح ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الأملاك.

﴿مَا أَنْتَ﴾ الكلام مع محمد رسول الله ردد الله له السلام ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وإرساله لك إلى الأمم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما ادعوا.

﴿وَإِنَّ لَكَ لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ محسوم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾ مسلك ﴿عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ الهوس والسعر، أو المراد: الأحرى للاسم المحرر هل الرسول، وأهل الإسلام أم أهل الإلحاد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له وأعلم كعالم ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَدُّوا لَوْ﴾ للمصدر ﴿تُدْهِنُ﴾ كحّلوا لكم لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ لك.

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ﴾ هدرا ﴿مَهِينٍ﴾ لا سؤدد له.

﴿هَمَّازٍ﴾ أكل لحوم الأمم، ﴿مَشَّاءٍ﴾ ساع ﴿بِنَمِيمٍ﴾ على مسلك الدحس، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ﴾ عاد ﴿أَثِيمٍ﴾.

﴿عُتُلٍّ﴾ صمل ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ ادعاه والده لا والد معلوم له لـ ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أولاد.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما حكاه الأمم الأول مما لا أصل له.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ معطسه وحصل له صك حسام علم معطسه.

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [آية: ١٧ - ٣٣]:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ الهاء لأهل أم رحم محلا وطوى ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ محل لحد الصلحاء كلما ورد عصر حصاده دعا كل صعلوك وأعطاهم ما ودعه الحصاد وطرحه الأرواح، ولما هلك عول أولاده على عدم سلوكهم مسالك والدهم حرصا على الأموال كما حكى الله وهو ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ المراد: صرم حملها ﴿مُصْبِحِينَ﴾.

﴿وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾ لما آلوا على صرمها.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ أمر أهلك الحامل والحمل ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ سوداء ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ محصولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ وكلكم معول على الصرم ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾.

﴿أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ صعلوك.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾ عصم إعطاء كل معدم وصعلوك ﴿قَادِرِينَ﴾ على العصم المحرر على حدسهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء ومحصولها هالك ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ مسالكها ولما علموها كلموا.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ محصولها لعصم إعطاء أهل العدم.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ عمرا أو إدراكا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله هودا.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لعصم أهل العدم ما لهم ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ مرادهم: هلكوا إهلاكا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ عداء لحدود الله.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ كما حل على هؤلاء المار سردهم مما هو ألم مأمول حلوله على أهل الحرم الحرام وكل ملحد سواهم ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لا سلموا وسلكوا مسلك الأوامر.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)﴾ [آية: ٣٤ - ٤١]:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾(١) عطاء

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ تقدم القول فيه؛ أي إن للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا. وكان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها؛ فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما =

وإكراما لا.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ كما هدرا داحسا ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ مرامكم وآمالكم.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ وهو حصولكم لدى المعاد لو صح وروده على إكرام وسؤدد سام على إكرام وسؤدد محمد، وأهل الإسلام معه أوحاه الله لما ادعوا ما حاصله لو صح أمر المعاد وحصل لحصلوا على إكرام أهل الإسلام ما هم محصلوه.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم المسطور ﴿زَعِيمٌ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ موامئوهم على ما ادعوا ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ أهل الوآم لهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)﴾ [آية: ٤٢ - ٤٧]:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ المراد: عسر الأمر وهوله ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ الركوع والصلاة ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لعدم أود مطاهم.

﴿خَاشِعَةً﴾ حال الواو ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أداء الصلاه ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ وما أدوها ولا صلوا كما أمروا.

﴿فَذَرْنِي﴾ المراد: دع ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ كلام الله المكرم ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ألد لا أحد حامل له.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على أمر الإرسال والدعاء إلى الله ﴿أَجْرًا﴾ مالا ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ

=

وعد الله المؤمنين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي كالكفار.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٤٦).

مُثْقَلُونَ﴾ ما هم حاملوه وعدم إسلامهم لعدم حملهم له.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوح المحرر وسطه الأمور كلها ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مما حرر وسطه ما ادعوه.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٨ - ٥٢]:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ السمك ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا مولاه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملؤ كدرا.

﴿لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ﴾ أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾ رحم ﴿مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ الدو ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مطرود.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أوحى له ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المراد: ما عم الإرسال.

﴿وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدا ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿وَمَا هُوَ﴾ كلام الله ﴿إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أهل الأحلام والإدراك الكامل لا لسواهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحاقة

مكية، وآيها اثنتان وخمسون

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ
۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦
سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ
نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿الْحَاقَّةُ﴾ المعاد والساعة.

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ أمرها أمر مهول.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ المراد: هولها لا كما الأهوال.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أمر المعاد وورود الأمم موارد الأعمال.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ لما صاح على رؤوسهم الملك الروح ردد الله له السلام وأهلكهم.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ لداء ما اسطاعوا ردها.

﴿سَخَّرَهَا﴾ سلطها الله ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ ولاء مكسور الواو ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ ملأ عاد ﴿فِيهَا صَرْعَى﴾ هلكى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ هواء.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ لا، والمراد: كلهم أعدموا.

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ
فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ

تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [آية: ٩ - ١٨]:

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ رواه راوٍ كوعده، والمراد: الأمم الأول، ورواه راوٍ كحوله مكسور الأول محرك الوسط، والمراد والأولى حوله وهم ملاؤه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ سواد ملأ لوط، والمراد أهلها ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أعمال السوء.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ هو لوط ردد الله له السلام وسواه ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ عدا حده إلى أعلا الأطواد ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ المراد: والدوهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ أو الألواح والدسر.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ المراد: حصل الأمر المحرر وهو سلام أهل الإسلام، وهلاك أهل الإلحاد ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سمعا وإدراكا، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ إلى السماء ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ صك كلاهما صكا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وحصل الأمر الموعود وهو المعاد ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ المراد: الأملاك كلهم ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الهاء عائد للسماء، والمراد أكارعها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ الهاء للأملاك ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ عدد الملك الحامل له.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ إلى الورود موارد الأعمال ﴿لا تَخْفَى﴾ وروى راوٍ أوله كما أورد للمرء ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لاطلاع الله على سرائركم كلها.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [آية: ١٩ - ٢٤]:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾ مدحا ﴿هَاؤُمُ﴾ اسم عامل كهاك ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ معمول للعامل أمامه، ومعمول هاؤم مطروح.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ المراد: العلم لا الحدس ﴿أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا﴾ حملها ﴿دَانِيَةٌ﴾ لكل أكل على كل حال والكلام لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ هو صالح الأعمال ﴿فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ المار عهدها مع الدار الأولى.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾ [آية: ٢٥ - ٣٧]:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ود ألا معاد وراء حمامه الأول ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ المراد: ما حواه أموالا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ المراد: داله وما ملكه.

﴿خُذُوهُ﴾ الأمر لأملاك سوء الدار ﴿فَغُلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أحلوه واسلكوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ معلل للحكم المار على طرح اللام ﴿كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَلا يَحُضُّ﴾ لا أمرا ولا عملا ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ على إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ﴾ رحم أو واد حام له عما أعده مولاه له ﴿وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ مهل أهل سوء الدار.

﴿لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ
﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [آية: ٣٨ - ٥٢]:

﴿فَلا﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾[1] المراد: كل ما هم راؤه حسا كالسماء وسواها ﴿وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ كل عالم ما أدركه حسكم.

﴿إِنَّهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ محمد، أو الملك الروح أكمل الله لهما السلام ﴿كَرِيمٍ﴾ على الله.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كدعواكم ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كادعائكم ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد كالأول لا مؤدى له ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع للكلام.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو هو ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ المراد: الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾ مما لا أصل له ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ المراد: لو ادعى ما لا أصل له لعومل ألدّ ما الملوك معاملوه لكل عاص أمرهم وحاصله الإهلاك.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ الهاء عائد للإهلاك أو للمهلك، وهو الرسول صلى الله على روحه وسلم ووالى له الإكرام لو ادعى ما لا أصل له ﴿حَاجِزِينَ﴾ لا أحد راد ما أراده الله له.

﴿وَإِنَّهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ وكلهم وارد موارد عمله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ المعنى أقسم بالأشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون. و"لا" صلة. وقيل: هو رد لكلام سبق؛ أي ليس الأمر كما يقوله المشركون. وقال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدا ساحر. وقال أبو جهل: شاعر. وقال عقبة: كاهن؛ فقال الله عز وجل: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ أي أقسم. وقيل: "لا" ها هنا نفي للقسم، أي لا يحتاج في هذا إلى قسم لوضوح الحق في ذلك، وعلى هذا فجوابه كجواب القسم. ﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يريد جبريل، قاله الحسن والكلبي ومقاتل. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٧٤).

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد لكلام الله ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ حال اطلاعهم ما أعده الله لأهل الإسلام وما أعده لأعدائه اللئام.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد على ما عاد الهاء الأول وما أمه ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ما عراه وهم طار.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ المراد: طهر اسم مولاك عما هو وصم أو عار، وعامل الكسر وصل لا مؤدى له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المعارج

مكية، وآيها أربع وأربعون

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى
ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ
كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ
ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى
تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦
تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [آية: ١ - ١٨]:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا داع، وهو أحد أهل الإلحاد لما سأل إمطار الحصى على رؤوسهم ﴿بِعَذَابٍ﴾ حلول ألم وهو أمطار الحصى ﴿وَاقِعٍ﴾.

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ راد.

﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مصاعد الأملاك أو العمل الصالح وهو السماء.

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ الملك معهم ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى محط أمر الله ﴿فِي يَوْمٍ﴾ معمول المطروح، وهو حلول الألم على رؤوسهم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ على الملحد، وهو عصر المعاد والورود موارد الأعمال.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا﴾ لا روع معه ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ الهاء عائد إلى حلول الألم على رؤوسهم ﴿بَعِيدًا﴾ لا حلول له أصلا، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ حاصلا وحالا لا محال وحلوله.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ ، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ طائرا مع الأرواح ﴿وَلا

يَسْأَلُ حَمِيمٌ﴾ والد أو ولد أو أم أو رحم ﴿حَمِيمًا﴾ أحد هؤلاء، وكل أحد سائل حاله وأمره لا سواه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ راء كل واحد الإحماء وما هو مكلمهم ولا هم مكلموه ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ الملحد ﴿لَوْ﴾ للمصدر ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ على الأصل ﴿بِبَنِيهِ﴾ أولاده.

﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ عرسه ﴿وَأَخِيهِ﴾.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ ما ركمهم أصل واحد أعلا ﴿الَّتِي تُئْوِيهِ﴾.

﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ العدل المسطور.

﴿كَلا﴾ ردع لما وده الملحد ﴿إِنَّهَا﴾ دار السوأى ﴿لَظَى﴾ اسم لها.

﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ اسم لمسك الرؤوس ﴿تَدْعُو﴾ دعاء أمر كلهم هلم، أو المراد: دعاء إهلاك كدعاه الله اهلكه ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ عما هو الهدى.

﴿وَجَمَعَ﴾ الأموال ﴿فَأَوْعَى﴾ وسط الوعاء، وما أدى سهمه المأمور لأدائه.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [آية: ١٩ - ٣٥]:

﴿إِنَّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ كامل الحرص أو المراد.

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ السوء ﴿جَزُوعًا﴾ رائعا.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ المال ﴿مَنُوعًا﴾ ما هو معط سهم الأموال المأمور لإعطائه.

﴿إِلا الْمُصَلِّينَ﴾ أهل الإسلام ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ هم ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ سهم الأموال أحد أساس الإسلام الإعطاء.

﴿لِلسَّائِلِ﴾ الإعطاء ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ لعدم سؤاله مع عدمه.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ المعاد.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ مروعهم ما أعده مولاهم وأعده لكل عاص أوامره.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ حلوله على كل عاص أو على الأعم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ كالإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ عدوا الحلال إلى الحرام.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأمَانَاتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ على العدد لا الواحد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ عهد الله أو عهد أحد سواه، والمراد: كل عهد عاهدوه ﴿رَاعُونَ﴾ كالئوه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ مؤدوها كما سمعوا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ على أدائها وكررها لعلوها وسموها على سواها ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٣٦ - ٤٤]:

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ إسراعا لورودهم إلى محلك حال.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ رهطا رهطا حولك وكلامهم لأهل الإسلام حاصله لو وصول هؤلاء إلى دار السلام أمرا حاصلا لحلوها هم أمام أهل الإسلام، وأوحى الله ردا على ما ادعوه.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ مع إلحاده وسوء مسلكه وأعماله.

﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عما أملوا الوصول له ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كسواهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ وهو ماء ولد آدم المهال إلى الأرحام، والأصل المحرر ما هو مطعمهم إلى وصول دار السلام والمطمع إلى الوصول لها وحلولها هو الإسلام والسلوك على مسلك أوامر الله ﴿فَلاَ﴾ لا وصل لا مؤدى له، والمراد ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ لكل لألاء ساطع كعطارد وسواه ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾.

﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ إهلاكهم وإحلال أمم سواهم محلهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ المراد: كل ما أراده حاصل لا عائل له.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ حلول الألم.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾(1) اللحود ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المعاد وورودهم موارد أعمالهم ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾ رواه راوٍ كسمع، وراوٍ كعمر، والمراد: ما سمك للركوع كالعلم ﴿يُوفِضُونَ﴾ إسراعا لها.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ﴾ أول كلام محموله هو ﴿الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ وروده وهو عصر المعاد.

---

(١) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَهم﴾ الذي قبله، وقراءة العامة ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضم الراء على أنه مسمى الفاعل. وقرأ السلمي والمغيرة والأعشى عن عاصم ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول. والأجداث: القبور؛ وأحدها جدث. وقد مضى في سورة "يس". ﴿سِرَاعاً﴾ حين يسمعون الصيحة الآخرة إلى إجابة الداعي.انظ الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٩٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح

مكية، وآيها تسع وعشرون

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى
كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟
وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ
إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا
﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾
وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [آية: ١ - ١٦]:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ﴾ للحل ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾ حال دوامهم على إلحادهم وعدم إسلامهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حالا، وهو إهلاكهم ومآلا، وهو إحلالهم سوء الدار والكدر الدائم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ﴾ للحل، أو على طرح عامل الكسر كالأولى ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾ المراد: ما عاد لله سوى ما عاد إلى ولد آدم ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ ممهلا أمر ألمكم وحلول ما أعده لكم

﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو ورود حمامكم ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ المحدود لورود هلاككم لو عدم إسلامكم ﴿إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مراده: لو أدركوه لأسلموا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا﴾ دائما ادعوهم إلى الإسلام.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا﴾ عما هو سلوك على مسلك أوامرك.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى إسلامهم ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ سدوا مسامعهم.

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ سمكوها إلى رؤوسهم ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على سوء مسلكهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عما دعاهم له ﴿اسْتِكْبَارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ صائحا ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ الدعاء إلى الهدى ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ الكلام والدعاء ﴿إِسْرَارًا﴾.

﴿فَقُلْتُ﴾ لهم ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عما هو إلحاد وأسلموا ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ لكل مسلم، أو عائد، وهائد إلى مولاه.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر لما عراهم المحل وعدهم حلول الأمطار ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا﴾ المراد: ما لهم ما أملوا لمولاهم مراعاه ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ طورا ماء، وطورا دما، وطورا لحما إلى إكمال الأسر.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أعلاها على أحطها.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ المراد: إحداها هو السماء الأولى ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ
عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾
وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ
أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ
يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ

دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [آية: ١٧ - ٢٨]:

﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ أسركم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ لما أسر وصور والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿نَبَاتًا﴾.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ لدى ورود حمامكم إلى اللحود ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ إلى المعاد والسؤال ﴿إِخْرَاجًا﴾.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا﴾ دحاها دحوا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً﴾ مسالك ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ ما أمرهم سلوكه ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ أراد: رؤساءهم الآلاء، ورواه راوٍ: ولده على وروده لعدد الولد كأسد وأسد ﴿إِلا خَسَارًا﴾ عمى وإلحادا.

﴿وَمَكَرُوا﴾ المراد: مكر الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ لردهم ما ادعاه رسولهم والد سام ردد الله له السلام.

﴿وَقَالُوا﴾ أراد الرؤساء لكل مرؤوس ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ مرادهم الركوع لها ﴿وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ رواه راوٍ كحد، وراوٍ كمد ﴿وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ كل هؤلاء أسماء صور ودمى لهم.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ الواو عائد إلى رؤسائهم لا إلى الصور لأمرهم ملأهم ركوعا إلى الصور ﴿كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾ دعا والد سام على أممه لما عصوا أمره.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ ما وصل لا مؤدى له إلا وروده مؤكدا ﴿أُغْرِقُوا﴾ لما علا الماء وأهلكهم ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ المراد: ألم اللحود، وهو حاصل لهم وسط الماء وكل محل حلوه، أو المراد: ألم دار السوأى ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَنْصَارًا﴾ لرد ما أعد لهم مولاهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أحدا، وأصله لمعمر الدار وحالها ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ مراده ما مولود لهم إلا ولد أمره صائر إلى الإلحاد.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وكلاهما مسلم ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ أراد داره أو مصلاه ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كلهم إلى حلول الأدوار وحل الأعصار ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا﴾ هلاكا وأهلكوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجن

مكية، وآيها ثمان وعشرون آية

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ
صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ ﴾ [آية: ١ - ٥]

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الأمر للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: أعلم ملأك ما أوحاه الله لك وهو ﴿أَنَّهُ﴾ الهاء للحال والأمر ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا﴾[1]

(١) قال الرازي: اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت الجن ونفيه فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره وذلك لأن أبا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء الجن حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح للاسم فقوله وهذا شرح للاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمونها بالأرواح السفلية وزعموا أن الأرواح السفلية أسرع إجابة إلا أنها أضعف وأما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابة إلا أنها أقوى واختلف المثبتون على قولين فمنهم من زعم أنها ليست أجساماً ولا حالة في الأجسام بل هي جواهر قائمة بأنفسها قالوا ولا يلزم من هذا أن يقال إنها تكون مساوية لذات الله لأن كونها ليست أجساماً ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية قالوا ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها في هذا السلب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد استوائها في الحاجة إلى المحل فبعضها خيرة وبعضها شريرة وبعضها كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله قالوا وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالخبريات قادرة على الأفعال فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأحوال الخبرية وتفعل الأفعال المخصوصة ولما ذكرنا أن ماهياتها مختلفة لا جرم لم =

لملأهم لما سمعوا كلام الله وعادوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ مؤداه وسرده وكلامه.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإسلام والمسلك الموصل إلى الله ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ لسطوع الدلائل على الله.

﴿وَأَنَّهُ﴾ الهاء عائد للأمر، أو الحال كالهاء أمامه ووراءه، وروى العامل المؤكد راوٍ مكسور الأول ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ وسعه عما سواه أو علاه، وكماله عما هو وصم أو عار ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ عرسا أو أهلا ﴿وَلا وَلَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ المراد: سوى العالم ﴿عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾ عداء لا أصل له كادعائه الأهل والولد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وهو ادعاؤهم للولد أو الأهل له.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [آية: ٦ - ١٠]:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلما وصل أحدهم إلى محل سأل الله وسع سوء عماره ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ الواو لولد آدم والهاء لولد الوسواس ﴿رَهَقًا﴾ سمودا.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ الهاء والواو عائد لولد الوسواس ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ الكلام لولد آدم، وحدسهم هو عدم العوالم والأمم إلى المعاد وورودهم موارد الأعمال كما حكى الله، وهو ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ وراء وروده مصارع حمامه.

=

يبعد أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قدر البشر ولا يبعد أيضاً أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم. انظر تفسير الرازي (٣٠/ ١٣١).

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ وسماعهم الأوامر ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ حراسا وهم الأملاك ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ لما أرسل رسول الله محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أولا ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أرصد له.

﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ مرادهم لما ردعوا عما هو سمع لأمور السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وصلاح حال.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)﴾ [آية: ١١ - ١٧]:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ أهل الإسلام لمحمد أكمل الله له السلام ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ ملأ ما هم أهل إصلاح ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أهل إسلام، وأهل إلحاد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها الهاء مطروح ﴿لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إلى محل أراده وأعده.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ كلام الله المكرم ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا﴾ هو حطا مما عمل صالحا ﴿وَلا رَهَقًا﴾ عدوا كرموا على عمل طالح.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أهل إلحاد ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أموا وحاولوا الهدى.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وروى راوٍ العامل المؤكد كلما ورد مكسورا إلا ما صدره الوارد أول ما هو مكمل للعامل كما أو ما ورد وراء ما أدى مؤدى حكى.

﴿وَأَن﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ مسلك الإسلام، والواو عائد على أهل الحرم الحرام ملحدهم ﴿لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ المراد: حلول الأمطار لما أمحلوا أعواما.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لعلم حمدهم أو إلحادهم علم سطوع وإلا هو عالم سرائرهم

وأعمالهم كلها ما صدر وما هو صادر ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ كلامه المكرم ﴿يَسْلُكْهُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للمكلم ومعه سواه ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ المراد: ما حمله عسر والعمل الحار.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلا بَلاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)﴾ [آية: ١٨ - ٢٤]:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ محال الركوع والصلاه ﴿لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ ردع عما هو ركوع إلى سواه.

﴿وَأَنَّهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ﴾ رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَدْعُوهُ﴾ أورد الدعاء وأراد الركوع والأله ﴿كَادُوا﴾ كاد أولاد الوسواس ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ركاما أحدهم على أحدهم حرصا على سماع كلام الله المكرم.

﴿قُلْ﴾ محمد صلى الله وسلم على روحه لما سأله أهل الإلحاد وداع ركوعه إلى الله، ورواه راوٍ على الأمر ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ وحده إلها ﴿وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ عمى ﴿وَلا رَشَدًا﴾ هدى.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾ المراد: مما أعده لكل عاص أوامره ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مُلْتَحَدًا﴾ موئلا.

﴿إِلا بَلاغًا﴾ حاصل المرام لا أملك لكم هدى إلا دعائكم الله ﴿مِنَ اللهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ لا وحد الله، ولا أسلم لرسوله، ولا سلك على مسلك أوامرهما ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ راعى مؤدى الاسم الموصول وعدد حال ما عاد له وهو هاء له وراء العامل المؤكد ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ واطلاعهم على ما أوعدهم حلوله هو أما لأمر الله رسوله محمدا ردد الله له السلام الكر على أعدائه، وأما حاصل لدى المعاد وهو ألم دار السوأى ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ لدى حلوله ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أهم أم أهل الإسلام والرسول ردد الله له السلام.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿قُلْ إِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ مدى وطولا لحلوله أوحاه الله لما سألوا مدد حلول الألم.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ﴾ ما هو مطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾.

﴿إِلا مَنِ ارْتَضَى﴾ لاطلاعه ﴿مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاع الله على ما أراد ﴿يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ الهاء للرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أملاكا حراسا.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله علم سطوع ﴿أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ الواو للرسلل ﴿رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ علم الله ما لدى الرسل ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ والأصل أحصى عدد كل ما سواه وأحصى عده الرمل والأمصار.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل

مكية، وآيها عشرون آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [آية: [آية: ١ - ١٠]:

﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ المكور وسط مروطه، وهو محمد رسول الله صلى الله على روحه وسلم كور وسط المروط لما أوحى الله وراءه ما أوحاه الله لوروده أو العهد.

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ صل ﴿إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلا﴾.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا﴾[1] هو كلام الله المكرم ﴿ثَقِيلا﴾ ألد.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ المراد: أم الركوع وراء الكرى ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ وأم السمع للردع إدراكا لكلام الله، وحاصل المراد: كراك أول المساء وأمك وراءه إلى إملاء كلام الله والركوع أولى لحصوله وراء الراحة ﴿وَأَقْوَمُ قِيلا﴾ أسد وأسطع كلاما.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سنُلقي عليك قولا ثقيلا﴾، قال القشيري: (ثقيلا) أي: له خطْر، ويقال: لا يقوى عليه إلا مَن أيّد بقوة سماوية، ورُبّي في حجر التقريب. هـ. قال الورتجبي: وكيف لا يثقل قولهُ سبحانه وهو قديم، وأجدر أن تذوب تحت سطوات عزيته الأرواح والأشباح والأكوان والحدثان، بل هو بذاته يحمل صفاته لا غير، وكان عليه السلام مؤيداً بالاتصاف بالحق، فكان يحمل الحق بالحق. هـ. انظر البحر المديد (٨/٢٨٣)

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا﴾ عسر معه إملاؤك لكلام الله.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ هلله دائما ودم على حمده ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا﴾ سلم روعك وركوعك له عما سواه.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا﴾ موكولا له أمورك كلها.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ ملحدو الحرم مما هو إسماع مكروه لك ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ كل أمرهم إلى مولاك كما أمره.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾﴾ [آية: ١١ - ١٤]:

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ المراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أهل الأموال والآلاء ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا﴾ عصرا أو إمهالا ما.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا﴾ أداهم واحدها الأدهم ﴿وَجَحِيمًا﴾.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما سوى ما سطر.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملا مركوما ﴿مَهِيلا﴾ سائلا وراء ركمه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا (١٩)﴾ [آية: ١٥ - ١٩]:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم والحرم الحرام ﴿رَسُولا﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ لدى المعاد والورود موارد الأعمال ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ هو موسى ردد الله له السلام.

﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا﴾ ألد.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ المراد: لو داموا على إلحادهم إلى ورود حمامهم ﴿يَوْمًا﴾ المراد: ألمه ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ هو له.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾ حاصل لها صدوع ﴿بِهِ كَانَ وَعْدُهُ﴾ وعد حصوله ﴿مَفْعُولا﴾ هو

حاصل لا محال.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ صراطا مسلما، وهو الإسلام والسلوك على ما أمر والوداع لما حرم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [آية: ٢٠]:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ ورواهما راوٍ على الكسر ردا على المعمول لعامله ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ﴾ محص ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروح ﴿لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ وعاد إلى الأمر الأسهل راحما حالكم ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ صلوا واركعوا ما سهل لكم ركوعه ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد، والاسم الهاء مطروح ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ﴾ سواحا ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ الأموال أو العلوم ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ كرا على أعدائهم وأعدائه أهل الإلحاد ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ صلوا ما سهل ركوعه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ العصر وما وراءها، وما أمامها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ السهم المحدود ﴿وَأَقْرِضُوا اللهَ﴾ كسائر الإعطاء للمحارم وكل معدم ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مع عدم الكره ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾ المراد: ما أعطاه أحدكم أولى مما أوصاه ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ﴾ دائما لسوء الأعمال ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل مسلم سائله محو سوء أعماله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المدثر

مكية، وآيها خمس وخمسون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ
فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ
يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ [آية: ١ - ١٠]:

﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ المكور وسط مروطه، وهو محمد صلى الله على روحه وسلم كور وسط مروطه لما أوحى الله له وراعه ما أوحاه لوروده أول العهد.

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ روع أهل الحرم الحرام ما أعده الله لكل عاص أوامره.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عما سواه.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عما هو راد لصالح الركوع أو عما هو طول لها.

﴿وَالرُّجْزَ﴾ الركوع إلى الصور ﴿فَاهْجُرْ﴾ المراد: دُم على وداعه أو المأمور الرسول، والمراد أمر الرسول لهم.

﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ ردع للرسول وحده صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على مر الأوامر والروادع.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ الصور، والمراد: أرسل ملكه روحه وسطه لورود العوالم إلى السؤال وراء الأولى ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وسهل على أهل الإسلام كما دل له السرد.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ۝١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ۝١٦
سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾
إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا
تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [آية: ١١ - ٣٠]:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ حال الهاء عائد الاسم الموصول، والمراد: لا أهل له ولا مال، وهو الموسوم على معطسه.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا﴾ واسعا محصولا وأموالا.

﴿وَبَنِينَ﴾ أولادا ﴿شُهُودًا﴾ معه كل أمر ومحل.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ﴾ المال والعمر والولد ﴿تَمْهِيدًا﴾.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ على ما راءه.

﴿كَلا﴾ لا رمؤ على الآلاء المحرر سردها ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿عَنِيدًا﴾.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ اسم طود وسط سوء الدر صاعده ولدى وصوله إلى أعلاه هاو إلى مالا مدى له.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ وصور وصمما لكلام الله لما سمعه ﴿وَقَدَّرَ﴾ ما صوره.

﴿فَقُتِلَ﴾ طرد أو أهلك وأولم ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ كرره رموًا للوصم.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ إلى ملأه أو الى ما هو واصم كلام الله.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ وكلح لما رأى لا وصول إلى وصمه كلام الله ﴿وَبَسَرَ﴾ رمأ كلحا.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عما هو إسلام ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عما هو سلوك على مسالك الرسول.

﴿فَقَالَ﴾ لما عدم الوصم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أومأ إلى كلام الله ﴿إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أحله ﴿سَقَرَ﴾ اسم سوء الدار.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ أمرها أمر مهول لا كالأهوال.

﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ لأهلها لا لحما ولا دما ولا سواه، وهو عائد إلى حاله الأولى ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكا وهم مأمورها.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [آية: ٣١]:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ عددهم المسطور ﴿إِلا فِتْنَةً﴾ ورمؤ عمى ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومحلا لسؤالهم لمد عددهم كما عد، ولا هم أعلا ولا أحط عددا مما حرر ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم الهود لوروده كما حرر وسط الكلام الموحى لرسولهم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كولد سلام ﴿إِيمَانًا﴾ طارد الكل وهم عار ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كملأ حلوا مصر لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ الأولى حلوا أم رحم والحرم الحرام ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا﴾ العدد المسطور ﴿مَثَلا﴾ سموه لما رأوه كالمحال ﴿كَذَلِكَ﴾ كعمى هؤلاء ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أملاكا وأحوالهم ﴿إِلا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ سوء الدار ﴿إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾.

﴿كَلا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٧]:

﴿كَلا﴾ وارد مورد إلا ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ حصحص وسطع ﴿إِنَّهَا﴾ الهاء عائد لسوء الدار ﴿لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[1].

﴿نَذِيرًا﴾ حال وأورده كالواحد لورودها مورد الألم ﴿لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى دار السلام مسلما أو إلى كل عمل صالح.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿كَلا وَالْقَمَرِ﴾ قال الفراء: "كلا" صلة للقسم، التقدير أي والقمر. وقيل: المعنى حقا والقمر؛ فلا يوقف على هذين التقديرين على "كلا" وأجاز الطبري الوقف عليها، وجعلها ردا للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم؛ أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار. ثم أقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي ولى وكذلك "دبر". وقرأ نافع وحمزة وحفص "إذ أدبر" الباقون "إذا" بألف و"دبر" بغير ألف وهما لغتان بمعنى؛ يقال دبر وأدبر، وكذلك قبل الليل وأقبل. وقد قالوا: أمس الدابر والمدابر. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩/٨٤).

﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾
وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ
ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ
تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ
وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [آية: ٣٨ - ٥٦]:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ كل أحد وارد مورد عمله إلى سوء الدار ﴿إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أهل الإسلام ما هم رأو ألمها وهم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وكلامهم وسؤالهم ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أحلكم ﴿فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أمر المعاد والورود موارد الأعمال.

﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ الحمام ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ الأملاك والرسل والصلحاء.

﴿فَمَا﴾ اسم سؤال أول كلام محموله ﴿لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال لهم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾.

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ اسمر الأسد ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ كما سألوها رسول الله صلى الله على روحه وسلم.

﴿كَلا﴾ ردع لهم عما أرادوه وسألوه الرسول ﴿بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ المراد: ألمها وما أعد لهم على سوء عملهم.

﴿كَلا﴾ وارد مورد إلا ﴿إِنَّهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ واسمعه وارعوى ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام لأهل السماع ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لكل سالك على مسلك أوامره.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة

مكية، وآيها أربعون آية

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن
نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ
أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [آية: ١ - ١٢]:

﴿لا﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿وَلا﴾ وصل كالأولى ﴿أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أهلها، ولو حصلوا كل الصلاح ووصلوا إلى اسمى مدارك الكمال.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ﴾ الملحد ﴿أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ للمعاد والورود موارد العمال.

﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾ مع ركمه ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام وصل وعامل المصدر مطروح ﴿أَمَامَهُ﴾ ما هو حاصل أمامه، وهو أمر المعاد ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ﴾ مكسور الراء، والمراد: حار، ورواه راوٍ كلمح سردا ومؤدى.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أسود ومطر لألاؤه.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ كطلوعهما مما هو محل دلوكهما، أو المراد مطور لآلائهما وأسودادهما لدى المعاد ﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

﴿كَلا﴾ ردع عما هو روم له ﴿لا وَزَرَ﴾ لا موئل لأحد ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ
﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٣ - ١٩]:

﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ عمله الأعمال ووداعه لها.

﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أمر دال على أعماله صالحها لأداء حواسه الأعلام على أعماله كلها.

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ كل ما أورده مردود.

﴿لا تُحَرِّكْ﴾ الردع للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم، والمراد: أمام إكمال أداء الملك الروح لك ما أوحاه مولاك ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ وسط صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ المراد: أسمعكه الملك الروح ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ كرره كما أسمعك الملك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ لك وصل ما عسر.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ
رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ
ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ
رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن
يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾
فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾
[آية: ٢٠ - ٤٠]:

﴿كَلاَّ﴾ وارد مورد إلا ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدار الأولى.

﴿وَتَذَرُونَ﴾ ورواهما راوٍ على وردهما لسماع الكلام ﴿الآخِرَةَ﴾ لعدم عملهم لها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ وسماء ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لا على مسلك الحد أو الحصر، أو المراد: إلى أمره وآلائه وهو مردود.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كلحا ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ هو ما كسر المطا.

﴿كَلا﴾ ورد مورد إلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿التَّرَاقِيَ﴾ أعلى الصدر صعودا.

﴿وَقِيلَ﴾ المكلم الأولى حوله ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ له مما عراه ودهمه.

﴿وَظَنَّ﴾ المراد: علم علما حاسما لكل وهم ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ وهما كلاهما لدى الورود على مصارع الحمام ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ المراد: إلى حكمه وأمره.

﴿فَلا صَدَّقَ﴾ الهالك لا أسلم ﴿وَلا صَلَّى﴾ الهالك لا أسلم ولا صلى.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ كلام الله ورسوله ﴿وَتَوَلَّى﴾ عما هو هدى.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ المراد: لوى مطاه سمودا ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ اللام وصل، والمراد: أولاه الله ما هو كارهه أو اللام أصل، والمراد: أولى لك الهلاك ﴿فَأَوْلَى﴾.

﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ كرره مؤكدا.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملا لا أمر ولا ردعا.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ مهالا وسط الأرحام، ورواه راوٍ على عوده إلى ولد آدم.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ الماء المهال إلى الرحم ﴿عَلَقَةً﴾ دما ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ عدله.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ الهاء عائد إلى الماء الصائر دما ووراء الدم لحما ﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ والأصل واحد وهو الماء.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الأسر لهؤلاء ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ والأسر مما هو دم أو لحم أو ماء أسر مما هو حصحص.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الإنسان

مكية، وآيها إحدى وثلاثون آية

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾[1] [آية: ١ - ٤]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أنه سبحانه بين في أول السورة أن الإنسان وجد بعد العدم بقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الانسَـانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان: ١) ثم بين أنه سبحانه خلقه من أمشاج، والمراد منه إما كونه مخلوقاً من العناصر الأربعة أو من الأخلاط الأربعة أو من ماء الرجل والمرأة أو من الأعضاء والأرواح أو من البدن والنفس أو من أحوال متعاقبة على ذلك الجسم مثل كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً، وعلى أي هذه الوجوه تحمل هذه الآية، فلذلك يدل على أنه لا بد من الصانع المختار جل جلاله وعظم كبرياؤه. ثم بين بعد ذلك أني ما خلقته ضائعاً عاطلا باطلا، بل خلقته لأجل الابتلاء والامتحان، وإليه الإشارة بقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ (الإنسان: ٢) وههنا موضع الخصومة العظيمة القائمة بين أهل الجبر والقدر، ثم ذكر تعالى أني أعطيته جميع ما يحتاج إليه عند الابتلاء والامتحان، وهو السمع والبصر والعقل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢) ولما كان العقل أشرف الأمور المحتاج إليها في هذا الباب أفرده عن السمع والبصر، فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ (الإنسان: ٣) ثم بين أن الخلق بعد هذه الأحوال صاروا قسمين: منهم شاكر، ومنهم كفور، وهذا الانقسام باختيارهم كما هو تأويل القدرية، أو من الله على ما هو تأويل الجبرية، ثم إنه تعالى ذكر عذاب الكفار على الاختصار، ثم ذكر بعد ذلك ثواب المطيعين على الاستقصاء، وهو إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢) واعلم أن الاختصار في ذكر العقاب مع الإطناب في شرح الثواب يدل على أن جانب الرحمة أغلب وأقوى، فظهر مما بينا أن السورة من أولها إلى هذا الموضع في بيان أحوال الآخرة، ثم إنه تعالى شرع بعد ذلك في أحوال الدنيا، وقدم شرح أحوال المطيعين =

﴿هَلْ﴾ أصله أهل ﴿أَتَى عَلَى الإنْسَانِ﴾ المراد: آدم ردد الله له السلام أو كل ولده ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ لو حمل على آدم، المراد: لما صوره وهو وحل وحما لا روح له، ولو حمل على كل ولده المراد: عصر الحمل وهو ماء، أو دم وسط الرحم وحما لا روح له ولو حمل على كل ولده المراد: عصر الحمل، وهو ماء أو دم وسط الرحم ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ المراد: أسره مسوط مما هو ماء المرء وماء عرسه حال الوطء ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ طورا ماء، وطورا دما، وطورا لحما إلى سوى ما حرر ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ صراط الهدى لإرسال الرسل وسمك الدلائل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مسلما، ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ملحدا، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢

=

على شرح أحوال المتمردين. أما المطيعون فهم الرسول وأمته، والرسول هو الرأس والرئيس، فلهذا خص الرسول بالخطاب. واعلم أن الخطاب إما النهي وإما الأمر، ثم إنه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول من النهي والأمر، قدم مقدمة في تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلّم، وإزالة الغم والوحشة عن خاطره، وإنما فعل ذلك، لأن الاشتغال بالطاعة والقيام بعهدة التكليف لا يتم إلا مع فراغ القلب ثم بعد هذه المقدمة. ذكر نهيه عن بعض الأشياء، ثم بعد الفراغ عن النهي، ذكر أمره ببعض الأشياء، وإنما قدم النهي على الأمر، لأن دفع الضرر أهم من جلب النفع، وإزالة ما لا ينبغي مقدم على تحصيل ما ينبغي، ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك أحوال المتمردين والكفار على ما سيأتي تفصيل بيانه، ومن تأمل فيما ذكرناه علم أن هذه السورة، وقعت على أحسن وجوه الترتيب والنظام، فالحمد لله الذي نور عقل هذا المسكين الضعيف بهذه الأنوار، وله الشكر عليه أبد الآباد. انظر تفسير الرازي (٣٠/٦٥٩).

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴾ [آية: ٥ - ١٤]:

﴿إِنَّ الأبْرَارَ﴾ هم كل طائع وسالك مسلك الأوامر والروادع ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ المراد: راحها أورد المحل وأراد الحال ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿عَيْنًا﴾ حل لما أمامه ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هم موصلو أمواهها إلى كل محل أرادوه.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أوامر الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ساطعا.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ مع ودادهم ووطرهم له ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ لا والد له ﴿وَأَسِيرًا﴾ ما صور الأداء مال أو سواه.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ المراد: كلامهم للأولى أطعموهم الكلام المحرر، وكلام حالهم علمه الله وحمدهم ﴿لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ على الإطعام.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أهله ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ كالح أهله ألد الكلح لهوله.

﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ وساما ﴿وَسُرُورًا﴾.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ عما صادم أوامر مولاهم ﴿جَنَّةً﴾ حلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ كساهموه.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ حال هم أمامه ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السرر ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ المراد: لا حرا ولا صرصرا، أو المراد: ولا هلالا.

﴿وَدَانِيَةً﴾ حال ﴿عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ المراد: سهل حملها لكل آكل على كل حال ﴿تَذْلِيلا﴾.

﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾﴾ [آية: ١٥ - ١٨]:

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ كؤوس لا عرى لها ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾.

﴿قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا﴾ معطوها على ما الكارع المعطى راو ﴿تَقْدِيرًا﴾ لا رمؤ ولا حط.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ راحا أورد المحل وأراد الحال ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا﴾ المراد: ما حاكى طعمه لا هو.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا﴾ هو السلسل والسلسال، والمراد: سهل الكرع والمعاطاه.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١٩ - ٢٦]:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لوسامهم ﴿لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ مما هو سلكه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعا لا مدى له.

﴿عَالِيَهُمْ﴾ أعلاهم ﴿ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾ مسموك ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ المراد: وأساور مما هو أحمر معا ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ لا كالراح المعهود أمرها لهم.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ المسطور كله ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ مؤكدا وحاد ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلا﴾.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وادع الأمم إلى الله، وحكم المولى هو علو الرسول صلى الله على روحه وسلم على أهل الإلحاد ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ كل أحد وسمه كما حرر، أو هما لموسوم على معطسه وواحد معه معلوم.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ حال ركوعك ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ الركوع الأول إلى الركوع العصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ ركوعا المساء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا﴾ هو ركوع الطوع.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ

وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [آية: ٢٧ - ٣١]:

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدار الأولى وحطامها ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ المراد: أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلا﴾ هو المعاد، وورودهم موارد الأعمال، والمراد: ما أعدوا له ولا عملوا.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أوصالهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا﴾ كإهلاكهم وإحلال سواهم محلهم.

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أومأ إلى السورة ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ صراطا مسلما، وهو السلوك على أوامر مولاه.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام إلى السامع ﴿إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ سلوكهم على مسلك أوامره ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ وهو على ما هو دائما ﴿حَكِيمًا﴾.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ دار السلام، وهم أهل الإسلام ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما وهم أهل الإلحاد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المرسلات

مكية، وآيها خمسون آية

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١ - ١٥]:

﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾ الأملاك، أو أحكام كلامه المكرم، أو الأرواح الحوامل للأمطار ﴿عُرْفًا﴾ كما للصاهل وهو معمول على الحال ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾ العلم لو حمل المرسل على الأملاك، والمراد: المطر، لو حمل على الأرواح ﴿نَشْرًا﴾.

﴿فَالْفَارِقَاتِ﴾ الحلال عما هو حرام، والمراد: أحكام كلام الله المكرم ﴿فَرْقًا﴾ مصدر مؤكد لعامله.

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ﴾ الملاك ﴿ذِكْرًا﴾ ما أوحاه الله إلى رسوله، أو الأول الرسل لا الملاك وما أدوه إلى الأمم مما هو أحكام الله.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ كلاهما مصدر الأول لمحو ما ساء وما أمه لما روع.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ الكلام لأهل ملحدهم وما أوعدوه هو أمر المعاد وورودهم على موارد أعمالهم ﴿لَوَاقِعٌ﴾ حاصل لا محال.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ لمحو لآلائها.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ وصار لها صدوع.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ وصار كل طود رملا طائرا مع الأرواح.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ وروى راوٍ أوله الواو على الأصل، والمراد: حد لهم عصر لورودهم وإطلاعهم لدى سؤال الأمم ﴿لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ هوله لا كالأهوال ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أوعدهم وهددهم.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٦ - ١٩]:

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ الأمم الأول كملأ لوط، وعاد، وصالح وسواهم.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾ هلاكا، وهم أهل أم رحم.

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ كل ملحد، والمراد: لو أراد إهلاكهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم كرره مؤكدا.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [آية: ٢٠ - ٢٤]:

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[1] ماء ولد آدم المهال إلى الأرحام حال الوطء.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ مدد الحمل.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ما حرر ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أعاده مؤكدا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا﴾ مصدر وارد مورد الركم لركمها الأمم.

﴿أَحْيَاءً﴾ على مطاها وسطحها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ وسطها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوادا ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ حلوا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل وأعاده مؤكدا.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ أي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم.وهذه الآية أصل لمن قال: إن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده. وقد مضى القول فيه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٥٩).

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٢٩ - ٣٧]:

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ هو ألم سوء الدار ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾.

﴿لا ظَلِيلٍ﴾ كما أوهم سرده مما هو حر ﴿وَلا يُغْنِي﴾ ولا هو راد حرا ما ﴿مِنَ اللهَبِ﴾.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ لعلوه وسموه ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ رواحل ﴿صُفْرٌ﴾ هو المعلوم أو المراد سود ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣٨ - ٤٠]:

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ الأمم الأول الأولى حالهم كحالكم ردا لدعوى الرسل.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ المراد: كما كادوا أولا أهل الإسلام ﴿فَكِيدُونِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤١ - ٥٠]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ﴾ مما هو حر ﴿وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وسط

دار السلام.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم وكلم أهل الإلحاد أمرا.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا﴾ طول عمركم إلى ورود حمامكم ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ صلوا ﴿لا يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم الموحى لرسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ والمراد: إسلامهم أمر محال.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النبأ

مكية، وآيها إحدى وأربعون آية

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [آية: ١ - ١٦]:

﴿عَمَّ﴾ معمول لعامل مطروح دل له ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ وهو أمر المعاد سلمه أهل الإسلام ورده أهل الإلحاد.

﴿كَلا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ هل هو حاصل أم لا، أو ما هو حال على رؤوسهم لردهم أم المعاد.

﴿ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ﴾ كرره مؤكدا لما وعدهم وهددهم.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾[1] كالمهد لهم.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿ألم نجعل الأرض مِهاداً﴾ أي: بساطاً وفراشاً، فرشناها لكم حتى سكنتموها. وقُرِىء " مَهْداً " تشبيهاً لها بمهد الصبي، وهو ما يمهّد له لينام عليه، تسمية للممهود بالمصدر. ولمّا أنكروا البعث قيل لهم: ألم يَخلُق مَن أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة، فلِمَ تُنكرون قدرته على البعث؟ وما هو إلا اختراع مثل هذه الاختراعات، أو: قيل لهم: لِمَ فعل هذه الأشياء، والحكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، وإنكارُ البعث يؤدّي إلى أنه =

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ لعدم مورها.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحه.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ لسواده.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ لروم المصالح.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ محكما أعمارها ما هادمها مرور الدهور والأعصار.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ حارا، وهو ما محا سطوعه أسحم المساء.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ الركام الممطر ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ هاطلا.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالسمراء وكل محصول ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالكلأ ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [آية: ١٧ - ٢٠]:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ والحكم على الأمم ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ لأهل الصلاح والطلاح لورود كل على موارد أعماله.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ﴾ إلى المعاد والورود على الأعمال ﴿أَفْوَاجًا﴾ ملأ ملأ.

﴿وَفُتِحَتِ﴾ ورواه راوٍ كهدد، والمراد: صار لها صدوع ومسالك للأملاك ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ صار كل طود رملا وسط الهواء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كالعصار.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢١ - ٣٠]:

=

عابث في كل ما فعل؟ ومن هنا يتضح أنَّ الذي وقع عنه التساؤل هو البعث، لا القرآن أو نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل. والهمزة للتقرير. والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الإلزام والتبكيت. انظر البحر المديد (٣٣٠/٨)

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ دار رصد.

﴿لِلطَّاغِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مَآبًا﴾ معادا لهم ومأوى.

﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ دهورا لا مدى لها ولا حد.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ هو الكرى ﴿وَلا شَرَابًا﴾.

﴿إِلا حَمِيمًا﴾ هو الماء الحار ﴿وَغَسَّاقًا﴾ كل سائل كالمهل والدم.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ وأماً لأعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ما راعهم أمر السؤال وورودهم موارد الأعمال لردهم أمر المعاد.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿كِذَّابًا﴾ مصدر مطرد وروده.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ ما هو عمل ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ المراد: كل عملهم محرر وسط اللوح ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾ على ألمكم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣١ - ٤٠]:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ وسط دار السلام ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ واحدها الحوراء سام ملسدها ﴿أَتْرَابًا﴾ على عمر واحد.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ مملؤ راحا ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ هو كل كلام هدر ﴿وَلا كِذَّابًا﴾ الكلام لا أصل له.

﴿جَزَاءً﴾ مصدر ﴿مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ واسعا.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ ورواه والد عمرو مسموكا على المدح ﴿وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ مكسورا على ما رواه ولد عامر وعاصم وسواهما، ومسموكا على ما رواه والد عمرو أول كلام، أو محمول لأول كلام ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ لروعهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ الملك رسول الله إلى رسله ردد الله لهم السلام، أو هو ملك

موكل على الأرواح سوى الملك الروح ﴿وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ حال ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ كأهل الإسلام والأملاك ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الحاصل لا محال ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ معادا مسلما، وهو سلوكه على مسلك الأوامر.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ الكلام مع أهل الحرم الحرام ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ هو ألم دار السوأى.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرء ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مما هو عمل صالح أو طالح ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ كالهر، والحمار، والأسد، وسائرها لعدم حلولها دار الآلام والكدر السرمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النازعات

مكية، وآيها ست وأربعون آية

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [آية: ١ - ١٤]:

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أرواح أهل الإلحاد وهم الأملاك ﴿غَرْقًا﴾ مصدر مؤكد مؤدى[(١)].

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها، على أن القيامة حق. و"النازعات": الملائكة التي تنزع أرواح الكفار؛ قاله علي رضي الله عنه، وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم. قال ابن مسعود: يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم، من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافير وأصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب، يغرقها، أي يرجعها في أجسادهم، ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار. وقاله ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: نزعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم حرقت؛ ثم قذف بها في النار. وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق. وقال السدي: و"النازعات" هي النفوس حين تغرق في الصدور. مجاهد: هي الموت ينزع النفوس. الحسن وقتادة: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق؛ أي تذهب، من قولهم: نزع إليه أي ذهب، أو من قولهم: نزعت الخيل أي جرت. ﴿غَرْقاً﴾ أي إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر. وقاله أبو عبيدة وابن كيسان والأخفش. وقيل: النازعات القسي تنزع بالسهام؛ قاله عطاء وعكرمة. و﴿غَرْقاً﴾ بمعنى إغراقا؛ وإغراق النازع في القوس أن يبلغ غاية المد، حتى ينتهي إلى النصل. يقال: أغرق في القوس أي استوفى مدها، وذلك بأن تنتهي إلى العقب الذي عند النصف الملفوف عليه. والاستغراق الاستيعاب. ويقال لقشرة البيضة الداخلة: "غِرقِئ". وقيل: هم الغزاة =

﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ الأملاك لدى سلهم أرواح أهل الإسلام ﴿نَشْطًا﴾ سلا مصدر مؤكد.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ وسط السماء كالعائم وسط الماء.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ الأملاك موصلو أرواح أهل الإسلام إلى دار السلام.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الأملاك محدور أمر العوالم، ومكمل الواو مطروح، وهو لأمر المعاد حاصل.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ كالأطواد وسواها حال إرسال الملك مأمور الصور روحه وسطه الإرسال الأول لهدم العالم الأعلى والأحط.

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وراءها لورود الأمم إلى المعاد والسؤال.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ مروعها أمر المعاد وهو له.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ لهول الأمر المحرر.

﴿يَقُولُونَ﴾ الواو لهؤلاء المحرر سردهم ردا لحصول المعاد ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ الحال الأولى، والأمر الأول، والمراد: وراء الحمام.

﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ الأمم كلهم ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ على سطحها مع الأرواح وراء ما حلوا اللحود وسطها هلكى.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١٥ - ٢٦]:

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ الكلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ هو اسم للواد المحرر آمرًا له.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ عدا الحدود والحد.

=

الرماة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٩).

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ المراد: أدعوك ﴿إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ أراد الطهر عما هو عمى وإلحاد والسلوك على مسلك لا إله إلا الله.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أدلك على الوصول إلى الصراط المسلم ﴿فَتَخْشَى﴾.

﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ لعلها العصا، والمراد: مطر موسى كما أمره مولاه ودعا عدوه إلى الإسلام وأراه الدال على الإرسال.

﴿فَكَذَّبَ﴾ عدو موسى ردد الله له السلام ﴿وَعَصَى﴾ الله.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عما هو إسلام ﴿يَسْعَى﴾ داحسا.

﴿فَحَشَرَ﴾ حاط كل ساحر وملأه ﴿فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

﴿فَأَخَذَهُ اللهُ﴾ أهلكه ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ﴾ ادعاؤه هو إلههم الأعلى ﴿وَالأُولَى﴾ ادعاؤه ما علم لهم إلها سواه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ الله، وما أعده لكل عاص أوامره.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [آية: ٢٧ - ٣٣]:

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ ألد أسرا ﴿بَنَاهَا﴾.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ علوها، أو المراد: أطلسها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ عدلها.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ سوده ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ لآلأها.

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ مهدها.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ الكلأ وسواه.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أركدها وأهداها.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ رواحلكم وسواها.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ

مُنتَهَنهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَنهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَنهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [آية: ٣٤ - ٤٦]:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ وورد الأمم إلى المعاد.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ما عمله صالحا أو طالحا.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ لكل راء.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ألحد.

﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ سالكا مسالك هواه.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (ال) وارد مورد الهاء، والمراد مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمارة ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ وعلم إرداءه.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه لا مأوى له سواها.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها وركودها، والسائل أهل الحرم الحرام وأم رحم.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ المراد: ما لدى الرسول أكمل الله له السلام علمها ولا هو مطلع على عصر ورودها.

﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ ما عالم عصر ورودها إلا الله لا سواه.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ كل أحد روعه أمرها.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ وسط لحودهم ﴿إِلا عَشِيَّةً﴾ المراد: إحدى مددها ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ إحدى المدد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة عبس

مكية، وآيها ثنتان وأربعون آية

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿عَبَسَ﴾[1] رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَتَوَلَّى﴾.

﴿أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ وحول الرسول أكمل الله له السلام رؤساء الحرم، وهو حرص على إسلامهم، وسأله الأعمى ما حاصله أورد مما علمك الله على العمى وعلمه وكره رسول الله دعاءه، وهو على حاله المار سردها ولما عاد الرسول إلى داره أوحى الله له الحكم المسطور، وصار كلما ورد الأعمى المسطور على الرسول أهله ودله رداءه.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ﴾ الهاء للعمى ﴿يَزَّكَّى﴾ المراد: وما أدراك لعل الأعمى مطهر مما هو سوء عمل لسماعه كلامك ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ وهم رؤساء الحرم ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ورواه راوٍ محلا ما كأوله مع الصاد ومكرها.

---

(١) قال الرازي: أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى، هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعوا (على) أن الأعمى هو ابن أم مكتوم، وقرىء عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في، أن جاءه منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين في إعمال الأقرب أو الأبعد ومعناه عبس، لأن جاءه الأعمى، وأعرض لذلك، وقرىء أن جاءه بهمزتين، وبألف بينهما وقف على ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ثم ابتدأ على معنى الآن جاءه الأعمى، والمراد منه الإنكار عليه، واعلم أن في الأخبار عما فرط من رسول الله ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهاً بالتوبيخ وإلزام الحجة. انظر تفسير الرازي (٣١/٥٤).

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى﴾ المراد: إسلام الرؤساء المار سردهم وعدمه على السواء لعود صالح أعمالهم لهم.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [آية: ٨ - ١٦]:

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ حال ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله، والمراد: الأعمى، وهو ما أمه حال ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ مطروح ما كأوله ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ وعى ما أوحاه وسلك مسالكه.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ محمول العامل المؤكد أم المحمول الأول ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾.

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ سؤددا ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ عما هو مس الوسواس وملأه.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الأملاك.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ كلهم طائع مولاه وسالك مسلك أوامره.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [آية: ١٧ - ٣٢]:

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ﴾ طرد الملحد ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما حمله على الإلحاد؛ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال الأرحام لدى الوطء ﴿خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ دما ولحما وولدا إلى سوى ما حرر.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ صراط الولاده ﴿يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ رمسه ولحده.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ للمعاد.

﴿كَلا﴾ ردع لكل أحد عما هو سالكه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ مولاه؛ ﴿فَلْيَنْظُرِ

الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ المطر مما هو ركام ﴿صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالعدس والسمراء وكل محصود.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هو الكلد ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ كالكروم وسواها.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ هو كل مرعى على العموم ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [آية: ٣٣ - ٤٢]:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ الطامة للورود إلى المعاد ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ﴾ أهله وعرسه ﴿وَبَنِيهِ﴾.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ المراد: لكل امرء حال أمرها حال أهمه عما سواه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ كلألأ الهلال.

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ سرورا ومرحا، وهم أهل لا إله إلا الله.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ كدر وكلوح أو عصار ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ سواد ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الأولى حووهما معا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التكوير

مكية، وآيها تسع وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا
ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ
زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠
وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ
مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [آية: ١ - ١٤]:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(١) المراد: محا الله لألأها وعاد سوادا.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ حدور أو إمعاطا.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ صار كلها رملا وعصارا وسط الهواء.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ الرواحل الحوامل لا ما صر لدرها ﴿عُطِّلَتْ﴾ أو لإرعاء لها، أو المراد: الركام لا مطر له.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إذا الشمسُ كُوِّرتْ﴾ أي: ذُهب بضوئها، من كوَّرت العمامة: إذا لففتها، أي: يُلفّ ضوؤها لفًّا، فيذهب انبساطه وانتشاره، أو: ألقيت عن فلكها، كما وصفت النجوم بالانكدار، من: طعنَة فكوّره: إذا ألقاه على الأرض. وعن أبي صالح: كُوِّرت: نُكّست، وعن ابن عباس رضي الله عنه: تكويرها: إدخالها في العرش. ﴿وإذا النجومُ انكَدرَتْ﴾ أي: انقضّت وتساقطت، فلا يبقى يومئذٍ نجمٌ إلا سقط على الأرض. قال ابن عباس رضي الله عنه: النجوم قناديل معلّقة بسلاسل من نور بين السماء والأرض، بأيدي ملائكة من نور، فإذا مات مَن في السموات ومَن في الأرض قطعت من أيديهم، وقيل: انكدارها: انطماس نورها، ويُروى: أن الشمس والنجوم تُطرح في جهنم، ليراها مَن عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] انظر البحر المديد (٣٦٧/٨).

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ للمعاد.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ورواه والد عمرو، وروح كسُحر سحرًا، والمراد: صار ماؤها واحدا.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ مع أعمالها أو الأرواح مع وعائها، أو أهل الإسلام مع الحور.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾ رمسا ولحدا لروع عارا وطوى ﴿سُئِلَتْ﴾ سؤالا دالا على سوء حال وأدها ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ طروس الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ رواه راوٍ كأمر، وراوٍ كهدر.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ كالمسك.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ ورواه راوٍ كأسر.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ صددا لحلول أهلها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ عملا صالحا أو طالحا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا
تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٥ - ٢٩]:

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ كعطارد حال عوده إلى مسراه.

﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ حال عودها إلى محل دلوكها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ سعسع وولى أو ورد.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ سطع لألاؤه.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء لكلام الله ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على مولاه، وهو الملك الروح ردد الله له السلام وأورد المصد له لحلوله معه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ لدى الله ﴿مَكِينٍ﴾.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ لدى السماء والطائع له الأملاك ﴿أَمِينٍ﴾ على ما أوحاه الله إلى الرسول معه.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ رسولكم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كدعواكم.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى رسول الله الملك الروح رسول الرسل على أصل ما صوره مولاه ردد الله لهما أكمل السلام ﴿بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ المطلع الأعلى.

﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما أوحاه الله له ﴿بِضَنِينٍ﴾ محل لسوء الحدس، ورواه عاصم، وولد عامر على ما مهمله الصاد المهمل، والمراد: الممسك.

﴿وَمَا هُوَ﴾ كلام الله المكرم ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ رائم لسمع السماء.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ مع ردكم أحكام كلام الله وعدم إسلامكم له.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم وسواهم.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ سلوكا على مسالك الهدى.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ مسالك العدل ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سلوككم ودوامكم على مسالك الهدى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الانفطار

مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾(١) وصار لها صدوع، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ وصار ماؤها واحدا.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أركس حصحصها وأعاد الله أهلها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ﴾ مما هو عمل صالح ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ وهو سوء الأعمال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إذا السماءُ انفطرتْ﴾ أي: انشقت لنزول الملائكة، كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ [النبأ: ١٩]، ﴿وإذا الكواكبُ انتثرتْ﴾ أي: تساقطت متفرقة، ﴿وإذا البحار فُجِّرتْ﴾؛ فُتح بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالأجاج، وزال ما بينها من البرزخ والحاجز، وصارت البحار بحراً واحداً. رُوي: أنَّ الأرض تنشق، فتغور تلك البحار، وتسقط في جهنم، فتصير نيراناً، وهو معنى التسجير المتقدم عند الحسن. ﴿وإذا القبورُ بُعْثِرتْ﴾ أي: قُلب ترابها، وأُخرج موتاها، يقال: بعثرت الحوض وبحثرته: إذا جعلت أسفله أعلاه، وجواب " إذا ": ﴿عَلِمَتْ نفسٌ ما قدَّمتْ وأخَّرَتْ﴾ أي: إذا كانت هذه الأشياء قرأ كلُّ إنسان كتابه، وجُوزي بعمله، لأنَّ المراد بها زمان واحد، مبدأه: النفخة الأولى، ومنتهاه: الفصل بين الخلائق ونشر الصُحف، لا أزمنة متعددة حسب تعددها، وإنما كررت لتهويل ما في حيّزها من الدواهي، ومعنى " ما قَدَّم وأخَّر ": ما سلف مِن عملٍ؛ خير أو شر، من سَنّ سُنة حسنة أو سيئة يُعمل بها بعده، قاله ابن عباس وابن مسعود. وعن ابن عباس أيضاً: ما قدّم من معصية وأخّر من طاعة، وقيل: ما قدَّم من أمواله لنفسه، وما أخّر لورثته، وقيل: ما قدَّم من فرض، وأخّر منه عن وقته، وقيل: ما قدمتْ من الأسقاط والأفراط، وأخّرت من الأولاد. والله تعالى أعلم. انظر البحر المديد (٣٨٦/٨).

فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [آية: ٦ - ١٢]:

﴿يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ﴾ المراد: الملحد ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ما حملك على السلوك مسالك سوء الأعمال.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ سالم الحواس ﴿فَعَدَلَكَ﴾ أورد عواملك وصورها على طول واحد، وروى راوٍ مصدره عدلا.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا﴾ وصل مؤكد ﴿شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

﴿كَلا﴾ ردع لكل أحد أطمعه كرم مولاه ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿بِالدِّينِ﴾ ورودكم موارد الأعمال والمعاد.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ لأعمالكم وهم الأملاك.

﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ﴾ لكل عمل.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ كله.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آية: ١٣ - ١٩]:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ﴾ الكمل ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ دار السلام.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ أهل الإلحاد ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ سوء الدار.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ المعاد، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ كرره لهوله، والمراد: هوله لا كالأهوال.

﴿يَوْمَ﴾ ورواه راوٍ محمولا لأول كلام مطروح هو هو ﴿لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وأورد الأمر لله وحده مع وروده كل عصر له لعدم الوسائط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين

مختلف فيها، وآيها ست وثلاثون آية

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿وَيْلٌ﴾ ألم أو هو اسم واد وسط دار السوأى ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ كل كائل واكس كما حله الاسم الموصول وما أمه[1].

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ الأولى كالوا لهم ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ ما كالوه لهم.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ لهم ووردهم مورد الطرح والوصول كالأول، وهو كالوهم، وأصله: كالوا لهم طرح عامل الكسر وهو اللام ووصل الهاء معموله مع كالوا كحكم ما وراءه ﴿يُخْسِرُونَ﴾ وكسا لما كالوه ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ مما هو لحودهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأمره وسؤاله وما أعده لكل طائع وعاص.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، وهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى. أو إخبار عن وقوع ما يتربصونه عليهم. قال البيضاوي: الدوائر في الأصل: مصدر أضيف إليه السوء؛ للمبالغة، كقولك: رَجلُ صدق. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: "السُّوء " هنا، وفي الفتح بضم السين. هـ. ﴿والله سميعٌ﴾ لما يقولونه عند الإنفاق ﴿عليم﴾ بما يضمرونه من الرياء وغيره. انظر البحر المديد (١٥٤/٣).

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم
مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [آية: ٧ - ١٧]:

﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ طرس أعمال أهل الإلحاد ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ اسم لطومار حاوٍ لأعمال كل ملحد ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مسطور ومحرر ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ورود الأمم على موارد أعمالهم وهو المعاد.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ عاد الحدود ﴿أَثِيمٍ﴾.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما حكوه، ورووه مما لا أصل له عددا سطوره.

﴿كَلا﴾ رد وردع لما ادعوه ﴿بَلْ رَانَ﴾ عال ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كل عمل سوء.

﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ما هم راؤه كأهل الإسلام، وكل سالك مسلك لا إله إلا الله.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ حالوها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ومكلمهم الأملاك مأمورو دار السوأى.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ
﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [آية: ١٨ - ٢١]:

﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ﴾ طومار أعمال أهل الإسلام ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ اسم لطرس أعمال كل صالح على الأعم ملكا، أو سواه، أو هم اسم محل وراء سادس سماء.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ هو.

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مسطور ومحرر.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الأملاك.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [آية: ٢٢ - ٢٨]:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ دار السلام.

﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السرر ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما أعطاهم مولاهم وأولادهم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وسامه.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ راح ﴿مَخْتُومٍ﴾ على وعائها ما أحد حاله سواهم.

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ محل الوحل، أو المراد: روائحه روائح مسك، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ علم ماء معلوم وسط دار السلام كما مدحه الله.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ المراد: وحدها لا راح معها، ولا ماء، وأما سواهم وهم أهل دار السلام مع الراح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آية: ٢٩ - ٣٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ رؤساء أهل الحرم الحرام كعم الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعمار وسواه لعدمهم ﴿يَضْحَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد وواو مروا الأولى لأهل الإسلام.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ عاد أهل الإلحاد ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ المراد: رأوا أهل الإسلام ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ لإسلامهم لمحمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾ وما أرسل أهل الإلحاد على أهل الإسلام ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم أو لأعمالهم ردا إلى صالحهم.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ لدى المعاد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ وسط دار السلام ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أحوال أهل الإلحاد.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المراد: هل عومل أهل الإلحاد على سوء أعمالهم أو لا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

مكية، وآيها خمس وعشرون آية

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ (١) حصل لها صدوع.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ المراد: سماعها لأمره سماع المطواع ﴿وَحُقَّتْ﴾ وسماعها أولى لها وأحرى.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ مدا كمد المسك لا عمار على سطحها ولا طود ولا آكام.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أموالا وهلكى على مطاها وسطحها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عما هو وسطها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ومكمل العامل أمام السماء هو ورد كل أحد موارد أعماله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴾ [آية: ٦ - ٩]:

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ أي انصدعت، وتفطرت بالغمام، والغمام مثل السحاب الأبيض. وكذا روى أبو صالح عن ابن عباس. وروي عن علي عليه السلام قال: تشق من المجرة وقال: المجرة باب السماء. وهذا من أشراط الساعة وعلامتها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي سمعت، وحق لها أن تسمع، روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن" أي ما استمع الله لشيء. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٩/١٩).

﴿يَأَيُّهَا الإنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ عامل وساع وهام ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى الورود على أمره وما أراده لك وهو الحمام ﴿كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ الهاء لما سعاه، وهو عمله صالحا أو طالحا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ طومار عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ وهم أهل الإسلام.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلا.

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أهل الإسلام وسط دار السلام ﴿مَسْرُورًا﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [آية: ١٠ - ١٥]:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ وهو كل ملحد ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ هلاكا لدى اطلاعه على ما حواه طاموره.

﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ سوء الدار.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ سالكا مسالك هواه.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد والاسم الهاء مطروح ﴿لَنْ يَحُورَ﴾ حار كعاد عودا، والمراد: إلى المعاد.

﴿بَلَى﴾ هو حائر وعائد ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالما حوره وعوده له.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [آية: ١٦ - ٢٥]:

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿بِالشَّفَقِ﴾ الاحمرار وراء الدلوك.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ حواه أو طرده إلى محاله.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ كمل لألاؤه.

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ الكلام للأمم ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا وراء حال، والمراد: الحمام والمعاد وأهواله.

﴿فَمَا لَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ مع سطوع الدلائل.

﴿وَ﴾ ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لا يَسْجُدُونَ﴾ لمدا لمؤداه.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ أمر المعاد وورودهم موارد أعمالهم.

﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ما حووه وأوعوه وسط صدورهم أو وسط طروس أعمالهم.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المراد: إلا الأولى عادوا وهادوا إلى الله وسلكه مسالك الهدى ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ما هو محسوم أو موكوس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البروج

مكية، وآيها ثنتان وعشرون آية

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾(١) كالحمل، والأسد، والدلو، وسواها.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ المعاد.

﴿وَشَاهِدٍ﴾ هو سادس الأحد ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ هو صعود الأوام لحرم الله على الطود المعلوم.

﴿قُتِلَ﴾ طرد ﴿أَصْحَابُ الأخْدُودِ﴾ الصدع هو محل صدد الحرم الحرام أهله كلهم هود دعاهم واحد أسلم للرسول الروح، وسلكوا كلهم على ما دعاهم وأسلموا له،

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قول الحق جلّ جلاله: ﴿والسماءِ ذات البروج﴾ الأثني عشر، وهي الحَمَل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. شُبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارة، وتكون فيها الثوابت ومنازل القمر، أو: عُظْم الكواكب، سُميت بروجاً لظهورها، من: التبرُّج، أي الظهور، أو: أبواب السماء، فإنَّ النوازل تخرج منها. انظر البحر المديد (٨/٤٢٠)

وحال سماع ملك الهود سلوكهم على مسلك الرسول الروح وعدلهم عما هو مسلك موسى ردد الله لهما للسلام ورد مع عسكره إلى محلهم، وصدع لهم الصدع المحرر ورمى وسطه الأعواد وسعرها وسألهم إما العود إلى مسلك موسى، أو طرحهم إلى ما سعره، ولما رأى عدم عدولهم إلى مسلك موسى له السلام طرحهم إلى الصدع المسطور.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ حولها على كراس لهم ﴿قُعُودٌ﴾.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ كطرحهم لهم وسطها لعدم عودهم إلى الإلحاد ﴿شُهُودٌ﴾ وكلهم مطلع على الأمر الحاصل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ آكد المدح ما هو محاك للوصم.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع ومعامل كل أحد على عمله صالحه وطالحه ومعد لكل ما هو أهله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لوعا لهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لإلحادهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ كلوعهم أهل الإسلام حالا، أو المراد مآلا لدى معادهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ لا الدار الأولى وحطامها.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [آية: ١٢ - ٢٢]:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ على أهل الإلحاد.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ المراد: مصور الأمم وسط الأرحام ومهلكهم لدى ورود حمامهم ﴿وَيُعِيدُ﴾ العوالم إلى المعاد، والورود موارد الأعمال.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لأهل الإسلام أهل لا إله إلا الله ﴿الْوَدُودُ﴾ لهم إكراما.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ آسره ومالكه وسواه أولى ﴿الْمَجِيدُ﴾ أهل لكل كمال وسمو؛

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ السؤال لرسوله محمد ردد الله له السلام والإكرام ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ لما ردوا دعوى الرسل وأهلكهم الله، والمراد: وهؤلاء أهل للهلاك كأولئك.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك ولكلام الله.

﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم مما أراده.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾ حاوٍ لكل كمال وعلا سردا ومؤدى.

﴿فِي لَوْحٍ﴾ هو در أحور وسط هواء أعلا السماء إلى أعلاها ﴿مَحْفُوظٍ﴾ عما هو أركاس أو رمؤ أو سواهما وكالئه هو الله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الطارق

مكية، وآيها سبع عشرة آية

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أصله لكل سالك الوارد والمساء حالك وعدوه إلى ما هو كعطارد والسها لطلوعه والمساء حالك، وهو المراد.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ أول كلام ومحموله هو.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ على الأعم ﴿إِنْ﴾ ما أو أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروح.

﴿كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا﴾ كالا على الأول، ورواه راوٍ كسما وما وصل لا مؤدى له ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ لأعمالها وهم الأملاك.

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ إلى الأرحام ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للواطئ ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ أوصال الصدر للمرأه.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء لله ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ عود ولد آدم إلى المعاد ﴿لَقَادِرٌ﴾.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾ [آية: ٩ - ١٧]:

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ما أسره وحواه صدر كل أحد وروعه.

﴿فَمَا لَهُ﴾ ما لراد أمر المعاد ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ عاصم مما أعده الله له.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المطر لعوده كل عصر.

﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ عما هو كلأ ومحصود وسواه.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ الهدر والدر.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أهل الإلحاد ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أصروا على عمل المكائد للرسول ردد الله له السلام ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أعاملهم على سوء عملهم ﴿فَمَهِّلِ﴾ الأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم ومهل وأمهل واحد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ مؤكد ﴿رُوَيْدًا﴾ إمهالا ما لا طول له.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأعلى

مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣
وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا
شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ
ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ
۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [آية: ١ - ١٣]:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ المراد: طهر مولاك عما هو وصم وعار، والاسم وصل كما هو مسلكهم ﴿الأَعْلَى﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ ولد آدم وسواه ﴿فَسَوَّى﴾ حواسه وعوامله على طول واحد.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما أراده ﴿فَهَدَى﴾ أهل السوء للسوء، وأهل الصلاح للصلاح على ما حكم وأراد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أطرَّ الكلأ.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾ عساء ﴿أَحْوَى﴾ أسود.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ الكلام المكرم ﴿فَلا تَنْسَى﴾ أصلا وأمدا.

﴿إِلا مَا شَاءَ اللهُ﴾ محو سرده وحكمه ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ كلاما أو عملا ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ مما سطر.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ مسلك الإسلام وما سلكه رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ الله وما أعده لكل عاص أوامره.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ المراد: ما حاد عما هو ادكار حواه كلام الله المكرم إلا كل ملحد حال دار السوأى.

﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾ المراد: مع سرور ومرح.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٤ - ١٩]:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وأسلم.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ كلاما وصدرا ﴿فَصَلَّى﴾.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لسوى السامع للكلام ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ روما لحطامها وسلوكا على مسالك الهدى.

﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لدوام آلائها وسرورها وآلاء الأولى دوام لها ومداها هو الحمام.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أوماء إلى حصوله المطهر على دوام الآلاء والسرور ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أوحاها الله إلى الرسل.

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ردد الله لهما أكمل السلام.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الغاشية

مكية، وآيها ست وعشرون آية

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣
تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا
يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ الصماء.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أورد الورد وأراد الكل ﴿خَاشِعَةٌ﴾.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ كلها العمل كحمل السلاسل وإلا داهم.

﴿تَصْلَى﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ ماؤها حار.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو الأسل ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا
لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ
مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [آية: ٨ - ١٦]:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ وساما ﴿لِسَعْيِهَا﴾ وأعمالها ﴿رَاضِيَةٌ﴾ حال اطلاعها على ما أعد لها مولاها على صالح أعمالها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حسا ومؤدى.

﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ الكلام الهدر لا أصل له.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ملؤها، والمراد: العدد.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ محلها سام عال.

﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الكؤوس لا عرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على كوارعها.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ الوسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ كالحلس وسواه للدار ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مدا.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾
وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ
﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١٧ - ٢٦]:

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾ الواو لأهل أم رحم ﴿إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ولا عمد لها.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ولا مور لها.

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ كالمهاد لدى المرأى، ولا دال على ورودها سطحا لا كره.

﴿فَذَكِّرْ﴾ هم آلاء الله ودلائله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ مسلط، ورواه راوٍ وراء أوله صادا والحكم المسطور محا حكمه أمر المعارك ﴿إِلا مَنْ تَوَلَّى﴾ عما هو إسلام ﴿وَكَفَرَ﴾ راد الأحكام كلام الله المكرم ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ ألم دار السوأى وراء الأسر والإهلاك.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ عودهم وراء الحمام ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ لدى المعاد والورود ومورد الأعمال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفجر

مكية، وآيها ثلاثون آية

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ
قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ
مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠
ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [آية: ١ - ١٤]:

﴿وَالْفَجْرِ﴾ المعلوم أو ركوعه.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ المراد: ما أكمل موعد موسى رد الله له السلام.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ سائر ما أسر الله الآحاد وعكسها، وروى راوٍ مكسورا.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ وأراد وما طرأ.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ حلم، والمراد: لأهل الأحلام والإدراك.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الكلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: العلم ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

﴿إِرَمَ﴾ المراد: عاد الأولى، وإرم اسم محلهم، والمراد أهله ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لطول عمارهم أو طول أو أدمهم ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾ حسموا وصرموا ﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ وعملوها دورا لهم.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ إلا وداد لعكم كل أحد أراد ألمه وإهلاكه ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ سمدوا ﴿فِي الْبِلادِ﴾.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ إهلاكا وسواه ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ لرصد أعمال الأمم، وهو معاملهم على أعمالهم صالحها وطالحها.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾ [آية: ١٥ - ٢٠]:

﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ﴾ الملحد ﴿إِذَا مَا﴾ وصل لا مؤدى له ﴿ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ كما لو أعطاه الأموال والأولاد وسواها ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ﴾ حصر ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لسوء مرآه وعدم إدراكه.

﴿كَلا﴾ لحصول الوسع للإكرام والحصر بعكسه ﴿بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ كإعطائه مما أعطاهم مولاهم.

﴿وَلا تَحَاضُّونَ﴾ أمرا لأهلهم أو سواهم ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أموال الهالك كوالد وأم وسواهما ﴿أَكْلا لَمًّا﴾ لا ما للحلال والحرام لعدم إعطائهم الحرم أموال والدهم أو أمهم أو ما حكمه كحكمهما، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢١ - ٣٠]:

﴿كَلا﴾ ردع لهم عما هم سالكوه ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا﴾ وهدم كل عمار على سطحها ﴿دَكًّا﴾.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ المراد: أمره ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ حال كلاهما.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ معمول كدك وما أمامها على وهم العامل المكرر كورد عم محمد أحمد ﴿يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ﴾ المراد: الملحد ما عمل ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ لا ادكار له لمرور عصره.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ صالح العمل ﴿لِحَيَاتِي﴾ وسط دار لا حد لعمره.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ﴾ رواه راوٍ على وروده للمعلوم، وراوٍ لعكسه ﴿عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾.

﴿وَلا يُوثِقُ﴾ هو كالأول، رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المراد: روح أهل لا إله إلا الله ﴿ارْجِعِي﴾ لدى الحمام ﴿إِلَى رَبِّكِ﴾ إلى أمره وموعده وما أراده لك ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ لدى الله.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أهل الصلاح ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البلد

مكية، وآيها عشرون آية

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ ﴾ [آية: ١ - ١٠]:

﴿لا﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أم رحم.

﴿وَأَنْتَ﴾ الكلام لرسوله محمد ردد الله له السلام ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ المراد: لدى حل الكر على أعدائك وسط الحرم الحرام وأعمال الحسام على رؤوسهم أو إسلامهم.

﴿وَوَالِدٍ﴾ هو آدم له السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أولاده وورود ما لأهل الأحلام.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ﴾ ولد آدم ﴿فِي كَبَدٍ﴾ كد وكلال لوروده دائما موارد الآلام والآمال.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ الإنسان واحد معلوم أو الأعم ﴿أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد والاسم الهاء مطروحا ﴿لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عمل المكروه لمحمد لو حمل على الأول ﴿مَالا لُبَدًا﴾ مالا مركوما.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ واله عالم ما أهلكه على عمله السوء.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ هما مسلكا الهدى

والعمى.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَـٰمٌ فِى يَوۡمٍ ذِى مَسۡغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٌ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾ [آية: ١١ - ٢٠]:

﴿فَلاَ﴾ وارد مورد هلا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ حرارها، ورواه راوٍ كمرَّ.

﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ ورواه راو واطع ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ طوى.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ رحم.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ معد ما لا مآل له أصلا.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصي واحد واحدا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على أوامر الله وعما ردع ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ إلى الورى ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على الله، والمراد: كلامه المكرم ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ سددها، ورواها راوٍ على الواو على الأصل، وهو أوصد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشمس

مكية، وآيها خمس عشر آية

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [آية: ١ - ٢]:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ لألائها.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ لها طالما لدى دلوكها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ لسواده ودهمائه.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ دحاها وطحاها واحد.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ وما للمصدر كالأول أو اسم موصول.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ مسلك عماها ﴿وَتَقْوَاهَا﴾ ومهد لها مسلك هداها.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ۝١٥﴾ [آية: ٩ - ١٥]:

﴿قَدْ﴾ طرح اللام لطول الكلام ﴿أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ طهرها عما صادم أوامر مولاها.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وعصى الله وأصله دسسها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾.

﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ إلى إهلاك العلطوس.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ﴾ صالح دعوا ﴿نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾ لكم ورد ولها ورد.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أهلكوها ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ المراد: ألمه وما أعده لهم وأحاط كالسور ﴿فَسَوَّاهَا﴾ عممها والهاء عائد لمصدر دمدم.

﴿وَلا يَخَافُ﴾ الله ﴿عُقْبَاهَا﴾ الهاء عائد لما عاد له هاء سواها، والمراد: مآل أمر إهلاكهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الليل

مكية، وآيها إحدى وعشرون آية

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ
لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا
مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ
إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ
﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي
يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ
ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [آية: ١ - ٢١]:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ الهواء دلسه وسواده.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ سطع ولمع لألاؤه ومحا دلس الدهماء.

﴿وَمَا﴾ اسم موصول وللمصدر ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ آدم وحواء، أو المراد: كل امرء أو امرأه.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّى﴾ عامل إلى دار السوأى.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ أدى أوامر الله ﴿وَاتَّقَى﴾ مولاه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ لا إله إلا الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ دار السلام ومأوى أهل الإسلام.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ أمسك عما أمر الله ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عما أعده لكل طائع.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ لا إله إلا الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ سوء الدار.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ وهوى على أم رأسه إلى دار الدرك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ إلى مسلك العدل السالم سالكوه.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ﴾ دار المعاد ﴿وَالأولَى﴾ دار الحطام.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم والحرم الحرام ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ طرح ما كأوله ﴿لا يَصْلاهَا﴾ حلولا على الأمد ﴿إِلا الأَشْقَى﴾ الملحد.

﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرسل ﴿وَتَوَلَّى﴾ عما هو الهدى.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ كل ورع.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ المراد: كل أحد سلك المسلك المحرر، أو المراد: الإمام الأول، ومولى عهد أهل الإسلام، وراء ورود حمام الرسول ردد الله له السلام.

﴿وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أراد: ما عمل العمل المسطور.

﴿إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ وروما لكل ما أعده لكل طائع أوامره لا لأمر سواه.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ حال اطلاعه على ما أعده له مولاه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الضحى

مكية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ
مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا
ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿وَالضُّحَى﴾ أوله الطلوع ومداه الدلوك.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ ركد سواه وهدأ، أو ورد وعمم الهواء.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ هو عكس الوداد، أوحاه الله لما ادعى أهل الإلحاد ما حاصله إله محمد ودعه وصد عما هو وداد له، ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى﴾.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وعد مسلم لأهل الإسلام عما هو حلول وسط سوء الدار على الدوام لكرهه صلى الله على روحه وسلم حلول أحد أهل الإسلام وسطها كما أورد رسول الله مصرحًا.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ الكلام للرسول الأكرم ﴿يَتِيمًا﴾ لإدراك والده الحمام وهو صلى الله على روحه وسلم حمل أو وراء مولده ﴿فَآوَى﴾ المراد: آواك إلى عمك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالا﴾ عما هو مسلك الإسلام ﴿فَهَدَى﴾ هداك له وأوحى لك أحكامه ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلا﴾ لا مال لك ﴿فَأَغْنَى﴾.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ عائلا على أمواله أو سواه.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ كاسرًا روعه.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ كإرسالك رسولا أو على الأعم ﴿فَحَدِّثْ﴾ ادع الأمم إلى أحكام على الأول أو احك لهم ما أولاك مولاك مع حمل الآلاء على الأعم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الشرح

مكية، وآيها ثماني آيات

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣
وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ
فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ المراد: وسع الله صدر رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم لما أودعه سرائر الأحكام، وأسرار الحكم وأهله، وصار موردا ومحطا لكلامه وإرساله، ومصدرا مطهرا لدعاء العوالم، ولهم على الوارد السالك مسالكه والموصل إلى دار السلام.

﴿وَوَضَعْنَا﴾ المراد: الحط ﴿عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ هو كعمله صلى الله على روحه وسلم عملا سوى الأولى، وإلا الرسل كلهم عصمهم الله عما هو سلوك على مسلك صادم أمره ورسول الله أكملهم.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أكل حمله ﴿ظَهْرَكَ﴾ والمراد: ما عسر حمله على مطاك، وهو عدم ارعواء الأمم أو إصرارهم على المكروه لك.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هو لا إله إلا الله محمد رسول الله سرد اسمه صلى الله على روحه وسلم مع اسم مولاه.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الكلال وحصر الصدر المار أمرهما ﴿يُسْرًا﴾ كالحسر للصدر والحط للحمل.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كرره مؤكدا للحكم الأول.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مما هو ركوع أو دعاؤك الأمم إلى الإسلام ﴿فَانْصَبْ﴾ لدعائك وراء الركوع أو حامدا مولاك على ما أولاك.

﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ سائلا مولاك مهامك وأمورك كلها لا سائلا أحد سواه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التين

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿وَالتِّينِ﴾[1] المأكول المعلوم وسرده لوروده دواء محللا مطهر الكلى ممطرا سدد الطحال، أو المراد: مصلى ما مهمله سام أو مصرها ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ المأكول وسرده مع الأول سوى سائر المأكول لوروده إداما ودواء، أو المراد: المصلى المطهر أو مصره.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الطور مصعد موسى، ومحل سماعه كلام الله.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ أم رحم مكه.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ كله ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ مسوى، معدلا، حساسا، دراكا، عالما عوامله على طول واحد إلى سوى ما حرر.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي: هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾. وقال أبو ذر: أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل تين؛ فقال: "كلوا" وأكل منه. ثم قال: "لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس". وعن معاذ: أنه استاك بقضيب زيتون، وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، يطيب الفم، ويذهب بالحفر، وهي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي". انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١١٠).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ المراد: دار السوأى، أو أراد الهرم وعوده هما ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حكم إلا موصول لو حمل رده له على حلوله دار السوأى مع الدوام ومحسوم لو حمل على وروده موارد الهرم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ما هو محسوم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ الكلام لكل ملحد ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ المعاد، والمراد: ما هو الأمر الحامل لك على ردك أمر المعاد وراء سطوع دلائله ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ واحكم كل حاكم المصور العوالم أولا وأصلهم العدم أسرهم إلى المعاد مع أصل ما وهو العصعص والحصحص، وهو أسهل لدى الأمم لما صار عودا مع أصل وأول أسر مع عدم الأصل.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العلق

مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣
ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ
ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠
أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ
يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦
فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [آية:
١ - ١٩]:

﴿اقْرَأْ﴾ كلام الله المكرم والأمر للرسول الأكرم ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العوالم كلها.

﴿خَلَقَ الإنْسَانَ﴾ لما عمم أولا وحد أهل العلاء وهم سوط ولد آدم ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ الدماء لا سائلها.

﴿اقْرَأْ﴾ أعاده مؤكد اللامر الأول ﴿وَرَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ ما عادل كرمه كرم.

﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الرسم ﴿بِالْقَلَمِ﴾ المصطر.

﴿عَلَّمَ الإنْسَانَ﴾ المراد: سوط ولد آدم ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ كسائر العلوم وأعلاها علم الوصول إلى الدلائل.

﴿كَلا﴾ ردع لكل ملحد عما هو سلوك على سوى صراط الهدى ﴿إِنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى﴾.

﴿أَنْ رَآهُ﴾[١] الهاء عائد على ما حلاه الـ ﴿اسْتَغْنَى﴾ مالا ووسعا ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ مصدر، والمراد: العود والورود موارد الأعمال ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾.

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ أوحاه الله لما حكى عم الرسول ما حاصله لو رأى محمدا راكعا لوطء كرده.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ الرسول ردد الله له السلام ﴿عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ عم الرسول الرسول ﴿وَتَوَلَّى﴾ عما هو إسلام له.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ عمله وكلامه وهو معامله.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عما هو عود لسوء عمله المسطور ﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما هو سالكه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ حاصل المراد طره إلى سوء الدار وأورد ورده وهو الرأس وأراد الكل.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ سردها وأراد حاملها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ المراد: أهل محل كلامه ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الأملاك لطره وإهلاكه، وحكى الرسول صلى الله على روحه وسلم مصححا لو دعا عمه ملأه لطره الأملاك ورآه كل احد.

﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ على وداعك الركوع ﴿وَاسْجُدْ﴾ صل لله أو دم على ركوعك ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ صددا إلى مولاك.

---

(١) قولُه تَعَالى: ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾. فِيهِ أربعُ قراءات: قَرَأَ حمزةُ، والكِسَائِيّ، وأبو بكرٍ، عنْ عاصمٍ، وابنُ عامرٍ برواية ابْن ذكوان بالخلف " أَنْ رِآهُ استَغْنَى " بكسر الراء. وقرأ أَبُو عَمْرو برواية الدُّوري بفتح الراء وكسر الهمزة. وقرأ الباقون: "أَنْ رَآهُ" بالفتح، والأصل: رأيه عَلَى وزن رعيه، فصارت الياء التي هِيَ لام الفعل ألفًا؛ لانفتاح ما قبلها، فصارت " أن رآهُ استَغْنى " عَلَى وزن رعاه. والقراءةُ الرابعةُ: قراءةُ ابنِ كثيرٍ فِيْ روايةِ قُنبل: "أَنْ رَّأه " عَلَى وزن رَعَهُ. قَالَ ابنُ مجاهدٍ: هُوَ غلطٌ؛ لأنَّه حذف لام الفعل التي كانت ألفًا مبدلةً من الياء، ويجوز أن الَّذِي سَمِعَ ابْنُ كَثِيْر يقرأ هَذَا الحرف لم يضبط عَنْهُ، ولا ترجم عَنْهُ باستواء، وكانت قراءته: "أَنْ رَاءَهُ استَغْنَى " بتقديم الألِف عَلَى الهَمْزَةِ ثُمَّ يخفف الهمزة ويحذفها لالتقاء الساكنين. وهذه لغةٌ مشهورةٌ، تَقُولُ العرب: راءني وشاءني.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القدر

مختلف فيها، وآيها خمس آيات

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾(1) [آية: ١ - ٥]:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم كله مما هو اللوح إلى السماء الأولى ﴿فِي

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إِنَّا أنزلناه في ليلة القدر﴾، نوّه بشأن القرآن، حيث أسند إنزاله إليه بإسناده إلى نون العظمة، المنبىء عن كمال العناية به، وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للإيذان بغاية ظهوره، كأنه حاضر في جميع الأذهان، وقيل: يعود على المقروء المأمور به في قوله: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١] فتتصل السورة بما قبلها. وعظَّم الوقت الذي أنزله فيه بقوله: ﴿وما أدراك ما ليلةُ القَدْر﴾ لِما فيه من الدلالة على أنَّ علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق، لا يدريها إلا علام الغيوب، كما يُشعر به قوله تعالى: ﴿ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهرٍ﴾ أي: ليس فيها ليلة القدر، فإنه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه صلى الله عليه وسلم إلى درايتها، فإنَّ ذلك مُعْرِب عن الوعد بإدرائها على ما تقدّم. وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى. والمراد بإنزاله: إمّا إنزاله كله إلى سماء الدنيا، كما رُوي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجوماً في ثلاثٍ وعشرين سنة، وإمّا ابتداء نزوله، وهو الأظهر. وسُميت ليلة القدر لتقدير الأمور فيها، وإبراز ما قضى تلك السنة، لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾ [الدخان: ٤]، فالقَدْر بمعنى التقدير، أو لشرفها على سائر الليالي، فالقَدْر بمعنى الشرف، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان على المشهورِ. لما رُوي أنَّ أُبي بن كعب كان يحلف أنها ليلة السابع والعشرين، وقيل غير ذلك ومظان التماسها في الأوتار من العشر الأواخر. ولعل السر في إخفائها تعرض مَن يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي في طلبها، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى، واسمه الأعظم، وساعة الجمعة، ورضاه في الطاعات، وغضبه في المعاصي، وولايته في خلقه ليحسن الظن بالجميع. انظر البحر المديد (٨/٥٠٥).

لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ العلاء.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ما حووها.

﴿تَنَزَّلُ﴾ مطروح ما كأوله ﴿الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ الملك رسول الرسل ردد الله له ولهم السلام معهم ﴿فِيهَا بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أراد حصوله إلى كمال العام.

﴿سَلامٌ هِيَ﴾ أمرها كله سلام وسواها حوى السلام واللأواء ﴿حَتَّى مَطْلَعِ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام ﴿الْفَجْرِ﴾ المراد: كل أمورها سلام إلى طلوعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البينة

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلحادا ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الهود، وأمم الروح ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أهل الركوع إلى الصور ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ محمول العامل وراء لم، والمراد: عما هو سالكوه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الرسول، أو كلام الله المكرم، أو دلائل الإرسال[1].

﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾ هو محمد ردد الله له السلام ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ عما هو هدر.

﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام ﴿قَيِّمَةٌ﴾ عدل.

---

(١) قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ في موضع جر عطفا على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. قال ابن عباس ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود الذين كانوا بيثرب، وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع. والمشركون: الذين كانوا بمكة وحولها، والمدينة والذين حولها؛ وهم مشركو قريش. ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ أي منتهين عن كفرهم، مائلين عنه. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي أتتهم البينة؛ أي محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: الانتهاء بلوغ الغاية أي لم يكونوا ليبلغوا نهاية أعمارهم فيموتوا، حتى تأتيهم البينة. فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء. وقيل: ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ زائلين؛ أي لم تكن مدتهم لتزول حتى يأتيهم رسول. والعرب تقول: ما انفككت أفعل كذا: أي ما زلت. وما انفك فلان قائما. أي ما زال قائما. وأصل الفك: الفتح؛ ومنه فك الكتاب، وفك الخلخال. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤٠/٢٠).

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إسلاما لمحمد ردد الله له السلام، أو ردا لما ادعاه، أو المراد: عما هو سلكوه ﴿إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ رسول الله، أو كلام الله، أو دلائل إرسال الرسول مع إصرارهم أمام إرساله على الإسلام له صلى الله على روحه وسلم، ولما أرسله الله لهم ردوا ما ادعاه ملأ حسدا، وملأ سمودا ومراء.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ وسط الكلام الموحى إلى رسلهم ﴿إلا لِيَعْبُدُوا اللهَ﴾ على طرح محصل المصدر وراء اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كعدم ادعائهم إلها معه ﴿حُنَفَاءَ﴾ المراد: كلهم مائل إلى مسلك والد الرسل ردد الله له ولهم السلام ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وما حصل سلوكهم على ما أمروا ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ الصراط العدل السوي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم أمم موسى والروح ردد الله لهما أكمل السلام ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ لادعائهم مع الله سواه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال، والمراد: أراد الله حلولهم على الدوام ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ الورى كلهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الورى كلهم.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: أمواهها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ سهل لهم السلوك على أوامره ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما وصلوا إلى ما أملوه مما أعده لهم دار السلام وسواها ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ روعه ما أعده لكل عاص.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزلزلة

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ المراد: صار لها وهل وحرك ﴿زِلْزَالَهَا﴾[١].

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أموالها وهلكاها طرحا على سطحها ومطاها.

﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ لما هو داهمهم ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ المراد: حالها معلم لم رهلها وحراكها وهو ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أمرها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ وراء صدور السؤال وورود كل أحد واطلاعه على عمله ﴿أَشْتَاتًا﴾ ملأ إلى دار السلام، وملأ إلى دار السوأى ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ المراد: ما أعد لهم على أعمالهم.

---

(١) زِلْزَالَهَا: يوم القِيَامة من شدَّة صوت إسرافيلٍ فيضطربون حَتَّى ينكسر كلُّ شيء من شدَّة الزَّلزلة. فقرأ: "زِلْزَالَهَا " لأنَّه مصدر فعلل وكلُّ فعلٍ رُباعي نحو هملج، وقرطس، وسرهف، ووسوس، ودحرج مصدره عَلَى وجعهين فَعْلَلَةٌ، وفِعْلالٌ لا ينكسر. وتقول: "إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضِ زَلْزَالْهَاْ".

وقرأ بذلك عاصمٌ الجَحْدَرِي بفتح الزَّاي جعله اسمًا لا مصدرًا، وليس فِيْ كلام العرب فِعلال إِلا مُضَاعف نحو الزّلزالُ، وهي البلاءُ والبِلبالُ والكِلْكَالُ، وهو المصدر إلا قولهم: ناقة بها خِزْعَالٌ أي: ضَلْعٌ وغَمْزٌ فِيْ رجلها [إعراب القراءات: ٢/٥١٦].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ما صعد وسط الهواء كالعصار ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ وهو معامل ومكرم.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وهو مسؤول ومساء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات

مختلف فيها، وآيها إحدى عشرة آية

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ
نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ
۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى
ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ الكراع الصواهل ﴿ضَبْحًا﴾ هو حس أمعائها لدى عدوها.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ حال إسراعها.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ على الأعداء وأهلها على مطاها ﴿صُبْحًا﴾.

﴿فَأَثَرْنَ﴾ إصعادا ﴿بِهِ﴾ الهاء لمحل عدوها وإسراعها ﴿نَقْعًا﴾ عصارا.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ الهاء للعصار ﴿جَمْعًا﴾ والمراد: صار الصواهل مع عصارها وسط ملم الأعداء.

﴿إِنَّ الإنْسَانَ﴾ الملحد ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ لآلاء مولاه، أو المراد لعاص، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لصامر وممسك.

﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾[1] هو كما لو طرح راؤه ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ هلكها.

---

(١) قال الحوفي: إذا ظرف مضاف إلى بعثر والعامل فيه يعلم. انتهى، وليس بمتضح لأن المعنى: أفلا يعلم الآن؟ وقرأ الجمهور: بعثر بالعين مبنياً للمفعول. وقرأ عبد الله: بالحاء. وقرأ الأسود بن زيد: بحث. وقرأ نضر بن عاصم: بحثر على بنائه للفاعل. وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي سعدان: وحصل مبنياً للفاعل؛ والجمهور: مبنياً للمفعول. وقرأ ابن يعمر أيضاً =

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ما حواه صدر كل أحد إلحادا أو إسلاما ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ عالم السرائر وعكسها، ومعامل كل أحد على عمله.

=

ونصر بن عاصم أيضاً: وحصل مبنياً للفاعل خفيف الصاد، والمعنى جمع ما في المصحف، أي أظهر محصلا مجموعاً. وقيل: ميز وكشف ليقع الجزاء عليه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القارعة

مكية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن
ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ
۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿الْقَارِعَةُ﴾ الطامة.

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ المراد: أمرها أمر مهول.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ كرره مؤكدا هولها.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ﴾ العراد لأمر عددهم ﴿الْمَبْثُوثِ﴾.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ لصعودها وسط الهواء كالعصار.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ عال صالح أعماله على طالحها ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ والمراد: أهلها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وعال عمله السوء على عمله الصالح ﴿فَأُمُّهُ﴾ مأواه ومحله ﴿هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[1] حرها ألد.

---

(١) قولُه تَعَالى: ﴿وَمَا أَدْراك ما هِيَهْ﴾. قَرَأَ حمزةُ وحده: ﴿ما هِيَ﴾ بحذف الهاء إِذَا أدرج وبإثباتها إِذَا وقَفَ؛ لأنّ هَذِهِ الهاء هاء سكتٍ، ولا يلحقها إعرابٌ، وَقَدْ أنبأت عنْ علة ذَلِكَ فيما سلف، وإنما أعدتُ ذكره؛ لأن ابْنُ مُجاهد أخبرني، قَالَ: قَالَ نصر بْن عاصم: سَمِعْتُ أبا عَمْرو، يَقُولُ: ﴿ما هيه﴾ يقف عندها، وكل هاء للتأنيث تصير فِيْ الدَّرج تاءً إلا هَذِهِ. فأمَّا قولُ الشَّاعِرِ:

حـــاملـــةً دَلْـــوُكِ لا مَحْمُـــوْلَهْ مَـــــلأى مِـــنَ المَـــاءِ كَعَـــيْنِ المُـــوْلَهْ

فإنَّ الشَّاعِرَ بناه عنْ الوَقْفِ، وهي هاءُ التأنيث، ولو بناه عَلَى الإدراج، لقال: محمولةً، والمولِة: العنكبوت.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التكاثر

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أموالا وأولادا.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ صار أهم أموركم لمكم الأموال، وأهم مهامكم حطام لا دوام له، ومطر عمركم سدى إلى ورود الحمام، أو المراد: وصل مراوءكم أموالا وأولاد إلى حد عدد الهلكى أهل اللحود.

﴿كَلا﴾ ردع عماهم سالكوه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء مآل مرائكم لدى اطلاعكم على ما وراءكم.

﴿ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كرره مؤكدا الحكم الأول.

﴿كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لما ألهاكم لمكم الأموال والأهل أو عددكم لهم.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [1] مكمل لِوَالله أو ما حكمه كحكمه مطروح.

---

(١) قولُه تَعَالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيْمَ﴾. قَرَأَ القراء: "لَتَرَوُنَّ " بفتح التاء إلا الكِسَائِيّ، وابن عامر فإنهما ضما التاء، وأجمعوا عَلَى ضم الواو من غير همزٍ لالتقاء الساكنين، إلا ما روى الْعَبَّاس عنْ أَبِي عَمْرو " لَتَرَؤُنَّ " بالهمز، وهو جائز عند الكِسَائِيّ، خطأ عند الْمَازِنِي والبصريين؛ لأن كُلَّ حركة كانت غير لازمة لم يجز همزها، وإنما يجوز قلب الواو همزة إِذَا كانت الضمة والكسرة عليها لازمتين نحو " أُقِّتَتْ " " ووُقِّتَتْ " وإعا ووعا، والأصل فِيْ " لَتَرَوُنَّ الجَحِيْمَ " لترئيون عَلَى وزن لتفعلون، فنقلوا فتحة الهمزة إلى الراء، وحذفوا الهمزة تحفيفًا، ثُمَّ استثقلوا الضمة عَلَى الياء فحذفوها، فالتقى ساكنان الواو والياء، فأسقطوا الياء لالتقاء السَّاكنين، ثُمَّ التقى ساكنان الواو =

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ الهاء لدار السوأى وكرره مؤكدا ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر لوروده كرأى مؤدى كرمى طرحا.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ كل ما حلى لولد آدم وألهاه عما أمره الله، أو المراد: سواء الهاه أولا ولو مأكلا ومطمعا، أو السؤال حاصل لكل ملحد لا لأهل الإسلام.

=

والنون الشديدة فحركوا الواو بالضمة لالتقاء الساكنين، ومثله: "اشتَرُواْ الضَّلالةَ " ونحوه كَثِيْر [إعراب القراءات: ٥٦٢/٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العصر

مكية، وآيها ثلاث آيات

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿وَالْعَصْرِ﴾ الركوع المعلوم، وهو الركوع الأوسط، أو المراد: عصر إرسال الرسول ردد الله له أكمل السلام، أو المراد: الدهر.

﴿إِنَّ الإنْسَانَ﴾ المراد: سوط ولد آدم ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[1] لمطور أعمارهم سدى.

﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى واحد واحدا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على مر الأوامر وعما ردعهم مولاهم.

---

(١) هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن هذا المخبر عنه أنه في خسر إنسان واحد بدليل إفراد لفظة الإنسان، واستثناؤه من ذلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات يقتضي أنه ليس إنسانا واحدا. والجواب عن هذا هو أن لفظ الإنسان وإن كان واحدا فالألف واللام للاستغراق يصير المفرد بسببهما ما صيغة عموم، وعليه فمعنى أن الإنسان أي أن كل إنسان لدلالة (ال) الاستغراقية على ذلك، والعلم عند الله تعالى. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٩٢/١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الهمزة

مكية، وآيها تسع آيات

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [آية: ١ - ٩]:

﴿وَيْلٌ﴾ اسم واد وسط دار السوأى ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[(١)] واهص آكل لحوم أهل الإسلام.

﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ رواه راوٍ كدمع، وراوٍ كهدّد ﴿مَالا وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه وأعده لدوائر الدهر.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ وعصمه الورود موارد الحمام.

﴿كَلا﴾ ردع ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ طرحا ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ سماها كما سماها لحطمها كل ما

---

(١) اختلفوا في الهمزة واللمزة هل هما بمعنى واحد أم مختلفان على قولين أحدهما أنهما مختلفان ثم فيهما سبعة أقوال:
أحدها أن الهمزة المغتاب واللمزة العياب قاله ابن عباس والثاني أن الهمزة الذي يهمز الإنسان في وجهه واللمزة يلمزه إذا أدبر عنه قاله الحسن وعطاء وأبو العالية والثالث أن الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في أنساب الناس قاله مجاهد الرابع أن الهمزة بالعين واللمزة باللسان قاله قتادة والخامس أن الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه قاله ابن زيد والسادس أن الهمزة الذي يهمز بلسانه واللمزة الذي يلمز بعينه قاله سفيان الثوري والسابع أن الهمزة المغتاب واللمزة الطاعن على الإنسان في وجهه قاله مقاتل والقول الثاني أن الهمزة العياب الطعان واللمزة مثله وأصل الهمز واللمز الدفع قاله ابن قتيبة وكذلك قال الزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم. انظر زاد المسير (٩/٢٢٧).

طرح وسطها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾.

﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسعره ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ الروع والصدر لورودها محل الإلحاد ومأوى سوء الإصرار.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ مصكوك سددها وأوصد السدد وصكها واحد.

﴿فِي عَمَدٍ﴾ رواه راوٍ كصمد، وراوٍ كعمر ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ والمراد: حل وسط العمد الحطمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفيل

مكية، وآيها خمس آيات

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾(١) واسمه محمود كما رووه وحاصله هو أحد الملوك عمر مصلى، وأراد ورود الأمم له كورودهم إلى الحرم، وسمع أهل الحرم مراده وأسرع أحدهم وسلح وسط ما عمره وطلى حائطه ولما وصله الأمر آلى على هدم أم رحم وورد ومعه عساكره، ومحمود أمامهم، وصار كلما أراد إرسال محمود إلى كارع الحرم ركع وهوى، وكلما دار رأسه كارع سوى الحرم أسرع وهرول وهم على الأمر المسطور أرسل الله الطائر حاملا حلكه وعوامله الحصى محررا على كل واحد اسم المعد له، وهو لا كالعدس ولا كالحمص وسط، وصار كلما رمى طائر على رأس واحدهم الحصى وصل إلى سرمه صاردا، وأهلكهم الله كلهم إلا واحد وهو إرهاص لرسول الله لحصوله على مولده صلى الله على روحه وسلم.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ الله ﴿كَيْدَهُمْ﴾ لما أصروا على الهدم المحرر ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ وآل

---

(١) هل هو فيل واحد أم فيلة؟ أكثر أهل العلم على أنها مجموعة من الأفيال، ولم تكن فيلا واحداً، ولكن أفرد الفيل وأريد به أعظم هذه الأفيال وهو الفيل الذي جندوه لسحب وتدمير الكعبة، ومن العلماء من قال: إنه اسم جنس. انظر سلسلة التفسير لمصطفى العدوي (١٠٢/٤).

الأمر إلى هلاكهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ حال مطهو ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾ كل كلأ أو محصود ﴿مَأْكُولٍ﴾ المراد: حصل له الإكال، وهو أكل الدود له، وحاصل الأمر إهلاكهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

مكية، وآيها أربع آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[1] [آية: ١ - ٤]:

﴿لإِيلافِ﴾ عامل الكاسر والمكسور هو ما حله لام الأمر ﴿قُرَيْشٍ﴾.

﴿إِيلافِهِمْ﴾ مصدر مؤكد للمصدر الأول المعمول للام الكسر ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ لرومهم المطعم وسواه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ طواهم المحرر أو المحل عراهم وأكلوا الحمر الهلكى وسواها ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ لما أم الملك المحرر هدم الحرم الحرام وسلمهم الله وأهلكه مع عساكره.

---

(١) لم يترك الحق سبحانه وتعالى وسيلة إقناعية أو تربوية أو ترغيبية أو تهديدية إلا أقامها وأداها لقبيلة قريش في صدر الإسلام، من أجل حملهم على الانضمام لراية الإسلام، وإعلان عقيدة توحيد الله تعالى، وترك الشرك والوثنية وعادات الجاهلية القبيحة، ومن هذه الوسائل تذكيرهم بما أنعم الله تعالى عليهم، من تيسير الحصول على مكاسبهم وأرزاقهم وتجاراتهم الرابحة، لقطري الشام واليمن، في قوافلهم الشتوية والصيفية، وذلك في سورة قريش المكية بلا خلاف. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٢٩٣٧/٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الماعون

مختلف فيها، وآيها سبع آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ هو أمر المعاد وورد الأمم موارد أعمالهم.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾(١) دسعه دسعا، أو حمل له العصا وصكه لما سأله اللحم، وهو العاص ولد وائل، أو هو عم الرسول ردد الله له السلام أو سواهما.

﴿وَلا يَحُضُّ﴾ أهله وسواهم ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ المراد: ما هو مؤدوها أصلا.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ الأمم أعمالهم لحمدهم لهم لا عملا لله ولرسوله ركوعا وسواه.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالرحى، وكل وعاء، أو المراد: سهم أموالهم.

---

(١) إن هذا الذي يكذّب بالدين من أوصافِه السيّئة أنه بخيلٌ شرِس الأخلاق. لذلك فإنه يؤذي اليتيم، ويدفعُه بجَفوة وغلظة، ولا يُعطيه حقَّه. ومن بُخله الشديد أنّه لا يحثّ على مساعَدة المساكين، ولا يُعطيهم من مالِه شيئا. وذلك كلُّه لأنه لا يؤمن بأنه سيُبعث يومَ القيامة ويحاسَب حساباً عسيرا. ثم ذكَر الفريقَ الآخر المرائي الّذي يعمل من أجلِ ان يَظهر أمام الناس وهو كاذبٌ مخادِع. انظر تفسير القطان (٣/٤٥٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكوثر

مكية، وآيها ثلاث آيات

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣][1]:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ المعطى له هو رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الْكَوْثَرَ﴾ هو آل الرسول وأولاده، أو علماء الإسلام، أو كلام الله المكرم، أو اسم ماء وسط دار السلام أحور حلو كالعسل.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ دم على الركوع له، والأمر له، ولأهل الإسلام ﴿وَانْحَرْ﴾ واعط اللحم لكل عائل وسائل.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ وهو العاص ولد وائل ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ لا ولد له.

(١) نعم الله على نبيه سور الضحى والانشراح والكوثر فيها تعداد النعم الإلهية على النبي صلّى الله عليه وسلّم وهي نعم كثيرة، في قمتها في الدنيا: النبوة والرسالة، وفي الآخرة: الكوثر وهو الخير الكثير، ولقد تضمنت سورة الكوثر المكية الخبر بما أعطى الله نبيه وهو الكوثر، وبما طالبه به من الصلاة والصدقة شكرا لله على ما أنعم، وتبشيرا بالنصر، وخذلانا لأعدائه، وانقطاع أثرهم وذكرهم، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٩٤٣/٣).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكافرون

مكية، وآيها ست آيات

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله أكمل السلام ﴿يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[1] هم ملأ علم الله عدم إسلامهم ودوامهم على إلحادهم ﴿لا أَعْبُدُ﴾ حالا ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ه وهو الصور والدمى.

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ حالا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده.

﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ مآلا أمدا ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾.

---

(١) أي: قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء المشركين الذين جاؤوك ليساوموك على أن تعبد آلهتهم مدة، وهم يعبدون إلهك مدة أخرى.. قل لهم على سبيل الحزم والتأكيد " لا أعبد " أنا الذي تعبدونه من آلهة باطلة، ولا أنتم عابدون الإله الحق الذي أعبده، لجهلكم وجحودكم. وعكوفكم على ما كان عليه آباؤكم من ضلال. وافتتحت السورة الكريمة بفعل الأمر " قل " للاهتمام لما سيأتي بعده من كلام المقصود منه إبلاغه إليهم، وتكليفهم بالعمل به. ونودوا بوصف الكافرين، لأنهم كانوا كذلك، ولأن في هذا النداء تحقيرا واستخفافا بهم. و" ما " هنا موصولة بمعنى الذي، وأوثرت على " مَن " لأنهم ما كانوا يشكون في ذات الآلهة التي يعبدونها، ولا في ذات الإلهة الحق الذي يبعده النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كانوا يشكون في أوصافه - تعالى - ، من زعمهم أن هذه الأصنام ما يعبدونها إلا من أجل التقرب إليه. ويقولون: ﴿هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾ مع أن الله - تعالى - منزه عن ذلك، فالمقصود من " ما " هنا: الصفة، وليس الذات، فكأنه قال: لا أعبد الباطل الذي تعبدونه، وأنتم لجهلكم لا تعبدون الإله الحق الذي أعبده. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٢/٤٢٠).

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ طول عمركم ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وأورد ما الاسم الموصول على الله للمحاكاه.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ وهو الإلحاد ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وهو مسلك الإسلام.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النصر

مدنية، وآيها ثلاث آيات

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾[1] رسوله محمدا صلى الله على روحه وسلم على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ لأم رحم مكه.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ﴾ مسلك الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ ملأ وراء ورودهم إلى الإسلام واحدا واحدا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدا له على آلائه ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ لكل هائد وعائد إلى مولا سائله محو عمله.

---

(١) هذه السورة بشارة بالنصر للنبي صلّى الله عليه وسلّم على العرب قاطبة، ونعي أجله والاستعداد للانتقال إلى الرفيق الأعلى بمداومة التسبيح والتحميد والاستغفار. إذا تحقق لك أيها النبي نصر الله، وعونه، وتأييده على من عاداك، وهم قريش وبقية العرب، وفتحت لك مكة، وتحققت لك الغلبة، وإظهار دينك وانتشاره، فنزه الله تعالى، حامدا له نعمه وأفضاله عليك، واسأل المغفرة لك ولمن اتبعك، إن الله كثير القبول لتوبة عباده، حتى لا ييأسوا ويرجعوا بعد الخطأ. و(النصر) الذي رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هو غلبته لقريش وهوازن وغير ذلك. و(الفتح) هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن. قال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب: لم يمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفي العرب رجل كافر، بل دخل الكل في الإسلام، بعد حنين والطائف، منهم من قدم، ومنهم من قدم وافده، ثم كان بعده صلّى الله عليه وسلّم من الردة ما كان، ورجعوا كلهم إلى الدين. والمراد بذلك: العرب وعبدة الأوثان. وفائدة قوله: نصر الله مع أن النصر لا يكون إلا من عند الله: هو أنه نصر لا يليق إلا بالله، ولا يليق أن يفعله إلا الله، أو لا يليق إلا بحكمته، والمراد: تعظيم هذا النصر. وقوله: جاءَ نَصْرُ اللهِ: مجاز، أي وقع نصر الله. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣/٢٩٥٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المسد

مكية، وآيها خمس آيات

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[1] هو عم الرسول صلى الله على روحه وسلم والحكم دعاء، والمراد هلك ﴿وَتَبَّ﴾ دعاء وراء دعاء، والمراد: هلك وهلك؛ إعلام لحصول هلاكه على كل حال.

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ لدى حلول هلاكه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ ما للمصدر، والمراد: عمله أو ولده، وأهلكه أسد وهو سائح.

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ حمراء سعراً.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ﴾ رواه راوٍ مسموكا، وراوٍ على وروده معمولا لعكس امدح ﴿الْحَطَبِ﴾ الأسل والحسك لطرحه على مسلك الرسول صلى الله على

---

(١) أي: خسرت وخابت يدا أبي لهب، وقد نزل هذا الهلاك والخسران به، بسبب عداوته الشديدة للحق، الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه - سبحانه - . والمراد باليدين هنا: ذاته ونفسه، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما في قوله - تعالى - : ﴿ذلك بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ ويجوز أن يكون المراد باليدين حقيقتهما، وذلك لأنه كان يقول: يعدني محمد صلى الله عليه وسلم بأشياء، لا أدري أنها كائنة، يزعم أنها بعد الموت، فلم يضع في يدي شيء من ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما ما أرى فيكما شيئا. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٢/٤٢٥).

روحه وسلم.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ كردها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ ممسود عكس المحلول، وأول الكلام مع محموله حال لها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإخلاص

مختلف فيها، وآيها أربع آيات

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿قُلْ﴾ الأمر للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم لما سألوه ما الله أوحى له الحكم المسطور ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ محمول هو.

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ أول كلام، ومحموله: والصمد هو الموئل لكل وطر على الدوام.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد على كل مدع الولد له ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لا والد له ولا أم ولا له مصدر، وهو أسر المصادر والأصول كلها.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾[1] معادلا محمول أمام الاسم وهو ﴿أَحَدٌ﴾ لا إله إلا هو وحده.

---

(١) ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسب ربّ العزّة، فأنزل الله هذه السورة جوابا لهم. وقال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأُنزلت جوابا لهم. انظر تفسير الطبري (٢٤/٦٨٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفلق

مختلف فيها، وآيها خمس آيات

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾[1] [آية: ١ - ٥]:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ما ورط كل أمر مما سواه، والمراد: اللألاء لدى محوه سواد المساء ودهمائه أوحاه الله لرسوله لما سحره أحد الهود وأعلمه مولا السحر ومحله.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عم كل سوء السحر والسم وسواهما.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ سواد المساء حال وروده، أو المراد الطوس حال دلوكه.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ للسلك لدى رومها سحر أحد.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وأراد السلوك على ما أصره لمحسوده، وعمل المكروه له.

---

(١) نزلت هذه السورة - كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها - في قصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. والنفاثات: بناته اللواتي كن ساحرات، فسحرن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعقدن له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله تعالى إحدى عشرة آية بعدد العقد، هي المعوذتان، فشفي النبي صلّى الله عليه وسلّم. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣/٢٩٦٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الناس

مختلف فيها، وآيها ست آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مالكهم وآسرهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ معمول على مسلك، وهم العامل المكرر.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ الإله كالملك محلا.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾(١) الموسوس لهم، وهو المطرود عدو آدم ردد الله له السلام ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الحائد لدى سرد المرء اسم الله علا حمده.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ لدى دلههم عما هو سرد لأسماء مولاهم أو حمده.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ هم ملأ الوسواس المطرود ﴿وَالنَّاسِ﴾ رده الواو إما على الوسواس، أو على ما هو أمامه، وهم ملأ الوسواس، ورد لعدم وصول وسواس ولد آدم إلى الصدور ووسواسهم كلام واصل إلى الأسماع، والأصح ردد الواو له على ما هو أمامه

---

(١) لا يخفى ما بين هذين الوصفين اللذين وصف الله بهما هذا اللعين الخبيث من التنافي لأن الوسواس كثير الوسوسة ليضل بها الناس والخناس كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس. والجواب: أن لكل مقام مقالا؛ فهو وسواس عند غفلة العبد عن ذكر ربه خناس عند ذكر العبد ربه تعالى كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٩٩/١).

ولو وسواسهم كلاما أولاً المسامع ومآله وراءها إلى الروع والصدر، والله أعلم كمل سواد ما حاوله محرره مما هو مهمل الكلام لحل مؤدى كلام الله الملك العلام ورد، ولله الحمد سهل المرام حلو الكلام، حوى أسرار الوارد والمأول، وعلى دوح معلومه ومؤداه حام طائر المعلول، اللهم لو سالمه حسد حاسد مسدد لسهم عوارئه أو راعاه لوم لائم سال لصمصام مرائه ومأمول راسم كلمه لدى إطلاع كل ماهر على أسطر طوماره لمحه له لمح الكرام والعلماء الأعلام، سادا محال عواره كما هو مسلك أهل الهمم والكمال، والحمد لله على الإكمال وسائر الأحوال، وصلى الله وسلم على أكمل رسله محمد والآل كمل مداده وسواده لعام ١٢٧٤.

الحمد لله المحمود على كل حال، الممدوح على سائر ما أولى لا محال، وصلى الله وسلم على رسوله الكامل، محمد أكرم ولد آدم ولدى المعاد هو الأول والمعول، وعلى آله الأطهار الكرام، والأصهار الصلحاء الأعلام، وكل مسلم مسلم لأموره لمولاه، موحد كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله، سهل الله كمال در الأسرار، مؤدى كلام الله الواحد مالك الأمصار، محررا، ولله الحمد على أصل مسوده ومحرره، وحامل لواء معامله ومسطره، صدر العلماء ومولاهم، وإمامهم وأولاهم، واحد الدهر ومحط الآمال، وطاهر الأصل وصالح الأعمال، العالم العلامة محمود ولد محمد رسول الله الأكرم، صلى الله على روحه وأرواح أصوله الرسل وسلم.

فهرس المحتويات

سورة الكهف ٣
سورة مريم ٢٤
سورة طه ٣٩
سورة الأنبياء ٥٨
سورة الحج ٧٥
سورة المؤمنون ٩٣
سورة النور ١١٢
سورة الفرقان ١٣٣
سورة الشعراء ١٤٩
سورة النمل ١٧١
سورة القصص ١٨٩
سورة العنكبوت ٢٠٩
سورة الروم ٢٢٤
سورة لقمان ٢٣٦
سورة السجدة ٢٤٣
سورة الأحزاب ٢٤٩
سورة سبأ ٢٦٦
سورة الملائكة ٢٧٧
سورة يس ٢٨٦
سورة الصافات ٢٩٨
سورة ص ٣١٢
سورة الزمر ٣٢٣
سورة المؤمن ٣٣٦
سورة فصلت ٣٥٠
سورة الشورى ٣٦٠

سورة الزخرف ٣٧٠
سورة الدخان ٣٨٢
سورة الجاثية ٣٨٨
سورة الأحقاف ٣٩٥
سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتُسَمَّى سورة القتال ٤٠٣
سورة الفتح ٤١٠
سورة الحجرات ٤١٨
سورة ق ٤٢٣
سورة الذاريات ٤٢٩
سورة الطور ٤٣٥
سورة النجم ٤٤١
سورة القمر ٤٤٧
سورة الرحمن ٤٥٤
سورة الواقعة ٤٦٠
سورة الحديد ٤٦٧
سورة المجادلة ٤٧٤
سورة الحشر ٤٨٠
سورة الممتحنة ٤٨٦
سورة الصف ٤٩١
سورة الجمعة ٤٩٥
سورة المنافقون ٤٩٨
سورة التغابن ٥٠١
سورة الطلاق ٥٠٥
سورة التحريم ٥٠٩
سورة الملك ٥١٣
سورة ن ٥١٧
سورة الحاقة ٥٢٢
سورة المعارج ٥٢٧
سورة نوح ٥٣١

سورة الجن ٥٣٥
سورة المزمل ٥٤٠
سورة المدثر ٥٤٣
سورة القيامة ٥٤٧
سورة الإنسان ٥٥٠
سورة المرسلات ٥٥٥
سورة النبأ ٥٥٩
سورة النازعات ٥٦٣
سورة عبس ٥٦٧
سورة التكوير ٥٧٠
سورة الانفطار ٥٧٣
سورة المطففين ٥٧٥
سورة الانشقاق ٥٧٩
سورة البروج ٥٨٢
سورة الطارق ٥٨٥
سورة الأعلى ٥٨٧
سورة الغاشية ٥٨٩
سورة الفجر ٥٩١
سورة البلد ٥٩٤
سورة الشمس ٥٩٦
سورة الليل ٥٩٨
سورة الضحى ٦٠٠
سورة الشرح ٦٠٢
سورة التين ٦٠٤
سورة العلق ٦٠٦
سورة القدر ٦٠٨
سورة البينة ٦١٠
سورة الزلزلة ٦١٢
سورة العاديات ٦١٤

سورة القارعة ٦١٦
سورة التكاثر ٦١٧
سورة العصر ٦١٩
سورة الهمزة ٦٢٠
سورة الفيل ٦٢٢
سورة قريش ٦٢٤
سورة الماعون ٦٢٥
سورة الكوثر ٦٢٦
سورة الكافرون ٦٢٧
سورة النصر ٦٢٩
سورة المسد ٦٣٠
سورة الإخلاص ٦٣٢
سورة الفلق ٦٣٣
سورة الناس ٦٣٤
فهرس المحتويات ٦٣٧